ديوان

عبد الله البَرَدُّوني

الأعمال الشعرية

1-12

المجلد الأول



مكتبة الإرشاد
شارع ٢٦ سبتمبر - صنعاء - ص.ب. ٣٠١٩
هاتف: ٢٧٢١٩٠ - ٢٧١٦٧٧ - ٢٧٩٢٨٩
الجمهورية اليمنيَة


الناشيء

ديوان عبد الله البردوني

الأعمال الشعرية

1 - 12

المجلد الأول

1 - 6



مكتبة الأرشاد

صنعاء - اليمن

الطبعة الرابعة

١٤٣٠هـ - 2009م

لوحة الغلاف للفنان: علاء البردوني

رقم الإيداع بدار الكتب بصنعاء

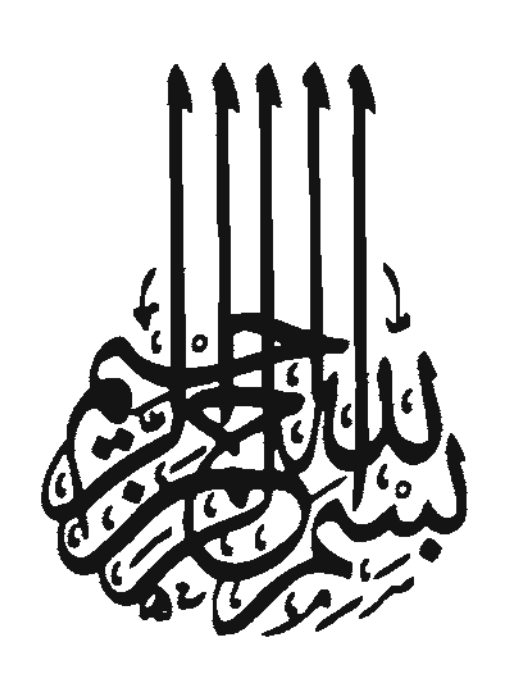
2009 / 181



مكتبة الأرشاد

الجمهورية اليمنية - صنعاء - ميدان التحرير

شارع ٢٦ سبتمبر - ص.ب ٣٠١٩ - تليفون ٢٧١٧٧٥-٢٧١٦٧٧




الناشيء

تنويه

هذه المجموعة الشعرية للشاعر عبد اللّه البردوني تشمل الدواوين التي كان قد تم نشرها في حياته، وهي اثنا عشر ديواناً، وإذا ما تأكد، وجود مخطوطات، لقصائد أو دواوين جديدة لم تنشر؛ فسوف يتم نشرها في الطبعة الثانية للمجموعة:

1 ـ من أرض بلقيس
2 ـ في طريق الفجر
3 ـ مدينة الغد
4 ـ لعيني أم بلقيس
5 ـ السفر إلى الأيام الخضر
6 ـ وجوه دخانية في مرايا الليل
7 ـ زمان بلا نوعية
8 ـ ترجمة رملية لأعراس الغبار
9 ـ كائنات الشوق الآخر
10 ـ جوّاب العصور
11 ـ رواغ المصابيح
12 ـ رجعة الحكيم ابن زايد




الناشيء

مُـذ بـدأنـا الشَّـوْطَ جـوهَـرْنا الحصى

بـالـدَّمِ الـغـالـي وفَـرْدَسْـنـا الـرِّمـالْ


الناشيء

بين يَدَي البردُّوني

خالد عبد الله الرويشان

بعد أن غربتِ الشمسُ، وغاضتْ مياهُ النهر، ماذا بقي لنحتفلَ بظلامنا ونحتفي بموتنا؟

يا للعارِ! كيف استطعنا أن نبدِّد ضوء تلك الينابيع التي تومئ لنا بينما نحن ندير رؤوسنا ونُقفلُ راجعين صوب آكام القسوة ودروبِ النسيان.

لا بدّ من أن أعترف ـ بين يَدَي هذا الديوان ـ بالشعور بوجلٍ وخجلٍ تصعبُ مواراتهما

الوجل؛ لأن عالَمَ (عزّاف الأسى ـ عابرِ سبيل)(*) تجلّى لي عوالِمَ رحبةً، هائلةً، وساحرة، على المستويين الإبداعي والإنساني، وتكشّف هذا العالَمُ عن آفاقِ رحلةٍ في بحرٍ بلا ضفاف، زاخرٍ بزبدِ الدهشة، وروعةِ الاكتشاف.

والخجل؛ لأن تساؤلاً مُمضّاً أقضَّ هجعةَ الرضا، وأيقظَ أسِنّة اللَّظى. هل كان لا بدّ أن ينطفئ قلبُ البردّوني كي ندركَ كم كنا مفعمِين باللاّمبالاة، مترَعِين بالأوهام!

ربما شعرت ـ بعد تأمّل وتمعّنٍ ـ أنّ الكلَّ أدار رأسَهُ وأغلقَ أذنيه (لعزّاف الأسى) كلٌّ بطريقته:

بعضهم أدار رأسه دورةً كاملةً، وربما بغضب،

وآخر أدار رأسه نصف دورةٍ وبلا اهتمام،

(*) من عناوين قصائد البردوني.

وثالثٌ نظر شزراً ومضى.

وفي هذه البلاد فإن النظر شزراً قد يكون طريقةً للتعبير عن الحب والصداقة والاكتشاف!

رُبَّما أحاط بعضٌ رابعٌ بعزَّاف الأسى، عابر السبيل، مستمتعاً بعزفه، متحلّقاً حول أحزانه، واهماً أنه قريبٌ منه. لكنّ هذا البعضَ كان ينظرُ ولا يرى، ويسمعُ ولا يعي، وربّما ضحك وسخِرَ بينما عزّافُ الأسى يحسو بكاءه ويستفُّ خيباته وأشجانه.

قِلّةٌ أحاطت به عن قرب، وأصاختِ الفؤادَ، وأرهفتِ الروحَ لنشيدِ العازفِ ونشيجِه. ومن المؤكّد أنها كانت بعض عزائِه. لكنها تشعرُ بحسرةٍ ما، ربما لأنها لم تستطع أن تغيّر من أحواله ولو قليلاً وبما يُسعدُ قلبَه، ويُفرحُ رُوحَه.

هل أكونُ صريحاً؟ ربما شعرتُ أنَّ الجميعَ مترعٌ بالحسرةِ، حسرةٍ ما بعد غروبِ الشمس. حسرةٍ ما بعد فواتِ الأوان.

هل يشعر أحدٌ ما في هذه البلادِ أنّه خفّف من عذاباتِ عزَّاف الأسى وبما يُسعدُ قلب شاعرٍ كفيف ووحيد وبما يُفرحُ روحَه؟

إنني أُهنِّئُ كلَّ من لا يَشعرُ بالحسرة!

كانَ يَبدو كصائمٍ ما تعشَّى ... الملايينُ فيه، جوعى وعطشى
أثّثَ القلبَ للعَراةِ ويُحكى ... أنه ما أذاق جنبيْهِ فَرْشا

وحدي. نعم كالبحرِ وحدي ... منّي، ولِيَ جَزري وَمَدّي
وحدي وآلاف الرُّبا ... فوقي، وكلُّ الدهر عِندي

لم يكن البردُّوني مجردَ (عابر سبيلٍ) في حياتِنا، ولن يكون. وبالنسبة لليمن، فإنّه شاعرُ كلِّ العُصُورِ. إنّه شاعرُ الألفِ عاماً الماضيةِ على الأقل، وأحسب أنّ زمناً طويلاً سيمرُّ قبل أن تعرفَ اليمنُ شاعراً آخر يمكن أن يرتقي هذه الذّرا التي حلّقَ البردُّوني في أجوائها، وقد كانت ذراً صعبةً مستحيلةً على المستويين الإبداعي والإنساني.

إنَّ مَا يُحزِنُ حَقاً أنّ الضّوءَ لم يُلقَ بما فيه الكفاية على تجربته الإبداعية، والأكثر مدعاةً للحزنِ أنّ الاهتمام ينصبُّ في العادةِ ـ وفي اليمن على وجه التحديد ـ على تأويلاتِ مُباشِرةٍ لقصائدَ وربما لأبياتٍ ومواقفَ أو حتى لرأيٍ عابرٍ في ظرفٍ عابر.

وفي هذا الموضع رُبما وجبت الإشارة إلى أنه ليس خطأً اهتمام بعض المثقفين بقضايا كهذه أو مواقفَ معينة للشاعر الكبير، ولكنّ الخطأ بل الخطيئة ـ في ظني ـ هو التركيز عليها فقط، وتلخيص حياة ثريةٍ ضخمةٍ كحياة البردّوني وقامةٍ إبداعية سامقة كقامته في موقفٍ ما أو رأيٍ ما في ظرفٍ ما!

وفي سنواته الأخيرة، فإن هذه النوعية من الاهتمام البليد والقاسي بما يكتبه البردّوني من آراء وهو يقترب من الثمانين عاماً أوشكت أن تغمر شمس روحه المشعّة، وتطمرَ سنا هذه الشخصية الفذّة، وألَقَ إبداعها المعجز.

وللأسف، فإن ذلك لم يكن إلا من فعل بعض النقاد بحسن نيّةٍ أحيانا، وبسوئها في أحيانٍ أُخرى، وبرعونةٍ وجهلٍ في معظم الأحيان.

* * *

وإذا كانت التجربة الإبداعية للبردّوني لم تَلقَ اهتماماً كافياً، أو حتى عاديّاً، واذا كان ذلك محزناً ـ وهو مُحزنٌ بحق ـ فإن

تجربته الإنسانية الفريدة ـ وهي تعانق تجربته الإبداعية ـ لم تَلْقَ اهتماماً من أيِّ نوعٍ على الإطلاق.

وعند تأمّل تفاصيل هذه التجربة الإنسانية، وملامح هذه الشَخصية، لا تستطيع إلا أن تعجب وتتساءل. كيف استطاعت وردةٌ أن تطفح بالحياة، وأن تشرقَ بالأملِ، بين صخور القسوة، وفي قيعان اليأس ووسط بيئةٍ، زهرُ أشجارِها شوكٌ، وأجملُ أيكِها طلحٌ عنيد، يُسقى بالريح ويتيهُ باليباس.

المفارقةُ أنّ صخورَ القسوة وقيعان اليأس هذه تُنبت أحلى عنبٍ تعرفه الدُّنيا! تماماً مثلما أنبتت درّةَ الشعر الخالدة وقيثارتَه العذْبة (عبد اللّه البردُوني) في وسطِ اجتماعيٍ وظرفٍ تاريخيٍ غير مُواتٍ وأسرة فلاّحة بسيطة لم تعرف قلماً أو كتاباً ربما لمئات خَلَتْ من السنين. إنها عبقرية اليمن الخاصة، ومفارقاتها اللافتة!

* * *

أقولُ مَاذا يَا ضُحَى، يا غُرُوبْ؟ في القلبِ شَوقٌ غيرُ ما في القلوبْ
في القلبِ غيرُ البُغضِ غيرُ الهوى فكيفَ أَحْكِي يا ضَجِيجَ الدروبْ
لِمْ لا يَذوبُ القلبُ مِمّا بِه كم ذابَ. لكنْ فيهِ ما لا يَذوبْ

* * *

عند تأمّلِ حياة البردُوني (الإنسان) يتكشّفُ جانبٌ مغمورٌ لكنّه مُضيءٌ كبرقٍ، ومطمورٌ لكنه سامقٌ كأُفُق، وهيهات أن تطمح عصورٌ من الشعر والشعراء إلى التحليق في سماواته الرّحبة، وأجوائه الإنسانية العذبةِ والمعذّبة في آنٍ!

تأمّل مَعي ـ أيها القارئ العزيز ـ نُتَفاً صغيرةً من رِيْشِ هذا الطائر الضّخم. مُجرّد نُتفِ ريشٍ يُبهرُنا بهاؤها، ويغسِلُنا ضوؤها وتسحرنا نَمنماتُ ألوانِها.

كان البردُوني محبّاً لوطنه متشرّباً معاناةِ شعبِه، ولذلك فإنه كان يدفعُ من قُوْتِهِ الخاص أثمان دواوينِه وكتبِه، ليتمَّ بيعُها للجمهورِ بأقلّ من سعرِ التكلفة، وفي أحيانٍ كثيرةٍ بأثمان زهيدة لا تكاد تُذكر.

وأحسبُ أنّ نواصي الشوارع وتقاطعاتِها بصنعاء شهدت ولسنواتٍ طويلة هذه الظاهرة وما تزال.

إنها ظاهرةٌ فريدةٌ لشاعرٍ فريد يعرفها كلّ أبناء اليمن ويعرفها أكثر أطفالٌ وفتيانٌ فقراء عاش مُعظَمُهم ويعيش على ريعِ هذه الكتب وبيعها في الشوارع وتقاطع إشاراتها.

مُذ بدأنا الشَّوطَ جوهَرْنا الحصى بالدّمِ الغالي وفرْدَسْنا الرِّمالْ
واتَّقدْنا في حشا الأرضِ هوى وتحوّلنا حُقولاً وتلالْ
مِن روابي لَحمِنا هذي الرُبا من رُبا أعظُمِنا هذي الجبالْ

وما تزال كتبُ (البردُوني) ودواوينُهُ هي الوحيدة ـ من بين الكتب جميعِها ـ هي التي تحملها أكُفُّ هؤلاء الأطفال والفتيان الفقراء من البائعين المتجوِّلين! ربما لا يعرفُ هؤلاء الأطفالُ والفتيانُ أنّ شاعراً كفيفاً، فقيراً تجاوَزَ السّبعينَ من عُمُرِه، أصرَّ على دفع كلِّ ما يملك بما في ذلك القيمة الماليّة لجائزةٍ عربية ـ أكبر مبلغ حصل عليه في حياته ـ لناشري كتبِه ودواوينِه بهدفِ بيع هذه الكتب والدّواوين للجمهور بنصف التّكلفة وبرُبعِها أيضاً !

هل عرف ذلك الفتى المتجوّلُ بائعُ الكتُب على ناصية الشّارع أنّ ثمّة فتىً آخر كفيفاً وفقيراً وغريباً كان قد قدِمَ من قريته (البردُون) ذات يوم قبل ما يقرب من ستين عاماً إلى المدينة ليتعلّم في

مدرستها الشهيرة، وأنّه وبعد عصر يوم مكفهرٌ بالغربةِ والجوعِ، والوحشةِ، شعر أنّه بحاجةٍ ملحّةٍ إلىَ ما يمكن أن يَسدّ رَمَقه، ويسنُدَ قَامَته المتهاوية، وأنّ ذلك الفتى الغريب الكفيف وهو في حَيرته البائسة لم يجد إلاّ ثُلّة من صبيةٍ رفعوا عقيرتهم بالسخرية منه وملاحقته بالشتائم. والحجارة أيضاً!

ولم يحمِهِ من أذيّتهم إلا قُبَةُ سبيلٍ مهجورة عند أطراف المدينة دخلها متعثراً دامي الروح والوجه والكف.

وعندما حاصره الصّبية ممعنين في أذيّتهم خطر له أن يخيفهم بأن بدأ بإطلاق أصواتٍ مرعبةٍ تنطق بأسماء العفاريت!

ومن داخل القبّة المهجورةِ أطلقَ لصوتِهِ العنان حتى فرّ الصّبْيَةُ المحاصرون له؛ واهمين أنّ العفاريتَ سَتخرجُ عليهم من تلك القبّةِ النائيةِ عندَ أطراف المدينة.

ويمرّ الوقتُ بطيئاً، ثقيلاً على الفتى المختبئ في قبّة النجاة تلك، حتى تأكّد من ذهاب الصّبية. تحسّس بكفّيه المرتعشتين طريقه وخرجَ في هجير تلك الساعة اللافحة بعذاباتها، اللاهبة بأحزانها، واتجه صوب (مقشامة)(*) يَعرِف أنها في نهاية الشارع الترابي.

تأرجح بهامته بينما يداه تترنحان في الهواء وخطواته تئنّ على الثّرى المتلبّدِ باللامبالاة، وثمةَ عيونٌ متبلّدة تمرُّ بِه بلا فضول، وتتجاوزه بلا سؤال.

(*) المقشامة: قطعة أرض زراعية تكون عادة في وسط المدينة، يزرع بها الخضراوات وخصوصاً البصل والكرّاث والفجل، وغالباً ما تكون هذه الأراضي من أملاك الوقف.

هـل هُـنـا أو هـنـاك غـيـرُ جـذوعٍ غـيـر طـيـنٍ يـضـجُّ، يـعـدو ويـقـعـي
لـو عَـبـرتُ الـطـريـقَ عـريـانَ أبـكـي وأُنـادي، مـن ذا يَـعـي أو يُـوَعّـي
يافتى، يارجالُ، يا. . يا. . وأنسَى في دويِّ الـفـراغِ صـوتـي وسـمـعـي

وللهفته وجوعه، وخوفه، فإنه نسي أنَّ (المقشامة) مسوَّرةٌ بسُورٍ طينيٍّ عالٍ، ولم يُدرك مدى ارتفاع السّور إلا بعد ارتطام وجهه وكفّيه به.

يا لوجهه الذي فعلَتْ به النّدوبُ والجروحُ ما لم يستطع أن يفعله مرضُ الجدَري بكل جبروته وفتكه. !

تحسّس الفتى الكفيفُ السور بكفيّه واعتمدَ عليهما ليجلس على حافّة السّور متهيّئاً للقفز إلى داخل (مقشامة الفجل والبصل)!

أمّا كيف استطاع أن يصعد إلى أعلى السّور وكيف واتته قُواهُ الواهنة فإنّه لا يعرفُ كيف فعلها؟!

يا لجوع الساعة الخامسة قبل الغروب، ويا لرائحة الفجل والبصل في هذه الساعة!

إنه يدرك الآن خطورَةَ بقائِه على حافةِ السّورِ متردّداً في القفز إلى الداخل، فما أسهل أن يلمحه عابرٌ ما من شياطين الإنس، أو كلبٌ ما من كلاب الشارع الضالة.

همَّ بالقفز لكنه أحجم بغتةً. فقد تذكّرَ أنّه وإن كان قد عرف قدرَ ارتفاعِ السّورِ من الشارعِ وصعد سالماً، فإنّه لا يعرفُ قدرَ ارتفاعِهِ منَ الداخل! فربما أن هاويةً ستبتلعه فور أن يقفز! وحتى لو سلِمَتْ حياته فإنّ كَسْر إحدى قدميه أو كلتيهما أمرٌ وارد. ثم ما أدراه إن كانت هناك صخرةٌ ما تقف بالمرصاد أسفل السّور لتلتقف جسده الواهن إن هو قفز؟!

شعر بغثيانٍ له طعمُ الهباء، لعن اليومَ الذي غادرَ فيه قريته.

تحسس بكفيّه المذعورتين السّور باحثاً عن حصياتٍ صغيرة بدأ بقذفها تحته، مصغياً بروحِه وأذنيه، وبكلِّ مَسامِ جسمِه إلى وقعها محاولاً أن يُقدِّر المسافة إثرَ كلِّ حصاة مقذوفةٍ إلى الأسفل.

قدّر الفتى أنَّ ارتفاعَ السّور الطينيّ الأملس من الداخل أعلى قليلاً من ارتفاعه من الخارج، وهمّ بالقفز ـ بعد أن تشهّد وأشهد! وقفزَ أخيراً كمن يقفز في لُجّة ظلام أو هاوية بئر. ومثلما استوى على ذروة السّور وهو لا يعرف كيف استطاع ذلك، فإنه قام فور ارتطام جسدِه بالأرض ـ قريباً من البصل والفجل وهو لا يعرف كيف نَهضَ مَن وقْعَتِه المغامرة وهو أكثر حماساً وربما اندفاعاً صوب وجبته المشتهاة قبل غروب شمس ذلك اليوم الجائع البائس.

يا لِلذّة الوجبة، طعماً ورائحَة! هل عليه أن يملأ جيوبه أيضاً!

على عجلٍ، بدأ بملء جيوبه بعد أن ملأ معدته. لكنّ يداً ضخمةً عاجلته فَجأةً بضربةٍ في رأسه، وألحقتها بأخرى في كتفه، ثم انهمر سيلٌ من الشتائم قبل أن يُمسك صاحبُ (البصل والفجل) بتلابيبه ويُجرْجِرهُ جرجرةً هي إلى السّحب أقرب، صوب مكانٍ مظلم خاص بالبهائم، بينما الفتى الكفيف صامتٌ مستسلمٌ بعد أن دهمتَه المفاجأة.. وأخرسته كفّ (القشّام) الشبيهة بالمجرفة.

مع اقتراب أذان المغرب فُتحت الزريبة المظلمة، ومرةً أخرى انهمر سيلٌ من الشتائم على رأس الفتى، الذي قُذف به أخيراً في الشارع. ورغم خجله، وفزعه، إلا أنه حمد الله أنّ المغامرة انتهت عند هذا الحد. ثم إنّه قد شبع قليلاً!

وهبَّ ماشياً متعثّرَ الخطى مرتطماً بالمارّة وهم في طريقهم إلى المسجد، وتفضّل أحدُهم وقاده صوب المسجد دون أن يسأله حتى عن سبب الخدوش الظاهرة في وجهِهِ وكفّيه.

* * *

المسافاتُ مَعِي تَمْشي، إلى رُكْبَتِي تأتي، ومن ساقي تُغادرْ
مِن هُنا، مِنْ نِصْفِ وَجْهي، وإلى نصفِ وجهي سائرٌ، والدربُ سائرْ

* * *

وفي المسجد وأثناء قيامه بالوضوء استعداداً للصلاة حدث له ما لم يخطر على باله أو على بال المدينة برمّتها! بل إنه شعر أنّ كل ما لحقه من إهاناتٍ وآلام في ذلك اليوم الأسود لا يُساوي آلام هذه اللحظات الرهيبة في المسجد. فقد حدث أثناء قيامه بالوضوء وفي وسطِ بِركةِ ماءٍ صغيرة أن فاجأه أحدُهم بالضّربِ. كان الضّربُ مؤلماً وقاسياً. لكنّ الأقسى والأكثر إيلاماً أن الفتى الكفيف لم يكن يعرف من أيّ اتجاه تأتيه اللطمةُ تلو اللطمة، ولسوء حظّه فإنه لم يستطع أن يتقي ولو لطمةً واحدةً!

ولعلّه ردّد: ملعونٌ أبو الشعر في هذه البلاد. ملعونٌ أبو الهجاء.

كان اللاّطم من أعيان المدينة وأثريائها، وكان الفتى المغتربُ قد هجاه ببضعة أبياتٍ قبل بضعة أيامٍ، ولعلّ الرجل وقد رآه أمامه فجأةً في المسجد لم يتمالك نفسه، فانقضّ عليه دون وازعٍ من شفقة أو رحمة. ولعلّ الرجل أحسّ بالنّدم بعد أن أشبع الكفَيف ضرباً، ولعلّ نظرات المصلّين أصْلته بوابلٍ من عَتَبٍ أو استهجانٍ، فأعطى الفتى الكفيفَ خمسة ريالات فضيّة على الفور، وقبل أن يُكمل وضوءَه.

كانت فرحةُ الفتى بالريالات الخمسة كبيرةً، أكبر من آلامه، وأكثر من أحزانه في ذلك اليوم! وظل لسنواتٍ طويلة يتذكّر بحبوحة العيش التي عاشها لأسابيع بكنزه الصغير. الريالات الخمسة!

كان ذلك مجرّدَ يومٍ أو نصفَ يومٍ من أيام صبا البردّوني

وشبابه! ولم تكن أيامه وسنواته الأُوَلُ في العاصمة أفضلَ حالاً ، فديوانه الأوّل والذي كان قد صدَرَ قبل الثورة بفترة وجيزة تَقطُرُ قصائدُه أسىً وأبياتُه غربةً وأحزاناً يصعُبُ التِجوالُ في حنايا آلامها وثنايا عذاباتها.

* * *

هو الشرُّ مِلءُ الأرضِ والشرُّ طَبعُها — هو الشرُّ مِلءُ الأمسِ واليوم والغدِ
وهـذا غُـبـارُ الأرضِ آهـاتُ خُـيّـبٍ — وهذا الحصى حَبَّاتُ دَمعٍ مُجمَّدِ

* * *

يستطيع ان يكتشف المتأمِّلُ للديوان الأول عبقريةً شعريةً فريدةً، وجديدةً توشكُ أن تَهلَّ بضوئها على المشهد الشعري اليمني والعربي، وسوف تَتَكشَّفُ له من خلال ذلك رُوحٌ غامرةٌ بالحب، ناضحةٌ بالعطف والحنان، تأسى لأحوال ناسها، وأبناء مدينتها بينما هي في أمسِّ الحاجة إلى لمسةِ مواساةٍ أو همسةِ مَحبّة.

إنَّ هذه الميزة هي ذروةُ ذُرا الشاعر ذي القلب الكبير والحسّ المرهَف، والإحساس الشفيف بآلام البيوت والتوجّع لأنينها، في أزقّة المدينة البائسة اليائسة، بينما هو يمشي هائمَ الخطو، ساهمَ الروحِ، واجف القلب، تائهَ الأصابعِ، راجفَ القدم، متلمّساً ضوءَ ابتسامةٍ في ظلامِ نهارِه، أو يداً حانيةً في وحشةِ ليلهِ.

ورغمَ معاناته الطويلة وعذاباته المستديمة، لم يفقد البردُوني وفاءه وحبّه لأبناء شعبِه، وتحسُّسه لأحوالهم وإحساسَه بأتراحهم طوال حياته.

تقول ذلك قصائدُهُ، بل دواوينُهُ جميعُها، وتقول ذلك مؤسّساتُ الدولة، وأروقةُ وزاراتها التي كان يؤمُّها ـ فقط ـ مراجعاً لأديبٍ ريفيٍّ شاب، أو لطالبٍ مُغتربٍ يبحث عن وظيفة، أو

لسياسيٍّ مُلاحَقٍ هارب! وكان يقوم بذلك بحماس، وهو الذي لم تفترسهُ غوايةُ حزبٍ، أو غوائلُ رؤيةٍ سياسيةٍ لفردٍ أو جماعةَ.

كان الناسُ وطنَه وسُباتُهم أرقَه، وكانت آمالُهم حزبَه وأحلامُهم قضيَّتَه وأنّاتُهم جُرحَه.

برعشة كفِّيهِ التي أرعشَت دهوراً، أجفلتْ جبالُ نسيانٍ، وتململتْ رقدةُ أزمان.

ببصيرتِه أضاءت بلادٌ، وبأحزانِ جفنيه أشرقتْ وهادٌ، وبضوء أصابعه أسرجَ شعبٌ عزمَهُ، وفتَّقَ جيلٌ حُلْمه، وشقَّ فجرٌ دربَه.

كان خُلاصةَ بلدٍ، آهةَ عصورٍ، عبقريَّةَ مكان، وردةَ قِفارٍ يباس، ندى صخورٍ صبرِ الظامئين.

البَرَدُّوْني

1929 ـ 30/8/1999م

1348 ـ 19/5/1420هـ

كان (جوّاب العصور) القادم (من أرض بلقيس) يعبر (في طريق الفجر) متجهاً إلى (مدينة الغد)، ترافقه (كائنات الشوق الآخر) في (السفر إلى الأيام الخضر)، وعن بواعث سفره قال: إنه بصدد كتابة (ترجمة رملية. لأعراس الغبار)، يتناول فيها (رجعة الحكيم ابن زايد). وإنه سيهديها (لعيني أم بلقيس)، التي أعياها (رواغ المصابيح) في (زمان بلا نوعية)، تعيشه (وجوه دخانيَّة في مرايا الليل).

كانت (رحلة ابن من شاب قرناها) أهم (رحلة في الشعر اليمني. قديمه وحديثه)، نسي معها أن يموت وهو يحلم بقضاء لحظة (عشق على مرافئ القمر).

كتبت هذه الترجمة مستعيناً بأستاذي البردوني رحمه اللّه قبل وفاته بشهر تقريباً.

عبد اللّه بن صالح بن عبد اللّه بن حسن البردّوني:

ولد في قرية (البردّون)، من قبيلة (بني حسن)، في ناحية (الحدأ)، شرقي مدينة (ذمار).

والدته نخلة بنت أحمد عامر، وكانت ذكية، فلاحة، لا تقف عن العمل، وكانت نصف حارثة ونصف ربة بيت، ولدت لعمِّ البردوني عبد ربه ابنتين وولدهم بخيتة وظبية وعبد اللّه، واستخلفها أبو شاعرنا بعد موت أخيه؛ فأنجبت له ثلاثة أبناءهم أحمد، وعبد

اللَّه، والثالث مات في شهر ميلاده، ولعل السبب أن ميلاده كان بعد سن الحمل.

وقد تعمرت أكثر من تسعين سنة، وهي حاطبة كالرجال، وسارية الليل كالرجال، تشارك في الفتن المحلية مع قبيلتها، وكانت شديدة على شاعرنا في صغره؛ لكونه يطلب ما لا تمكنها المحاصيل منه.

تاريخ ميلاد شاعرنا يمكن تقديره بعام 1929م، أو 1930م لا قبل ولا بعد، وهذا بالتقدير القائم على أحداث مثل ضرب الشمال بالطائرات البريطانية عام 1928م. وبغرق (محمد البدر) ابن الإمام (يحيى)، الذي كان ذا جهد علمي؛ فهو أول من طبع كتب الفقه وكتب السنة، مثل (نيل الأوطار) لـ(الشوكاني)، و(الدرر المضيئة)، و(الأدلة المجموعة في الأحاديث الموضوعة).

أصيب بمرض الجدري وهو في الخامسة أو السادسة من عمره، وعلى إثره فقد بصره. في قرية (البردُون) تلقى تعليمه الابتدائي الذي لا يتجاوز قراءة الحروف ومعرفة ضمها وفتحها وكسرها، وكان يسمى في أواخر أيام حكم الأتراك العثمانيين في اليمن كتاب (البياض) أو (الباب الصغير)، وحفظها سماعاً في قرية (البردُون) عن شيخه (يحيى حسين القاضي) ووالده. ثم درس ثلث القرآن الكريم. بادئاً من أول النصف الأخير، حيث السور القصيرة التي تساعد على تمرين الحافظة واللاقطة. ثم انتقل إلى قرية (المحلَّةْ)، في ناحية (عنس)، جنوبي شرق مدينة (ذمار)، حيث كانت له أخت متزوجة في تلك القرية، ولأن التعليم كان منتظماً فيها؛ فتعلم بقية القرآن الكريم حتى سورة (الأنعام) على يد الفقيه (عبد اللَّه بن علي سعيد)

ثم انتقل إلى مدينة (ذمار) في الثامنة أو التاسعة من عمره؛

حيث أكمل تعلم القرآن الكريم في الصف الأول من المكتب حفظاً وتجويداً، ثم انتقل إلى دار العلوم (المدرسة الشمسية)، نسبة إلى (شمس الدين بن شرف الدين) بانيها، وفيها أعاد تجويد القرآن مرة ثانية على القراءتين (نافع)، و(حفص)، والثالثة والرابعة على القراءات السبع المتواترة. ومن شيوخه في علم القراءات: العلامة (محمد الصوفي)، والعلامة (صالح الحودي)، والعلامة (حسين الدعاني)، والعلامة (أحمد التّويْرة).

وحين بلغ الثالثة عشرة من عمره: بدأ يُهَمْهِمُ بالشعر، وأخذ من كل الفنون؛ إذ لا يمر مقدار يومين ولا يتعهد الشعر؛ قراءةً، أو تأليفاً، ويقرأ ما وقع في يده من الدواوين القديمة. ثم انتقل إلى (الجامع الكبير) في مدينة صنعاء؛ حيث درس لمدة شهور على العلامة (أحمد الكحلاني)، والعلامة (حميد معياد).

ثم انتقل في مطلع الأربعينيات إلى (دار العلوم)؛ فدرس من بداية الصف الرابع الذي يحتوي على أربع شعب، وتعلم كل ما أحاط به منهجها حتى الغاية. ومن شيوخه فيها العلامة (جمال الدين الدبب)، والعلامة (الفخري الركيحي)، والعلامة (العزي البهلولي)، والعلامة (قاسم بن إبراهيم).

حصل على إجازة من دار العلوم برئاسة العلامة (علي فضة) في (العلوم الشرعية والتفوق اللغوي)، ثم التحق بالمنهج لكي يتقاضى مرتَّب الخرّيج الرمزي، ثم عُيِّن مدرساً للأدب العربي شعراً ونثراً في المدرسة العلمية نفسها، مع متابعة أطوار العصور من الجاهلية إلى عام (1363هـ/ 1944م) ملحقاً بشعراء الماضي شعراء النهضة كـ(شوقي) و(البارودي)، ومن العصر الحديث (إبراهيم ناجي)، و(علي محمود طه) من مصر، و(أبو القاسم الشابي) من تونس، و(عبد القادر الناصر) من العراق، وغيرهم.

ثم واصل إعادة ما قرأ، وبداية ما لم يقرأ؛ حيث كان يقرأ الكتاب أكثر من مرة في السنين الخمس، إلى جانب الدروس المعروفة بفوائدها والمبعدة رسمياً؛ مثل كتب السنة، وكتب المنطق والفلسفة في عهد حداثتها وفي نشوئها في زمن الإغريق.

شغل العديد من الأعمال الحكومية:

ـ رئيس لجنة النصوص في إذاعة صنعاء، ثم مديراً للبرامج فيها إلى عام 1405هـ/ 1980م.

ـ كان يستعان به في أي الْتباس لغوي أو فني في الإذاعة، إلى جانب برنامجه الإذاعي الأسبوعي (مجلة الفكر والآداب). والذي بدأ يصدر في عام 1384هـ/ 1964م، واستمرّ حتى تاريخ وفاته.

ـ عمل مشرفاً ثقافياً على مجلة الجيش من 1389هـ/ 1969م إلى 1395هـ/ 1975م، كما كان له مقال أسبوعي في صحيفة (26 سبتمبر) بعنوان (قضايا الفكر والأدب)، ومقالاً أسبوعياً في صحيفة (الثورة) بعنوان (شؤون ثقافية)، والعديد من المقالات والمقابلات في الصحف والمجلات المحلية والعربية والقنوات الإذاعية والتلفزيونية العربية والعالمية.

ـ كان مع الأوائل ممن سعوا لتأسيس اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، وقد انتخب رئيساً للاتحاد في المؤتمر الأول.

له اثنا عشر ديواناً مطبوعاً وثماني دراسات أدبية، وهي:

*** ـ الشعر:**

1 ـ من أرض بلقيس.

2 ـ في طريق الفجر.

3 ـ مدينة الغد.

4 ـ لعيني أم بلقيس.

5 ـ السفر إلى الأيام الخضر.

6 ـ وجوه دخانيّة في مرايا الليل.

7 ـ زمان لا نوعية.

8 ـ ترجمة رملية لأعراس الغبار.

9 ـ كائنات الشوق الآخر

10 ـ رواغ المصابيح

11 ـ جوّاب العصور.

12 ـ رجعة الحكيم ابن زايد.

*** ـ الدراسات:**

1 ـ رحلة في الشعر اليمني. قديمه وحديثه.

2 ـ قضايا يمنية.

3 ـ فنون الأدب الشعبي في اليمن.

4 ـ اليمن الجمهوري.

5 ـ الثقافة الشعبية. تجارب وأقاويل يمنية.

6 ـ الثقافة والثورة.

7 ـ من أول قصيدة إلى آخر طلقة. دراسة في شعر الزبيري وحياته.

8 ـ أشتات.

*** ـ تحت الطبع:**

1 ـ رحلة ابن من شاب قرناها.

2 ـ العشق على مرافئ القمر

كما كان يعكف على تأليف كتاب عن اليمن الموحد بعنوان (الجمهورية اليمنية).

نال العديد من الجوائز، وهي:

1 ـ جائزة أبي تمام بالموصل عام 1391هـ/ 1971م.

2 ـ جائزة شوقي بالقاهرة عام 1401هـ/ 1981م.

3 ـ جائزة الأمم المتحدة (اليونيسكو)، والتي أصدرت عُملة فضية عليها صورته في عام 1402هـ/ 1982م باعتباره معوّقاً تجاوز العجز وأقدره اللّه على المثابرة في مواصلة التعليم والتأليف نثراً وشعراً وإذاعة.

4 ـ جائزة مهرجان جرش الرابع بالأردن 1404هـ/ 1984م.

5 ـ جائزة سلطان العويس بالإمارات 1414هـ/ 1993م.

كتبت عنه العديد من الكتب والدراسات التي تناولت حياته وشعره، وهي:

1 ـ البردوني شاعراً كاتباً، لطه أحمد إسماعيل (رسالة دكتوراه ـ القاهرة).

2 ـ الصورة في شعر عبد اللّه البردوني، د. وليد مشوح ـ سوريا

3 ـ شعر البردوني، محمد أحمد قضاة (رسالة دكتوراه ـ الأردن).

4 ـ قصائد من شعر البردوني، ناجح جميل العراقي.

5 ـ البردوني والمقالح شاعران مختلفان، حميدة الصولي.

أعماله المترجمة إلى اللغات العالمية:

1 ـ عشرون قصيدة مترجمة إلى الإنجليزية في جامعة ديانا في أمريكا.

2 ـ الثقافة الشعبية مترجمة إلى الإنجليزية.

3 ـ ديوان مدينة الغد ـ مترجم إلى اللغة الفرنسية.
4 ـ اليمن الجمهوري ـ مترجم إلى الفرنسية.
5 ـ كتاب بعنوان (الخاص والمشترك في ثقافة الجزيرة والخليج)، مجموعة محاضرات باللغة العربية لطلاب الجزيرة والخليج ـ مترجم إلى الفرنسية.

الحارث بن الفضل الشميري


الناشيء

تقديم

بقلم الدكتور
عبد العزيز المقالح

1

هل تستطيع الساقية أن تقدِّم النهر؟
هل يستطيع النهر أن يقدِّم البحر؟

ذلك ما يريده مني صديقي الشاعر الكبير الأستاذ عبد اللّه البردُّوني وهي إرادة عزيزة على نفسي، حبيبة إلى قلبي، ولكنها كبيرة على قلمي، ثقيلة على ذهني، هذا الذهن المجهد المكدود الذي أدركه الصدأ بعد أن عدت به إلى الوطن بعد غربة طويلة. فقد عدت مشوقاً لا لكي أكتب أو أتحدث وإنما لكي أرى وأسمع وأقرأ؛ لأرى الشوارع التي مشيت عليها منذ السنوات الأولى من عمري، ولكي أسمع المآذن التي أحببتها في طفولتي، وأقرأ الجبال التي أدهشتني وأخافتني وما تزال تدهشني وتخيفني!

أيها الصديق العزيز، لقد قرأت شعرك وأنا تلميذ في الابتدائية، وقرأته وأنا طالب في الإعدادية، وقرأته وأنا مدرس في الثانوية، وصار بيني وبينه ألفة العمر ومن هنا تصورت ـ في فترة من الفترات ـ أنني أعرف الناس به، ثم اتَّضح لي وأنا أعيد قراءته من جديد أن الأشياء التي نألفها لا نعرفها كما

ينبغي لذلك فقد ابتعدت عنه، اغتربت عن شعرك كما اغتربت عن الوطن لا لكي أعرفه أكثر، ولا لكي أحبه أكثر، ولكن لكي أستطيع أن أتحدث عنه بعيداً عن عواطف الطفولة وسلطان المألوف!

وكما كان البعد عن الوطن مثاراً للحنين، ومبعثاً للتوله فقد كان البعد عن شعر البردوني مثاراً للجدل مع النفس، ومجالاً لامتحان الذاكرة.

إن اسم صنعاء حين نذكره في القاهرة أو الجزائر، في تونس أو روما أو برلين، غير اسم صنعاء حين نردده في الصافية أو في شارع عبد المغني، أو في ميدان التحرير. وديوان من (أرض بلقيس) الذي احتفلنا بمولده عام 1961م غير ديوان (لعينيْ أم بلقيس) الذي لم نحتفل بمولده عام 1975م، رغم أن أم بلقيس، هي أرض بلقيس. و(في طريق الفجر) ابن عام 1968م غير (السفر إلى الأيام الخضر) مع أنَّ كليْهما تعبير عن رحلة نفسية وروحية تبحث في قاع الروح اليمنية الغافية عن بقايا ريش الحضارة المطمورة علّها تصنع من تلك البقايا المتناثرة أجنحة جديدة للتحليق إلى (مدينة الغد)، و(مدينة الغد) ديوان من الشعر حبيب إلى نفسي، وقد يكون أحب دواوين شاعرنا البردوني إلى نفسه؛ لأنه القمة أو الذروة التي وصل إليها الشاعر في رحلته مع الحرف المنغم، وقبلها كان يجاهد إلى الوصول نحو تلك الذروة، وبعدها ظل يراوح في مكانه. ولولا بعض قصائد تمسكه في الذروة وتسكنه في (مدينة الغد) لانحدرت به قصائد أخرى جاءت بعد ذلك خطابية أو مناشيرية، كانت تستدعيها ظروف الوطن ويقتضيها وضع البلاد، وحينما أسمع من يهاجم هذا النوع من القصائد وفيهم

الحريص على الفن، والحريص على السيارة والقصر، أتذكر على الفور قول بريخت: «الحديث عن الأشجار يوشك أن يكون جريمة، لأنه يعني الصمت على جرائم أشد هولاً» تلك هي الحقيقة الناصعة فعندما يكون سيف الإرهاب مسلَّطاً على الرؤوس لا تنظر العيون إلى السماء حيث تتلألأ النجوم وإنما تنظر إلى الأرض حيث السيف يوشك أن يسقط على الرقاب فيحزّها كما تحز السكين رقبة الخروف!

(2)

الأيام ـ أيام الشاعر ـ جزء من فنه، وبعده الزمني ضارب في بعده الفني والموضوعي، وأيام البردوني هي أيام اليمن، في بلد ضرير كل ما فيه أعمى أو يدعو إلى العمى. ولد عبد اللّه في قرية (البردون)، وعندما كان طفلاً جاء موسم الجدري، وهو من المواسم الدائمة التي لم تكن لتتأخر عن (يمن الأئمة) كأنه فصل من فصول العام التي لا تتبدل ولا تتغير

وفي طريقه ـ أي في طريق موسم الجدري ـ أخذ من كل قرية ومن كل مدينة ما استطاع حمله من الكبار والصغار ليلقي بهم في المقابر، بعد أن ترك بصماته على بعض الوجوه، وبعض الوجوه انتزع منها أغلى ما فيها/ العينين. وكانت عينا الطفل عبد اللّه من نصيب ذلك الموسم المتوحش!

ذهبت عينا الطفل فما قيمته؟ ماذا يساوي بعد في شعب ضرير، في شعب لا قيمة فيه حتى لذي العينين؟ إن أيام طفلنا كانت أحلك من سوداء. هل يتذكر شيئاً منها الآن؟ حاولت من خلال الأحاديث المتفرقة مع الصديق الشاعر أن ألملم من الذاكرة

أطيافاً عن أيامه المليئة بالسواد المادي والروحي والنفسي فأفلحت حيناً وفشلت أحياناً. الكلمات نفسها تعجز عن حمل التجربة الليلية الرهيبة.

ولكن وبالرغم من ذلك الحاجز الأسود شق الضرير الصغير طريقه في الظلام، بين وحل القرية وشوكها، وعانى من هجير النهارات، ومن برودة الليالي، يلتقط كل شيء بقلب ذكي وعقل بصير، فضول في البحث لا حدود له، ورغبة شاسعة في معرفة كل شيء والاستفادة من كل شيء.

وكما انتقل الطفل الضرير طه حسين ـ مع الفارق ـ من قريته إلى (القاهرة)، انتقل الطفل عبد اللّه إلى (ذمار)، وفي مسجدها تعلم شيئاً من أصول الدين وقدراً من علوم اللغة على الطريقة التقليدية، وحين بدأ يعي ما حوله ويتنبّه إلى قلة الزاد الفكري في مسجد ذمار، أخذ يعاند ويكابر ويعادي، يهجو ويسجن، يجوع ويتعذب.

وكما سافر طه حسين ـ مع الفارق الشاسع ـ من القاهرة إلى باريس، سافر عبد اللّه من ذمار إلى صنعاء، ذهب ضرير مصر يدرس في (السوربون)، وذهب ضرير البردون ليدرس في (دار العلوم). الفارق واسع وشاسع بين سوربون باريس، ودار علوم صنعاء، ولكن الانتقالات في حكم الزمن تتساوى وربما تزيد هنا عنها هناك. إيقاع الزمن هنا بطيء، القفز إلى أكثر مما يستطيع الضرير الشاب ابن البردون ضرب من المستحيل، لقد وصل ـ رغم أنف ليل التخلف ـ إلى ما لم يصل إليه ملايين المبصرين في بلاده، معلوماته الدينية تزداد، خبرته في علوم العربية تتسع؛ ثم هذا الشيء الذي يسمى الشعر بدأ يلين له ويعطيه من بواكير فاكهته. ويعجب الشاب الضرير بهذا

الزائر الذي يسليه في وحدته ويعزف على أنغامه ألحان طموحه وآلامه.

وتمضي الأيام ـ أيام اليمن، أيام الشاعر الشاب الضرير ـ فيتسع مجال القول، ويتسع مجال التعبير، ويبدأ شبح الليل في التلاشي، القصائد الطالعة شموع وجدانية تضيء ظلام هذا الشاعر الضرير، وتبدد مخاوف أيامه. لا يريد أن يصبح عالماً، ويرفض أن يصير مقرئاً، قد يكون له كرسي للتعليم في (دار العلوم)، وقد تستضيفه البيوت في الأفراح والأتراح ليقرأ كل ما تيسر من كتاب اللّه العزيز، لكنه لم يخلق لهذا ـ كل ميسر لما خلق له ـ وقد خلق للشعر لهذا الشيء الرقيق العنيف، الجميل المتوحش، وقرر عمداً ومع سبق الإصرار، أن يسير بأرض بلقيس في طريق الفجر حتى الأيام الخُضر إلى (مدينة الغد)، وقد وصل وأصبح رغم مصاعب الرحلة، وربما بفضل مصاعبها، واحداً من شعرائنا العظام ليس في اليمن فحسب بل في وطننا العربي الكبير

3

الشعر، وما الشعر؟

لم يختلف الناس في موضوع كما اختلفوا في موضوع الشعر، ولم تتضارب المفاهيم في أمر كما تضاربت في أمره، والغريب أنه كلما أوغل الناس في تعريف هذا المعلوم المجهول زاد من حوله الغموض. وبما أنني هنا أحاول التعريف بشاعر، فإنني لن أشغل نفسي بالتعريف بالشعر، لأنني أرفض كل التعريفات التقليدية ابتداءً من ذلك التعريف الساذج المسطّح (الشعر هو الكلام الموزون المقفى) وانتهاء بالتعريف القائل (الشعر رقص والنثر

مشي). وأرفض كذلك التعاريف الحديثة ابتداء من التعريف القائل: (الشعر تجارب منغمة)، ووقوفاً عند التعريف الأحدث (الشعر كيمياء الكلمة) فكل هذه التعاريف بعيدة عن الحقيقة الشعرية، فبعضها يهبط بالشعر إلى القاع، وبعضها الآخر يرتفع به إلى ما وراء الغمام!

وأفضل من الضياع والدوران حول هذه الدوامة، دوامة الحديث عن الشعر، الدخول في الحديث عن الشعر واليمن ليكون ذلك تمهيداً للحديث عن شعر الشاعر البردوني، ومنذ البداية أود أن أشجب تهمتين يتهمنا بهما إخواننا في البلاد العربية، وأولى هاتين التهمتين أن اليمن الآن ما يزال يعيش عصر الشعر، فالواقع يقول إنَّ اليمن تعيش كذلك عصر القصة والرواية والمسرحية والدراسة الأدبية، وهذه أبواب المكتبة اليمنية الحديثة مفتوحة لمن يريد أن يقرأ ويتأكد مما أقول. أما التهمة الثانية والأخيرة فهي ما نسمعه أحياناً هنا وهناك من أن كل يمني شاعر لماذا؟ قيل إن الإمام وحاشية الإمام وأعداء الإمام كانوا كلهم شعراء أو يتعاطون الشعر ليس هذا القول صحيحاً؛ لم يكن الإمام شاعراً وإن نظم بعض أبيات أو حتى بعض قصائد، ولم تكن حاشيته تتعاطى الشعر إلاَّ للتسلية؛ والنظم غير الكتابة الشعرية.

إذن الشعراء في اليمن قلة، قلة قليلة، والموهوبون منهم أقل من القليل، وإذا كان التعليم في عهد الإمامة ظل قاصراً على علوم الدين واللغة، وكلها مما يساعد الشاعر الموهوب على الكتابة الشعرية؛ فإن المدارس الآن والجامعة ـ حتى قسم اللغة العربية للأسف ـ لا تعطي علوم اللغة ولا تعطي الشعر

إلا أقل القليل، وهذا قد يجعل الشعر في مستقبل بلادنا عرضة للانقراض

وفي وقوفي في وجه التهمتين السابقتين محاولة للفت الانتباه الحقيقي إلى واقع الشعر في بلادنا، وإلى ما كان يعاني منه الشاعر في الماضي من خوف الحاكمين وسخريتهم به في الوقتِ ذاتِهِ، لقد كانوا يهابونه ويخافون لسانه،كما كانوا يجبرونه على المديح ويعتبرون امتداحه لهم نوعاً من الواجب الديني، وعملاً يقرب الشاعر إلى اللّه ويقوده إلى الجنة؛ وكانت تلك هي الجائزة وأذكر بهذه المناسبة طرفاً من حديث ممتع رواه الشاعر أحمد محمد الشامي في مقدمته لآخر دواوينه (لزوميات الشعر الجديد)، يقول: وإن أَنْس فلن أنسى حواراً ساذجاً دار بيني وبين المرحوم السيد العالم هاشم المرتضى في مجلس (قات)، بصنعاء سنة 1941م، وكان ترباً وزميلاً لوالدي في (مدرسة شهارة)، فقال لي: بلغني أنك تقرض الشعر يا أحمد؟ قلت: نعم، قال لا خير لك فيه، قلت: لماذا؟ قال: لأنه كما قالوا (أعذبه أكذبه) وأنت (ابن فلان الفلاني)، ولا أريد أن تكون كذاباً، ثم ستبقى طيلة حياتك إما مادحاً متسولاً أو هجَّاءً تنال من أعراض الناس، أو تهيم في وديان الضلال، وهل تعرف أن (المتنبي) أكبر الشعراء تحاشى دخول الكوفة حين بلغه قول شاعر لا يصل إلى رتبته بلاغة وبياناً:

أي فضل لشاعر يطلب الفضـ
ـلَ من الناس بكرة وعشيّا

عاش حيناً يبيع في الكوفة الما
ءَ، وحيناً يبيع ماء المحيّا؟

قلت ولكن الرسول صلى اللَّه عليه وسلم قد أيد حسَّاناً بروح القدس، قال فلقد قال عليه الصلاة والسلام: لأن يملأ أحدكم جوفه قيحاً خير من أن يملأه شعراً، قلت قد صححت الرواية عائشة أم المؤمنين بقولها إن تتمة الحديث «هُجيتُ به» أو فضحك، ربما ابتهاجاً بأن ابن صاحبه يستطيع الجدل، وقال: وماذا تقول في قوله تعالى ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: 224 ـ 226] قلت: تتمة الآيات: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الشعراء 227].

هذا الحوار الذي لم أقتطف إلاّ جزءاً يسيراً منه له أكثر من دلالة، فهو يكشف أن الشعر قد كان محاصراً دينياً، وكانت الأسر الشريفة تأباه لأنه قد أصبح إما مدحاً أو قدحاً، تسولاً أو هجاء، وهو أولاً وأخيراً (كذب في كذب)! فما الذي شجع شاعراً ضريراً كالبردوني أن يخوض غماره وأن يحترق في ناره؟

أعتقد أن أصوات الزبيري والموشكي والإرياني والعزب كانت قد مهدت الطريق أمام جيل جديد من الشعراء، وفتحت للشعر باباً تاريخياً جديداً يتجاوز معه الشاعر أسباب التخلف، وتصبح الكلمة فيه وسيلة للتعبير عما يجيش في صدور الملايين، وسلاحاً كفاحياً على طريق الثورة وتحقيق أحلام الجماهير في العدل والحرية والمساواة. ومن أهم مظاهر الانقلاب الذي حدث في الشعر بعد ظهور هؤلاء الشعراء، محاولة الانفصال عن أشكال التعبير الموروثة، وبروز أسماء جديدة ربما كان في مقدمتها الشاعر عبد اللَّه البردوني.

4

كان الشعر قبل أن يأتي شعراؤنا المعاصرون وسيلة تعبيرية ذات وظيفة جمالية، قد تكون ذات دلالة اجتماعية وقد لا تكون، قد تكون مديحاً لحاكم أو زلفى لأمير، وقد تكون مناجاة محب أو وصف بحيرة، أو رحلة على ناقة، أو حديثاً عن بستان في الربيع، وقد تغيرت وسائل التعبير في العصر الحديث، وأصبح جانب كبير من الشعر وسيلة إلى الشعب بعد أن كان وسيلة إلى الحكام، لكنه في اليمن كان كتابة بالأظافر وتمرداً بحد السيف.

ولم تعد هناك مسافة تفصل بين القول والعمل، لقد ألغى الزبيري المسافة الممتدة بين القول والعمل عندما قال:

خَرَجْنا من السِّجنِ شُمَّ الأنوفِ
كما تخرجُ الأُسدُ من غابِها

نمرُّ على شفراتِ السيوفِ
ونأتي المنيةَ من بابِها

ونأبى الحياةَ إذا دُنِّستْ
بعسفِ الطغاةِ وإرهابِها[1]

عندما قال شاعرنا ذلك كان قد خرج على الطاغية معلناً الحرب عليه وعلى نظامه البائس الظالم، وشعراء آخرون أقاموا جسراً بين الكلمة والفعل فصار قولهم فعلاً، بل وفعلاً محتشداً بالحضور والعطاء

أميطوا جلابيب الجهالةِ عنكمُ
وعن عزكم واستنطقوا الضرب والطعنا

(1) محمد محمود الزبيري، ديوان ثورة الشعر.

فـمـا فـي حـيـاةِ الـذُّلّ خـيـرٌ لـعـاقـلٍ
وفـي مـوتـهِ بـالـعـزِّ لـيـس يـرى غـبـنـا[1]

كان ذلك صوت الشهيد الموشكي، الشاعر الذي رفض حياة الذل واستعذب الموت في سبيل الحرية. الشعر إذن في بلادنا موقف، موقف وضع قواعده شعر الشهداء، هذا الشعر الذي أصبح ظاهرة فريدة متميزة في الشعر العربي المعاصر

القضية ـ إذن ـ أصبحت واضحة أمام جيل الشعراء الأصغر سناً والأقل تجربة، التوق نحو المستقبل والصمود في ساحة الحاضر، مواجهة الهول الأكبر، وتحدي المخلوقات المخوفة.

وكان الإمام أحمد واحداً من هذه المخلوقات المخيفة، إنه سفاح رهيب يقتل أشقاءه، ويهدد بإبادة الشعب كله، وفي ذكرى انتصاره على أول انتفاضة ثورية شعبية، كان سفاح اليمن يقيم الزينات ويحشد الشعب إلى ساحات المدن ليسمعوا كيف يمدح الشعراء الجلاّد، وشذ شاعر عن هذه القاعدة، خرج البردوني الضرير عن المألوف، وفي صوت لا أقوى من روعته وبساطته وإشراقه قال[2]

عـيـدَ الـجـلـوسِ أعِـزْ بـلادكَ مـسـمـعـاً
تـسـألُـكَ أيـنَ هـنـاؤُهَـا هَـلْ يُـوجَـدُ؟

تـمـضـي وتـأتـي والـبـلادُ وأهـلُـهـا
فـي نـاظِـرَيْـكَ كـمـا عَـهِـدتَ وتَـعْـهَـدُ

(1) زيد الموشكي، من قصائد مخطوطة.

(2) هلال ناجي، شعراء اليمن المعاصرون، ص85.

يا عيدُ حدِّثْ شعبكَ الظامي متى
يروى، وهلْ يروى وأينَ الموردُ؟
فيم السكوتُ ونصفُ شعبكَ هاهُنا
يشقى، ونصفٌ في الشعوبِ مشردُ؟
يا عيدُ هذا الشعبُ ذلَّ نبوغُهُ
وطوى نوابغَهُ السكونُ الأسودُ
ضاعتْ رجالُ الفكرِ فيهِ كأنَّها
حلمٌ يُبعْثِرُهُ الدُّجى ويبدّدُ
للشعبِ يومٌ تستثيرُ جراحُهُ
فيهِ ويقذِفُ بالرقودِ المَرقَدُ
ولقدْ تَراهُ في السّكينةِ إنّما
خلفَ السكينةِ غَضْبةٌ وتمرُّدُ
تحتَ الرَّمادِ شرارةٌ مشبوبةٌ
ومن الشرارةِ شعلةٌ وتوقُّدُ
لا لمْ ينمْ شعبٌ ويحرقُ صدرَهُ
جرحٌ على لهبِ العذابِ مسهَّدُ
شعبٌ يريدُ ولا ينالُ كأنَّه
ممّا يكابدُ في الجحيمِ مقيدُ
أهلاً بعاصفةِ الحوادثِ إنها
في الحيّ أنفاسُ الحياةِ تردَّدُ[1]

(1) ديوان (في طريق الفجر)

نعم أهلاً بأنفاس الحياة، حياة الحرية والسيادة الوطنية، أهلاً بأنفاس الشعر الموقف، لقد وضع الشاعر الآن قدمه على بداية الطريق وعليه ألاّ يتراجع عفواً، وهل يستطيع أن يتراجع؟ إنَّه لا يستطيع حتى أن يلوذ برحاب الصمت

يا صمتُ ما أهْناكَ لَوْ تستطيعْ
تلفّني، أو أنني أستطيعْ

لكنَّ شيئاً داخلي يلتظي
فيخفقُ الثلجُ، ويظما الربيعْ

يبكي، يغنِّي، يجتَدي سامعاً
وهو المغنِّي والصَّدَى والسَّميعْ

يهذي فيجثو الليلُ في أضلعي
يشوي هزيعاً، أو يُدمِّي هزيعْ

وتَطبخُ الشُّهبُ رمادَ الضُّحى
وتطحنُ الريحُ عشايا الصَّقيعْ

ويلهثُ الصبحُ كمهجورةٍ
يجتاحُ نهديْها خيالُ الضجيعْ[1]

لقد تحول الشعر إلى زلزال داخل النفس، يحترق ويتجمّد، يغني ويبكي. يحدث كل ذلك في أغوار النفس الشاعرة. لقد استطاع الشاعر بعد لأي أن يمتلك التجربة وتملكته التجربة، فلا

(1) ديوان (مدينة الغد).

تصدقوا ـ إذن ـ هدوءه الظاهر، إِنَّهُ في أعماقه يطبخ النجوم ويطحن الرياح

ومنذ صار الأدب في اليمن موقفاً وقضية التقى الشعراء جميعاً في ساحة القضية، التقليديون منهم والمجددون، شعراء الفصحى وشعراء العامية. وشعر القضية في هذا الوطن ما يزال يحظى بحب الجماهير وشغفها، ليست الأساليب إذن، ولا جمال الصورة، ولا الحداثة أو التقليدية هي ما يبحث عنه المتلقي هنا. صحيح أن صفوة مختارة من المثقفين قد بدأت تأخذ جانباً في ساحة المتلقين، وبدأت ثقافياً تطلب نوعاً من الشعر، وأسلوباً معيّناً من التعبير؛ لكن الساحة لا تزال تنتظر من يخاطب عواطفها؛ لا يهم أن يكون الشعر عمودياً مقفى، موزوناً أو مرسلاً؛ المهم أن يكون مشحوناً بقضية ومعبراً عن موقف، وعامراً بالمحتوى المهيج المثير، بعضهم يقول إن هذا اللون من الشعر يخدر الجماهير ويسلبها القدرة على الفعل، ويلهيها عن واقعها لأنه ينتصر لها بالكلمات ويعوض عن آلامها بالنغم، ولأن بعض الأنظمة قد حذقت ذلك فهي تشجع مثل هذا الشعر ولا تعاقب عليه، قد يكون في مثل هذه الملاحظات قدر من الصحة في أزمنة الاستقرار؛ أما عندما كانت الكلمة قنبلة والبيت الشعري رصاصة فلا شيء من الصحة في مثل تلك الأقوال.

وحين كانت الكلمة تتبع بالموقف، وتؤكد بالعمل، كان الشعر وسيلة تحريضية وأداة للثورة، وحافظ الشعراء لذلك على أن يقللوا أو يلغوا المسافة القائمة بين القول والفعل. وكل شاعر يأتي يكون أكثر من سابقه إحساساً بما حوله، وإدراكاً للمهمة المعلقة على عاتقه، فالشاعر ـ كما يقول رامبو ـ (محكوم عليه أن يلتقط

إجهاش المهانين، وحقد السجناء، وصيحات الملعونين بأشعة حبه اللاسعة).

5

من الكلاسيكية إلى السريالية، تلك هي الرحلة التي قطعها شاعرنا البردوني في رحلته الفنية، تجاوز الكلاسيكية الجديدة، واستقر حيناً مع الرومانتيكية؛ لكنه عاد إلى الكلاسيكية الجديدة ومنها إلى نوع من السريالية؛ وحتى يجيء المكان المناسب للاستدلال بالنماذج، سأقترب في هذا المكان من قضية تؤرقنا جميعاً نحن أبناء اللغة العربية، تلك هي قضية المصطلحات الأدبية والفنية، وهي قضية تثير المواجع وتدعو إلى الرثاء، وبخاصة في هذا الوقت الذي لا تكف فيه الأفواه عن كلمات الانفتاح؛ فموجة الارتداد (المنفتحة) التي تستورد علب الصلصة والفاصوليا تحاول أن تسد كل باب بل كل نافذة يتسرب منها نور الفكر والأدب، إنها تعلن كل يوم محاكمتها للمصطلحات المستوردة كالكلاسيكية والرومانسية والسريالية وغيرها من المصطلحات المتداولة في الحقول الفنية والأدبية كمعايير نقدية تحدد هوية بعض الأعمال الأدبية، وقد بلغ الضيق بدعاة الانغلاق الإقليمي والفكري في قطر من أكبر الأقطار الإسلامية رقعة وعدداً وإيماناً أن يتهم الدين الإسلامي بأنه مستورد من الجزيرة العربية؛ ولولا (موضة) الاستيراد ما حدث مثل هذا ولما تجرأ شخص حتى ولو كان في مكانة الدكتور زكي نجيب محمود من الهمس بمثل هذه المقولة السخيفة!

وبما أن الشعر وكل الأعمال الأدبية ـ بما فيها الدراسات النقدية ـ لا تزدهر ولا تتفتح إلاّ في مناخ من الحرية الكاملة، فإن هذه الصيحات التي تتنادى من جوانب الطريق معلنة العودة إلى القمقم، تعرقل مسار الإبداع كما تعرقل مسار الحركة النقدية وتجعل للأشكال التقليدية ومضمونها الهابط حق الانتشار والتداول ولكن رغم كل المصاعب التي تواجه الحركة الأدبية، فإنها سائرة إلى الأمام بخطوات ثابتة، والمصطلحات الأدبية والفنية والنقدية شقت طريقها إلى الحياة الأدبية العربية منذ وقت مبكر من هذا القرن، وأصبح مفهوم الكلاسيكية والرومانتيكية مثلاً واضح المدلول؛ فيكفي أن نصف شاعراً بأنه كلاسيكي لتمثل المحافظة وتقليد القدماء .إلخ

وشاعرنا البردوني ـ رغم محافظته على الأسلوب البيتي في القصيدة وهو المعروف بالعمودي ـ شاعر مجدد ليس في محتويات قصائده فحسب، بل في بناء هذه القصائد القائم على تحطيم العلاقات اللغوية التقليدية، وابتكار جمل وصيغ شعرية نامية، صحيح أن إيقاعه كلاسيكي محافظ، لكن صوره وتعابيره حديثة؛ تقفز في أكثر من قصيدة ـ وبخاصة في السنوات الأخيرة ـ إلى نوع من السريالية تصبح فيه الصورة أقرب ما تكون إلى ما يسمى باللامعقول.

وفي كتابي (الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن) قلت عنه الشاعر عبد اللّٰه البردوني من الشعراء القليلين في اليمن، بل في الوطن العربي الذين لا يزالون يحافظون على شرارة الشعر والفن في القصيدة العمودية، وهو من القراء المدمنين

على الشعر الجديد، يفيد من صوره الجديدة ومن تحرره في استخدام المفردات والتراكيب الشعرية الحديثة، وقد اكتسب شعره على محافظته أهمية كبيرة في السنوات الأخيرة لمضامينه الجماهيرية الواضحة[1]

بدأ البردوني كلاسيكياً يقلد القدماء، ويقف طويلاً عند أبي تمام، ثم تأثر بالرومانتيكيين تأثراً حاداً؛ وفي ديوانه الأول أمثلة كثيرة على ذلك منها هذا الصوت الجارح الحزين:

يــا شــاعــر الأزهــارِ والأغــصــانِ
هــلْ أنــت مــلــتــهــبُ الــحــشــا أو هــانــي

مــاذا تُــغــنّــي، مــن تُــنــاجــي فــي الــغِــنــا
ولــمــن تــبــوحُ بــكــامــنِ الــوجــدانِ؟

هــذا نــشــيــدُكَ يــســتــفــيــضُ صــبــابــةً
حــرّى كــأشــواقِ الــمــحــبِّ الــعــانــي

فــي صــوتِــكَ الــرقــراقِ فــنٌّ مــتــرفٌ
لــكــنْ وراءَ الــصــوتِ فــنٌّ ثــانــي

كَــمْ تــرســلُ الألــحــانَ بــيــضــاً إنَّــمــا
خــلــفَ الــلــحــونِ الــبــيــضِ دمــعُ قــانــي

هــل أنــتَ تــبــكــي أم تــغــرّدُ فــي الــرُّبــا
أم فــي بــكــاكَ مــعــازفٌ وأغــانــي[2]؟

---

(1) عبد العزيز المقالح ـ الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر ص 379 (6) مجلة أكتوبر القاهرية، العدد (114) ديسمبر 1978م.

(2) ديوان (من أرض بلقيس)

هذه الحيرة، هذا التردّد بين الغناء والبكاء جزء من الشوط الرومانسي الذي قطعه الشاعر باكياً لاهثاً، يبحث في قاع ذاته عن حلول اجتماعية فلا يعثر إلاّ على الدمع والأسى، ومن جديد يعود إلى الكلاسيكية، الكلاسيكية الجديدة بالطبع لأنها، رغم التخلف الفني، أكثر قدرة على امتلاك السمات الجماهيرية حيث تشكل امتداداً طبيعياً للتراث، ولكن الكلاسيكية ـ حتى الجديدة منها ـ لا ترضي رغبته الفنية، إنه يقرأ قصائد جديدة، يحلّق في عوالم جديدة من الشعر العربي الحديث، ومن الشعر العالمي المترجم، ثم إن الواقع اللامعقول يستدعي ظهور لغة جديدة، لغة تجمع بين الحقيقة والخيال، بين اللاواقع والواقع، بين المعقول واللامعقول، وفي قصيدة (يداها) يتجسد ذلك الأسلوب وتظهر تلك اللغة الجديدة:

مثلما يبتدئ البيت المقفّى
رحلةً غيميةً تبدو وتخفى

مثلما يلمس منقار السنا
سَحَراً أرعش عينيه وأغفى

هكذا أحسو يديْكِ. إصبعاً
إصبعاً، أطمع لو جاوزن ألفا

مثل عنقودين أعيا المجتني
أيُّ حباتهما أحلى وأصفى؟

هذه أملى وأطرى، أختها
تلك أشهى، هذه للقلب أشفى

هـــذه أخـــصـــبُ نـــضـــجـــاً إنـــنـــي
ضـعـتُ بـيـن الـعـشـرِ لا أمـلـكُ وصـفـا[1]

اللغة هنا تهدم المألوف، وحديث الشاعر عن يدي الحبيبة، عن أصابع هاتين اليدين، وفي الحديث عنهما قدر كبير من السريالية، وما يحرر الشاعر من الوقوع النهائي في قبضة السريالية هو البيتية، هذا النظام الشعري الذي يجزئ الصور في وحدات كاملة ويمنع امتدادها، وقد بدأ هذا الاتجاه مع الشاعر منذ ديوانه (مدينة الغد)، وهو ديوان يحفل بالقصص الشعري وبالصور السريالية

حـتـى احـتـسـتـهـا شـفـاهُ الـبـابِ، لا أحـدٌ
يــومــي إلــيــه، ولا قــلــبٌ، لــه يــجــفُ

وظــنَّ وارتــاب حــتــى اشــتــمّ قــصــتَــه
كــلــبٌ هــنــاك، وثــورٌ كــانَ يــعــتــلــفُ

وعــادَ مــن حــيــثُ لا يــدري عــلــى طــرقِ
مــن الــذهــول إلــى الــمــجــهــولِ يــنــقــذفُ

يــســيــحُ كــالــريــحِ فــي الأحــيــاء يــلــفــظُــهُ
تــيــهٌ، ويــســخــرُ مــن تــصــويــبــهِ الــهــدفُ[2]

وفي ديوانه الأخير (وجوه دخانية في مرايا الليل)، يتعمق هذا التيار الجديد، وتقفز الاستعارات فوق الحواجز معلنة لا إفلاس المألوف والمعتاد فحسب، بل الدخول في عالم جديد من التركيب اللغوي، تركيب الجملة، رسم

---

(1) ديوان (السفر إلى الأيام الخضر).
(2) ديوان (مدينة الغد).

الصورة في حديثه عن بعض جبال اليمن يقول الشاعر

سيدي. هذي الروابي المُنتِنة
لم تعدْ كالأمسِ كسلى مُذعِنة

(نُقُمْ) يهجسُ، يُغلي رأسهُ
(صبِرٌ) يهذي يحدُّ الألسنة

(يَسْلَخْ) يومي، يرى ميسرة
يرتئي (عيبانُ)، يرنو ميمنةْ

لذُرا (بعدان) ألفا مقلةٍ
رفعتْ، أنفاً كأعلى مِئذَنةْ[1]

شيء آخر برع فيه البردوني شاعراً، غير القصص الشعري، ذلك هو الحوار، والدراما، ولعل ما كان ينقص القصيدة العربية في معمارها الفني التقليدي هو قدر حقيقي من الدرامية؛ وهذا ما توافر في شعر البردوني وفي دواوينه الأخيرة بصفة خاصة، فلا تكاد تخلو قصيدة من الحوار المباشر وغير المباشر

ولكن، متى مِتَّ؟ كنت (بُخَيْتاً)
فَصِرْتَ شعوباً تسمّى (بُخَيْتْ)

لأن أسْمَكَ امتدَّ فيهم، رأوك
هناك ابتديت، وفيك انتهيْتْ

فأينَ ألاقيك هذا الزمان؟
ومن أيِّ حقل؟ وفي أي بيْتْ؟

(1) ديوان (وجوه دخانية في مرايا الليل)

ألاقيك أرصفةً في (الرياض)
وأوراقَ مزرعةٍ في (الكويتْ)

ومكنسةً في رمالِ الخليج
وشتْ عن يديك وأنت اختفيْتْ

وإسفلتَ أسواقِ مستعمرِ
أضأْتَ مسافاتها وانطفيْتْ

ورَوّيتها من عصير الجبينِ
وأنت، كصحرائها ما ارتويْتْ[1]

لقد حاول البردوني في فترة من فترات حياته الشعرية أن يعتمد نظام المقاطع المتعددة القوافي والموحدة البحر، وأحياناً المتعددة أو المختلفة الأبحر، إلاّ أنه في الفترة الأخيرة اكتفى بالتجديد داخل القصيدة نفسها، التجديد في اللغة وفي الصورة وفي أسلوب الاستعارة والمجاز اللغوي، وبالرغم من أن العالم الشعري بدأ ينهار من حولنا في شتى الأقطار وفي أرجاء المعمورة؛ إلاّ أنه عنده يبدو أصلب عوداً أو أكثر مواجهة للانهيار.

6

ليس البردوني شاعراً فحسب بل هو ناقد أدبي وكاتب اجتماعي، وتكاد الكتابة النقدية أو الدراسة الاجتماعية ـ في الأيام الأخيرة ـ تكونان صلته الوحيدة بالمتلقي بعد أن جف ضرع الشعر أو كاد، وهو جفاف مؤقت يعود إلى رتابة الواقع، والرتابة بالنسبة للشاعر والشاعر السياسي بصفة خاصة تمثل العدو التقليدي؛

(١) وجوه دخانية في مرايا الليل.

فتكرار الأشياء يعني تكرار الحديث عنها، والتكرار على أهميته يفقد الشعر بلاغة التعبير وسحر الأداء.

النثر إذن هو المادة الطيعة القادرة على تتبع الأحداث المتكررة، والدراسة الأدبية هي المجال الوحيد لاسترجاع أصداء الأعمال الفنية وإعطائها طاقات جديدة وفعالية أجد، وقد أصدر شاعرنا ـ حتى كتابة هذه المقدمة ـ كتابين نثريين؛ أحدهما دراسات تحليلية ونقدية لبعض قصائد الشعراء اليمنيين الأقدمين والمحدثين، وهو كتاب (رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه)، والآخر دراسات اجتماعية وتاريخية سجل فيها الشاعر انطباعاته الخاصة عن بعض القضايا اليمنية المعاصرة، واسم الكتاب (قضايا يمنية).

وبما أن الحديث هنا يقتصر على شعر البردوني وليس على نثره، فإنني لا أستطيع أن أقحم نفسي في الحديث عن كتاباته النثرية، وما قوبلت به من إعجاب أو إعراض، فالواضح أن البردوني قد ولد شاعراً، ولكن هذا لا يعني أن كتاباته النثرية غير ذات أهمية، فهي حصيلة رؤية شاعر رافق الكلمة وعاشرها على مدى خمسة وثلاثين عاماً.

وإذا كان تفوق البردوني الشاعر يطغى على البردوني الناثر، فإن ذلك أمر يتمشى مع الحساسية الفنية النابعة من واقع اليمن، حيث تتقدم الكلمة الشاعرة مسيرة الحركة الأدبية، بعد أن استكملت عبر العصور قدراتها اللغوية والتخيلية كافة.

وشاعرنا البردوني ليس الوحيد من بين الشعراء المعاصرين الذين لم يقصروا إنتاجهم على الشعر وحده،

فقائمة الشعراء الناثرين أكبر من أن تحصى، ويكاد بعض الشعراء ينالون الآن من الشهرة بكتاباتهم النثرية ما ينالو من الشهرة بأشعارهم، وهذا أدونيس أكبر مثل على هذه القضية. وفي القائمة شعراء آخرون مثل صلاح عبد الصبور، نزار قباني، أحمد عبد المعطي حجازي وآخرون

7

هل وصلت الحصاة إلى قاع النهر؟

هل الدوائر الصغيرة التي تركتها الحصاة على صدر النهر كافية لقراءة ملامحه؟

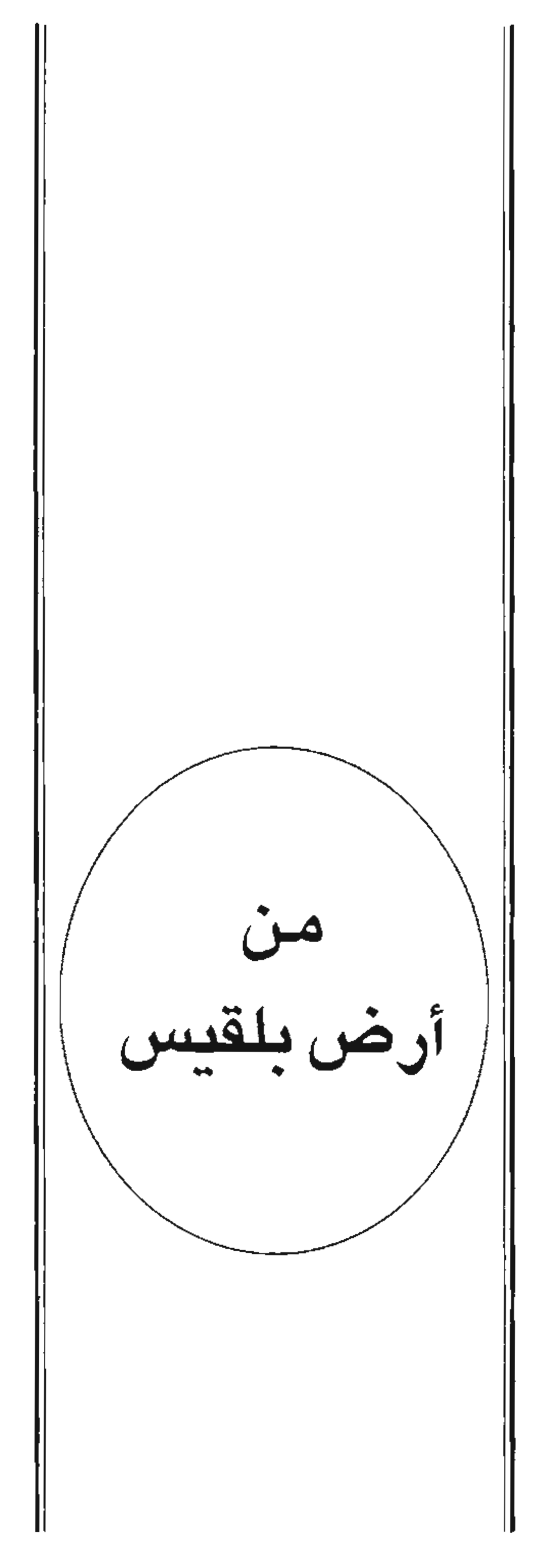
هل سأتمكن يوماً من كتابة دراسة متقنة ومعمقة عن هذا الشاعر الفذ؟

أرجو ذلك.

أما الكلمات التي تضمنتها هذه المقدمة، فلا تزيد عن كونها محاولة لكشف اللثام، عن وجه شاعر ثوري عنيف في ثوريته، جريء في مواجهته، شاعر يمثل الخصائص التي امتاز بها شعر اليمن المعاصر والمحافظ في الوقت نفسِهِ على كيان القصيدة العربية كما أبدعتها عبقرية السلف، وكانت تجربته الإبداعية أكبر من كل الصيغ والأشكال.

صنعاء 9 يناير سنة 1979م

❁ ❁ ❁


من
أرض بلقيس


الناشيء

البردوني يعرِّف بـ(البردُّوني)

نشأ في قرية البردُون من أعمال زراجة بـ(الحدا) وهي قرية شاعرية الهواء، ذهبية الأصائل والأسحار، يُطلّ عليها جبلان شاهقان، مكلّلان بالعشب، مؤزّران بالنبت العميم. ولهذه القرية في نفس الشاعر ذكرياتٌ وذكريات، فيها وُلد الشاعر سنة 1348هـ، وفي أحضان هذه القرية الخالدة وتحت ظلال والده الفلاح ووالدته، مرِحتْ طفولتُه، وتحسست نظراته كؤوس الجمال الفاتن، حتى أغمض عينيه العمى بين الرابعة والسادسة من العمر، بعد أن كابد الجُدري سنتين

وقد كان حادث العمى مأتماً صاخباً في بيوت الأسرة، لأن ريفه يعتدّ بالرجل السليم من العاهات، فرجاله رجال نزاع وخصام فيما بينهم؛ وكلّ قبيلة محتاجة إلى رجل القِراع والصّراع الذي يقود الغارة ويصدّ المغير

وفي نهاية السابعة استهل الشاعر المنتظر التعليم في مدرسة ابتدائية في القرية واستمر سنتين، انتقل على إثرهما إلى قرية (المحلَّة) من أعمال (ذمار)، وفيها أقام شهوراً بين البيت والمدرسة، ثم شاءت الظروف السعيدة أن تنتقل به إلى مدينة (ذمار)، وفي مدرستيها الابتدائية والعلمية عكف على الدرس، وكانت مدة إقامته في ذمار عشر سنوات، كابد فيها مكاره العيش ومتاعب الدرس، والحنين إلى القرية وملاعبها وفي هذا العهد من تاريخه مال إلى الأدب فقرأ كل كتاب يصادفه، وبدأ يقرض الشعر

وهو في الثالثة عشرة من عمره. وأكثر هذا الشعر شكوى من الزمن، وتأوّه من ضيق الحال، وفي هذا الشعر نزعات هجائية، تكونت من قراءة الهجّائين، ومن سخط الشاعر على بعض المترفين، فقد كان يتعزّى بقراءة الهجو ونظمه، وهذا بدافع الحرمان الذي رافقه شوطاً طويلاً، فبكى منه وأبكى!

وكان يظهر في هذا الإنتاج طابع التشاؤم والمرارة، ولكنه كان يُنبئ عن شاعرية ستورق وتزهر، فقد تنبّأ له آنذاك كثيرون من أرباب الذوق بالنبوغ والصيت المنتشر، وبعد عشر سنوات في (ذمار)، وبأعجوبة تاريخية إلى أعاجيب شقّ الطريق إلى (صنعاء) وفيها عانى ما عانى من مكابدة العيش، ومصارعة الأهوال، ثم تبنته مدرسة (دار العلوم)، وفيها قرأ المنهج المرسوم للمدرسة حتى أنهاه، وعين أستاذاً للآداب العربية في المدرسة نفسها[1]

۞ ۞ ۞

---

(1) هذا التعريف أملاه البردُوني قبل عمله في الإذاعة.

من أرضِ بلقيس[1]

من هذه الأم الحنون، والحبيبة الحسناء.. من هذه الفاتنة الراقصة على القلوب.. من هذا الفردوس الأرضي.. من هذه الحبيبة الغارقة في العطر والنور.

مِنْ أرضِ (بِلْقيسَ) هذا اللَّحنُ والوترُ
من جوِّها هذه الأنسامُ والسَّحَرُ

مِنْ صدرِها هذه الآهاتُ مِنْ فمِها
هذي اللُّحونُ؛ ومِنْ تاريخِها الذِّكَرُ

مِن (السعيدةِ)[2] هذي الأغنياتُ ومِنْ
ظلالِها هذه الأطيافُ والصّورُ

أطيافُها حول مَسْرى خاطري زُمَرٌ
من الترانيم تشدو حولَها زمرُ

من خاطرِ (اليمنِ) الخَضْرا ومهجتِها
هذي الأغاريدُ والأصداءُ والفِكَرُ

هذا القصيدُ أغانيها ودمعتُها
وسِحْرُها وصِباها الأغيدُ النّضِرُ

يكادُ مِنْ طولِ ما غنّى خمائلَها
يفوحُ مِنْ كلِّ حرفٍ جوُّها العطِرُ

---

(1) بلقيس: ملكة سبأ وزوج سليمان ـ عليه السلام ـ وأرض بلقيس من أسماء اليمن.

(2) السعيدة: وسمّاها الرّومان قديماً (العربية السعيدة).

يكادُ من كُثْرِ ما ضمّته أغصنُها
يرفُّ من وجنتيها الوردُ والزّهَرُ

كأنّه من تشكّي جُرحِها مُقَلٌ
يُلِحُّ منها البُكا الدامي وينحدرُ

يا أمّي اليمنَ الخضرا وفاتنتي
منكِ الفتونُ ومنّي العشقُ والسَّهرُ

ها أنتِ في كل ذرّاتي وملء دمي
شعرٌ تُعنقِدُهُ الذكرى وتعتصِرُ

وأنتِ في حضنِ هذا الشّعرِ فاتنةٌ
تُطِلّ منه، وحيناً فيه تستتِرُ

وحسبُ شاعرِها منها، إذا احتجبت
عن اللقا أنه يهوَى ويدّكِرُ

وأنها في مآقي شِعرِه حُلُمٌ
وأنها في دجاهُ اللهوُ والسَّمرُ

فلا تَلُمْ كِبرِياها فهي غانيةٌ
حَسْنا، وطبعُ الحسانِ الكِبْرُ والخَفَرُ

مِن هذه الأرض هذي الأغنياتُ، ومن
رياضِها هذه الأنغامُ تنتشرُ

من هذه الأرض حيثُ الضوءُ يلثمها
وحيثُ تغتنقُ الأنسامُ والشجرُ

ما ذلك الشدو؟ مَنْ شاديه؟ إنهما
مِن أرضِ (بِلقيس) هذا اللحنُ والوترُ

أنشودة الجنوب

هذه أرضي

زمــجــري بــالــنّــارِ يــا أرض الــجــنــوبْ
والْــهِــبــي بــالــحــقــدِ حــبــاتِ الــقــلــوبْ
واقــذفــي الــحــقــدَ دخــانــاً ولــهــيــبْ
زمــجــري لــلــثــأرِ يــا أرض الــجــنــوبْ
واركبي الموتَ إلى المجدِ السليبْ. زمجري
واثــأري يــا أرض جــدّي وأبــي. واثــأري
واعـصِـفـي بـالـغـاصـبِ الـمـسـتـعـمـرِ

وامــلأي الــروْعَ دمــاءً وجــراحْ
إنــمــا الــمــجــدُ نــضــالٌ وســلاحْ
ولــك الــنــصــرُ ولــلــعــزم الــنــجــاحْ
فــاســتــعــيــدي كــلَّ شــبــرٍ مُــسْــتَــبــاحْ
واركبي الهولَ وطيري للكفاخ. زمجري
أطْـلـقـيـهـا ثـورةً كـالـلـهـبِ. أطْـلـقـي
واعـصـفـي بـالـغـاصـبِ الـمُـسْـتَـعـمـرِ

هــذه أرضــي وأرضــي أبــدا
وأنــا مِــنْ صــوتِــهــا الــحــرُّ الــصــدى

وهــي فــي صــوتــي هــتــافٌ ونِــدا
سـوف أشـفـي جـرحَـهـا يـوم الـفـدا

فانفُضي يا أرضَ أجدادي العِدا. زمجري
واثأري يا يقظة الثأرِ الأبي. واثأري
واعصفي بالغاصبِ المستعمرِ

واسـتَـثـيـري يـا جـراحُ الأبـريـاءْ
وتـسـقـوَّي فـالـعُـلا لـلأقـويـاءْ

وتـأبَّـي واشـمـخـي بـالـكـبـريـاءْ
وأنـفـي سـوطَ الـبـغـاةِ الأدعـيـاءْ

واقسمي بالشهداءِ الأوفياءْ. واقسمي
إنَّ أرضي لَمْ تَعُدْ للأجنبي. زمجري

زمجري بالنارِ يا أرض الجنوبِ. زمجري
واعصفي بالغاصبِ المستعمرِ

❁ ❁ ❁

يقظةُ الصَّحراء

ألقى الشاعر هذه القصيدة في حفل حافل بدار العلوم ممثلاً لها بمناسبة ذكرى المولد النبوي سنة 1376هـ

حيِّ ميلادَ الهدى عاماً فعاما
واملأ الدنيا نشيداً مُستهاما

وامضِ يا شعرُ إلى الماضي إلى
مُلتقى الوحي وذُبْ فيه احتراما

واحمِلِ الذكرى من الماضي كما
يحملُ القلبُ أمانيه الجساما

هات ردّدْ ذكرياتِ النورِ في
فنِّكَ الأسمى ولقّنْها الدّواما

ذكرياتٌ تبعثُ المجدَ كما
يبعثُ الحسنُ إلى القلبِ الغراما

فارتعشْ يا وتَرَ الشِّعرِ وَذُبْ
في كؤوسِ العبقرياتِ مُداما

وتنقّلْ حولَ مهدِ المصطفى
وانشدِ المجدَ أغانيك الرِّخاما[1]

زَفّتِ البشرى معانيه كما
زَفّتِ الأنسامُ أنفاس الخُزامى

(1) الرُّخام: السهلة اللينة.

وتجلّى يومُ ميلادِ الهدى
يملأ التاريخَ آياتٍ عِظاما

واستفاضتْ يقظةُ الصحرا على
هَجْعةِ الأكوانِ بعثاً وقياما

وجلا للأرض أسرارَ السما
وتراءى في فمِ الكونِ ابتساما

جلَّ يومٌ بعثَ اللَّهُ بِهِ
أحمداً يمحو عن الأرضِ الظلاما

ورأى الدنيا خِصاماً فاصطفى
أحمداً يُفني مِن الدّنيا الخصاما

(مُرسلٌ) قد صاغَهُ خالقُهُ
من معاني الرُسْلِ بدْءاً وخِتاما

قد سعى - والطُرْقُ نارٌ ودمٌ -
يعبرُ السهل ويجتازُ الأكاما

وتحدّى بالهدى جهدَ العِدا
وانتضى للصارمِ الباغي حُساما

نزلَ الأرض فأضحتْ جنّةً
وسماءً تحملُ البدرَ التماما

وأتى الدنيا فقيراً فأتتْ
نحوه الدنيا وأعطتْهُ الزِّماما

ويتيماً فتَبنَّتْهُ السّما
وتبنّى عطفُه كلَّ اليتامى

ورعى الأغنامَ بالعدلِ إلى
أنْ رعى في مرتعِ الحقِّ الأناما

بدويٌّ مدَّنَ الصَّحرا كما
علَّمَ النَّاس إلى الحَشرِ النظاما

وقضى عدْلاً وأعلى مِلَّةً
تُرشد الأعمى وتُعمي من تعامى

نشرَت عدلَ التَّساوي في الورى
فعلا الإنسانُ فيها وتسامى

يا رسولَ الحقِّ خلَّدتَ الهدى
وتركتَ الظُّلم والبغي حُطاما

قُمْ تَجِدْ في الكونِ ظلماً مُحْدَثاً
قتلَ العدلَ وباسمِ العدلِ قاما

وقوىً تختطفُ العُزْلَ كما
يخطفُ الصقرُ من الجوِّ الحماما

أمطر الغربُ على الشرقِ الشَّقا
وبدعوى السِّلمِ أسقاهُ الحِماما

فمعاني السِّلم في ألفاظِهِ
حِيَلٌ تبتكرُ الموتَ الزُّؤاما

يا رسولَ الوحدةِ الكبرى ويا
ثورةً وسَّدَتِ الظُّلمَ الرّغاما

خُذْ من الأعماقِ ذكرى شاعرٍ
وتقبَّلْها صلاةً وسلاما

فلسفة الفنّ

لا تــقــلْ مــا دمــعُ فَــنِّــي لا تــســلْ مــا شَجْـوُ لـحـنـي
مــنــكَ أبــكــي وأغــنّــيــ ـكَ فــمــا يُــؤذيــكَ مــنّــي؟
ســمّــنــي إنْ شــئــتَ نَــوّا حــاً وإنْ شــئــتَ مُــغَــنّــي
فــأنــا حــيــنــاً أعــزّيــ ـك وأحــيــانــاً أُهَــنّــي
لــكَ مــنْ حــزنــي الأغــاريــ ـدُ ومــنْ قــلــبــي الــتــمــنّي
أنــا أُرضــي الــفــنَّ لــكــن كــيــفَ تــرضــى أنــتَ عــنــي؟
كــلُّ مــا يُــشــجــيــك يُــبــكــيــ ـنــي ويُــضــنــي ويُــعــنّــي
فــاســتــمــعْ مــا شــئــتَ واتــركــ ـنــي كــمــا شــئــتُ أغــنّــي

* * *

لا تَــلُــمْــنــي إن بــكــى قــلــ ـبــي وغــنّــاكَ بُــكــايــا
لا تَــســلْــنــي مــا طــوانــي عــنــكَ فــي أقــصــى الــزوايــا
هــا أنــا وحــدي وألــقــا كَ هــنــا بــيــن الــحــنــايــا
هــاهُــنــا حــيــثُ ألاقــيــ ـكَ طِــبــاعــاً وســجــايــا
حــيــث تــهــوي قِــطَــعُ الــظّــلْــ ـمــا كــأشــلاءِ الــضــحــايــا
وتُــطِــلّ الــوحــشــةُ الــخــرْ ســا كــأجــفــانِ الــمــنــايــا
والــدّجــى يــنــســابُ فــي الــصــمــتِ كــأطــيــافِ الــخــطــايــا
والــســكــونُ الأســودُ الــغــا فــي كــأعــراضِ الــبــغــايــا
وأنــا أدعــوكَ فــي ســرّي وأحــلامــي الــعــرايــا

*

يا رفيقي في طريقِ العمرِ في ركبِ الحياةِ
أنتَ في رُوحيّتي رُوحٌ وذاتٌ ملءُ ذاتي
جمعتْنا وحدةُ العيشِ وتوحيدُ المماتِ
عُمرنا يمضي وعُمْرٌ من وراءِ الموت آتِ
نحن فِكران تلاقيْنا على رغمِ الشتاتِ
نحن في فلسفةِ الفنّ كنجوى في صلاةِ
أنا كأسٌ من غنى الشوقِ ودمعِ الذكرياتِ
فاشربِ اللحنَ ودَعْ في الـكأسِ دمعَ المُوجَعاتِ
هكذا تصبو كما شاءتْ وتبكي أغنياتي

* * *

يا رفيقي هاتِ أذنيْكَ وخُذْ أشهى رنيني
من شفاهِ الفجرِ أسقيـكَ وخمرِ الياسمينِ
من مَعينِ الفنِّ أرويـكَ ولمْ ينضبْ معيني
لكَ من أنّاتي اللحنُ ولي وحدي أنيني
ولكَ التغريدُ من فني ولي جوعُ حَنيني
ها أنا في عُزلةِ الشعرِ كأشواقِ السجينِ
حيثُ ألقاكَ هنا في خاطرِ الصمتِ الحزينِ
في أغاني الشوقِ في الذكرى وفي الحبِّ الدفينِ
في الخيالاتِ وفي شكوى الحنينِ المستكينِ

نارٌ وقلب

يـا ٱبْـنـةَ الـحـسـنِ والـجـمـالِ الـمـدلّـلْ
أنـتِ أحـلـى مـن الـجـمـالِ وأجـمـلْ

وكـأنَّ الـحـيـاةَ فـيـكِ ابـتـسـامٌ
وكـأنَّ الـخـلـودَ فـيـكِ مُـمَـثَّـلْ

كـلُّ حـرفٍ مـن لـفـظِـكِ الـحـلـو فـردو
سٌ نَـدِيٌّ وسـلـسـبـيـلٌ[1] مُـسَـلْـسَـلْ

كـلّـمـا قـلـتِ رفّ مـن فـمِـكِ الـفـجـرُ
وغـنّـى الـرّبـيـعُ بـالـعـطـرِ واخـضـلّ

أنـتِ فـجـرٌ مـعـطّـرٌ وربـيـعٌ
وأنـا الـبـلـبـلُ الـكـئـيـبُ الـمـبَـلْـبَـلْ

أنـتِ فـي كـلِّ نـابـضٍ مـن عـروقـي
وتـرٌ عـاشـقٌ ولـحـنٌ مُـرتّـلْ

كـلّـمـا اسـتـنـطـقـتْ مـعـانـيـك شـعـري
أرعـدَ الـقـلـبُ بـالـنـشـيـدِ وجَـلْـجَـلْ

وانـتـزفـتُ الـلـحـونَ مـن غَـور أغـوا
ري كـأنـي أذوبُ مـن كـلِّ مِـفْـصَـلْ

(1) السلسبيل: الخمر، واللين الذي لا خشونة فيه.

وأغنيكِ والصبابات حولي
زُمَرٌ تحتسي قصيدي وتنهلْ
وأناجي هواكِ في مَغرض الأو
هام في شاطئ الظلام المسربَلْ
وفؤادي يحنّ في صدريَ الدّا
مي كما حنَّ في القيودِ المُكبّلْ
وهواكِ الغضوبُ نارٌ بلا نا
رِ وقلبي هو اللهيبُ المذلَّلْ
أنتِ دنيا الجمالِ نمنمها السحرُ
فأغرى بها الجمالَ وأذهلْ
فتنةٌ أيُّ فتنةٍ هزّ قيثا
ري صباها ففاض بالسحرِ وانهلّ
تُسكرُ الكأس حين تُسكرُها الكأ
سُ وتسقي الرحيقَ أحلى وأفضلْ
وفتونٌ يهُزّ شعري كما هزّ
النسيمُ البليلُ زهراً مبلّلْ
وألاقيكِ في ضميري كما لاقى
الفمُ المستهامُ أشهى مُقَبّلْ
في دمي من هواك حُمّى البراكـ
ـينِ العواتي وألفُ دنيا تزلزلْ
وبقلبي إليكِ ألفُ عتابِ
وحِوارٍ وحين ألقاكِ أخجلْ

أنـا أهـواك لـلـجـمـالِ ولـلإلـ

هـامِ لـلـفـنّ لـلـحِـوارِ الـمـعَـسَّـلْ

والـغـرامُ الـطـهـورُ أزكـى مـعـانـي

الـحـب؛ أسـمـى مـا فـي الـوجـودِ وأنـبـلْ

فـانـفـحـيـنـي تـحـيّـةً وتـلـقَّـيْ

نـغَـمـاً مـن جـوانـحِ الـحـبِّ مُـرسَـلْ

***

هـائـم

قـلـبُـهُ الـمـسـتـهـامُ ظـمـآنُ عـانـي
يـحـتـسـي الـوَهْـمَ مـن كـؤوس الأمـانـي

قـلـبُـهُ ظـامـئٌ إلـيـكِ فـصـبّـي
فـيـه عـطـرَ الـهـوى وظـلّ الـتـدانـي

واذكـري قـلـبَـه الـحـبـيـسَ الـمـعنّـى
وامـلأي الـكـأس مـن رحـيـقِ الـحـنـانِ

إنـه عـاشـقٌ وأنـتِ هـواهُ
إنـه فـيـك ذائـبُ الـرّوحِ فـانـي

أنـتِ فـي هـمـسِـهِ مـنـاجـاةُ أوتـا
رِ وفـي صـمـتِـهِ أرقُّ الأغـانـي

إنـه فـي هـواكِ يُـحـرَق بـالـحـبِّ
ويـدعـوكِ مـن وراءِ الـدّخـانِ

سـابـحٌ فـي هـواكِ يـهـفـو كـفـكـرٍ
شـاعـرٍ يـرتـمـي وراءَ الـمـعـانـي

أيـن يـلـقـاكِ؟ أيـن مـاتـتْ شـكـاوا
ه وجـفّـتْ أصـداؤه فـي الـلّـسـانِ؟

إنّـه ظـامـئٌ إلـى ريّـكِ الـحـا
نـي مـشـوقٌ إلـى الـظـلالِ الـحـوانـي

تائهٌ في الحنينِ يهوى كرُوحٍ
ضائعٌ يسأل الدُّجى عن كيانِ

ظامئٌ يشربُ الحريقَ المدمّى
ويُعاني من الظما ما يعاني

أنتِ في قلبهِ الحياةُ وكلُّ الـ
ـحبّ كلُّ الهوى وكلّ الغواني

فيكِ كلُّ الجمالِ فيكِ التقى الحسـ
ـنُ وفيكِ التقتْ جميعُ الحسانِ

لَمْ يهبْ قلبَهُ سواكِ ولكن
لمْ يذُقْ منكِ غيرَ طعمِ الهوانِ

فامنحيه يا واحةَ الحبّ ظلاً
وانفضي حولَهُ نَدى الأقحوانِ

واسكبي الفجر في دجاهُ ورفّي
في شقا حبّه رفيفَ الجِنانِ

إنه هائمٌ يعيشُ ويفنَى
بينَ جَوْرِ الهوى وظلمِ الزمانِ

ميّتٌ لمْ يمُتْ كما يعرفُ النا
سُ ولكن يموتُ في كلِّ آنِ

❂❂❂

سحرُ الربيع

رصّعِ الدّنيا أغاريدَ وشعرا
وتفجّرْ يا ربيعَ الحبّ سُكْرا
وافرشِ الأرض شعاعاً وندى
وترقرقْ في الفضا سحراً وإغرا
يا ربيعَ الحبِّ لاقتك المنى
تحتسي من جوّك المسحورِ سحرا
يا عروسَ الشعرِ صفقْ للغنا
وترقّصْ في ضفافِ الشعرِ كِبْرا
أسفرتْ دُنياكَ للشعرِ كما
أسفرتْ للعاشقِ المحرومِ عَذرا
فهنا الطيرُ تغنّى وهنا
جدولٌ يُذري الغنا رِيّاً وطهرا
وصبايا الفجرِ في حضنِ السنا
تنثرُ الأفراحَ والإلهامَ نثرا
والسهولُ الخضرُ تشدو والرّبا
جَوقةٌ تجلو صبايا اللّحن خضرا
فكأنَّ الجوُّ عزفٌ مسكرٌ
والحياةَ الغضةَ المراحَ سكرى

والـريـاحـيـنَ شـذيّـاتُ الـغـنـا
تـبـعـثُ الـلـحـنَ مـع الأنـسـامِ عـطـرا

وكـأنَّ الـرّوضَ فـي بـهـجـتـه
شـاعـرٌ يـبـتـكـرُ الأنـغـامَ زهـرا

وكـأنَّ الـوردَ فـي أشـواكـه
مـهـجٌ أذكـى عـلـيـهـا الـحـبُّ جـمـرا

وكـأن الـفـجـرَ فـي زهـرِ الـربـا
قـبـلـةٌ عـطـريـةُ الأنـفـاسِ حَـرَّى

* * *

يـا ربـيـعَ الـحـبِّ يـا فـجـرَ الـهـوى
مـا أحـيْـلاكَ ومـا أشـذاكَ نـشـرا

طـلـعـةٌ فَـوْحـا وجـوٌّ شـاعـرٌ
عـاطـفـيٌّ كـلُّـه شـوقٌ وذكـرى

تـبـعـثُ الـدنـيـا وتـجـلـو حـسـنَـهـا
مـثـلـمـا تـجـلـو لـيـالـي الـعـرس بِـكـرا

وتـبـثُّ الـحـبَّ فـي الأحـجـارِ لـو
أنَّ لـلأحـجـارِ أكـبـاداً وصـدرا

أنـتَ فـجـرٌ كـلـمـا ذرّ الـنـدى
أنـبـتـتْ مـن نـورِهِ الأغـصـانُ فـجـرا

أنـتَ مـا أنـتَ . . جـمـالٌ سـائـلٌ
لـم يـدَعْ فـوقَ بـسـاطِ الأرضِ شـبـرا

وفـتـونٌ مـلـهـمٌ يـضـفـي عـلـى
صـبـواتِ الـفـنِّ إلـهـامـاً وفـكـرا
وتـرانـيـمَـا وفـنّـاً كـلّـه
عـبـقـريّـات تـوشّـي الأرضَ تِـبْـرا
مـا ربـيـعُ الـحـبِّ يـا شـعـرُ ومـا
سـحـرُهُ أنـت بـسـحـرِ الـكـونِ أدرى
كـلّـمـا أورقـتِ الأعـشـابُ فـي
حـضـنِـهِ أورقـتِ الأرواحُ بـشـرى
هـو سِـرُّ الأرضِ غـذّتـه الـسـمـا
وجـلـتْـهُ فِـتَـنـاً بـيـضـاً وسـمـرا
ورواهـا الـفـنُّ لـحـنـاً لـلـهـوى
وأدارتْـهُ كـؤوس الـزهـرِ خـمـرا
مـنـظـرٌ أودعَـهُ فـنُّ الـسـمـا
مـن فـنـونِ الـخُـلْـدِ والآيـاتِ سـرّا

❁❁❁

طائر الربيع

يــا شــاعــرَ الأزهــارِ والأغــصــانِ
هــل أنــتَ مــلــتــهــبُ الــحــشــا أو هــانــي

مــاذا تــغــنّــي، مــن تــنــاجــي فــي الــغِــنــا
ولــمــنْ تــبــوحُ بــكــامــنِ الــوِجــدانِ؟

هــذا نــشــيــدُكَ يــســتــفــيــضُ صــبــابــةً
حــرّى كــأشــواقِ الــمــحــبِّ الــعــانــي

فــي صــوتِــك الــرّقــراقِ فــنٌّ مُــتــرَفٌ
لــكــنْ وراء الــصــوتِ فــنٌّ ثــانــي

كَــمْ تــرســلُ الألــحــانَ بــيــضــاً إنــمــا
خــلــفَ الــلــحــونِ الــبــيــضِ دمــعٌ قــانــي

هــل أنــتَ تــبــكــي أم تــغــرّدُ فــي الــرّبــا
أم فــي بــكــاكَ مــعــازفٌ وأغــانــي

* * *

يــا طــائــرَ الإنــشــادِ مــا تــنــشــدو ومــن
أوحــى إلــيــكَ عــرائــس الألــحــانِ

أبــداً تــغــنّــي لــلأزاهــرِ والــسّــنــا
وتــحــاور الأنــســامَ فــي الأفــنــانِ

وتظلّ تبتكرُ الغِنا وتزفُّه
من جوّ بُستانٍ إلى بُستانِ

وتذوبُ في عرشِ الجمالِ قصائداً
خُرْساً وتستوحي الجمالَ معاني

لا الحزنُ ينسيك النّشيدَ ولا الهنا
بوركت يا ابْنَ الفنّ من فنّانِ

* *

يا ابْنَ الرياض - وأنت أبلغُ مُنشدٍ -
غرِّدْ وخلِّ الصَّمتَ للإنسانِ

واهتف كما تهوى فَفَنُّك كلّه
حبٌّ وإيمانٌ وعن إيمانِ

دنياك يا طيرَ الربيعِ صحيفةٌ
ذهبيّةُ الأشكالِ والألوانِ

وخميلةٌ خرسا يترجمُ صمتَها
عِطرُ الزهورِ إلى النسيمِ الواني

والزّهرُ حولَك في الغصونِ كأنّه
شعرُ الحياةِ مُبعثر الأوزانِ

والعُشبُ يرتجلُ الزهورَ حوالماً
ويرفّ بالظلِّ الوديعِ الحاني

وطفولةُ الأغصانِ راقصة الصّبا
فرحاً ودنياها صباً وأماني

والحبُّ يشدو في شفاهِ الزهرِ في
لغةِ الطيورِ وفي فم الغُدرانِ

والـــوردُ يـــدمَـــى بـــالـــغـــرامِ كـــأنـــه
مـــن حُـــرقـــةِ الـــذكـــرى قـــلـــوبُ غـــوانـــي

* * *

يـــا طـــائـــرَ الإلـــهـــام مـــا أســـمـــاك عـــن
لـــهـــوِ الـــورى وعـــنِ الـــحُـــطـــامِ الـــفـــانـــي

تـــحـــيـــا كـــمـــا تـــهـــوى الـــحـــيـــاةُ مـــغـــرّداً
مـــتـــرفّـــعـــاً عـــن شـــهـــوةِ الأبـــدانِ

لـــمْ تـــســـتـــكـــنْ لـــلـــصـــمـــتِ، لـــم تُـــذعـــنْ لـــهُ
بـــلْ أنـــتَ فـــوقَ الـــصّـــمـــتِ والإذعـــانِ

هـــذي الـــطـــبـــيـــعـــةُ أنـــت شـــاعـــرُ حـــســـنِـــهـــا
تـــروي مـــعـــانـــيـــهـــا بـــســـحـــرِ بـــيـــانِ

تـــرجـــمـــتَ أســـرارَ الـــطـــبـــيـــعـــةِ نـــغـــمـــةً
أبـــديّـــةً فـــي صـــوتِـــكَ الـــرّنّـــانِ

وعـــزفـــتَ فـــلـــســـفـــةَ الـــربـــيـــعِ قـــصـــيـــدةً
خـــضـــراً مـــن الأزهـــارِ والـــرّيـــحـــانِ

* * *

هـــذا ربـــيـــعُ الـــحـــبِّ يـــمـــلـــي شـــعـــرَه
فِـــتـــنـــاً مُـــعَـــطّـــرةً عـــلـــى الأكـــوانِ

يـــصـــبـــو ودنـــيـــا الـــحـــبِّ فـــي أفـــيـــائِـــهِ
تـــصـــبـــو عـــلـــى إشـــراقـــهِ الـــفـــتّـــانِ

الـــفـــنُّ فـــنُّـــك يـــا ربـــيـــعَ الـــحـــبِّ يـــا
سِـــحْـــرَ الـــوجـــودِ وفـــتـــنـــةَ الأزمـــانِ

❂ ❂ ❂

عودة القائد

لمنِ الجموعُ تموجُ موجَ الأبحرِ
وتضِجُّ بينَ مُهلّلٍ ومُكبِّرِ
لمنِ الهتافُ يشقّ أجوازَ الفضا
ويهزّ أعطافَ النهارِ المُسفرِ
ولمنْ تجاوبتِ المدافعُ وانبرتْ
صيحاتُها كضجيجِ يومِ المَحشرِ
لمنِ الطبولُ تُثرثرُ الخفقاتُ في
ترنيمِها المتهدّجِ المتكسّرِ
ولمنْ زغاريدُ الحسانِ كأنها
خفقاتُ أوتارٍ ورعشةُ مِزْهرِ
ولمنْ تَفيضُ حناجرُ الأبواقِ منْ
أعماقِها بترنّمِ المُستَبْشِرِ
للقائدِ الأعلى الموشّحِ بالسّنا
علَمِ الفتوحِ وقاهرِ المُستعمرِ
لـ(وليّ عهد المُلك) بنّاءِ الحمى
حُلْمِ البطولةِ والطموحِ العبقري
أهلاً (وَليَّ العهدِ) فانزل مثلما
نزلَ الشعاعُ مباسمَ الزّهرِ الطّري

أشرقتَ في مُقَلِ الجزيرة كالضّحى
كالصبحِ كالسّحَرِ النّديّ المُقمرِ

وعلى جبينِكَ غارُ أكرمِ فاتحٍ
وعلى محيّاكَ ابتسامُ مُظفّرِ

لمّا طلعتَ أفاقتِ (الخضرا)[1] على
فجرٍ بأنفاسِ الخلودِ مُعطّرِ

وتعانقتْ فتنُ الجمالِ وتمتمت
بالعطرِ أعراسُ الربيعِ الأخضرِ

وتسابقَ الإنشادُ فيك وهازجتْ
نَغَمَ المعرّي أغنياتُ البُحتري

وهفتْ إليكَ من القوافي جوقةٌ
سكرى متيّمةُ الغناءِ المُسْكرِ

* * *

يا من تشخّصتِ المُنى في شخصِهِ
وأهلّ فجرَ عدالةٍ وتحرّرِ

حقّقْ طموحَ الشعبِ واجعلْ حُلْمَه
فوقَ الحقيقةِ فوقَ كلِّ تصوّرِ

وافيتَ فانتفضتْ أماني أمّةٍ
شمّا وشقّ البعثُ مرقدَ (حميرِ)

ويكادُ (ذو يزنٍ) يُبعثرُ قَبرَهُ
ويطلّ حِمْيَرُ من وراءِ الأعصرِ

---

(١) الخضراء: كناية عن اليمن المزدانة خضرة وبهجة.

بِلْقيسُ يا أمَّ الحضارةِ أشرقي
من شُرفةِ الأمسِ البعيدِ وكبّري

واستعرضي زُمَرَ الأشعةِ واسبَحي
فيها بناظركِ الكحيلِ الأحورِ

مولاتِيَ الحسنا أطلّي وانظري
من زَهْوةِ الأجيالِ مَا لَمْ تنظري

وتغطرسي ملءَ الفتونِ وعنْونِي
فمَكِ الجميلَ ببسمةِ المستفسرِ

ها نحنُ نبني فوقَ هامةِ مأربٍ
وطناً ونبني ألفَ صرحٍ مرمري[1]

ونشيدُ في وطنِ العروبةِ وحدةً
فوق الثريا خلفَ أفْقِ (المشتري)

هي وحدةُ العرَبِ الأباةِ تسنّمت
في ربوةِ التاريخِ أرفَع مِنْبَرِ

وتعانقتْ صنعا ومصرُ وجِلّق
فيها عناقَ الشوقِ والحُبِّ البري

وجرى على النيلِ المصفّق صنوُهُ
بَرَدى فصفّقَ كوثرٌ في كوثرِ

وارتادتِ (الخضرا) الكنانة فانتشتْ
نسماتُ مأربَ في أصيلِ الأقصرِ

---

(1) مأرب: كمنزل وهي موضع باليمن.

لـولاكَ يـا بَـطـلَ الـخـلافـةِ مـا احـتـوى
صـنـعـا و(جـلّـق) حـضـنُ أمُّ الأزهـرِ

صـافـحـتَ مـصـرَ فـزدتَ فـي بـنـيـانِـهـا
(هـرمـاً) إلـى الـهـرم الأشـمِّ الأكـبـرِ

أرضُ الـجـنـوبِ ـ وأنـت نـخـوةُ ثـأرهـا ـ
ظـمـأى تـحـنُّ إلـى الـصّـراعِ الأحـمـرِ

أرضـي ودارُ أبـي وجـدي لـم تـزلْ
فـي قـبـضـةِ الـمـتـوحّـشِ الـمـتـنـمّـرِ

تـطـوي عـلـى حُـلْـم الـجـهـادِ عـيـونَـهـا
وتـئِـنُّ تـحـتَ الـغـاصـبِ الـمُـسْـتـهـتـرِ

لا حُـرمـةُ الإنـسـانِ تـزجـرُهُ ولا
شـرفُ الـضـمـيـرِ ولا نُـهـى[1] الـمـتـحـضّـرِ

مـتـجـبّـرٌ وأصـمُّ لَـمْ يـسـمـعْ سـوى
رَهَـج[2] الـحـديـدِ الـمـاردِ الـمـتـجـبّـرِ

فـازحـفْ إلـيـه يـا ابْـنَ بَـجْـدتـهـا عـلـى
لـجـجِ الـسّـلاحِ الـفـاتـحِ الـمـتـهـوّرِ

يـا خـيـرَ مـن لـبّـى ومـن نُـودي ومـن
يـغـشـى الـوغـى كـالـهـولِ كـالـلـيـثِ الـجـري

هـذي زعـامـتُـكَ الـفـتـيـةُ قـصّـةٌ
بـفـم الـفـتـوحِ وفـي شـفـاهِ الأدهُـرِ

(1) النهى: العقول جمع نهية.
(2) الرهج محرّكة بالفتح: الغبار المثار في قتال.

يـا بـدرُ هـذا الـشـعـبُ أنـت زعـيـمـه
وهـواك سـحـرُ غـرامِـه الـمـتـسـعّـرِ

حـمـلـتـك روحُ الـشـعـبِ إيـمـانـاً فـلـم
تـخـفـقْ بـحـبٍّ سـواك بـلْ لـمْ تـشـعـرِ

فـاسـلَـمْ لـتـاريـخِ الـزعـامـةِ آيـةً
بَـيـضـا كـبـهـجـة عـصـرك الـمـتـبـلْـورِ

عام 1377هـ

⊛⊛⊛

عروس الحزن

منزلها الكبير بجوار منزلي الصغير، وقد لفني وإياها عاطف الحنان والحنين فتلاقينا على بعد. تظل تغني، وأظل أصغي إلى أغانيها، وصوتها يتعثر في دمعها، ودمعها يتحشرج في صوتها، وفي نغماتها تتحاضن الدموع والترنم، كان صوتها عود ذو وتر واحد، بعضه يبكي وبعضه يغني

صــوتُــهــا دمــعٌ وأنــغــامٌ صَــبــايــا
وابْــتــســامــاتٌ وأنّــاتٌ عَــرايــا

كــلّــمــا غــنّــت جــرى مــن فــمِــهــا
جــدوَلٌ مــن أغــنــيــاتٍ وشَــكــايــا

أهْــي تــبــكــي أمْ تــغــنّــي أمْ لــهــا
نــغــمُ الــطــيــرِ وآهــاتُ الــبــرايــا؟

صــوتُــهــا يــبــكــي ويــشــدو آهِ مــا
ذا وراءَ الــصــوتِ مــا خــلــف الــطــوايــا؟

هــل لــهــا قــلــبٌ ســعــيــدٌ ولــهــا
غــيــرَهُ قــلــبٌ شــقــي فــي الــرزايــا؟

أمْ لــهــا روحــان: روحٌ ســابــحٌ
فــي الــفــضــا الأعــلــى وروحٌ فــي الــدنــايــا؟

أمْ تــلاقــتْ فــي حــنــايــا صــدرِهــا
صــلــواتٌ وشــيــاطــيــنُ خــطــايــا؟

أمْ تــنــاجــتْ فــي طــوايــا نــفــسِــهــا
لــحــنُ عُــرْسٍ وجِــراحــاتُ ضــحــايــا؟

لــســت أدري، صــوتَــهــا يَــخــرقــنــي
بــشــجــونــي إنّــه يُــدمــي بُــكــايــا

كــلّــمــا طــافَ بــســمــعــي صــوتُــهــا
هــزّ فــي الأعــمــاقِ أوتــارَ شــجــايــا

وســرى فــي خــاطــري مُــرتــعِــشــاً
رعــشــةَ الــطَّــيْــف بــأجــفــانِ الــعــشــايــا

أتُــرى الــحــزنُ الــذي فــي شــجــوهــا
رقّــةُ الــحــرمــان أم لــطــفُ الــسّــجــايــا؟

أمْ تُــراهــا هــدَّجــتْ فــي صــوتــهــا
قِــطَــعَ الــقــلــبِ وأشــلاءَ الــحــنــايــا

كــلّــمــا غَــنّــتْ بــكــتْ نــغــمــتُــهــا
وتــهــاوى الــقــلْــب فــي الآه شــظــايــا

هــكــذا غــنّــتْ، وأصــغــيــتُ لــهــا
وتــحــمّــلْــتُ شــقــاهــا وشــقــايــا

* *

يــا عــروسَ الــحــزنِ مــا شــكــواكِ؟ مــنْ
أيّ أحــزانٍ؟ ومــن أيّ الــبــلايــا؟

مــا الــذي أشــقــاكِ يــا حَــسْــنــا؟ وهــلْ
لــلــشــقــا كــالــنــاس عــمــرٌ ومــنــايــا؟

هــلْ يــمــوتُ الــشّــرُّ؟ هــلْ لــلــخــيــرِ فــي
زَحْــمــةِ الــشَّــرّ سِــمــاتٌ ومــزايــا؟

كيف تُعطي أمُّنا الدنيا المنى
وهي تَطوي عن أمانينا العطايا

وَلِقَومٍ تحملُ البذْلَ كما
يحملُ الخِلُّ إلى الحَسْنا الهدايا

هل هي الدنيا التي تحرمُني
أمْ تراختْ عنْ عطاياها يدايا؟

أنا حرماني وشكوى فاقتي
أنا آلامي ودمعي وأسايا

لم يرُعْ قلبي سوى قلبي أنا
لا ولا عذّبني شيءٌ سوايا!

جارتي، ما أضيقَ الدنيا إذا
لمْ تشقَّ النفسُ في النفس زوايا

۞۞۞

أثيم الهوى

مسكين لقد تقيد بالعفة طويلاً، وفي هذه المرة جرب خلع القيد، وتذوق طعم الانطلاق؛ وقد نجحت التجربة، فماذا جنى من ورائها، وكيف عادت عليه مرارة الندم، وما قصته النفسية، كل هذا التساؤلات يجيب عنها هذا الشعر.

جريحُ الإبا صامتٌ لا يعي
وفي صمتِه ضجّةُ الأضلُعِ

وفي صدرِه ندمٌ جائعٌ
يلوكُ الحنايا ولمْ يشبعِ

تهدّدُه صيحةُ الذكريات
كما هدّدَ الشيخَ صوتُ النّعي

ويقذفُه شبحٌ مفزعٌ
إلى شبحٍ موحشٍ مفزعِ

ويُصغي ويُصغي فلمْ يستمعْ
سوى هاتفِ الإثمِ في المَسمعِ

ولمْ يستمعْ غيرَ صوتِ الضميرِ
يناديه منْ سرّه الموجَعِ

فيشكو إلى منْ، وما حولَه
سوى الليلِ أو وحشةِ المخْدَعِ؟

كئيبٌ يُخوّفُهُ ظُلمُهُ
فيرتاعُ من ظلّهِ الأروعِ

وفي كلّ طيفٍ يرى ذنبهُ
فماذا يقولُ وما يدّعي؟

فيُملي على سرِّهِ قائلاً:
أنا مجرمُ النفسِ والمَطمعِ

أنا سارقُ الحب وحدي! أنا
خبيثُ الشّقا قذِرُ المرتَعِ

هوتْ أضْبُعي زهرةَ حُلْوةَ
فلَوَّثتُ من عطرِها أصبعي

توهّمتُها حلوةً كالحياةِ
فكانتْ أمرَّ من المصرعِ

أنا مجرمُ الحبِّ! يا صاحبي
فلا تعتذرْ لي فلم تُقنِعِ

ولا، لا تقلْ معكَ الحبُّ بلْ
جريمتُهُ والخطايا معي

ومالَ إلى الليلِ والليلُ في
نهايتِهِ وهو لمْ يهجَعِ

وقد آن للفجرِ أن يستفيقَ
وينسلَّ من مبسمِ المطلعِ

وكيف ينامُ (أثيمُ الهوى)
وعيناهُ والسّهدُ في موضعِ

هنا ضاق بالسّهد والذكرياتِ
وحنّ إلى الحُلُمِ الممتِعِ

فألقى بجثتِهِ في الفراشِ
كسيرَ القُوى ذابلَ المدمعِ
تُرى هلْ ينامُ وطيفُ الفجُورِ
ورائحةُ الإثمِ في المضجعِ؟
وفي قلبِهِ ندمٌ يستقي
دماهُ وفي حزنِهِ يرتعي
وفي مقلتيْه دموعٌ وفي
حشاه نحيبٌ بلا أدمُعِ
فماذا يُلاقي؟ وماذا يُحِسُّ
وقد دفنَ الحبَّ في البَلْقعِ
وعادَ وقدْ أودَع السرَّ من
حناياه في شرّ مُستَوْدعِ
فماذا يعاني؟ ألا إنّه
جريحُ الإبا صامتٌ لا يعي

◎◎◎

وهكذا قالت

كانت تهواه ويهواها، في هواها طهر الصلاة، وفي هواه خسة الخيانة، وقد ضمتهما برهة هنيئة من الحب في ظل العقد الإلهي، ولكن أفضى بها الهناء وحدها إلى الألم الطويل، كانت تؤمن بالرباط المقدس وكان يكفر به، فقد قطع ما بينه وبينها، واستبدل بها أخرى! وهكذا قالت:

أشقيتَني من حيثُ إمتاعي ... فلينْعَني من ظلمِكَ الناعي
ألِفتَني حتى ألفتُ اللّقا ... تركتني وحدي لأوجاعي؟
أطمعتَني فيكَ فخلّفْتَني ... لجوعِ آمالي وأطماعي
ورحتَ - لا عدتَ - وألقيتَني ... وديعةً في كفِّ مضياعِ
إن لم يكنْ لديكَ قلبٌ، فهلْ ... رحمتَ قلباً بينَ أضلاعي
رعيتني حتى ملكت الغنى ... عني فكنتَ الذئبَ في الرّاعي
يا ظالمي والظلمُ طبع الخنا ... قطفت عمري قبلَ إيناعي
قد ضاعَ ما أرجو فما خيفتي ... إذا دعاني للفنا داعِ
لا، لمْ أعاتبْكَ فقد أقلعتْ ... عنكَ شجوني أيَّ إقلاعِ
إن كنتَ خدّاعاً فإنَّ الورى ... ما بين مخدوعٍ وخدّاعِ
ما بين غلاّبٍ ومستسلمٍ ... ما بين محرومٍ وإقطاعي
أوّاه كم أشقى وأسعى إلى ... قبري وويحَ السعيِ والساعي
وهكذا قالتْ، وفي صوتِها ... دموعُ قلبٍ جِدُّ مُلْتاعِ

◎◎◎

ليالي الجائعين

هـذي الـبـيـوتُ الـجـائـمـاتُ إزائـي
لَـيـلٌ مـن الـحـرمـانِ والإدجـاءِ

مـن لـلـبـيـوتِ الـهـادمـاتِ كـأنّـهـا
فـوقَ الـحـيـاةِ مـقـابـرُ الأحـيـاءِ

تـغـفـو عـلـى حُـلـمِ الـرغـيـفِ ولـم تـجـدْ
إلاّ خـيـالاً مـنـهُ فـي الإغـفـاءِ

وتـضُـمّ أشـبـاحَ الـجـيـاع كـأنـهـا
سـجـنٌ يـضـمُّ جـوانـحَ الـسّـجَـنـاءِ

وتـغـيـبُ فـي الـصـمـتِ الـكـئـيـبِ كـأنـهـا
كـهـفٌ وراءَ الـكـونِ والأضـواءِ

خـلـف الـطـبـيـعـةِ والـحـيـاةِ كـأنـهـا
شـيءٌ وراءَ طـبـائـعِ الأشـيـاءِ

تـرنـو إلـى الأمـلِ الـمـولّـي مـثـلـمـا
يـرنـو الـغـريـقُ إلـى الـمـغـيـثِ الـنـائـي

وتـلـمـلـمُ الأحـلامَ مـن صـدر الـدجـى
سـوداً كـأشـبـاحِ الـدجـى الـسـوداءِ

* * *

هـذي الـبـيـوتُ الـنـائـمـاتُ عـلـى الـطـوى
نـومَ الـعـلـيـلِ عـلـى انـتـفـاضِ الـداءِ

نامتْ ونامَ اللّيلُ فوقَ سكونِها
وتغلّفتْ بالصّمتِ والظلماءِ

وغفتْ بأحضانِ السكونِ وفوقها
جثث الدجى منثورةُ الأشلاءِ

وتململتْ تحتَ الظلامِ كأنها
شيخٌ ينوءُ بأثقلِ الأعباءِ

أصغى إليها الليلُ لم يسمعْ بها
إلاّ أنينَ الجوعِ في الأحشاءِ

وبكا البنينَ الجائعين مردَّداً
في الأمّهات ومِسمَعِ الآباءِ

ودجتْ ليالي الجائعينَ وتحتَها
مهجُ الجِياع قتيلةُ الأهواءِ

* * *

يا ليلُ، مَن جيرانُ كوخي؟ مَن همُ
مرعى الشّقا وفريسةُ الأرزاءِ

الجائعون الصابرون على الطوى
صبر الرُّبا للريحِ والأنواءِ

الآكلون قلوبَهم حقداً على
ترَفِ القصورِ وثروةِ البُخلاءِ

الصّامتون وفي معاني صمتِهم
دنيا من الضجّاتِ والضوضاءِ

ويلي على جيرانِ كوخي إنهم
ألعوبةُ الإفلاسِ والإعياءِ

ويلي لهم من بؤسِ مَحياهم ويا
ويلي من الإشفاقِ بالبؤساءِ

وأنوحُ للمستضعفين وإنني
أشقى من الأيتامِ والضعفاءِ

وأُحِسهم في سدّ روحي في دمي
في نَبْضِ أعصابي وفي أعضائي

فكأنَّ جيراني جراحٌ تحتسي
رِيَّ الأسى من أدمعي ودمائي

ناموا على البلوى وأغفى عنهمو
عَطفُ القريب ورحمةُ الرّحماءِ

ما كان أشقاهم وأشقاني بهم
وأحَسني بشقائهم وشقائي

❂ ❂ ❂

حين يشقى الناس

أنت ترثي كلَّ محزونٍ ولم
تلقَ من يرثيكَ في الخَطْبِ الألدّْ
وأنا يا قلبُ أبكي إن بكت
مقلةٌ كانت بقربي أو ببُعدي
وأنا أكدى الورى عيشاً على
أنّني أبكي لبلوى كل مُكْدِ
حين يشقى الناسُ أشقى معهم
وأنا أشقى كما يشقونَ وحدي!
وأنا أخلو بنفسي والورى
كلُّهم عندي ومالي أيّ عندي
لا ولا لي في الدّنا مثوى ولا
مُسْعِدٌ إلاّ دُجى الليل وسُهدي
لم أسِرْ من غربةٍ إلاّ إلى
غربةٍ أنكى وتعذيبٍ أشدّْ
مُتعَبٌ أمشي وَرَكْبي قدمي
والأسى زادي وحمّى البردِ بُرْدي
والدُّجى الشاتي فراشي ورِدا
جسمي المحمومِ أعصابي وجلدي

الشاعر

طائرٌ عشُّهُ الوجودُ وقلبٌ
مُلْهَمٌ عاشقٌ وروحٌ نبيلةْ
ركّب اللّهُ في طبيعتِه الفنَّ
وفي فكرِهِ طموحَ الفضيلةْ
ينشرُ اللحنَ في الوجودِ ويَطوي
بين أضلاعِهِ الجراح الدّخيلةْ
يُفعمُ الكونَ من معانيه شهداً
ورحيقاً حُلْواً ويُطفي غليله
ويُوشّي الحياة سِحراً كما وشّـ
ـتْ خيوطُ الصباحِ زهْرَ الخميلةْ
وفنوناً ألذّ من بسمةِ الطفلِ
ومن نَسْمةِ الصباحِ العليلةْ
وحِواراً أرقَّ من قُبلِ الحب
على وجنةِ الفتاةِ الجميلةْ
أنتَ يا شاعر الحياةِ حياةٌ
و(كمنجٌ) حي ودنيا ظليلةْ
تعشَقُ النور والنّدى وسموَّ الـ
ـروح في النشء والعقولِ الجليلةْ

وتُحبُّ الطموح في الأنفسِ العُظمى
وتحنو على النفوسِ الضئيلة

تستشفُّ الجمالَ منْ ظُلَمِ الليل
ومن زهرةِ الرّبيعِ البليلة

من سكونِ الدُّجى ومن هَجْعةِ الصَّحـ
ـرا ومن وحشةِ القفارِ المَهيلة

وترى الوردَ في الغصونِ خدوداً
قانياتٍ والليلَ عيناً كحيلة

قد عرفتَ الجمالَ في كلِّ شيء
وتغنّيتَ همسهُ وهديلهْ

وتوحّدتَ للجمالِ تُناجيه
وللفنّ تستقي سلْسبيلَهْ

ورفضتَ النفاق والزورَ والزُّلْـ
ـفى وخَلّيْت للورى كلَّ حيلة

ونبذتَ الرّواغَ والملَقَ المُخـ
ـزي وأعباءَهُ الجِسامَ الثقيلة

لمْ تحاولْ وظيفةَ المنصبِ العا
لي ولا تبتغي إليهِ وسيلة

لا ولا تعشقُ النقودَ اللّواتي
نقشتْها يدُ الحياةِ الذليلة

قد تخلّيتَ للجمالِ تناجي
هالةَ الوحي والسماءَ الصقيلة

فـرأيـتَ الـفـضـائـلَ الـبـيـضَ فـي الـدُّنْـ
يـا ولـمْ تـلـمـحِ الـسخـنـا والـرذيـلـةْ

عـشـتَ فـي الـطـهـرِ لـلـخـيـالِ تـوافـيـ
ـهِ كـمـا وافـتِ الـخـلـيـلَ الـخـلـيـلةْ

طـائـراً عـن عـوالـم الـشـر لـمّـا
أودعَ الـلّـهُ فـيـكَ روحـاً غـسـيـلـةْ

❁ ❁ ❁

سائل

مررتُ بشيخٍ أصفرِ العقلِ واليدِ
يدب على ظهرِ الطريقِ ويجتدي

ثقيلِ الخُطا يمشي الهوينا بجوعه
وأحزانِهِ مشي الضريرِ المقيّدِ

ويمضي ولا يدري إلى أين ينتهي
ولمْ يدرِ قبل السَّيْر من أين يبتدي

ويزجي إلى الأسماعِ صوتاً مجرَّحاً
كئيباً كأحلامِ الغريبِ المشرَّدِ

يمدّ اليدَ الصَّفرا إلى كلِّ عابرٍ
ولمْ يجْنِ إلاّ اليأس من مَدَّةِ اليدِ

فيُلقي على الكفِّ النّحيلِ جبينَه
ويسألُ هَل في الأرضِ ظلٌّ لمُسعِدِ

هو الشرُّ ملءُ الأرض والشر طبعُها
هو الشرُّ ملءُ الأمسِ واليومِ والغدِ

وهذا غُبارُ الأرضِ آهاتُ خُيّبٍ
وهذا الحصى حبّاتُ دمعٍ مجمّدِ

رمى الشيخُ فيما حوله نظرةَ الأسى
ومرَّ كطيفِ المستكينِ المهدَّدِ

فيا للفقيرِ الشيخِ يمشي على الطّوى
وفي مأتمِ الشكوى يروحُ ويغتدي

يظنُّ أكفَّ الناسِ تهوي بجودها
إليه ولم يُبْصِرْ سوى وهمِهِ الرَّدي

وجوعٍ يُلوّي نفسه في ضلوعِهِ
فينساقُ لا يدْري إلى أين يهتدي

❁ ❁ ❁

الشمس

أطَلّتْ من الأفقِ بنتُ السماء
مغلّفةً بالشعاعِ النّدي

ووشّتْ بساط الفضا بالسَّنا
وباللّهبِ البارِدِ العسجدي

وبالوهَجِ الدافئِ المشتهي
وبالمنظر السّخرِيّ الأجودِ

فجنّتْ بها نشواتُ الصبا
وفاضت بصدر الضحى الأمردِ

وأهدت سناها السماوي إلى
رؤوسِ الرّبا والثرى الأوهدِ

إلى الطودِ والسهلِ والمنحنى
إلى الماءِ والطينِ والجلمدِ

إلى الكوخِ والقصرِ مهدِ الغنى
إلى السوقِ والسجنِ والمعبدِ

ووزّعتِ النورَ في العالمين
وجادتْ على العبدِ والسيّدِ

على المترفين على البائسين
على المُجتدَى وعلى المجتدي

وأدّتْ رســـالـــتَـــهـــا حـــرّةً
إلـــى أقـــربِ الـــكـــون والأبـــعـــدِ

جـرى عـدلُ بـنـتِ الـسـمـا فـي الـوجـودِ
حـــفـــيّـــاً بـــجـــيّـــده والـــرّدي

وأنـــفـــقـــتِ الـــنـــورَ أمُّ الـــضـــحـــى
فـــزادتْ ثـــراءً إلـــى ســـؤدُدِ

وأربـــتْ جـــمـــالاً وزادتْ ســـنـــاً
ونـــوراً إلـــى نـــورِهـــا الـــســـرمـــدي

وطـــالـــتْ حـــيـــاةً فـــمـــا تـــنـــتـــهـــي
مـــن الـــعـــمـــرِ إلاّ لـــكـــي تـــبـــتـــدي

وأعـــطـــتْ فـــدامَ ســـنـــا مـــلـــكِـــهـــا
جـــديـــدَ الـــصّـــبـــا دائـــمَ الـــمـــولـــدِ

ومـــا زادهـــا كـــثـــرُ إنـــفـــاقِـــهـــا
ســـوى الـــتـــرفِ الأكـــثـــرِ الأخـــلـــدِ

* * *

لـــقـــد ضـــربَ الـــلّـــهُ أمـــثـــالَـــهُ
ومـــن يُـــضـــلـــلِ الـــلّـــهُ لا يـــهـــتـــدي

⊛⊛⊛

أنا والشعر

هاتي التآويهَ يا قيثارتي هاتي
وردّدي من وراءِ الليل آهاتي

وترجمي صوتَ حبّي للجمالِ ففي
نجواكِ يا حلوةَ النجوى صباباتي

قيثارتي صوتُ أعماقي عصرتُ بها
روحي وأفرغتُ في أوتارها ذاتي

* * *

قيثارتي أنتِ أمُّ الشِّعرِ لم تلدي
إلاّ غِنا الخُلدِ أو لحنَ البُطولاتِ

أودعتُ نجواكِ آياتِ النبوغِ فيا
قيثارتي لقِّني التاريخَ آياتي

وغرّدي بخيالاتي العِذابِ فما
حقيقةُ السحرِ إلاّ مِنْ خيالاتي

وشاعرُ الطبعِ موسيقى الغيوبِ إذا
غنّى أرى الأرضَ أسرار السماواتِ

قيثارتي إنني ابْن الشعر أنجبني
للخلدِ، للعبقرياتِ الفتيّاتِ

وللحياةِ وللدنيا ونضرتِها
للحبّ للنورِ للزُّهْرِ الصَّبيّاتِ

* * *

وحدي مع الشعرِ هزّتني عواطفه
فرقصتْ عِطْفَه النّشوانَ رنّاتي

وشفّ لي خافي الدّنيا وألهمني
سحر الجمالِ وأسرارَ الجلالاتِ

وهبتُ للشعرِ إحساسي وعاطفتي
وذكرياتي وترنيمي وأنّاتي

فهو ابتسامي ودمعي وهو تسليتي
وفرحتي وهو آلامي ولذّاتي

يفنى الفَنا! وأنا والشعرُ أغنيةٌ
على فمِ الخُلْدِ يا رغم الفنا العاتي

أحيا مع الشعرِ يشدو بي وأُنشِدُهُ
والخلدُ غاياتُه القصوى وغاياتي

* * *

بعد الحبّ

لا تسلْ كيفَ ابْتدَيْنا لا، ولا كيف انتهينا
لا تقلْ كيف انطوى الحبُّ ولا كيف انطوينا
ملعَبٌ دارَ بعُمْرَيْنا فولّى مَن لَدَيْنا
وانقضى الدَّوْرُ فعدنا عنه من حيثُ أتيْنا
لا تسلْ كيف تناءَيْـ ـنا ولا كيف التقينا
لا تقل كنا وكان الشَّـ ـوقُ مِنّا وإلينا
هل شربنا خمرَةَ الحـ ـبِّ وهل نحنُ ارتوينا
آه لا خمرٌ ولا حبٌّ متى كانَ وأينا
لاحتِ الكأسُ لشغريْـ ـنا وجَفَّتْ في يدينا

* * *

عندما لاحَ بريقُ الـ ـكأسِ ولّتْ بالبريقِ
وارتشفنا من رحيقِ الـ ـحبِّ أطيافَ الرحيقِ
وتلاشى حُلُمُ الصَّفْوِ كأنفاسِ الغريقِ
هكذا كان تلاقينا على الدَّوْرِ الأنيقِ

* *

وانتهى الدّور وها نحن انتهينا من صِبانا
حيثُ طافَ الحبُّ كالوهم وكالوهم تفانى
وانطوى عنّا كما تطوي الدّياجيرُ الدّخانا
وتركنا في رمال الـ ـحُبِّ آثارَ خُطانا

غـيـر أنَّـا قـد نـسـيـنـا أو تـنـاسَـيْـنـا لـقـانـا
وسـألـنـا الـوهـم بـعـد الـحـبِّ هـلْ كـنّـا وكـانـا
أيـنَ مِـنّـا الـمـلـعـبُ الـطّـفـلُ تُـنـاغـيـهِ مُـنـانـا

* * *

مـلـعـبٌ دُزنـا بـه حـيـنـاً فـأضـبـانـا ومَـلاَ
مـلـعـبٌ مـا كـان أصـفـاه ومـا أشـهـى وأخـلـى
غـاب فـي الأمـسِ فـولّـيْـنـا عـن الأمـسِ وولّـى
وتـسـلّـيْـنـا ومـنْ لـمْ يـلـقَ مـا يـهـوى تـسـلّـى

❁❁❁

روح شاعر

قدم الشاعر هذه القصيدة إلى المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام ترحيباً بنزوله إلى اليمن، وزيارته دار العلوم في صنعاء.

صافحَتْك القلوبُ قبل النواظرْ
واستطارتْ إلى لقاك الخواطرْ

وتلقَّاك عالمُ اليمنِ الحُرُّ
كما لاقتِ النفوسُ البشائرْ

وارتمى يسكبُ التراحيب ألوا
ناً كما تسكبُ اللحونَ القياثرْ

وتملّتْ نزولكَ اليمنُ الخَضْـ
ـرا ففاضت بالأغنياتِ الحناجرْ

وتنزَّلْتَ في مغاني حماها
مثلما يَنزلُ الشعاعُ المحاجرْ

وهفا الموطنُ الكريمُ يُحيِّي
مشعلَ العلمِ في سناك الباهرْ

وتغلغلتَ في حناياه كالْـ
إيمانِ كالطهرِ في عفافِ الضمائرْ

كالمنى في القلوبِ كالدَّم في الأبْـ
ـدانِ، كالسُّكرِ في دماغ المُعَاقِرْ

قد تلقَّاكَ موطني ينثرُ التَّـ
حيب في راحتيْكَ نثر الجواهر
وانتشى من شعاعكَ العلمُ لمَّا
زرتَ (دارَ العلومِ) يا خيرَ زائر
وازدهى الشعرُ ينثرُ النغمَ الحُلْـ
ـو كما ينثرُ الربيعُ الأزاهر
قد رأى (موطني) بمرآكَ (مصراً)
منبتَ الفنِّ والإبا والعباقر
مصرُ أُمُّ الحجازِ واليمنِ السّا
مي وأمُّ الشآمِ أمُّ الجزائر
وحدةُ العُربِ رايةٌ في رباها
ومُنى العُربِ في يديها زواخر
شادها اللَّهُ للعروبةِ داراً
وابْتناها بنيّراتِ الزواهر
بلدةٌ تنبتُ العلومَ وأرضٌ
تلد المجدَ والعلا والمفاخر
نيلها المستفيضُ أنشودةُ اللَّـ
ـهِ على مِسمعِ الليالي العوابر
وحِماها كنانةُ اللَّه ترمي
في وجوهِ العدا السّهامَ الثوائر

*

يـا ابْـنَ مـصـرَ الـتـي تـلاقـت عـلـيـهـا
شـيـمُ الـعُـرْبِ والـنّـفـوسُ الـحـرائـرْ

عـلـمـكَ الـعـلـمُ يـنـشـرُ الـديـنَ فـي الـدُّنْـ
ـيـا كـمـا تـنـشـرُ الـشـعـاعَ الـمـنـائـرْ

وتـجـوبُ الـشـعـوبَ فـي خـدمـةِ الإنْـ
ـلامِ والـحـقُّ وارتـبـاطِ الأواصـرْ

إيـه عـزّامُ أنـت وعـيٌ مـن (الـنّـيْـ
ـلِ إلـى الـعُـرْبِ تـسـتـثـيـرُ الـمـشـاعـرْ

وسـفـيـرٌ تـشـيّـدُ الـوحـدةَ الـشّـمْـ
ـا وتـسـتـنـهـضُ الـسـنـا فـي الـبـصـائـرْ

وتـنـادي الـبـلادَ لـلاتـحـاد الـ
ـحُـرِّ والاتـحـادُ أقـوى مُـنـاصـرْ

إنَّ فـي وحـدةِ الـعـروبـةِ مـجـداً
خـالـداً ثـائـراً عـلـى كـلِّ ثـائـرْ

إنـمـا الـعُـرْبُ أمّـةٌ وحّـدتـهـا
لـغـة الـضـادِ والـدمـا والـعـنـاصِـرْ

إنـمـا الـعـربُ أمّـةٌ هـزتِ الـدُّنْـ
ـيـا وشـقّـتْ سـودَ الـخـطـوبِ الـعـواكـرْ

إنَّ لـلـعـربِ غـابـراً داس (كـسـرى)
وتـمـشّـى عـلـى رؤوسِ الـقـيـاصـرْ

فـاسـتـمـدّي يـا أمّـتـي مـن سـنـا الـمـا
ضـي مـعـالـيـكِ واعـمـري خـيـرَ حـاضـرْ

يـأنـفُ الـمـجـدُ أن يـلاقـي بـنـيـهِ
فـي يـدَي غـاصـبٍ وفـي كـفُّ آسـرْ

فـاطـمـحـي أمّـتـي إلـى كـلِّ مـجـدِ
وانـهـضـي نـهـضـةَ الـصـبـاحِ الـبـاكـرْ

يـا سـفـيـرَ الـتـضـامـنِ الـحـرُّ غـنّـتْ
سـعـيَـكَ الـحـرَّ أمـنـيـاتـي الـشـواعـرْ

وتـلاشـت عـلـى هـوى الـعُـزبِ روحـي
نَـغَـمـاً مـلـهـمَ الـغِـنـا والـمـزاهـرْ

ونـشـيـداً أفـرغـتُ فـيـه أحـاسِـيـ
ـسـي وذاتـي وخـافـقـي والـسـرائـرْ

فَـتَـلَـقَّـى يـا شـاعـرَ الـنـيـلِ شـعـري
فـهـو شـعـرٌ عـنـوانُـهُ (روحُ شـاعـرْ)

❁❁❁

أمّي

تركتني هاهُنا بينَ العَذابِ
ومضتْ، يا طولَ حُزني واكْتئابي
تركتْني للشّقا وحدي هنا
واسْتراحتْ وحدَها بينَ الترابِ
حيثُ لا جَورٌ ولا بغيٌ ولا
ذَرَّةٌ تبنى وتُنبي بالخرابِ
حيثُ لا سيفٌ ولا قُنبُلَةٌ
حيثُ لا حربٌ ولا لَمْعُ حِرابِ
حيثُ لا قيدٌ ولا سوطٌ ولا
ظالمٌ يطغى ومظلومٌ يحابي

* * *

خلّفتْني أذكرُ الصفوَ كما
يذكرُ الشيخُ خيالاتِ الشّبابِ
ونَأتْ عنّي وشوقي حولها
ينشُدُ الماضي وبي، أوَّاهُ ما بي
ودعاها حاصدُ العمرِ إلى
حيثُ أدعوها فتعيا عن جوابي
حيثُ أدعوها فلا يسمعُني
غيرُ صمتِ القبرِ والقفرِ اليبابِ

موتُها كان مصابي كلَّه
وحياتي بعدها فوقَ مصابي

*

أين مني ظلُّها الحاني وقدْ
ذهبتْ عني إلى غير إيابِ
سحبتْ أيّامَها الجرحى على
لفحةِ البيدِ وأشواكِ الهضابِ
ومضتْ في طرقِ العمر فمن
مَسْلكٍ صعْبٍ إلى دنيا صعابِ
وانتهتْ حيثُ انتهى الشوطُ بها
فاطمأنّتْ تحتَ أستارِ الغيابِ

آه يا (أمّي) وأشواكُ الأسى
تُلْهبُ الأوجاعَ في قلبي المُذابِ
فيكِ ودّعتُ شبابي والصّبا
وانطوتْ خلفي حلاواتُ التصابي
كيفَ أنساكِ وذكراكِ على
سِفْرِ أيّامي كتابٌ في كتابِ
إنّ ذكراكِ ورائي وعلى
وُجهتي حيثُ مجيئي وذهابي
كمْ تذكّرتُ يديْكِ وهما
في يدي أو في طعامي وشرابي

كـان يُـضـنـيـكِ نـحـولـي وإذا
مـسّـنـي الـبـردُ فـزَنْـداكِ ثـيـابـي

وإذا أبـكـانـي الـجـوعُ ولـم
تـمـلـكـي شـيـئـاً سـوى الـوعـدِ الـكـذابِ

هَـدْهَـدَت كـفّـاك رأسـي مـثـلـمـا
هـدهـدَ الـفـجـرُ ريـاحـيـنَ الـرّوابـي

* *

كـم هـدتـنـي يـدك الـسـمـرا إلـى
حـقـلـنـا فـي (الـغَـوْل) فـي (قـاع الـرّحـابِ)[1]

وإلـى الـوادي إلـى الـظـلّ إلـى
حـيـثُ يُـلـقـي الـروضُ أنـفـاس الـمـلابِ[2]

وسـواقـي الـنّـهـرِ تُـلـقـي لـحـنـهـا
ذائـبـاً كـالـلـطـفِ فـي حُـلْـو الـعـتـابِ

كـمْ تـمـنّـيـنـا وكـمْ دَلَّـلْـتِـنـي
تـحـت صـمـتِ الـلـيـلِ والـشـهْـبِ الـخـوابـي

* *

كـمْ بـكـتْ عـيـنـاكِ لـمّـا رأتـا
بـصـري يُـطْـفـا ويُـطـوى فـي الـحـجـابِ

وتـذكّـرتِ مـصـيـري والـجـوى
بـيـن جـنـبـيـك جـراحٌ فـي الـتـهـابِ

*

(1) الغول: كحول وهو ما هبط من الأرض. وقاع الرحاب من حقول والد الشاعر في قريته.

(2) الملاب: كسحاب وهو العطر أو الزعفران.

هــــا أنـــا يـــا أمّـــي الـــيـــومَ فـــتـــىً
طـائـر الـصّـيـت بـعـيـدٌ فـي الـشـهـابِ

أمـــلأُ الـــتـــاريـــخَ لـــحـــنـــاً وصـــدىً
وتُـــغـــنـــي فـــي ربـــا الـــخـــلـــدِ ربـــابـــي

فـــاســـمـــعـــي يـــا أمُّ صـــوتـــي وارقـــصـــي
مـــن وراءِ الـــقـــبـــرِ كـــالـــحَـــوْرا الـــكَـــعـــابِ

هـــا أنـــا يـــا أمُّ أرثـــيـــكِ وفـــي
شـــجـــوِ هـــذا الـــشـــعـــرِ شـــجـــوي وانـــتـــحـــابـــي

۞ ۞ ۞

فلسفة الجراح

متألّمٌ.. مِمَّ أنا متألّمُ؟
حارَ السؤالُ، وأطرقَ المستفهمُ

ماذا أُحِسُّ؟ وآه حزني بعضُهُ
يشكو فأعرفُهُ وبعضٌ مبهمُ

بي ما علمتُ من الأسى الدامي وبي
من حرقةِ الأعماقِ ما لا أعلمُ

بي من جراحِ الرّوحِ ما أدري وبي
أضعافُ ما أدري وما أتوهّمُ

وكأنّ روحي شعلةٌ مجنونةٌ
تطغى فتضرمني بما تتضرّمُ

وكأنّ قلبي في الضلوعِ جنازةٌ
أمشي بها وحدي وكلّي مأتمُ

أبكي فتبتسمُ الجراحُ من البكا
فكأنها في كلّ جارحةٍ فمُ

* * *

يا لابتسامِ الجرحِ كمْ أبكي وكمْ
ينسابُ فوقَ شفاهِهِ الحمرا دمُ

أبداً أسيرُ على الجراحِ وأنتهي
حيثُ ابتدأتُ فأينَ مني المختمُ؟

وأُعارِكُ الدنيا وأهوى صفوها
لكن كما يهوى الكلامَ الأبكمُ

وأُبارِكُ الأمَّ الحياةَ لأنها
أمّي وحظّي من جناها العلقمُ

حرماني الحِرمانُ إلاّ أنّني
أهْذي بعاطفةِ الحياةِ وأحلمُ

والمرءُ إن أشقاه واقعُ شؤمِه
بالغبنِ أسعدَهُ الخيالُ المنعمُ

*

وحدي أعيشُ على الهمومِ ووحدتي
باليأسِ مفعَمةٌ وجَوّي مفعمُ

لكنّني أهوى الهمومَ لأنها
فِكَرٌ أفسرُ صمتَها وأترجمُ

أهوى الحياة بخيرِها وبشرِّها
وأحبُّ أبناءَ الحياةِ وأرحمُ

وأصوغُ (فلسفةَ الجراحِ) نشائداً
يشدو بها اللاّهي وَيُشْجَى المؤلَمُ

❁❁❁

تحت الليل

منكِ الجمالُ ومني اللّحنُ والشادي
يا خمرةَ الحب في أكواب إنشادي

وحدي أغنيكِ تحتَ اللّيلِ محتملاً
جوعَ الغرامِ، وأشواقُ الهوى زادي

هنا أناجيكِ والأطيافُ تدفعُني
في عالمِ الحبِّ من وادٍ إلى وادي

والقلبُ في زحمةِ الأشواقِ مضطربٌ
كزورقٍ بين إرغاءٍ وإزبادِ

ووحشةُ الظّلمةِ الخَرْسا تهدّدُني
كأنها حولَ نفسي طيفُ جَلاّدِ

والصّمتُ يجثو على صدرِ الوجود وفي
صمتي ضجيجُ الغرامِ الجائعِ الصّادي

واللّيلُ يسري كأعمى ضلّ وجهتَه
وغاب عن كفِّه العُكّازُ والهادي

كأنه فوق صمتِ الكونِ قافلةٌ
ضلّت وضلّ الطريقَ السَّفْرُ والحادي

ولمْ أزلْ أتشهّى منكِ بارقةً
من عاطفِ الحبِّ، أو إشراقَ إسعادِ

وحبك الحبُّ أخفيه فأنفُثه
شِعراً فينصب خافيهِ إلى البادي

وحدي أناديك من خلفِ الشجونِ فيا
نجيّةَ الحبِّ نادي لَوْعَتي نادي

فطالما تُهْتُ في دنيا هواك وما
هوّمْتُ خلف الخيالِ الرائحِ الغادي

أهفو إليكِ وحولي كلُّ أمنيةٍ
تفنى ولليأسِ حولي ألفُ ميلادِ

واليأسُ يطغى وجوعُ الحب في كبدي
يضِجّ ما بين إبراقٍ وإرعاد

❁❁❁

البعث العربي

قيلت هذه القصيدة بمناسبة المؤتمر الذي عقده أقطاب العرب الثلاثة جلالة (الإمام أحمد) و(الرئيس جمال عبد الناصر) وجلالة (الملك سعود).

وحدةُ المجدِ والفخارِ التّليدِ
زعْزعَتْ مرقَدَ الصباحِ الجديدِ

واسْتطارتْ تحثّ قافلةَ الفتحِ
وتطوي الحدودَ بعدَ الحدودِ

وتناجي العدا بألسنةِ النّا
رِ وبالموتِ منْ شفاهِ الحديدِ

وحدةٌ يعْرُبيّةٌ وانطلاقٌ
عربيٌّ يهُزُّ صمتَ اللّحودِ

إنما العُزبُ ثورةٌ وحّدتها
يقظةُ البعْثِ وانتفاضُ الوجودِ

فـ(ابْنُ يحيى) مؤزَّرٌ بـ(جمالٍ)
و(جمالٌ) مؤزّرٌ بـ(سعودِ)

وحّدتْ شملَهم كبارُ الأماني
والدّمُ الحرُّ واعتزازُ الجدودِ

قد تلاقى الحجازُ واليمنُ الميـ
ـمونُ والنّيلُ في اتحادِ الجهودِ

واستفاقت مواطنُ العَرَب الشُّـ
مُ فعودي يا رايةَ العُربِ عودي
واذكري في المعاركِ الحُمْرِ (سعداً)
و(عليّاً) و(خالدَ بنَ الوليدِ)[1]
تأنف العُرْب أن تدوس حِماها
الحُرَّ شرُّ العبيدِ أدنى العبيدِ
آن آن الفدا وثار الدَّمُ الحُرُّ
يُذيبُ القيودَ إثرَ القيودِ
يا نفوسَ اليهودِ ذوبي، وذوبوا
من لظى الغيظِ يا عبيدَ اليهودِ
فجيوشُ الجهادِ تزحفُ للثأ
رِ وتهفو إلى الحمى المنشودِ
يا فلسطينُ حققتْ وحدةُ العُر
ب أمانيكِ فاطْمحي واستزيدي
وانفضي عن رباكِ سودَ الليالي
واستفيقي على زئيرِ الأسودِ
هذه (غَزّةٌ) تفيض الْتهاباً
والجنودُ الأباةُ تِلْوَ الجنودِ
وعلى (جُدّةٍ) تجدّد عهدُ الـ
عُربِ واهتاجَ للوثوبِ المجيدِ

*

(1) سعد: يريد سعد بن أبي وقاص بطل القادسية.

يـا بـريـطـانـيـا وقـد هُـيـئ الـمَـيْـ
ـدانُ هـيّـا إلـى الـعِـراكِ الـعـنـيـدِ

إنـمـا نـحـنُ أمـةٌ تـبـذلُ الأر
واحَ فـي ذمـةِ الـعـلا والـخُـلـودِ

تـفـتـدي الـمـجـدَ بـالـنفـوسِ وتَـشـفـي
غُـلّـةَ الـثـأرِ مـن جـراحِ الـشـهـيـدِ

فـتـخـلّـيْ عـن الـجـنـوبِ وخَـلّـي
(كَـمَـرانَ) الـمـصـونَ حـرَّ الـبـنـودِ

دون مـا تـبـتـغـيـن صـاعـقـةُ الـمـو
تِ وبـرقُ الـقـنـا وقـصْـفُ الـرعـودِ

ويـلَ مـن يَـعـمـرُ الـقـصـورَ عـلـى الـنـا
رِ ولا يـتّـقـي خَـمـاسَ الـوَقـودِ

أمـةُ الـعُـرْب ضـمّـهـا صَـلَـفُ الـجُـرْ
ح الـمُـدمّـى وكـبـريـاءُ الـحُـقـودِ

كـلّـهـا أقـسـمـتْ بـأن تـنـشـرَ الأر
واحَ دون الـحـقـوقِ نـشـرَ الـورودِ

وتـروّي صـدرَ الـجـهـاد وتـمـحـو
عـن جـبـاهِ الأبـاةِ ذُلَّ الـسـجـودِ

وتـرى مـجـدَهـا الـبـعـيـدَ بـعـيـداً
ولِـواهـا يَـرفُّ خـلـفَ الـبـعـيـدِ

جــدّدتْ بـــالــيَ الــعــهــودِ وأحــيــتْ
مــيّــتَ الــمــجــدِ والإبــا مــنْ جــديــدِ

وتــســامَــتْ تــشــيــدُ مــســتــقــبــلَ الــعُــزْ
بِ عــلــى زَهْــوةِ الــصــبــاحِ الــولــيــدِ

⊛⊛⊛

منبت الحب

هاهُنا لاح لنا الحبُّ وغابا　　وتشظّى في يدِ الأمسِ وذابا
نبتَ الحبُّ هنا كيف غدا　　في ترابِ المنبِتِ الزاكي ترابا!
هذه البقعةُ ناغتْ حُبنا　　فصبا الحب عليها وتصابى
وسقتنا الحبَّ صفواً وهَنَاً　　ثُمّ أسقتناه ذكرى وانتحابا
كان حبٌ ثم أضحى قصةً　　تنقلُ الأمس خيالاتٍ كِذابا
قصّةً تائهةً نقرأها　　من فمِ الذكرى فصولاً وكتابا

*

هذه البقعةُ كمْ تعرفُنا　　كمْ سقيناها ترانيما عِذابا
وزرعناها وداعاً ولِقاً　　وفرشناها حِواراً وعِتابا
ليتها تنطقُ كي تُنشدَنا　　قصةَ القلبيْن خفقاً واضطرابا
ليتها تُصغي لنا نسألُها　　عن هوانا ليتها تعطي جوابا

نحنُ ذُقْنا الحبَّ فيها خمرةً　　وصحوْنا فوجدناهُ سرابا
نحنُ غنّينا شبابَيْنا هنا　　وتلفّتنا فلمْ نلقَ الشبابا
منبتُ الحبِّ دعانا للهَنا　　فمضينا ننهبُ الصفو انتهابا
منبتُ الحبِّ حوانا ظلُّهُ　　لحظةً وانقلب الظلُّ التهابا
فسكبنا حوله كأس المنى　　وملأنا الكأس دمعاً وعذابا
ورجعنا عنه نستجدي البُكا　　ونُباكي أملاً في الحب خابا

❁ ❁ ❁

محنة الفنّ

أنـــا مـــنْ غـــازلَ الـــجـــمـــالَ وغـــنّـــى
لــلــمــعــالــي لــحــنــاً ولــلــحــبِّ لــحــنــا
عــاشَ بــيــن الــهــوى وبــيــن مُــنــى الــمَــجْــ
ــدِ ولــم يــلــقَ عــمــره مــا تــمــنّــى
واســتــخــفَّ الــحــيــاةَ بــالــشّــذْوِ حــتــى
زادَهــا فــوقَ حــســنــهــا الــبــكــرِ حُــسْــنــا
قــلــبــي الــقــلــبُ يــحــمــل الأمــس والــيــو
مَ ويــلــقــي لــمُــقــبــل الــعُــمْــرِ ظــنّــا
قَــلْــبــي الــقــلــبُ لــم يــفــارِقْــهُ آتِ
لا ، ولا الأمــسُ فــي حــنــايــاه يــفــنــى
قَــلــبــي الــقــلــبُ إن بــكــى رقــص الــدُّنْــ
ــيــا بُــكــاهُ وحــوّلَ الــدمــعَ فَــنّــا

* * *

دمــعــةُ الــفــنِّ بــســمــةٌ فــي شــفــاه الْــ
ــخُــلْــدِ أصــفــى مــن الــصــبــاحِ وأسْــنــى
فــي ظــلالِ الــربــيــعِ قــطّــرتُ أنــفــا
ســي نــشــيــداً أرقَّ مــنــه وأحــنــى
وعــصــرتُ الــشــجــونَ فــي الــروضــةِ الْــ
ــغــنّــا لــحــونــاً أنــدى وفــنّــاً أغــنّــا

مــن جــمــالِ الــحــيــاةِ ســلــســلــتُ أنــغــا
مــي وغــنــيــتُ عِــطْــفَــهــا فــتــثــنَّــى

مــن هــمــومِ الــجــيــاعِ غــنــيــتُ لــلــجــو
عِ وصــغــتُ الــهــمــومَ بــحــراً ووزنــا

وتــخــيَّــرتُ لــلــمــغــنــيّ غِــنــاءً
مُــتــرَفــاً راقــصــاً كــأعــطــافِ حَــسْــنــا

أنــا أشــدو لــكــلِّ قــلــبٍ طــروبٍ
أنــا أبــكــي لــكــلِّ قــلــبٍ مُــعَــنّــى

* * *

(مــحــنــةُ الــفــنِّ) مــحــنــةٌ تــتُــعــب الــ
ـفــنّــانَ والــخــلــدُ مــن مــعــانــيــه يَــهْــنــا

كــلُّ مــا بــي أودعــتُــهُ الــشــعــر لــكــن
فــي ضــمــيــري شــعــرٌ أنــا مــنــه مُــضــنــى

لا تــســلــنــي يــا صــاحــبــي أيُّ شــعــري
كــانَ أعــلــى أو أيُّــه كــانَ أدنــى

أجــمــلُ الــشــعــرِ نــغــمــةٌ لــمْ أُوقِّــعْــهــا
وصــمــتــي يَــطــوي لــهــا ألــفَ مــعــنــى

فــتــنــفَّــسْ يــا صــمــتَ شــعــري بــمــا فــيــ
ــيــكَ لــعــلّــي يــا شــعــرُ أن أطــمــئــنّــا

وتــأوَّهْ لــعــلَّ آهــاتِــك الــســجــر
حــى تــلاقــي فــي ضــجــةِ الــكــونِ أذنــا

آه يــا شــعــرُ، آه قــد قــيّــدَ الــصَّــمْــ
ــتُ أغــانــيــكَ فــاتــخــذْ مِــنــه ســجــنــا

من هواها

أنـا وحـدي هـنـا وكـلّـي لـديـهـا أسكبُ القلب قبلةً في يديها
فهي خلف البعادِ والوهمُ يُدنيـ ـها ويدني إلى فمي شفتيها
مِنْ صباها جنيتُ أزهارَ شعري واقتطفتُ اللحونَ من وجنتيها
مِنْ هواها أذوبُ منها، وفيها مِنْ هواها بكيْتُ منها عليها
كـلّـمـا شئتُ أنْ أفِرَّ بـقـلـبي مِنْ هواها فررتُ منها إليها

أيـنَ عـنـهـا أحـيـدُ أو أيـنَ بـالـقـلـبِ أنـفِـرُ
وهـي جَـوّي ومِـهْـبـطِـي وهـواي الـمـسـعَّـرُ
وهـي فـي الـقـلـبِ عـالَـمٌ بـالـصـبـابـاتِ يـزْخَـرُ

* * *

وهي في الصدرِ ألفُ قلبٍ يغنّي بـهـواهـا ومـوجـةٌ مـن لـهـيـبِ
إنها وحدَها نصيبي من الحبِّ ويا حبُّ أينَ مني نصيبي؟
هي دنياً تموجُ بالسحرِ والدَّلِّ وترفضُ بالسّنا والطّيوبِ
حلوةٌ كالأشعّةِ الزُّهْرِ كالأشـ ـواقِ كالشعرِ كالخيالِ العجيبِ
فَهي فنٌّ مجسدٌ يُلهمُ الفنَّ حوارَ السما ونجوى الغيوبِ

* *

وهـي سـحـرٌ مـركَّـبٌ وفـتـونٌ مـجـسـمُ
كـلُّ صـوتٍ يـمـرُّ فـي شـفـتـيـهـا تَـرنُّـمُ
وكـأنّ الـحـروفَ مِـنْ ثـغـرِهـا الـحـلـوِ تَـبـسـمُ
كـلّـمـا حـدَّثـتْ تـلألأتِ الألـ ـفاظُ مِنْ ثغرِها كفجرِ الرّبيعِ

ومشتْ في حديثِها نشوةُ الـ حسنِ وترنيمةُ الدَّلالِ الطبيعي
إنّها والهوى بأعطافِ لحني رقصةُ السّحرِ والجمالِ الرفيعِ
حبّها في فمي نشيدٌ أغنّيـ ـه ولحنٌ مُذوَّبٌ في دموعي
لا فراقٌ وإنْ تناهى بها البعـ ـدُ وقلبي وحبها في ضلوعي

لا انقطاعٌ فحبُّنا أبديٌّ ومُلْهَمُ
حبُّنا شاعرٌ على ربوةِ الخلدِ يحلُمُ
لا انفصالٌ فإننا في عروقِ الهوى دمُ

۞ ۞ ۞

راهب الفنّ

ساهرُ الجُرح لم ينَمْ كيفَ يغفو على الضَّرمْ
مؤلَمٌ كلّما بكى سخر الجُرحُ وابتسمْ
لا تسلْ عنه إنّهُ ضاعَ في زحمةِ الظُّلَمْ
شاعرٌ يعزفُ الشقا ويُغنّي الدُّجى الأصمّ
حارَ في الحبِّ قلبُهُ حَيرةَ الصمتِ في القِممْ
راهبُ الفنِّ صدرُهُ للصَّباباتِ مُزدحمْ
كلّما كتَّمَ الهوى فضحَ الفنُّ ما كتمْ
كلّما صانَ سرَّه ضجّ في الصدرِ واحتدمْ
لَمْ يُطِقْ حِشْمَةَ الجَوى من رأى الشاعرَ احتشمْ[1]؟
لا تسلْ ما شدا ولا كيف غنّى الهوى؟ وكمْ؟
شاعرٌ ذابَ صمتُهُ في كؤوس الهوى نَغَمْ
وسقاه الحنينُ منْ كأسِهِ خمرةَ العدَمْ
إنَّ تاريخَ عمرِهِ قصةُ الحبِّ والألمْ
كلّما ازتاد مرتعاً للهوى عادَ بالندمْ

❁ ❁ ❁

---

(1) الحشمة: بالكسر الحياء والانقباض.

منها وإليها

أنتِ يا كلَّ من أحبُ وأهوى
في حنيني شعرٌ وفي الصمتِ نجوى

أنتِ في كلِّ دَقّةٍ من فؤادي
نغماتٌ من خمرةِ الحبِّ نَشْوى

وغِناءٌ مُدلَّهٌ ينشرُ الحبُّ
صداه وفي فمِ الصمتِ يُطوَى[1]

في ضلوعي إليكِ شوقٌ وقلبٌ
شاعرٌ يعزفُ الصباباتِ شَذْوا

وعِتابٌ يفضي إليكِ فإن لا
قاكِ أغضى وذاب في القلبِ شكوى

وبقلبي إليكِ شعرٌ سأرويـ
ـهِ وشعرٌ في خاطري ليس يُروى

أيَّ فنٍّ أشدو؟ وماذا أغنّيـ
ـكِ وفنُّ الجمالِ أسمى وأقوى؟

أيَّ لحنٍ أهدي إليكِ ومَغْنا
كِ لحونٌ تسمو على الفنِّ زَهْوا؟

(1) المدله: الساهي القلب، الذاهب العقل.

آه جفّ النشيدُ إلاّ نشيداً
أنا فيه أذوب عُضْواً فعُضْوا

آه يا قلبُ إنها صبوةُ الحسـ
ـنِ المُغنّى وأنتِ أصبى وأغوَى

حسنُها شاعرُ الفنونِ وحبي
عبقريٌّ يطارحُ الحسنَ شَجْوا

كلُّ شعرٍ غنّيتُهُ فهو منها
وإليها والفنُّ يحسوهُ صَفْوا

۞۞۞

أمُّ الكرْم

نظم الشاعر هذه القصيدة عند زيارته الروضة المعروفة، 17 ذو الحجة سنة 1374هـ

نشوةُ النورِ وأحلامُ الجِنانِ
وشذا الأنسامِ والجوّ الجُماني

رقصتْ في الروضةِ الغنّا كما
ترقصُ الحورُ على شدو المثاني

وصبتْ معجزةُ الحسن بها
صبوةُ السّكرِ بأعطافِ الغواني

بلدةُ الفنِّ و(أمُّ الكَرْمِ) في
حضنِها الحاني صبتْ أمُّ الدّنانِ

نسّقَ الفنُّ حواشي كرمِها
فتعانقنَ على بُعدِ المكانِ

وطلى بهجتَها صفوُ الندى
والصباحُ الطفلُ ورديُّ البنانِ

والعناقيدُ على أغصانِها
كالنّهودِ العاطفياتِ الحواني

وتدلّتْ كالقُروطِ البيضِ من
أذُنِ الغيدِ المليحاتِ الحسانِ

* * *

روضةٌ فوحاءُ فِرْدَوْسِيَّةٌ
تَلِدُ اللّذاتِ آناً بعدَ آنِ

كلُّها راحٌ ورَوحٌ عَبِقٌ
وظلالٌ وتثنّي غصن بانِ

وزهورٌ تبعثُ العطرَ كما
تبعثُ السكرَ العناقيدُ الدَّواني

تفرشُ الجوَّ جمالاً وشذاً
والثرى ظلاًّ نديَّ العِطف هاني

* * *

الهوى الممراحُ فيها والصِّبا
وحوارُ الوصلِ فيها والتداني

وفنونُ الحسنِ فيها والغنا
مِهرجانٌ يرتمي في مهرجانِ

والعصافيُر على أدواحِها
كالقياثيرِ على أيدي القِيانِ

تسكبُ اللحنَ على مرقصِها
فتوشّي الجوَّ رقصاً وأغاني

وكأن النّهرَ في أحضانِها
شاعرٌ ذوّبه فَرطُ الحنانِ

ومحبٌّ كلّما ناجى الهوى
طلسمتْ نجواه (فوضاءُ) الزَّمانِ

فـتـخـالُ الـنـهـرَ مـحـمـومَ الـغِـنـا
مـطـربـاً هـيـمـانَ مـعـقـودَ الـلـسـانِ

وكـأنَّ الـروضـةَ الـغـنّـا عـلـى
مـائـهِ فـجـرُ الـهـوى طـفـلُ الأمـانـي

* *

بـلـدٌ تـوحـي مـجـالـيـه إلـى
مِـزهَـرِ الـفـنـان أبـكـارَ الـمـعـانـي

قـلـت لـلـشّـعـرِ وقـد سـاجـلـه
نـغـمُ الـفـنّ وسـحـرُ الافـتـنـانِ

أتـراهُ سـرقَ الـفـردوس أمْ
هـو فـردوسٌ بـحِـضـن الأرضِ ثـانـي

❁ ❁ ❁

نجوى

أناجيكِ يا أختَ روحي كما
يُناجي الغريبُ خيالَ الحِمى
وأهفو إليكِ مع الأمنياتِ
كما يرتمي الفكرُ نحو السما
وأظما إليكِ فتُروي المُنى
خيالي ويَزْدادُ روحي ظما
وأبكي ويبكي خيالي معي
نشيداً يُباكي الدُّجى الأبكما

* *

أيا قلبُ كم ذبتَ في حبِّها
لحوناً مضرَّجةً بالدّما
وكمْ هزّني طيفُها في الدُّجى
وكمْ هزَّ قِيثاريَ المُلْهَما
وكمْ ساجلتْني خيالاتُها
كَمَا ساجلَ المغرَمُ المغرما
فما عطفتْ قلبها رحمةً
ولا فكّرتْ آه أنْ تَرْحما

⚙⚙⚙

في الطريق

وحدَه يحملُ الشّقا والسّنينا
لا معينٌ وأين يلقى المُعينا

وحدَه في الطريقِ يسحَبُ رجليْه
ويطوي خلف الجراحِ الأنينا

مُتعَبٌ يعبرُ الطريقَ ويمضي
وحدهُ يتبعُ الخيالَ الحزينا

❂❂❂

الليل الحزين

كـئـيـبٌ بـطـيءُ الـخُـطـى مُـؤلَـمُ
يـسـيـرُ إلـى حـيـثُ لا يَـعـلـمُ

ويَـسـري ويـسـري فـلا يـنـتـهـي
سُـراهُ ولا نـهـجـهُ الـمـظـلـمُ

وتـنـسـابُ أشـبـاحُـه فـي الـسّـكـون
حـيـارى بـخـيـبـتـهـا تـحـلُـمُ

هـو الـلّـيـلُ فـي صـمـتـهِ ضـجّـةٌ
وفـي سـرِّهِ عـالَـمٌ أبـكـمُ

كـأنّ الـصـبـابـاتِ فـي أفـقـهِ
تـئـنُّ فـتـرتـعـشُ الأنـجـمُ

حـزيـنٌ غـريـقٌ بـأحـزانـهِ
كـئـيـبٌ بـآلامـهِ مُـفْـعَـمُ

كـأنّ الـنـجـومَ عـلـى صـدرهِ
جـراحٌ يـلـوحُ عـلـيـهـا الـدَّمُ

* * *

هـو الـلّـيـلُ يَـطـوي بـأعـطـافـه
قـلـوبـاً بـأشـواقِـهـا تُـضـرَمُ

تــســـاهـــرُهُ أعـــيـــنُ الـــســـاهـــريـــن
وتـــقـــتـــاتُ أحـــلامَـــه الـــنُّـــوَّمُ

ويـــشـــكـــو إلـــى جـــوّه عـــاشـــقٌ
ويـــشـــدو عـــلـــى صـــمـــتـــه مـــلـــهَـــمُ

يـــنـــاجـــي الـــمُـــعَـــنَّـــى الـــمُـــعـــنّـــي بـــه
ويـــهـــفـــو إلـــى الـــمُـــغْـــرَمِ الـــمـــغـــرمُ

ويـــبـــتـــهـــجُ الـــقـــصـــرُ فـــي ظـــلّـــه
ويـــنـــتـــحـــبُ الـــكـــوخُ والـــمـــغـــدمُ

فـــفـــيـــه الـــتـــآويـــهُ والأغـــنـــيـــاتُ
وفـــي طـــيّـــه الـــعـــرسُ والـــمـــأتـــمُ

وفـــي صـــدره ســـرُّ هـــذا الـــوجـــود
فـــمـــاذا يـــذيـــعُ؟ ومـــا يـــكـــتـــمُ؟

⊛ ⊛ ⊛

أنـا

مـا بـيـن ألـوانِ الـعـنـا ءِ وبـيـن حـشـرجـةِ الـمُـنـى
مـا بـيـن مـعـتـركِ الـجـرا حِ وبـيـن أشـداقِ الـفـنـا
مـا بـيـن مـزدحَـمِ الـشـرورِ أعـيـشُ وحـدي هـاهُـنـا
لـمْ أدرِ مـا الـسـلـوى؟ ولـمْ أُطـعَـمْ خـيـالاتِ الـهـنـا
الـحـبُّ والـحـرمـانُ زا دي والـغـذاءُ الـمُـقْـتَـنـى

* * *

وحـدي هـنـا خـلـف الـوجـو دِ وخـلـف أطـيـافِ الـسَّـنـا
وهـنـا تَـبـتـنـي الـحـيـا ةُ ومـا الـحـيـاةُ؟ ومـا هـنـا؟
أنـا مـنْ أنـا؟ الأشـواقُ والـ ـحِـرمـانُ والـشـكـوى أنـا
أنـا فـكـرةٌ وَلَـهَـى مـعـانـيـ ـهـا الـتـضـنّـي والـضَّـنـى
أنـا زفـرةٌ فـيـهـا بُـكـا ءُ الـفـقْـرِ آثـامُ الـغـنـى

* * *

أهـوى وألـقـى غـيـرَ مـا أهـوى، فـمـاذا أشـتـهـي؟
لا أسـعـدَ الـمـهـوى ولا جـوعُ الـهـوايـة يـنـتـهـي
أنـا حـيْـرةُ الـمـحـرومِ تـنـ ـتـحـرُ الـمـنـى فـي صـمـتـهِ

* * *

وأنـا حـنـيـنٌ تـائـهٌ بـيـن الـمـحـبَّـة والـشـقـا
أظـمـا وأظـمـأ لـلـجـمـا لِ وأيـن مـنـي الـمـسـتـقـى

* * *

يـا قـلـبُ هـل تـلـقـى الـمـرا دَ ومـا الـمـرادُ ومـا الـلّـقـا

عـمـري تـمـرّغَ فـي الـلّـهـيـ ـبِ ولـــذَّهُ أنْ يُـــخـــرقـــا
لا فـــارقَ الـــلّـــهـــبُ الـــرمـــا دَ ولا الـــرمـــادُ تـــفـــرَّقـــا

* *

فـمـتـى متى يُطفي الـفَـنـا الـ ـمـوعـودُ عـمـري الأحـمـقـا
كـيـف الـخـلاصُ ولـمْ يـزلْ روحـي بـجـسـمـي مُـوثَـقـا
لا الـمـوتُ يـخـتـصـرُ الـحـيـا ةَ ولا انـتـهـى طـولُ الـبـقـا
لا الـقـيـدُ مـزّقـه الـسـجـيـ ـنُ ولا الـسـجـيـنُ تـمـزّقـا
حـيـرانُ لـمْ يُـطِـقِ الـحـيـا ةَ ولـمْ يُـطِـقْ أن يـزْهَـقـا

* * *

يـا آسـر الـعـصـفـورِ رفـ ـقـاً بـالـجـنـاح الـمـتـعـبِ
سـئـم الـركـودَ ولـمْ يـزلْ فـي قـبـضـةِ الـشـوكِ الـغـبـي
دَرَنُ الـتـرابِ مـجـسّـدٌ فـي الـشـيـخِ، فـي ثـوبِ الـصـبـي

۞ ۞ ۞

مع الحياة

سلسل الشاعر هذا النغم الحزين وهو على سرير المستشفى، يتأرجح بين نهاية الالم القوي، وبداية الصحة الضعيفة! وكانت في نفسه خواطر تضطرب اضطراب الموج، وفي خواطره قلق يتململ تململ الأسد الجريح، وفي صدره خفقات تجيش كما يجيش الحميم المكظوم، وكان الليل وراء النافذة صامتاً كأنه قتيل، فلملم الشاعر هذه الافكار من حواشي الليل الطريح بين ذراعي الأرض الهامدة! هكذا تألم الشاعر، وهكذا ترجم ألمه ومن لم يتألم فليس بشاعر، ومن لم يفصح عن ألمه فليس بموهوب، ومن لم ينشر ما أفصح عنه فليس بشجاع.

يا حياتي ويا حياتي إلى كمْ
أحتسي من يديكِ صاباً وعلقمْ؟
وإلى كمْ أموتُ فيكِ وأحيا؟
أينَ مني القضا الأخيرُ المحتّمْ؟
أسلِميني إلى المماتِ فإنّي
أجدُ الموتَ منكِ أحنى وأرحمْ
وإذا العيشُ كانَ ذُلاً وتعذيـ
ـباً فإن المماتَ أنجى وأعصمْ

* * *

ما حياتي إلاّ طريقٌ من الأشـ
ـواكِ أمشي بها على الجرحِ والدّمْ
وكأني أدوسُ قلبي على النّا
رِ وأمضي على الأنينِ المضرّمْ
لمْ أفتْ مأتماً من العمرِ إلاّ
وألاقي من بعدهِ ألفَ مأتمْ

وحياةُ الشقا على الشاعرِ الحسَّـ
اسِ أدهى من الجحيم وأدْهَمْ[1]

وأنا شاعرٌ وما الشعرُ إلاّ
خفقاتي تذوبُ شجواً منغَّمْ

شاعرٌ صانَ دمعَهُ فتغنّى
بلغاتِ الدموعِ شعراً متيّمْ

علّمتهُ الطيورُ أحزانَها البَكْـ
ما فغنّى مع الطيورِ ورنّمْ

* * *

إيه يا شاعرَ الحياةِ وماذا
نلت منها إلاّ الرّجاءَ المهشّمْ

أنتَ باكٍ تحنو على كلِّ باكٍ
أنتَ قلبٌ على القلوبِ مقسَّمْ

قد قرأت الحياة درساً فدرساً
وتجلّيت كلُّ سرٌ مكتّمْ

فرأيتَ الحياةَ لم تَضْفُ إلاّ
لعبيدِ الحُطامِ والذلّ والدمْ

طيبُها للّئامِ لا الملهَم الشا
دي وهيهاتَ أنْ تطيبَ لملهَمْ

* * *

(1) أدهم: الدُّهْمة هي السواد الشديد ليلاً.

أيُّهذي الحياةُ ما أنتِ إلاّ
أملٌ في جوانحِ اليأسِ مُبْهَمْ
غِرّةٌ[1] تُضحكُ العبوسَ وتُبكي
فَرِحاً هانئاً وتُشقي منعَّمْ

* * *

يا حياتي وما حياتي وما معـ
ـنى وجودي فيها لأشقى وأُظْلَمْ
ربِّ رحماكَ فالمتاهُ طويلٌ
والدُّجى في الطريقِ حيرانُ أبكمْ
قد أتيتُ الحياةَ بالرُّغمِ منّي
وسأمضي عنها إلى القبرِ مُرغَمْ
أنا فيها مسافرٌ زاديَ الأحـ
ـلامُ والشعرُ والخيالُ المجسّمْ
وشرابي وهمي، وآهي أغاريـ
ـدي ونوري عمى الظلامِ المطلسَمْ
ليس لي من غضارةِ[2] النورِ حظٌّ
لا ولا في يدي سوى الظُّفر درهَمْ
ليتَ شعري ما لي إذا رمتُ شيئاً
حال بيني وبينه القفرُ واليَمّ

(1) الغرة بالكسر: من لا تجربة لها من الإناث، وهي أيضاً مصدر غَرَّهُ بمعنى خدعه.
(2) الغضارة: السعة والنعمة والخصب.

لَمْ أجِدْ ما أريدُ حتى الخطايا
أحَرامٌ عليَّ حتى جهنّمْ؟!

كلُّ شيءٍ أرومُهُ لم أنلْهُ
ليتني لم أرِدْ ولا كنتُ أفْهَمْ!

أنا أحيا مع الحياةِ ولكن
عُمُري ميِّتُ الأماني محطَّمْ

ليتني - والحياة غرمٌ وغنمٌ -
نلت من صفوِها على العمرِ مغنَمْ

❁❁❁

من أُغنّي

هـاهُـنـا فـي الـمـنـزلِ الـعـاري الـجـديـبْ
أحـتـسـي الـدّمـعَ وأقـتـاتُ الـنّـحـيـبْ
هـاهُـنـا أشـكـو إلـى الـلّـيـلِ وكـمْ
أشـتـكـي والـلّـيـلُ فـي الـصّـمـتِ الـرهـيـبْ
وأبـثُّ الـشـعـرَ آلامَ الـهـوى
وأنـادي الـلّـيـلَ والـصّـمـتُ يُـجـيـبْ
فـإلـى مَـنْ أنـفـثُ الـشـكـوى؟ إلـى
أيِّ سـمـعٍ أبـعـثُ الـلـحـنَ الـكـئـيـبْ؟
وإلـى مـنْ أشـتـكـي الـحـبَّ إلـى
مَـنْ إلـى مـن؟ إنـنـي وحـدي غـريـبْ
هـاهُـنـا يـا لـيـلُ وحـدي والـجـوى
بـيـن أضـلاعـي لـهـيـبٌ فـي لـهـيـبْ

* * *

ولـمـنْ أشـدو؟ ومـنْ أشـدو؟ فـيـا
لـجـنـونـي مـنْ أغـنّـي بـالـنّـسـيـبْ؟
مـا لـقـلـبـي يـعـبـثُ الـحـبُّ بـه
عـبـثَ الإعـصـارِ بـالـغـصـنِ الـرطـيـبْ
مـن أغـنّـي؟ لا حـبـيـبـاً، لا ولا
لـي مـن الـدنـيـا عـلـى الـدنـيـا نـصـيـبْ

آه إنــــي شـــاعـــرٌ والـــشـــعـــرُ مـــن
مــحــنــتــي! أوَّاه مــا أشــقــى الأديــبْ!

شــاعــرٌ والــشــعــر عــمــري فــي غــدٍ
أيــن عــمــري أيــن؟. فــي الــيــومِ الــقــريــبْ

⊗⊗⊗

في الليل

لا مشفقٌ حولي ولا إشفاقُ
إلاّ المُنى والكوخُ والإخفاقُ

البردُ والكوخُ المسجّى والهوى
حولي وقلبي والجراحُ رفاقُ

وهنا الدُّجى يسطو على كوخي كما
يسطو على المستضعفِ العملاقُ

فلمنْ هنا أصغي؟ وكيفَ؟ وما هنا
إلاّ أنا، والصمتُ، والإطراقُ

أغفى الوجودُ ونام سُمّارُ الدُّجى
إلاّ أنا والشعرُ والأشواقُ

وحدي هنا في الليلِ ترتجفُ المنى
حولي ويرتعشُ الجوى الخفّاقُ

وهنا وراء الكوخِ بستانٌ ذوتْ
أغصانُهُ وتهاوتِ الأوراقُ

فكأنّهُ نعشٌ يموجُ بصمتِهِ
حُلمُ القبورِ ويعصِفُ الإزهاقُ

نسيَ الرّبيعُ مكانَه وتشاغلتْ
عنهُ الحياةُ وأجفلَ الإشراقُ

عُـريـانُ يـلـتـحـفُ الـسـكـيـنـةَ والـدُّجـى
وتـــئـــنُّ تـــحـــت جـــذوعِـــهِ الأعـــراقُ

* * *

والـلّـيـلُ يـرتـجـلُ الـهـمـومَ فـتـشـتـكـي
فـــيـــه الـــجـــراحُ وتـــصـــرخُ الأعـــمـــاقُ

والـــذكـــريـــاتُ تـــكـــرُّ فـــيـــه وتـــنـــثـــنـــي
ويـــتـــيـــهُ فـــيـــهِ الـــحـــبُّ والـــعـــشّـــاقُ

تـــتـــغـــازلُ الأشـــواقُ فـــيـــهِ وتـــلـــتـــقـــي
ويـــضـــمُّ أعـــطـــافَ الـــغـــرامِ عِـــنـــاقُ

والـــنـــاسُ تـــحـــت الـــلـــيـــلِ: هـــذا لـــيـــلُـــه
وصْـــــلٌ وهـــــذا لـــــوعـــــةٌ وفـــــراقُ

والـــحـــبُّ مـــثـــلُ الـــعـــيـــشِ: هـــذا عـــيـــشُـــهُ
تـــرفٌ وهـــــذا الـــجـــوعُ والإمـــــلاقُ

فـــي الـــنـــاسِ مَـــنْ أرزاقُـــهُ الآلافُ أو
أعـــلـــى، وقـــومٌ مـــا لـــهـــمْ أرزاقُ

هـــذا أخـــي يَـــرْوَى وأظـــمـــأ لـــيـــس لـــي
فـــي الـــنّـــهْـــرِ لا حـــقٌّ ولا اســـتـــحـــقـــاقُ

❁ ❁ ❁

لست أهواك

لستُ أهواكِ قد خلعتُ الهواءَ[1]
واحتقرتُ الفتونَ والإغراءَ
لستُ أهواكِ قد صحوتُ من الحبِّ
ومزّقتُ صبوتي والصّباءَ
ونفختُ الغرامَ من حبّةِ القلْـ
ـبِ كما تنفخُ الرّياحُ الهباءَ
وترفّعتُ عن إرادتِكِ البَلْـ
ـهاءِ ورضتُ الجناحَ أغزو السماءَ
فاخدعي من أردتِ غيري من النّا
سِ فإنّي وهبتُ قلبي العلاءَ
واخجلي أنتِ والهوى واستكيني
واخلعي عن كيانِكِ الكبرياءَ
إنّني قدْ فرغتُ منكِ وبعثرْ
تُ بقايا صبابتي أشلاءَ

* * *

آهِ كمْ عشتُ في هواكِ وكمْ مَرّ
غْتُ فيه فتوّتي والإباءَ

---

(1) الهواء: يريد الهوى فمدّه للضرورة.

كـمْ تـغـنّـيـتُ فـي هـواكِ وسـلْـسـلْـ
تُ دمـي فـي فـمِ الـغـرامِ غـنـاءَ

وأرقـتُ الـدمـوعَ مـنـكِ ولـكـنْ
غـسـلَ الـدمـعُ حـرقـتـي والـعـنـاءَ

واسْـتـدرَّ الـبـكـا هـواكِ مـن الـقَـلْـ
ـبِ فـأفـنـى الـهـوى وأبـقـى الـعـزاءَ

وبـكـاءُ الـمـحـبِّ يـسـتـنـزفُ الـشَّوْ
قَ نـشـيـجـاً والـذكـريـاتِ بـكـاءَ

لـسـتُ أهـواكِ قـد نـحـرتُ صـبـابـا
تـي كـمـا يـنـحـرُ الـقـنـوطُ الـرّجـاءَ

ونـسـيـتُ الـلّـقـا وعـفـتُ الـتـلاقـي
والـتـصـابـي والـحـسـنَ والـحـسـنـاءَ

فـامـضِ يـا حـبُّ قـد رجـعـتُ إلـى الـعـقْـ
ـلِ الـمـصـفّـى يـديـرنـي كـيـف شـاءَ

ويـل ويـل الـغـرامِ مـن يـقـظـة الـلُّـبِّ
إذا الـلّـبُّ بـالـفـؤادِ تَـنـاءى

وإذا صـارعَـتْ قـوى الـعـقـلِ قـلـبـاً
عـبـقـريّـاً زادتْ قـواهُ قـواءَ

❂ ❂ ❂

شعري

غــرّدْ فــأنــتَ الــحــبُّ والأحــلامُ
أنــشِــدْ يُــصــفّــقْ حــولــكَ الإعــظــامُ

يــا كــافــراً بــالــصّــمــتِ والإحــجــام طِــرْ
واهــتِــفْ فــذاكَ الــصّــمــتُ والإحــجــامُ

واســبــحْ بــآفــاقِ الــجــمــالِ وطُــفْ كــمــا
تــهــوَى ويــهــوَى جــوّهُ الــبــسّــامُ

* * *

يــا شــعــريَ الــفــوّاحَ غــرّدْ تــحــتــفــلْ
فــيــك الــعــطــورُ وتــعــبــقُ الأنــســامُ

لــك مــن شــفــاهِ الــفــجــرِ مــنــتــزهٌ[1] وفــي
صــدرِ الــمــروجِ مــراقــصٌ وهُــيــامُ

فــي كــلِّ رابــيــةٍ لــقــلــبِــكَ خــفــقــةٌ
وبــكــلِّ وادٍ حُــرقــةٌ وضــرامُ

ولــصــوتِــكَ الــحــانــي بــأجــفــانِ الــرُّبــا
غــزَلٌ وفــي قــلــبِ الــرَّبــيــعِ غــرامُ

بــســتــانُــكَ الــغــبــرا[2] ومــســرحُــكَ الــفــضــا
فــلــكَ الــوجــودُ مــســارحٌ ومُــقــامُ

* * *

(1) منتزه: الأصح لغوياً مُتنزَّه.

(2) الغبرا: الغبراء وهي الأرض.

شعري وأنت الفنُّ أنتَ رحيقُهُ
شفتاكَ كأسٌ واللحونُ مُدامُ

حلّقتَ فوق مسابحِ الأوهام لمْ
تلمخْ خيالَ جناحِك الأوهامُ

والماردُ العِملاقُ يكتسحُ العلا
فتظلُّ تهذي خلفَهُ الأقزامُ

❊ ❊ ❊

شعري تبنّاك الخلودُ فأنتَ في
ربَواتِهِ الأنغامُ والنّغّامُ

جسمتَ أنفاس الشّذا فترنحتْ
فيكَ الطيوبُ كأنّها أجسامُ

وغمستَ قلبكَ في الحياةِ وصغتَها
لحناً صداهُ وصوتُهُ الإلهامُ

وجلوتَ ألوانَ الطبيعةِ مثلما
يجلو الفتاةَ بفنِّهِ الرسّامُ

شعري تناجى الحسنُ فيهِ والهوى
وتناغتِ الآمالُ والآلامُ

وتخاصرتْ فيه المُنى وتعانقتْ
في صدرِهِ القُبُلاتُ والتَّهيامُ

فإذا بكى أبكى القلوب وإن شدا
رقصتْ ليالي الدّهرِ والأيّامُ

ظـمـآنُ يـرتـشـفُ الـجـمـالَ وكـلّـمـا
أروى أوامــاً صــاحَ فــيــه أُوامُ

فــلــهُ وراءَ الــمــجــدِ أمــجــادٌ ومِــنْ
خــلــفِ الــمــرامِ مــطــامــحٌ ومــرامُ

سـيـظـلُّ يـشـدو كـالـجـداولِ لا ولـمْ
يـنـضـبْ غِـنـاهُ ولـمْ يـجـفَّ الـجـامُ

* * *

لا ، لـمْ يـنـمْ شـعـري، ولـمْ يـصـمـتْ ولـمْ
تــصــمــتْ عــلــى أوتــارِهِ الأنــغــامُ

لـمْ يـسـتـكـنْ وتـري ولـمْ يـسـكـتْ فـمـي
فَــلْــتَــخْــرسِ الأفــواهُ والأقــلامُ

❁ ❁ ❁

فجر النبوّة

صـورُ الـجـلالِ وزهـوةُ الأمـجـادِ
سـكـبـتْ نـمـيرَ الـوحـي فـي إنـشـادي

صُـورٌ مـن الأمـسِ الـبـعـيـدِ حـوافـلٌ
بـالـذكـريـاتِ روائـحٌ وغـوادي

خـطـرتْ تـعـيدُ مشـاهـدَ الـماضـي إلـى الـ
يـومِ الـجـديـدِ إلـى الـغـدِ الـمـتـهـادي

حـمـلـتْ مـن الـمـيـلادِ أروعَ آيـةٍ
غـمـرتْ مـتـاهَ الـكـونِ بـالإرشـادِ

زُمَـرٌ مـن الـذكـرى تـروحُ وتـغـتـدي
وتـشـقُّ أبـعـاداً إلـى أبـعـادِ

وتـزفُّ وحـيَ الـمـولـدِ الـزاهـي كـمـا
زفَّ الـنـسـيـمُ شـذا الـربـيـعِ الـشـادي

* * *

يـا فـجـرَ مـيـلادِ الـنـبـوّةِ هـذهِ
ذكـراكَ فـجـرٌ دائـمُ الـمـيـلادِ

وتـهـلّـلَ الـكـونُ الـبـهـيـجُ كـأنّـهُ
حـفـلٌ مـن الأعـراسِ والأعـيـادِ

وأفـاقـتِ الـوثـنـيـةُ الـحـيْـرى عـلـى
فـجـرِ الـهـدى وعـلـى الـرّسـولِ الـهـادي

فـمـواكـبُ الـبـشـرى هـنـاك وهـاهُـنـا
تُـنـبـي الـوجـودَ بـأكـرمِ الأولادِ

والـمـجـدُ يـنـتـظـرُ الـولـيـدَ كـأنّـهُ
والـمـجـدَ والـعَـلْـيـا عـلـى مـيـعـادِ

وتـرعـرعَ الـطـفـلُ الـرسـولُ فـهـبَّ فـي
دنـيـا الـفـسـادِ يُـبـيـدُ كـلَّ فـسـادِ

وسـرى كـمـا تـسـري الـكـواكـبُ سـاخـراً
بـالـشـوكِ بـالـعـقـبـاتِ والأنـجـادِ

بـالـغـدرِ يـسـعـى خـلـفَـه وأمـامَـه
بـالـهـولِ بـالإبـراقِ بـالإرعـادِ

لا ، لـمْ يـزلْ يـمـشـي إلـى غـايـاتِـهِ
وطـريـقُـهُ لـهـبٌ مـن الأحـقـادِ

فـدعـا قـريـشـاً لـلـهـدى وسـيـوفُـهـا
تـهـفـو إلـى دمِـهِ مـن الأغـمـادِ

فـمـضـى يـشـقُّ طـريـقَـهُ ويـطـيـرُ فـي
أُفـقِ الـعـلا والـمـوتُ بـالـمـرصـادِ

ويـدوسُ أخـطـارَ الـعـداوةِ مـاضـيـاً
فـي الـسـيـرِ لا واهٍ ولا مـتـمـادي

لا يـركـبُ الأخـطـارَ إلاّ مـثـلـهـا
خـطِـرٌ يـعـادَى فـي الـعـلا ويـعـادي
نـادى الـرسـولُ إلـى الـسـعـادةِ والـهـنـا
فـصـغـتْ إلـيـه حـواضـرٌ وبـوادي
وتـصـامـمـتْ فـئـةُ الـضـلالـةِ واعـتـدتْ
فـأتـى إلَـيـهـا كـالأتـيِّ[1] الـعـادي
واهـتـاجـتِ الـهـيـجـا فـأصـبـحـتِ الـعـدا
خـبـراً مـن الـمـاضـي وطـيـفَ رقـادِ
لا تُـسـكـتُ الأوغـادَ إلاّ وثـبـةٌ
نـاريـةٌ غـضـبـى عـلـى الأوغـادِ
ومـن الـقـتـالِ دنـاءةٌ وحـشـيّـة
حـمـقـى ومـنـه عـقـيـدةٌ ومـبـادي

* * *

خـاضَ الـرّسـولُ إلـى الـعـلا هـولَ الـدُّجـى
ولـظـى الـهـجـيـرِ الـلاّفـحِ الـوقّـادِ
واقـتـادَ قـافـلـةَ الـفـتـوحِ إلـى الـفـدا
والـمـكـرمـاتُ دلـيـلُـهـا والـحـادي
وهـفـا إلـى شـرفِ الـجـهـادِ وحـولَـهُ
قـومٌ تـفـورُ صـبـابـةَ اسْـتـشـهـادِ
قـومٌ إذا صـرخَ الـعـراكُ تـوثّـبـوا
نـحـو الـوغـى فـي أهـبـةِ اسـتـعـدادِ

(1) الأتيّ: السيل العنيف.

وتماسكوا جنباً لجنبٍ وارتموا
كالموجِ في الإرغاءِ والإزبادِ

وتدافعوا مثلَ السيولِ تصبُّها
قممُ الجبالِ إلى بطونِ الوادي

وإذا تساجلتِ السيوفُ رأيتَهم
خُرساً وألسنةُ السيوفِ تنادي

هم في السلامِ ملائكٌ ولدى الوغى
جِنٌّ تطيرُ على ظهورِ جيادِ

وهمُ الألى الشُّمُّ الذين تفتّحتْ
لجيوشِهم أبوابُ كلِّ بلادِ

الناشرونَ النورَ والتوحيدَ في
دنيا الضلالِ وعالمِ الإلحادِ

الطائرونَ على السيوفِ إلى العلا
والهابطونَ على القنا الميّادِ

* * *

بعثَ الرسولُ من التفرّقِ وحدةً
ومن العِدا القاسي أرقَّ ودادِ

فتعاقدتْ قومُ الحروبِ على الصّفا
وتوحّدتْ في غايةٍ ومُرادِ

وتحركتْ فيها الأخوّةُ مثلما
تتحركُ الأرواحُ في الأجسادِ

ومحا ختامُ المرسلين عن الورى
صلفَ الطّغاةِ وشرعةَ الأنكادِ

فهناك تيجانٌ تخرُّ وهاهُنا
بينَ السكونِ مصارعُ استبدادِ

وهناك آلهةٌ تئنّ وتنطوي
في خزيها وتلوذُ بالعبّادِ

والمرسلُ الأسمى يوزّعُ جهدَهُ
في الحقّ بين هدايةٍ وجهادِ

حتى بنى للحقِّ أرفعَ ملّةٍ
ترعى حقوقَ الجمعِ والأفرادِ

وشريعةٍ يمضي بها جيلٌ إلى
جيلٍ وآزالٌ إلى آبادِ

* * *

يا خيرَ منْ شرعَ الحقوقَ وخيرَ منْ
آوى اليتيمَ بأشفقِ الإسعادِ

يا منْ أتى بالسلمِ والحسنى ومنْ
حقنَ الدّما في العالمِ الجلاّدِ

أُهدي إليكَ ومنكَ فكرةَ شاعرٍ
درسَ الرجالَ فهامَ بالأمجادِ

●●●

حيث التقينا

هاهُنا كانَ يناجينا الغرامُ
ويناجي المستهامَ المستهامُ
هاهُنا رَفَّ بقلبيْنا الصِّبا
وتبنّانا التصافي والوئامُ
عقدَ الحبُّ فؤاديْنا كما
يعقد الهدبَ إلى الهدبِ المنامُ
فتلاقيْنا بأحضانِ الصَّفا
والصِّبا خمرٌ وثغرُ الحبِّ جامُ
وتجاذبنا أحاديثَ الهوى
وسهرنا ولياليـنا نيامُ
وتمنّيْنا الأغاني واللّقا
في شفاهِ الكأسِ لحنٌ ومُدامُ
والصباباتُ الظوامي حولنا
تشربُ اللحنَ فيهتاجُ الأُوامُ
هاهُنا غنّى الهوى الطفلُ لنا
وطواهُ هاهُنا عنّا الفِطامُ
وانقضى صفوُ التلاقي وذوتْ
في صِبا الحبِّ أمانيهِ الجِسامُ

وانتهى العهدُ كأنْ لمْ يبتدئْ
أو تلاقى البدءُ فيهِ والختامُ

وانطفا فجرُ أمانينا ولمْ
ينطفِ الشوقُ ولمْ يَخْبُ الضرامُ

بدَتِ اللّقيا وولّتْ هاهُنا
فعلينا وعلى اللّقيا السلامُ

ضمّنا هذا المُقامُ المشتهى
ثم أقصاني وأقصاكَ المُقامُ

فهنا يا أختُ ناغيْنا الهوى
وهنا ولّى وغطّاه القتامُ

واختفى الأنسُ وذكراه على
مسرحِ العمرِ شعاعٌ وظلامُ

ومن الحبُّ ابتهاجٌ وأسىً
ومن الذكرى دموعٌ وابتسامُ

كلُّنا يهوى الهنا لكنّنا
كلّما رُمنا الهنا غابَ المرامُ

ها أنا حيثُ التقينا وعلى
خاطري من صورِ الأمسِ ازدحامُ

أسألُ الذكرى عن الحبِّ وهلْ
للهنا في شرعةِ الحبِّ دوامُ

ها أنا في منزلِ اللّقيا وفي
جوّهِ من عهدِنا الفاني حطامُ

أسألُ الصمتَ على الجدرانِ هلْ
للهوى عهدٌ لديه أو ذمامُ؟

ويكادُ الصمتُ يروي حبَّنا
قصةً لو طاوعَ الصمتَ الكلامُ

أنا الغريب

غِبتُ في الصمتِ والهمومِ الضَّواري
والأماني والذكرياتِ السَّواري

وتَغَلَّفْتُ بالوجومِ ووارَيْـ
ـتُ همومي في صمتيَ المتواري

وخنقْتُ اللحونَ في حَلْقِ مِزْما
ري وأغفى على فمي مزماري

وانطوتْ في فمي الأغاني وماتتْ
نغَمي في حناجرِ الأوتارِ

وتلاشى شعري ونامَ شعوري
نومَةَ الليلِ فوقَ صمتِ القِفارِ

وتفانى فنّي ولم يبقَ إلاّ
ذكرياتُ الصدى بشجو ادّكارِ

وخيالُ النحيبِ في عوديَ البا
كي وطيفُ النّشيجِ[1] في أسراري

وكأنّي تحتَ الدياجيرِ قبرٌ
جائعٌ في جوانحِ الصَّمتِ عاري

---

(1) النشيج: الغصص بالبكاء من غير انتحاب.

وأنـــا وحـــديَ الـــغـــريـــبُ وأهـــلـــي
عـــنْ يـــمـــيـــنـــي وإخـــوتـــي عـــنْ يـــســـاري

وأنـــا فـــي دمـــي أســـيـــرٌ، وفـــي أَز
ضـــي شـــريـــدٌ مـــقـــيَّـــدُ الأفـــكـــارِ

وجـــريـــحُ الإبـــا قـــتـــيـــلُ الأمـــانـــي
وغـــريـــبٌ فـــي أمّـــتـــي وديـــاري

كـــلُّ شـــيءٍ حـــولـــي عـــلـــيَّ غـــضـــوبٌ
نـــاقـــمٌ مـــن دمـــي عـــلـــى غـــيـــرِ ثـــارِ

⊛⊛⊛

ليالي السجن

نزلتْ ليالي السجنِ بين جوانحي
فحملتُ صدري للهمومِ ضريحا

وجثَتْ على قلبي كأنّي صخرةٌ
لا تفهمُ التنويهَ والتلميحا

فدفنتُ في خَفْقِ الجراحِ تألُّمي
حيّاً وألحدتُ الأنينَ صحيحا

وحملتُ دائي في دمي وكأنني
في كلِّ جارحةٍ حملتُ جريحا

◎◎◎

عندما ضمَّنا اللقاء

كـيـفَ أنـسـى مـنـكِ الـحـوارَ الـبـديـعـا
والـلّـقـا الـغـضَّ والـجـمـالَ الـرفـيـعـا
كـيـف أنـسـى ولا نـسـيـتُ وعـنـدي
ذكـريـاتٌ حَـرَّى تُـذيـبُ الـضـلـوعـا
كـيـفَ أنـسـى ولـسـتُ أنـسـى لـقـاءً
ضـمَّ قـلـبـاً صـبّـاً وقـلـبـاً صـديـعـا
ووصـالاً كـانـتْ تـفـيـضُ مـعـانِـيْـ
ـهِ عـلـيـنـا سـكـيـنـةً وخُـشـوعـا
عـنـدمـا ضـمّـنـا الـلّـقـا فـي ذراعـيْـ
ـهِ نَـسـيـنـا مـا فـي الـوجـودِ جـمـيـعـا
وصـبـوْنـا وعـانـقَ الـحـبُّ حـبّـاً
مـثـلـمـا عـانـقَ الـصـبـاحُ الـربـيـعـا
وامـتـزجـنـا والـحـبُّ يُـضـفـي عـلـيـنـا
صـبـواتٍ مَـرحـى وجَـوّاً وديـعـا
وبـنـانُ الـهـوى تـغـازلُ قَـلْـبـيْـ
ـنـا كـمـا غـازلَ الـنّـسـيـمُ الـشّـمـوعـا
فـأدرنـا مـن الـغـرام حِـواراً
عـاطـفـيّـاً يُـضْـبـي الـهـوى والـولـوعـا

وعِــــتــــابــــاً يــــكــــادُ مــــن رقّــــة الأَلْـــــ
فــــاظِ يــــجــــري عــــلــــى الــــشــــفــــاهِ دمــــوعــــا

* * *

كــــمْ تــــســــاءلــــتُ عــــن لــــقــــانــــا وكــــمْ ســــا
ءَلْــــتُ عــــن صــــفــــوِ الــــظــــلامَ الــــمــــريــــعــــا

وذكــــرتُ الــــوصــــالَ ذكــــرى غــــريــــبٍ
يَــــتَــــشَــــهّــــى أوطــــانَــــهُ والــــرُّبــــوعــــا

❁ ❁ ❁

وحدي هنا

وحدي هنا يا ليلُ وحدي ما بين آلامي وسُهدي
وحدي وأمواتُ المنى والذكرياتُ السودُ عندي
وكأنَّ أشباح الدُّجى حولي أماني مستبدٌ
تطوي أحاسيسي وتنـ ـشُرُها وتُخفيها وتُبدي
والليل يلهو بي كما يهوَى التجنّي والتعدّي
فكأنني في كفِّهِ عِرضُ الكريم بكفِّ وغدِ
ياليلُ لي قلبٌ يحِنُّ إلى العُلا بأحرَّ وَجْدِ
أهوى العلا ويردُّني عجزي وإنَّ العجزَ مُزدي
لا اليأسُ يُسليني عن الـ ـعليا ولا الآمالُ تُجدي
بيني وبينَ مآربي أقصى النوى وأشقُّ بُعدِ
ما فاتَ مجدي إنما في ذمةِ الأيام مجدي
وغداً ـ وما أدنى غداً منى ـ سأوفي المجدَ وعدي
وألقِّنُ التاريخَ آ ياتي ويروي الخُلْدَ خُلدي
وأشيدُ مني أمةً تُهدي إلى العَلْيا وتَهدي
إني على عهدِ العُلا فلتذكرِ العلياءُ عهدي

❁❁❁

الحبُّ القتيل

يا حَيرتي أينَ حبي أين ماضيهِ؟
وأينَ أينَ صِباهُ أو تصابيهِ؟

قتلتُ حبي ولكنّي قتَلتُ به
قلبي ومزقتُ في صدري أمانيهِ

وكيف أحيا بلا حُبٍّ ولي نفَسٌ
في الصدرِ أنشُره حيّاً وأطويهِ

قتلتُ حبي ولكن! كيفَ مقتلُه؟
بكيتُ حتى جرى في الدمعِ جاريهِ

أفرغتُ من حَدقِ الأجفانِ أكثرَهُ
دمعاً وألقيتُ في النسيانِ باقيهِ

ما كنتُ أدري بأني سوفَ أقتلُهُ
أو أنّني بالبكا الدامي سأُفنيهِ

وكمْ بكيْتُ من الحبِّ العميقِ إلى
أنْ ذابَ دمعاً فصرتُ اليوم أبكيهِ

وكمْ شدوْتُ بواديهِ الوريفِ وكمْ
أفعمتُ كأس القوافي منْ معانيهِ

وكمْ أهاب بأوتاري وألهمني
وكمْ شربْتُ الأغاني البيضَ منْ فيهِ

* * *

والـيـومَ واريـتُ حـبـي والـتـفـتُّ إلـى
ضـريـحِـهِ أسـألُ الـذكـرى وأنـعـيـهِ

قـذ حـطّـمَ الـيـأسُ مـزمـارَ الـهـوى بـفـمـي
وقـيّـدَ الـصـمـتُ فـي صـوتـي أغـانـيـهِ

إنَّ الـغـرامَ الـذي قـد كـنـتُ أُنـشِـدُهُ
أغـانـي الـرُّوحِ قـد أصـبـحـتُ أرثـيـهِ

ويـلـي وويـلـي عـلـى الـحـبِّ الـقـتـيـلِ ويـا
لَـهْـفـي عـلـى عـهـدِهِ الـمـاضـي وآتـيـهِ

مـا ضـرَّنـي لـو حـمـلـتُ الـحـبَّ مـلـتـهـبـاً
يُـمـيـت قـلـبـي كـمـا يـهـوى ويـحـيـيـهِ

❂❂❂

كيف أنسى

قيلت على قبر حبيبة الطفولة عندما طاف به الشاعر

هيهاتَ أنْ أنسى هواكِ وكلّما
حاولتُ أنْ أنسى ذكرتُكِ مُغرَما

يا للشجونِ وكيف أنسى والأسى
يقتاتُ أوصالي وينتزفُ الدَّما

يا أختَ روحي وابتسامَ طفولتي
وبُكا شبابي - آهِ - ما ألقى وما

خلّفتِني وحدي ألوكُ حُشاشتي
أسفاً وأفنى حُرقةً وتضرّما

وحدي مع الأملِ الذبيحِ تطوفُ بي
ذِكَرٌ متيّمةٌ يشُقْنَ متيّما

واليومَ إني حولَ قبرِكِ صامتٌ
أقتاتُ منْ جوعي وأستسقي الظما

وأقبّلُ القبرَ الحبيبَ ومُنيتي
لو أنَّ لي في كلِّ جارحةٍ فما

وأسائلُ الصمتَ الرَّهيب كأنني
جوعانُ محتضرٌ يسائلُ مغْدَما

* *

يا منْ أناديها ويخنُقُني البكا
ويكادُ صمتُ الدّمعِ أنْ يتكلُما

فارقتُ في مثواكِ رِفقَ أبُوَّتي
وفقدتُ عطفَ الأمِّ فيكِ مجسّما

يا قلبيَ الدامي وآه وأين مَنْ
فاضتْ عليَّ عواطفاً وترحُّما

غابتْ وغبتُ وكلّما فارقتُها
لاقيْتُها في الذكرياتِ توهُّما

ما لي أناجيها وكيفَ وكلّما
ناجيْتُها ناجيْتُ قبراً أبكما

* * *

وافيْت قبرَكِ، والسكونُ يلفُّهُ
وسكينةُ الأجداثِ تُحيي المأتما

فسألتُ وارتجفَ السؤالُ متى اللقا
فعصى الجوابُ لسانَه وتلعثما

فذكرتُ أن الموتَ خاتمةُ اللّقا
فقتلتُ آمالي وليتَ وربما

وتألّمتْ روحي ووجداني إلى
أن كادتِ الآلامُ أنْ تتألما

* * *

يا روْعَ قلبي كيفَ أنسى روضةً
حَضنتْ صِبا عمري فرفّ مُنَعّما

كَمْ دلّلتني بالحنانِ ولمْ تكنْ
أمي وقدْ كانتْ أرقَّ وأرحما

حتى عميتُ فكادَ يُعميها البكا
وحنانُها الباكي يشاركُني العمى

* * *

كمْ صارعتْ عَنَتَ الخطوبِ وما مضت
منْ ظالمٍ إلاّ تلقّتْ أظلما

ومشتْ على شوكِ الحياةِ وهولِها
وكأنّها كانتْ تدوسُ جهنّما

فرمتْ إلى حضنِ المماتِ كيانَها
وتبدّلتْ بالكدِّ عيشاً أنعما

وتبرّمتْ بحياتها الضنكى ومَن
برمتْ به متعُ الحياةِ تبرّما

وحييتُ بعدَ مماتِها مَيْتَ الهنا
حيّاً أموتُ تأوُّهاً وتألُّما

⊛⊛⊛

أين منّي

أيـنَ مِـنّـي حـنـانُـهـا؟ أيـنَ مـنّـي
مُـلْـتـقـاهـا؟ لـم يـبـقَ إلاّ الـتـمـنّـي

وشـجـونٌ تـهـفـو بـقـلـبـي إلـيـهـا
وظـنـونٌ تُـقـصـي مـرادي وتُـدنـي

هـي أدنـى إلـيَّ مـن سـرِّ قـلـبـي
وهـي فـي الـقـربِ أبـعـدُ الـنـاس عـنّـي

وهـي فـي خـاطـري وأشـكـو نـواهـا
وأقـاسـي ظـلـمَ الـهـوى والـتـجـنّـي

فـاسـمـعـي يـا حـبـيـبـةَ الـروحِ نـجـوى
خـاطـري وارقُـصـي عـلـى شـجـوِ لـحـنـي

إنـنـي يـا حـبـيـبـتـي شـاعـر الـحـبِّ
ولـلـحـبِّ أغـنـيـاتـي وفـنّـي

يَـجـرح الـحـبُّ أغـنـيـاتـي فـيـصـبـيـ
ـهـا ويُـبـكـيـنـيَ الـهـوى فـأغـنّـي

حـيـن يُـضـنـيـنـيَ الـغـرامُ أغـنّـيـ
ـهِ وأسـمـى الـغـرامِ مـا كـانَ مُـضْـنـي

سـاجِـلـيـنـي يـا ربّـةَ الـحـسـن أشْـوا
قـي وعـانـي مـعـي الـغـرامَ الـمـعـنّـي

إنـنـي يـا إلـهـةَ الـحـسـنِ أهـوا
كِ وإنَّ الـهـوى مـن الـحـسـنِ يُـغـنـي

إنـنـي ظـامـئٌ إلـيـكِ وكـمْ أظـمـا
وأظـمـا وفـيـكِ خـمـري ودَنّـي

فـي مـعـانـيـكِ سـكـرةُ الـحـبِّ والـفـنِّ
وفـيـهـا رقْـصُ الـخـيـال الـمـغـنّـي

وفـتـونٌ حـيٌّ يـمـوجُ عـلـى أعــ
طـافِ حَـسْـنـا يـجِـلُّ عـنْ كـلِّ حُـسْـنِ

إنّـهـا كـلُّ مـا أريـدُ مـن الـدُّنــ
يـا ومـا يـشـتـهـي يـقـيـنـي وظـنّـي

⊛⊛⊛

ميلاد الربيع

وُلد الربيعُ معطَّرَ الأنوارِ
غَرِدَ الهوى ومجنَّحَ الأشعارِ

ومضتْ مواكبُهُ على الدنيا كما
تمضي يدُ الشادي على الأوتارِ

جذلانُ أحلى منْ محاورةِ المنى
وأحبُّ من نجوى الخيالِ السّاري

وألذُّ منْ سحرِ الصِّبا وأرقُّ منْ
صمتِ الدموعِ ورعشةِ القيثارِ

هبط الرّبيعُ على الحياةِ كأنه
بعْثٌ يُعيدُ طفولةَ الأعمارِ

فصبتْ بهِ الأرضُ الوقورُ وغرّدتْ
وتراقصتْ فتنُ الجمالِ العاري

وكأنَّه في كلِّ وادٍ مَزقَصٌ
مَرِحُ اللّحون مُعَزبدُ المزمارِ

وبكلِّ سفحٍ عاشقٌ مترنِّمٌ
وبكلِّ رابيةٍ لسانٌ قاري

وبكلِّ منعطفٍ هديلُ حمامةٍ
وبكلّ حانيةٍ نشيدُ هَزارِ

وبــكــلِّ روضٍ شــاعــرٌ يــذرو الــغــنــا
فــوقَ الــرّبــا وعــرائــسِ الأزهــارِ

وكــأنَّ أزهــارَ الــغــصــونِ عــرائــسٌ
بــيــضٌ مُــعَــنْــدَمــةُ الــشــفــاهِ عَــواري

وخــرائــدٌ زُهْــرُ الــصِّــبــا يُــسْــفــرنَ عــنْ
ثَــغْــرٍ لــؤالــيٍّ وخَــدٍّ نــاري

مــن كــلِّ ســاحــرة الــجــمــال تــهــزُّهــا
قُــبــلُ الــنــدى وبــكــا الــغــديــرِ الــجــاري

وشــفــاه أنــفــاس الــنّــســيــم تــدبُّ فــي
بــســمــاتِــهــا كــالــشّــعــرِ فــي الأفــكــارِ

فِــتَــنٌ وآيــاتٌ تــشِــعُّ وتــنــتــشــي
كــالــحــورِ بــيــن تــبــسُّــمٍ وحِــوارِ

نــاريَّــةُ الألــوانِ فــردوســيّــةٌ
ذهــبــيّــةُ الآصــالِ والأســحــارِ

(آذارُ) يــا فَــضْــلَ الــصــبــابــةِ والــصِّــبــا
ومــراقــصَ الأحــلامِ والأوطــارِ

يــا حــانــةَ الــلّــحــنِ الــفــريــدِ ومــلــتــقــى
نــجــوى الــطُّــروبِ ولــوعــةِ الــمــحــتــارِ

أجــواؤكَ الــفــضّــيّــةُ الــزّرقــا جَــلَــتْ
صــورَ الــهــنــا وعــواطــفَ الأقــدارِ

ومحا هواك هوا الشتا القاسي كما
يمحو المتابُ صحيفةَ الأوزارِ

في جوِّكَ الشعري نشيدٌ حالمٌ
وعباقرٌ شُمُّ الخيالِ عذاري

* * *

ما أنتَ إلاّ بسمةٌ قدسيّةٌ
ريّا الشفاهِ عميقةُ الأسرارِ

وبشائرٌ مخضلّةٌ وترنُّمٌ
عبقٌ أنيقُ السِّحرِ والسَّحّارِ

⊛ ⊛ ⊛

هموم الشعر

لـمـنِ الـهـيـامُ؟ لـمـنْ تـذوبُ هُـيـامـا؟
ولـمـنْ تـصـوغُ مـن الـبـكـا أنـغـامـا؟

ولـمـنْ تُـسـلْـسِـلُ مـنْ ضـلـوعِـكَ نـغـمـةً
حـيْـرى تـنـاجـي الـلـيـلَ والأحـلامـا؟

ونـشـائـداً جَـرْحـى الـلـحـونِ كـأنـهـا
مـن رقـةِ الـشـكـوى قـلـوبُ يـتـامـى

يـا شـاعـرَ الآلام كـمْ تـدْمَـى وكـمْ
تـبـكـي وتـحـتـمـلُ الـهـمـومَ جِـسـامـا

خـفّـفْ عـلـيـكَ وعـشْ بـقـلـبـكَ وحـدَه
واسـألْ نُـهـاكَ لِـمَ الـبـكـا؟ وعَـلامـا؟

واربـأ بـنـفـسِـكَ فـهـي أسـمـى غـايـةً
مـنْ أنْ تـذوبَ صـبـابـةً وغـرامـا

كـمْ هِـمْـتَ بـالآلامِ تـشـدو بـاسـمـهـا
وعـلـى الأنـيـنِ تـدلّـلُ الآلامـا

بـلْـواكَ يـا ابْـنَ الـشـعـرِ فـجـرٌ شـاعـرٌ
يـهـدي إلـيـكَ الـوحـيَ والإلـهـامـا

وبـكـاكَ تـرنـيـمُ الـخـلـودِ إذا اشـتـكـى
غـنّـى الـحـيـاةَ ورقّـص الأيـامـا

فـي قـلـبِـكَ الـمـهـمـومِ ألـفُ خَـمـيـلـةٍ
تـلِـدُ الـهـمـومَ أزاهـراً وخُـزامـى

جـلّـت هُـمـومُ الـشـعـر إنّ دمـوعَـهـا
فـنٌّ يُـديـرُ مـن الـدمـوعِ مُـدامـا

۞۞۞

ما لي صمتٌّ عن الرثاء

يقولونَ لي: ما لي صمتُّ عن الرِّثا
فقلتُ لهم: إن العويلَ قبيحُ

وما الشعرُ إلاّ للحياةِ وإنّني
شَعَرْتُ أغنّي ما شعَرتُ أنوحُ

وكيفَ أُنادي ميّتاً حالَ بينه
وبيني ترابٌ صامتٌ وضريحُ

وما النَّوحُ إلاّ للثَّكالى ولمْ أكُنْ
كثكلى على صمتِ النُّعوشِ تصيحُ

۞۞۞

هو وهي

لاقيتُها وهي تهواني وأهواها
فما أحيلى تلاقينا وأحلاها

وما ألذَّ تدانيها وأجملها
وما أخفَّ تصابيها وأصباها

فهي الربيعُ المغنّي وهي بهجتُه
وهي الحياةُ ومعنى الحبِّ معناها

وإنّها في ابتساماتِ الصِّبا قُبلٌ
سكرى تَفيضُ بأشهى السُّكرِ ريّاها

وفتنةٌ من شبابِ الحسنِ رقَّمها
فنُّ الصِّبا وحِوارُ الحبِّ غنَّاها

لاقيْتُها وأغاريدُ الهوى بفمي
تشدو وتشدو وتستوحي محيّاها

غازلتُها فتغاضتْ لحظةً ودنتْ
وعَنونتْ بابتساماتِ الرِّضا فاها

❂❂❂

حيرة الساري

طال الطريق، وقل الزاد، وهَمَّ الركب بالرحيل، وأين؟ وكيف؟ كانت الليلة عاقراً لم تلد فجراً، وسياط المطر تضرب العابرين وأجنحة العفاريت تتشابك وتحوم، والطريق الرحل يتخبط بالمتعبين.. ونادى الشيخ: قد أظلمت فقف، أعتم الوادي وضل الدليل! ونادى الشيخ:

صاحبي غامتْ حوالينا النواحي
أيَّ مَغْدى تبتغي أيَّ مراحِ

قفْ بنا حتى يمرَّ السيلُ من
دربِنا المحفوفِ بالشَّرِّ الصُّراحِ

أينَ تمضي؟ والقضا مرتقبٌ
ومُتاحٌ والرّجا غيرُ مُتاحِ

والدُّجى الأعمى يُغطّي دربَنا
برؤى الموتى وأشلاءِ الأضاحي

أينَ تمضي؟ وإلى أينَ بنا
جدَّتِ الظلما فدعْ حُمْقَ المزاحِ

أظلمَ الدربُ حوالينا فقِفْ
ريثما تبدو تباشيرُ الصباحِ

وهنا نادى على الدربِ فَتىً
صوتُهُ بينَ اقترابِ وانتزاحِ

يحملُ المصباح في قبضتِهِ
وينادي الركب منْ خلفِ الجِراحِ
فتلفَّتنا إليه فانطوى
صوتُه بين الروابي والبطاحِ
واحتوى الصمتُ الندا واضطربتْ
حولَ مصباحِ الفتى هُوجُ الرِّياحِ

يا رفيقي هذه ليلتُنا
عاقرٌ سكرى بآثامِ السِّفاحِ
والعفاريتُ عليها موكبٌ
يرتمي في موكبِ شاكي السلاحِ
والأعاصيرُ تدوِّي في الرُّبا
وتُميتُ العطرَ في صدرِ الأقاحي
وغصونُ الروضِ عرّاها الهوا
ورمى عن جيدها كلَّ وشاحِ
والرّياضُ الجردُ لَهفَى لمْ تجدْ
لطفَ أنسامٍ ولا نجوى صُداحِ
نامَ عنها الفجرُ والطيرُ فلا
همسُ مِنقارٍ ولا خَفْقُ جَناحِ

*

يا رفيقي في السُّرى هلْ للسُّرى
آخِرٌ؟ هلْ لظلامِ الدربِ ماحي؟

تـلـكَ كـأسُ الـعـمـرِ جـفّـتْ وهـوتْ
وهـوانـا فـي شِـفـاهِ الـكـأسِ صـاحـي

هـلْ وراءَ الـعـمـرِ عـمـرٌ شـائِـقٌ؟
هـلْ وراءَ الـيـأسِ ظـلٌّ مـنْ نـجـاحِ؟

أيُّ ركْـبٍ مـنْ هـنـا يـسـري ومـا
بـالُـهُ يَـسـري إلـى غـيـرِ فـلاحِ

وطـريـقُ الـسَّـفْـرِ شـوكٌ ودمٌ
يـصـرَعُ الـهـولُ بـه سـاحـاً بـسـاحِ

تـعِـبَ الـركـبُ وكَـلَّ الـدربُ مِـن
ضـجّـةِ الـسَّـفْـرِ وضـوضـاءِ الـتـلاحـي

(حـيْـرةُ الـسـاري) مـتـى يُـغـفـي؟ مـتـى
يـسـتـريـحُ الـدربُ مـنْ ركـبِ الـكـفـاحِ؟

❁❁❁

مدرسة الحياة

مـاذا يـريـدُ الـمـرءُ؟ مـا يـشـفـيـهِ
يـحـسـو رَوا[1] الـدُّنـيـا ولا يـرويـهِ!

ويـسـيـرُ فـي نـورِ الـحـيـاةِ وقـلـبُـه
يـنـسـابُ بـيـن ضـلالـهِ والـتّـيـهِ

والـمـرءُ لا تُـشـقـيـهِ إلاّ نـفـسُـهُ
حـاشـا الـحـيـاةَ بـأنـهـا تـشـقـيـهِ

مـا أجـهـلَ الإنـسـانَ يُـضـنـي بـعـضُـه
بـعـضـاً ويـشـكـو كـلَّ مـا يـضـنـيـهِ

ويـظـنُّ أن عـدوَّه فـي غـيـرِهِ
وعـدوّه يـمـسـي ويـضـحـي فـيـهِ

غِـرٌّ ويـدمَـى قـلـبُـه مـن قـلـبـهِ
ويـقـولُ: إنَّ غـرامَـهُ يُـدمـيـهِ

غِـرٌّ وكـمْ يـسـعـى لـيـروي قـلـبَـه
بـهـنـا الـحـيـاةِ وسـعـيُـه يُـظـمـيـهِ

يـرمـي بـه الـحـزنُ الـمـريـرُ إلـى الـهـنـا
حـتـى يـعـودَ هـنـاؤه يُـرْزيـهِ

(1) الرواء: كسماء، الماء الكثير المروي.

ولـكـنْ يـسـيءُ الـمـرءَ مـا قـد سـرَّه
قَـبْـلاً ويـضـحـكُـهُ الـذي يـبـكـيـهِ

مـا أبـلـغَ الـدنـيـا وأبـلـغَ درسـهـا
وأجـلّـهـا وأجـلَّ مـا تُـلـقـيـهِ

ومـن الـحـيـاةِ مـدارسٌ ومـلاعـبٌ
أيَّ الـفـنـونِ يـريـدُ أن تـحـويـهِ؟

بـعـضُ الـنـفـوسِ مـن الأنـامِ بـهـائـمٌ
لـبـسـتْ جـلـودَ الـنّـاسِ لـلـتـمـويـهِ

كـمْ آدمـيٍّ لا يُـعـدُّ مـن الـورى
إلاّ بـشـكـلِ الـجـسـمِ والـتـشـبـيـهِ

يـصـبـو فـيـحـتـسـبُ الـحـيـاةَ صـبـيـةً
وشـعـورهُ الـطـفـلُ الـذي يُـصـبـيـهِ

* *

قـمْ يـا صـريـعَ الـوهـمِ واسـألْ بـالـنّـهـى
مـا قـيـمـةُ الإنـسـانِ؟ مـا يُـعـلـيـهِ؟

واسـمـعْ تُـحَـدِّثْـكَ الـحـيـاةُ فـإنّـهـا
أسـتـاذةُ الـتـأديـبِ والـتّـفـقـيـهِ

وانـصـتْ فـمـدرسـةُ الـحـيـاةِ بـلـيـغـةٌ
تـمـلـي الـدروس وجَـلَّ مـا تـمـلـيـهِ

سـلْـهـا وإنْ صـمـتـتْ فـصـمـتُ جـلالِـهـا
أجـلـى مـن الـتـصـريـحِ والـتّـنـويـهِ

❁ ❁ ❁

ليلة الذكريات

دعيني أنم لحظةً يا همومُ
فقد أوشكَ الفجرُ أنْ يطلُعا

وكادَ الصباحُ يشقُّ الدُّجى
ولمْ يأذنِ القلبُ أنْ أهجَعا

دعيني دعيني أنَمْ غفوةً
عسى أجدُ الحُلُمَ المُمتعا

دعيني أطلَّ عليَّ الصباحُ
وما زلتُ في أرَقي مُوجَعا

وما زالَ يُتعبني مضجعي
ويُضني تقلّبي المضجَعا

لكِ اللّهُ يا ليلةَ الذكرياتِ
ولي ما أمرَّ وما أفزَعا!

⊛⊛⊛

سكرة الحب

كَـمْ أغـنّـيـكِ آهِ كَـمْ أسـفَـحُ الـروحَ فـي الـنّـغـمْ
وأنـاجـيـكِ والـدُّجـى بـيـنـنـا تـائـهٌ أصـمّ
والـوجـودُ الـكـبـيـرُ فـي سَـكـرةِ الـصـمـتِ والـظُّـلـمْ
وأنـادي كـأنّـنـي مُـعْـدَمٌ يـسـألُ الـعَـدَمْ

* * *

وأنـاجـي يـا ربّـةَ الـحـسـنِ والأشـ
واقُ حـولـي مـدَلَّـهـاتٌ صـوادي
وخـيـالـي يـسـمـو بـأجـنـحـةِ الـحُـبِّ
بـعـيـداً إلـى وراءِ الـبِـعـادِ
ومـعـانـيـكِ نـغـمـةٌ ردّدتْـهـا
نـغـمـاتـي عـلـى فـمِ الآبـادِ
وصـلاةٌ تُـفـجّـرُ الـطـهـرَ فـي مِـحْـ
رابِ حـبـي والـسـحـرَ فـي إنـشـادي
والـهـوى فـي فـمـي نـشـيـدٌ نـدِيٌّ
وصـلاةٌ قـدسـيَّـةٌ فـي فـؤادي
وأنـا فـي هـواكِ أمـضـي بـجـوع الـ
حـبِّ والأغـنـيـاتُ مـائـي وزادي
فـاسـتـثـيـري شـجـون حـبـي وزيـدي
فـي جـنـونـي، وحُـرْقـتـي واتّـقـادي

فجنونُ الغرامِ عقلٌ جديدٌ
طائرٌ في مسابحِ الوحي شادي

أنا أهواكِ للمعاني فزيديـ
ـني غراماً يُذيبُ قلبَ الجمادِ

* * *

وانْعمي مُهجتي هوىً مُلهَباً ثائرَ الضَّرَمْ[1]
واشعليني صبابةً واملأي خاطري حُمَمْ[2]
واجْهدي في تألُّمي لذَّةُ الحبِّ في الألمْ
عذّبيني وعذِّبي فعذابُ الهوى حِكَمْ

* * *

أضرمي لوعتي تفُهْ بالأغاني
والحِوار الأنيق زاهي البيانِ

فأجلُّ الغرام وجدٌ بلا وصـ
ـلٍ وشوقٌ تموتُ فيهِ الأماني

وصليني أو فاهجريني فحسبي
منكِ فنُّ الهوى وحُلْمُ التداني

أنا حسبي من الهوى أن يُحِسَّ الـ
ـقلبُ فيه قلباً من الحبِّ ثاني

إنما الحبُّ شرعةُ القلبِ والطَّبْـ
ـعِ فزيدي صبابتي وافتتاني

(1) نعمه وأنعمه: ملأه كلّه.
(2) الحُمَم: ما يقذفه البركان من الكتل الصخرية الملتهبة.

وانتفاضُ الغرامِ في الرُّوحِ معنى الرُّ
وحِ معنى الحياةِ في الإنسانِ

ما أمرَّ الهوى وأحلى معانيـ
ـه وأسمى صبابةَ الفنّانِ

أنا لولاكِ ما انتزفتُ شبابي
نغماً خالداً خلودَ المعاني

لا ولا ذُبتُ في فمِ الحبِّ شدواً
قُدُسيَّ الصَّدى نديَّ الحنانِ

* * *

ونشيداً متيَّماً مغرَمَ الصوتِ والصّدى
يحتسيهِ الهوى كما تحتسي الزَّهرةُ النّدى
كلّما استنطقَ الجوى صمْتَ أوتارِهِ شدا
وتندّى عواطفاً عاشقاتٍ وغرَّدا

* * *

وتغنّى كأنه بلبلُ الفجرِ
يَبُثُّ الصباحَ شكوى اللّيالي

فاسمعي لوعتي بأنفاسِ أوتا
ري فإني سكبتُ فيها انفعالي

واحتسي من كؤوسِ حبّي لحوناً
وارقصي رقصةَ الصِّبا والدلالِ

واسكريني يا هالةَ الحبِّ بالحبِّ
وبالسحرِ من كؤوس الجمالِ

سكرةُ القلبِ بالهوى سكرةُ الأز
هارِ بالعطرِ والندى والظلالِ

سكرةُ الحبِّ سكرةُ الفجرِ بالأنـ
وار سُكْرُ القلوب بالآمالِ

أنا مَنْ عشتُ في هواكِ أغنّيـ
ـكِ وأروي الغرامَ للأجيالِ

ومعاني هواكِ في ثغرِ لحني
بَسماتٌ بيضٌ كأزهى اللآلي

كالشذا في فمِ الربيعِ المندّى
كالمنى في خواطرِ الأطفالِ

⁂

لا تسلْ عنّي

لا تسلْ عني ولا عنْ ألمي
فلقد جلَّ الأسى عن كَلِمي

وتعايا صوتيَ المجروحُ في
عنفوانِ الألمِ المضطرمِ

ضقتُ بالصمتِ وضاقَ الصمتُ بي
بعدَما ضاقتْ عروقي بدمي

فدعِ التَّسآل عما بي فقدْ
ألجمتْ هيمنةُ الصمتِ فمي

وتهاديْتُ كأنّي أملٌ
يرتمي فوقَ بساطِ العدمِ

ودمي يصرخُ في جسمي كما
تصرخُ الثكلى ببيتِ المأتمِ

وأراني آه مهزومَ المنى
وأنا أحنو على المنهزمِ

أرحَمُ المحرومَ إحساساً ولمْ
تدرِ كفي كيفَ شكلُ الدرهمِ

وأنا أحنو على العاني وبي
حسرةُ العاني وجوعُ المُعدَمِ

وأنــا فــي عــزلــتــي الــســودا وفــي
قــلــبــيَ الــدامــي قــلــوبُ الأمــمِ

وتــآويــهُ الــحــيــارى تــلــتــقــي
فــي أحــاسيــسي وفــي روحــي الــظــمــي

آه كــمْ وقَّــعْــتُ آلامــي عــلــى
عــوديَ الــبــاكــي جــريــحَ الــنــغَــمِ

وعــبــرتُ الــعــمــرَ مــخــنــوقَ الإبــا
مُــطْــلَــقَ الــحِــسِّ حــبــيــس الــقــدَمِ

قــلــقَ الــيــقــظــةِ مــذعــورَ الــكــرى
ذاهــلَ الــفــكــرِ شــريــدَ الــحُــلُــمِ

حــائــرَ الــخــطــو كــأنــي مــذنــبٌ
مــيِّــتَ الــغــفــران حــيَّ الــنَّــدَمِ

وكــأنّــي قــصّــةٌ مــبــهــمــةٌ
فــي حــنــايــا كــبــريــاءِ الــظّــلَــمِ

وضــجــيــجٌ صــامــتٌ تــكــتُــفــه
لُــجَّــةُ الآلامِ والــلّــيــلُ الــعَــمــي

وعــلــى صــدري تــوابــيــتُ الــشــقــا
كــالــعــفــاريــتِ الــحــيــارى تــرتــمــي

كــلّــمــا ســاءلــتُ نــفــســي مــن أنــا
صــمــتــتْ عــنــي صــمــوتَ الــصــنــمِ

لا تـســل عـنـي فـآلامُ الـورى
بـضـلـوعـي كـالـلـهـيـبِ الـنَّـهِـمِ

وغِـنـا شـعـري بُـكـا عـاطـفـتـي
وتـبـاكـي جـرحـيَ الـمـبـتـسِـمِ

⊛⊛⊛

تائه

كان عملاقاً شاخ في فجر ميلاده، وكاد أن يحتضر في ربيع العمر، فتراه على بقية الأنفاس، يتراءى كالظل الحزين على صفحة الماء الراكد، نصف عمره حلم آت، ونصف ذكريات، يدور في محوره كطيف الأمس في أهداب الذكريات، فهو في متاهة الظنون حلم تقلبه أجفان الظُّلَم

تائهٌ كالجنونْ   خلف ما لا يكونْ
تائهٌ كالرّجا   في زوايا السّجونْ
كخيالِ اللّقا   حول وهمِ الجفونْ
كرياحِ الضحى   في صخورِ الحُزونْ
كأنينِ الشّتا   فوق صمتِ الغصونْ
كطيوفِ المسا   في متاهِ العيونْ
وحده يرتمي   خلف طيفِ الفتونْ
بين خفقِ الرؤى   وضجيجِ السكونْ
آه يا قلبَهُ   حرّقتْكَ الشجونْ
جفَّ خمرُ الهوى   في كؤوسِ اللّحونْ
ظامئٌ يرتوي   بسرابِ الظّنونْ
ما لَه هانَ أو   ما لَه لا يهونْ
كفَنتْ صوتَهُ   وصداهُ السنونْ
واختفى ظِلُّهُ   في غبارِ القرونْ
كوعودِ المنى   في الزّمانِ الخؤونْ

❂❂❂

أخي يا شباب
الفدا في الجنوب

أَفِقْ وانطلقْ كالشعاعِ النّدي
وفجّرْ من اللّيلِ فجرَ الغدِ

وثِبْ يا ابنَ أمي وثوبَ القضا
على كلِّ طاغٍ ومستعبدِ

وحطّمْ ألوهيَّةَ الظّالمينَ
وسيطرةَ الغاصب المفسدِ

وقلْ للمضلّينَ باسمِ الهدى:
تواروْا فقدْ آنَ أنْ نهتدي

وهيهاتَ هيهاتَ يبقى الشبابُ
جريحَ الإبا أو حبيسَ اليدِ

سيحيا الشبابُ ويُحيي الحمى
ويُفني عداةَ الغدِ الأسعدِ

ويبني بكفَيْهِ عهداً جديداً
سنيّاً ومستقبلاً عسجدي

وعصراً من النورِ عدلَ اللّواء
طهورَ المنى أنِفَ المقصدِ

* * *

فسرْ يا ابْنَ أمي إلى غايةٍ
سماويَّةِ العهدِ والمعهدِ

إلى غدِكَ المشتهى حيثُ لا
تروحُ الطغاةُ ولا تغتدي

فشُقَّ الدجى يا أخي واندفع
إلى ملتقى النورِ والسّؤددِ

وغامرْ ولا تحذرنَ المماتَ
فيغري بك الحذَرُ المعتدي

ولاقِ الردى ساخراً بالردى
ومتْ في العلا موتَ مستشهدِ

فمنْ لمْ يمتْ في الجهادِ النبيلِ
يمتْ راغمَ الأنفِ في المرقدِ

وإنَّ الفنا في سبيلِ العلا
خلودٌ، شبابُ البقا سرمدي

وما الحُرُّ إلاّ المضحّي الذي
إذا آنَ يومُ الفدا يفتدي

وحسبُ الفتى شرفاً أنّهُ
يُعادَى على المجدِ أو يعتدي

أخي يا شبابَ الفدا طال ما
خضعْنا لكيدِ الشقا الأسوَدِ

ومــرّتْ عــلــيــنــا ســيــاطُ الــعــذابِ
مــرورَ الــذبــابِ عــلــى الــجــلــمــدِ

فــلــنْ نــخــضــعَ الــيــومَ لــلــغــاصــبــيــن
ولــمْ نــســتــكــنْ لــلــعــنــا الأنــكــدِ

ســنــمــشــي ســنــمــشــي بــرغــمِ الــقــيــودِ
ورغـــمِ وعـــودِ الـــخـــداعِ الـــردي

فــقــدْ آنَ لــلــجــورِ أن يــنــتــهــي
وقــد آنَ لــلــعــدلِ أن يــبــتــدي

وعَــدْنــا الــجــنــوبَ بــيــومِ الــجــلاءِ
ويــومُ الــفــدا غــايــةُ الــمــوعــدِ

ســنــمــشــي عــلــى جثثِ الــغــاصــبــيــن
إلــى غــدِنــا الــخــالــدِ الأمــجــدِ

ونــنــصــبُ كــالــموتِ مــن مــشــهــدِ
ونــنــقــضُّ كــالأُسْــدِ مــنْ مــشــهــدِ

ونــرمــي بــقــافــلــةِ الــغــاصــبــيــن
إلــى الــعــالــمِ الآخــرِ الأبــعــدِ

فــتــمــســي غــبــاراً كــأنْ لــمْ تــعــشْ
بــأرضِ الــجــنــوبِ ولــمْ تــوجــدِ

أخــي يــا شــبــابَ الــفِــدا فــي الــجــنــوبِ
أفِــقْ وانــطــلــقْ كــالــشــعــاعِ الــنَّــدي

⊛ ⊛ ⊛

الربيع والشعر

في سنة 1375هـ هبت الحادثة الثانية في وجه الإمام أحمد بـ(تعز)، وكان أمد الانقلاب خمسة أيام، انتهت بالنصر للإمام؛ وكان ولي العهد في (الحديدة)؛ فمدّ إليه الثوار أشراك الاصطياد؛ ولكن صقر اليمن تمرد على الصياد، وطار إلى (حجّة) فحشد الجنود، وهيأ القواد لنجدة أبيه، ولكن الإمام أحمد كما هي عادته، أطفأ الثورة قبل مجيء النجدة.

وبعد حوالى شهر من الحادث، عاد ولي العهد إلى (صنعاء)، يحدوه النصر، وتزجيه الأبهة ويترنح في ركبه البِشْر، وكان وصوله إلى (صنعاء) فرحة شملت أرجاء القصر، فقد تلقاه المستقبلون في المطار بوجوه تقطر بشاشة، وقلوب تكاد تطل من العيون فرحاً.

ومن زحمة هذه الأفراح، وتصادم هذه الأرواح البشرية، وأنفاس الربيع الضاحك المتضوّع في الربوات والأوهاد؛ استولد الشاعر هذا النشيد:

وافاكَ مجتمعُ البلادِ فرنَّما
وصبا إليكَ مسَبِّحاً ومُتيِّما

وتدافعتْ (صنعا) إليكَ كأنَّها
حسناءُ مغرمةٌ تغازلُ مغرما

وهفتْ إليكَ كأنَّها مسحورةٌ
ملتاعةُ الأعصابِ ملهبَةُ الدِّما

ورأتْ ولـيَّ الـعـهـدِ فـازدانـتْ بـهِ
فـكـأنّـهـا قَـبسٌ يَـسـيـلُ تـضـرّمـا

وتـرقّـصـتْ رَبـواتـهـا الـفَـرْحـى كـمـا
رقـصـتْ عـلـى الأفـلاكِ أقـمـارُ الـسّـمـا

لـقـيـتْ ولـيَّ الـعـهـدِ دنـيـاهـا كـمـا
لـقـي الـعِـطـاشُ الـجـدولَ الـمـترنّـمـا

وصـبـتْ نـواحـيـهـا وجُـنَّ جـنـونُـهـا
فـرحـاً وكـادَ الـصـمـتُ أنْ يـتـكـلّـمـا

وتـجـاذبـتـكَ هـضـابُـهـا وسـهـولُـهـا
شـغـفـاً كـمـا جـذبَ الـفـقـيـرُ الـدِّرهـمـا

نـظـرتْ بـنـورِ الـبـدرِ فـجـرَ حـيـاتِـهـا
ورأتْ بـه الأمـلَ الـحـبـيـبَ مـجـسّـمـا

بـدرٌ مـطـالـعُـهُ الـقـلـوبُ ونـورهُ
يُـوحـي إلـى الأوطـانِ أنْ تـتـقـدّمـا

فـكـأنّـهُ فـجـرٌ يَـفـيـضُ أشـعّـةً
جـذلاً وفـردوسٌ يـفـيـضُ تـبـسّـمـا

وكـأنّـهُ وهَـجٌ إلـهـيُّ الـسّـنـا
ومـنـابـرٌ تـمـحـو ديـاجـيـرَ الـعـمـى

وكـأنّـهُ بـفـمِ الـرّبـيـعِ نـشـيـدةٌ
خـضـراءُ نـقّـشَـهـا الـصـبـاحُ ونـمـنـمـا

وروى فمُ التاريخِ سحر جمالِها
فِكَراً مجنّحةً ووحياً مُحْكَما

وكأنّه قلبٌ يذوبُ تأوّهاً
للبائسينَ ويستفيضُ ترحّما

فإذا رأى متألماً شاهدتَه
متوجّعاً ممّا بهِ متألما

حتى تراهُ لكلِّ عينٍ ماسحاً
عبراتِها ولكلِّ جرحٍ بلسما

وأحقُّ أبناءِ البسيطةِ بالعلا
من شاركَ العاني وآسى المعدَما

وأذلُّ أهلِ الأرضِ قلباً منْ رأى
عبثَ الظلومِ وذلَّ عنهُ وأحجما

وإذا تسامى الظلمُ طأطأَ رأسَهُ
متهيّباً وكفاهُ أنْ يتظلّما

أمحمدُ منْ أنتَ؟ أنتَ عدالةٌ
وصبابةٌ حرَّى بأحشاءِ الحِمَى

وعواطفٌ تندَى وإنسانيةٌ
عَضْما توشّحتِ السموَّ الأعصما

ولدتْكَ آفاقُ المعالي والعلا
شُعَلاً كما تلدُ السماءُ الأنجما

غـنّـاكَ شـعـري والـربـيـعُ وصـفـوُهُ
أهـدى إلـيـكَ زهـورَهُ والـعَـنْـدَمـا

حـيّـاكَ مـيـلادُ الـربـيـعِ بـطـيـبِـهِ
وشـدتْـكَ أشـعـاري نـشـيـداً مـلـهَـمـا

فـاسْـلَـمْ تُـقَـبِّـلْـكَ الـقـلـوبُ وتـرتـوي
مـنْ فـيـضِ بـهـجـتِـكَ الأمـانـي والـظّـمـا

❂ ❂ ❂

فَجْـران

12 ربيع أول سنة 1378هـ

مـــنْ ســـاحـــةِ الأصـــنـــامِ والأوثـــانِ
مـــنْ مـــســـرحِ الـطـاغـوتِ والـطُّـغـيـانِ

مِـن غـابـةِ الـوحـشـيـةِ الـرّعـنـا ومِـنْ
دنـيـا الـقـتـالِ ومـوطـنِ الأضـغـانِ

مـنْ عـالَـمِ الـشـرِّ الـمـسلّـحِ حـيـثُ لا
حـكـمٌ لـغـيـرِ مـهـنّـدٍ وسِـنـانِ

بـزغـتْ تـبـاشـيـرُ الـسـعـادةِ والـهـدى
بـيـضـاً كـطُـهـرِ الـحـبِّ فـي الـوجـدانِ

وأهـلَّ مـنْ أفـقِ الـغـيـوبِ عـلـى الـدُّنـا
فـجـرانِ . . فـجـرُ هـدىً وفـجـرُ حـنـانِ

يـا فـرحـةَ الـعَـلْـيـا أهـلَّ مـحـمّـدٌ
وعـلـيـهِ سـيـمـا الـمـجـدِ كـالـعـنـوانِ

وأطـلَّ مِـنْ مـهـدِ الـبـراءةِ والـسـمـا
والأرضُ فـي كـفَّـيْـهِ تـعـتـنـقـانِ

* * *

مـاذا تـرى الـصـحـرا؟ أنـوراً سـائـلاً
أمْ أنّـه حُـلـمٌ عـلـى الأجـفـانِ؟

فتحتْ نواظِرَها فضجَّ سكونُها
ما لي أرى ما لا ترى عينانِ

وتلفّتتْ ربواتُ مكةَ في السّنا
حيرى تُكابدُ صمتَها وتعاني

وتكادُ لولا الصّمتُ تسألُ جوَّها
ماذا ترى؟ ومتى التقى فجرانِ؟

وتيقَّظَ الغافي يرى ما لا ترى
في الوهمِ روحُ الملهَمِ الفنّانِ

نزلَ البسيطةَ بالسلامِ محمّدٌ
كالنّصرِ عندَ مخافةِ الخُذلانِ

يا صرعةَ الطاغوتِ أشرقَ بالهدى
رجُلُ الهدايةِ والرسولُ الباني

فإذا الجزيرةُ فرحةٌ وصبابةٌ
والجوُّ عرسٌ والحياةُ أغاني

وإذا العداوةُ وحدةٌ وأخوّةٌ
والبغضُ حبٌّ والنفورُ تَداني

هتَفتْ شفاهُ البعثِ فانتفضَ الثرى
وتدافعَ الموتى من الأكفانِ

زخَرتْ وضجّتْ بالحياةِ قبورُها
واهتاجتِ الأرواحُ في الأبدانِ

وتــلاقــتِ الــدنــيــا يــهــنِّــئ بــعــضُــهــا
بــعــضــاً فــكــلُّ الــكــائــنــاتِ تــهــانــي

* * *

وُلِــدَ الــرســولُ . . مَــنِ الــرســولُ؟ ومــنْ رأى
طــفــلاً لــه عَــلْــيــا الــخــلــودِ مــغــانــي؟

يــســعــى إلــى الــعَــلْــيــا وتــســعــى نــحــوَه
فــكــأنَّ بــيــنَــهــمــا هــوًى وأمــانــي

* * *

مَــنْ ذلــكَ الــطــفــلُ الــذي عــصــمَ الــدِّمــا
وحــمــى الــضــعــيــفَ مــن الــقــويِّ الــجــانــي

وتــنــاجــتِ الأكــبــادُ حــولَ جــلالِــهِ
بــالــحــبِّ نــجــوى الــحــورِ والــوِلْــدانِ؟

مَــنْ ذلــكَ الــطــفــلُ الــفــقــيــرُ يَــشِــعُّ مــنْ
عــيــنــيــهِ تــاريــخٌ وسِــفــرُ مَــعــانــي؟

مــا شــأنُ هــذا الــطــفــلِ مــا آمــالُــه؟
فــوقَ الــمــنــى والــشــأنِ والــســلــطــانِ

هــذا الــيــتــيــمُ وســوفَ يــغــدو وحــدَه
رجــلَ الــخــلــودِ وواحــدَ الأزمــانِ

وتــحــقَّــقَ الأمــلُ الــجــمــيــلُ وأيــنــعــتْ
روحُ الــنــبــوَّةِ فــي أجــلِّ كَــيــانِ

حــمــلَ الــرســالــةَ وحــدَه ومــضــى عــلــى
حــدِّ الــســيــوفِ وألــســنِ الــنــيــرانِ

عـبـرَ الـمـمـهـالـكَ والـسـلامُ سـلاحُـهُ
يـدعـو إلـى الـحـسـنـى، إلـى الإحـسـانِ

وإلـى الأمـانـةِ والـبـراءةِ والـتُّـقـى
ومـحـبـةِ الإنـسـانِ لـلإنـسـانِ

وإلـى الـتـآخـي والـتـصـافـي والـوفـا
والـبـرّ والـعـيـشِ الـظـلـيـلِ الـهـانـي

فـتـجـاوبـتْ حـولَـيْـه أحـقـادُ الـعـدا
وتـفـجّـرتْ فـي الـدربِ كـالـبـركـانِ

فـمـشـى عـلـى نـارِ الـحُـقـودِ كـأنّـهُ
يـمـشـي عـلـى الأزهـارِ والـغُـدْرانِ

وعِـدا الـحـقـيـقـةِ حـولَـهُ تـجـتـاحُـهـم
هـمـجـيّـةٌ دمـويّـةُ الألـوانِ

وغـوايـةٌ تُـصـبـي الـغـويَّ كـأنّـهـا
شـيـطـانـةٌ تـوحـي إلـى شـيـطـانِ

ومـحـمـدٌ يُـلـقـي الأشـعـةَ هـاهُـنـا
وهـنـا ويـفـتَـحُ مـقـلـةَ الـوسـنـانِ

فـطـغـتْ أعـاديـهِ عـلـيـهِ فـردَّهـم
بـالآيـتـيـنِ: الـصـبـرِ والإيـمـانِ

واقـتـادَ مـعـركـةَ الـفـدا مـتـفـانـيـاً
إن الـجـهـادَ عـقـيـدةٌ وتـفـانـي

والحقُّ لا تحميهِ إلاّ قوةٌ
غضبى كألسنةِ اللهيبِ القاني

والأرضُ أمُّ الناسِ ميدانُ الوغى
والعاجزونَ فريسةُ الميدانِ

والمجدُ حظُّ مدرَّبٍ ومسلّحٍ
والموتُ حظُّ الأعزلِ المتواني

رفعَ الرسولُ لِوا النبوةِ بالهدى
وحمى الهدى بالرمحِ والفرسانِ

وغزا البلادَ سهولَها ووعورَها
بالقوّتينِ : السيفِ والقرآنِ

وتراهُ إنْ لمسَتْ يداهُ بقعةً
نشأتْ على الإصلاحِ منهُ يدانِ

وإذا أتتْ قدماهُ أرضاً أطلعتْ
خُطواتُهُ فجراً بكلِّ مكانِ

إنَّ الزعامةَ قوةٌ وعدالةٌ
وشجاعةٌ سمحا وقلبٌ حاني

***

يا خيرَ منْ حملَ الرسالةَ والتُّقى
في عزمِ روحٍ في أرقِّ جَنانِ

ذكراكَ آياتُ الزمانِ كأنَّها
أنشودةُ العليا بكلِّ زمانِ

أمـحـمّـدٌ خُـذْ بـنـتَ فـنّـي إنّـهـا
أخـتُ الـزهـورِ بـريـئـةُ الألـحـانِ

وعـلـيـكَ ألـفُ تـحـيّـةٍ مـنْ شـاعـرٍ
فـي كـلِّ عـضـوٍ مـنـهُ قـلـبٌ عـانـي

●●●



في
طريق الفجر


الناشيء

إلى قارئي

22/ 2/ 1383هـ ـ 14/ 7/ 1963م

مِنَ القبرِ مِنْ حشرجاتِ الترابْ
على الجمرِ مِنْ مهرجانِ الذُّبابْ

ومِنْ حيثُ كانَ يدقُّ القطيعُ
طبولَ الصَّلاةِ أمامَ الذئابْ

ويهوي كما يرتمي في الصّخورِ
قتيلٌ على كتفيْهِ مُصابْ

ومنْ حيثُ كانتْ كؤوسُ الجراحِ
تزغردُ بينَ شفاهِ الحِرابْ

ومنْ حيثُ يحسو حنينُ الربا
غبارَ المنى ونجيعَ السّرابْ

ومنْ حيثُ يتلو السّؤالُ السؤالَ
ويبتلعُ الذعرُ وهمَ الجوابْ

عزفتُ اصفرارَ الرَّمادِ العجوزِ
ليحمرَّ فيهِ طفورُ الشَّبابْ

وحرّقتُ أنفاسي المطفآتِ
وأطفأتُها بالحريقِ المُذابْ

أتَشتَمُّ يا قارئي في غِناي
دُخانَ المغنّي وشَهْقَ الرَّبابْ؟

وتسمعُ فيهِ أنينَ الضَّياعِ
تبعثرُهُ عاصفاتُ الضبابْ

فَإنَّ حروفي اختلاجُ السهولِ
وشوقُ السواقي، وخفقُ الهِضابْ

وشوقُ الرحيقِ بصدرِ الكرومِ
إلى الكأسِ والثلجِ في كلِّ بابْ

وخوفُ المودّعِ غيبَ النوى
وسهدُ المنى في انتظارِ الإيابْ

أنا من غزلتُ انتحارَ الحياةِ
هنا شفقاً من زفيرِ العذابْ

ولحّنتُهُ سحراً يَحتسي
رؤى الفجرِ بينَ ذراعَيْ كِتابْ

وتنبُضُ فيهِ عروقُ السكونِ
ويمتدُّ في ثلجِهِ الالتهابْ

ويتّقدُ الشوقُ في مقلتيْهِ
ويظمأُ في شفتيْهِ العتابْ

❁ ❁ ❁

في طريقِ الفجر

27 جمادى الآخرة سنة 1382هـ

أسفرَ الفجرُ فانهضي يا صديقَةْ
نقتطفْ سحرَهُ ونحضنْ بريقَهْ

كمْ حننّا إليهِ وهوَ شجونٌ
في حنايا الظلامِ حيْرى غريقَةْ

وتباشيرُهُ خيالاتُ كأسٍ
في شفاهِ الرُّؤَى، ونجوى عميقَةْ

وظمئنا إليهِ وهو حنينٌ
ظامئٌ يُرْعِشُ الخفوقُ شهيقَهْ

واشتياقٌ يقتاتُ أنفاسَهُ الحُمْـ
ـرَ ويحسو جراحَهُ وحريقَهْ

وذهولٌ كأنَّهُ فيلسوفٌ
غابَ في صمتِهِ يناجي الحقيقَةْ

وطيوفٌ كأنّها ذكرياتٌ
تتهادى من العهودِ السّحيقَةْ

واحتضنّا أطيافَهُ في مآقينا
كما يحضنُ العشيقُ العشيقَةْ

وهـو حـبٌّ يـجـولُ فـي خـاطـرِيْـنـا
جـولـةَ الـفـكـرِ فـي الـمـعـانـي الـدَّقـيـقَـهْ

والـتـقـيـنـا نُـريـقُ دمـعَ الـمـآقـي
فـأبـتْ كـبـريـاؤنـا أنْ نُـريـقَـهْ

واحـتـرقْـنـا شـوقـاً إلـيـهِ وذُبْـنـا
فـي كـؤوسِ الـهـوى لـحـونـاً رقـيـقَـهْ

وانـتـظـرْنـاهُ والـدّجـى يـرعـشُ الـحـلـمَ
عـلـى هـجـعـةِ الـقـبـورِ الـعـتـيـقَـهْ

والـسُّـرى وحـشـةٌ وقـافـلـةُ الـسَّـفْـ
ـرِ يـخـافُ الـرفـيـقُ فـيـهـا رفـيـقَـهْ

وظـلامٌ لا يـنـظـرُ الـمـرءُ كـفَّـيْـ
ـهِ ولا يُـسـعِـدُ الـشـقـيـقُ شـقـيـقَـهْ

هـكـذا كـانَ لـيـلُـنـا فـتـهـادى
فـجـرُنـا الـطّـلـقُ فـالـحـيـاةُ طـلـيـقَـهْ

* *

فـانـظـري: يـا (صـديـقـتـي) رقـصـةَ الـفـجـرِ
عـلـى خُـضـرةِ الـحـقـولِ الـوريـقَـهْ

مـهـرجـانَ الـشـروقِ يـشـدو ويـنـدى
قُـبُـلاتٍ عـلـى شـفـاهِ الـحـديـقَـهْ

فـانـهـضـي نَـلْـثُـمِ الـشـروقَ الـمـغـنّـي
ونـقـبِّـلْ كـؤوسـه ورحـيـقَـهْ

واخطري يا (صديقتي) في طريقِ الـ
فجرِ كالفجرِ، كالعروسِ الأنيقَةْ

واذكري أننا نعشنا صِباهُ
وحدَوْنا على خطاهُ الرشيقَةْ

وسكبْنا في مهدِهِ دفءَ قلبَيْـ
ـنا وأحلامَنا العذارى المشوقَةْ

نحن صُغنا أضواءهُ مِنْ هَوَانا
وفَرَشْنا بالأغنياتِ طريقَهْ

وشَدَوْنا في دربِهِ كالعصافيـ
ـرِ، وشدْوُ الغرامِ فيضُ السليقَةْ

لنْ نُطيقَ السكوتَ فالصمتُ للمَيْـ
ـتِ وتأبى حياتُنا أنْ نطيقَهْ

* * *

نحنُ منْ نحنُ؟ نحنُ تاريخُ فكرٍ
وبلادٌ في المَكْرماتِ عريقَةْ

سبقتْ وهمَهَا إلى كلِّ مجدِ
وانتهتْ منهُ قبلَ بدءِ الخليقَةْ

فابسمي، عادَ فجرُنا وهو يتلو
للعصافيرِ مِنْ دِمانا وثيقَةْ

❂❂❂

صراع الأشباح

عقد النوم أهداب الشاعر فطافت به الرؤيا في لا مطاف، وسار في غير درب، وصارع في لا صراع، وأفاق الشاعر يروي قصة الأشباح المتقاتلة في لا قتال.. فهل تصدق الأحلام؟

وحـدي ومـقـبـرةٌ جـواري ... والـوهـمُ والأشـبـاحُ داري
والأفـقُ يـشْـرَقُ بـالـدّجـى ... ويـلـوكُ حشرجـةَ الـدراري[1]
والـريـحُ تـزحـفُ كـالـجـنا ... ئـز فـي حُـشـودٍ مِـنْ غـبـارِ
والـنـجـمُ مُـحـمَـرُ الـشُّـعا ... عِ كـأنّـهُ أحـلامُ ثـارِ
وكـأنَّ عـيـنـيْـه تـشـهّـي ... جـارةٍ وحـنـيـنُ جـارِ
وأنـا أتـيـهُ كـنـجـمـةٍ ... حيْرى، تُـفَـتِّـشُ عـنْ مـدارِ
وكـأنـنـي طـيـفُ (الـفـرز ... دقِ) يـجـتـدي ذكـرى (نـوارِ)
وأرودُ مـنـزلَ غـادةٍ ... كـالـصَّـيفِ عـاطـرةِ الـمَـزارِ
وكـأنّـنـي أمـشـي عـلـى ... حُـرَقـي وأشـلاءِ اصـطـباري
ودنـوتُ مـنـهـا فـانـتـشَـتْ ... شـفـتـايَ، واخضـرَّ افـتـراري
ورنَـتْ إلـيَّ فـتـمـتـمـتْ ... ودنـتْ، وغـابـتْ فـي الـتّـواري
وأردتُ عُـذْراً فـانـطـوى ... فـي خـاطري الـخجلِ اعتذاري
وهـمـسـتُ: أيـنَ فـمـي؟ ونـا ... ري فـي دمـي تـقـتـاتُ نـاري
ورجـعـتُ أحـمـلُ فـي الـحـشـا ... حُـرَقـاً كـحـيّـاتِ الـقـفـارِ
وأُحـاورُ الـحـسـنـاءَ فـي ... صـمـتـي فـيُـذْنـيـهـا حـواري
فـأظـنُّـهـا حـولـي رحـيـ ... ـقـاً فـي كـؤوسٍ مـنْ نُـضـارِ

(1) يشرق: يغصُّ بماء.

تبدو وتخفَى كالطيوفِ وتستقرُّ بلا قرارِ
وتكادُ تَقْلعُ ثوبَها حيناً وترمي بالخِمارِ
وأكادُ أحضنُ ظلَّها جسداً من الرَّغباتِ عاري
وطفقتُ أزرعُ من رمالِ الوهمِ كرْماً في الصحاري

* * *

فدوَتْ حيالي ضجّةٌ غضبى كدمدَمةِ انفجارِ
وسعتْ إليَّ غابةٌ تومي بأشداقِ الضواري
وعصابةٌ بَرَّاقةُ الـ ألوانِ داميةُ الشِّفارِ
تمشي فيحترقُ الحصا والريحُ تقذفُ بالشَّرارِ
وأحاطَها وَمضُ البروقِ فسجّلتْ أخزى اندحارِ
واللّيلُ يبتلع السَّنا والخوفُ يرتجلُ الطّواري
فتُصارعُ الأشباحُ أشـ ـباحاً على شرٍّ انتصارِ
وهُنا استجرتُ بساحرٍ بادي التُّقى نتنِ الإزارِ
يهذي ويقتَادُ النزيلَ إلى لصيقاتِ العثارِ
ويبيعُ ساعاتِ الفجورِ لكلِّ بائعةٍ وشاري
لصٌّ يتاجرُ بالخنا ويزينُهُ كَذِبُ الوقارِ
ويكادُ يَنفُرُ بعضُهُ منْ بعضِهِ أشقى نِفارِ
ويَثُورُ إنْ ناوأتَهُ في الإثمِ كالنَّمرِ المُثارِ
وبلا انتظارٍ كشَّرتْ في وجهِهِ (ذاتُ السّوارِ)
فاهتاجَ وابتدرَ العصا ودوت كعاصفةِ الدَّمارِ
فانقضَّ كالثورِ الذَّبيحِ يخورُ، يَخْنَقُ بالخوارِ
ورمتْ به للموتِ يكْـ ـنسُهُ إلى دارِ البوارِ
وتهافتَ الجيرانُ فاتَّـ ـقَدَ الشِّجارُ على الشِّجارِ

فـشَـرَدْتُ عـنـهُ كـطـائـرٍ ظـمـآنَ طـارَ مِـنَ الإسـارِ
والـرّيـحُ تَـبْـصـقُـنـي وتَـرو وي لـلـشّـيـاطـيـنِ احـتـقـاري
وكـأنّ أنـهـاراً تـنـا ديـنـي وتـنـضـبُ فـي الـمـجـاري
فـأعـبُّ مـنْ عـفـنِ الـرُّؤى وحَـلاً ووهـمـاً مـنْ عُـقـارِ
وأفـرُّ مـنْ نـفـسـي إلـى نـفـسـي وأهْـرُبُ مـنْ فِـراري
أهْـوي عـلـى ظـلّـي كـمـا يَـهـوي الـجـدارُ عـلـى الـجـدارِ
وأسـائـلُ الأحـلامَ عـنْ دنـيـا تـرقُّ عـلـى انـكـساري
لا تَـشْـكُـتـي: لـم أنـتـحـر إنّـي أقـلُّ مـن انـتـحـاري
أنـا مـنْ بـحـثـتُ عـن الـرّدى فـي كـلِّ رابـيـةٍ وغـارِ
ونَـسـيـتُ مـأتـمَ زوجـتـي وأبـي وحشـرجـةَ احـتـضـاري

* * *

هـل خَـلْـفَ آفـاقِ الـمـنـى دنـيـا أجـلُّ مـن انـتـظـاري؟!
خـضـراءُ طـاهـرةُ الـجَـنَـى والـرّيّ، دانـيـةُ الـثّـمـارِ
ومـواسـمٌ تَـنْـدى وتُـو لِـمُ لـلـغُـرابِ، ولِـلْـهَـزَارِ
لـلـقُـبّـراتِ ولـلـصّـقـورِ ولـلـعـصـافـيـرِ الـصّـغـارِ
إنّـي كـبِـرْتُ عـن الـهـوى والـزّيـفِ والـحـبِّ الـتِّـجاري
وبـصـقْـتُ دنـيـا جـيـفـةٍ تـؤذي وتُـغـري بـالـشّـعـارِ
وتَـصـوغُ مـنْ قـذرِ الـخـطـا يـا الـسّـودِ رايـاتِ الـفـخـارِ
ومَـلـلْـتُ تـيـهـاً مـيّـتَ الـ ألـوانِ مَـكْـرُورَ الإطـارِ
وسـئـمـتُ أشـبـاحـاً أُدا رِيـهـا، وأشـتـمُ مَـنْ أُداري
ولـعـنـتُ وجـهـي الـمـسـتـعـا رَ وكـلَّ وجـهٍ مُـسْـتـعـارِ
وهـفَـتْ إلـيّ نـسـيـمـةٌ جَـذْلـى كـآمـالِ الـعـذاري
كَـتَـبَـسُّـمِ الأفْـراحِ فـي مُـقـلِ الـصّـبـيّـاتِ الـغـرارِ

* * *

وتَثاءَبَ الفجرُ الجريحُ كمنْ يفيقُ من الخُمارِ[1]
وانشقَّ أفقُ الغيبِ عنْ عهدِ المروءاتِ الكبارِ
وكأنّ دنيا أشرقت كالحُورِ منْ خلفِ السّتارِ
تلقي المحبّةَ عن يميني والبراءَةَ عن يساري
وسَرَتْ حكاياتُ المديـ ـنةِ كالخيالاتِ السّواري
ووجدتُني أنهارُ وحْـ ـدي واسْتَفَقْتُ على انهياري
ونهضتُ والدّنيا كما كانتْ تُفاخر بالصغارِ
وتهاوتِ الدّنيا التي خلَقَ افتناني وابتكاري
فوددتُ لو ألْقَى كِذَا بَ الليل صِدْقاً في النهارِ

❁❁❁

(1) الخُمار: صداع الرأس من تأثير الخمرة.

عتابٌ ووعيد

غرّة جمادى الآخرة سنة 1380هـ

وجُهت هذه القصيدة إلى الطاغية احمد في تصور شعري

لماذا ليَ الجوعُ والقصفُ لكْ؟
يناشدني الجوعُ أنْ أسألَكْ

وأغرسُ حقلي فتجنيهِ أنتَ
وتُسكرُ منْ عَرَقي مِنجلَكْ!

لماذا؟ وفي قبضتيكَ الكنوزُ
تَمُدُّ إلى لقمتي أنْمُلَكْ

وتقتاتُ جوعي وتُدعى النَزيهَ
وهلْ أصبحَ اللصُّ يوماً مَلَكْ؟

لماذا تسُودُ على شقوتي؟
أجبْ عنْ سؤالي وإنْ أخجلَكْ

ولو لمْ تُجب فسكوتُ الجوابِ
ضجيجٌ يردِّد: ما أنذلَكْ

لماذا تدوسُ حشايَ الجريحَ
وفيهِ الحنانُ الذي دلّلَكْ

ودمعي، ودمعي سقاكَ الرحيقَ
أتذكُر يا نذلُ، كمْ أثملَكْ؟!

فما كان أجهلَني بالمصيرِ
وأنتَ لكَ الويلُ ما أجهلَكْ!

* * *

غداً سوفَ تعرفُني منْ أنا
ويسلبُكَ النُّبْلَ منْ نبَّلَكْ

ففي أضلعي، في دمي غضبةٌ
إذا عصفتْ أطفأتْ مشعلَكْ

غداً سوفَ تلعنُكَ الذكرياتُ
ويلعنُ ماضيكَ مستقبلَكْ

ويرتدُّ آخِرُكَ المستكينُ
بآثامهِ يزدري أوَّلَكْ

ويستفسرُ الإثمُ: أينَ الأثيمُ؟
وكيف انتهى؟ أيَّ دَرْبٍ سلَكْ؟

* *

غداً لا تقلْ: تُبْتُ. لا تعتذرْ
تحسَّرْ وكَفْكِنْ هُنا مأملَكْ

ولا، لا تَقُلْ: أينَ منّي غدٌ؟
فلا، لمْ تُسمِّرْ يداكَ الفلَكْ

غداً. لمْ أصفِّقْ لركبِ الظلامِ
سأهتفُ: يا فجرُ ما أجملَكْ

⚙ ⚙ ⚙

الجناح المحطم

خطرةٌ وانبرى النذيرُ وصاحا:
الحريقُ الحريقُ يطوي الجناحا

وتعالى صوتُ النذيرِ وألوى
أملُ العمرِ وَجْهَهُ وأشاحا

ودنا منْ هنا الحريقُ وأوما
بارقُ الموتِ منْ هناكَ ولاحا

ورَنا السَّفْرُ[1] حوله ليس يدري
هل يرى الجِدَّ أمْ يحسُّ المزاحا؟

تارةً يرقبُ الخلاص وأخرى
يرقبُ اليأس والهلاكَ المتاحا

وتعايا حيناً يقلِّبُ كفَّيـ
ـهِ وحيناً يشدُّ بالرّاحِ راحا

وإذا النارُ تحتوي ماردَ الجوِّ
ويجتاحُه الحريقُ اجتياحا

خطوةٌ في الرحيلِ واختصرَ المو
تُ مسافاتِه الطوالَ الفساحا

---

(1) السَّفْرُ: جماعة المسافرين.

وأطاحَ الجناحُ بالرّكبِ في الجوّ
وأودى الجناحُ فيه وطاحا

مَنْ رآهُ يخرُّ في الهُوَّةِ الحيْرى
ويستنجِدُ الرُّبَا والبطاحا؟

مَنْ رآهُ على الصخورِ رفاتاً
وشظايا تعطي الرَّمادَ الرّياحا؟

مَنْ رأى الصَّقرَ حينَ مدَّ إلى النا
رِ جناحاً وللفِرارِ جناحا؟

وهوى الطائرُ الكسيرُ ودوَّى
موكبُ الرُّعبِ مِلأهُ وتلاحى

وارتمى يطرحُ الجناحَ المدمّى
مثلما يطرحُ القتيلُ السِّلاحا

* * *

وانطوى الركبُ في السكونِ وأطفتْ
هجعةُ الرملِ عَزْمَه والطِّماحا

وانتهى عمرُهُ وهلْ كانَ إلاّ
في مدى النفسِ غدوةً أو رَوَاحا

خلعَ العُمرَ فاطمأنَّ وأغفى
واستراحتْ جراحُه واستراحا

ماتَ، والشعبُ بينَ جنبيْهِ قلبٌ
خافقٌ يُطعمُ الحنينَ الجراحا

ويَضمُّ البلادَ خلفَ الحنايا
أمنياتٍ وذكرياتٍ مِلاحا

لمْ يكدْ شعبُه يذوقُ هناءً
منهُ حتى بكى وأبكى وناحا

* * *

أيها الرّكبُ يا شهيدَ المعالي!
هل رأيتَ الحياةَ شرّاً صُراحا؟

أمْ فقدتَ النّجاحَ في العمرِ حتى
رُحتَ تبغي عندَ المماتِ النّجاحا

عندما قبَّلَ الثرى منكَ جُرحاً
أورقَ التربُ منْ دماهُ وفاحا

هكذا المجدُ تضحياتٌ، وغبنٌ
عمرُ منْ لمْ يَخضْ إلى المجدِ ساحا

إنما الموتُ والحياةُ كفاحٌ
يكسِبُ النصر مَنْ أجادَ الكفاحا

لا استراحَ الجبانُ لا نامَ جفناه
ولا أدركتْ خطاهُ الفلاحا

إنما الموتُ مَرَّةٌ والدَّمُ المهْـ
ـدُورُ يَبقى على الزَّمانِ وشاحا

كمْ جبانٍ خافَ الرَّدى فأتاهُ
وتخطَّى ستارَهُ واستباحا

ونـفـوسٍ شـحَّـتْ عـلـى الـمـوتِ لـكـنْ
أيُّ مـوتٍ صـانَ الـنـفـوس الـشـحـاحـا؟

كـمْ مـلـيـكٍ يـأوي إلـى الـقـصـرِ لـيـلاً
ثـم يـأوي إلـى الـتـرابِ صـبـاحـا

* * *

شـرعـةُ الـمـجـدِ أن تـصـارعَ فـي الـمَـجْـ
ـدِ، وتـسـتـلَّ لـلـصِّـفـاحِ صـفـاحـا

أيـهـا الـركـبُ نـمْ هـنـيـئـاً ودعْـنـا
نـعـتـسـفْ بـعـدكَ الـخـطـوب الـجِـمـاحـا

ووداعـاً يـا فـتـيـةَ الـيـمـنِ الـخَـضْـ
ـرا وداعـاً بـحُـرقـةِ الـصـدرِ بـاحـا

❁❁❁

لا تسألي

22 رجب سنة 1379هـ كانت ليلة من ليالي الخريف، والظلام ممتد في كل جهة كأنه مقبرة معلقة في الهواء، وكان يعبر الطريق كالمقيد في الوحل، وما رفيقاه إلاّ ظله وأخته، فلم تسأله وأجاب، وسألها فأجابت، وكان التساؤل والجواب زاد الرحيل.. وهكذا أجاب، وهكذا سأل

لا تسألي يا أختُ أينَ مجالي؟
أنا في الترابِ وفي السّماءِ خيالي

لا تسأليني أينَ أغلالي؟ سلي
صمتي وإطراقي عنِ الأغلالِ!

أشواقُ روحي في السماءِ وإنما
قدمايَ في الأصفادِ والأوحالِ

وتوهُّمي في كلِّ أفقٍ سابحٌ
وأنا هنا في الصَّمتِ كالتمثالِ

أشكو جراحاتي إلى ظلِّي كما
يشكو الحزينُ إلى الخليِّ السّالي

واللَّيلُ منْ حولي يضجُّ وينطوي
في صمتِهِ كالظالمِ المتعالي

يسري وفي طفراتِهِ ووقارِهِ
كسَلُ الشيوخِ وخفّةُ الأطفالِ

وتخالُهُ ينساقُ وهو مقيَّدٌ
فتُحِسُّهُ في الدَّربِ كالزلزالِ

وأنا هنا أصغي وأسمعُ من هنا
خفقاتِ أشباحٍ من الأهوالِ

ورُؤىً كألسنةِ الأفاعي حُوَّماً
ومخاوفاً كعداوةِ الأنذالِ

وأُحِسُّ قُدَّامي ضجيجَ مراقدٍ
وتثاؤبَ الآبادِ والآزالِ

وتنهُّداً قلقاً كأنَّ وراءهُ
صخَبَ الحياةِ وضجّةَ الأجيالِ

والطَّيفُ يصغي للفراغِ كأنّه
لصٌّ يُصيخُ إلى المكانِ الخالي

وكأنّه (الأعشى) يناجي (ميّةً)
ويلملمُ الذكرى من الأطلالِ

والشُّهبُ أغنيةٌ يرقرقُها الدُّجى
في أفقهِ كالجدولِ السّلسالِ

والوهمُ يحدو الذكرياتِ كمدلجٍ
يحدو القوافلَ في بساطِ رمالِ

والرُّعبُ يهوي مثلما تهْوي على
ساحِ القتالِ جماجمُ الأبطالِ

* * *

وهنا ترقبتُ انهياري مثلما
يترقبُ الهدمَ الجدارُ البالي

وسألتُ جرحي هلْ ينامُ ضجيجُهُ؟
وأمَرُّ من ردِّ الجوابِ سؤالي!

وأشدُّ مما خِفْتُ منهُ تخوُّفي
وأشقُّ من وعرِ الطريقِ كَلالي!

وأخسُّ من ضعفي غروري بالمنى
واليأسُ يضحكُ كالعجوزِ حيالي!

وأمضُّ من يأسي شعوري أنّني
حيُّ الشهيّةِ، ميّتُ الآمالِ

أسري كقافلةِ الظّنونِ وأجتدي
شبحَ الظّلامِ وأهتدي بضلالي

وأسيرُ في الدّربِ الملفّحِ بالدّجى
وكأنّني أجتازُ ساحَ قِتالِ

وأتيهُ والحمّى تولولُ في دمي
وترتِّلُ الرّعشاتِ في أوصالي

* * *

لا تسأليني عنْ مجالي.. في الثرى
جَسَدي وروحي في الفضاء العالي

وسألتُها: ما الأرضُ؟ قالتْ إنّها
فلوَاتُ أوحاشٍ وروضُ صِلالِ(1)

(1) الصِّلال: الحيّات ذات الأجراس.

إنْ كنتَ محتالاً قطفتَ ثمارها
أو لا، فإنَّكَ فرصةُ المحتالِ

وأنا هنا أشقى وأجهلُ شقوتي
وأبيعُ في سوقِ الفجورِ جَمالي

والعُمر مشكلةٌ ونحنُ نزيدُها
بالحلِّ إشكالاً إلى إشكالِ

لا حُرَّ في الدنيا فذو السلطانِ في
دنياهُ عبدُ المجدِ والأشغالِ

والكادحُ المحرومُ عبدُ حنينِهِ
فيها، وربُّ المالِ عبدُ المالِ

والفارغُ المكسالُ عبدُ فراغِهِ
والسَّفْر عبدُ الحلِّ والترحالِ

واللّصُّ عبدُ الليلِ والدَّجالُ في
دنياهُ عبدُ نفاقِهِ الدَّجالِ

لا حُرَّ في الدنيا ولا حريّةٌ
إنَّ التحررَ خدعةُ الأقوالِ

النّاسُ في الدُّنيا عبيدُ حياتِهم
أبداً عبيدُ الموتِ والآجالِ

* * *

وسألتُها ما الموت؟ قالتْ: إنَّهُ
شطُّ الخضمِّ الهائجِ الصَّوَّالِ

وسكونُهُ الحاني مصيرُ مصائرٍ
وهدوؤُهُ دعةٌ وعمقُ جَلالِ

ما لي أحاذرُهُ وأخشى قولَهُ
وأنا أجرُّ وراءَهُ أذيالي؟!

أنساقُ في عمري إليهِ مثلما
تنساقُ أيّامي إلى الآصالِ

* * *

وسألتُها فرنتْ وقالتْ: لا تسلْ
دَعني عنِ المفضولِ والمِفضالِ!

أُسكتْ! فليس الموتُ سوقاً عندَهُ
عمرٌ بلا ثمنٍ، وعمرٌ غالي!

***

عذابٌ ولحن

21 ربيع الآخر سنة 1381هـ.

لِمَنْ أُرعِشُ الوترَ المُجهَدا
وأشدو وليس لشدوي مدى؟

وأُنهي الغناءَ الجميلَ البديعَ
لكي أبدأَ الأحسنَ الأجودا

وأستنشدُ الصَّمتَ وحدي هنا
وأخيلتي تعبرُ السَّرمدا

فأسترجعُ الأمس منْ قبرِهِ
وأهْوَى غداً قبلَ أنْ يولدا

وأستنبتُ الرَّملَ بالأمنياتِ
زهوراً، وأستنطقُ الجلمدا

وحيناً أنادي وما منْ مجيبٍ
وحيناً أجيبُ وما منْ نِدا

وأبكي ولكنْ بكاءَ الطيورِ
فيدعونني الشَّاعرَ المنشدا

* * *

لمنْ أعزفُ الدَّمعَ لحناً رقيقاً
كسحرِ الصِّبا كابتسامِ الهدى؟

لعينيكِ نغمتُ قيثارتي
وأنطقتُها النَّغَمَ الأخْلدا

أغنيكِ وحدي وظلُّ القنوطِ
أمامي وخلفي كطيفِ الرَّدى

وأشدو بذكراكِ لمْ تسألي:
لمنْ ذلك الشّدوُ؟ أو منْ شدا؟

كأنْ لمْ نكنْ نلتقي والهوى
يدلّلُ تاريخَنا الأمردا

وحبّي يغنّيكِ أضبى اللحونِ
فيحمرُّ في وجنتيْكِ الصَّدى

ونمشي كطفلينِ لمْ نكترثْ
بما أصلحَ الدهرُ أوْ أفسدا

ونزهو كأنَّا ملكنا الوجودَ
وكانَ لنا قبلَ أنْ يوجدا

وملعبُنا جدولٌ منْ عبيرِ
إذا مسَّهُ خَطْوُنا غرَّدا

وأفراحُنا كشِفاهِ الزّهورِ
تهامِسُها قبلاتُ النّدى

أكادُ أضمُّ عهودَ اللّقاءِ
وألثُمُها مَشهَداً مَشهدا

وأجـتـرُّ مـيـلادَ تـاريـخِـنـا
وأَمـتَـشِـقُ الـمـهـدَ والـمـولـدا

وأذكـرُ كـيـفَ الـتـقـيـنـا هـنـاكَ
وكـيـفَ سـبـقـنـا هـنـا الـمـوعـدا

وكـيـفَ افـتـرقـنـا عـلـى رغـمِـنـا
وضِـعـنـا، وضـاعَ هـوانـا سُـدَى

حَـطَـمْـنـا الـكـؤوسَ ولـمْ نـرتـوِ
وَعُـدتُ أمُـدُّ إلـيـهـا الـيَـدا

وأخـدعُ بـالـوهـمِ جـوعَ الـحـنـيـنِ
كـمـا يـخـدعُ الـحُـلُـمُ الـهُـجَّـدا

أحِـنُّ فـأقـتـاتُ ذكـرى الـلّـقـا
لـعـلّـي بـذكـراهُ أنْ أسْـعَـدا

وأقـتـطـفُ الـصَّـفـوَ مـنْ وهـمِـهِ
كـمـا يـقـطـفُ الـواهـمُ الـفـرقـدا

أتـدريـنَ أيـنَ غَـرَسْـنَـا الـمُـنـى؟
وكـيـفَ ذوَتْ قـبـلَ أنْ نـحـصـدا؟

تـذكـرتُ فـاحـتـرتُ فـي الـذكـريـاتِ
وحـيّـرتُ أطـيـافَـهـا الـشـرَّدا

إذا قـلـتُ: كـيـفَ انـتـهـى حـبُّـنـا؟
أجـابَ الـسـؤالُ: وكـيـفَ ابـتـدا؟

فأطرقتُ أحسو بقايا البكاءِ
وقد أوشكَ الدَّمعُ أنْ ينفدا

وأبكي مواسمَكِ العاطراتِ
وأيامَها الغضَّةَ الخُرَّدا[1]

ومَنْ فاتَهُ الرَّغدُ في يومِهِ
مضى يندبُ الماضيَ الأرغدا

* * *

أصيخي إلى قصَّتي إنَّني
أقصُّ هنا الجانبَ الأنكدا

أمَضُّ الأسى أن تجورَ الخطوبُ
وأشكو فلا أجدُ المُسعِدا

وأشقى ويشقَى بيَ الحاسدونَ
وما نلتُ ما يخلقُ الحُسّدا

عَلامَ يعادونني! لمْ أجدْ
سوى ما يَسرُّ ألدَّ العدا!

حياتي عذابٌ ولحنٌ حزينٌ
فهلْ لعذابي ولحني مدى؟

❁❁❁

(1) الخرَّد: الأبكار. وهي جمع خريدة.

قصة من الماضي

شوال سنة 1379هـ

أقصها في هذه الرسالة الشعرية على شقيقي النائي، لعله يذكر ماضينا البعيد إن ألهاه عنه حاضره السعيد. فأنصت إليّ يا شقيقي أعد إليك قطعاً غالية من عمرينا في هذه الرسالة. ما أسخفنا حين نظن الماضي تلاشى وراءنا كالغبار، والذكريات تنشره أمامنا كائناً حياً، فنعيش فيه ولسنا فيه، وما أثقل محن الماضي حين كانت بالأمس محناً نكابدها، وما أجملها اليوم حين أصبحت ذكرى تطل علينا من أجفان الأطياف الآتية من بعيد.. فاقرأ فصلاً من ماضيك في هذه القصيدة

ذكرى أرقُّ من الرَّحيقِ ... خذها فديتُكَ يا شقيقي

وألذُّ من نجوى الهوى ... بينَ العشيقةِ والعشيقِ

خُذها أرقَّ من السّنا ... في خضرةِ الروضِ الوريقِ

واذكرْ تهادِينا على ... كوخِ الطفولةِ والطريقِ

وأنا وأنتَ كموثقَيْنِ ... نحنُ في القيدِ الوثيقِ

نمشي كحيرةِ زورقٍ ... في غضبةِ اللُّجِّ العميقِ

ونساجلُ الغربانَ في الـ ... وديانِ أصواتَ النعيقِ

وإذا ذكرتَ لي الطَّعامَ ... أكلتُ أنفاسي وريقي

أيّامَ كُنّا نسرقُ الرُّ ... مّان في الوادي السحيقِ

ونعودُ منْ خلفِ الطريقِ ... مّانَ وليلُنا أحنى رفيقِ

ونخافُ وسوسةَ الرِّياح ... وخطرةَ الطَّيفِ الرشيقِ

حتّى نوافي بيتَنا.. ... والأهلُ في أشقى مضيقِ

فيصيحُ عمّي والشرا ... سةُ في محيّاهُ الصَّفيقِ

وهناكَ جَدَّتُنا تناغينا ... مناغاةَ الشفيقِ

أوهى من الخيطِ الدّقيقِ تَهْوى الحياةَ وعمرُها
بينَ التنهُّدِ والشهيقِ وأبي وأمّي حولَنا
شكوى الغريقِ إلى الغريقِ يتشاكيانِ من الطَّوى
يشكو الذُّبالُ من الحريقِ شكواهما صمتٌ كما
ورعشةِ الكوخِ العتيقِ ويحدِّقانِ إلى السكونِ
دعِ وهي تهذي بالنقيقِ والليلُ ينصتُ للضفا
على شفاهٍ من عقيقِ والشهبُ تلمعُ كالكؤوسِ
إشراقةُ العيشِ الطليقِ وجوارُنا قومٌ لهم
بين الأغاني والنّهيقِ منْ كلِّ غِرٍّ لم يَمِزْ
ثيابه وحشٌ حقيقي وتَظُنُّه رجلاً وخلفَ
منْ جوهرِ المسكِ الفتيقِ وتراهُ يزعمُ شخصَهُ
حديثَ تجّارِ الرقيقِ يتحادثونَ عن النُّقودِ
تصبي وتغري بالبريقِ يتخيّرونَ ملابساً
للزورِ والجهلِ الأنيقِ حتى تراهم صورةً
لأناقةِ الخزي العريقِ ونماذجاً برّاقةً

* * *

فهمْ رجالٌ منْ حريرِ يمشونَ في نسجِ الحريرِ
ـاجِ وخيّاطٍ قديرِ وكأنّهم منْ خلقِ نسّـ
كسدوا بأسواقِ الحميرِ لولا خداعُ ثيابِهم
ويسخرونَ من الفقيرِ فقراءُ منْ خُلقِ الرجالِ
عن المشاكلِ والمصيرِ ويسائلونَ مع الرجالِ
وبيتُ خمّارٍ شهيرِ ومصيرُهم بيتُ البغِيِّ
أحلى من الوردِ المطيرِ وهناكَ بنتٌ غضّةٌ

لغةُ الدَّعارةِ والفجورِ ترنو وفي نظراتِها

السّلسالِ فضيّ الخريرِ وحديثُها كالجدولِ

للمترفينَ، وللأجيرِ حسناءُ تطرحُ حسنَها

ـعةِ للنّبيلِ وللحقيرِ فجمالُها مثلُ الطبيـ

وخفَّةَ الطفلِ الغريرِ في مشيها رقصُ الحسانِ

بعضاً من الحسنِ المثيرِ ويكادُ يعشقُ بعضُها

إشراقةِ العمرِ القصيرِ أودى أبوها وهو في

يمينَه أقوى نصيرِ كان امرءاً يجدُ الضعيفُ

للطفلِ والشيخِ الكبيرِ يحنو، وينثرُ مالَهُ

قلبٌ سماويُّ الضميرِ يرعى الجميع فكلُّه

وجادَ بالنَّفَسِ الأخيرِ جادتْ يداهُ بما لديهِ

كالزنابقِ في الهجيرِ فذوتْ صبيَّتُه الجميلةُ

يبكي الأسيرُ إلى الأسيرِ وبكتْ إلى أختي كما

الحُمْرِ واليُتْمِ المريرِ ومشتْ على شوكِ المآسي

مْضا على القلبِ الكسيرِ ومضتْ تدوسُ الشوكَ والرَّ

كالشكُّ في قلبِ الغيورِ والحزنُ في قسماتِها

عَةُ حُلَّةَ الحُسْنِ النظيرِ تعرَى فتكسوها الطَّبيـ

عَةُ منْ سنا البدرِ المنيرِ صبغتْ ملامحَها الطَّبيـ

وهدأةِ اللّيلِ الضّريرِ من وَقدِةِ الصيفِ البهيجِ

رِ على رياحِ الزمهريرِ من خفقةِ الشَّجَرِ الصَّبو

وصراحةِ الماءِ النميرِ ومن الأشعّةِ والشذا

هجُ كالأشعّة والعبيرِ فتعانقتْ فيها المبا

وصدرُها أحنى سريرِ فجمالُها قُبلُ الحنينِ

مَنْ تلكَ جارتُنا الشهيَّةْ؟ قُلْ لي أتذكرُ يا أخي
وغلطةِ الأرضِ الدنيَّةْ هي فوقَ فلسفةِ الترابِ
فهي مشفقةٌ غويَّةْ رحِمتْ مجانينَ الغوايَةِ
الحبُّ والدنيا الشذيَّةْ بنتُ الطبيعةِ فهي ظلُّ
الحبُّ وأغنياتِ الشاعريَّةْ كانتْ ربيع الأمنياتِ
منْ قصّةِ الماضي بقيَّةْ فانصتْ إليَّ فلمْ تزلْ
الذكرى؟ خلودُ الآدميَّةْ جاءتْ بها الذكرى، وما
فهي صورتُهُ الجليَّةْ حدِّقْ تَر ماضيكَ فيها
القلب في الأرضِ الغبيَّةْ أوّاه! ما أشقى ذكيَّ
وأبرَّ طلعتَهُ الزَّكيَّةْ! ما كانَ أذكى (مُرشداً)
وفرحةَ النفسِ الشجيَّةْ كانَ ابتساماتِ الحزينِ
وكلّهُ منْ عبقريَّةْ عيناهُ منْ شُعَلِ الرشادِ
فروحُهُ المثلى نَبيَّةْ إنْ لمْ يكنْ في الأنبياءِ
فغابَ كالشمسِ البهيَّةْ قتلتْهُ في الوادي اللصوصُ
فلا يضيق من الزَّريَّةْ كانَ ابنُ عمي يزدَريهِ
فظٌّ كليْلِ الجاهليَّةْ ومَنِ ابنُ عمّي؟ جاهلٌ
يرنو العقورُ إلى الضحيَّةْ يرنو إلينا مثلما
وفي الثيابِ القيصريَّةْ نعرى، ويسبحُ في النقودِ
وعندَهُ الكأسُ الرَّويَّةْ ونذوبُ من حُرَقِ الظماءِ
كابتساماتِ الصبيَّةْ والكأسُ تبسمُ في يديْهِ
يلذُ العناقيدَ الجنيَّةْ والكَرْمُ في بستانِهِ
أشقَتْهُ واحدةٌ شقيَّةْ حتّى تزوَّجَ أربعاً
ضاعَ في غسقِ العشيَّةْ فكأنَّ ثروتَهُ دخانٌ

كـالأسـارى فـي الـبـلـيَّـةْ فـهـوى إلـيـنـا والـتـقـيـنـا
تـومـي بـأشـداقِ الـمـنـيَّـةْ وأتـى الـخـريـفُ وكـفُّـهُ
فـتـغـيَّـرَتْ صُـوَرُ الـقـضـيَّـةْ وتـوقَّـع الـحـيُّ الـفَـنَـا
فـأقـبـلـتْ دنـيـا رخـيَّـةْ وتـحـرَّكَ الـفـلـكُ الـدَّؤوبُ
ـسـامِ الـفـراديـسِ الـنّـديَّـةْ وتـضـوَّعَ الـوادي بـأنـ
تَ عـهـودَ مـاضـيـنـا الـقـصيَّـةْ قـلْ لـي شـقـيـقـي هـلْ ذكـر
دفّـاقـةَ الـنّـجـوى سـخـيَّـةْ خُـذْهـا فـديـتُـك قـصَّـةً
فـي قـصَّـةٍ أخـرى طـريَّـةْ وإلـى الـتـلاقـي يـا أخـي
بَ، خـتـامُـهُ أزكـى تـحـيَّـةْ والآنَ أخـتـتـمُ الـكـتـا

⊛⊛⊛

نحن والحاكمون

شوال 1381هـ

انشأتُ هذه القصيدة قبل ميلاد ثورة 26 سبتمبر بعام

أخي صحْوُنا كلُّهُ مأتمُ
وإغفاؤنا ألمٌ أبكمُ

فهلْ تلدُ النورَ أحلامُنا
كما يَلِدُ الزهرةَ البرعمُ؟

وهلْ تُنبتُ الكَرْمَ ودياُنُنا
ويخضرُّ في كَرْمِنا الموسمُ؟

وهلْ يلتقي الريُّ والظَّامئونَ
ويعتنقُ الكأسُ والمبسمُ؟

لنا موعدٌ نحنُ نسعى إليهِ
ويعتاقُنا جرحُنا المؤلمُ

فنمشي على دمِنا والطريقُ
يضيِّعنا والدّجى معتمُ

فمِنّا على كلِّ شبرٍ نجيعٌ
تُقبِّلُهُ الشّمسُ والأنجمُ

*

سلِ الدَّرب كيف التقتْ حولنا
ذئابٌ من النّاسِ لا ترحمُ

وتِـهـنـا وحـكّـامُـنـا فـي الـمـتـاهِ
سـبـاعٌ عـلـى خـطـونـا حُـوَّمُ
يَـعـيـشـونَ فـيـنـا كـجـيـشِ الـمـغُـولِ
وأدنـى إذا لـوَّح الـمـغـنـمُ
فـهـم يـقـتـنـون ألـوفَ الألـوفِ
ويُـعـطـيـهـمُ الـرشـوةَ الـمـعـدمُ
ويـبـنـون دوراً بـأنـقـاضِ مـا
أبـادُوا مـن الـشـعـبِ أو هـدَّمـوا
أقـامـوا قـصـوراً مـدامـيـكُـهـا
لـحـومُ الـجـمـاهـيـرِ والأعـظُـمُ
قـصـوراً مـن الـظـلـمِ جـدرانُـهـا
جـراحـاتُـنـا ابـيـضَّ فـيـهـا الـدَّمُ

* * *

أخـي إنْ أضـاءتْ قـصـورُ الأمـيـرِ
فـقـلْ : تـلـكَ أكـبـادُنـا تُـضـرمُ
وسـلْ : كـيـفَ لِـنّـا لـعـنـفِ الـطـغـاةِ
فـعـاثـوا هـنـا وهـنـا أجـرمـوا؟
فـلا نـحـنُ نـقـوى عـلـى كـفِّـهـم
ولا هـمْ كـرامٌ. فـمـنْ ألـوَمُ؟
إذا نـحـنُ كُـنّـا كـرامَ الـقـلـوبِ
فـمـنْ شـرفِ الـحـكـمِ أن يـكـرُمـوا
وإنْ ظـلـمـونـا ازدراءً بـنـا
فـأدنـى الـدَّنـاءاتِ أنْ يَـظـلِـمـوا

وإنْ أدمنوا دمَنَا فالوحوشُ
تعبُ التجيعَ ولا تسأمُ

وإنْ فخروا بانتصارِ اللئامِ
فخذلانُنا شرفٌ مُرغمُ

وسائلُنا فوقَ غاياتِهم
وأسمى، وغاياتُنا أعظمُ

فنحنُ نعِفُّ وهُمْ إنْ رأوا
لأدناسِهم فرصةً أقدموا

وإنْ صَعَدوا سلَّماً للعروشِ
فأخزى المخازي هو السُّلَّمُ

* * *

وما حكمُهم؟ جاهليُّ الهوى
تُقَهْقِهُهُ من سخفِهِ الأيَّمُ

وأسطورةٌ من ليالي (جديسَ)
رواها إلى تغلبِ (جُرهمُ)

ومطعَمُهُمْ رشوةٌ والذُّبابُ
أكولٌ إذا خَبُثَ المطعمُ

رأوا هدأةَ الشعبِ فاستذأبوا
على ساحةِ البغي واستضغموا[1]

(1) استضغموا: تشبَّهوا بالضياغم وهي الأسود.

وكــــلُّ جـــبــــانٍ شـــجـــاعُ الـــفـــؤاد
عـــلـــيـــكَ، إذا أنـــتَ مـــسْـــتـــسْـــلـــمُ

وإذعـــانُـــنـــا جـــرّأَ الـــمـــفـــســـديـــنَ
عـــلـــيـــنـــا وأغـــراهـــمُ الـــمـــأثـــمُ

* * *

أخـــي نـــحـــنُ شـــعـــبٌ أفـــاقـــتْ مـــنـــاهُ
وأفـــكـــارُهُ فـــي الـــكَـــرى تـــحـــلُـــمُ

ودولـــتُـــنـــا كـــلُّ مـــا عـــنـــدهـــا
يـــدٌ تـــجـــتـــنـــي وحَـــشـــاً يـــهـــضـــمُ

وغـــيـــدٌ بـــغـــايـــا لـــبِـــسْـــنَ الـــنُّـــضـــارَ
كـــمـــا يـــشـــتـــهـــي الـــجـــيـــدُ والـــمـــعـــصـــمُ

وســـيـــفٌ أثـــيـــمٌ يـــحـــزُّ الـــرؤوس
وقـــيـــدٌ ومُـــعـــتَـــقَـــلٌ مـــظـــلـــمُ

وطـــغـــيـــانُـــهـــا يـــلـــتـــوي فـــي الـــخـــداعِ
كـــمـــا يـــلـــتـــوي فـــي الـــدُّجـــى الأرقـــمُ

وكـــمْ تـــدَّعـــي عـــفـــةً والـــوجـــودُ
بـــأصـــنـــافِ خِـــسّـــتِـــهـــا مُـــفـــعـــمُ!

وآثـــامُـــهـــا لـــمْ تـــسَـــعْـــهـــا الـــلُّـــغـــاتُ
ولـــمْ يَـــخـــوِ تـــصـــويـــرَهـــا مُـــلـــهـــمُ

أنـــا لـــمْ أقـــلْ كـــلَّ أوزارِهـــا
تـــنـــزُّه قـــولـــي وعـــفَّ الـــفَـــمُ

تـــراهـــا تَـــصُـــولُ عـــلـــى ضَـــعـــفِـــنـــا
وفـــوقَ مـــآتـــمِـــنـــا تَـــبْـــســـمُ

وتُـــشـــعِـــرُنـــا بـــهـــديـــرِ الـــطّـــبـــولِ
عـــلـــى أنّـــهـــا لـــمْ تـــزلْ تـــحـــكـــمُ

وتـــظـــلـــمُ شـــعـــبـــاً عـــلـــى عـــلـــمِـــهِ
ويُـــغـــضِـــبـــهـــا أنّـــه يـــعـــلـــمُ

وهـــل تـــخـــتـــفـــي عـــنـــهُ وهـــي الـــتـــي
بـــأكـــبـــادِ أمّـــتِـــهِ تُـــولِـــمُ؟

وأشـــرفُ أشـــرافِـــهـــا ســـارقٌ
وأفـــضـــلُـــهـــم قـــاتـــلٌ مـــجـــرمُ

* * *

عـــبـــيـــدُ الـــهـــوى يـــحـــكـــمـــونَ الـــبـــلادَ
ويـــحـــكـــمُـــهـــم كـــلَّـــهـــم دِرهَـــمُ

وتـــقـــتـــادُهـــم شـــهـــوةٌ لا تـــنـــامُ
وهـــم فـــي جـــهـــالـــتِـــهـــم نُـــوَّمُ

فـــفـــي كـــلِّ نـــاحـــيـــةٍ ظـــالـــمٌ
غـــبـــيٌّ يـــســـلِّـــطُـــهُ أظـــلـــمُ

أيـــا مـــنْ شـــبـــعـــتـــم عـــلـــى جـــوعِـــنـــا
وجـــوعِ بـــنـــيـــنـــا.. ألـــم تُـــتْـــخَـــمـــوا؟

ألـــمْ تـــفـــهـــمـــوا غـــضْـــبـــةَ الـــكـــادحـــيـــنَ
عـــلـــى الـــظّـــلـــمِ؟ لا بـــدَّ أنْ تـــفـــهـــمـــوا

❁ ❁ ❁

كلُّنا في انتظارِ ميلادِ فجر

شعبان سنة 1378هـ

كنا تحت سماء البادية عندما أدركنا الليل، وما يزال الطريق طويلاً فزحفنا على الجراح فوق الصخور، وسبحنا بين الرمل والظلام حتى أطل الفجر من شرفة الشرق، فاعشوشب الدرب بالأضواء فإذا هو زهور ونور، والهواء أنداء وزجاجات عطر.

هكذا كان سرانا إلى الفجر، وهكذا كان يتحدث الرفاق، وهكذا كان يتردد النداء

يا رفاقَ السُّرى إلى أينَ نسري؟
وإلى أينَ نحنُ نجري ونجري؟
دربُنا غائمٌ يغَطِّيهِ ليلٌ
فكأنّا نسيرُ في جوفِ قبرِ
دربُنا وحشةٌ وشوكٌ ووحلٌ
وسباعٌ حيرى، وحيّاتُ قفرِ
ومتاهٌ تحيَّر الصَّمتُ فيهِ
حيرةَ الشكِّ في ظنونِ (المعرّي)
والرُّؤى تنبري كظمآنَ تهوي
حولَ أشواقِهِ خيالاتُ نهرِ
والدُّجى حولنا كمشنقةِ العمرِ
كوادي الشقا، كخيماتِ شرٌ
راقدٌ في الطريقِ يتّسِدُ الصمـ
ـتَ، ويومي بألفِ نابٍ وظُفرِ

ذابلٌ والنجومُ في قبضتيْهِ
ذابلاتٌ كالغيدِ في كفِّ أَسْرِ

* * *

يا رفاقَ السُّرى إلى كمْ نوالي
خطوَنا في الدُّجى إلى لا مقرِّ؟
أقلقَ الليلَ والسُّكونَ خطانا
وخضبْنا بجرحِنا كلَّ صخرِ
وغرسْنا هذا الطريقَ جراحاً
واجتنيْنا الثمارَ حبّاتِ جمرِ
فإلى كمْ نسيرُ فوق دِمانا؟
أين أين القرارُ هلْ نحنُ ندري؟
كلُّنا في السُّرى حيارى ولكنْ
كلُّنا في انتظارِ ميلادِ فجرِ
كلّنا في انتظارِ فجرِ حبيبِ
وانتظارُ الحبيبِ يُصبي ويُغري
يا رفاقي لنا مع الفجرِ وَعْدٌ
ليت شعري متى يفي؟ ليتَ شعري!

* * *

وهنا أدركَ الفتورُ قوانا
وانتهى الزادُ وانتهى كلُّ ذخرِ
ومضينا كالطَّيفِ نضغي فهزَّت
سمْعنا نغمةٌ كرنَّاتِ تِبْرِ

فجرحنا السكونَ حتى بلغنا
بيتَ حسْنا يدعونها أخت عَمْرِو

فَقَرَتْنا لحماً وحُسناً شهيّاً
وحديثاً كأنّهُ ذَوْب سحرِ

وذهبنا وفي دمانا حنينٌ
جائع ينخر الضُّلوعَ ويَفْري

وطغى حولَنا من السفحِ موجٌ
من ضجيجٍ كأنّهُ هولُ حَشْرِ

فإذا قريةٌ تديرُ ضِراباً
وتريشُ السّهامَ حيناً وتبري

فاقتربنا نستكشفُ الأمرَ لكن
أيُّ كشفٍ نحسُّهُ أيّ أمرِ

أعينٌ تقذف اللّظى ونفوسٌ
مثخناتٌ تَنسلُّ منْ كلّ صدرِ

وجسومٌ حُمرٌ تنوشُ جسوماً
في ثيابٍ من الجراحاتِ حُمرِ

وتهزُّ الخناجرَ الحمرَ أيدٍ
ترتمي كالنّسورِ في كلّ نحرِ

وانطفتْ حومَةُ الوغى فاندفعنا
في سُرانا نلفُّ ذُعراً بذعرِ

ورَحَلْنا واللّيلُ في قبضةِ الأفْـ
قِ كتابٌ يروي أساطيرَ دهرِ

وشددنا جراحَنا وانطلقنا
وكأنّا نشقُّ تيّارَ بَحْرِ

*

هوَّم الطَّيفُ حولَنا فالتَفَتْنا
نحوَهُ كالتفاتِ سَفْرٍ لسفْرِ

وسمعنا همساً من الأمسِ يَرْوي
قصَّةَ الفاتحينَ منْ أهلِ (بدرِ)

فنصتْنا للطَّيفِ إنصاتَ صبٍّ
لمحبٍّ يقصُّ قصَّةَ هَجْرِ

وسرى في السكونِ صوتٌ ينادي:
يا رفاقَ السّرى وأحبابَ عمري

يا رفاقي تثاءبَ الشرقُ وانسلّتْ
عذارى الصباحِ منْ كلِّ خدرِ

والعصافيرُ تنفضُ الريشَ في الوكرِ
وتنفي النُّعاس منْ كلِّ وكرِ

وكأنَّ الشعاعَ أيدٍ من الوردِ
المندَّى تهزُّ أهداب زهرِ

وكأنَّ الغصونَ أيدي النَّدامى
وشفاهَ الزهورِ أكوابُ خمرِ

ومـضَى سـيـرُنـا وقـافـلـةُ الـفَـجْـ
ـرِ تـصـبُّ الـهـدى عـلـى كـلِّ شـبـرِ

فـإذا دربُـنـا ريـاضٌ تُـغَـنّـي
فـي الـسَّـنـا والـهـوى زجـاجـاتُ عـطـرِ

نـحـن فـي جـدولٍ مـن الـنّـور يـجـري
وخُـطـانـا تـدري إلـى أيـنَ تـجـري

❂ ❂ ❂

عيد الجلوس

3 جمادى الآخرة 1378هـ وجهت هذه القصيدة إلى الطاغية أحمد في عيد جلوسه

هـذا الـصـبـاحُ الـرَّاقـصُ الـمـتـأوِّدُ
فـتـنٌ مُـهَـفْـهَـفَـةٌ وسـحـرٌ أغـيـدُ

ومـبـاهـجٌ مـا إنْ يـروقُـكَ مـشـهـدٌ
مِـنْ حـسـنِـه حـتـى يـشـوقَـكَ مـشـهـدُ

الـفـجـرُ يـصـبـو فـي الـسُّـفـوحِ وفـي الـرُّبـا
والـرَّوضُ يـرتـشـفُ الـنّـدى ويـغـرِّدُ

والـزَّهـرُ يـحـتـضـنُ الـشـعـاعَ كـأنّـهُ
أمٌّ تـقـبِّـلُ طـفـلـهـا وتـهَـدْهِـدُ

فـي مـهـرجـانِ الـنّـورِ لاحَ عـلـى الـمـلا
عـيـدٌ يـبـلـورهُ الـسّـنـا ويـورِّدُ

فـهـنـا الـمـفـاتـنُ والـمـبـاهـجُ تـلـتـقـي
زُمَـراً تـكـادُ مـن الـجـمـالِ تـزغـردُ

* * *

عـيـدَ الـجـلـوس أعـزْ بـلادَكَ مـسـمـعـاً
تـسـألـك أيـن هـنـاؤهـا؟ هـلْ يـوجـدُ؟

تـمـضـي وتـأتـي والـبـلادُ وأهـلُـهـا
فـي نـاظـريْـكَ كـمـا عـهـدتَ وتـعـهـدُ

يـا عـيـدُ حـدِّثْ شـعـبـكَ الـظـامـي مـتـى
يــروَى؟ وهــلْ يَــروى؟ وأيــنَ الــمــوردُ؟

حــدِّثْ فـفـي فـمـكَ الـضـحـوكِ بـشـارةٌ
وطـنـيّـةٌ، وعـلـى جـبـيـنـكَ مـوعِـدُ

فـيـمَ الـسُّـكـوتُ ونـصـفُ شـعـبـك هـاهُـنـا
يـشـقـى، ونـصـفٌ فـي الـشـعـوب مـشـرَّدُ؟

يـا عـيـدُ، هـذا الـشـعـبُ ذلَّ نـبـوغُـه
وطـوى نـوابـغَـهُ الـسّـكـونُ الأسـودُ

ضـاعـتْ رجـالُ الـفـكـرِ فـيـه كـأنـهـا
حُـلْـمٌ يـبـعـثـرهُ الـدّجـى ويـبـدّدُ

* * *

لـلـشـعـبِ يـومٌ تـسـتـثـيـرُ جـراحُـهُ
فـيـه ويـقـذف بـالـرقـود الـمـرقـدُ

ولـقـدْ تـراهُ فـي الـسّـكـيـنـةِ، إنـمـا
خـلـفَ الـسـكـيـنـةِ غـضـبـةٌ وتـمـرُّدُ

تـحـتَ الـرّمـادِ شـرارةٌ مَـشْـبـوبَـةٌ
ومِـنَ الـشـرارةِ شـعـلـةٌ وتـوقُّـدُ

لا، لـمْ يـنـمْ ثـأرُ الـجـنـوبِ وجـرحُـهُ
كـالـنّـارِ يُـبـرقُ فـي الـقـلـوبِ ويُـرعـدُ

لا، لـمْ يـنـمْ شـعـبٌ يـحـرّقُ صـدْرَهُ
جُـرحٌ عـلـى لـهـبِ الـعـذابِ مـسـهَّـدُ

شــعــبٌ يــريــدُ ولا يــنــالُ كــأنّــهُ
مــمّــا يــكــابــدُ فــي الــجــحــيــمِ مــقــيّــدُ

* * *

أهــلاً بــعــاصــفــةِ الــحــوادثِ، إنــهــا
فــي الــحــيّ أنــفــاسُ الــحــيــاةِ تُــردّدُ

لــو هــزّتِ الأحــداثُ صــخــراً جــلــمــداً
لــدَوى وأرعــد بــالــلــهــيــبِ الــجــلــمــدُ

بــيــنَ الــجــنــوبِ وبــيــنَ ســارقِ أرضِــهِ
يــومٌ تــؤرّخُــهُ الــدّمــا وتــخــلّــدُ

الــشــعــب أقــوى مــن مــدافــع ظــالــم
وأشــدُّ مــن بــأس الــحــديــد وأجــلــدُ

والــحــقُّ يــثــنــي الــجــيــشَ وهــو عــرمــرمٌ
ويــفــلُّ حــدَّ الــســيــفِ وهــو مــهــنّــدُ

لا أمــهــلَ الــمــوتُ الــجــبــانَ ولا نــجــا
مــنــهَ، وعــاشَ الــثــائــرُ الــمــســتــشــهــدُ

يــا ويــحَ شِــرْذمــةِ الــمــظــالــمِ عــنــدمــا
تُــطــوى ســتــائــرُهــا ويــفــضــحُــهــا الــغــدُ

وغــداً ســيــدري الــمــجــدُ أنّــا أمّــةٌ
يــمــنــيّــةٌ شَــمّــا، وشــعــبٌ أمــجــدُ

وســتــعــرفُ الــدّنــيــا وتــعــرفُ أنّــه
شــعــب عــلــى ســحــق الــطّــغــاة مــعــوَّدُ

فليُكبتِ المستعمرونَ بغيظِهم
ولْيخجلوا، وليخسأِ المستعبِدُ

* * *

عيدَ الجلوسِ وهل نصتٌ لشاعرٍ
هناكَ وهو عن المسرَّةِ مُبْعَدُ؟

فاقْبَلْ رعاكَ اللَّهُ تهنئتي وإنْ
صرخَ النشيدُ وضجَّ فيهِ المُنشِدُ

واعْذُرْ إذا صبغَ التنهُّدُ نغمتي
بالجرحِ فالمصدورُ قدْ يتنهّدُ

⊛⊛⊛

رحلة النجوم

شعبان سنة 1382هـ

أيــنَ عــشّــي وجــدولــي وجِــنــانــي؟
أيــنَ جــوّي؟ وأيــنَ بَــرُّ أمــانــي؟

أيــنَ مــنّــي بــقــيّــةٌ مــنْ جــنــاحــي؟
فــرّ مــنّــي الــجــوابُ، ضــاعَ لــســانــي!

غــيــرَ أنــي أســائــلُ الــصّــمــتَ عــنّــي
وانــكــســارُ الــجــوابِ يــدمــي جــنــانــي

هــل أنــا مِــنْ هــنــا؟ وهــلْ لــي مــكــانٌ؟
أنــا مِــنْ لا هــنــا ومــنْ لا مــكــانِ!

كــمْ إلــى كــمْ أمــشــي، ودربــي ظــنــونٌ
ومــداهُ قــاصٍ عــنْ الــوهــمِ دانِ؟

وســأبــقــى أســيــرُ فــي غــيــر دربٍ
مــن تــرابٍ، دربــي ظــنــونُ الأمــانــي

وأعــانــي مُــرَّ الــسّــؤالِ، ويــتــلــو
هُ ســؤالٌ أمــرُّ مــمــا أُعــانــي

هــلْ هــنــا مــوطــنــي؟ وأصــغــي: وهــلْ
لــي مــوطــنٌ غــيــرُهُ عــلــى الأرضِ ثــانــي؟

* * *

وطـنـي رحـلـةُ الـنّـجـومِ فـأهـلـي
وأحـبَّـائـي الـنـجـومُ الـرَّوانـي

وديـاري تـيـهُ الـخـيـالِ وزادي
ذكـريـاتـي والأغـنـيـاتُ دِنـانـي

فـلْـيـخـنّـي الـزَّمـانُ والـشَّـعـبُ إنّـي
شـعـبُ شـعـبـي، أنـا زمـانُ الـزَّمـانِ

يـتـلاقـى الـزَّمـانُ والـشـعـبُ فـي روحـي
شـجـيَّـيْـنِ يـعـزِفـانِ كـيـانـي

مـنْ أنـا؟ شـاعـرٌ، حـريـقٌ يـغـنّـي
وغـنـائـي دمـي. دخـانُ دخـانـي

فـحـيـاتـي سـرُّ الـحـيـاةِ وشـدوي
لـحـنُ ألـحـانِـهـا، مـعـانـي الـمـعـانـي

وضـيـاعـي سـيـاحـةُ الـعِـطـر فـي الـريـ
حِ، وتـيـهـي مـزارعٌ مـنْ أغـانـي

❁ ❁ ❁

زحف العروبة

1958م

لبَّيْكَ. وازدحمتْ على الأبوابِ
صبواتُ أعيادٍ وعرسُ تصابي

لبّيكَ يا ابنَ العُربِ أبدَع دربُنا
فتنَ الجمالِ المسكرِ الخلّابِ

فتبرَّجتْ فيهِ المباهجُ مثلما
تتبرَّجُ الغاداتُ للعُزَّابِ

واخضرَّتِ الأشواقُ فيهِ والمنى
كالزّهرِ حولَ الجدولِ المنسابِ

ومضى بهِ زحفُ العروبةِ والدُّنا
ترنو، وتهتفُ عادَ فجرُ شبابي

إنّا زرعناهُ مُنىً وجماجماً
فنما وأخصبَ أجودَ الإخصابِ

ويحدِّقُ التاريخُ فيهِ كأنّهُ
يتلو البطولةَ منْ سطورِ كتابِ

* * *

عادَ التقاءُ العُربِ فاهتفْ يا أخي
للفجرِ، وارقصْ حولَ شدوِ ربابي

واشربْ كؤوسكَ واسقني نخب اللّقا
واسكبْ بقايا الدَّنْ في أكوابي

هٰذي الهتافاتُ السكارى والمنى
حولي تناديني إلى الأنخابِ

خلفي وقدّامي هتافُ مواكبٍ
وهوى يزغردُ في شفاهِ كعابِ

والزّهرُ يهمسُ في الرّياضِ كأنّهُ
أشعارُ حبٌ في أرقّ عتابِ

والجوُّ منْ حولي يرنِّحهُ الصّدى
فيهيمُ كالمسحورةِ المطرابِ

والريحُ ألحانٌ تهازجُ سيرَنا
والشهبُ أكوابٌ من الأطيابِ

إنّا توحّدنا هوىً ومصائراً
وتلاقتِ الأحبابُ بالأحبابِ

أترى ديارَ العُرْبِ كيفَ تضافرتْ
فكأنَّ (صنعا) في (دمشقَ) روابي

وكأنَّ (مصر) و(سوريا) في (مأربٍ)
علمٌ وفي (صنعا) أعزُّ قبابِ

لاقى الشقيقُ شقيقهُ، فاسألهما:
كيف التلاقي بعدَ طولِ غيابِ؟

* * *

اليومَ ألقى في (دمشقَ) بني أبي
وأبثُّ أهلي في الكنانةِ ما بي

وأبثُّ أجدادي بني غسّانَ في
ربوات (جِلَّقَ) محنتي وعذابي

وأهيمُ والأنسامُ تنشرُ ذكرَهم
حولي فتنضحُ بالعطورِ ثيابي

وأهزُّ في تُربِ (المعرَّةِ) شاعراً
مثلي، توحّدَ خطبُه ومصابي

وأعودُ أسألُ (جِلَّقاً) عن عهدِها
بـ(أميَّةٍ) وبفتحِها الغلاّبِ

صُوَرٌ من الماضي تُهامسُ خاطري
كتهامسِ العشّاقِ بالأهدابِ

* * *

دَعْني أغرِّدْ فالعروبة روضتي
ورحابُ موطنِها الكبيرِ رحابي

فـ(دمشقُ) بُستاني و(مصرُ) جداولي
وشعابُ (مكّةَ) مسرحي وشعابي

وسماءُ (لبنانٍ) سماي وموردي
(بَردى) و(دجلةُ) و(الفراتُ) شرابي

وديارُ (عمّانٍ) دياري. أهلُها
أهلي وأصحابُ (العراقِ) صحابي

بـلْ إخـوتـي ودمُ (الـرشـيـدِ) يـفـورُ فـي
أعـصـابِـهـم ويـضـجُّ فـي أعـصـابـي

* * *

شـعـبُ (الـعـراقِ) وإنْ أطـالَ سـكـوتَـه
فـسـكـوتُـهُ الإنـذارُ لـلإرهـابِ

سَـلْ عـنـه، سـلْ عـبـدَ الإلـه وفـيـصـلاً
يـبـلـغْـك صـرعُـهـمـا أتـمَّ جـوابِ

لـنْ يـخـفـضَ الـهـامـاتِ لـلـطـاغـي ولـمْ
تـخـضـعْ رؤوسُ الـقـومِ لـلأذنـابِ

وطـنُ الـعـروبـةِ مـوطـنـي أعـيـادُه
عـيـدي، وشـكـوى إخـوتـي أوصـابـي

فـاتـركْ جـنـاحـي حـيـثُ يـهـوى يـحـتـضـنْ
جـوَّ الـعـروبـةِ جـيـئـتـي وذهـابـي

يـا ابْـنَ الـعـروبـةِ شُـدَّ فـي كـفـي يـداً
نـنـفـضْ غـبـارَ الـذلِّ والأتـعـابِ

فـهـنـا. هـنـا الـيـمـنُ الـخـصـيـبُ مـقـابـرٌ
ودمٌ مـبـاحٌ واحـتـشـادُ ذئـابِ

ذكِّـرْهُ بـالـمـاضـي عـسـى يـبـنـي عـلـى
أضـوائِـهِ مـجـداً أعـزَّ جـنـابِ

ذكِّـرْهُ بـالـتـاريـخِ واذكـرْ أنَّـهُ
شـعـبُ الـحـضـارةِ مـشـرقُ الأحـسـابِ

صَنَعَ الحضارةَ والعوالمُ تُوَّمٌ
والدهرُ طفلٌ في مهُودِ ترابِ

ومشى على قممِ الدُّهورِ إلى العلا
وبنى الصروحَ على ربا الأحقابِ

وهدى السبيلَ إلى الحضارةِ والدُّنا
في التيهِ لم تَحْلُمْ بلمحِ شِهابِ

فمتى يفيقُ على الشروقِ ويومُه
يبدو ويخفى كالشعاعِ الخابي

* * *

يا شعبُ مزّقْ كلَّ طاغٍ وانتزعْ
عنْ ساَرقيكَ مهابةَ الأربابِ

واحذرْ رجالاً كالوحوشِ كسوْتَهم
خِلَعاً من (الأجواخِ) والألقابِ

خنقوا البلادَ وجورُهم وعتوُّهُم
كلُّ الصوابِ وفصلُ كلِّ خطابِ!

لمْ يحسبوا للشعبِ لكنْ عندَهُ
للعابثينَ بهِ أشدُّ حسابِ

صمتُ الشعوبِ على الطغاةِ وعنفِهِمْ
صمتُ الصواعقِ في بطونِ سحابِ

فاحذرْ رجالاً كالوحوشِ همومُهم
سلبُ الحمى والفخرُ بالأسلابِ

شهدوا تقدُّمَكَ السريعَ فأسرعوا
يتراجعونَ بهِ على الأعقابِ
لمْ يُحسنوا صدقاً ولا كذباً سوى
حيلِ الغبيِّ وخدعةِ المتغابي

* * *

قلْ للإمامِ وإنْ تحفَّزَ سيفُهُ:
أعوانُكَ الأخيارُ شرُّ ذئابِ
يومونَ عندكَ بالسّجودِ وعندنا
يومونَ بالأظفارِ والأنيابِ
هُمْ في كراسِيهم قياصرةٌ وهمْ
عند الأميرِ عجائزُ المحرابِ
يتملّقونَ ويبلغونَ إلى العلا
بخِداعِهم وبأخبثِ الأسبابِ
منْ كلِّ معسولِ النفاقِ كأنَّهُ
حَسْنا تتاجرُ في الهوى وتُرابي
وغداً سيحترقونَ في وهجِ السّنا
وكأنّهم كانوا خداعَ سرابِ
وتفيقُ (صنعاءُ) الجديد على الهدى
والوحدةُ الكبرى على الأبوابِ

❂ ❂ ❂

حديث نهدين

كم كانت تسمع حديث نهديها حين يتشاكيان بالخفوق.. أحبت مَن هجرها فاحترقت بعذابين، وكلما انثال سكون المساء على مخدعها حرك شجونها وساءلت نفسها:

كـيـفَ أنـسـاهُ هـلْ تَـنـاسـيـهِ يُـجـدي؟
وهــو والــذكــريــاتُ والــشــوقُ عــنــدي

وهــو أدنــى مــن الأمــانــي إلــى الــقــلــبِ
وبــيــنــي وبــيــنــهُ ألــفُ بُــعْــدِ

واشــتــهــاءُ الــعــنــاقِ يــحــلــمُ فــي جيـ
ـدي بــأنــفــاســهِ فــيــمــرحُ عِــقــدي

عــنــدمــا يــهــبــطُ الــظــلامُ أراهُ
مــاثــلاً فــي تــصــوُّراتــي وسُــهــدي

آه إنّــي إخــالُ زنــديْــهِ فــي قــدّي
تــشــدّانــنــي، فــيــخــتــالُ قــدّي

فــكــأنّــي أضــمُّــهُ فــي فــراشــي
وهــو يــجــنــي فــمــي ويــقــطــفُ خــدّي

ثــمّ أصــغــي إلــى الــفــراشِ فــلا أســـ
ـمــعُ إلاّ حــديــثَ نــهــدٍ لــنــهــدِ

حــلُــمٌ كــالــيــقــيــنِ يــدنــيــهِ مــنّــي
وخــيــالٌ يــخــفــيــهِ عــنّــي ويُــبــدي

فأرى طيفَهُ أواناً حنوناً
وأواناً في مقلتيْهِ تعدّي

ليتَ أني أراهُ في صحوةِ الصُّبْح
فماً ضارعاً يغنّي بحمدي

كلّما ذابَ في الخشوعِ تأبّيْتُ
وردَّيتُ رغبتي شرَّ ردٍّ

وتحدَّيتُ ناظريْهِ بإعراضي
وأشعلتُ حبَّهُ بالتحدّي

وتجاهلتُهُ وقلبي يناديهِ
وجسمي يكادُ يحرقُ بُرْدي

ثُمَّ يجترُّني ويجذبُ جسمي
حِضْنُهُ جذبَ قاهرٍ مستبدٍّ

وهنا، أحتويهِ بينَ ذراعيَّ
وأطويهِ بينَ لحمي وجلدي

ليتَ لي ما رجوتُ أو ليتني أمـ
ـحوهُ مني، منْ ذكرياتي ووجدي

ليتني يا جهنّمَ الهجرِ أدري
مَنْ هواهُ ومنْ تبدَّل بعدي؟

ليتَهُ في الشجونِ مثليَ مهجورٌ
فيشتاقُني ويذكرُ عهدي

ويـعـانـي الـجـوى، ويـشـقـى كـمـا أشْـ

ـقـى، بـأطـيـافِـهِ وذكـراهُ وحـدي

* * *

هـكـذا تـرجـمـتْ مُـنـاهـا ولـلّـيْـ

ـلِ عـبُـوسٌ، كـأنّـهُ مَـوجُ حـقـدِ

والـظّـلامُ الـظّـلامُ فـي كـلّ مـرأى

قَـذِرٌ جـاثِـمٌ يُـخـيـف وَيُـرْدي

صـامـتٌ والـعـتـوُّ فـي مـقـلـتـيْـهِ

ظـامـئٌ كـالـسّـلاحِ فـي كـفّ وغـدِ

والـخـيـالاتُ مـوكـبٌ مـنْ حـيـارى

تـائـهٌ يـهـتـدي وحـيـرانُ يـهـدي

وحـنـيـن الـصّـبـاحِ فـي خـاطـر الأنْـ

ـسـامِ كـالـعـطـر فـي بـراعـمِ وردِ

ooo

هكذا أمضي

رجب سنة 1378هـ

سهدتُ وأصباني جميلُ سهادي
فأهرقتُ في النسيانِ كأسَ رقادي
وسامَرتُ في جفنِ السُّهادِ سرائراً
لطافاً كذكرى منْ عهودِ ودادِ
ونادمتُ وحيَ الفنِّ أحسو رحيقَهُ
وأحسو؛ وقلبي في الجوانحِ صادي
إذا رمتُ نوماً قلْقَلَ الشوقُ مرقدي
وهزَّتْ بناتُ الذكرياتِ وسادي
وهازَجَني منْ أعينِ الليلِ هاتفٌ
منَ السحرِ في عينيه موجُ سوادِ
لهُ شوقُ مهجورٍ، وفتنةُ هاجرٍ
وأسرارُ حيٍّ في سكونِ جمادِ
لهُ تارةً طبعُ البخيلِ، وتارةً
له خُلُقُ مطواعٍ وطبعُ جوادِ
تدورُ عليهِ الشهبُ وسنى كأنّها
بقيَّةُ جمرٍ في غضونِ رمادِ

* * *

لكَ اللَّهُ يا ابْنَ الشعرِ كمْ تعصرُ الدُّجى
أغاريدَ عرسٍ أو نحيبَ حدادِ

تنوحُ على الأوتارِ حيناً وتارةً
تغنّي وحيناً تشتكي وتنادي

كأنّكَ في ظلِّ السكينةِ جدولٌ
يغنّي لوادٍ أوْ ينوحُ لوادي

هو الشعرُ لي في الشعرِ دنياً حدودها
وراءَ التمنّي خلفَ كلِّ بعادِ

ألا فلتضقْ عني البلادُ فلمْ يضقْ
طموحي وإنْ ضاقتْ رحابُ بلادي

ولا ضاقَ صدري بالهموم لأنها
بَناتُ فؤادٍ فيه ألفُ فؤادِ

ولا قهرتْ نفسي الخطوبُ وكمْ غدتْ
تراوِحُني أهوالُها وتُغادي

* * *

قطعتُ طريقَ المجدِ والصَّبرُ وحدَهُ
رفيقي، ومائي في الطريقِ وزادي

وما زلتُ أمشي الدربَ والدربُ كلُّه
مساربُ حيّاتٍ وكَيدُ أعادي

ولي في ضميري ألفُ دنياً من المنى
وفجرٌ من الذكرى وروضةُ شادي

ولي منْ لهيبِ الشوقِ في حيْرة السُّرى
دليلٌ إلى الشأوِ البعيدِ وحادي
هو الصَّبرُ زادي في المسيرِ لغايتي
وإنْ عدتُ عنها فهو زادُ معادي
ولا، لمْ أعدْ عنْ غايتي، لمْ أعدْ ولمْ
يُكفكفْ عنادُ العاصفاتِ عنادي
فَجُوري عليَّ يا حياةُ أوِ ارْفُقي
فلنْ أنثني عنْ وجهتي ومُرادي
فإنَّ الرَّزايا نضجُ روحي وإنّها
غذاءٌ لتاريخي ووَرْيُ زنادي
سأمضي ولو لاقيتُ في كلِّ خطوةٍ
حسامَ (يزيدٍ) أو وعيدَ (زيادِ)
ألا هكذا أمضي وأمضي ومسلكي
رؤوسُ شياطينٍ وشوكُ قتادِ
ولو أخَّرَتْ رجلي خطاها قطعتُها
وألقيتُ في كفِّ الرياحِ قيادي
فلا مهجتي منّي إذا راعَها الشقا
ولا الرأسُ منّي إنْ حنَتْه عوادي
ولا الروحُ مني إنْ تباكت وإنْ شكا
فؤادي أساهُ فهو ليسَ فؤادي
هو العمرُ ميدانُ الصراعِ وهلْ ترى
فتى شقَّ ميداناً بغيرِ جهادِ؟

حين يصحو الشعب

جمادى الآخرة 1379هـ

قيلت هذه القصيدة قبل الثورة بثلاث سنوات

اعـذرِ الظـالـمَ وحـمِّـلْـنـا الـمـلامـا
نـحـنُ أرضـعـنـاهُ فـي الـمـهـدِ احـتـرامـا

نـحـنُ دلَّـلـنـاهُ طـفـلاً فـي الـصِّـبـا
وحـمـلـنـاهُ إلـى الـعـرشِ غُـلامـا

وبـنـيـنـا بـدمـانـا عـرشَـهُ
فـانـثـنـى يـهـدمُـنـا حـيـنَ تـسـامـى

وغـرسْـنـا عـمـرَهُ فـي دمِـنـا
فـجـنـيـنـاهُ سُـجُـونـاً وحِـمـامـا

* *

لا تَـلُـم قـادتـنـا إن ظـلـمـوا
ولُـمِ الـشـعـب الـذي أعـطـى الـزِّمـامـا

كـيـفَ يـرعـى الـغَـنـمَ الـذئـبُ الـذي
يـنـهـشُ الـلـحـمَ ويـمـتـصُّ الـعـظـامـا؟

قـد يـخـافُ الـذئـبُ لـو لـمْ يـلـقَ مِـنْ
نـابِـهِ كـلَّ قـطـيـعٍ يـتـحـامـى

ويـعـفُّ الـظـالـمُ الـجـلاّدُ لـو
لـمْ تـقـلِّـدْهُ ضـحـايـاهُ الـحُـسـامـا

لا تَلُمْ دولتَنا إنْ أشبعتْ
شرهَ المخمورِ منْ جوعِ اليتامى

نحنَ نَسْقيها دمانا خمرةً
ونغنّيها فتزداد أُوَاما

ونهنّي مستبدّاً، زادهُ
جثثُ القتلى وأكبادُ الأيامى

كيفَ تصحو دولةٌ خمرتُها
منْ دماءِ الشعبِ والشعبُ الندامى؟

* * *

آه منّا آه! ما أجهلَنا!
بعضُنا يَغمَى وبعضٌ يتعامى

نأكلُ الجوعَ ونستسقي الظما
وننادي: (يحفظُ اللّهُ الإماما)

سلْ ضحايا الظلمِ تُخبرْ أنّنا
وطنٌ هَدْهَدَهُ الجهلُ فناما

دولةُ (الأجواخِ) لا تحنو ولا
تعرفُ العدلَ ولا ترعى الذّماما

تأكلُ الشعبَ ولا يسري إلى
مُقلتيْها طيفُه العاني لِماما

وهو يسقيها ويَظما حولها
ويغذّيها ولمْ يملكْ طعاما

تـشـربُ الـدَّمـعَ فـيُـظـمـيـهـا فـهـل
تـرتـوي؟ كـلاّ؛ ولـمْ تـشـبـعْ أثـامـا

عـقـلُـهـا حـولَ يـديْـهـا فـاتـحٌ
فـمُـهُ يـلـتـقـمُ الـشـعـبَ الـتـقـامـا

* * *

يـا زفـيـرَ الـشـعـبِ، حـرِّق دولـةً
تـحـتـسـي مـنْ جـرحـكَ الـقـانـي مُـدامـا

لا تـقـلْ: قـد سَـئِـمَـتْ إجـرامَـهـا
مـنْ رأى الـحـيّـاتِ قـد صـارتْ حَـمـامـا؟

أنـتَ بـانـيـهـا فـجـرِّبْ هـدمَـهـا
هـدمُ مـا شـيّـدتَـهُ أدنـى مَـرامـا

لا تـقـلْ: فـيـهـا قـوى الـمـوتِ وقـلْ:
ضـعـفُـنـا صـوَّرهـا مـوتـاً زؤامـا

سـوف تـدري دولـةُ الـظـلـمِ غـداً
حـيـنَ يـصـحـو الـشـعـبُ مـنْ أقـوى انـتـقـامـا؟

سـوفَ تـدري لـمـنِ الـنَّـصـرُ إذا
أيـقـظَ الـبـعـثُ الـعـفـاريـتَ الـنـيـامـا

إنّ خـلـفَ الـلّـيـل فَـجـراً نـائـمـاً
وغـداً يـصـحـو فـيـجـتـاحُ الـظّـلامـا

وغـداً تـخـضـرُّ أرضـي، وتـرى
فـي مـكـانِ الـشـوكِ ورداً وخُـزامـى

⊛⊛⊛

لا تقل لي

28/ 11/ 1382هـ ـ 22/ 4/ 1963م

لا تـقـلْ لـي: سـبـقْـتـنـي ولـمـاذا
لا أوالـي وراءكَ الانـطـلاقـا؟
لـمْ أسـابـقْـكَ فـي مـجـالِ الـتـدنّـي
والـتـلـوِّي. فـكـيـفَ أرضـى الـلـحـاقـا؟
أنـا إنْ لـمْ يـكـنْ قـريـنـي كـريـمـاً
فـي مـجـالِ الـسِّـبـاقِ عـفـتُ الـسّـبـاقـا
لا تـقـلْ: ضـاعَ فـي الـوحـولِ رفـاقـي
وأضـاعـوا الـضـمـيـرَ والأخـلاقـا
لـمْ أضـيِّـعْ أنـا ضـمـيـري وخُـلْـقـي
وكـفـانـي أنّـي خـسـرتُ الـرّفـاقـا
لا تـقـلْ: كـنـتَ صـاحـبـي فـأذنْ مـنّـي
لـسـتُ أشـري ولا أبـيـعُ نـفـاقـا
لا تـقـلْ لـي: أيـنَ الـتـقـيـنـا؟ ولا أيـنَ
افـتـرقْـنـا، فـنـحـنُ لـمْ نـتـلاقَـى؟
قـدْ نـسـيـتُ الـلـقـاءَ يـومـاً وإنّـي
لـسـتُ أدري مـتـى نـسـيـتُ الـفـراقـا!
لا تَـذَوَّقْ صـراحـتـي فـهـي مـرٌّ
إنـمـا مـنْ تـذوَّقَ الـمـرَّ ذاقـا

الطريق الهادر

قالها الشاعر بمناسبة مظاهرة الشباب اليمني التي جرت آخر شهر صفر سنة 1382هـ

هُتافٌ هتافٌ وماجَ الصَّدى
وأرغى هنا وهنا أزبدا

وزحفٌ مَريدٌ يقود السَّنا
ويهدي العمالقةَ المُرَّدا

تلاقتْ مواكبُهُ موكباً
يمدُّ إلى كلِّ نجمٍ يدا

عمائمُهُ منْ لهيبِ البروق
وأعينُهُ منْ بريقِ الفِدا

أفاقَ فناغتْ صبايا مناهُ
على كلِّ أفقٍ صِباً أغيدا

وهبَّ ودوَّى فضجَّ السكونُ
ورجَّعتِ الريحُ ما ردَّدا

وغنَّى على خطوهِ شارعٌ
ودربٌ على خطوهِ زَغْرَدا

ومنعطَفٌ لحَّنتْ صمتَهُ
خطاهُ ومنعَطَفٌ غرَّدا

مضى منشداً وضلوعُ الطريقِ
ضجوجٌ توقَّعُ ما أنشدا

وأقبلَ يسترجعُ المعجزاتِ
ويستنهضُ الميْتَ والمُقْعَدا

ويبدو مداهُ فيمضي العنيدُ
يحاولُ أن يسبِقَ الأغْنَدا

فتطغى مشاهِدُهُ كالحريقِ
ويقتحمُ المشهدُ المشهَدا

ويرمي هنا وهناك الدُّخانَ
ويوحي إلى الجوِّ أن يرعُدا

* * *

هو الشَّعبُ طافَ بإنذارهِ
على مَنْ تحدَّاهُ واستَعْبدا

وشقَّ لُحوداً تعبُّ الفسادَ
وتنجرُّ تبتلعُ المُفسدا

وأومأ بحبَّاتِ أحشائه
إلى فجرهِ الخصب أنْ يُولدا

أشارَ بأكبادهِ فالْتَقتْ
حشوداً مداها وراءَ المدى

وزحفاً يُجنِّحُ دربَ الصَّباحِ
ويستنفرُ التربَ والجَلْمَدا

ويـنـتـزعُ الـشَّـعـبَ مـن ذابـحـيـهِ
ويُـعـطـي الـخـلـودَ الـحـمـى الأخْـلـدا

ويـهـتـفُ: يـا شـعـبُ شـيِّـدْ عـلـى
جـمـاجـمـنـا مـجـدَكَ الأمـجـدا

وعِـشْ مـوسِـمـاً أبـديَّ الـجـنـى
وعَـشْـجِـدْ بـإبـداعِـكَ الـسَّـرمـدا

وكـحّـلْ جـفـونَـكَ بـالـنـيِّـراتِ
وصـغْ مـنْ سـنـا فـجـرِكَ الـمِـزْودا

لـكَ الـحـكـمُ أنـتَ الـمـفـدَّى الـعـزيـزُ
عـلـيـنـا ونـحـنُ ضـحـايـا الـفـدا

* * *

ودوَّى الـهـتـافُ: (اسـقـطـوا يـا ذئـابُ
ويـا رايـةَ الـغـابِ ضـيـعـي سُـدى)

وكـرَّ شـبـابُ الـحـمـى فـالـطـريـقُ
ربـيـعٌ تـهـادى وفـجـرٌ بـدا

ومـرَّ يـضـيءُ الـحِـمـى كـالـشـمـوعِ
يـضـيءُ تـوهُّـجـهـا مَـعْـبـدا

ويُـزجـي عـذارى بـطـولاتِـهِ
فـيـتَّـشـحُ الـجـرحَ والـسـؤددا

ويَـغـشـى عـلـى الـظـلـمِ أبـراجَـهُ
فـيُـزري بـهِ ويـمـا شـيّـدا

ويكسرُ في كفّ طاغي الحمى
حُساماً بأكبادِهِ مغمدا

وتندى خطاه دماً فائراً
يذيبُ دماً كادَ أنْ يجمدا

ويُلقي على كلِّ دربٍ فتًى
دعتْهُ المروءاتُ فاستشهدا

ويُدني إلى الموتِ حكماً يخوضُ
من العارِ مستنقعاً أسودا

ويجترُّ أذيال (جنكيزِ خان)
ويقتاتُ أحلامَهُ الشُّرَّدا

ويحدو ركابَ الظلامِ الأثيمِ
فيبتلعُ الصَّمتُ رجعَ الحُدا

ويحسو النَّجيعَ ولا يرتوي
فيطغى، ويستعذبُ الموردا

رأى الشعبَ صيداً فأنحى عليهِ
وراضَ مخالبَهُ واعتدى

فهلْ ترتجيهِ؟ ومنْ يرتجي
من الوحشِ إصلاحَ ما أفسدا؟

وهلْ تجتدي ملِكاً شَرُّه
سخيُّ اليدين عميمُ الجدا؟

وحكماً عجوزاً حناهُ المشيبُ
وما زالَ طغيانُهُ أمردا

تربَّى على الوحلِ مِنْ بدئهِ
وشاخَ على الوحلِ حيثُ ابتدا

فماذا يرى اليومَ؟ جيلاً يمورُ
ويهتفُ: لا عاشَ حكمُ العِدا

* * *

زحفْنا إلى النصرِ زحفَ اللهيب
وعَرْبَدَ إصرارُنا عربدا

ودُسْنا إليهِ عيونَ الخطوبِ
وأهدابُها كشفارِ المُدَى

طلعْنا على مَوَجاتِ الظلامِ
كأعمدة الفجر نهدي الهدى

ونرمي الضحايا ونسقي الحقولَ
دماً يبعثُ الموسمَ الأزغَدا

لنا موعدٌ منْ وراءِ الجراحِ
وها نحنُ نستنجزُ الموعدا

وهلْ يُورقُ النصرُ إلاّ إذا
سقى دمُنا روضَهُ الأجردا

أَفَقْنَا فشبَّتْ جراحاتُنا
سعيراً على الذلّ لنْ يَخْمُدا

رفعنا الرؤوس كأنَّ النجومَ
تخرُّ لأهدابِنا سُجَّدا

وسِرْنا نشقُّ جفونَ الصباح
وننضحُ في مقلتيْهِ النّدى

فضجَّ الذئابُ: مَنِ الطافرونَ؟
وكيفَ؟ ومَنْ أيقظَ الهُجّدا؟

وكيفَ استثارَ علينا القطيعُ؟
ومَنْ ذا هداهُ؟ وكيفَ اهتدى؟

هُنا مَوْكبٌ أبرقتْ سحبُهُ
علينا وحشْدٌ هُنا أرعدا

وهزَّ القصورَ فمادتْ بنا
وأشعلَ مَنْ تحتِنا المرقدا

وكادتْ جوانحُنا الواجفاتُ
مِن الذُّعرِ أنْ تلفظَ الأكبُدا

* * *

فماذا رأتْ دولةُ المخجلاتِ؟
قوًى أنذرتْ عهدَها الأنكدا

بمنْ تحتمي؟ واحتمتْ بالرَّصاص
وعسكرتِ اللَّهَبَ الموقدا

ولحّنتِ الغدرَ أنشودةً
من النّارِ تحتقرُ المنشدا

ونــادتْ بــنــادقَــهــا فــي الــجــمــوعِ
فــأخــزى الــمــنــادي جــوابُ الــنِّــدا

وهــلْ يــنــفــدُ الــشّــعــبَ إنْ مــزَّقــتْــه
قــوى الــشــرِّ؟ هــيــهــات أنْ يــنــفــدا

فــردَّتْ بــنــادقُــهــا: والــخــســيــسُ
إذا مــلــك الــقــوّة اســتــأســدا

وجــبــنُ الــقُــوى أنْ تُــعــدَّ الــقُــوى
لــتــســتــهــدفَ الأعــزلَ الــمُــجْــهــدا

وأردى الــســلاحِ لأردى الأنــامِ
وأجــوَدُه يــنــصــرُ الأجــودا

ويــومُ الــبــطــولاتِ يــبــلــو الــســلاحَ
إذا كــانَ وغــداً حــمــى الأوغــدا

فــأيُّ ســلاحِ حــمــى دولــةً
تــغــطّــي الــمــخــازي بــأخــزى رِدا؟

وتــأتــي بــمــا لــيــسَ تــدري الــشــرورُ
ولا ظــنَّ (إبــلــيــسُ) أنْ يُــعــهَــدا

لــمــنْ وُجِــدَتْ؟ مــنْ أشــذِّ الــشــذوذِ
ومــنْ أغــبــنِ الــغــبــنِ أنْ تــوجــدا

بَــنَــتْ مــنْ دمِ الــشــعــبِ عــرشــاً خــضــيــبــاً
ورصَّــتْ جــمــاجــمَــهُ مــقــعــدا

وأطــفــتْ شــبــابــاً أضــاءتْ مُــنــاهُ
فــأدمــى الــسّــنــا حــكــمُــهــا الأرمــدا
وســلْ: كــيــفَ مــدَّتْ حــلــوقَ الــردى
إلــيــهِ فــأعــيــا حــلــوقَ الــرّدى؟
وكــمْ فــرشــتْ دربَــه بــالــحــرابِ
فــراحَ عــلــى دمــه، واغــتــدى
وروّى الــتــرابَ الــمــفــدّى دَمــاً
مــضــيــئــاً يــصــوغُ الــحــصــى عــســجــدا
وعــادَ إلــى الــسّــجــنِ يــذكــي الــنّــجــومَ
عــلــى لــيــلِــهِ فــرقــداً فــرقــدا
ويــرنــو فــيــنــظــرُ خــضــرَ الــرؤى
كــمــا يــنــظــرُ الأعــزبُ الــخُــرَّدا
فــتــخــتــالُ فــي صــدرهِ مــوجــةٌ
مــن الــفــجــرِ تــهــوى الــمــدى الأبــعــدا
ويــهــمــسُ فــي صــمــتِــه مــوعِــدٌ
إلــى الــشــعــبِ لا بــدَّ أنْ تــســعــدا
ســيــنــصــبُّ فــجــرٌ ويــشــدو ربــيــعٌ
ويــخــضــوضــرُ الــجــدبُ أنّــى شــدا
فــهــذي الــروابــي وتــلــكَ الــسّــهــولُ
حَــبــالــى وتــســتــعــجــلُ الــمــولــدا

●●●

حوار جارين

من وحي الصراع السُّلالي بين الهاشمية والقحطانية الذي شجع عليه الإمام أحمد

خطراتٌ وأمنياتٌ عذارى
جنَحتْ وهمُهُ فرقَّ وطارا

وسرى في متاهةِ الصَّمتِ يشدو
مرَّةً للسُّرى ويصغي مِرارا

ويناجي الصَّدى ويومي إلى الطيفِ
ويستنطقُ الرُّبا والقفارا

وتعايا كطائرٍ ضيَّعَ الوكرَ،
وأدمى الجناحَ والمنقارا

ليس يدري أينَ المصيرُ ولكنْ
ساقَهُ وهمُهُ الجموحُ فسارا

وهنا ضجَّ (يا منى أينَ نمضي؟
وإلى أيِّ غايةٍ نتبارى؟

والطريقُ الطويلُ أشباحُ موتٍ
عابساتُ الوجوهِ يطلبنَ ثارا

موحشٌ يخضِنُ الفراغَ على الصمتِ
كما تَخضِنُ الرياحُ الغبارا

تـأكـلُ الـشـمـسُ ظـلَّـهـا فـي مـوامـيـهِ
كـمـا يـأكـلُ الـغـروبُ الـنـهـارا)

* * *

أيـنَ يـا لـيـلـتـي إلـى أيـنَ أسْـري؟
والـمـنـايـا تـهـيِّـئُ الأظـفـارا

والـدّجـى هـاهُـنـا كـتـاريـخِ سـجّـانٍ
وكـالـحـقـدِ فـي قـلـوبِ الأسـارى

يـتـهـادى كـهـودَجٍ مـن خـطـايـا
حـارَ هـاديـهِ فـي الـقـفـارِ وحـارا

ويـهـزُّ الـرؤى كـمـا هـدهـدَ الـسُّـكْـ
ـيـرُ سـكّـيـرةً تُـعـانـي الـخُـمـارا[1]

والـرّؤى تـذكـرُ الـصـبـاحَ الـمـنـدّى
مـثـلـمـا يـذكـرُ الـغـريـبُ الـدّيـارا

وهـي تـرنـو إلـى الـنـجـومِ كـمـا تـر
نـو الـبـغـايـا إلـى عـيـونِ الـسّـكـارى

والأعـاصـيـرُ تـركـبُ الـقـمـمَ الـحـيْـرى
كـمـا يـركـبُ الـجـبـانُ الـفـرارا

* * *

إيـهِ، يـا لـيـلـتـي ومـا أكـبـرَ الأخْـ
ـطـارَ قـالـتْ: لا تـحـتـسـبْـهـا كـبـارا!

(1) الرُّؤى: أحلام المنام وهي جمع رؤيا. وقد تستعمل لأحلام اليقظة ويخطئ من يعتبرها رؤية البصر.

قــالَ مــنْ فــي الــوجــودِ أقــوى مــن الأخْـ
ـطـارِ؟ قــالــتْ: مــنْ يــركــبُ الأخــطــارا

* * *

وتــهــادى يــرجــو الــمــفــازَ وتــغــشــى
دربَــه غــمــرةٌ فــيــخــشــى الــعــثــارا

قــلــقٌ بــعــضُــهُ يــحــاذرُ بــعــضــاً
ويــداهُ تــخــشــى الــيــمــيــنُ الــيــســارا

حــائــرٌ كــالــظــنــونِ فــي زحــمــةِ الــشــكِّ
وكــالــلّــيــلِ فــي عــيــونِ الــحــيــارى

ولــوى جــيــدَهُ فــأومــا إلــيــهِ
قــبــسٌ شــعَّ لــحــظــةً وتــوارى

فــرأى فــي بــقــيَّــةِ الــنــورِ شــخــصــاً
كــانَ يــعــتــادُهُ صــديــقــاً وجــارا

قــدمــاهُ بــيــنَ الــتــعــثُّــرِ والــوحــلِ
ودعــواه تــقــطــفُ الأقــمــارا

فــتــدانــى مــنْ جــارهِ، ورآه
مــثــلــمــا يــنــظــرُ الــفــقــيــرُ الــنُّــضــارا

ودعــاهُ إلــى الــمــســيــرِ فــألــوى
رأسَــهُ وانــحــنــى يــطــيــلُ الإزارا

وثــنــى عــطــفَــهُ وضــجَّ وأرغــى
وتــعــالــى ضــجــيــجُــهُ وأشــارا

فانحنى جارُهُ وقالَ: أجِبْني
هلْ ترى صحبتي شناراً وعارا؟

أنتَ مثلي معذَّبٌ فكلانا
صورةٌ للهوانِ تخزي الإطارا

فاطَّرحْ بَهْرجَ الخداعِ ومزِّقْ
عنْ محيّاكَ وجهَكَ المستعارا

كلُّنا في الضياعِ والتِّيهِ فانهضْ
ويدي في يديكَ نرفعْ منارا

قال: أينَ الهوانُ؟ فاذكرْ أبانا
إنّهُ كانَ فارساً لا يُجارى

إنّنا لمْ نَهُنْ وأجدادُنا الفر
سانُ كانوا ملءَ الزّمانِ فخارا

إنّنا لمْ نهُنْ أما كانَ جدّانا
الحسيبانِ (حِميَراً) و(نزارا)

* * *

فانتخى جارُهُ وقالَ: وما الأجْـ
ـدادُ؟ سلْ عنهُمُ البِلى والدمارا

فَخرُنا بالجدودِ فخرُ رمادٍ
راحَ يعتزُّ أنّهُ كانَ نارا

قد يسرُّ الجدودَ منكَ ومنّي
أنْ يرونا في جبهةِ المجدِ غارا

وهـنـا أصـغـيـا إلـى أنّـةِ الأو
راقِ والـرّيـحُ تـعـصـفُ الأشـجـارا

فـإذا بـالـشـروقِ يـنـخـرُ فـي الـلّـيـلِ
كـمـا يـنـخـرُ الـلّـهـيـبُ الـجـدارا

وتـمـادى الـحـوارُ فـي الـعـنـفِ حـتـى
أسـكـتـتْ ضـجّـةُ الـصَّـبـاحِ الـحـوارا

وتـراءى الـصَّـبـاحُ يـحـتـضـنُ الـسّـحـرَ
كـمـا تـحـضـنُ الـكـؤوسُ الـعُـقـارا

وبـنـاتُ الـشـذا تـحـيّـي شـروقـاً
شـاعـريـاً يـعـنـقـدُ الأفـكـارا

والـصَّـبـا تـرعـشُ الـزهـورَ فـتـومـي
كـالـمـنـاديـل فـي أكـفّ الـعـذارى

●●●

سلوى

16 شعبان 1382هـ

سلوى ويهمسُ في ندائي أملٌ كأغنيةِ الضياءِ
سلوى ويرتدُّ الصَّدى بجوابها: يا لانتشائي
أيُّ المنى تخضرُّ في جدبي وتزهرُ بالهناءِ
وتعيدُ (تموزاً) وتغـ ـزلُ من أشعّتِهِ ردائي
من ذا إزائي؟ هلْ هنا سلوى؟ فـ(نَيْسانٌ) إزائي
يشدو أمامي بالشَّذا ويزنبقُ الذكرى ورائي
سلوى، وأصغي، واسمُها بفمي ربيعٌ منْ غِناءِ
وشذا صداها في هواي مواسمٌ بيضُ العطاءِ
وأعودُ أصغي والصَّدى يدنو ويوغلُ في التنائي

* * *

فأفيقُ أبني في مَهَبِّ الرّيحِ عُشًّا منْ هباءِ
وعواصفُ المأساةِ تُطْـ فئني فيحترقُ انطفائي
وأنا أغنّيهِ لأنَّ تحرُّقي عطرُ البقاءِ
والصمتُ حولي كالضغا ئنِ في عيونِ الأدنياءِ
والسُّهدُ أفكارٌ مُعَلَّـ قةٌ بأهدابِ الفضاءِ
واللّيلُ بحرٌ من دخا نٍ شاطئاهُ من الدّماءِ
جوعانُ يبتلعُ الرُّؤى ويمجُّ دمعَ الأشقياءِ
يهذي كما يروي المُشعـ وذُ معجزاتِ الأنبياءِ

ويـعـبُّ خـمـراً مـنْ دمِ الـذكـرى جـحـيـمـيَّ الإنـاءِ
وأنـا هـنـاك روايـةٌ لـلـحـزنِ تـبـحـثُ عـنْ (روائـي)
أبـكـي عـلـى سـلـوى أنـا جـيـهـا أغـنـيـهـا بـكـائـي
وأعـيـدُ فـيـهـا مـأتـمـي أو أبـتـدي فـيـهـا عـزائـي
وحـدي أنـاديـهـا، وعـفـواً نـلـتـقـي فـي لا لـقـاءِ
تـبـدو وتـغـربُ فـجـأةً كـالـحـلـمِ يـدنـو وهـوَ نـائـي
أو تنثني جذلى كفجرِ الصَّيفِ فـي صـحـوِ الـهـواءِ
وتَـسـيـلُ فـي وهـمـي رحـيـقـاً مـنْ عـنـاقـيـدِ الـسّـمـاءِ
وهـنـاكَ أبـتـدئُ الـرحـيـقَ فـيـنـتـهـي قـبـلَ ابـتـدائـي
فـأعـودُ أحـتـضـنُ الـشّـقـاءَ لأنّـنـي أمُّ الـشّـقـاءِ
ومـواكـبُ الأشـبـاحِ فـي جـوّي كـحـيّـاتِ الـعَـراءِ
كـتـثـاؤبِ الأحـزانِ فـي مُـقَـلِ الـيـتـامـى الأبـريـاءِ
والـظّـلـمـةُ الـخـرسـاءُ تُـفـنـي قـريـتـي قـبـلَ الـفـنـاء
وتـشـدُّ أعـيـنَـهـا وتـو صـيـهـا بـصـبـرِ الأغـبـيـاءِ
فـيـتـاجـرُ الـحـرمـانُ فـيـهـا بـالـصَّـلاةِ وبـالـدُّعـاءِ
بـالـحـوقـلاتِ، وبـالأنـيـنِ وحـشـرجـاتِ الـكـبـريـاءِ
ويـبـيـعُ أخـلاقَ الـرجـالِ ويـشـتـري عـرضَ الـنّـسـاءِ

* *

وأنـا كـأهـلـي، مـيِّـتٌ أحـيـا كـأهـلـي بـادِّعـائـي
وأعـيـشُ فـي أوهـامِ سـلـوى والأسـى زادي ومـائـي
أشـدو لـتـعـذيـبـي كـمـا تـشـدو الـبـلابـلُ لـلـشّـتـاءِ

والـموعـدُ الـمسلـولُ يَبسمُ كـابـتـسـامـاتِ الـمُـرائـي
ويـعـيـدُ لـحـنـاً نـائـحـاً كـسُـعـال أمّـي فـي الـمـسـاءِ
فـتـلـمُّ بـي أطـيـافُ سـلـوى كـالـصَّـبـيّـاتِ الـوِضـاءِ
وتـرفُّ حـولـي مـوسـمـاً أسـخـى وأوسـعَ مـنْ رجـائـي

●●●

أنا وأنتَ

يا ابنَ أمّي أنا وأنتَ سواءٌ
وكلانا غباوةٌ وفُسُولَةْ

أنتَ مثلي مغفَّلٌ نتلقّى
كلَّ أكذوبةٍ بكلِّ سهولَةْ

ونسمّي بُخْلَ الرجالِ اقتصاداً
والبراءاتِ غفلةً وطفولَةْ

ونسمّي شراسَةَ الوحشِ طغيا
ناً ووحشيةَ الأناسِ بطولَةْ

ونقولُ: الجبانُ في الشرِّ أنثى
ووفيرُ الشرورِ وافي الرجولةْ

ونرى أصلَ (عامرٍ) تربةَ الأرْ
ضِ و(سعداً) نرى النجومَ أصولَهْ

فننادي هذا هجينٌ وهذا
فرقديُّ الجدودِ سامي الخؤولَةْ

نزعمُ الانتقامَ حزماً وعزماً
وشَروبَ النجيعِ حرَّ الفحولَةْ(1)

* * *

(1) شَروب: شارب مكثر.

يـا ابـنَ أمـي شـعـورُنـا لـم يـزلْ طـفـلاً
وهـا نـحـنُ فـي خـريـفِ الـكـهـولَـةْ

كـمْ شـغـلْـنـا سـوقَ الـنـفـاقِ فـبـغـنـا
واشـتـريـنـا بـضـاعـةً مـرذولَـةْ

لا تـلُـمـنـي ولـمْ ألُـمْـكَ. لـمـاذا؟
يـحـسـنُ الـجـهـلُ فـي الـبـلادِ الـجـهـولَـةْ

⊛⊛⊛

وحدة الشاعر

10 رمضان سنة 1380هـ

حُلُمُ الآتي وذكرى الغابرِ
مسرَحُ الشعرِ ودنيا الشاعرِ

ذكرياتُ الأمسِ تُغريهِ كما
يفتنُ المهجورَ طيفُ الهاجرِ

والغدُ المأمولُ في أشواقِهِ
صورةٌ من كلِّ حُسْنٍ باهرِ

صورةٌ كالوعدِ من أحلى فم
كابتساماتِ اللّقاءِ العاطرِ

وكعينَيْ طِفْلةٍ ترنو إلى
مقلتيْ طِفلٍ كسولِ الناظرِ

* * *

عالَمُ الشّاعرِ ذكرى ومُنًى
وحنينٌ كالجحيمِ الهادرِ

يقطِفُ الأحلامَ والذكرى كما
يقطِفُ العنقودَ كفُّ العاصرِ

أيُّ ذكرٍ؟ أيُّ شوقٍ عادني
فإذا قلبي جناحا طائرِ

وإذا الـدنـيـا بـكـفّـي مِـعـزَفٌ
سـاحـرٌ فـي كـفّ شـادٍ مـاهـرِ
تـارةً أشـدو وأصـغـي تـارةً
لـروايـاتِ الـزمـانِ الـسّـاخـرِ
فـيـقـصُّ الـدهـرُ مـن دنـيـا أبـي
ذِكَـراً[1] تُـخـجِـلُ وجـهَ الـذّاكـرِ
وأنـا أحـمـلُ ذكـراه، كـمـا
يـحـمِـلُ الـمـظـلـومُ سـوطَ الـجـائـرِ
وأغـنّـي عِـزَّ أجـدادي الأُلـى
فـخـروا بـالـعـجـزِ فـخـرَ الـقـادرِ
ومَـن الأجـدادُ؟ مـا شِـرْعَـتُـهـم؟
شِـرعـةُ الـوحـشِ الـغـبـيِّ الـكـاسـرِ
ومـخـازيـهـم تـراثٌ خـالـدٌ
ورثـوهُ كـابـراً عـنْ كـابـرِ
كـيـفَ أنـسـى الأمـسَ والـيـومُ ابـنُـه
والـغـدُ الآتـي ولـيـدُ الـحـاضـرِ
وأنـا ابـنُ الـشـعـرِ قـلـبـي عـالَـمٌ
مِـنْ حـنـيـنٍ وحـنـانٍ غـامـرِ
تـرتـمـي الأدهـارُ حـولـي مـثـلـمـا
يـرتـمـي مـوجُ الـعـبـابِ الـمَـائـرِ

---

(1) ذِكَر: جمع ذكريات.

والدّنا في عزلتي هائمةٌ
كهوى (ليلى) وطيفِ (العامري)

وحدتي صمتٌ يغني ورُؤىً
مِنْ عصا (موسى) وعجلِ (السامري)

منْ شذوذِ الطفلِ منْ زهو الفتى
منْ أسى الشيخِ الفقيرِ العاثرِ

منْ خيالاتِ الشياطينِ ومنْ
حكمةِ الرُسْلِ ودجْلِ الساحرِ

منْ ضراعاتِ المساكينِ ومنْ
خُيَلاءِ المستبدِّ القاهرِ

منْ هوى التاجرِ في الرّبحِ ومنْ
شبحِ الإفلاسِ حوْلَ التاجرِ

منْ شكاوى عاشقٍ يمشي على
قلبهِ نحو حبيبٍ نافرِ

وحدتي وحيٌ ودنيا منْ هدىً
وضلالٍ ويقينٍ حائرِ

وحنانٍ وانتظارٍ خائفٍ
ورجاءٍ كابتسامِ الغادرِ

وهوىً يضحكُ للطيفِ كما
يضحكُ الروضُ لعينِ الزائرِ

وحدتي أرجوحةٌ منْ فِكَرِ
دائراتٍ كالشروقِ الدّائرِ

وبناتُ الفنّ حولي زُمرٌ
كرَياحينِ الرَّبيعِ الزاهرِ
وأنا كالرّاغبِ المحرومِ في
موكبِ الغيدِ المثيرِ السّافرِ
أشتهي تلكَ فتدنو أختُها
منْ يديَّ كالأبيّ الصَّاغرِ
حلوةٌ تدنو وتخفى حلْوةٌ
كالسَّنا خلفَ الظلامِ العاكرِ
هذهِ تعطي ولا أسألُها
وأناجي تلكَ نجوى الخاسرِ
ولعوبٌ أجتدي نفحَتها
وهي تأبى وتمنّي خاطري
وعدُها يبعثُ ذكرى (حاتمٍ)
ووفاها صورةٌ منْ (مادِرِ)
كمْ تناديني فتغري لوعتي
وتولّي كالحبيبِ الماكرِ
والدُّجى مقبرةٌ تغفو على
حُلمِ النعشِ ونوحِ المقَابرِ
قلِقُ الصَّمتِ كرؤيا مومِسٍ
هجعتْ بين ذراعَيْ فاجرِ
كأماني ظالمٍ يرنو إلى
مقْلتَيْهِ شبحٌ منْ ثائرِ

خائفٌ يسري وفي أعطافِهِ
صَلَفُ الطاغي وتيهُ الكافرِ

وتضيعُ الشُّهبُ في موكبِهِ
كخيالاتِ المريضِ السَّاهرِ

ودخانُ الحقدِ في أهدابِهِ
كالخطايا فوقَ عِرضٍ عاهرِ

يخطرُ الشيطانُ فيهِ وعلى
شفتيْهِ قَهْقَهاتُ الظافرِ

وخفوقُ الصَّمتِ يُنبي أنَّ في
سرِّهِ ضوضاءَ زحفٍ طافرِ

والرّؤى تشتفُّ مِنْ خلفِ الرُّبا
مطلعَ اليومِ الهتوفِ الزاخرِ

وتبثُّ الغيبَ شكوى توبةٍ
تتشهَّى بسمةً من غافرِ

وأنا وحدي أناغي هاتفاً
منْ فمِ الوحيِ الشذيِّ الطاهرِ

وهدوءُ الكوخِ يستفسرُني:
هلْ أغنّي للفَراغِ السّادرِ؟

قلتُ إنّي شاعرٌ، في وحدتي
ألفُ دنيا منْ طيوفِ الشاعرِ

○○○

لقيتها

شعبان 1379هـ

أيـنَ اختـفـتْ فـي أيِّ أفْـقٍ سـامـي؟
أيـنَ اختـفـتْ عـنّـي وعـنْ تَـهْـيـامـي؟

عـبـثـاً أنـاديـهـا وهـلْ ضـيَّـعـتُـهـا
فـي الـلَّـيـلِ أمْ فـي زحـمـةِ الأيّـامِ؟

أمْ في رحـابِ الـجـوّ ضـاعـتْ؟ لا: فـكـمْ
بَـثَـثْـتُ أنـسـامَ الأصـيـلِ غـرامـي

ووقـفـتُ أسـألُـهُ وقـلـبـي فـي يـدي
يـرنـو إلـى شـفـقِ الـغـروبِ الـدامـي

وأجـابـنـي صـمـتُ الأصـيـلِ، وكـلَّـمـا
أقـنـعـتُ وجْـدي زادَ حـرُّ ضـرامـي

وإذا ذكـرتُ لـقـاءَهـا ورحـيـقـهـا
لاقـيْـتُ فـي الـذكـرى خـيـالَ الـجـامِ

وظـمـئـتُ حـتـى كـدتُ أجـرعُ غـلّـتـي
وأضـجُّ فـي الآلامِ: أيـنَ جِـمـامـي

وغـرقـتُ فـي الأوهـامِ أنـشـدُ سـلـوةً
ونـسـجـتُ فـردوسـاً مـن الأوهـامِ

*

وأفقتُ منْ وهمي أهيمُ وراءَها
عبثاً وأحلُمُ أنّها قُدّامي

وأظنُّها خلفي فأرجعُ خطوةً
خلفي؛ فتنشُرُها الظُّنونُ أمامي

وأكادُ ألمسُها فيبعُد ظلُّها
عنّي، وتدني ظلَّها أحلامي

وأعودُ أُنصتُ للسكينةِ والرُّبا
وحكايةِ الأشجارِ والأنسامِ

وأُحسُّها في كلِّ شيءٍ صائتٍ
وأحسُّها في كلِّ حي نامي

في رقّةِ الأزهارِ في همسِ الشَّذا
في تمتماتِ الجدولِ المترامي

*

فتّشتُ عنها الليلَ وهو متيَّمٌ
الكأسُ في شفتيْهِ وهو الظامي

والغيمُ يخطُرُ كالجنائزِ والدُّجى
فوقَ الرّبا كمشانقِ الإعدامِ

وسألت عنها الصمت وهو قصيدة
منثورةٌ تومي إلى النَّظّامِ

ووقفتُ والأشواقُ تُرهفُ مسمَعاً
بينَ الظّنونِ كمِسمعِ النمَّامِ

والنجمُ كأسٌ عسجديٌّ، ملؤهُ
خمرٌ تحنُّ إلى فمِ (الخيّامِ)
وهمستُ: أينَ كؤوسُ إلهامي وفي
شفتيَّ أكوابٌ من الإلهامِ
والريحُ تخبطُ في السهولِ كأنّها
حيْرى تلوذُ بهدأةِ الآكامِ
وكأنَّ موكبها قطيعٌ ضائعٌ
بينَ الذئابِ يصيحُ: أينَ الحامي؟
وتلاحقتْ قطعُ الظلامِ كأنّها
في الجوِّ قافلةٌ من الإجرامِ
وتلفَّتَ السّاري إلى الساري كما
يتلفّتُ الأعمى إلى المُتَعامي
وأنا أهيمُ وراءَها يجتاحُني
شوقٌ وتَقْتادُ الظُّنونُ زمامي
وسألتُ ما حولي وفتشتُ الرُّؤى
وغمستُ في جيبِ الظلامِ هُيامي
فتّشتُ عنها لمْ أجدْها في الدُّنا
ورجعتُ والحمَّى تلوكُ عِظامي
وأهجتُ آلامي وحبّي فالتظتْ
ولقيتُها في الحبِّ والآلامِ
وتهيأتْ لي في التلاقي مثلما
تتهيأ الحسناءُ للرَّسّامِ

وتبرَّجتْ لي كالطفولةِ غضَّةً
كفم الصَّباح المترف البسّامِ
وجميلةً فوقَ الجمالِ ووصفِهِ
وعظيمةً أسمى من الإعظامِ
تسمو كأجنحةِ الشّعاعِ كأنَّها
في الأفقِ أرواحٌ بلا أجسامِ

* *

لا، لا تقلْ لي: سمِّها فجمالُها
فوقَ الكنايةِ فوقَ كلِّ أسامي
إنّي أعيشُ لها وفيها إنّها
حبّي وسرُّ بدايتي وختامي
وأحبُّها روحاً نقيّاً كالسّنا
وأحبُّها جِسْماً من الآثام
وأحبها نوراً وحَيْرةَ مُلْحِدِ
وأحبها صحواً وكأس مُدامِ
وأريدُها غضبى وإنسانيَّةً
وشذوذَ طفلٍ واتّزانَ عِصامي
دَعْني أغرِّدْ باسمِها ما دامَ في
قَدَحي ثمالاتٌ من الأنغامِ
فتَشتُ عنها وهي أدنى منْ مُنى
قلبي، ومنْ شوقي وحرِّ أُوامي
ولقيتُها يا شوقُ. أينَ لقيتُها؟
عندي هنا في الحبِّ والآلامِ

جريح

هو ثائر من أبطال الجنوب، أهاب به داعي الكفاح إلى المعركة، فهب إليها كالعاصف. وهناك صارع النار المجنحة فعز عنه النصير، ونفد العتاد وانصب عليه الرصاص، فعاد ملفعاً بالجراح، يئن في الفراش، وينادي الموت.. والموت عزيز المرام على من يريده

لا تسلْ عنْ أنينِهِ وسُهادِهْ
إنَّ في جرحِهِ جراح بلادِهْ

إنَّ في جرحِهِ جراحاتِ شعبٍ
راكدِ الحسِّ حيُّه كجمادِه

ثائرٌ يحملُ البلادَ قلوباً
في حشاهُ وشعلةً في اعتقادِهْ

وهبَ الشعبَ قلبه ودِماهُ
وأحاسيسَهُ وصفو وِدَادِهْ

فهو أصواتُهُ إذا ضجَّ في النا
سِ ونجوى ضميرِهِ في انفرادِهْ

إنَّه ثائرٌ يريدُ ويَسْمو
فوقَ طاقاتِهِ سُموَّ مرادِهْ

أوقدَ الحقدَ في حنايَاهُ ثاراً
عاصفاً يستفزُّ نارَ زِنادِهْ

* * *

فمضى والعنادُ في مُقْلَتَيْهِ
صارخٌ، والجحيمُ في أحقادِهْ

وتلقّى الرَّصاص من كلِّ فجٍّ
وهو ما زالَ في جنونِ عِنادِهْ

كلّما أومأَ الفرارُ إليهِ
أمْسكتْ قبضةُ الوغى بقيادِهْ

وتحدَّى الحتوفَ حتى تلظَّتْ
حولَهُ وانتهتْ بقايا عَتادِهْ

عادَ كالسيفِ حاملاً منْ دماهُ
شَفقاً يُخبرُ الدُّنا عنْ جِلادِهْ

والجراحُ التي تراها عليهِ
كالعناوينِ في سجلِّ جهادِهْ

وارتمى في الفراشِ والثأرُ فيهِ
ساهرٌ يُنذرُ الوغى بمعادِهْ

لمْ ينمْ لحظَةً وإنْ نامَ هزَّتْ
ذكرياتُ الوغى سكونَ وِسادِهْ

وتلظَّتْ فيهِ الجراحُ فأوهتْ
جسمهُ وانطفا حماسُ اعتدادِهْ

يسألُ الصّمتَ والمنى: كيف يشفي
كبرياء الجراحِ منْ جلاَّدِهْ

فهو بينَ الطموحِ والعجزِ والأشـ
ـواق كالصَّقرِ في يدَيْ صيّادِهْ

لا تَلُمْهُ إذا شَكَا إنَّ شكواه
وأنّاتِهِ دُخانُ اتّقادِهْ

إنَّ أنفاسَهُ غُبارٌ وجمرٌ
منْ شظايا فؤادِهِ ورمادِهْ

كلّما قالَ آه أو صعّدَ الأنْفَا
س شاهدتَ قطعةً منْ فؤادِهْ

وإذا صاحَ جوعُهُ في الحنايا
فَرُفاتُ المُنى بقيَّةُ زادِهْ

عمرُهُ المدلهِمُّ سجنٌ، ويُنكي
جُرحَهُ أنَّ عُمرَهُ في ازديادِهْ

فهو يشقى في يقظةِ العينِ بالشُّغْـ
ـبِ ويشقى بحلمِهِ في رقادِهْ

ملَّ طولَ الحياةِ لا نالَ منها
ما يُرجّي ولا دنا منْ حصادِهْ

والشقيُّ الشقيُّ منْ ملَّ طولَ الـ
ـعُمْرِ والعمرُ لمْ يزلْ في امتدادِهْ

❁ ❁ ❁

بين ليل وفجر

1378هـ

فـي هـجـعـةِ الـلـيـلِ الـمـخـيـفِ الـشـاتـي
والـجـوُّ يـحـلـمُ بـالـصَّـبـاح الآتـي

والـريـحُ كـالـمـحـمـومِ تـهـذي والـدجـى
فـي الأفـقِ أشـبـاحٌ مـن الإنـصـاتِ

والـشُّـهـبُ أحـلامٌ مـعـلَّـقـة عـلـى
أهـدابِ تـمـثـالٍ مـن الـظـلـمـاتِ

والـطـيـفُ يـخـبـطُ فـي الـسـكـيـنـةِ مـثـلـمـا
تـتـخـبّـطُ الأوهـامُ فـي الـشُّـبـهـاتِ

والـظُّـلـمـةُ الـخـرسـا تَـلَـعْـثَـمُ بـالـرّؤى
كـتـلـعـثـمِ الـمـخـنـوقِ بـالـكـلـمـاتِ

* * *

فـي ذلـكَ الـلـيـلِ الـمـخـيـفِ مـضـى فـتـىً
قـلـقُ الـثـيـابِ مـروَّعُ الـخـطـواتِ

يـمـشـي ويـنـظـرُ خـلـفَـهُ وأمـامَـهُ
نـظـرَ الـجـبـانِ إلـى الـمـغـيـرِ الـعـاتـي

ويـرى الـحـتـوفَ إذا تـلـفَّـتَ أو رنـا
ويُـحـسُّ أصـداءً بـلا أصـواتِ

ويعودُ يسألُ نفسهُ: ما خيفتي؟
ماذا أُحسُّ؟ وأين أين ثباتي؟

ماذا يُخوّفني أنا رجلُ السُّرى
وأنا رفيقُ الّليلِ والفلواتِ

هلْ ليلتي غيرُ الليالي، أمْ أنا
غيري؟ أكادُ الآنَ أُنكرُ ذاتي

أينَ الصَّباحُ؟ وأينَ منّي قريتي؟
والرّعبُ قدّامي وفي لفتاتي

* * *

وهنا تراءتْ للمروِّعِ عُصبةٌ
كالذّعرِ شيطانيّةُ اللّمَحاتِ

شُعثٌ كأهلِ الكهفِ إلاّ أنَّ في
نظراتِهم همجيّةَ الشهواتِ

وتقلّبتْ مُقلُ العصابةِ في الفتى
وكأنّها تشويهِ بالنّظراتِ

وتخيلتْ (كيسَ النقودِ) فأبرقتْ
رغباتُها في الأعينِ الشّرِهاتِ

وتمَلْمَلَتْ فيها الشراسةُ مثلما
يتململُ الزّلزالُ في الهضباتِ

والْتاعَ فيها الشرُّ فانهالتْ على
ذاكَ الفتى بالضربِ والطّعَنَاتِ

فـاسـتـلَّ خـنـجـرَهُ وكـسّـرَ وحـدَهُ
وحـشـيّـةَ الـوثـبـاتِ بـالـوثـبـاتِ

وتـلـفّـتـتْ تـلـكَ الـعـصـابـةُ حـولَـهـا
فـرأتْ بـعـيـنِ الـوهـمِ ظـلَّ شُـراةِ

وهـنـاكَ لاذتْ بـالـفـرارِ وأدبـرتْ
مـلـعـونـةَ الـرَّوحـاتِ والـغـدواتِ

وغـدتْ يـصـادمُ بـعـضُـهـا بـعـضـاً كـمـا
تـتـصـادمُ الآلاتُ بـالآلاتِ

وجـثـا الـفـتـى بـيـنَ الـجـراحِ كـمـدنـفٍ
يـسـتـنـجـدُ الـعُـوَّادَ بـالـزفـراتِ

وتـلـكّـأتْ عـنـدَ الـتـوجّـعِ روحُـهُ
بـيـنَ الـمـمـاتِ وبـيـنَ نـصـفِ حـيـاةِ

وامـتـدَّ فـي حـضـنِ الـطـريـقِ ودارُهُ
حـيٌّ وصـفـرتُـهُ مـن الأمـواتِ

وتـداعـتِ الأوجـاعُ فـيـهِ والـتـظـتْ
فـيـهِ الـجـراحُ الـحـمـرُ كـالـجَـمَـراتِ

* *

وإذا تـهـيَّـأ لـلـنـهـوضِ تـثـاءبـتْ
فـيـهِ الـجـراحُ تـثـاؤبَ الـحـيّـاتِ

وعـلـى يـمـيـنِ الـدّربِ كـوخٌ تـلـتـقـي
فـي صـدرِهِ الـنـكـبـاتُ بـالـنـكـبـاتِ

بينَ القصورِ وبينَهُ مِيلٌ وما
أدنى المكانَ وأبعدَ الرحماتِ!

يشكو إلى جيرانِهِ فيصمُّهم
عنهُ ضجيجُ القصفِ واللَّذاتِ

كوخٌ إذا خطرتْ بهِ ريحُ الدُّجى
أوْمَا إلى السّكانِ بالرَّعشاتِ

(سنواتُ يوسفَ) عمرُهُ وجدارُهُ
أبداً تنوءُ بأعجفِ السّنواتِ

فيهِ العجُوزُ وبنتُها وغلامُها
يتذكّرونَ مواردَ الأقواتِ

فالحقلُ جدبٌ ظامئٌ وسماؤهُ
صحوٌ تلوحُ كصفحةِ المِرآةِ(1)

والأغنياءُ، وهلْ ترقُّ قلوبُهم؟
لا، إنّها أقسى من الصَّخراتِ

وتغلغلوا في الصَّمتِ فانتبهوا على
شبحٍ ينادي الصَّمتَ بالأنّاتِ

فإذا فَتىً قلقُ الملامحِ يختفي
تحت الجراحِ الحمرِ والخفقاتِ

فمشى ثلاثتُهم إليهِ وانثنوا
بالضَّيفِ بينَ الدَّمعِ والآهاتِ

---

(1) الحقول في بلد الشاعر تكره الصحو، لأن المطر سبب إخصابها.

وروى لـهـمْ خـبـرَ الـعـصـابـةِ أنّـهـا
سـدَّتْ عـلـيـهِ الـدّربَ بـالـهـجـمـاتِ
وتـهـيّـجـتْ فـيـهِ الـجـراحُ فـصـدَّهـا
وتـسـتّـرتْ بـالـلّـيـلِ كـالـحـشـراتِ
فـدنـتْ فـتـاةُ الـكـوخِ تـمـسـحُ وجـهَـهُ
وتـبـلـسـمُ الأجـراحَ بـالـدّعـواتِ
وتـبـلُّ مـنْ دمـهِ يـديْـهـا إنـهـا
تـشـتـمُّ فـيـهِ أعـبـقَ الـنـفـحـاتِ
وتـرى بـهِ مـا لـيـسَ تـدري هـلْ تـرى
سـرَّ الـقـضـا، أم آيـةَ الآيـاتِ؟
فـإذا الـجـراحُ تـنـامُ فـيـهِ ويـشـتـفـي
ويـردُّ عـمـراً كـان وشْـكَ فـواتِ
وإزاؤهُ الـبـنـتُ الـجـمـيـلـةُ كـلُّـهـا
روحٌ سـمـاويٌّ وطـهـرُ صـلاةِ
يـتـجـاوبُ الإغـراءُ فـي كـلـمـاتِـهـا
كـتـجـاوبِ الأوتـارِ بـالـنـغـمـاتِ

* * *

أغـفـى الـجـريـحُ عـلـى الـسـكـونِ وأغـمـضـتْ
أجـفـانَ مـنْ حـولـيـهِ كـفُّ سُـبـاتِ
والـكـوخُ فـي خُـرَقِ الأسـى مُـتـرقِّـبٌ
بـشـرى تـرِفُّ عـلـيـهِ كـالـزّهـراتِ
والـلّـيـلُ تـمـثـالٌ سـجـيـنٌ يـرتـجـي
فـكَّ الـقـيـودِ عـلـى يـدِ الـنَّـحّـاتِ

فبدا احمرارٌ في الظَّلامِ كأنَّهُ
لعناتُ حِقدٍ في وجوهِ طغاةِ

وتسلَّلَ السَّحَرُ البليلُ على الرُّبا
كالحلمِ بينَ الصَّحوِ والغفواتِ

يَندى وينشرُ في البقاعِ أريجَهُ
ويرشُّ دربَ الفجرِ بالنَّسَماتِ

وصبتْ على الجبلِ الشموخِ أشعةٌ
مسحورةٌ كطفولةِ القبلاتِ

فكأنَّما الجبلُ المعمَّمُ بالسّنا
مَلِكٌ يهزُّ الفجرَ كالرّاياتِ

رفعَ الجبينَ إلى العلا فتقلَّبتْ
في رأسِهِ الأضواءُ كالموجاتِ

وتسلَّقَ الأفقَ البعيدَ شموخُهُ
فترى عمامتَهُ من الهالاتِ

وتلألأتْ فوقَ السّفوحِ مباسمٌ
ورديّةُ الأنفاسِ والبسماتِ

وانصبَّ تيّارُ الشُّروقِ كأنَّهُ
شُعَلُ النبوّةِ في أكفِّ هُداةِ

وغزا الدروب فأجفلتْ قُطّاعُها
ووجوهُهم تحمرُّ بالصفعاتِ

وتصايحتْ تلكَ العصابةُ ما أرى
هٰذي الجهاتُ المشرقاتُ عُداتي

أيـنَ الـمـفـرُّ؟ وأيـنَ أطـلـبُ مـهـربـاً؟
والـنّـورُ يـسـطـعُ مـنْ جـمـيـعِ جـهـاتـي

كـيـفَ الـفِـرارُ، ولـيـسَ لـي كـهـفٌ ولا
دربٌ؛ فـيـا لـي! يـا لـسـوءِ مـمـاتـي!

وأفـاقَ أهـلُ الـكـوخِ حـيـنَ ثـقـوبُـهُ
تـومـي إلـى الأبـصـارِ بـالـومـضـاتِ

فـدنـا ثـلاثـتُـهـم يـرونَ جـريـحَـهـم
فـإذا الـفـتـى فـي سـكـرةِ الـفـرحـاتِ

نـفـضَ الـنّـعـاسَ وشـدَّ فـيـهِ جـراحَـهُ
واسـتـقـبـلَ الـدّنـيـا بـعـزمِ أبـاةِ

ورمـى إلـى كـفِّ الـغـلامِ وأمِّـه
بـعـضَ الـنـقـودِ ودَعـوةَ الـبـركـاتِ

وصـبـا إلـى كـفِّ الـفـتـاةِ وقـالَ: يـا
(نـجـوى) خُـذي نـخـبَ الـزّفـافِ وهـاتـي

وطـوى الـجـراحَ وهـبَّ يـقـتـادُ الـسّـنـا
ويـبـشِّـرُ الأكـواخَ بـالـخـيـراتِ

ويـقـودُ تـاريـخـاً ويُـنـبـتُ خَـطْـوهُ
فـجـراً يـنـيـرُ مـسـالـكَ الـقـاداتِ

* * *

فـضـحَ الـصَّـبـاحُ الـمـجـرمـيـن فـأصـبـحـوا
أخـبـارَ جُـرمٍ فـي فـمِ الـلَّـعَـنَـاتِ

وتـعـالـتِ الأكـواخُ تـنـظـرُ أهـلَّـهـا
يـضـعـونَ (غـارَ الـنـصـرِ) فـي الـهـامـاتِ

لمسَ الرَّبيعُ قلوبَهم وحقولَهم
فاخضوْضَرَتْ بالبشرِ والثمراتِ

والجوُّ يلقي النّورَ في الدنيا، كما
تلقي السُّيولَ مناكبُ الرَّبواتِ

والزَّهرُ في وهنِ الشبابِ مفتّحٌ
فوقَ الغصونِ كأعينِ الفتياتِ

والأفقُ يورقُ بالأشعةِ والنّدى
والأرضُ تمرحُ في حُليٍّ نباتِ

* * *

وهنا انتهى دورُ الجرائم وابتدا
دورٌ وريفُ الظلِّ كالجنّاتِ

فتجمّعَ الإخوانُ بعدَ تفرّقٍ
وانضمَّ شملُ الأهلِ بعدَ شتاتِ

صرعتْ أباطيلَ الدّجنةِ يقظةٌ
أقوى من الإرهابِ والقوّاتِ

والدَّجل يذهبُ كالجُفاءِ ولمْ تَدُمْ
إلاّ الحقيقةُ فوقَ كلِّ عُتاةِ

إنَّ الحياةَ مآتمٌ تُفضي إلى
عرسٍ وأفراحٌ إلى حسراتِ

لكنَّها بخريفِها وشتائِها
وبصيفِها حِكَمٌ ودرسُ عظاتِ

فاخترْ لسيرِ العمرِ أيّةَ غايةٍ
إنَّ الحقيقةَ غايةُ الغاياتِ

خطرات

1380هـ

قالَ لي: هلْ تُحسُّ حولَيْكَ رعبا
وعَجاجاً كالنَّارِ طارَ وهبّا؟

فكأنَّ النّجومَ شَهْقَاتُ جرحى
جمدتْ في محاجرِ الأفقِ تَغْبى

قلتُ: إنَّ الطريقَ شبَّ عِراكاً
آدميّاً في أجيفِ الغُنْمِ شبّا

فكأنّي أشتمُّ في كلّ شبرٍ
ميتةً تستثيرُ كلباً وكلبا

أقوياءُ تُفني الضّعافَ وتدعو
خِسّةَ الغالبينَ نصراً وكسبا

* * *

قال: إنّا نبكي الضَّعيفَ صريعاً
ونُهنّي القويَّ رغباً ورهبا

زعمَ المرء أنّه علّةُ الدنيا
فأشقى ما هبَّ فيها ودبّا

واستباحَ ابنَهُ وأردى أخاه
وتولّى تراثَ قتلاهُ غصبا

فكأنَّ الثرى رفاتُ ضحايا
زوَّرتها السّنونُ طيناً وعشبا
قلت: لا توقظِ (المعرّي) فيلقى
(أمّ دفرٍ) أغوى خداعاً وأصبى
ويرانا أخسَّ من أن يثيرَ الـ
ـهَجْوُ أو نستحقَّ نقداً وسبّا
لا تُذكُر (أبا العلا) إن جيل الـ
ـيومِ أضرى من جيلِ أمسِ وأغْبى

* * *

وهنا قال صاحبي: لا تعامى
فترى ألْمَعَ المحاسنِ ذنْبا
يا أخي، والهوى يُصمُّ ويُعمي
كيف ترضى الهوى دليلاً وركبا؟
فتأمّلْ تجدْ صراعاً كريماً
وصراعاً جمَّ النّذالاتِ خِبّا[1]
وقتيلاً يغفو ويُشهِرُ ثاراً
وشهيداً يَندى سلاماً وحبّا
ودماً في الثّرى تجمَّد جمراً
ودماً في السّماءِ أورق شُهبا
ونفاحاً أخزى هجوماً وتربا
سمَّدتْهُ الدّماء فاخضرَّ خِصبا

(1) خِبًّا: لئيما.

وذكـرنـا أنّـا نـسـيـرُ وأغـفـى
جـهـدُنـا والـطـريـقُ مـا زالَ صَـعْـبـا

دربُـنـا كـلُّـهُ عَـجـاجٌ وريـحٌ
كـفّـنـتْ جـوَّهُ رمـاداً وحَـضْـبـا

وظـلامٌ تـألَّـهَ الـشّـرُّ فـيـهِ
وتـمـطّـى شـيـطـانُـهُ فَـتَـنَـبَّـا

وصـراعٌ إن أطـفـأ الـضَّـعـفَ حـربـاً
شـبَّ حـقـدُ الـرَّمـادِ حـربـاً فـحـربـا

* *

كـيـف نـسـري؟ وراءنـا عـاصـف يـطـ
غـى، وقـدّامـنـا أعـاصـيـر نـكـبـا

يـتـلـهّـى بـخـطـونـا عـبـث الـرّيْـ
ـحـيْـنِ دفـعـاً إلـى الأمـامِ وجـذبـا

قـلـت: لـيـت الـمـماتَ يُـنـهـي خـطـانـا
قـال: مـا كـلُّ مـن دعـا الـمـوتَ لـبّـى

يـا رفـيـقـي الـمـوتُ شـرٌّ وأدهـى
مـنـه أنّـا نـريـدُهُ وهـو يـأبـى

* *

قـال لـي: لا تـقـفْ، تـقـوَّ بـزنـدي
فـمـضـيـنـا نـشـدُّ بـالـجـنـبِ جـنـبـا

واتَّـحـدنـا جـنـبـاً كـأنّـا اخـتـلـطـنـا
وجـمـعـنـا الـقـلـبـيْـنِ فـي الـجـنـبِ قـلـبـا

فاهتدى سيرُنا كأنَّا فرشنا
لخطانَا مباسمَ الفجرِ دربَا
وانتشى جوُّنا انتشاءَ النّدامى
وأدار النّجومَ أكوابَ صهبا
يُشعِلُ الحبَّ من دجى الأُفْقِ فجراً
يسفحُ العطرَ في طريقِ الأحبّا

*

ونظرنا في الأفقِ وهو بقايا
من ظلامٍ مُخمَّرَةُ الوجهِ غضبى
وخيالُ السَّنا يجرّبُ عينيْهِ
فيطْوي هُدباً ويفتحُ هدبا
وسألنا: فيم التّعادي؟ وفيمَ
نخضبُ اللّيل بالجراحاتِ خضبا؟
ولماذا نجني المنايا بأيدينا
ونرمي الحياةَ في التربِ تربا؟
والورى إخوةٌ ففيمَ التعادي؟
وهو أخزى بَدءاً وأشأمُ عُقبى؟
أمُّنا الأرضُ. يسعدُ الأمَّ أن
تلقى بنيها صبّاً يعانقُ صبّا

❁❁❁

مروءات العدو

شوال سنة 1378هـ

يُخوّفني بالنَّهبِ والقتلِ ناقمٌ
عليَّ وهلْ لي ما أخافُ عليهِ؟

إذا رامَ نهبي لم يجدْ ما يرومُهُ
وإن رامَ موتي فالمصيرُ إليهِ

إذا سلَّ روحي سلّني من يدِ الشَّقا
وخلّصني من شرِّهِ بيديْهِ

وأطلقني من سجنِ عمري فقاتلي
عدوٌّ، مروءاتُ الصديقِ لديْهِ

❁❁❁

مصرع طفل

19 رمضان سنة 1378هـ

صديقي الأستاذ عبد العزيز المقالح. أتجه إليك بهذه القصيدة التي أستقيها من دمعك على طفلك الوحيد؛ فها هي مع أجمل العزاء:

كـيـفَ انـتـهـى مـن قـبـلِ أنْ يـبـتـدي؟
هـل تـنـطـفـي الـروحُ ولـم تـوقـدِ؟

وكـيـفَ أنـهـى الـسـيْـرَ مـن لـم يـرحْ
فـي دربـهِ الـمـجـهـولِ أو يـغـتـدي؟

وافـى مـن الـديـجـورِ يـحـبـو إلـى
كـهـفِ الـسّـكـونِ الـنـازحِ الأسـودِ

ألـقـى بـه الـمـهـدُ إلـى قـبـرهِ
لـم يـقـتـربْ مـنـهُ ولـم يـبـعـدِ

مـا بـالُـه خـفَّ إلـى مـوتِـهِ؟
هـل كـانَ والـمـوتَ عـلـى مـوعـدِ؟

مـا أقـصـرَ الـشـوطَ وأدنـى الـمـدى
مـا بـيـن عـهـدِ الـلـحـدِ والـمـولـدِ!

* * *

يـا مـن رأى الـطـفـلَ يـعـانـي الـرّدى
ويـرفـعُ الـكـفَّ كـمـنْ يـجـتـدي!

كـأنَّـهُ فـي خـوفِـهِ يـحـتـمـي
بـكـفِّـهِ مـن صـولـةِ الـمـعـتـدي!

وكـلَّـمَـا انـهـالَ عـلـيـهِ انـطـوى
يـلـوذُ بـالـثـوبِ، وبـالـمـرقـدِ

وتـارةً يـرنـو إلـى أمِّـهِ
وتـارةً يـلـقـي يـداً فـي يـدِ

ومـرَّةً يـرجـو أبـاً مـشـفـقـاً
ومـرَّةً يـرنـو إلـى الـعُـوَّدِ

يـهـوى أبـوهُ لـو يـذودُ الـقـضـا
عـنـهُ وتـهـوى الأمُّ لـو تـفـتـدي

يـا مـنْ شـهـدتَ الـطـفـلَ فـي مـوتِـهِ
ألـم تـمـتْ مـن روعـةِ الـمـشـهـدِ؟!

***

يـا صـائـدَ الـعـصـفـورِ رفـقـاً بـهِ
فـلـم يـخـضْ جـوّاً ولـم يـصـعـدِ

أتـى يـغـنـي الـروضَ لـكـنَّـهُ
لـم يـنـشـقِ الـروضَ ولـم يُـنـشـدِ

طـفـلٌ كـعـصـفـورِ الـرَّوابـي طـوى
ردا الـصِّـبـا مـن قـبـلِ أن يـرتـدي

أَهَـلَّ فـي بـدءِ الـصِّـبَـا فـانـطَـفَـا
لـم يـهـدِ حـيْـرانـاً ولـم يَـهْـتـدِ

***

ونـامَ فـي حـضـنِ الـهـنـا مـبـعَـداً
عـن الأعـادي وعـن الـحُـسَّـدْ

عـن ضـجّـة الـدنـيـا وأشـرارِهـا
وعـن غـبـارِ الـعـالَـمِ الـمُـفْـسِـدِ

تـدافـع الـطـفـلُ إلـى قـبـرهِ
فـنـامَ تـحـتَ الـصـمـتِ كـالـجـلـمـدِ

مـا أسـعـدَ الـطـفـلَ وأَهْـنَـا الـكـرى
عـلـى سـكـونِ الـمـرقـدِ الـمـفـردِ!

هـنـا ثـوى الـطـفـلُ وأبـقـى أبـاً
يـبـكـي وأمًّـا فـي الـبـكـا الـسّـرمـدي

تـقـول فـي أسـرارِهـا أمُّـهُ:
لـو عـاشَ سـلـوى الـيـومِ، ذخـرُ الـغـدِ!

لـو عـاشَ لـي يـا ربُّ، لـو لـم يـمـتْ
أو لـيـتَـهُ يـا ربُّ، لـم يـوجـدِ

* * *

هـل خـافَ هـذا الـطـفـلُ جـهـدَ الـسُّـرى
فـاخـتـزلَ الـدّرب ولـم يـجـهـدِ؟

مـا بـالُـهُ جـفَّ وريُّ الـصِّـبـا
حـولـيـهِ والـعـيـشُ الـظـلـيـلُ الـنّـدي؟!

مـضـى كـطـيـفِ الـفـجـرِ لـم يـقـتـطـفْ
مـن عـمـرهِ غـيـرَ الـصِّـبـا الأرغـدِ

لــم يــطــعَــمِ الــدّنــيــا ولــم يــدرِ مــا
فــي ســوقِــهــا مــن جــيّــدٍ أو ردي

حــبــا مــن الــمــهــدِ إلــى لــحــدِهِ
لــم يــشــقَ فــي الــدّنــيــا ولــم يَــسْــعَــدِ

فــهــاك يــا (عــبــد الــعــزيــزِ) الــرّثــا
شــعــراً حــزيــنَ الــشّــدو والــمُــنــشِــدِ

يــبــكــي كــمــا تــبــكــي وفــي شــجــوهِ
تــعــزيــةٌ عــن طــفــلِــكَ الأوحــدِ

❁ ❁ ❁

بعد الضياع

1379هـ

إلى مَنْ أسيرُ أهاض المسيرْ
قوايَ وأدمى جناحي الكسيرْ
وكيف المسيرُ ودربي طويلٌ
طويلٌ وجهدي قصيرٌ قصيرْ؟!
فكنتُ كفرخٍ أضاعَ الجناح
وتدعوهُ أشواقُهُ أن يطيرْ
ولي أمنياتٌ كزهرِ القبورِ
يموتُ ويُرعشُهُ الزَّمْهَريرْ
أجرُ خطايَ فأخشى العثارَ
وتجتاحني رغبةٌ كالسَّعيرْ
فحيناً أهبُ كطفلٍ لعوبٍ
وحيناً أدبّ كشيخٍ حَسيرْ
وآونةً أرتمي في الجراحِ
كما يرتمي في القيودِ الأسيرْ
وتدفعني وحشةُ الذكرياتِ
وتثني خطاي طيوفُ المصيرْ

أمــامــي غــيــوبٌ وسِــرٌّ رهــيــبٌ
وخــلــفــي عــذابٌ ومــاضٍ مــريــرْ

إلــى أيــن أمــضــي وهــل أنــثــنــي؟
أمــامــي خــطــيــرٌ وخــلــفــي خــطــيــرْ

هــنــا هــزَّنــي مــن وراءِ الــمــنــى
نــداءٌ كــضــحــكِ الــصَّــبــيّ الــغــريــرْ

كــخــفــقِ الأمــانــي كــنــجــوى غــديــرِ
شــذيّ الــصَّــدى زنــبــقــيّ الــخــريــرْ

فــجــئــت إلــيــكِ كــمــن يــلــتــجــي
إلــى واحــةٍ مــن جــحــيــمِ الــهــجــيــرْ

ورفَّ عــلــيَّ هــواكِ الــحــنــون
رفــيــفَ الــرَّبــيــعِ الــشــذيِّ الــخــضــيــرْ

فــلا تــســألــي مــن هــدانــي إلــيــكِ؟
هــدانــي إلــيــكِ صِــبــاكِ الــنّــضــيــرْ

أتــخــفــيــنَ عــنّــي وحــولــي شــذاكِ
يــوشّــي الــدُّروب ويــغــشــى الأثــيــرْ

فــأقــبــلــتُ فــي الــطــيــبِ أمــشــي إلــيــكِ
عــلــى ألــفِ أغــنــيــةٍ مــن عَــبــيــرْ

ولــمّــا الــتــقــيــنــا احــتــضــنّــا الــهــوَى
كــمــا يــحــضــنُ الــفــجــرَ صــدرُ الــغــديــرْ

وغــنّــاكِ حــبــي فــلاقــى لــديــكِ
صــدًى نــاعــمــاً مــتــرفــاً كــالــحــريــرْ

ونــاديــتُ فــيــكِ هــوًى أوّلاً
ونــاديــتِ فــيَّ الــحَــبــيــبَ الأخــيــرْ

* * *

وسِــرْنــا جــمــيــعــاً يــداً فــي يــدِ
نُــغَــنّــي كــثــيــراً ونــبــكــي كــثــيــرْ

وطــاب لــنــا مــنــزلٌ واحــدٌ
صــغــيــرٌ كــعــشِّ الــهَــزارِ الــصَّــغــيــرْ

ولــم تــســألــيــنــي: أعــنــدي ســريــرٌ؟
لأنَّ الــمــحــبّــةَ أخْــنــى ســريــرْ

وهــل لــي ســريــرٌ أنــا شــاعــرٌ
شــعــوري غــنــيٌّ وجــيــبــي فــقــيــرْ؟

وحــســبــي أنَــا مــنْ عــطــايــا الــوجــودِ
شــعــورٌ غــنــيٌّ وفــكــرٌ مُــنــيــرْ

إذا كــانَ هــمّــي شــرابــاً وقــوتــاً
فــمــا الــفــرقُ بــيــنــي وبــيــنَ الــحــمــيــرْ

خُــلــقــتُ حَــنــونــاً لــكــلّ الأنــامِ
بــأرجــاءِ قــلــبــي قــرارٌ قــريــرْ

أُعــزّي الــفــقــيــرَ وأرثــي الــغــبــيَّ
عــلــى عــجــزِهِ وأُهــنّــي الــقــديــرْ

أُعـزِّي الـجـمـيـعَ وأهـوى الـجـمـيـعَ
ومـحـتـقِـرُ الـنَّـاسِ أدنـى حـقـيـرْ

وأسْـتَـلْـهِـمُ الـدَّمـعَ والأغـنـيـاتِ
ونـوحَ الـنـعـيِّ وصـوتَ الـبـشـيـرْ

* * *

أنـا شـاعـرٌ يـا (ابـنـةَ الـعـم) لـي
مـن الـحـبِّ نـبـعٌ شـهـيٌّ غـزيـرْ

وشـعـرٌ رقـيـقٌ كـحـلـمِ الـصـبـاحِ
عـلـى مـقـلِ الـيـاسـمـيـنِ الـمـطـيـرْ

فـحـسْـبـي وحـسـبُـكِ ديـوانُ شـعـرٍ
وبـيـتٌ صـغـيـرٌ وحـبٌّ كـبـيـرْ

وكـأسٌ مـن الـشـوقِ والـذكـريـاتِ
وأغـنـيـةٌ مـن شـذاكِ الـمـثـيـرْ

إذا قـرَّتِ الـنـفـسُ لـذَّ الـمـقـام
وساوى الـتـرابُ الـفـراشَ الـوثـيـرْ

فـقـدْ يُـتْـعـسُ الـجـدبُ كـوخَ الـمـقـلِّ
وتُـشـقـي الـرفـاهـةُ قـصـرَ الأمـيـرْ

يـضـيـقُ الـفـقـيـرُ ويـشـقـى الـغَـنـيّ
فـلا ذاكَ بِـدْعٌ ولا ذا نـكـيـرْ

فـذا يـشـتـهـي لـم يـجـدْ بُـلْـغَـةً
وهـذا يـعـافُ الـغـذاءَ الـوفـيـرْ

ويُخفي وراءَ الطلاءِ الأنيقِ
صدوعَ الحنايا وخزيَ الضميرْ
فومْضُ السّعادةِ من حولهِ
كومْضِ الأشعّةِ حولَ الضّريرْ
فكمْ مترفٍ مبتلىً بالألوفِ
وكمْ كادحٍ هانئٍ باليسيرْ

لنا يا (ابنةَ العمِّ) من حبنا
حنانٌ يغنّي وعيشٌ غضيرْ
وفنٌّ يضمُّ هوانا كما
يضمُّ السَّميرَةَ أشهى سميرْ
ويحتضنُ الحبَّ والأمنياتِ
كما تحضنُ الكأس كفُّ المُديرْ
إليكِ انتهتْ رحلتي في الضياع
فأنسيتِني هَوْلَها المستطيرْ
فلقياكِ كالظِّلِّ بعدَ الهجيرِ
وكالنَّصرِ بعدَ الجهادِ العسيرْ

❁❁❁

يوم المعاد

18 ذو الحجة 1378هـ

يا أخي يا ابنَ الفدا فيمَ التمادي
وفلسطينُ تنادي وتنادي؟

ضجَّتِ المعركةُ الحمرا فقم
نلتهبْ. فالنورُ منْ نارِ الجهادِ

ودعا داعي الفدا فلْنحترقْ
في الوغى، أو يحترقْ فيها الأعادي

يا أخي يا ابنَ فلسطين التي
لم تزلْ تدعوكَ من خلفِ الحِدادِ

عُدْ إليها، لا تقلْ: لم يقتربْ
يومُ عَوْدي قل: أنا (يوم المعادِ)

عذ ونصرُ العربِ يحدوكَ وقل
هذه قافلتي والنصرُ حادي

عذْ إليها رافعَ الرأسِ وقلْ:
هذهِ داري، هُنا مائي وزادي

وهُنا كَرْمي، هُنا مزرعتي
وهُنا آثار زرعي وحَصادي

وهُنا ناغيتُ أمّي وأبي
وهُنا أشعلتُ بالنّورِ اعتقادي

هذهِ مِدفأتي أعرِفُها
لم تزلْ فيها بقايا منْ رمادِ

وهنا مهدي، هنا قبرُ أبي
وهنا حَقْلي وميدانُ جِيادي

هذهِ أرضي لها تضحيتي
وغرامي ولها وهجُ اتّقادي

هاهُنا كنتُ أماشي إخوتي
وأحيّي هاهُنا أهلَ ودادي

هذهِ الأرضُ درجْنا فوقَها
وتحدَّيْنا بها أغدى العوادي

وغرسناها سلاحاً وفداً
ونصبنا عزْمَنا في كل وادي

وكتبنا بالدّما تاريخَها
ودِما قوم الهدى أسنى مِدادِ

* * *

هكذا قلْ: يا ابن (عَكّا) ثم قل:
هاهُنا ميدانُ ثاري وجلادي

يا أخي يا ابن فلسطينَ انطلقْ
عاصفاً وارمِ العدا خلف البعادِ

سـز بـنـا نـسـحـقْ بـأرضـي عُـصـبـةً
فـــرَّقـــتْ بـــيـــنَ بـــلادي وبـــلادي

قـلْ لـ(حـيـفـا) اسـتـقـبـلـي عَـوْدتَـنَـا
وابـشـري هـا نـحـنُ فـي دربِ الـمـعـادِ

واخـــبـــري كـــيـــف تـشـهّـتْـنـا الـرُّبـا
أفـصـحـي كـمْ سـألـتْ عـنّـا الـنَّـوادي!

قـلْ لإسـرائـيـلَ: يـا حُـلْـمَ الـكـرى
زعـزعـتْ عَـودَتُـنـا حُـلْـمَ الـرّقـادِ

خـاب (بـلـفـورُ) وخـابـتْ يـدُهُ
خـيـبـةَ الـتـجّـارِ فـي سـوقِ الـكـسـادِ

لـم يـضِـعْ، لا، لـم يـضِـعْ شـعـبٌ أنـا
قـلـبُـهُ وهـو فـؤادٌ فـي فـؤادي

قـل لـ(بـلـفـور) تـلاقـتْ فـي الـفِـدا
أمّـةُ الـعـربِ وهـبّـتْ لـلـتّـفـادي

وحّـدَ الـدربُ خـطـانـا والـتـقـتْ
أمّـتـي فـي وَحـدةٍ أو فـي اتـحـادِ

عـنـدمـا قـلـنـا: اتـحـدنـا فـي الـهـوى
قـالـتِ الـدنـيـا لـنـا: هـاكـمْ قـيـادي

ومـضـيـنـا أمّـةٌ تُـزجـي الـهُـدى
أيـنـمـا سـارتْ وتـهـدي كـلّ هـادي

❁❁❁

المنتحر

جمادى الآخرة سنة 1377هـ

لَـفَـظَ الـروحَ فـاطـمـأنَّـتْ ضُـلـوعُـهْ
وأنـطـفـا شـوقُـهُ ونـامَ ولُـوعُـهْ

وقـعَ الـمـتـعـبُ الـكـئـيـبُ عـلـى الـمـوتِ
فـمـاذا جـرى وكـيـف وقـوعُـهْ؟

جـفَّـتِ الـكـأسُ فـي يـديـهِ وأشْـتَـى
فـيـهِ وادي الـمُـنـى ومـاتَ ربـيـعُـهْ

حـارَ فـي الـمـوتِ والـحـيـاةِ، كـراعٍ
ضـاعَ تـحـتَ الـدُّجـى وضـاعَ قـطـيـعُـهْ

كـلّـمـا سـاءل الـدُّجـى: أيـنَ يـمـضـي؟
لـجَّ فـي الـصَّـمـتِ واسـتـفـاضَ خـشـوعُـهْ

وانـحـنـى كـالـعـجـوزِ وانـسـاقَ كـالـمخْـ
ـمـورِ وامـتـدَّ فـي الـسـكـونِ هـزيـعُـهْ

* * *

لا تـسـلْ ذلـكَ الـفـتـى: كـيـفَ صـاحَ الـ
ـجـرحُ فـيـهِ؟ وكـيـفَ صـمَّ سـمـيـعُـهْ

كـيـف أسْـرارُ قـلـبـهِ؟ أيَّ سـرٍّ
كـانَ يـطـوي؟ وأيَّ سـرٍّ يـذيـعُـهْ؟

همَّ بالموت والظنونُ تُواري
حولَه الخوفَ تارةً وتُشيعُهْ

وتلكّا فدارَ في ذهنهِ (سُقْـ
ـراطُ) هذا اسمُهُ وهذا لُموعُهْ

ذلكَ الفيلسوفُ لم يدرِ هل أَحْـ
ـسنَ صنعاً أم كيفَ ساءَ صنيعُهْ؟!

جرعةُ الكأسِ أنهتِ العمرَ فيه
فانتهى أصلُ شرِّهِ وفروعُهْ

وتلكّا الفتى وحارَ. أيشري
من يدِ الموتِ عمرَهُ أم يبيعُهْ؟

أومأتْ كَفُّهُ إلى خنجرِ الموتِ
وأومأ إلى الحياةِ نُزوعُهْ

ليس يدري أيَّ الأمرَّينِ أحلى
سعْيُه نحو حتفِهِ أم رجوعُهْ؟

طاوعَ الخنجرُ الأصمُّ يَدَيْهِ
حينَ كادتْ يمينُهُ لا تُطيعُهْ

وتوارى في صدرهِ خنجرُ الموتِ
فضجَّ الحَشا وفارتْ صُدوعُهْ

والتوى حولَهُ الرَّدى كالأفاعي
وتلوَّى كالأفعوانِ صريعُهْ

وتـراخـتْ عـلـى الـفـراشِ يـداهُ
ثـمَّ أغـفـى وفـي يـديـهِ نَـجـيـعُـهْ

* * *

مـتـعـبٌ طـالَ عـمـرُهُ وشـقـاهُ
وتـمـادتْ جـراحُـهُ ودُمـوعُـهْ

طـالـمـا شَـبَّ مـن دمـاه شـمـوعـاً
لـلـهـوى فـانـطـفـا الـهـوى وشـمـوعُـهْ

حـيـن لـم يـسـتـطـعْ بـلـوغَ مـنـاهُ
مـاتَ، والـمـوتُ كـلُّ مـا يـسـتـطـيـعُـهْ

وانـطـوى عـمـرهُ الـطـويـلُ فـألـقـى
قـيـدَهُ وانـتـهـى شـقـاهُ وجـوعُـهْ

وانـزَوى حـيـثُ لا يُـحـس صـديـقـاً
يـجْـتَـبـيـه ولا عَـدوّاً يَـروعُـهْ

نـزلَ الـمـضـجـعَ الأخـيـرَ فـلانَـتْ
قـسـوةُ الـتُّـربِ واسـتـراحَ ضـجـيـعُـهْ

أسـكـتَ الـقـبـرُ فـيـهِ كـلّ ضـجـيـجٍ
واحـتـواهُ سـكـونُـهُ وهـجُـوعُـهْ

إنـمـا الـقَـبْـرُ مـضـجَـعٌ يـسـتـوي الـعـا
لَـمُ فـيـهِ رفـيـعُـهُ ووضـيـعُـهْ

نـافـقـتْ بـيـنـنـا الـحـيـاةُ فـهـذا
حـلَّ كـوخـاً وذاكَ طـالـتْ ربـوعُـهْ

يا لَظلمِ الحياةِ ما أعدلَ القبرَ
تساوى فيهِ الوجودُ جميعُهْ!

لا تَلُمْ ذلك الفتى حين أردى
نفسهُ فالشقا الطويلُ شفيعُهْ

وانتحارُ المضيم أَخْصَرُ للضَّيم
وأجدى من أنْ يطولَ خضوعُهْ

مزَّق العمرَ حينَ ضيّعهُ العمرُ
وحُمْقٌ حفظُ الفتى ما يضيعُهْ

كمْ شوتْ روحُهُ الضّلوعَ، ويوماً
لفظ الروحَ فاطمأنتْ ضلُوعُهْ

⊛⊛⊛

بين ذهاب ومعاد

18 صفر سنة 1380هـ

تلفّتتْ كالسّارقِ الخائفِ
إلى العشيقِ اللاَّهثِ الرَّاجفِ
مذعورةً ترتاعُ منْ خطوِها
من الخيالِ الكاذبِ الطّائفِ
شَرْشَفُها المذعورُ كالغصنِ في
جوّ الخريفِ الأصفرِ العاصفِ[1]
تمشي ويمشي إثْرَها والدُّجى
حوليْهِما كالرَّاهبِ العاكفِ
وانطلقَتْ وانقضَّ في إثرِها
كالبرقِ في إيماضِهِ الخاطفِ
حتى احتوى شخصيْهما مخدعٌ
غضٌّ كأفراحِ الصّبا الوارفِ
فالّليلُ رقصٌ عابثٌ كالصّبا
ومعزَفٌ يشدو بلا عازفِ

* * *

(1) الشرشف: دواء أسود يغطّي ثياب المرأة وسائر جسمها، والكلمة لهجة محلية.

ولاحَ وهْمانِ لعَيْنَيْهما
كواقفٍ يصغي إلى واقفِ

فقنّعتْ وجْهَيْهما صُفْرَةٌ
كذكرياتِ المذنبِ الآسفِ

وأغتم الجوُّ فلم يخْشيا
على ستارِ الحبِّ من كاشِفِ

وأنصتَ اللّيلُ ولمْ يستمعْ
إلاّ شكاوى عمرِه التّالفِ

كأنّهُ شيخٌ على وجهِهِ
مقبرةٌ من عهدِهِ السّالفِ

شيخٌ لهُ وجهٌ كدَجْلِ الرؤى
ولحيةٌ تدعو يدَ النّاتفِ

أصغى فلم يسْمعْ سوى غيمِهِ
وثرثراتِ المَطَرِ الواكفِ

وخَطْوِ فلاّحٍ هناكَ انحنى
يمحو بقايا العَرَقِ النّازفِ

هنا اطمأنّتْ واطمأنّ الفتى
إلى اللِّقاءِ الصّاخبِ القاصفِ

وحدّقتْ في وجْهِ محبوبها
تحديقةَ الظّامي إلى الغارفِ

وَوشْـــوســـتْ. مـــا سِـــرُّ إطْـــراقِـــهِ
ومـــا ورا إطْـــراقـــة الـــعـــارفِ؟!

هـــل أذْهَـــلَـــتْـــهُ فِـــتْـــنَـــتـــي أمْ أنـــا
أسْـــعـــى وراءَ الـــمـــوعـــدِ الآزفِ؟

هـــل أجْـــتَـــديـــهِ؟ آهِ أم ألـــتـــجـــي
إلـــى ســـلاحـــي الـــمـــدمـــع الـــذارفِ؟!

أم لا يـــنِـــمُّ الـــوجـــه عـــن قـــلْـــبـــهِ
أمْ حـــبـــهُ كـــالـــدرهـــمِ الـــزّائـــفِ؟

لا، لـــم يـــكـــنْ. إنـــي أرى قـــلـــبـــهُ
فـــي عـــيْـــنِـــهِ كـــالـــشَّـــرِهِ الـــواجِـــفِ

عـــيْـــنـــاهُ فـــي عـــيْـــنـــيَّ لـــكـــنْ مـــتـــى
يـــدنـــي فـــمـــي مـــن فـــمـــهِ الـــرَّاشـــفِ؟

وأومـــأت فـــي ثَـــغْـــرِهـــا بـــســـمـــةٌ
إيـــمـــاءةَ الـــزَّهـــرِ إلـــى الـــقـــاطِـــفِ

فـــضـــجَّ فـــي أحـــشـــائِـــهِ مـــوكـــبٌ
مـــن الـــحـــنـــيـــنِ الـــدَّافـــق الـــجـــارفِ

فـــضـــمَّـــهـــا حـــتـــى ارتـــمـــتْ وارْتـــمـــى
عـــلـــى الـــسّـــريـــرِ الـــنّـــاعـــمِ الـــعـــاطـــفـــي

فـــضـــمَّ ســـكْـــيـــراً وسِـــكْـــيـــرةً
وشـــدّ مـــشـــغـــوفـــاً إلـــى شـــاغِـــفِ

* * *

وعـــادَ والـــفـــجـــرُ وراء الـــدّجـــى
لَـمْـحٌ كـهـجسِ الـخَـاطِـرِ الـكـاسِـفِ

وفـــجـــأةً أوْمَـــتْ بـــنَـــانُ الـــسّـنـــا
إيـــمـــاءَةَ الـــحُـــســـنِ إلـــى الـــوَاصِـــفِ

وأقـــبـــلَ الـــفـــجـــرُ وفـــي جِـــيـــدِهِ
قِـــلادَةٌ مِـــن جُـــرحِـــهِ الـــرَّاعِـــفِ

فـــالـــدَّربُ فـــي إشـــراقِـــهِ جَـــدْولٌ
مُـــزَغْـــرِدٌ فـــي جَـــدْوَلٍ هـــاتِـــفِ

وكـــبـــريـــاءُ الـــبـــعْـــثِ أهْـــزُوجَـــةٌ
عـــلـــى شِـــفـــاهِ الـــموكِـــبِ الـــزَّاحـــفِ

⊛⊛⊛

بشرى النبوءة

ألقيت هذه القصيدة في الحفل الذي أقامته وزارة التربية والتعليم في صنعاء بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف عام 1379هـ

بُشرى من الغيبِ ألقَتْ في فم الغارِ
وحياً وأفْضَتْ إلى الدُّنيا بأسرارِ

بُشرى النبوَّةِ طافتْ كالشذا سحَراً
وأعْلَنَتْ في الرُّبا مِيلادَ أنوارِ

وشقَّتِ الصَّمتَ والأنسامُ تحمِلُها
تحْتَ السكِينةِ من دارٍ إلى دارِ

وهَدْهَدَتْ (مكَّةُ) الوسنى أناملُها
وهزَّتِ الفجر إيذاناً بإسْفارِ

فأقبل الفجرُ من خَلْفِ التلالِ وفي
عَينَيْهِ أسرارُ عُشَّاقٍ وسُمَّارِ

كأنَّ فَيْض السنا في كلِّ رابيةٍ
مَوْجٌ وفي كلِّ سفحٍ جدولٌ جاري

تدافعَ الفَجْرُ في الدّنيا يزفُّ إلى
تاريخها فجر أجيالٍ وأدهارِ

واستقبلَ الفتحُ طفلاً في تبسُّمِهِ
آياتُ بشرى وإيماءاتُ إنذارِ

وشبَّ طفلُ الهدى المنشودُ متّزراً
بالحقّ متّشِحاً بالنورِ والنارِ

في كفّهِ شعلةٌ تهدي وفي فمِه
بشرى وفي عَينِهِ إصْرارُ أقدارِ

وفي ملامِحِهِ وعدٌ وفي دمِهِ
بطولَةٌ تتحدّى كلّ جبارِ

وفاضَ بالنورِ فاغتمَّ الطغاةُ بهِ
واللّصُّ يخشى سُطوعَ الكوكَبِ السّاري

والوغيُ كالنّورِ يُخزي الظّالمينَ كما
يُخزي لصوص الدَّجى إشراقُ أقمارِ

* * *

نادى الرَّسولُ نداءَ العدلِ فاحتشدتْ
كتائب الجورِ تُنضي كلَّ بتّارِ

كأنّها خلْفَهُ نارٌ مجَنّحَةٌ
تعدو وقدَّامَهُ أفواجُ إعْصارِ

فضجَّ بالحقّ والدّنيا بما رَحُبتْ
تَهْوي عليهِ بأشْداقٍ وأظْفارِ

وسارَ والدَّربُ أحْقادٌ مسلّحةٌ
كأنَّ في كلّ شبرٍ ضيغماً ضاري

وهبَّ في دَرْبِهِ المرْسوم مُندفعاً
كالدَّهْرِ يقْذِفُ أخْطاراً بأخْطارِ

فـأدْبَـرَ الـظّـلْـمُ يُـلـقـي هـاهُـنـا أجـلاً
وهـاهُـنـا يـتـلـقّـى كـفَّ حـفّـارِ

والظّلمُ مهما اختمتْ بالبَطْشِ عُصبتُهُ
فـلـمْ تُـطِـقْ وقـفـةً فـي وجْـهِ تـيّـارِ

رأى الـيـتـيـمُ أبـو الأيـتـامِ غـايَـتَـهُ
قُـصْـوَى فـشـقَّ إلـيـهـا كـلَّ مِـضـمـارِ

وامـتـدَّتِ الـمِـلّـةُ الـسّـمْـحَـا يَـرِفُّ عـلـى
جَـبِـيـنـهـا تـاجُ إعْـظـامٍ وإكـبـارِ

مـضـى إلـى الـفـتـحِ لا بَـغْـيـاً ولا طـمـعـاً
لـكـنْ حـنـانـاً وتـطـهـيـراً لأوْزارِ

فـأنـزل الـجـورَ قـبـراً وابـتـنـى زمـنـاً
عَـدْلاً، تُـدبِّـرهُ أفـكـارُ أحـرارِ

* * *

يـا قـاتـلَ الـظـلـمِ صـالـت هـاهُـنـا وهُـنـا
فـظـايـعٌ. أيـنَ مـنـهـا زنـدُك الـواري؟

أرضُ الـجـنـوب ديـاري وهـي مَـهْـدُ أبـي
تـئـنُّ مـا بـيـنَ سَـفّـاحٍ وسِـمـسـارِ

يـشـدُّهـا قـيـدُ سَـجّـانٍ ويـنـهـشُـهـا
سـوْطٌ، ويـحـدو خـطـاهـا صـوتُ خـمّـارِ

تـعـطـي الـقـيـادَ وزيـراً وهـو مـتّـجِـرٌ
بـجـوعِـهـا فـهـو فـيـهـا الـبـايـعُ الـشّـاري

فكيف لانتْ لجلاّدِ الحمى (عَدَنٌ)
وكيفَ ساس حِماها غدْرُ فُجّارِ؟

وقادها زعماءُ لا يبرّرهم
فعلٌ وأقوالُهمْ أقوالُ أبرارِ

أشباهُ ناسٍ وخيراتُ البلادِ لهمْ
يا لَلرِّجالِ وشعبٌ جائعٌ عاري

أشباهُ ناسٍ دنانيرُ البلادِ لهمْ
ووزنُهُمْ لا يساوي ربعَ دينارِ

ولا يصونونَ عند الغدر أنفُسهم
فهل يصونونَ عهدَ الصّحبِ والجارِ

ترى شخوصهُمُ رسمّيةً وترى
أطماعَهُمْ في الحمى أطماعَ تجّارِ

* * *

أكادُ أسخرُ منهُمْ ثمّ تُضحكني
دعواهُمُ أنَّهُمْ أصحابُ أفكارِ

يبنونَ بالظُّلمِ دوراً كي نمجّدهمْ
ومجدُهُم رجسُ أخشابٍ وأحجارِ

لا تخبِرِ الشّعب عنهمْ إنَّ أعيُنَهُ
ترى فظائعَهمْ منْ خلفِ أستارِ

الآكلونَ جراحَ الشّعبِ تخبرنا
ثيابُهُمْ أنَّهُمْ آلاتُ أشرارِ

ثيابُهُمْ رشوةٌ تُنبي مظاهِرُها
بأنَّها دمعُ أكبادٍ وأبصارِ
يشرونَ بالذّلِّ ألقاباً تُستِّرُهُمْ
لكنَّهُم يسترونَ العارَ بالعارِ
تُحسُّهُمْ في يدِ المستعمرينَ كما
تحس مسبحةً في كفّ سحّارِ
ويلٌ وويلٌ لأعداءِ البلادِ إذا
ضجَّ السكونُ وهبتْ غضبةُ الثّارِ!
فليغنمِ الجورُ إقبالَ الزَّمانِ لَهُ
فإنَّ إقبالَهُ إنذارُ إدبارِ

والنّاسُ شرٌّ وأخيارٌ وشرُّهُمُ
منافقٌ يتزيّا زيَّ أخيارِ
وأضيعُ النّاسِ شعبٌ باتَ يحرسُهُ
لِصٌّ تُستِّرُهُ أثوابُ أحبارِ
في شِعره لُغَةُ الحاني بأمّتِهِ
وفي يديهِ لها سكّينُ جَزّارِ!
حِقدُ الشعوبِ براكينٌ مسمّمةٌ
وقودُها كلّ خوّانٍ وغدّارِ
من كلّ محتقِرٍ للشّعبِ صورتُهُ
رسْمُ الخياناتِ أو تمثالُ أقذارِ

وجثةٌ شوّشَ التغطيرُ جيفَتَها
كأنّها مَيتةٌ في ثوبِ عطّارِ

بينَ الجنوبِ وبينِ العابثينَ بهِ
يومٌ يحنُّ إليهِ يومُ (ذي قارِ)

* *

يا خاتم الرُّسْلِ هذا يومُكَ انبعثتْ
ذكراهُ كالفجرِ في أحْضانِ أنهارِ

يا صاحب المبدأ الأعلى، وهل حملتْ
رسالَةَ الحقّ إلاّ روحُ مختارِ

أعلى المبادئِ ما صاغتْ لحاملها
من الهُدى والضّحايا نصب تذكارِ

فكيف نذكر أشخاصاً مبادئهُمْ
مبادئُ الذئبِ في إقدامهِ الضاري؟!

يبدونَ للشّعبِ أحباباً وبينَهُمُ
والشعبِ ما بينَ طبعِ الهرِّ والفارِ

ما لي أغنّيكَ يا (طٰهَ) وفي نَغَمي
دمعٌ وفي خاطري أحقادُ ثوّارِ؟

تمَلْمَلَتْ كبرياءُ الجرحِ فانتزفَتْ
حِقدي على الجورِ منْ أغوارِ أغواري

* * *

يا (أحمدَ النورِ) عفواً إنْ ثأرْتُ ففي
صدري جَحيمٌ تَشَظّتْ بين أشعاري

(طٰـــهَ) إذا ثـــارَ إنـــشـــادي فـــإنَّ أبـــي
(حـسّـان) أخـبـارُهُ فـي الـشّـعـرِ أخـبـاري

أنـا ابـنُ أنـصـاركَ الـغـرّ الألـى قـذفـوا
جـيـشَ الـطّـغـاةِ بـجـيـشٍ مـنـكَ جـرّارِ

تـظـافـرتْ فـي الـفـدا حـولَـيْـكَ أنـفـسُـهـم
كـــأنّـــهـــنَّ قـــلاعٌ خـــلـــفَ أسْـــوارِ

نـحـنُ الـيـمـانـيـنَ يـا (طٰـهَ) تـطـيـرُ بـنـا
إلـــى روابـــي الـــعُـــلا أرواحُ أنـــصـــارِ

إذا تـــذكّـــرْتَ (عَـــمّـــاراً) ومـــبـــدأهُ
فـافـخـرْ بـنـا.. إنّـنـا أحـفـادُ (عَـمّـارِ)

(طٰـهَ) إلـيـكَ صـلاةُ الـشّـعـر تـرفـعُـهـا
روحـــي وتـــعـــزِفُـــهَـــا أوتـــارُ قِـــيـــثـــارِ

❁ ❁ ❁

مغنِّي الهوى

شعبان سنة 1376هـ

لا تَسخري يا أختُ بالشاعرِ
تكفيهِ بلوى دهرِهِ السّاخرِ

رفقاً بغرّيدِ الهوى إنّهُ
يَنوحُ نوْحَ الطّائِرِ الحائِرِ

يبكي بترديدِ الأغاني وما
لِلَحنِهِ والحبُّ من آخرِ

فلا تَضيقي بمُغنّي الهوى
وهل يَضيقُ الرَّوضُ بالطائِرِ؟

تذكّري خلفَ النّوى عاشقاً
يلقاكِ في وجدانِهِ الذّاكرِ

أَوْما إلى كفِّ الهوى قلبُهُ
إيماءةَ العَنقودِ للعَاصرِ

محرَّقُ الأنفاسِ تسْري بهِ
ظُنونُهُ حولَ الدّجى العابِرِ

واللّيلُ وادي الحبِّ تنثالُ منْ
سكونِهِ الذكرى على السّاهِرِ

وتـــلـــتـــقـــي الأشـــجـــانُ فـــي جَـــوِّهِ
مَـــواكـــبـــاً فـــي مـــوكـــبِ ســـادرِ
تـــمـــرّ بـــالأشـــواقِ أطـــيـــافُـــهُ
كـــمـــا تـــمـــرُّ الـــغـــيـــدُ بـــالـــعـــاهِـــرِ
وتـــســـتـــثـــيـــرُ الـــنـــائِـــمـــيـــنَ الـــرّؤى
وتـــضـــحـــكُ الأوهـــامُ لـــلـــسّـــامـــرِ
كـــم شـــاق هـــذا الـــلـــيـــلُ خِـــلاً إلـــى
خِـــلٍّ ومِـــطـــواعـــاً إلـــى نـــافـــرِ
وجـــالَـــتِ الأحـــلامُ فـــيـــهِ كـــمَـــا
يـــجـــولُ سِـــرُّ الـــحـــبِّ فـــي الـــخـــاطِـــرِ
وضـــمَّ مـــشـــتـــاقٌ مـــشـــوقـــاً بـــهِ
وحَـــنَّ مَـــلْـــهـــوفٌ إلـــى زائـــرِ

* *

سـلِ الـدُّجـى عـن طـيـفِ (لـيـلـى) وكـم
حـيّـاهُ (مـجـنـونُ بـنـي عـامـرِ)
وسَـلْـهُ عـن أخـبـارِ أهـلِ الـهـوى
مـن أبْـعَـدِ الـمـاضـي إلـى الـحـاضـرِ
فـإنَّـهُ رحَّـالـةُ الـدَّهـرِ، كـم
سـرَى الـهـوى فـي ركـبِـهِ الـسّـائـرِ
مـسـافـرٌ يـسـري ويَـطـوي الـسُّـرى
عـلـى جَـنـاحِ الـفَـلَـكِ الـدَّائـرِ

رحّالَةُ الأزمانِ يُزْجي إلى
مستقبلِ الدهرِ صَدَى الغابرِ
كم في حنايا اللّيل سِرٌّ وما
أكْتَمَهُ للسِّرِّ والظاهرِ!
ينساقُ في الصَّمتِ وفي صمتِهِ
حنينُ مهجورٍ إلى هاجِرِ
وشوقُ مفتونٍ إلى فتنةٍ
ووجْدُ مسحورٍ إلى ساحرِ
وحقدُ مظلوم على ظالم
وضِغْنُ مأسورٍ على آسِرِ

* * *

يا أختُ هل ألقى إليكِ الدُّجى
أشواقَ قلبٍ بالشَّقا زاخرِ؟
يستولِدُ الآمالَ لكنْ كمَا
يستولِدُ العِنِّينُ من عاقرِ
يا ربّةَ الحُسْنِ هنا مُغْرَمٌ
يُصغي لنجوى طَيْفِكِ العاطِرِ
مُعَذَّبٌ تاريخُهُ قِصَّةٌ
حَيْرى كقلبِ التّاجِرِ الخاسِرِ
رِقّي عليهِ إنَّهُ كلّهُ
قلبٌ شجيُّ الشِّعرِ والشّاعِرِ

۞۞۞

شاعر الكأس والرشيد

كتبت هذه القصيدة عندما نشرت السلطة الإمامية إرهابها باسم جلد باعة الخمر وشاربيه، عام 1379هـ

لو تَسَامَتْ عقولُنا عن هوانا
لهدينا الهُدى وقُدْنا الزَّمانا

ولَسِرْنا وخطْونا يلدُ الفجْرَ
المغنّي، ويُنبتُ الرَّيحانا

لو تلظّتْ قلوبُنا بسنا الحبّ
لما عانتِ العيونُ الدّخانا

لو كَبحنا غرورَنا لملأنا
منْ عطايَا الوجودِ وُسْعَ مُنانا

فعطايا الحياةِ أوسعُ منْ آ
مالِ أبنائِها وأسخى حنانا

لو ملكنا الهدى لما سلَّ كفٌّ
خنجراً راعِفاً وأدمى سنانا

كيف يستلُّ بعضُنا روحَ بعضٍ
ألِنُخْيي مآتماً واضطِغانا؟

ونُسمّي لصَّ الحياة شُجاعاً
ونُسمّي عفَّ اليدينِ جبَانا

***

نحنُ غرسُ الإلهِ يحصده اللّهُ
لماذا تعيثُ فيهِ يدانا؟

ما لنا نسبِقُ الحِمامَ إلينا
وهو أمضى يداً وأحنى بنانا؟

ونخافُ العِدا وحين نعادي
هل درينا أنّا خَلقنا عِدانا؟

لو نفضْنا شرورنَا لرأينا
أوجهَ الخيرِ في الضّياءِ عِيانا

نحنُ نُبدي عيوبَنا حينَ نرمي
بالخطايا فلانةً أو فلانا

نحنُ لو لم نكنْ أصولَ الخطايا
ما رأينا ظِلالها في سوانا

كم سألنا التفتيشَ عن جيفةِ الإثْـ
ـمِ وسرنا والإثمُ يحدو خطانا!

وهتكْنا مخابئ الإثم في الحيّ
وعُدْنا نفتّشُ الأكفانا

* * *

لا تَنَمْ يا (أبا نواسٍ) أما كُنْـ
ـتَ أثيماً في لهوهِ يتفانى؟

أَوَ ما كنتَ أظرفَ الناسِ في القصْـ
ـفِ وأعلى الغواة فنّاً وشانا؟

فهتكنا عنكَ السّتارَ كأن لمْ
يخطرِ الإثمُ بيننا عُريانا
هل تخوَّفتَ غضبةَ السّوط في الدُّنـ
ـيا؟ وهلْ ذقتَ في القبورِ الأمانا؟
لستُ أدري ماذا لقيتَ؟ لماذا
غبتَ في الصمتِ لمْ تحرّكْ لسانا؟
إن تَمُتْ هيكلاً فقدْ عشتَ أفكا
راً، وأورقتَ في الشفاهِ بيانا
أين منكَ الرَّدى؟ وأقوى من الأحـ
ـياءِ مَيْتٌ يُسَهِّدُ الأذهانا
عشتَ عصراً ولمْ يزلْ كلّ عصرِ
يتساقى فجوركَ الفَتّانا
تلكَ ألحانُكَ الظوامي كؤوسٌ
تتغنّى فتُسكر النّدمانا
لكأنّي ألقاكَ في لحنِكَ الظَّمْـ
ـآنِ روحاً ملحّناً وكيانا
وذهولُ الإلهامِ يرعشُ عينيكَ
كما ترعشُ الصَّبا الأقحوانا
وأحِسُّ (الرشيد) ينزلُ دنياهُ
كمَا ينزِلُ الصباحُ الجِنانا
وتغنّيهِ وهو ينتزفُ الكأس
ويسقي المدلّلاتِ الحسانا

والنّدامى الصّباحُ بين يديْهِ
وكؤوسٌ تنأى وأخرى تَداني

والمليحاتُ مهرجانٌ من الحُسْنِ
يغنّي منَ الهوىَ مهرجَانا

وهو يلهو لهوَ الشجيِّ ويمضي
في جنونِ الهوى يُعرّي القِيانا

فترى في النّديِّ ألفَ ربيعٍ
ينشرُ العطرَ والسّنا ألوانا

وصِباحاً من الحِسانِ العرايا
مغرماً يعزفُ الهوى ألحانا

وخصوراً تميدُ بينَ زنودٍ
بضَّةٍ تنهب الخصورَ اللّدانا

وصدوراً نَهدَى تضمّ صدوراً
واحتضاناً غضّاً يلفّ احتضانا

والجمالُ العريانُ يُطغي المحبِّينَ
ويهوى الجنونَ والطغيانا

* * *

ما ترى يا (أبا نواس)؟ ترى الأكـ
ـوابَ ملأى وتحتسي الحِرْمانا

تتشهّى مُدامةً لم تجدهَا
فتُغنّي خيالها الفتّانا

لـو وجـدتَ الـرَّحـيـق مـا ذبـت شـجـواً
وتـحـرَّقْـتَ فـي الـمـنـى أشـجَـانـا

شـاعـرُ الـحـبُ حـيـنَ يـهـجـرهُ الـمَـحْـ
بُـوبُ يَـفْـتَـنُ فـي الـحـنـيـنِ افـتِـنـانـا

عـشـتَ تـبـكـي عـلـى الـمُـدام وتـذرو
فـي هـوى الـكـأسِ دمْـعَـكَ الـهـتّـانـا

وتُـنـادي الـهـنـاءَ فـي كـلِّ وهـم
وتـهـنّـي الـبـسـاط والـصَّـولـجـانـا

***

بـدعـةُ الـذلِّ أن تـحـنَّ وتـبـكـي
وتـغـنّـي (الـرشـيـدَ) و(الـخـيـزرانـا)

مـلـكٌ يـرضـعُ الـدِّنـانَ كـمـا يـهـوى
وأنـت الـذي تـغـنّـي الـدّنـانَـا

و(الأمـيـنُ) الـنّـديـمُ يـمـنـعُـكَ الـخـمـرَ
ويـحـسـو وتـنـحـنـي ظـمـآنـا

وهـو فـي الـقـصـرِ يـحـتـسـي عـرقَ الـشـعـبِ
ويَـرْوي الـقـيـانَ والـغِـلْـمـانَـا

يـمـلأ الـكـأسَ مـن دمـوعِ الـيـتـامَـى
ويـغـنّـي عـلـى نـشـيـجِ الـحـزانـى

ويـرى أنّـهُ أمـيـنٌ عـلـى الـديـنِ
وإن ضـيّـعَ الـرشـادَ وخـانـا

كـيـف يـحـمـي ديـنَ الإلـهِ ظـلـومٌ
يـتـحـدّى الإلـهَ والإنـسـانـا؟

يـدَّعـي عـصـمـةَ الـمـلائـكـةِ الـطُّـهـرِ
ويـأتـي مـا يُـخـجِـلُ الـشـيـطـانـا

* * *

هـكـذا يـا (أبـا نـواس) تَـلـوَّى
حـولـك الـشَّـعـبُ فـي الـجـراحِ وهـانـا

كـيـف مـرَّغـتَ وجـهَـكَ الـحُـرَّ فـي الـذّلِّ
وأسْـلَـسْـتَ لـلـطّـغـاةِ الـعِـنـانـا؟

وتـغـنّـيـتَ لـ(الأمـيـنِ) فـأصـغـى
وتـراخـى فـي غَـيِّـهِ وتـوانـى

وتـخـيّـرتَ لـ(الـرشـيـدِ) بـحـوراً
قـلّـدتْ جـيـدَهُ الـغـلـيـظَ جُـمـانـا

وهـززتَ (الـخـصـيـبَ) فـاهـتـزَّ جَـنْـبـا
هُ وذوَّبـتَ مُـقـلـتـيْـكَ فَـلانـا

وتـبـاكَـيْـتَ بـيـنَ كـفّـيْـهِ كـالـطِّـفـلِ
فـيـا لـلـشـمـوخِ كـيـفَ اسـتـكـانـا؟!

* * *

كـيـف ألـقـاكَ يـا أخـا الـكـأسِ فـي الـمَـدْ
حِ ذلـيـلاً ومُـطْـرِقـاً خـجـلانـا؟

تـسـألُ الـصـمـتَ كـيـفَ حـلّـت قـوافـيْـ
ـكَ مـن الـذلِّ والـنـفـاقِ مـكـانـا؟

أفــتــرضــى لــلــفــنِّ أخــزى مــكــانِ؟
إنَّ لــلــفــنِّ حُــرمَــةً وصــيــانــا

وألاقــيــك فــي تــرنُّــمِــكَ الــخَــمْــ
ـريِّ ربــيــعــاً مــرنَّــمــاً جــذلانــا

تــعــزفُ الــعــطــرَ والــفــتــونَ الــمــنــدَّى
وتــهــزُّ الــشَّــبَــابَ والــعــنــفــوانــا

لا تــقــلْ لــي: كــيــف الــتــقــيــنــا؟ وقــلْ لــي:
بــاركَ الــفــنُّ والــخــيــالُ لــقــانــا!

شــاعــرَ الــكــأس قــرَّب الــطَّــيــفُ عــهــديْــنــا
فــكــيــفَ اتِّــفــاقُــنــا؟ كــيــفَ كــانــا؟

بَــعُــدَ الــعــهــدُ بــيــنــنــا فــادَّكــرْنــا
واخــتــصــرنــا بــالــذكــريــاتِ الــزَّمــانــا

واعــتــنــقــنــا عــلــى الــنَّــوى والــتــقــيــنــا
نــتــشــاكــى مــن الأســى مــا عَــنــانــا

أنــا أشــقــى كــمــا شَــقِــيــتَ ولــكــنْ
لا تُــتَــمْــتِــمْ: وأيُّــنــا أشــقــانــا؟

لا تــســلــنــي، فــمــحــنــتــي أنَّ لــي فــي الــ
ــيــأسِ أهــلاً وفــي الأســى إخــوانــا

نــحــنُ مــنْ نــحــنُ؟ مِــزْهــرانِ مــنَ الــشَّــوْ
قِ كــلانــا لــحــنُ الــعــذابِ كــلانــا

(شــاعــرَ الــكــأسِ والــرشــيــدِ) وداعــاً
وســلامــاً يُــشــذِيــكَ آنــاً فــآنــا

ليلة

كانتِ الحسناءُ سجينة الدار تسامر الليالي لتقتنص عاشقاً، وكان طريداً تحت كل كوكب. وفي ليلة من ليالي العمر طالع العاشقة المجهولة تائه مجهول، وكان بعيداً عن الحب فقربه الجمال منه، وضمتهما ليلة لقاء؛ فانتصرا على الحرمان، وكان ميلاد حب:

رَنَتْ والدُّجى في خاطرِ الصمتِ هادئ
يطاوِعهُ حُلْمٌ وحُلْمٌ يناوئ

وبينَ حنايا الليلِ دهرٌ مكفَّنٌ
قديمٌ ودهرٌ في حناياهُ ناشئ

رنتْ والسَّنا في مُقْلةِ الليلِ متعبٌ
يئنُّ وفي دُورِ المدينَةِ طافئ

فلاحتْ لعينيها خيالاتُ عابرٍ
يحثُّ الخطى حيناً وحيناً يباطئ

وجالتْ بعينيها هُناكَ وهاهُنَا
فطالعَها وجهٌ على العشقِ طارئ

وقالتْ: منِ الآتي؟ فأرعدَ قلبَهُ
وأخجَلَ عينيْهِ الغرامُ المفاجئ

ورفَّتْ لهُ من كلِّ مرأىً صبابةٌ
وضجَّ حنينٌ بين جنبيهِ ظامئ

وقال: فتىً تاهتْ سفينةُ عمرِهِ
وغابتْ وراءَ اليأسِ عنهُ المرافئُ

يفتّشُ عن سلواهُ في التّيهِ مثلمَا
يفتّشُ عن أهليهِ في الطيفِ لاجئُ

فحارتْ به واحتارَ في الحبِّ مثلها
فهل تَبدأُ الشكوى؟ وهل هو بادئُ؟

* * *

ولفَّهمَا ظلُّ السكينةِ والهوى
يعاندُ أحياناً وحيناً يمالئُ

فحدَّقَ يستقصي مفاتنَ جسمِها
كما يتقصَّى أحرفَ السّطْرِ قارئُ

وقال: فتاتي فيكِ تورقُ فتنَةٌ
ويختالُ فجرٌ كالطفولةِ هانئُ

ويهتزُّ في نهديْكِ موجٌ مضرَّمٌ
عميقٌ وفي عينيك يحلمُ شاطئُ

وألفاظكِ النَّعسا تشعُّ كأنَّها
على شفتيكِ الحلوتينِ لآلئُ

* * *

وضمَّتْهُمَا في زحمةِ الحبِّ نشوةٌ
وهوَّمَ في حضنِ الخطيئةِ خاطئُ

فتاةٌ يموجُ الحسنُ فيها وترتمي
عليها الصَّباباتُ الجياعُ الظَّوامئُ

جـــمـــالٌ وإغـــراءٌ وروحٌ نـــديّـــةٌ
وجـــســـمٌ بـــأحـــضـــانِ الـــغـــوايـــةِ دافـــئُ

⊛⊛⊛

يومَ العِلْم

بمناسبة افتتاح دار المعلمين في صنعاء عام 1377هـ

ماذا يقولُ الشّعرُ؟ كيفَ يُرنّمُ؟
هتفَ الجمالُ، فكيفَ يَشدو المُلْهَمُ

ماذا يُغنّي الشّعرُ؟ كيفَ يَهيمُ في
هذا الجمالِ؟ وأينَ أينَ يُهوّمُ؟

في كُلِّ مُتّجهٍ ربيعٌ راقصٌ
وبِكُلِّ جوٍّ ألفُ فجرٍ يبسمُ

يا سكرةَ ابنِ الشّعرِ هذا يومُهُ
نَغَمٌ يبعثرهُ السّنا ويُلَمْلِمُ

يومٌ تُلاقيه المدارسُ والمُنى
سكرى كما لاقى الحبيبةَ مُغرَمُ

يومٌ يكادُ الصّمتُ يهدرُ بالغنا
فيهِ ويرتجلُ النّشيدَ الأبكمُ

يومٌ يرنّحُهُ الهَنا ولَهُ غدٌ
أهنا وأحفلُ بالجمالِ وأنعَمُ

* * *

يا وثبةَ (اليمنِ السّعيد) تيقّظَتْ
شُبّانُهُ وسَمَتْ كما يَتوسّمُ

مـاذا يَـرى (الـيـمـنُ) الـحـبيبُ تَـحـقّـقـتْ
أســـمـــى مُــنـــاهُ وجُـــلُ مـــا يـتـــوهَّـــمُ

فَـتـحَـتْ تـبـاشـيـرُ الـصَّـبـاحِ جُـفـونَـهُ
فـــانـــشـــقَّ مَـــرْقَـــدُهُ وهـــبَّ الـنُّـــوَّمُ

وأفـــاقَ والإصـــرارُ مـــلءُ عـــيـــونِـــه
غـضـبـانَ يـكـسِـرُ قَـيـدَهُ ويُـدمْـدِمُ

ومـضـى عـلـى ومـضِ الـحـيـاةِ شـبـابُـه
يـقْـظـانَ يـسـبـح فـي الـشّـعـاع ويـحـلـمُ

* * *

وأطـلّ (يـومُ الـعـلـم) يـرفـلُ فـي الـسَّـنـا
وكـــأنّـــه بـــفـــمِ الـــحـــيـــاة تـــرنُّـــمُ

يـــومٌ تـــلـــقّـــنـــهُ الـــمـــدارسُ نـــشْـــأهـــا
درســاً يُـعـلِّـمُـهُ الـحـيـاةَ ويُـلـهِـمُ

ويُـــرَدِّدُ الـــتـــاريـــخُ ذكـــرَاهُ وفـــي
شَـفَـتـيـهِ مِـنْـهُ تـسـاؤلٌ وتـبـسُّـمُ

يـــومٌ أُغَـــنِّـــيـــهِ ويُـــسْـــكِـــرُ جـــوَّهُ
نَـغَـمـي فَـيَـسْـكَـرُ مـن حـلاوتِـهِ الـفـمُ

وقـفَ الـشـبـابُ إلـى الـشـبـابِ وكـلُّـهـم
ثـقـةٌ وفـخـرٌ بـالـبـطـولـةِ مُـفـعَـمُ

فـي مـهـرجـانِ الـعـلـمِ رَفَّ شـبـابُـه
كـالـزهـرِ يـهـمـسُ بـالـشَّـذا ويـتـمـتـمُ

وتألّق المتعلّمون كأنّهم
فيه الأشعّةُ والسّما والأنجمُ

* * *

يا فتيةَ اليمنِ الأشمّ وحلمَهُ
ثمرُ النُّبوغِ أمامَكُمْ فتقدّموا

وتقحّمُوا خطرَ الطّريق إلى العُلا
فخطورةُ الشُّبّانِ أن يتقحّمُوا

وابنوا بكفّ العِلْمِ علْياكم فما
تبنيهِ كَفُّ العلم لا يتهدّمُ

وتساءلوا مَنْ نحن؟ ما تاريخُنَا؟
وتعلّموا منهُ الطُّموحَ وعَلّمُوا

هٰذي البلادُ وأنتُمُ مِنْ قلبِها
فِلَذٌ وأنتمْ ساعِدَاها أنتمُ

فثِبوا كما تَثِبُ الحياةُ قويّةً
إنَّ الشَّباب توثُّبٌ وتقدُّمُ

لا يهتدي بالعلمِ إلاّ نَيِّرٌ
بهجُ البصيرةِ بالعلومِ مُتيَّمُ

وفتىً يُحِسُّ الشَّعبَ فيه لأنّهُ
من جِسمهِ في كُلّ جارحةٍ دمُ

يشقى ليُسعِدَ أُمّةً أو عالماً
عطْرُ الرّسالةِ حرقةٌ وتألُّمُ

فتفهَّموا ما خلف كلِّ تستُّرِ
إنَّ الحقيقةَ دُربةٌ وتفهُّمُ

قد يلبسُ اللصُّ العفافَ ويكتسي
ثوبَ النبيِّ منافقٌ أو مجرمُ

مَيتٌ يكفّنُ بالطِّلاءِ ضميرَهُ
ويفوحُ رَغْم طِلائه ما يكتمُ

*

ما أعجبَ الإنسانَ هذا مِلأُهُ
خيرٌ وهذا الشرُّ فيه مجسَّمُ!

لا يستوي الإنسانُ هذا قلبُهُ
حَجَرٌ وهذا شمعةٌ تتضرَّمُ

هذا فلانٌ في حشاهُ بلبلٌ
يشدُو وهذا فيه يزأرُ ضَيغَمُ

ما أغربَ الدُّنيا على أحضانِها
عُرْسٌ يُغنِّيها ويبكي مأتمُ!

بيتٌ يموتُ الفأرُ خلفَ جدارِهِ
جُوعاً وبيتٌ بالموائدِ مُتْخَمُ

ويدٌ منعَّمةٌ تنوءُ بمالها
ويظلُّ يلثمُها ويُعطى المعدمُ

فمتى يرى الإنسانُ دُنياً غضةً
سَمْحا فلا ظُلْمٌ ولا مُتَظلِّمُ؟

يــا إخْــوَتَــي نــشءَ الــمــدارسِ يــومُــكــم
بِــكْــرُ الــبــلادِ فَــكَــرِّمُــوهُ تُــكــرمُــوا

وتَــفَــهَّــمُــوا سِــفْــرَ الــحــيــاةِ فَــكُــلُّــهَــا
سِــفْـــرٌ ودرسٌ والـــزَّمَـــانُ مُـــعَـــلِّـــمُ

مَـــاذَا أقـــولُ لَــكُــمْ وتَــحْــتَ عُــيُــونِــكُــمْ
مَــا يُــعْــقَــلُ الــوَعْــيَ الــكَــرِيــم ويُــفــهِــمُ؟

۞۞۞

في الجراح

28/ 11/ 1382هـ ـ 22/ 4/ 1963م

وحـــدي وراءَ الـــيـــأسِ والـــحَـــزَنِ
تـــجـــتـــرُّنـــي مِـــحَـــنٌ إلـــى مِـــحَـــنِ

وطـــفـــولـــةُ الـــفـــنَّـــانِ تُـــذْهِـــلُـــنـــي
عـــن ثـــقـــلِ آلامـــي وعـــن وَهَـــنـــي

فـــأنـــا هـــنـــا طـــفـــلٌ بـــدونِ صِـــبـــاً
والـــيـــأسُ مُـــرضِـــعَـــتـــي ومـــحـــتـــضِـــنـــي

وعـــداوةُ الأنـــذالِ تَـــتْـــبـــعُـــنـــي
وتُـــغَـــسِّـــلُ الأدرانَ بـــالـــدَّرَنِ

وتـــفـــوحُ جـــيـــفـــتُـــهـــا هُـــنـــا وهُـــنـــا
كـــالـــرِّيـــحِ فـــي الـــمُـــســـتـــنـــقـــعِ الـــنَّـــتِـــنِ

وتـــغـــيـــبُ عـــن دَرْبـــي، وأعـــيُـــنُـــهَـــا
فـــي الـــدَّربِ غـــابـــاتٌ مـــن الإِحَـــنِ

وعِـــدايَ أقـــزامٌ يُـــخـــوِّفُـــهُـــمْ
صـــحـــوِي ويَـــرْتَـــاعـــونَ مِـــنْ وَسَـــنـــي

مـــا خَـــوْفُـــهـــم مـــنِّـــي؟ ومـــا اقـــتـــرَنَـــتْ
بـــالـــحـــقـــدِ أســـرَارِي ولا عَـــلَـــنِـــي

خَــافُــوا لأنَّ الــشــرَّ مِــهْــنَــتُــهُــم
وأنـــا بـــلا شـــرٍّ بـــلا مِـــهَـــنِ

ولأنَّـــنـــي أدْري نـــقـــائـــصـــهُـــمْ
ولأنَّـــهـــمْ خـــانـــوُا ولَـــمْ أخُـــنِ

ولأنَّـــهـــم بـــاعـــوا عـــروبـــتَـــهـــم
وعَـــاـــوتُ فـــوقَ الـــبـــيـــعِ والـــثَّـــمـــنِ

ورضِـــيـــتُ أنْ أشـــقـــى وأسْـــعَـــدَهُـــمْ
وَهَـــجُ الـــوُحـــولِ وزُخـــرُفُ الـــعَـــفَـــنِ

أحـــيـــا كـــعـــصـــفـــورِ الـــخـــريـــفِ بـــلا
ريـــشٍ، بـــلا عُـــشٍّ، بـــلا فَـــنَـــنِ

أقـــتـــاتُ أوجـــاعـــي وأعـــزِفُـــهـــا
وأشِـــيـــدُ مِـــنْ أصـــدائِـــهَـــا سَـــكَـــنـــي

وأتـــيـــهُ كـــالـــطَّـــيـــفِ الـــشَّـــريـــدِ بِـــلا
مـــاضٍ، بـــلا آتٍ، بـــلا زَمَـــنِ

وبِـــلا بـــلادٍ، مَـــنْ يُـــصـــدِّقـــنـــي؟
أنِّـــي هُـــنَـــا رُوحٌ بـــلا بَـــدَنِ

مَـــنْ ذا يُـــصـــدِّقُ أنَّ لـــي بَـــلَـــداً
عـــيـــنـــاهُ مِـــنْ حُـــرَقـــي ولَـــمْ يَـــرَنـــي؟

وأنـــا هُـــنَـــا أرْضَـــعْـــتُ أنْـــجُـــمَـــهُ
سُـــهْـــدِي ووسَّـــدَ لـــيـــلَـــهُ شَـــجَـــنـــي

أأعـــيــــشُ فـــيـــهِ وفـــوقَ تُـــربـــتِـــه
كـــالـــمـيِّـــتِ الـــمُـــلـــقـــى بـــلا كـــفـــنِ؟

وَوَلائِـــــدِي بـــــسُـــــفـــوحِـــهِ نَـــهَـــرٌ
ومـــشـــاعـــلٌ خُـــضـــرٌ عـــلـــى الـــقُـــنَـــنِ

مـــــاذا؟ أيَـــــدرِي إخْـــــوَتـــــي وأَبِـــــي
أنّـــــي يـــــمـــــانـــــيٌّ بـــــلا يَـــــمَـــــنِ؟

هـــلْ لـــي هُـــنـــا أو هـــاهُـــنَـــا وَطَـــنٌ؟
لا، لا جـــراحـــي وحـــدَهـــا وطـــنـــي

❁❁❁

تَحَدِّي

15/ 7/ 1381هـ

نظمت هذه القصيدة في العهد الإمامي المباد

هـددونـا بـالـقَـيْـدِ أَوْ بـالـسِّـلاحِ
واهْـدِرُوا بـالـزَّئـيـرِ أو بـالـنُّـبـاحِ
وَكُـلُـوا جُـوعَـنـا وسـيـروا عـلـى أشْـ
ـلائِـنـا الـحُـمْـرِ، كـالـخُـيُـولِ الـجـمـاحِ
واقْـرَعُـوا فَـوْقَـنَـا الـطُّـبُـولَ وَغـطُّـوا
خـزْيَـكُـمْ بـالـتَّـصـنُّـعِ الـفِـضَـاحِ[1]
هـدِّدونـا لـن يـنـثـنـي الـزَّحـفُ حَـتَّـى
يَـزحـفَ الـفـجـرُ مِـنْ جـمـيـعِ الـنَّـواحـي

* * *

قَـسَـمـاً لَـنْ نَـعُـودَ حـتـى تـرانـا
رايـةُ الـنَّـصْـرِ فـي الـنَّـهـارِ الـضَّـاحـي
خـوَّفـونـا بـالـمـوتِ، إنَّـا اسْـتَـهَـنَّـا
فـي الـصِّـراعِ الـكـريـمِ بـالأرواحِ
قَـدْ أَلِـفْـنَـا الـرَّدى كـمـا تـألـفُ الـغـا
بـاتُ عـصـفَ الـخـريـفِ بـالأدواحِ

(1) الطبول: كان ضرب الطبول في العهد الإمامي من أبهة الدولة.

واحتقرنا قطعَ الرؤوسِ وأدْمَنَّا المنايا في حانةِ السَّفَّاحِ

فاحْفِروا دربَنا قبوراً فإنَّا سوفَ نمضي للدَّفنِ أوْ للنَّجاحِ

* * *

نحنُ شعبٌ أعْيَا خيالَ المنايا وتَحدَّى يدَ الزَّمانِ المَاحي

كلَّما أدْمَتِ الطُّغاةُ جَناحاً مِنهُ أَدْمى نُحورَها بجناحِ

أتعبَ السِّجنَ والقيودَ ولَمْ يتعبْ وأغْفَى سجَّانُهُ وهوصَاحي

ساهرٌ كالنُّجومِ يستولِدُ الفجرَ وَيُومي إليهِ بالأجراحِ

* * *

أيُّها العابثونَ بالشَّعبِ زِيدُوا ليلَنَا وامْلأوهُ بالأشباحِ

لَغِّمُوا دَرْبَنَا، ومدُّوا دُجانَا واطْفِئوا الشُّهبَ وانتظارَ الصَّباحِ

سوفَ نَمْشي على الجراحاتِ حَتَّى نُشعلَ الفجرَ من لهيبِ الجراحِ

فاسْتَبِيحُوا دماءَنَا تتورَّدْ وجنةُ الصُّبحِ بالدَّمِ المُسْتباحِ

إنَّما تُنبِتُ الكراماتِ أرضٌ
سمَّدتْ تُربَها عظامُ الأضاحي

ودماءُ الشهيدِ أنضرُ غارٍ
في جبينِ البُطولةِ اللمَّاحِ

وجراحاتُنا على الأُفقِ أبهى
شَفَقٍ لامعٍ وأزهى وِشَاحِ

قدْ أجبْنَا صوتَ المُرُوءاتِ لمَّا
عَرْبَدَ الظَّالِمُ العنيدُ الإباحي

وابتَنَى القَصْرَ مِنْ ضلُوعِ الملايِيـ
ـنِ، وجُوعِ الأجيرِ والفلاَّحِ

فخَلَعْنَا عنْ صدرِهِ قلبَ (شمـ
ـشونَ) وعن وجهِهِ قناعَ (سجاحِ)

نحنُ سِرْنَا على الدِّماءِ إليهِ
وعلى النَّارِ والقَنَا والصِّفاحِ

وانطلقنا على المنايا كأنَّا
نتمنَّى الحُتوفَ في كلِّ ساحِ

لم تُرنِّحْ مصباحَنَا أيُّ ريحِ
دمُنَا الزَّيتُ في فمِ المِصباحِ

* * *

نحنُ شعبٌ خُضنَا إلى الفجرِ هَوْلاً
فاغِراً في الطَّريقِ كالتمساحِ

وعـبـرنَـا لـيـلاً كـألـسـنـةِ الـحـيَّـ
ـاتِ والـدَّربُ عـاصـفٌ بـالـتَّـلاحـي[1]

وتَـفـشَّـتْ دمـاؤُنـا فـي الـرَّوابـي
الـسُّـمرِ، كـالـعِـطـرِ فـي مـهـبِّ الـريـاحِ

بـيـنـنـا والـمـرامِ خـطـوةُ عـزمٍ
واثـبٍ كـالـضُّـحـى شـبـابُ الـطُّـمـاحِ

قـسـمـاً لَـمْ نَـقِـفْ عـن الـسَّـيـرِ حـتَّـى
نَـضـفـرَ الـغـارَ فـي جـبـيـنِ الـكـفـاحِ

۞۞۞

(1) التلاحي: الخصام والسباب.

رحلةُ التِّيه

سنة 1973م

هدَّني السجنُ وأَدمى القيدُ ساقي
فتعايَيْتُ بجُرحي ووِثاقي

وأضعتُ الخطو في شوكِ الدُّجى
والعَمَى والقيدُ والجرحُ رفاقي

ومللْتُ الجُرْحَ حتَّى ملَّني
جُرحي الدَّامي ومكثي وانطِلاقي

وتلاشيتُ فلَمْ يبقَ سِوى
ذكرياتِ الدَّمعِ في وهمِ المآقي

في سبيلِ الفجرِ ما لاقيتُ في
رحلةِ التِّيه وما سوف ألاقي

سوف يفنى كلّ قيدٍ وقُوى
كلّ سفَّاحٍ، وعِطْرُ الجرحِ باقي

سوفَ تَهدي نارُ جرحي إخوتي
وأُعيرُ الأنجُمَ الوَسْنى احتراقِي

فَلَنَا شعبٌ فمَنْ يُنكرُني
وهوَ في دَمْعي وسُهْدِي واشتِياقي؟

أنـــا ألـــقـــاهُ شـــجـــونـــاً ومـــنـــىً
فـــأُلاقـــيـــهِ هـــنـــا قـــبـــلَ الـــتَّـــلاقِـــي

⊛⊛⊛

الحكم للشعب

26 سبتمبر 1962م

لن يستكينَ ولن يستسلمَ الوطنُ
توثّبَ الروحُ فيهِ وانتخى البدنُ

أما ترى كيفَ أغلى رأسَهُ ومضى
يدوس أصنامه البلها ويمتهنُ

وهبَّ كالماردِ الغضبانِ مُتَّشِحاً
بالنَّارِ يجتذبُ العَلْيا ويحتضنُ

فزَعْزَعَتْ معقِلَ الطغيانِ ضربتُه
حتَّى هَوَى وتساوى التَّاجُ والكفنُ

وأَذَّنَ الفجرُ من نيرانِ مدفعِهِ
والمعجزاتُ شِفَاهٌ والدُّنا أُذُنُ

تيقَّظتْ كبرياءُ المجدِ في دمِهِ
واحمرَّ في مُقْلتيْهِ الحِقْدُ والإحَنُ

* * *

يا صَرْعةَ الظُّلم شقَّ الشعبُ مرقدَهُ
وأشْعَلَتْ دَمَهُ الثَّاراتُ والضّغَنُ

ها نحنُ ثُرنَا على إذْعانِنَا وعلى
نُفوسِنَا واستثارَتْ أُمُّنَا (اليمنُ)

لا (البدرُ) لا (الحَسَنُ) السَّجّان يَحْكُمُنَا
الحكمُ للشَّعبِ لا (بَدْرٌ) ولا (حَسَنُ)
نحنُ البلادُ وسكَّانُ البلادِ وما
فيها لنا، إنَّنا السُّكانُ والسَّكنُ
اليومُ للشَّعبِ والأمسُ المجيدُ لَهُ
لَهُ غدٌ ولهُ التاريخُ والزَّمنُ
فلْيَخسأِ الظُّلمُ ولتذهبْ حكومتُهُ
ملعونةً ولْيُوَلِّ عهدُهَا النَّتِنُ

* * *

كم كابدَ الشَّعبُ في أشواطِهِ مِحَناً
ماذا ترى؟ أتُضجِّتُهُ هذهِ المِحَنُ
كم خادعتهُ بزيفِ الوعدِ قادتُهُ
هيهاتَ أنْ يُخدعَ الفهَّامةُ الفَطِنُ
لن ينثني الشَّعبُ هزَّ الفجرُ غَضْبَتَهُ
فانقضَّ كالسَّيلِ لا جُبنٌ ولا وهنُ
حنَّ الشُّمالُ إلى لُقْيَا الجنوبِ وكم
هزَّتْ فؤاديهِمَا الأشواقُ والشَّجنُ
وما الشمالُ؟ وما هذا الجنوبُ؟ هما
قلبانِ ضمَّتْهُما الأفراحُ والحزنُ
ووحَّد اللُّهُ والتَّاريخُ بينهُما
والحقدُ والجرحُ والأحداثُ والفِتَنُ

* * *

(شـمـسـان) سـوفَ يُـلاقِـي صِـنْـوَهُ (نُـقُـمـاً)
وتـرتـمـي نـحـوَ (صـنـعـا) أخـتُـهـا (عـدنُ)

الـمـجـد لـلـشّـعـب والـحـكـم الـمـطـاع لـه
والـفـعـلُ والـقـولُ وهـو الـقـائـلُ الـلَّـسِـنُ

⊛⊛⊛

من ذا هنا؟

ذو الحجة سنة 1372هـ

مَنْ أُنادي؟ وأنتِ صَمَّا سَمِيعَة
بينَ صَوْتي وبينَ أُمّي قطيعَة
مَنْ أُنادي؟ مَنْ ذَا هُنا؟ لم يُجِبْني
آهِ، إلاّ صمتُ القُبور الصَّديعَة
يا بلادي، وأنثني أشغَلُ التَّفْـ
ـتِيشَ عنّي، وعَنْ بلادي الصَّريعَة
كيفَ ماتَتْ كما يموتُ شبابُ الـ
ـعِطْرِ في صُفْرةِ الغصونِ الخليعَة
من درى كيفَ أطبقتْ مُقلتيهَا
ورمى اللَّيلُ حُلمهَا في مضيعَة؟
أوكلَتْ أمرَهَا الطُّغاةَ كراعٍ
نامَ واستودعَ الذِّئابَ قطيعَة
وتعامَتْ فاستعْبَدَتْها عبيدُ الّلَـ
ـهْوِ باسمِ الهُدى وباسمِ الشَّريعَة
وانزوَتْ وحدَهَا تئنُ وتستلقي
وراءَ الحياةِ، خلفَ الطَّبيعَة

❁❁❁

لنعترف

أيـــنَ أضــعــنَــا يــا رفــاقَ الــسَّــمــاخ

فــجــراً أفــقــنَــا قــبــلَ أن يــســتــفــيــقْ

نَــسـقـيـهِ مـن خـلـفِ الـلَّـيـالـي الـشُّـحَـاخ

دمــاً ويــســقــيــنــا خَــيــالَ الــرَّحــيــقْ

وفــجــأةً مــن شــاطــئِ الــلَّــيــلِ لاخ

وغــابَ فــيــهِ كــالــولــيــدِ الــغــريــقْ

لا تــغــضــبــوا ضــاعَ كــرجــعِ الــصُّــداخ

فــي ضــجَّــةِ الــفــوضــى وسُــخْــفِ الــنَّــعــيــقْ

* * *

لِــنــعــتــرِفْ أنَّــا أضــعــنــا الــصَّــبــاخ

فــلْــنــحــتــرِقْ حــتَّــى يُــضــيءَ الــطَّــرِيــقْ

أَلَــمْ نــؤُجِّــج نــحــنُ بــدءَ الــكــفــاخ؟

فــلــنــتَّــقِــدْ حــتَّــى مــداهُ الــســحــيــقْ

لــن نَــنْــطــفــي مــا دامَ فــيــنــا جِــراخ

مُــســهَّــداتٌ فــي انــتــظــارِ الــحــريــقْ

لــن نــنــطــفــي رغــم احــتــشــاد الــرِّيــاخ

فــبــيــنــنــا والــنَّــصــرِ وعــدٌ وثــيــقْ

وفــجــرُنَــا الآتــي يــمــدُّ الــجــنــاخ

لــنــا ويُــومــي بــاخــتــلاجِ الــبــريــقْ

❂❂❂

ثائران

17 رجب سنة 1382هـ - 13 ديسمبر سنة 1962م

مَنْ (جَمالٌ) ومَنْ أُسمِّي (جَمالا)؟
مُعجِزَاتٌ منْ الهُدى تتوالى

وشُموخٌ يسمو على كُلِّ فكرِ
وعلى كُلِّ قمةٍ يتعالى

مَنْ (جَمالٌ)؟ حقيقةٌ تنثني عنـ
ـها الخيالاتُ يحترِقْنَ انفعالا

وعنادٌ أعْيَا البطولاتِ حتَّى
رجعَ الموتُ عنهُ يشكو الكلالا

* * *

موكبٌ من مشاعلَ انطفأ الحسَّـ
ـادُ مِنْ نفخِهِ وزادَ اشتعالا

وتَدلَّتْ أضواؤه كالعناقيدِ
فأذكت في كلِّ عينٍ ذُبالا

وتملأ ثُوَّارُ (صنعا) هُداهُ
فاستطاروا يُحَرِّقونَ الضَّلالا

والتَقَوْا يَغسلونَ بالنَّارِ دُنيا
نا، ويَمْحونَ بالدَّمِ الأوحالا

وأَضَاءوا واللَّيلُ يبتلعُ الشُّهْبَ
وأُمُّ الهلالِ تَطْوي الهِلالا

فتناغى ومضُ المآذنِ: ماذا؟
أيَّ فجرٍ أشْتَمُّ فيه (بِلالا)؟

ووراء الحنينِ شعبٌ مُسجَّى
مَلَّ موتَ الحياة، ملَّ المَلالا

والرُّؤى تسألُ الرّؤى كيفَ ضَجَّ الصَّـ
ـمْتُ، واستفسرَ الخيالُ الخيالا

مَنْ أطلُّوا كصحوِ نيسانَ يكسونَ
الرُّبا الجُرْدَ خُضْرَةً واخْضِلالا

* * *

ومضى الثَّائرونَ يَفْدُونَ شعباً
يَتَحَدَّوْنَ باسمِهِ الآجَالا

كالقلاعِ الجهنَّمِيَّاتِ يَنْقَضُّـ
ـونَ يَرمونَ بالجِبالِ الجِبَالا

ويَشُبُّونَ ثورةً رَمتِ التَّاجَ
وهبَّتْ تُتَوِّجُ الأجْيَالا

ومَشَتْ والشُّروقُ في خَطْوِها الجبَّـ
ـارِ، يَنثالُ في الدُّروبِ انْثِيالا

ومدَدْنَا المُنَى فكانَتْ عَطَاءً
سرْمديّاً تَجاوزَ الآمَالا

فَطَفرْنَا إلى الحياةِ كموْتَى
دفعتهُمْ قُبورُهم أطفالا

* *

وبَدأْنَا الشَّوطَ الكبيرَ وأعدد
نا لأحْداثِهِ الكبارِ (جَمَالا)

واهتدينا بهِ فكانَ دَليلاً
وأَباً يحملُ الجهودَ الثُّقَالا

وبَلَوْنَا فيهِ أخاً لم يزدْهُ
لهبُ الحادثاتِ إلاَّ صقَالا

ودروبُ الكفاحِ تُنبيكَ عنهُ
كم طَواهَا وأتْعَبَ الأهوالا

وثنى الموتَ في (القناة) وألقى
في أساطيلهِ الحريقَ ارتِجَالا

ورمى الغزوَ والغُزاةَ رماداً
تُخبرُ العاصفاتُ عنهُ الرِّمالا

وفُلولاً تكابَتُ الرُّوحُ فيها
مثلما تكبتُ العجوزُ السُّعَالا

* * *

لا تَسَلْ (بوز سعيد) واسألْ عداهُ
كيفَ أدمَى اللَّظى وجالَ وصَالا

وتَحدَّى الرَّدى الغضوب و(مصْرٌ)
خلفهُ تسحبُ الذُّيولَ اختيالا

وانـتـظـارُ الـفـرارِ والـنَّـصـرُ وعـدٌ
يَـحـتـمـي بـالـمُـحـالِ يُـدنـي الـمُـحـالا

والـضُّـحـى يـرتـدي رداءً مـن الـنَّـارِ
ويُـرخـي مـن الـدُّخـانِ ظِـلالا

ومـنـايـا تـمـضـي وتـأتـي مـنـايـا
وقـتـالٌ دامٍ يُـثـيـرُ قـتـالا

وسـؤالٌ يَـمـضـي ومـا مـن جـوابٍ
وجـوابٌ يـأتـي يُـعـيـدُ الـسُّـؤالا

فـإذا (نـاصـرٌ) يـقـودُ تِـلالاً
مـنْ شـبـابِ الـقُـوى تَـدُكُّ تِـلالا

وجـحـيـمـاً تـحـتـلُّ أجـسـادَ مَـنْ جـا
ءُوا يَـرومـونَ عـنـدهُ الاحـتـلالا

وأُبَـاةٌ لا يـعـتـدُونَ ويُـهْـدونَ
إلـى الـمُـعـتـدي الأثـيـمِ الـزَّوالا

ويـطـيـرونَ يـضـفـرونَ الـنُّـجـومَ الـ
ـخُـضـرَ (غـاراً) يُـكـلِّـلـون الـنِّـضـالا

وإذا الـنَّـصـرُ بـيـن كَـفَّـيْ (جـمـالٍ)
يـنـحـنـي خـاشـعـاً ويَـنـدى ابـتـهـالا

* *

مَـنْ (جـمـالٌ)؟ سَـلِ الـبـطـولاتِ عـنـهُ
كـيـفَ أغـرتْ بـهِ الـعِـدا الأنـذالا؟

فتبارتْ أذنابُ (لندنَ) تُزْري
باسمهِ فازدهى اسمُهُ وتَلالا

وأجادُوا فيه السِّباب ولكن
يُحسِنُ الشَّتمَ منْ يُسِيءُ الفِعَالا

كيف يخشى أذيالَ (لندنَ) مَنْ صب
على (لندنَ) المنَايا العجالا؟

إنَّ مَنْ تضربُ الرؤوس يداهُ
لا يُبالي أنْ يركُلَ الأذيالا

❊

يا لصوص العروشِ عيبوا (جَمالاً)
واخجلوا أنكم قَصُرْتُمْ وطالا

فسقطتم على الوحولِ ذُباباً
وسما يعبر الشُّموس مجالا

واكتملتم نقصاً وزادَ كمالاً
ومَدَى النَّقص أنْ يعيب الكمالا

فبنَى أُمَّةً وشِدْتُمْ عُروشاً
خائناتٍ تُبارِكُ القتَّالا

وقصوراً مِنَ الخَنَا مُثقَلاتٍ
بالخطايا كالعاهراتِ الحَبالى

فَسلُوا عنكُمُ اللَّيالي السُّكارى
والحِسانَ المُدلَّلاتِ الكَسالى

وضياعَ الحِمَى وما لستُ أدري
ودنايا شتَّى عِراضاً طِوالا

لا تَضِيقُوا فإنَّ للشَّرفِ العا
لي رجَالاً، وللدَّنايا رِجَالا

لا تَضِيقُوا إنَّ العروبةَ تدري
مَنْ (جمالٌ) وتعرفُ (السَّلاَّلا)

بطلُ الثائرينَ وافى أخاهُ
والبطولاتُ تجمعُ الأبطالا

أخوانِ تلاقيا فاشرَأبَّتْ
(وحدةُ العُربِ) تنحرُ الانفصالا

فاهتِفِي يا حياةُ: إنَّا اتَّحدنا
في طريقِ المُنَى وزِدْنَا اتِّصالا

والتقى (النيلُ) و(السَّعيدةُ) جِسْماً
صافَحَتْ كَفُّهُ اليمينُ الشِّمَالا

❁ ❁ ❁

وطنـي

سنة 1373هـ

وطـنـي أنـت مُـلـهـمـي هَـزَجَ الـمـغـرم الـظَّـمـي
أنـت نـجـوى خـواطـري والـغـنـا الـحـلـوُ فـي فـمـي
ومـعـانـيـكَ، شـعـلـةٌ فـي عـروقـي وفـي دمـي
أنـت فـي صـدر مـزهـري مـوجـة مـن تـرنّـمِ
وصـدىً مـسـكـرٌ إلـى عـالـمِ الـخـلـد يـنـتـمـي
ونـشـيـدٌ مـعـطَّـرٌ كـالـربـيـع الـمـرنَّـمِ
وهُـتـافٌ مـسَـلـسَـلٌ كـالـرحـيـق الـمـخـتَّـمِ

* * *

إيـهِ يـا مـوطـنـي أفِـقْ مـن كـراكَ الـمـخـيِّـمِ
طـالـمـا تـهـت فـي الـدُّجـى والـظَّـلام الـمـطـلـسـمِ
وقـطـعـتَ الـمـتـاهَ فـي مـأتـم بـعـد مـأتـمِ
وتـمـشَّـيـت فـي الـلَّـظـى والـعـذَابِ الـمـنـظَّـمِ
أنـت تـجـثـو عـلـى الـلّـظـى وعـلـى الـشـوك تـرتـمـي
سـاسَـكَ الـجـوع والـشَّـقـا والـنّـظـامُ الـجـهـنَّـمـي
إنَّ بـلـواكَ مـنـك هـل أنـت مِـنْ أنـتَ تـحـتـمـي؟
فـتـوثَّـبْ إلـى الـعـلا وثـبـةَ الـفـارس الـكـمِـي
وخُـضِ الـنَّـارَ واحـتـمـلْ كـبـريـاءَ الـتَّـألُّـمِ
واصـرعِ الـظّـلـم تـكـتـفِ ذلَّ شـكـوى الـتَّـظـلُّـمِ

۞۞۞

عازفُ الصَّمت

17 ذي القعدة سنة 1382هـ ـ 11 أبريل سنة 1963م

أطلْتَ هنا وهناكَ الوقوفْ
تُلبِّي طُيوفاً وتدعو طُيوفْ
وفي كُلِّ جارحةٍ منكَ فِكْرٌ
مُضيءٌ وقلبٌ شجي شَغُوفْ
تُغنِّي هُنا وتناجي هُناك
وتَغزِلُ في شفتيكَ الحروفْ
وتهمسُ حتَّى تعير الصُّخورَ
فماً شادياً وفُؤاداً عَطُوفْ
وتُعطي السُّهولَ ذهولَ النَّبيِّ
وتُعطي الرُّبا حيْرةَ الفيلسوفْ
تُلحِّنُ حتَّى تُراب القُبور
وتَعزِفُ حتَّى فراغَ الكُهوفْ
وتُفني وجُوداً عتيقاً حقيراً
وتَبْنِي وجُوداً سخيّاً رَؤوفْ
وتغرِسُ في مُقْلَتيْكَ الرُّؤى
كُروماً تَمُدُّ إليكَ القُطُوفْ

وتَــرنــو، وتَــرنــو وعَــيْـنَـاك شَــوْقٌ
هَــتُــوفٌ يُـنـاجِـيـهِ شَـوْقٌ هَـتـوفْ

وأنــتَ حَــنِـيــنٌ يُـنـادي حَـنِـيـنـاً
وألــفُ سُــؤالٍ يُــلَــبِّــي أُلُــوفْ

ودُنْــيــاكَ عُــشٌ يُــغَــنِّــي ثَــرَاهُ
فَــتَــخْــضَــرُ أَضْـدَاؤه فـي الـسُّـقـوفْ

وحــيــنَ تَــفِـيـقُ وتَــفْـنَـى رُؤَاكَ
ويَـنْـأى الـخـيـالُ الـمُـرِيـدُ الـعَـزُوفْ

تَــرى هــاهُــنَــا وتُــلاقــي هــنــاكْ
صُـفـوفـاً مِـنْ الـوحْـلِ تَـتْـلُـو صُـفـوفْ

عــلــيــهــا وجُــوهٌ أراقَ الــنِّــفــاقُ
مَــلامِــحَــهَــا، وأضــاعَ الأُنُــوفْ

وقَــتْــلَــى دَعَــوْهَــا ضــحــايــا الـظُّـرُوف
وكــانــوا الـضَّـحـايـا وكــانــوا الـظُّـروفْ

أكــانــوا مــلاهــي صــروفِ الــزَّمــان؟
وأُولَــى وأُخْــرى مَــلاهــي الــصُّــروفْ

وتَــشْــتَــمُّ فــوقَ اخْــمِــرارِ الــتُّــراب
صــدًى غـائِـمـاً مِـنْ أغـانـي الـسُّـيُـوفْ

وتــلْــمــحُ فــوقَ امــتــدادِ الــدُّروب
ســيـاطَ الـخـطـايـا تَـسـوقُ الـزُّحُـوفْ

ومَقْبرةً يَظْمأُ المَيْتُونَ
عليها ويحسُوْنَ وعداً خَلُوف

ومُجْتَمَعاً حَشريًا يَجِنُّ
على غيرِ شيءٍ حنينَ الألُوف

ويَغدو على دَمِهِ كالذِّئابِ
ويَلْقى الذِّئاب لقاءَ الخَروف

* *

فماذا هُنا من صُنوفِ السُّقوط؟
أحطُّ الصُّنوفِ وأخْزَى الصُنوف

هُنا الأرضُ مُسْتَنقعٌ مِنْ ذبابٍ
هُنا الجوُّ أرْجُوحَةٌ مِنْ كُسُوف

يُطَبِّلُ للخائنينَ الطَّريقُ
كأنَّ حَصَاهُ اسْتَحالت دُفُوف

⊛⊛⊛

مـآتم وأعـراس

29 شعبان 1382هـ ـ يناير سنة 1963م

أذاع الشاعر هذه القصيدة من (راديو صنعاء) بمناسبة مرور أربعة أشهر من عمر الثورة اليمنية المظفرة.

كـيـف كُـنَّـا يـا ذِكْـريـاتِ الـجـرائِـمْ
مـأتـمـاً فـي الـضَّـيـاعِ يـتْـلـو مـآتِـمْ؟

كـيـف كُـنَّـا قـوافِـلاً مِـنْ أنـيـنٍ
تَـتَـعـايـا هُـنـا كـشـهْـقـاتِ نـادِمْ؟

وقَـطـيـعـاً مـن الـبـراءاتِ يـهْـوي
مِـنْ يَـدَيْ ذابـحٍ إلـى شـدْقِ لاقِـمْ

ومَـضَـيْـنـا يـسُـوقُـنـا سـيـفُ جـلاَّ
دٍ، وتَـجْـتَـرُّنَـا سـكـاكـيـنُ ظـالِـمْ

ضـاعَ فـي خَـطْـوِنـا الـطَّـريـقُ فَـسِـرْنـا
ألـمـاً واجِـمـاً عـلـى إثْـرِ واجِـمْ

والـسُّـكـونُ الـمَـديـدُ يـبـتـلـعُ الـحُـلْـمَ
ويَـسْـري فـي وهـمِـنَـا وهـو جـاثِـمْ

والـدُّجـى حـاقِـدٌ يـبـيـعُ الـشـيـاطـيـنَ
فَـنَـشْـري مـن الـقُـبـورِ الـتَّـمـائِـمْ

وخُـطَـانَـا دمٌ تَـجَـمَّـدَ فِـي الأشْـ
ـواكِ جَـمْـراً وفِـي الـصُّـخـورِ مَـيـاسِـمْ

ورِيـــاحُ الــثُّــلــوجِ تَــشْــتَــمُ مَــسْــرَا
نـــا، فَـتَـشْـوي وجُـوهَـنـا بـالـشَّـتَـائِـمْ

*

كـيـفَ كُـنَّـا نَـقْـتـاتُ جُـوعـاً ونُـغْـطِـي
أَرْذَلَ الـمُـتْـخَـمِـيـنَ أشْـهَـى الـمَـطَـاعِـمْ؟

وجِـــرَاحَـــاتُـــنَـــا عـــلـــى بـــابِ (مـــولا
نـــا) تُـقِـيـمُ (الـذُّبـابُ) مِـنـهـا ولائِـمْ

وهـو فـي الـقـصـرِ يـحْـتَـسي الـشَّـعب خَـمْـراً
ودَمــاً والــكُــؤوسُ غَــضْــبَــى لَــوَائِــمْ

ويُـــرَائِـــي وفِـــي حَـــنَـــايَـــاهُ دُنْـــيـــاً
مِـــنْ ضَـــحَـــايَـــا وعَـــالَـــمٌ مِـــنْ مـــآثِـــمْ

فَـــنُـــفَـــدِّيـــهِ وهـــو يُـــغْـــمِـــدُ فـــيـــنـــا
صـــارِمـــاً مُـــذمِـــنـــاً ويَـــسْـــتَـــلُّ صـــارِمْ

ويـشـيـدُ الـقـصـور مِـنْ جُـثَـثِ الـشَّـعْـبِ
الــمُــسَــجَّــى ومِــنْ رُفَــاتِ الــمــحــارِمْ

ويُـــغَـــطِّـــي بـــالـــتَّـــاجِ رَأســـاً خـــلايَـــاهُ
وأَفْـــكَـــارُهُ ذِئَـــابٌ حـــوائِـــمْ

وتِـــلالٌ مِـــنَ الـــحِـــرابِ وكـــهـــفٌ
مِـــنْ ضَـــوَارٍ وغـــابَـــةٌ مِـــنْ أراقِـــمْ

* * *

كـــيـــف كُـــنَّـــا نَـــدْعُـــوهُ مَـــوْلـــىً مُـــطَـــاعـــاً
وهـــو لـــ(الإنْـــجِـــلـــيـــزِ) أَطْـــوَعُ خـــادِمْ؟

هَـذّنـا الـضَّـعـفُ فـادَّعـى قُـوَّة (الـجـنّ)
وبـأس الـرَّدى وفَـتْـكَ الـضـيـاغِـمْ
فَـتَـحَـامَـاهُ ضَـعـفُـنـا واتَّـخَـذْنَـاهُ
إلـهـاً مِـنْ (شَـغـوذَاتِ) الـمـزَاعِـمْ
عَـمْـلـقَ الـدَّجْـلُ شَـخْـصـهُ وهـو قـزمٌ
تـتـطـنَّـاهُ قـاعِـداً وهـو قَـائِـمْ!
وصـبـيِ الـشُّـذوذِ وهـو عـجـوزٌ
نـصـفـهُ مـيّـتٌ، وبـاقِـيـهِ نـائِـمْ!
وأثـيـمٌ أيَّـامـه لـلـدَّنـايـا
ولـيـالـيـهِ لـلـبـغـايـا الـهـوائِـمْ
ويـداهُ يـدٌ تُـجـرِّحُ شـعـبـاً
ويـدٌ تَـقْـطـفُ الـجِـراح (دراهِـمْ)

* *

ويـوَلّـي عـلـى الـوزاراتِ والـحُـكْـمِ
رِجـالاً كـالـعـانـسـاتِ الـنَّـواقِـمْ
ولُـصـوصـاً كـأنَّـهـم قـومُ (يـاجُـوج)
صـغـارُ الـنُّـهـى كِـبـارُ الـعَـمـائِـمْ
وطِـوالُ الـذُّقـونِ شُـعْـثـاً، كـأهـلِ
الـكـهـفِ؛ بـل كـالـكـهـوفِ صُـمٌّ أعـاجـمْ
يَـحْـكُـمـونَ الـجُـمـوعُ والـعـدلُ يـبـكـي
والـمـآسـي تُـدْمِـي سُـقُـوْفَ الـمَـحـاكِـمْ
تـارةً يـرْقـصـون فـوقَ الـضَّـحـايـا
وأوانـاً يُـشَـرِّعـونَ الـمـظـالِـمْ

فيُسمُّونَ (شِرْعَةَ الغابِ) حَزماً
إن أصابوا فالذِّئبُ أحْزَمُ حازِمْ
ويُصَلُّونَ والمحاريبُ تَستفتي:
متى تصبحُ الأفاعي حمائِمْ؟
ويعودونَ يلفظونَ الحَكايا
مثلما تَنثرُ النثيلَ البهائِمْ
ويميلونَ يعبرونَ الرّؤى خَيراً
وشَرّاً من خاطرِ الغيبِ ناجمْ
كلّهم متحفُ الغباءِ وكُلٌّ
يدَّعي أنَّهُ محيطُ المعاجِمْ
فيلوكون مِنْ (مريضِ) التَّواريخِ
حُروفاً من فَهْرَساتِ التَّراجِمْ
ويُنيلونَ (باقِلاً) ثَغْر (قِسٌّ)
ويُعيرونَ (مَادِراً) جودَ (حاتِمْ)
كيفَ هُنَّا فقادنا أغْبِياءٌ
ولصوصٌ متوِّجُونَ أكارِمْ؟
وصِغارٌ مُؤَنَّثونَ وغِيدٌ
غالياتُ الحُلى رخاصُ المباسِمْ

* *

هكذا كَانَ حاكمونا وكُنَّا
فنَحَرْنَا فينَا خُضوعَ السَّوائِمْ
وانتظرنَا الصَّباحَ حتَّى أَفَقْنَا
ليلةً وهو ضجَّةٌ مِنْ طلاسمْ

أتُــرى قــامــتِ الــقــيــامــةُ أم هَــبَّ
الــعــفــاريــتُ يَــطْــحَــنُــونَ الــقــمــاقــمْ؟

وأصَــخْــنَــا نُــفَــسِّــر الــوَهْــمَ بــالأو
هــامِ والــظَّــنَّ بــالــظُّــنــونِ الــرَّواجِــمْ

ووراءَ الــضَّــجــيــجِ إيــمــاءُ رَعْــدٍ
يــزرعُ الــشُّــهــبَ فــي يــدَيْــهِ خــواتِــمْ

والــدُّجــى يَــعْــلُــكُ الــسُّــكــونَ ويَــعْــدو
مــثــلــمــا تَــعْــلِــكُ الــخــيــولُ الــشَّــكــائِــمْ

* * *

وســألــنــا مــاذا؟ فــأوْمــتْ طُــيــوفٌ
زاهــراتُ الــبــنــانِ خُــضْــرُ الــمــعــاصِــمْ

وتَــحــدَّى صــمــتَ الــقــبــورِ دويٌّ
شَــفــقــيُّ الــصَّــدى عَــنِــيــدُ الــغــمــاغِــمْ

والــعــيــانُ الــكــبــيــرُ مــيــعــادُ رؤيــا
أنــكَــرتْ صِــدْقَــهُ الــعــيــونُ الــحــوالِــمْ

وإذا فــاجــأ الــيــقــيــنُ عــلــى الــشَّــكِّ
حــسِــبْــتَ الــيــقــيــنَ تــهــويــلَ واهِــمْ

وهُــنــا حــرَّق الــغــيــومَ انــفــجــارٌ
والــصَّــدى يــعــزفُ الــلــهــيــبَ مــلاحِــمْ

فــتــراخَــى (قــصــرُ الــبــشــائِــر) كــالــشَّــيــخِ
ولاذَتْ جُــدرانُــهُ بــالــدَّعــائِــمْ

واخْتَمى بالقوى فَضَجَّ عليهِ
لَهَبٌ عارِمٌ يلبّيهِ عارِمْ

وحريقٌ يُدْمِي قُواهُ ويمضي
وحريقٌ جهنَّميٌّ يُهاجِمْ

فارتمى في اللَّظى كما تَرْتَمي الأفْـ
ـيالُ حُمْرُ الرؤوسِ جرحى القوائِمْ

وتعالى الدُّخانُ والنَّارُ فاللَّيلُ
نهارٌ صحوُ الأساريرِ غائِمْ

وتَنادَى الشُّروقُ من كُلِّ أُفْقٍ:
ثورةٌ فانبئي الرُّبا يا نَسائِمْ

فإذا مأتمُ المآتمِ أعرا
سٌ نَشاوَى مُزغرِدَاتٌ نواغِمْ

* *

أشرقَ الثَّائرونَ فالموتُ عُرْسٌ
وأنينُ الحِمَى لُحونٌ بواسِمْ

وازْتعاشُ الخريفِ دفءٌ رَبيعِيٌّ
وصيفٌ داني العناقيدِ دائِمْ

والجِراحُ التي على كُلِّ شبرٍ
أثمرتْ فَجْأةً وكانَتْ بَرَاعِمْ

مَنْ رَأى الثائرينَ زَحْفاً من الخَصْبِ
وزحفاً من شامخاتِ العَزائِمْ؟

وصـبـاحـاً ضَـافـي الـشُّـروقِ مُـطِـلاً
وصـبـاحـاً فـي شـاطـئ الـلَّـيـلِ عـائِـمْ

وشـبـابـاً تَـوهَّـجُـوا فـانْـطَـفَـا (نَـيْـ
ـرونُ) وانـهـارَ أغـبـرَ الـوجـهِ فـاحِـمْ

واسْـتَـثَـاروا دفءَ الـحـيـاةِ فـمـاتَ الـ
ـمـوتُ، وانـقَـضَّ عـرشُـهُ وهـو راغِـمْ

وأطـلَّـتْ وجُـوهُـهـم مِـنْ وراءِ
الـلَّـيـلِ، كـالـصَّـحـوِ مِـنَ وراءِ الـغـمـائِـمْ

ومَـشَـوْا تـزرعُ الـدُّروبَ خُـطَـاهُـم
مَـوْسِـمـاً طـيِّـبـاً يَـجُـرُّ مـواسِـمْ

وشُـمـوسـاً هَـواتِـفـاً وانـتـصـاراً
حـاسِـمـاً يـهـتـدي عـلـى إثْـرِ حـاسِـمْ

والـضُّـحـى فـي الـدُّروب يـمـرحُ كـالأفـ
ـراحِ، فـي أعـيُـنِ الـصَّـبـايـا الـنَّـواعِـمْ

* * *

فـتـهـادَتْ مـواكِـبُ الـشَّـعـبِ ألـوا
نـاً كـنـيـسـانَ مـائـجِ الـحُـسْـنِ فـاغِـمْ

وتـوالَـتْ حُـشـودُهُ الـكُـثْـرُ تَـشْـدو
فـالـرُّبـا والـسُّـهـولُ شـادٍ وبـاغِـمْ

ونـسـيـنـا فـي غَـمْـرَةِ الـبِـشْـرِ عـهـداً
أسْـودَ الـقَـلْـبِ أحـمـرَ الـسَّـيـفِ قـاتِـمْ

كُلَّما عَبَّ جِيفَةً مدَّ للأُخرى
كُؤوساً كحنجراتِ الضَّراغِمْ

كانَ حكَّامُهُ ذباباً عليها
من صديدِ الجِراحِ أَخْزَى المعالِمْ

وذِئاباً بُلهاً وكُنَّا قطيعاً
قَسَّمُونا واستَجْمَعونا غنائِمْ

فانْقَسَمْنَا بِرُغمنا وسألنا
أينَ أينَ القُربَى؟ وأينَ المراحِمْ؟

أوَما نحنُ إخوةٌ أمُّنا الخَضْ
راءُ؟ فيمَ اختِصامُنَا؟ مَنْ نُخاصِمْ؟

أنجبتْنا هٰذي البلادُ فأنْهَتْ
بِدَعَ الفنِّ قبلَ بدءِ العَوالِمْ

وغذَتْنا تآخِياً كانَ أبْقَى
من رُبا ريفِها ووَهْجِ العَواصِمْ

* * *

فمَضَوْا يُطعِمُونَنَا الحِقدَ حتَّى
جَهِلَ المرءُ قصدَهُ وهوَ عالِمْ

وتَمادَوْا في الهدمِ حتَّى كَسَرْنا
مِعولَ الحِقدِ في يديْ كُلِّ هادِمْ

ودفَنَّا حُكْمَ الشُّذوذِ رُفاتاً
واحْتَشَدنَا نتوِّجُ الشَّعبَ حاكِمْ

والتقينا نَمُدُّ للفجرِ أُفقاً
مِن دم التَّوأمينِ (عادٍ) و(هاشِمْ)

ومَراحاً من تضحياتِ (البلاقِيسِ)
وَمَغدى مِنْ تضحياتِ (الفَواطِمْ)

فانطلقْ حيث شئت يا فجرُ إنَّا
قَدْ فَرَشْنَا لكَ الدُّروب جماجِمْ

وزَحَفْنَا نَهْدِي الهُدى ومددْنَا
من قُوانَا إلى الأعالي سلالِمْ

وسَمَوْنَا صَفْواً مبادئُهُ الحبُّ
وغاياتُهُ سماءُ المكارِمْ

* * *

وأضَأْنا حتَّى أنثنى سارقُ الإسْـ
ـلامِ عريانَ يختمي بالهزائِمْ

واشرأبَّتْ أرضُ النَّبيِّ تُدَوِّي
مِنْ (سُعودٍ)؟ أطْغى وأغْشَمُ غاشِمْ

وغبيٌّ سِلْمٌ لكلِّ عدوٍّ
وهو حَرْبٌ على أخيهِ المُسالِمْ

مَنْ رآه يَزجو (حُسيناً) ويَهْذِي:
مَنْ يَقِينَا هَؤلاً مِنْ النَّارِ داهِمْ؟

فيعودُ الجوابُ عنهُ سُؤالاً:
هَلْ لطاغٍ مِنْ غضبةِ الشَّعبِ عاصِمْ؟

۞۞۞

الحريقُ السَّجين

3/ 1/ 1383هـ ـ 26/ 5/ 1963م

هـنـاكَ وراءَ الأنـيـنْ
أنِـيـنِ الـتُّـرابْ
حَـريـقٌ سـجِـيـنْ

يُهَدْهِدُ خَلْفَ امتدادِ الغيومِ ... صـبـاحـاً دفـيـنْ
يَـمـدُّ نـهـودَ أغـانـيـهِ، ... يُـرضـعـنَ حُـلْـمَ الأنِـيـنْ
وتَخْضَرُّ بينَ جناحيْ صدَاهُ ... رمـالُ الـسّـنـيـنْ
عـلى وجْهِهِ مِنْ سُهادِ اللَّـ ... ـيـالـي ذهـولٌ حَـزيـنْ
وجُـوعٌ إلـى لا مـدَى ... حَـنـيـنٌ يُـنَـادي حَـنِـيـنْ

* * *

وشَوْقٌ يُفَتِّش في كُلِّ طَيفٍ ... عـن الـجـنَّـةِ الـضـائِـعَـةْ
ويُنهِضُ من عثراتِ التُّرابِ ... مُـنـىً ضـارعَـةْ
ويـحـسو الـفَراغَ ويـسقِيهِ ... أُغْـنـيَـةً رائِـعَـةْ
ويـسْتَودِعُ الرِّيحَ أنْفَاس ... رغـبـتِـهِ الـجـائِـعَـةْ

* *

ويُـوقِـدُ أَشْـلاَءُهُ لـلـرُّؤى ... والـصَّـدى الـعـائـدِ
ويطْمَعُ أنْ يَسْتفِزَّ ضمير ... الـدُّجَـى الـحـاقِـدِ
وحَشْرجَةُ الشُّهبِ فِيهِ ... بـقـايـا دَمٍ جـامِـدِ
ويُـغْطِي عُيونَ الجَليد ... رُؤَى الـمـوسـمِ الـواعِـدِ

وتَـغـوي الـرّيـاحُ فـيـخَـفِـقُ كـالـطّـائِـرِ الـبَـارِدِ
ويَـغـيَـا جَـنَـاحٌ فـيَـسْـمـو عـلـى جـانِـحٍ واحِـدِ

* * *

يُـدَلِّـلُ فَـوْقَ انـتـظـارِ الـرُّبـا مُـنْـيَـةً كـادِحَـةْ
ويَـسْـقِـي الـحـنـانَ قُـبُـوراً هُـنـاكَ مُـعَـذَّبَـةً صـائِـحَـةْ
تُـعالِـجُ أوْجَـاعَـهَـا الـمُـعضِلاتِ بِـ(يٰـس) و (الـفـاتِـحَـة)
وتَـخْشَـى خيالَ الشُّروقِ فتغلقُ حُـفْـرَتَـهَـا الـنَّـازِحَـةْ

❁ ❁ ❁

شمسان

سنة 1373هـ

حُرَقُ (الجنوبِ) قذائفٌ في مُهجَتي
تَغزو الحدودَ وتَحرِقُ الأسْدَادا

وحدي وفي أرض الجنوبِ عشيرتي
تتطلَّبُ السُّقيا وتَرجو الزَّادا

وتَسيرُ في الأصفادِ تائِهةَ الخُطَى
تَستنجِدُ الأغوارَ والأنْجَادا

فمتى تُحَرِّقُ بالدِّما أصفادَهَا
وتُبيدُ مَنْ صنَعوا لها الأصْفادا

دَعْني أُلِمْها في القيودِ، لعلَّها
تَتَذكَّرُ الآباءَ والأجْدادا

ولعلَّها ترنو إلى تاريخِنَا
فتَرى الفُتوحَ وتَعرِفُ القُوَّادا

فعلى رُبا التَّاريخِ مجدُ جدودِنَا
يَهْدِي البنينَ ويُرشِدُ الأحْفادا

أذنى المَواطنِ مَوطِنٌ إنْ هَزَّهُ
جُرْحُ الكرامةِ للصِّرَاعِ تَمَادى

وأَذَلُّ ما في الأرضِ شعبٌ يَجْتدي
مُسْتَعْمِراً ويَؤلِّهُ اسْتِبْدادا

ويَـــئـــنُّ مِـــنْ جَـــلاَّدِهِ وهــــو الَّــــذي
صـــنَـــعَ الـــطُّـــغـــاةَ وســـلَّـــحَ الـــجَـــلاَّدا

فـــي الـــنَّـــاسِ أنـــذالٌ وأوغَـــدُ أُمَّـــةٍ
مَـــنْ ولَّـــتِ الأنْـــذالَ والأوْغـــادا

(صِـرواحُ) يـا شَـمَـمَ الـبـطـولـةِ لـم يـزَلْ
(شـمـسـانُ) يَـسْـطـعُ بـاسِـمِـك الأطْـوادا

* *

(شـــمـــســـانُ) زَمْـــجَـــر بـــالإبـــاءِ وأرْعَـــدت
هَـــضَـــبـــاتُـــه تَـــتَـــحَـــرَّقُ اسْـــتِـــشْـــهـــادا

أنِــفَ الــدَّخــيــلَ فَــسِــرْ إلــيــهِ وشُــدَّ فــي
زَنْـــدَيْـــكَ مـــنـــهُ ســـواعِـــداً وزِنـــادا

وذْرِ الـعـداةَ عـلـى الـسّـفـوح وفـي الـرُّبـا
مِــزَقــاً كـــمـــا تَـــذْرو الـــرِّيـــاحُ رمـــادا

❁ ❁ ❁

قالت الضحية

ذو القعدة سنة 1382هـ

كـيـفَ كُـنـتـم أيَّـامَ كُـنْـتُ مُـثِـيـرَة؟
حـشـراتٌ حَـولِـي وكُـنْـتُ أمِـيـرَةْ
كُـنْـتُ أمـشـي فـتَـفْـرِشـونَ طَـرِيـقـي
نـظـراتٍ مُـسْـتَـجـديـاتٍ كـسـيـرَةْ
وشُـجـونـاً حُـمْـراً وشـوْقـاً رَخـيـصـاً
ونِـداءً وثَـرثـراتٍ كَـثـيـرَةْ
تَـتَـنَـاجَـوْنَ بـيـنـكُـمْ: أتُـراهـا
بـنـتُ (كِـسْـرى) أم (شَـهـر زاد) الـصـغـيـرة؟
لـو رأى (شَـهـريـارُ) طَـيْـفَ صِـبـاهـا
بـاعَ فـيـهـا سُـلْـطـانَـهُ وسـريـرَهْ
وتَـحـومـونَ تَـزرعَـون رمـالَ الـ
ـجُـوْعِ نَـجـوى وأمـنـيـاتٍ وَفِـيـرَةْ
لـيـتـهـا لِـي أو لـيـتَ أنّـي طـريـقٌ
لـخُـطـاهـا تَـمُـدُّ فـيـهِ الـمـسـيـرَةْ
لـيـتـنـي مـشـطُـهـا فـأَشْـتَـمَّ مـنـهـا
شـعـرَهَـا أو أكـونَ فـيـهِ ضَـفـيـرَةْ
لـيـتـنـي ثـوبُـهَـا. ويَـهـمـسُ ثـانٍ
يَـدَّعـي أنَّـهُ مُـنـاهـا الـكـبـيـرَةْ

آخرُ العهدِ بيننا سَمَرُ الأمسِ
شَكوتُ الهَوَى وبَثَّتْ سعيرَهْ

لا تقولوا: سامَرْتُ وهماً فما زالَ
على ساعِدَيَّ دِفءُ السَّميرَهْ

فَيُلَبِّيهِ ثالِثٌ: ليتَ أنّي
نُقطةٌ فوقَ خدِّها مُستديرَهْ

ويُجاريهِ رابعٌ: فَيُغنّي
ليتني البحرُ وهي فِيَّ جزيرَهْ

ويُعيدُ المُنى أديبٌ شَجِيٌّ
ليتَها جدولٌ أُناغي خريرَهْ

هكذا كُنتمْ أمامي وخَلْفِي
غَزَلاً مُغرِياً وكُنتُ غَريرَهْ

ولأنّي أُنثى وأُمّي عجوزٌ
ماتَ عنها أبي، سَقَطْتُ أجيرَهْ

كيفَ أروي حِكايتي؟ وإلى مَنْ؟
كيفَ تَشكو إلى العقورِ العَقِيرَهْ

نشأتْ قِصَّتي وكانَ أبِي كَهْلاً
وَقُورَ السِّماتِ نذلَ السَّريرَهْ

يَشتَري كُلَّ حَظِّهِ مِنْ عَجوزٍ
بالأساطيرِ والغُيوبِ خَبيرَهْ!

كانَ زُورُ المديحِ يَحلبُ كفَّيهِ
ويُعطيهِ وَسْوَسَاتٍ خَطيرَهْ

فَـيَـرى أنَّ قـومَـهُ أهـمَـلُـوهُ
فـأضَـاعُـوا أنـقَـى وأغْـلَـى ذخـيـرَةْ

فَـتَـمَـنَّـى قـتـلَ الألُـوفِ ولـكـنْ
بُـغـيـةٌ صَـعـبـةُ الـقِـيـادِ عَـسـيـرَةْ

فـالـتـوى يَـذبـحُ الـصِّـغـارَ مِـنَ الأطْـ
ـفـالِ أو يـخـطـفُ الـصَّـبـايـا الـنَّـضـيـرَةْ

ويُـرابـي بـالـبـائِـسـاتِ وراءَ الْـ
ـحَـيِّ والـهـيْـنَـمـاتُ تُـخْـفِـي نَـكِـيـرَهْ

واحْـتَـمَـى بـالـصَّـلاةِ لـم يَـدنُ مِـنْـهُ
بَـصَـرُ الـحـيِّ أو ظُـنـونُ الـبـصِـيـرَةْ

فـانـثـنـى لـيـلـةً كـمـا يَـخْـبِـطُ الـمَـخْـ
ـمُـورُ فـي الـوَحْـلِ، والـسَّـمـاءُ مَـطـيـرَةْ

قَـلِـقـاً تـجـرحُ الـفـراغَ خـطـاهُ
وهـو يُـصْـغـي إلـى خُـطَـاهُ الـحَـسـيـرَةْ

وصَـفِـيـرُ الـسُّـكـونِ يـنـفـخُ أُذنَـيْـهِ
فـيـرتـابُ، يَـسْـتـعـيـدُ صَـفـيـرَهْ

وتَـمـادى تَـنَـهُّـدُ الـجـوِّ حـولَـيْـهِ
ووَالـى شَـهِـيـقَـهُ وزَفِـيـرَهْ

ورَمـى خـلـفَـهُ وبـيـنَ يـديـهِ
عـاصِـفَـاً أدْمَـتِ الـبـروقُ هَـدِيـرَهْ

وعـلـى الـمُـنْـحَـنـى حُـفـيـرَةُ صَـخْـرٍ
جـاءَهـا فـانْـطَـوَتْ عـلـيـهِ الـحـفـيـرةْ

وهُـنـاكَ انـتـهـى أو انْـقَـضَّـتِ الـجِـنُّ
عـلـيـهِ كـمـا تـقـولُ الـعَـشِـيـرَةْ

زعـمـوه كـأنْ يـصـيـحُ مـن الـصَّـخـر
ويَـرجـو أصـداءَهُ أن تُـجِـيـرَهْ

لـسـتُ أدري كـيـفَ انـتـهـى؟ مـاتَ يَـوْمـاً
ورَمَـى عِـبْـئَـهُ عـلـيـنـا ونِـيـرَهْ

***

فَـتَـبـنَّـى الـضَّـيـاعُ طِـفْـلاً كـسِـيـحـاً
وأنـا، والأَسَـى وأُمّـاً فَـقِـيـرَةْ

فـسـهـرنـا نَـشْـقـى ونَـسْـتَـرجِـعُ الأمـسَ
ونـبـكـي أبـي ونـرويـهِ سِـيـرَةْ

كـانَ يَـشْـرِي الـحُـظـوظَ مـن أُمّ يـحـيـى
كُـلَّ يـومٍ كـانَـتْ لـهُ كـالـمُـشِـيـرَةْ

كـانَ يَـمْـتَـدُّ هـاهُـنـا كُـلَّ لـيـلٍ
وهـنـا يَـرتـمـي قُـبـيـلَ الـظَّـهِـيـرَةْ

***

كُـنْـتُ فـي مِـحْـنَـتـي كـزَنـبـقـةِ الـرَّمـلِ
أُعـانـي جـفـافَـهُ وهـجـيـرَهْ

فـأَشَـرْتُـمْ إلـيَّ بـالـمُـغـريـاتِ الـ
ـخُـضْـرِ والـبـيـضِ، والـوعـودِ الـغـزِيـرَةْ

ومَـلأْتُـم يـدي وأشْـعَـلْـتُـمُـونـي
شـمـعـةً فـي دُجـى الـخـطـايـا الـضَّـرِيـرَةْ

وعلى رُغمِ عفَّتي، رُغمَ أُمِّي
وأبي عُذتُ مُومساً سكِّيرَةْ

ولَهوْنا حيناً وأشتَى رَبيعي
فَتَعرَّيتُ أرتَدي زَمْهريرَهْ

وانصَرَفتمْ عنِّي.. أمَا كُنتُ يوماً
عِندكم منيةَ الحياةِ الأثيرَة؟

وزَعمتُمْ بأنَّني كُنتُ وَحلاً
آدمِيّاً.. أمَا شَرِبتُمْ عَصِيرَهْ؟

وأشَغتُمْ في الحيِّ أنِّيَ شرٌّ
يَتَفادى دُنوَّهُ ونذيرَهْ

فتوقَّى حتَّى خيالَ وجودي
وهو حَيٌّ على الحياةِ جَريرَهْ

* *

كيفَ أبقى هنا وأنصافُ ناسٍ
جيرَتي، ليسَ لي رِفاقٌ وجِيرَةْ

وغَدِي رهبةٌ ويومي انتحارٌ
واحتقارٌ، والأمسُ ذِكرى مَريرَةْ

وهنا حَيُّنَا خُطَاهُ إلى الأمسِ
وأمجادُهُ عِظَامٌ نَثيرَةْ

دفنَ الأمس جُثَّةً مِنْ دَنايا
وانثَنى يَستعيرُ مِنْها مَصِيرَهْ

فهو حَيٌّ مِنَ الجليدِ المدَمَّى
يَجتبي لِصَّهُ ويَجفو خَفيرَهْ

يَـدَّعـي الـمـجـدَ وهـو مـقـبـرةٌ تـهـ
ـتـزُّ خـلـفَ الـتُّـرابِ وهْـيَ قَـريـرَةْ

يَـزْدريـنـي وَحْـدي وإنّـي وإيّـاهُ
ضـحـايـا شُـرورِهِ الـمُـسْـتَـطِـيـرَةْ

يَـزْدرِيـنـي وتَـوْبـتَـي وحـنـانـي
فـوقَ أهـدابِـهِ صـلاةٌ مُـنِـيـرَةْ

هـل أُنـادِي الـضَّـمـيرَ والـخُـلْـقَ فـيـهِ؟
لـم أجـدْ فـيـهِ خُـلْـقَـهُ أو ضَـمِـيرَهْ

* * *

أيُّـهـا الآكِـلُـونَ عِـرضِـي لأنّـي
كـنـتُ أُلـعـوبـةً لـديـكُـمْ أسِـيـرَةْ

حَـقَّـرونـي يـا دُوْدُ لـو لَـمْ تَـكـونـوا
حُـقَـرَاءَ مـا كُـنْـتُ يـوَمـاً حَـقِـيـرَةْ

لا تَـقـولـوا: كـانَـتْ بَـغِـيّـاً، أمَـا الـفُـجّـ
ـارُ كُـثْـرٌ والـفَـاجِـرَاتُ كـثـيـرَةْ؟

لـسـتُ وحـدي، كَـم الـبَـغَـايـا ولـكِـن
تـلـكَ مَـغْـمـورَةٌ وهٰـذي شـهِـيـرَةْ

صَـدِّقـونـي إنْ قُـلـتُ فـي دُورِكُـمْ مـثـلـي
فَـلَـسْـتُ الأُولَـى ولـسـتُ الأخِـيـرَةْ

كُـلُّ حـسـنـاءَ زهـرةٌ.. هـل يَـرُدُّ الـزّ
هـرُ عـنـهُ حـتّـى الـذُّبـابَ الـمُـغِـيـرَةْ؟

* * *

لا ارتِداد

5/ 1/ 1383هـ ـ 28/ 5/ 1963م

الـدَّربُ شـيـاطـيـنٌ فـرَحَـى زُمَـرٌ تَـهْـذي مَـرَحـى مَـرَحـى
وتَـخـوضُ الـدَّرب فـتـسـلـبُـهُ رُؤيـاهُ أَعْـيُـنَـهُ الـقَـزَحَـى
وتُـحَـوِّلُ هَـجْـعَـةَ تُـربـتِـهِ تَـسْـهِـيداً، ولَـيالِـيه جَـرْحَـى
وتـعُـبُّ دَمـاً وتَـمُـجُّ دَمـاً ومُـداها تَـرتـجِـلُ الـذِّبْـحَـا
والـشُّـهبُ حنينٌ مَضلوبٌ ظَـمْـآنٌ يـجـتـرعُ (الـمِـلْـحَـا)
فَـتَـئِـنُ الـرِّيـحُ تُـمـازِحُـهُ وتُـلَـوِّنُ أُذْنـاهُ الـمَـزْحَـا
والآفَـاقُ الـوَسْـنَـى وَرَقٌ مُـحِـيـثٌ، أو أوراقٌ تُـمـحَـى
والـحَـيُّ سُـكـونٌ مُـصـفَـرٌّ كـخـطـايا تَـسْـتَـجـدِي الـصَّـفْـحَـا
وتـمـوتُ الـشَّـكـوى فـي فَـمِـهِ فـيُـكَـلِّـفُ رعْـشَـتَـهُ الـبَـوْحـا
إصـغـاءٌ لـم يـسـمـع شَـدْواً غَـنَّـاهُ ولـم يَـذْكُـرْ نَـبـحـا
صـمْـتٌ، إغْـفَـاءٌ، ثَـلْـجِـيٌّ لم يلْمَحْ في الـحُـلْـمِ الصُّبْحَا
فـتَـثَـاءب حـولَـيْـهِ جَـبـلٌ وتَـنَـهَّـدَ فـاجْـتَـرَّ الـسَّـفْـحـا
وتَـلَـظَّـى دَمُـهُ فـامْـتَـدَّتْ كـالـجُـذوةِ قـامَـتُـهُ الـسَّـمْـحـا
وتَـسـلَّـقَـتِ الأطـيـافُ إلـى عَـيْـنَـيْـهِ تَـقْـتَـبِـسُ الـلَّـمْـحـا

فَـرنَـا والـظُّـلْـمَـةُ مِـشْـنـقَـةٌ بِـجـراحِ الأَنْـجُـمِ مُـبـتَـلَّـةْ
ودُخَـانٌ عِـمـلاقٌ يُـرْخـي فـوقَ الـتِّـيـهِ الـعـانـي ظِـلَّـهْ

وَيـروعُ الـحُـلْـمُ فـبـاغَـتَـهُ تَـيَّـارُ الـصَّـحْـوِ عـلـى غَـفْـلَـة
وتَـلَـوَّى حـيـنـاً فـي دَمِـهِ وهَـوَى أشْـلاءً مُـنـحَـلَّـة
وتـعـالَـتْ أحـلامُ الـوادي تُـومِـي كـعـنـاقـيـدِ الـنَّـخْـلَـة
وأفـاقَ ثَـرَاهُ كـمـوعُـودٍ بـالـمـوتِ، أبَـلَّ مِـنَ الـعِـلَّـة
وتَـمَـطَّـى يَـبْـدأُ مِـيـلاداً خِـصْـبـاً نـيْـسَـانِـيَّ الـحُـلَّـة
واهـتَـزَّ كـأسْـخَـى مَـزْرعـةٍ حُـبْـلَـى تـتـمـخَّـضُ بـالـغَـلَّـة
وافْـتَـرَّ وبَـاحَـتْ شَـفَـتَـاهُ لـلـبَـيْـدَرِ بُـشْـرَى مُـخْـضَـلَّـة
ومُـنـىً كـتَـبَـسُّـمِ زَنْـبـقَـةٍ فـتَـحـتْ شـفَـتَـيْـهَـا لـلـنَّـحـلَـة
وأعـادَ الـجـوُّ حِـكـايـتَـهُ كـحدِيـثِ الـطِّـفـلِ إلـى الـطِّـفـلَـة
وكَـغُـنْـجِ الـوَغْـدِ عـلـى ثَـغْـرٍ خَـمْـرِيٍّ يَـسْـتَـهـوي الـقُـبْـلَـة
وأسـالَ الـجـوُّ مـبـاهِـجَـهُ كـالـشـلَّالاتِ الـمُـنْـهـلَّـة
وغَـلَـى فـي الـثَّـلـجِ دمٌ حـيٌّ فـأحـالَ بُـرودَتَـهُ شُـغْـلَـة

* * *

وامـتـدَّ عـمـوداً جَـمْـرِيّـاً واخـمـرَّ بِـعـيْـنَـيْـهِ الأَزَقُ
مـاذا؟ مَـنْ أذْكـى الـرَّمـلَ هُـنـا؟ فَـهَـفَـا يَـخْـضَـرُّ ويَـنْـطَـلِـقُ
وتَـنَـادَى الـتُّـرْبُ فـمَـقْـبـرةٌ تَـذْوِي ورَمَـادٌ يَـحْـتَـرِقُ
وهُـنـا احـتـشـدَ الـعـدَمُ الـغَـافي كـالـصَّـيْـفِ يـفُـوحُ ويـأتَـلِـقُ
يَـلِـدُ الـمـيـعـادُ بِـجَـبْـهَـتِـهِ تَـارِيـخـاً يُـبْـدِعُـه الـعَـرَقُ
ويُـوشِّـحُـهُ أُفُـقٌ صـحْـوٌ بـالـدِّفْءِ، ويـحْـضُـنُـهُ أُفُـقُ
وتَـوالَـى مَـوْكِـبُـهُ الـشَّـادي فَـتَـغَـنَّـت وازْدَهَـتِ الـطُّـرُقُ
وتَـعَـنْـقَـدَتِ الـشُّـهُـبُ الـسَّـكْـرَى بِـيَـدَيْـهِ واخْـضَـرَّ الـشَّـفَـقُ
يَـمْـضِـي يَـجْـتَـرُّ مَـوَاسِـمَـهُ ويُـزَغْـرِدُ حَـوْلَـيْـهِ الـعَـبَـقُ
ويُـجَـنِّـحُ فَـجْـراً مِـغْـطَـاءً يـنْـصَـبُّ وفَـجْـراً يَـنْـبَـثِـقُ

فـتـغـيـمُ هُـنَـالِـكَ أَسْـئِـلـةٌ (تَـلْـغـو): هـل يَـرْتَـدُّ الـغَـسَـقُ؟
وتَـهُـزُّ بَـقِـيَّـةَ أشْـبَـاح تَـطْـفُـو فَـيُـرَسِّـبُـهـا الـغَـرَقُ
وتُـزَوِّرُ بَـوْحَـاً مَـسْـلُـولاً بِـسُـعَـالِ الـدَّغْـوى يَـخْـتَـنِـقُ
فَـتَـضِـجُّ الـرَّبْـواتُ الـجَـذْلَـى لـم يَـخْـفِـقْ فـي الـمَـوْتَـى الـرَّمَـقُ

◎◎◎

فارس الآمال

ذو القعدة سنة 1381هـ
على ذكرى الشهيد عبد الله اللُّقَيَّة

أخــي أدعــوكَ مِــنْ خــلــفِ اتِّــقَــادي
وأبــحــثُ عَــنْ لــقــائِــكَ فــي رمــادي

ويَــنْــطِــبــقُ الــحــريــقُ عــلــيَّ قَــبْــراً
فــيَــمْــضَــغُــنِــي ويَــغْــيَــا بــازْدِرَادي

وأحْــيَــا فــي انْــتِــظَــارِكَ نِــصْــفَ مَــيْــتٍ
ورائِــحَــةُ الــرَّدى مــائِــي وزَادي

وأرْقُــبُ (فــارِسَ الآمــالِ) حــتَّــى
إخــالُ إزايَ حَــمْــحَــمَــةَ الــجِــيَــادِ

وتَــزْفُــعُــنــي إلــيــكَ رُؤى ذُهُــولــي
فــتَــتَّــكِــئُ الــنُّــجُــومُ عــلــى وِسَــادي

وأهْــوي عــنــكَ أصــفــعُ وجْــهَ حَــظِّــي
وأُعْــطِــي كُــلَّ (جِــنْــكِــيــزٍ) قِــيَــادي

وعــاصِــفَــةُ الــوَعــيــدِ تَــهُــزُّ حَــوْلــي
يَــدُ (الــحَــجَّــاجِ) أَوْ شِــدْقَــيْ (زِيــادِ)

فــتَــخْــفِــقُ مِــنْــكَ فــي جُــدرانِ كــوخــي
طُــيُــوفٌ كــالــمــصــابــيــحِ الــهــوادي

فَـتَـشْـدُو كُـلُّ زَاوِيَـةٍ ورُكْـنِ
ويُـبْـدِعُ عـازِفٌ ويـجِـيـدُ شَـادي

ويـلـمـعُ وهْـمُ خَـطْـوِكَ فِـي الـرَّوَابـي
فَـتَـرْقُـصُ كـالـجَـمِـيـلاتِ الـخِـرادِ

ويَـجـمـعُ جِـيـرَتِـي فَـرَحُ الـتَّـلاقـي
ويـخْـتـلِـطُ احـتـشـادٌ بـاحـتـشـادِ

ويَـظْـمَـا الـشَّـوْقُ فـي عـيـنـيْ (سَـعِـيـدٍ)
فَـيَـنْـدى الـوَعْـدُ مِـنْ شَـفَـتَـيْ (سُـعـادِ)

وتـعـوي الـرِّيـحُ تَـنْـثُـرُ وَسْـوَسَـاتِـي
وُرَيْـقـاتٍ تَـحِـنُّ إلـى الـمِـدَادِ

وتَـخْـنُـقُ حُـلْـمَ جِـيـرَانِـي وحُـلْـمِـي
وتَـسْـلُـبُ حـيَّـنـا صَـمْـتَ الـحِـدادِ

ويَـخْـتَـرِقُ الـطَّـرِيـقُ إلـيـكَ شَـوْقـاً
فَـتُـطْـفِـئُـهُ أعَـاصِـيـرُ الـعَـوَادي

وتَـقْـبِـرُ فِـيـهِ قـافِـلَـةَ الأمـانِـي
وتُـرْدِي الـصَّـوتَ فـي فـمِ كُـلِّ حـادي

* * *

ويـسـألُ هـل تَـعـودُ إلـى حِـمـانـا؟
فـتَـسْـعـدُ سُـمَّـرٌ ويُـضِـيءُ نـادي

مَـزَارِعُـنَـا إلـى لُـقْـيـاكَ لَـهْـفَـى
وبَـيْـدَرُنـا يَـتُـوقُ إلـى الـحَـصَـادِ

أتَرْحَلُ تستفِزُّ الفجرَ حتَّى
شَقَقْتَ دُجَاهُ. تُبْتَ عنِ المَعَادِ

أتأْبَى أنْ تعودَ ألاَ تُلَبِّي
نِدائي هل دريتَ مَنِ المُنادي؟

سُؤالٌ عنكَ يحفِرُ كُلَّ تلٍّ
ويَسْبِرُ عنكَ أغوارَ الوِهادِ

أُفتِّشُ عنكَ أطيافَ العَشايا
وأهدابَ النُّسيماتِ الغوادي

وتَنْأى عَنْ مدى ظَنِّي فأمْضِي
إليكَ على جناحٍ مِنْ سُهادِ

وأهْمِسُ أينَ أنتَ؟ وأيُّ تُرْبٍ
نما واخْضَرَّ مِنْ دَمِكَ الجَوَادِ

أيسألُكَ النِّضالُ دَماً شهيداً
فتَسقيهِ وأنتَ تموتُ صَادي؟

أجِبْ حدّثْ فلَمْ يُخمِدْكَ قَتْلٌ
فأنتَ الحَيُّ والقَتْلى الأعادي

أُحِسُّكَ في بَرَاءةِ كُلِّ حَيٍّ
صِباً وأُحِسُّ نَبْضَكَ في الجَمادِ

وأشْتَمُّ اختِلاجَ صَدَاكَ حَوْلِي
يُمَنِّيني ويَغْبِقُ في فُؤادي

فــأدنــو مِــنْ نَــجِــيــعــكَ أَضْــطَــلِــيــه
وأُشْــعِــلُ مِــنْ تَــلَــظِّــيــهِ اعــتــقــادي

* * *

أتــســألُ كــيــفَ جِــئْــتُ إلــيــكَ إنّــي
أُفــتِّــشُ فــي دمــائِــكَ عــن بِــلادي؟

وأنْــضَــحُ مِــنْ شــذاهــا ذِكــريــاتــي
وأقــبِــسُ مِــنْ تــحــدِّيــهــا عِــنــادي

أتَــأبــى أن تُــجــيــبَ؟ ومَــنْ يُــحــلِّــي
بِــغَــارِ الــنَّــصــرِ هَــامــاتِ الــجــلادِ؟

وهــل أرتَــدُّ عــنــكَ بِــلا رَجــاءٍ؟
يُــعــاتِــبُــنــي ويُــخــجِــلُــنــي ارْتــدادي؟

أتَــدْرِي أنَّ خــلــفَ الــطِّــيــنِ شَــعــبــاً
مِــنْ الــغِــربــانِ يَــفــخــرُ بــالــسَّــوادِ؟

يَــمــوتُ تــوانِــيــاً ويــعــيــشُ وَهــمــاً
بِــلا سَــبَــبٍ بِــلا أدنــى مُــرادِ

يــســيــرُ ولا يــســيــرُ. يُــبــيــدُ عــهــداً
ويــأكــلُ جِــيــفَــةَ الــعَــهــدِ الــمُــبــادِ

يــبــيــعُ ويَــشــتــرِي بــالــغَــبْــنِ غَــبْــنــاً
ويــجــتَــرُّ الــكَــســادَ إلــى الــكَــســادِ

وتَــهْــدي خــطْــوَهُ جُــثَــثٌ كُــســالــى
تُــفِــيــقُ مِــنْ الــرُّقَــادِ إلــى الــرُّقَــادِ

تُعِيدُ تَناؤباً أو تَبتَدِيهِ
كأسمارِ العَجائزِ في البَوادي

* * *

(أعبدَ اللَّهِ) كم يُشقيكَ أنَّا
ضحايا العَجزِ أو صَرعى التَّمادي؟

أيَنبِضُ في ثَراكَ الشَّعبُ يوماً
فتورِقُ رَبْوةٌ ويَرِفُّ وادي

وتَعتَنِقُ الأُخُوَّةُ والتَّصافي
ويَبتَسِمُ الوَدادُ إلى الوَدادِ

رحلْتُ إليكَ أسْتَجْدِي جواباً
وأسْتَوْحِيكَ مَلْحَمةَ الجِهادِ

يـوم المفاجأة

كانت هذه القصيدة أغنية ترحيب بالرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة زيارته المفاجئة للجمهورية العربية اليمنية في 11 ذي الحجة سنة 1383هـ الموافق 23 أبريل سنة 1964م.

جـمـالٌ! أَيـأتِـي؟ أَجَـلْ، ربَّـمَـا
وَتَـسْـتَـفْـسِـرُ الأُمْـنِـيَـاتُ الـسّـمَـا

أَيـأتـي؟ وَيَـرنُـو الـسُّـؤَالُ الـكَـبِـيـرُ
يُـزَغْـرِدُ فِـي مُـقْـلَـتَـيْـهِ الـظَّـمَـا

فَـيُـخْـبِـرَهُ الـحُـلْـمُ إخْـبـارَ طِـفْـلٍ
يَـروضُ عـلـى اسْـمِ أَبِـيـهِ الـفـمـا

وَفـي أيِّ حِـيـنٍ؟ وَصَـاحَ الـبَـشِـيـرُ
فَـجَـاءَتْ إلَـيْـهِ الـذُّرَا عُـوَّمَـا

وَأَرْخَـى عَـلَـيْـه الـضُّـحَـى صَـحْـوَهُ
وَدَلَّـى سَـوَاعِـدَهُ سُـلَّـمَـا

وَحَـيَّـاهُ شَـعْـبٌ رأى فِـي الـشُّـرُوقِ
جَـنَـى الـحُـلْـمِ مِـنْ قَـبْـلِ أَنْ يَـحْـلُـمَـا

فَـأَيُّ مُـفَـاجَـأَةٍ بَـاغَـتَـتْـهُ
كَـمَـا تَـفْـجَـأُ الـفـرحـةُ الأَيِّـمَـا؟

فَـمَـادَ رَبِـيـعٌ عَـلَـى سَـاعِـدَيْـهِ
وَفَـجْـرٌ عَـلَـى مُـقْـلَـتَـيْـهِ ارْتَـمَـى

وَلَبَّى الهُتَافُ المُدَوِّي هُنَاك
هُتَافاً هُنا، وَهُنَا مُفْعَمَا

يُلَبِّي وَيَدْعُو فَيَطْغَى الضَّجِيجُ
وَيَعْلو الصَدَى يَغْزِفُ الأَنْجُمَا

تُثِيرُ الجَمَاهِيرُ فِي جَوِّهِ
مِنَ الشَّوْقِ أجْنِحَةً حُوَّمَا

وتَسألُ فِي وَجْهِهِ مَوْعِداً
خَصيباً وتَسْتَعْجِلُ المَوْسِمَا

وَتَحْدُو غداً فَوْقَ ظَنِّ الظُّنُونِ
وَأوْسَع مِنْ أُمْنِيَاتِ الحِمَى

* * *

جَمَالٌ! فَكُلُّ طَرِيقٍ فَمٌ
يُحَيِّي وأَيْدٍ تَبُثُّ الزَّهَرْ

تَرَامَتْ إلَيْهِ القُرَى والكُهُوف
تُوَلِّي جُمُوعٌ وَتَأْتِي زُمَرْ

وَهزَّتْ إلَيهِ حُشُودُ الحِسَانِ
مَنَاديلَ مِنْ ضَحِكَاتِ القَمَرْ

وَلاَقَتْهُ (صَنْعَاءُ) لُقْيَا الصِّغَار
أباً عَادَ تَحْتَ لِوَاءِ الظَّفَرْ

تُلاَمِسُهُ بِبَنَانِ اليَقِينِ
وَتَغْمِسُ فِيهِ ارْتِيَابَ البَصَرْ

وَتَــهْــمِــسُ فِــيْ صَــخَــبِ الـبُـشْــرَيَــات
أَهٰــذَا هَــوَ الــقَــائِــد الــمُــنْــتَــظَــرْ؟

أَرَى خَــلْــفَ بَــسْــمَــتِــهِ (خَــالــداً)
وَأَلْــمَــحُ فِــي وَجْــنَــتَــيْــهِ (عُــمَــرْ)

وَتَــدْنُــو إِلَــيْــهِ تُــنَــاغِــي الــمُــنَــى
وَتَــشْــتَــمُّ فــي نَــاظِــرَيْــهِ الــفِــكَــرْ:

أَهٰــذَا الَّــذي وَسِــعَــتْ نَــفْــسُــهُ
هَــوَى قَــوْمِــهِ وَهُــمُــومَ الــبَــشَــرْ؟

أَطَــلَّ فَــأَوْمَــا انــتِــظَــارُ الــحُــقُــولِ
وَمَــاجَ الــحَــصَــى وَاشْــرَأَبَّ الــحَــجَــرْ

وَهَــنَّــأَتِ الــرَّبْــوَةُ الــمُــنْــحَــنَــى
وَبَــشَّــرَتِ الــنَّــسْــمَــةُ الــمُــنْــحَــدَرْ

وَأَخْــبــرَ (صِــرواحُ) عَــنْــهُ الــجِــبَــالَ
فَــأَوْرَقَ فِــي كُــلِّ نَــجْــمٍ خَــبَــرْ

وَأَشْــرَقَ فِــي كُــلِّ صَــخْــرٍ مَــصِــيــفٌ
يُــعَــنْــقِــدُ فِــي كُــلِّ جَــوٍّ ثَــمَــرْ

* * *

وَأَعْــلَــتْ زُنُــودُ الــرُّبَــا وَحْــدَةً
سَــمَــاوِيَّــةَ الأُمِّ طُــهْــرَ الأَبِ

نَــمَــتْــهَــا الــمُــرُوءاتُ فِــي (مَــأْرِبٍ)
وَأَرْضَــعَــهَــا الــوحــيُ فِــي (يَــثْــرِبِ)

وَغَنَّى عَلَى صَدْرِهَا شَاعِرٌ
وَصَلَّى عَلَى مِنكَبَيْهَا نَبِي

ورَدَّدهَا الشَّرْقُ أُغْرُوْدَةً
فَعَبَّ صَدَاهَا فَمُ المَغْرِبِ

وَدَارَتْ بِهَا الشَّمْسُ مِنْ مَوْسِمٍ
سَخِيٍّ إلى مَوْسِمٍ أَطْيَبِ

إلَى أَنْ غَزَتْهَا سُيُولُ التَّتَارِ
وَرَنَّحَهَا العَاصِفُ الأَجْنَبِي

تَهَاوَتْ وَرَاءَ ضَجِيجِ الفَرَاغِ
تُفَتِّشُ عَنْ أَهْلِهَا الغُيَّبِ

وَتَبْحَثُ عَنْ دَارِهَا فِي الطُّيُوفِ
وَتَسْتَنْبِئُ اللَّيلَ عَنْ كَوْكَبِ

وتَحلُمُ أَجْفَانُهَا بالكَرَى
فَتَخْفِقُ كالطَّائِرِ المُتْعَبِ

هُنَاكَ جَثَتْ فِي اشْتِيَاقِ المَعَادِ
تُحَدِّقُ كالمُوثَقِ المُغْضَبِ

فَتَلْحَظُ خَلْفَ امْتِدادِ السِّنينَ
عَلَى زُرْقَةِ (النِّيلِ) وَعْداً صَبِي

تَمُرُّ عَلَيْهِ خَيالاتُ (مِصْرَ)
مُرُورَ الغَوانِي عَلَى الأَعْزَبِ

رَأَتْ فَــمَــه بُــزعُــمــاً لا يَــبُــوحُ
وَنَـيْـسـانُ فــي قَـلْـبِـهِ مُـخْـتَـبـي

❊ ❊

وَكــانَ انْـتـظــاراً فَـحَـنَّـتْ إِلَـيْـهِ
حَـنِـيـنَ الـوَلِـيـدِ إِلـى الـمُـرْضِـعَـةْ

وَدارَتْ نُـجُــومٌ وعــادَتْ نـجـومٌ
وَأَهْـدابُـهـا تَـرْتَـجـي مَـطْـلَـعَـهْ

وكـانَـتْ تُـواعِـدُهـا الأُمْـسِـيـاتُ
كَـمـا تَـعِـدُ الـبِـيـدرَ الـمَـزْرعَـةْ

ولاقَـتْـهُ يَـومـاً وَكـانَ اسْـمُـهُ
(جَـمـالاً) فـلاقَـتْ صِـبـاهـا مَـعَـهْ

هُـنـا لاقَـتِ الـوحـدةُ ابْـنـاً يَـسـيـرُ
فَـتَـمْـشي الـدُّنـا خَـلْـفَـهُ طَـيِّـعَـةْ

وَمَـهْـداً صَـبُـوراً سَـقـاهـا الـنِّـضـالَ
فـأهْـدَتْ إلـى الـمُـغْـتَـدي مَـضْـرَعَـهْ

غَـذاهـا دَمُ (الـنِّـيـلِ) خِـصْـبَ الـبَـقـاء
وَلَـقَّـنَـهـا الـفِـكْـرَةَ الـمُـبْـدِعَـةْ

وَعَـلَّـمَـهـا مِـنْ عَـطـايـا حَـشـاهُ
وَكَـفَّـيْـهِ أَنْ تَـبْـذُل الـمَـنْـفَـعَـةْ

وَمِـنْ جَـوِّه رفـرفـاتِ الـحَـمـامِ
وَمِـنْ رَمْـلِـه طَـفْـرةَ الـزَّوْبَـعَـةْ

وَقَطَّرَها في خدودِ النُّجُوم
صلاةً وأغنِيةً مُمْتِعَةْ

وَأَطْلَعَ للغُزبِ أقْباسها
شموساً بِصَحْوِ المُنَى مُشْبَعَةْ

هُناكَ أَفَقْنا عَلَى وَحْدَةٍ
يَمُدُّ الخُلُودُ لَها أَذْرُعَهْ

فَصارَتْ مَبادِئُنا في السَّلام
وَأَلْوِيةَ النَّصْرِ في المَعْمَعَةْ

❁ ❁ ❁


مدينة الغد


الناشيء

فاتحة

18/ 3/ 1968م

يا صمتُ ما أحناكَ لو تستطيعْ
تألُّفني، أو أنني أستطيعْ

لكنَّ شيئاً داخلي يلتظي
فيخفقُ الثلجُ، ويظمَا الربيعْ

يبكي، يُغنّي، يجتدي سامعاً
وهو المُغنّي والصدى والسميعْ

يهذي فيجثو الليلُ في أضلُعي
يشوي هزيعاً، أو يُدمّي هزيعْ

وتطبخُ الشُّهْبُ رمادَ الضُّحى
وتطحنُ الريحُ عشايا الصَّقيعْ

ويلهثُ الصبحُ كمهجورةٍ
يجتاح نهدَيْها خيالُ الضجيعْ

* * *

شيءٌ يناغي، داخلي يشتهي
يزقو، يدوِّي كالزحامِ الفظيعْ

يدعو، كما يدعو نبيٌّ، بلا
وعيٍ، وينجرُّ انجرارَ الخليعْ

فـيـغـتـلـي خـلـفَ ذبـولـي فـتـىً
ويـجـتـدي شـيـخٌ، ويـبـكـي رضـيـعْ
يـجـوعُ حـتـى الـصـيـفِ يـنـسى الـنـدى
مـعـيـادَهُ، يـهـمـي شـهـيـقُ الـنـجـيـعْ
ويـركـضُ الـوادي، وتـحـبـو الـرُّبـا
ويـهـربُ الـمـرعـى، ويَـغْـيـا الـقـطـيـعْ
مـا ذلـك الـحِـمْـلُ الـذي يـحـتـسـي
خـفـقـي، ويـعـصـي ذاهـلاً أو يُـطـيـعْ
يـشـدو فـتـرتـدُّ لـيـالـي الـصِّـبـا
فـجـراً عـنـيـداً، أو أصـيـلاً وديـعْ
وتـحـبـلُ الأطـيـافُ تَـجْـنَـى[1] الـرؤى
ويـولـدُ الآتـي ويـحـيـا الـصـريـعْ
فـتـبـتـدي الأشـتـاتُ فـي أحـرفـي
ولادةً فـرْحـى، وحـمـلاً وجـيـعْ

* * *

هـذه الـحـروفُ الـضـائـعـاتُ الـمَـدى
ضـيَّـعـتُ فـيـهـا الـعـمـرَ، كـي لا تـضـيـعْ
ولـسـتُ فـيـمـا جـئـتـهُ تـاجـراً
أُحِـسُّ مـا أشـري ومـاذا أبـيـعْ
إلـيـكـهـا يـا قـارئـي إنـهـا
عـلـى مـآسـيـهـا عَـذابٌ بـديـعْ

(1) تجنى: تدخل موسم الإثمار.

مدينةُ الغد

صنعاء 30 يونية سنة 1967م

مـــن دهـــورٍ وأنـــتِ ســـحـــرُ الـــعـــبـــارةْ
وانـــتـــظـــارُ الـــمُـــنـــى وحـــلـــمُ الإشـــارةْ

كـــنـــتِ بـــنـــتَ الـــغـــيـــوب دهْـــراً فـــنـــمَّـــت
عـــن تـــجـــلِّـــيـــكِ حـــشـــرجـــاتُ الـــحـــضـــارةْ

وتـــداعـــى عـــصـــر يـــمـــوتُ لـــيـــحـــيـــا
أو لـــيـــفـــنـــى، ولا يُـــحـــس انـــتـــحـــارَهْ

جـــانـــحـــاه فـــي مـــنـــتـــهـــى كـــلِّ نـــجـــم
وهـــــواهُ، فـــــي كـــــلِّ ســـــوقٍ تـــــجـــــارةْ

بـــاعَ فـــيـــه تـــأَلُّـــهُ الأرضِ دعـــواهْ
وبـــاعـــت فـــيـــه الـــصـــلاةُ الـــطَّـــهـــارةْ

أوَمـــا تـــلـــمـــحـــيـــنَـــهُ كـــيـــف يَـــغـــدو
يـــطـــحـــنُ الـــريـــحَ والـــشَّـــظـــايـــا الـــمُـــثـــارةْ

* * *

نَـــمَّ عـــن فـــجـــرِكِ الـــحـــنـــونِ ضـــجـــيـــجٌ
ذاهـــلٌ يـــلـــتـــظـــي ويـــمـــتـــص نـــارَهْ

عـــالـــمٌ كـــالـــدَّجـــاجِ، يـــعـــلـــو ويـــهـــوي
يـــلـــقُـــطُ الـــحَـــبَّ مِـــن بـــطـــونِ الـــقـــذارةْ

ضيَّعَ القلب، واستحال جذوعاً
ترتدي آدميَّةً مستعارةْ

* * *

كلُّ شيءٍ وشى بميلادِك المَوْ
عودِ واشْتَمَّ دفئَهُ واخضرارَه
بشَّرتْ قريةٌ بلقياكِ أخرى
وحكت عنكِ نجمةٌ لمنَارةْ
وهذتْ باسمكِ الرؤى فَتَنادتْ
صيحاتُ الديوكِ من كلِّ قارةْ
المدى يستحمُ في وعدِ عينيْكِ
وينسى في شاطِئيْه انتظارَهْ
وَجِباه الذُّرا مرايا تجلَّت
من ثُريَّاتِ مقلتَيْكِ شرارةْ

* * *

ذاتَ يومِ ستُشرقين بلا وَعْـ
ـدٍ، تعيدين للهشيمِ النَّضارةْ
تزرعين الحنانَ في كلِّ وادٍ
وطريقٍ، في كُلِّ سوقٍ وحارةْ
في مدى كلِّ شرفةٍ، في تمنّي
كلِّ جارٍ، وفي هوى كلِّ جارةْ
في الروابي حتى يعي كلُّ تلٍّ
ضَجر الكهفِ واصطبارَ المغارةْ

* * *

سوف تأتين كالنبوءاتِ، كالأمـ
ـطارِ، كالصَّيفِ، كانثيالِ الغضارةْ

تَملأين الوجودَ عدلاً رخِيّاً
بعد جورٍ مدجَّجٍ بالحقارةْ

تحشُدين الصفاءَ في كلِّ لمسٍ
وعلى كلِّ نظرةٍ وافترارَةْ

تلمسين المُجندلين فَيغدو
ن، تُعيدين للبغايا البكارَةْ

وتصوغين عالماً تُثمر الكُثْـ
ـبانُ فيه، ترفُّ حتى الحجارةْ

وتعفُّ الذئابُ فيهِ، وينسى
جبروتُ السِّلاحِ فيهِ المهارةْ

العشايا فيه، عيونٌ كَسالى
واعداتٌ، والشمسُ أشهى حرارةْ

لخطاهُ عبيرُ (نيسان) أو أَشْـ
ـذَى، لتحديقه أجدُّ إنارةْ

ولألحانِه شفاهُ صبايا
وعيونٌ تخضرُّ فيها الإثارةْ

أيُّ دنيا ستُبدعين جَناها
وصِباها فوق احتمالِ العبارةْ؟!

❁ ❁ ❁

عـائد

صنعاء سبتمبر 1963م

مَنْ أنتَ؟ واستبقَتْ جوابي: لـهـبٌ يـحـنُّ إلـى الـشـهـابِ
مَـنْ أنـتَ، عـزَّافُ الأسـى والـنـارُ قـيـثـارُ الـعـذابِ
وعـلـى جـبـيـنِـك، قِـصَّـةٌ حَـيْرى، كـديـجـورِ الـيـبـابِ
وخـواطـرٌ، كـهـواجـسِ الْـ إفـلاسِ، فـي قـلـقِ الـمُـرابـي
وأنـا، أتـدري، مـن أنـا؟ قُـلْ لـي، وأسكَرهـا اضـطـرابـي
سلْ تـمـتـمـاتِ الـعـطـرِ هـل (نـيـسـانُ) يـمـرحُ فـي ثـيـابـي؟
مَـنْ هـذه؟ أسـطـورةُ الْـ أحـلامِ، أخـيـلـةُ الـشُّـهـابِ
هـمـسـاتُـهـا الـخـضـرُ الـرِّقـا قُ أشـفُّ مِـن ومـضِ الـسـرابِ
إنـي عـرفـتُـكِ كـيـف أفـ ـرح؟ كـيـف أذهلُ عـن رغـابـي؟
مـن أيـن أبـتـدِئُ الـحـديـ ـثَ؟ وغبتُ في صمتِ ارتيابي
مـاذا أقـولُ؟ وهـل أُفـتِّـ ـشُ عن فمي، أو عن صوابي؟
مَـنْ أنـتِ، أشـواقُ الـضُّـحـى قُـبَـلُ الأصـيـلِ، عـلـى الـهـضـابِ
حـلْـمُ الـمـواسـمِ والـبـلا بـلِ والـنُّـسـيـمـاتِ الـرطـابِ
أُغـرودةُ الـوادي، نـبـوغُ الْـ ـعـنـدلـيـبِ، شـذا الـروابـي
وذهـولُ فـنَّـانِ الـهـوى ورؤى الـصِّـبـا وهـوى الـتـصـابـي
وهـجُ الأغـانـي والـصـدى حُـرقُ الـمـعـازفِ والـرَّبـابِ
لا تـبـعـدي، أَزِسـتْ عـلـى شُـطـآنِـك الـنَّـغـمـى، رِكـابـي
فـدنَـتْ تُـسـائـل مَـنْ رفـا قي في الضياع، ومن صِحابي؟

هـل سـاءلـتـكَ مـديـنـةٌ عـنّـي، وسـهَّـدهـا مُـصَـابـي؟
كـانـت تـرى نـكـبـاتِ أهــلـي فـي شـحـوبـي واكـتـئـابـي
فـتـقـولُ لـي: مـن أيـنَ أنــتَ؟ وتـزدريـنـي بـالـتَّـغـابـي
أنـا مِـن مـغـانـي شـهـر زادَ إلى رُبـا الـصَّـحـوِ انـتـسـابـي
بـي مـن ذوائـبِ (حـدَّةٍ)[1] عـبـقُ الـسـمـاحـةِ والـغـلابِ
وهـنـا أَصَـخْـتُ ووشـوشـاتُ (الـقـاتِ)[2] تُـنـبي بـاقـترابـي
وأظـلَّـنـا جـبـلٌ ذُرا هُ كـالـعـمـالـقـةِ الـغـضـابِ
عـيـنـاهُ مُـتَّـكـأُ الـنـجـومِ، وذيـلُـه طُـرقُ الـذئـابِ
فَـهَـفَـتْ إلـيَّ مـزارعٌ كـمـبـاسـمِ الـغـيـدِ الـكَـعـابِ
وحـنـتْ نـهـودُ الـكـرمِ فـاسترخـتْ لِـلَـمْـسي واحـتـلابي
وسـألـتُ (ريَّـا) والـسـكـونُ يـئـنُّ وَهْـوهـةَ الـكـلابِ
مـاذا؟ أيـنـكـرُ حَـيُّـنـا خـفـقـاتِ خـطـوي وانـسـيـابي؟
إنَّـا تـلاقـيـنـا هـنـا، قـبـل انـتـظـارِكِ واغـتـرابـي
هـل تـلـمـحـيـن الـذكـريـاتِ تـهـزُّ أضـلاعَ الـتـرابِ؟
وطـيـوفَ مـأسـاةِ الـفـراقِ تُـعـيـدُ نـوحَـكِ وانـتـحـابـي
والأمـسُ يـرمـقـنـا وفـي نـظـراتِـه خَـجَـلُ الـمـتـابِ
كـيـف اعـتـنـقْـنـا لـلـوداعِ وبـي مـن اللَّـهـفـاتِ مـا بـي؟!
وهـتـفـتُ: لا تَـتـوجَّـعـي سـأعـودُ، فـارتـقـبـي إيـابـي
ورحـلـتُ وحـدي، والـطـريـقُ دمٌ، وغـابٌ مـن حِـرابِ
فـنـزلـتُ حـيـث دمُ الـهـوى يـجـتـرُّ أجـنـحـةَ الـذُّبـابِ
حـيـث الـبـهـارجُ والـحُـلـى سـلـوى الـقـشـورِ عـن الـلُّـبـابِ

(1) حدَّة: متنزَّه سياحي جنوب صنعاء.

(2) القات: شجر يمضغ فيحدث تأثيراً كقهوة البنّ أو أكثر قليلاً.

فـتـريـن ألـوانَ الـطّـلا ءِ على الصُّدوعِ، على الخرابِ
والـتـسـلـيـاتِ بـلا حسـا بِ، والـمـلالُ بـلا حِـسـابِ
والـجـوُّ مـحـمـومٌ، يـئـنُّ وراء جـدرانِ الـضـبـابِ
كَـمْ كُـنـتُ أبـحـثُ عـن طِـلا بـي حيث ضيَّعني طِلابي
والـيـومَ عُـدتُ، وعـادَ لـي مـرحُ الـحـكـايـاتِ الـعِـذابِ
مـا زلـتُ أذكـرُ كـيـف كُـنَّـا لا نـنـافـقُ أو نُـحـابـي
نُـفـضـي بـأسـرارِ الـغـرامِ إلـى الـمـهـبَّـاتِ الـرِّحـابِ
والـريـحُ تـغـزلُ مـن زهـو ر (الـبُـنِّ)، أغـنـيـةَ الـعـتـابِ
فـتـهـزُّنـا أرجـوحـةٌ مـن خـمـرةِ الـشـفـقِ الـمُـذابِ
وكـمـا تـنـاءَيْـنـا الـتـقـيـنـا نـبـتـدي صـفـو الـشـبـابِ
ونـعـيـدُ تـاريـخَ الـصِّـبـا والـحـبِّ، مـن بـدءِ الـكـتـابِ
أتـريـن كـيـف اخـضـوضـرت لـلـقـائـنـا مُـقَـلُ الـشِّـعـابِ؟
وتـلـفَّـتَ الـوادي إلـيـكِ، وهـشَّ يـسـألُ عـن غـيـابـي
مـا دمـتِ لـي فـكُـوَيْـخُـنـا قـصـرٌ يـعـومُ عـلـى الـسَّـحـابِ
والـشُّـهْـبُ بـعـضُ نـوافـذي والـشَّـمـسُ شُـبَّـاكـي وبـابـي

⁂

امرأةُ الفقيد

أكتوبر 1964م

لِمَ لا تعودُ؟ وعادَ كلُّ مجاهدِ
بُحلى (النقيبِ) أو انتفاخِ (الرائدِ)
ورجعتَ أنتَ، توقُّعاً لَملمتُهُ
من نبضِ طيفِك واخضرارِ مواعِدي
وعلى التصاقِكَ باحتمالي أقلقتْ
عيناي مُضطجعَ الطريقِ الهامدِ
وامتدَّ فصلٌ في انتظارِكَ، وابتدا
فصْلٌ تلفَّح بالدخانِ الحاقدِ
وتمطَّتِ الربواتُ تبصقُ عُمْرَها،
دَمَها، وتحفرُ عن شتاءٍ بائدِ

وغداةَ يومِ عادَ آخِرُ موكبٍ
فشَمَمْتُ خَطْوَكَ في الزحامِ الراعدِ
وجَمعتُ شخصَكَ بُنيةً وملامحاً
من كلِّ وجهٍ في اللقاءِ الحاشدِ
حتى اقتربتُ وأَمَّ كلٌّ بيتَهُ
فتَّشتُ عنكَ بلا احتمالٍ واعدِ

* * *

مـــن ذا رآكَ؟ وأيـــن أنـــتَ، ولا صـــدًى
أومـــي إلـــيـــكَ، ولا إجـــابـــةُ عـــائـــدِ

وإلـى انـتـظـارِ الـبـيـتِ، عُـدتُ كـطـائـرٍ
قـلـقٍ يـنـوءُ عـلـى جـنـاحٍ واحـدِ

* * *

لا تـنـطـفـي يـا شـمـسُ غـابـاتُ الـدُّجـى
يـأكُـلْـن وجـهـي يـبـتـلـعْـنَ مـراقـدي

وسَـهـدتُ والـجـدرانُ تُـصـغـي مـثـلـمـا
أُصـغـي، وتـسـعـلُ كـالـجـريـحِ الـسَّـاهـدِ

والـسـقـفُ يـسـأل وجـنـتـيَّ: لـمـن هـمـا؟
ولـمـن فـمـي، وغـرورُ صـدري الـنـاهـدِ؟

ومـغـازلُ الأمـطـارِ تـعـجـنُ شـارعـاً
لَـزِجـاً حـصـاهُ مـن الـنَّـجـيـعِ الـجـامـدِ

وأنـا أُصـيـخُ إلـى خـطـاكَ أُحـسُّـهـا
تـدنـو وتـبـعـد، كـالـخـيـالِ الـشـاردِ

ويـقـول لـي شـيءٌ، بـأنَّـكَ لـم تَـعُـدْ
فـأعـوذُ مـن هـمـسِ الـرجـيـمِ الـمـاردِ

* * *

أتـعـودُ لـي؟ مَـن لـي؟ أتـدري أنـنـي
أدعـوكَ؟ إنَّـك مـقـلـتـاي وسـاعـدي

إنـي هـنـا أحـكـي لـطـيـفِـك قِـصَّـتـي
فـيـعـي، ويـلـهـثُ كـالـذُّبـالِ الـنَّـافِـدِ

خـلَّـفـتَـنـي وحـدي، وخـلَّـفـنـي أبـي
وشـقـيـقـتـي، لـلـمـأتـم الـمُـتـزايـدِ

وفـقـدتُ أمّـي. . آه يـا أمُّ افـتـحـي
عـيـنـيـكِ، والـتـفـتـي إلـيَّ وشـاهـدي!

وقـبـرتُ أهـلـي، فـالـمـقـابـرُ وحـدهـا
أهـلـي، ووالـدتـي الـحـنـونُ ووالـدي

وذُهـلـتَ أنـتَ أو ارتـمـيـتَ ضـحـيَّـةً
وبـقـيـتُ وحـدي لـلـفـراغِ الـبـاردِ

* * *

أتـعـود لـي؟ فـيـعـبُ لـيـلـي ظـلُّـهُ
ويـصـيـحُ فـي الآفـاقِ: أيـن فـراقـدي؟

ooo

اليوم الجنين

مايو 1965م

على الدَّربِ والمَرْتعِ يجودُ، ولا يدَّعي
يوشّي غناءَ الحُقولِ وأنشودةَ المَصنعِ
ويُعطي حياةً بلا نيوبٍ ولا مَضرعِ
يشدُّ أبَضَّ الخصورِ إلى أغطَشِ الأذرُعِ
ويسخو سخاءَ المصِيفِ على الطَّيرِ والضِّفدعِ
على السفحِ والمُنحنَى على السَّهلِ والأَزْفَعِ
أتَشْتَمُّ أنفاسُهُ طيوفَ الرُّبا الهُجَّعِ
هناك رؤى مَهْدِهِ نبيذيَّةُ المنبعِ
حَمامٌ من الأغنياتِ على جَدولٍ مُمْرِعِ
مرايا هوائيَّةٌ سرابيَّةُ المَخْدَعِ
وغيبٌ وراء القناعِ ووعدٌ بلا بُرقعِ
هناكَ انتظارٌ يحسُّ خطاهُ وحُلْمٌ يَعي
ودفءٌ صريعٌ يحنُّ إلى لمسِهِ المُبدعِ
ووادٍ يُصيخُ إلى تباشيرِهِ اللُّمَّعِ
فأحلمُ أنَّ الجنينَ وليدٌ بلا مُرضعِ
فألوي زنودَ الحنانِ على خصرِهِ الطيِّعِ
ويحبو على ساعديَّ فأرضِعُهُ أدمُعي
وينأى، فترنو الكُوَى يُفتِّشنَ عنهُ معي
ويرتدُّ حلمٌ مضى ويمضي بلا مرجعِ

وتـحـتـشـدُ الأمـسـيـاتُ عـلـى الـعـامـرِ الـبَـلـقـعِ
فـأرجـوهُ أَنْ يَـشْـرئـبَّ إلـى شُـرفـةِ الـمـطـلـعِ
أمُـدُّ لَـهُ سُـلَّـمـاً إلـى الـنُّـورِ مـن أضْـلُـعـي
وأشـدو لـمـيـلادِهِ ويُـصـغـي بـلا مـسـمـعِ
فـأبـكـيـهِ فـي مـقـطـعٍ وألـقـاهُ فـي مـقـطـعِ

❂❂❂

أسمار القرية

يولية سنة 1964م

مِنْ صدى البيدِ والشّعابِ الحواشذْ
بالمهاوي والضارياتِ السواهذْ
مِن مُدى الموتِ حين تحمرُّ فيها
شهوةُ الدُودِ والقبورِ الزَّوارذْ
مِن لياليه حين مسَّ (عليّاً)
ليلةَ العُرسِ. إنه شرٌ وافذْ
أو أتى (مرشداً) فأوما إليهِ
صاحباهُ أَنَّ الضحيَّةَ (راشذْ)[1]
مِن صخورٍ جُلودُهنَّ حرابٌ
وكهوفٍ عيونُهنَّ مواقذْ
حيث للريحِ والتلالِ عروقٌ
من أفاعٍ، وغابةٌ من سواعذْ
وعلى المُنحنى تمدُّ (صيادٌ)[2]
للأذِلاءِ حائطاً مِن أساوذْ[3]

---

(1) من حكايات الأسمار في أرياف بلادنا، أن المحتضر يشاهد ملك الموت في يده سكين حمراء، وأنه قد يغلط فيهم بقبض روح شخص والمراد آخر وعلى الخصوص إذا اشتبه الاسمان.

(2) صَياد: اسم جِنِّيَّة توصف بصيد الرجال وهي أكثر طمعاً في الأذلاء.

(3) الأساود: نوع من الحيّات.

ولـــهـــا حـــافـــرا حـــمـــارٍ وتـــبـــدو
مَـــرْأةً، قَـــد تـــزوَّجـــتْ ألـــفَ مـــاردْ

مـــن ركـــوبِ الـــسُّـــرى عـــلـــى كـــلِّ قـــفـــرٍ
لـــم تَـــرِدهُ حـــتـــى خـــيـــالاتُ رائـــدْ

والـــلـــيـــالـــي عـــلـــى أكُـــفِّ الـــعـــفـــاريـــ
ـــتِ نُـــعـــوشٌ، ذواهـــبٌ وعـــوائـــدْ

مِـــن قـــوى الـــبـــأسِ قـــصـــةٌ تـــلـــو أخـــرى
تـــصـــرعُ الـــوحـــشَ قـــبـــل نـــهـــضـــة قـــاعـــدْ

مِـــن ســـؤالٍ عـــن الـــحـــجـــازِ وردٌ
عـــن غـــلاءِ الـــكـــســـاءِ والـــتِّـــبْـــنُ كـــاســـدْ

مـــن خـــصـــامٍ بـــيـــن الأقـــاربِ فـــي الـــوا
دي، وحـــربٍ فـــي الـــتـــلِّ بـــيـــن الأبـــاعـــدْ

مـــن تـــثـــنّـــي الـــمـــراتـــعِ الـــخُـــضْـــرِ تـــومـــي
بـــالأغـــانـــي لـــلـــراعـــيـــاتِ الـــنـــواهـــدْ

مـــن مـــتـــاهِ الـــظـــنـــونِ تـــســـتـــجـــمـــعُ الأســـ
ـــمـــارَ، شُـــعْـــثَ الـــرؤى، وفـــوضـــى الـــمَـــشـــاهـــدْ

بـــيـــن جـــدرانِـــهـــا ركـــامُ الـــحـــكـــايـــا
مـــن جـــديـــدِ الـــقـــرى وأكـــفـــانِ تـــالـــدْ

وتـــجـــاعـــيـــدُ شـــعـــوذاتِ عـــلـــيـــهـــا
كـــرُفـــاتٍ تـــقـــيَّـــأتـــهـــا الـــمـــراقـــدْ

وعَـــلـــى كُـــلِّ بـــوحِـــهـــا وصـــداهـــا
تـــتـــنـــادى زواحـــفٌ ورواكـــدْ

تـــجـــمـــع الـــقـــريـــةُ الـــشـــتـــاتَ فـــتـــحـــوي
أمـــســـيـــاتٍ مـــن عـــاصـــفـــاتِ الـــفَـــدافـــدْ

وسيولاً من الفراغ المدوِّي
أَسْهلَت فوقها بطونُ الروافذ

وغناءً كخَفْقِ بيتٍ من القشِّ
تعاوتْ فيه الرياحُ الشدائذ

وبخوراً وشادياً من جليدٍ
ونداءً: كم في الصلاةِ فوائذ

يحشرُ السُّمَّرُ الضجيجَ عليها
من شظايا نعشِ السنينَ البوائذ

يتلاقون كلّما حشرجَ الطَّبْـ
ـلُ، وأعلى الدخانُ ريحَ الموائذ

فيقصُّون كيفَ طارَ (ابنُ علوا
نِ)[1]؟ وماذا حكى (عليُّ بن زائذ)[2]؟

عن مدارِ النجومِ وَهْي وعيدٌ
عن فمِ الغيبِ أو بريقِ المواعذ

عندما تُسبلُ الثُّريَّا عِشاءً
عقدها تحبلُ السحابُ الخرائذ

وإذا الغربُ واجَهَ الصَّيفَ بالأرْ
ياحِ باعتْ عيالَها (أمُّ قالذ)[3]

ويعودون يغزلون من الرَّمْـ
ـلِ، ودودِ البلى عروقَ المحامذ

---

(1) ابن علوان: بطل أسطوري معتقد به في اليمن.

(2) عليُّ بن زائد: حكيم معتبر في الأوساط القبلية اليمنية ويعتمد الزرّاع على تجاربه السائرة في أمثال تحدد أوقات الأمطار والبذر والحصاد.

(3) أمُّ قالد: سنة القحط عند المزارعين.

فيلوكون معجزاتِ (فقيهِ)
يحشدُ الجِنَّ والظَّلامُ يشاهِدْ
ومزايا قومٍ يصلُّون في الظُّهـ
ـرِ وفي اللَّيلِ يسرقون المساجدْ
وحكايا تطولُ عن بائعاتِ الـ
ـخبزِ كم في حديثِهنَّ مَكايدْ
عن بناتِ القصورِ يَقْطُرْنَ طيباً
كروابٍ من الورودِ الفرايدْ
أو كصيفٍ أجادَ نضجَ العطايا
أو ربيعٍ في البُرعمِ الطفل واعدْ
شَعْرُهُنَّ انثيالُ فجرٍ خجولٍ
ظلُّهُ في عيونِهِنَّ مَراودْ
كلُّهنَّ اسْتَمْخَنَهُم فتأبَّتْ
حكمةُ الطينِ فيهمُ أن تُساعدْ
ويتوبون يستعيذون باللَّـ
ـهِ، لأنَّ الإناثَ نبعُ المفاسدْ
ويَودُّون لو يعودُ زمانٌ
كان ثرَّ الجَنَى عميم المَواردْ
ويسبُّونَ حِجَّةً[1] طَوتِ الزَّا
دَ، فلاكَ الفراغَ جوعُ المزاودْ

---

(1) حجة: سنة من السنين.

وتـناءتْ أسمارُهُمْ وتدانتْ
مثلما تختفي الرؤى وتعاوِدْ

والتقوا ليلةً عجوزاً[1] توارت
في أخاديدِها النُّجومُ الخوامدْ

فابتدَوا ثرثراتِهِمْ وأعادوا
ما ابتدوا من رواسبٍ وزوائدْ

وعلى صمتِهِمْ تهيَّأ شيخٌ
مثلما تخفقُ الطيوفُ الشَّواردْ

فحكى قصةً تململَ فيها
كلُّ حرفٍ، كأنَّهُ قلبُ حاقِدْ

وتعالى فيها التبجُّحُ بالثأ
رِ، فهاجَتْ مستنقعاتُ العوائدْ

وتنادَوا: لبّيكَ يا عمُّ هيّا
كلُّنا سائرون لا عادَ واحِدْ

إنَّها ساعةٌ إليهم فكرُّوا
عَميتْ عنكمو العيونُ الحواسدْ

واشرأبَّتْ بيوتُهُمْ تلمحُ الشُّهْـ
ـب دماً في ملامحِ الأفْقِ جامدْ

وتعايا فيها النُّعاسُ تعايي
طائرٍ موثقِ الجناحين باردْ

(1) ليالي العجوز: بين أواخر الشتاء وأوائل الصيف في عرف أهل الريف.

ومع الفجرِ سالَ السفحُ عنهم
جدولاً، في ترقُّبِ الفجرِ ساهِذ

فرآهُ يهفو، يمدُّ ذراعيْـ
ـهِ، ويُومي لها بأهدابِ عابذ

وارتمى يحتسي عبيرَ خُطاها
ويُعاني وَخْزَ الحصى ويُكابذ

ودَنَتْ فالتَوَى على صُبحِ ساقيْـ
ـها، يُناغي ويجتدي ويُراوذ

مَنْ أتتهُ؟ فلاَّحةٌ مِشْطُها الشَّمْـ
ـسُ عليها مِنَ الشُّروقِ قَلائذ

وقميصٌ مِنَ النَّدى ماج فيهِ
موسمٌ نابضُ الأفانينِ مائذ

وانثنتْ مثلما يميسُ عمودٌ
زنبقيٌّ تَشْتَمُّ أخبارَ (قائذ)[1]

وعلى فجأةٍ تلقَّت خُطاها
من غبارِ الصَّدى، غيومٌ رواعذ

أيُّ شيءٍ جرى؟ وتُصغي وتعدو
وتُداري نشيجَها فيُعانذ

وترامَتْ مناحَةُ القريةِ الثَّكْـ
ـلى كما يزخرُ انفجارُ الجلامذ

---

(1) من أسماء أهل الريف.

ودنَتْ . مَنْ تُرى؟ أبا طفلَتَيْها
وهو جذعٌ مِنَ الجراحاتِ هامدْ
وعجوزاً تبكي وحيداً وأطفا
لأكزُغْبِ الحَمامِ يبكون والدْ
وجريحاً يصيحُ أين يدايا؟
أين رجلايَ؟ هُنَّ ما كنتُ واجدْ
وشقيقاتُهُ يَمُتْنَ التياعاً
ويهَبْنَ لهُ القلوب ضمائدْ
يرتمي يرتمين، يجثو فينصُبـ
ـنَ لهُ مِن صدورِهِنَّ سائدْ
وعواءُ النجيعِ في السَّاحِ يَذْوي
يذهبُ الحاقدون والحقدُ خالدْ
أحمقُ الحمقِ أن تصير الكراها
تُ تُراثاً، أو يَسْتَحِلْنَ عقائدْ
وعلى إثْرِ مَن مَضَوا عادتِ الأسْـ
ـمارُ تحيا على أصولِ القواعدْ
وتُباهي. أرْدَوْا صغيرين منَّا
وقتَلنا منهم ثلاثين ماجدْ
وتعيدُ الذي أعادتْ دهوراً
من صدى البيدِ والشعابِ الحواشدْ

۞۞۞

شعب على سفينة

أبريل سنة 1946م

كهودج من الضَّباب ... مِنَ الطيوفِ والسَّرابْ
تَزُفُّهُ سفينةٌ ... مِنَ الضياعِ والتُّرابْ
ومِنْ تخيُّلِ الغِنى ... ومِنْ تلهُّفِ الرَّغابْ
ومِنْ حكايا العائدِيْـ ... ـنَ بالحقائبِ العُجابْ
المتخماتِ بالحُلى ... وبالعطورِ والثيابْ
وبالجُيوبِ تحتوي ... دراهماً بلا حسابْ
لمَّا أتَوا تلفَّتتْ ... حتى القصورُ والقِبابْ
حتى السهوبُ والقُرى ... حتى الكهوفُ والشِّعابْ
وكلُّ صخرٍ عندنا ... وكلُّ شارعٍ وبابْ

وَرُغْمَ خوفِهِ مضى ... مِن غربةٍ إلى اغترابْ
حشاهُ ملجأُ الطَّوى ... عيناهُ مرفأُ الذُّبابْ
على الفراغِ يبتدي ... وينتهي دُجى العذابْ
و(مأربٌ) تساؤلٌ: ... متى يعودُ؟ وارتقابْ
و(حدَّةٌ)[1] مخاوفٌ ... وموعدٌ على ارتيابْ
أينثني؟ فينثني ... إلى المزارعِ الشَّبابْ
ومُقلتا (سمارةٍ)[2] ... جوًى (ومَيْتمٌ) عِتابْ

---

(1) حدَّة: من مصايف صنعاء.

(2) سمارة: جبل مطلٌّ على ناحية (إبّ). وميتم: نهر في المنطقة نفسها

يـعـي لُـهـاثَ ربـوةٍ تـعـدُّ أشـهُـر الـغـيـابْ

وتـشـرئـب ربـوةٌ إلـى مـحـاجـرِ الـشِّـهـابْ

تَـهـزُّ نـهـدَهـا إلـى مـسـافـرٍ بـلا إيـابْ

تـحـطُّـهُ جـزيـرةٌ ويـرتـمـي بـه عُـبـابْ

مـسـافـرٌ أضـنـى الـسـرى وراعَ غـيـهـب الـذئـابْ

وأقـلـقَ الـحـصـى بـلا مَـدَى، وأجـهـدَ الـهـضـابْ

مِـنْ قـارةٍ لـقـارةٍ يـجـوبُ أرحـب الـرِّحـابْ

وهـو عـلـى عـيـونِـهـا تـسـاؤلٌ بـلا جـوابْ

فـيـنـحـنـي ويـبـتـنـي لـهـا نـواطـحَ الـسـحـابْ

يُـضـيـئـهـا ولا يـرى يـشـيـدُهـا وهـو الـخـرابْ

يـعـيـشُ عُـمْـرَهُ عـلـى أرجـوحـةٍ مِـن الـحِـرابْ

أيَـامُـهُ سـفـيـنـةٌ جـنـائـزيَّـةُ الـذُّهـابْ

تـزفُّـه إلـى الـنـوى كـهـودجٍ مِـن الـضَّـبـابْ

❁ ❁ ❁

الشهيدة

يولية 1965م

كرجوعِ السَّنا لِعينيْ كفيفِ
بغتةً كاخضرارِ نعشٍ جفيفِ
وكما مدَّتِ الحياةُ يديْها
لغريقٍ، على المنَيَّةِ مُوفي
وكما ينثني إلى خَفْقِ شيخ
عنفوانُ الصِّبا الطليقِ الخفيفِ
رجعتْ فجأةً رجوعَ وحيدِ
بعد شكٍّ إلى أبيهِ اللَّهيفِ
كابدتْ دَربها إلى العودة الجَذْ
لَى، وأَدْمَتْ شوطَ الصراعِ الشَّريفِ
حدَّقتْ. من تُرى؟ ومَنْ ذا تُنادي؟
أين تمضي؟ إلى الفراغِ المخيفِ!
وأرتْها خوالجُ الذُّعرِ وجهاً
بربريّاً، كبابِ سجنٍ كثيفِ
وجذوعاً لها وجوهٌ، وأذقا
نٌ، وإطراقةُ الحمارِ العَليفِ
فتنادَتْ فيها الظُّنونُ وأَضغَتْ
لحفيفِ الصَّدى ووهمِ الحفيفِ

وكــمــا يــرتــمــي عــلــى قــلــقِ الــسَّــمــ
ــعِ هــدوءٌ بــعــد الــضَّــجــيــجِ الــعــنــيــفِ

ســرَّحــتْ لــمــحــةً فــطــالــعــهــا شــي
ءٌ، كــإيــمــاءةِ الــسِّــراجِ الــضــعــيــفِ

كــان يُــعــطــي حــيــاتَــهُ لــلــحــيــارى
وعــلــى وجــهــهِ اعــتــذارُ الأســيــفِ

فــأحــسَّــت هــنــاك حــيّــاً مــهــيــضــاً
يــتــلــوَّى تــحــت الــشِّــتــاءِ الــشــفــيــفِ[1]

قُــرَىً بــغــنَ عُــمْــرَهُــنَّ عــلــى أَذْ
نــى الــخــصــومــاتِ والــهُــراءِ الــســخــيــفِ

واشــرأبَّــتْ ثــقــوبُــهــنَّ إلــى الــرِّيــ
ــحِ، يُــســائِــلْــنَ عــن شــمــيــمِ الــرغــيــفِ

فــدَنَــتْ تــنــظــرُ الــحــيــاةَ عــلــيــهــنَّ
بــقــايــا مِــنَ الــغُــثــاءِ الــطَّــفــيــفِ

والــدَّوالــي هــنــاك أشــلاءُ قــتــلــى
جَــمَــدَتْ حــولَــهــا بــقــايــا الــنَّــزيــفِ

وتــجــلَّــتْ أُمّــاً تــجــعَّــد فــيــهــا
عَــرقُ الــصــيــفِ وارتــعــاشُ الــخــريــفِ

ســألَــتْــهــا عــن اسْــمِــهــا فــتــبَــدَّى
مِــنْ أخــاديــدهــا حــنــانُ الألــيــفِ

---

(1) الشتاء الشفيف: عنيف البرد.

واستدارت تَقُصُّ أنَّ أباها
من (زَبيدٍ) وأمَّها من (ثقيفِ)

فأعادتْ لها الربيعَ فماست
في شبابَيْنِ.. تالدٍ وطريفِ

نزلتْ ضيفةَ الحنانِ فكانَتْ
لديارِ الضياعِ أسخى مُضيفِ

نزلتْ في مواكبٍ من شروقٍ
وحشودٍ مِنَ اخضرارِ الرَّفيفِ

في إطارٍ مِن انتظارِ العصافيـ
ـرِ، ومِن لهفةِ الصَّباحِ الكفيفِ

وتهادتْ على الرُّبا فتلظَّى
في عروقِ الثلوجِ دفءُ المَصيفِ

وأجادتْ مِنَ الفراغِ وجوهاً
وجباهاً من الشموخِ المنيفِ

رجعتْ فانثنى اصفرارُ الترابيْـ
ـتِ إلى خُضرةِ الشبابِ الوريفِ

●●●

ابن سبيل

16/ يولية/ 1965م

سارَ والدَّربُ ركامٌ من غباءِ
كلُّ شبرٍ فيهِ شيطانٌ بدائي

كان يرتدُّ ويمضي مثلما
تخبطُ الريحُ مضيقاً مِنْ عناءِ

بين جنبيْهِ جريحٌ هاربٌ
مِنْ يدِ الموتِ، ومسلولٌ فِدائي

يصلب الخطوَ على ذُعرِ الحصى
وعلى جذعٍ مديدٍ مِنْ شقاءِ

وعلى منعطفٍ أو شارعٍ
مِنْ دمِ الذكرى وأنقاضِ الرجاءِ

من يعي يسألُه: أين أنا؟
ضاعَ قُدَّامي، كما ضاعَ ورائي

وإلى لا منتهى هذا السُّرى
في المتاهاتِ ومِنْ غيرِ ابتداءِ

إنني أخطو على شِلْوي وفي
وَهْوَهاتِ الرِّيحِ أَشْتَمُّ دمائي

من يؤاويني؟ أيُصغي منزلٌ
لو أنادي، أو يَعي أيُّ خباءِ؟

الممرّاتُ مغاراتٌ لها
وثبةُ الجنّ، وإجفالُ الظُّباءِ

وهناك الشُّهْبُ غربانٌ، بلا
أعينٍ، تجتازُ غيماً لا نهائي

وهنا الشَّمسُ عجوزٌ، تحتسي
ظِلَّها، تصبو إلى تحديقِ رائي

مَنْ دنا منّي؟ وكالطَّيْفِ التوى
ونأى خلف خيالاتِ التنائي

مِنْ وراءِ التلِّ عَنَّتْ غابةٌ
من أفاعٍ، وكهوفٌ من عُواءِ

وعيونٌ كالمرايا، لمعتْ
في وجوهٍ من رمادٍ وانحناءِ

إنه حشدٌ، بلا اسْم وجهُهُ
خلفَهُ مِرآةُ تزويرِ الطِّلاءِ

من يرى أيَّ زحامٍ، ودرى
أنه يرنو إلى زيفِ الخواءِ؟

* * *

وبلا زادٍ ولا دربٍ مضى
كالخيالاتِ الكسيحاتِ الظِّماءِ

تخفُقُ الأحزانُ في أهدابِه
وتُناغي كعصافيرِ الشتاءِ

ينحني، يستفسرُ الإطراقُ عن
وجهِهِ الذّاوي، وعن بابِ مُضاءِ

عـن يـدِ صـيـفـيَّـةِ الـلَّـمـسِ، وعـن
شُـرفـةٍ جَـذْلـى، وعـن نـبـضِ غـنـاءِ

وتـأنَّـثْ نـجـمـةٌ، أرسـى عـلـى
جـفـنِـهـا طـيـفٌ خـريـفـيُّ الـرِّداءِ

فـتـمـلاَّهـا مـلِـيّـاً، وارتـدى
جـوُّ عـيـنـيـه أصـيـلاً مـن صـفـاءِ

والـتـظـى بـرقٌ، تـضـنَّـى خَـلْـفَـهُ
ألـفُ دنـيـاً مـن يـنـابـيـعِ الـسـخـاءِ

وبـلا وعـيٍ دنـا مـن كـوخـهِ
كـغـريـقٍ، عـاد مـن خَـلْـقِ الـفـنـاءِ

فـأحـسَّ الـبـاب يـلـوي حـولـه
سـاعـدَيْ شـوقٍ، وحـضـنـاً مـن بـكـاءِ

أيـن مـن يـسـألـه، يـخـبـرُهُ
عـن مـآسـيـهِ؛ فـيـحـنـو أو يُـرائـي؟

وجـثـا، يـحـنـو عـلـيـه مـنـزلٌ
سـقـفُـهُ الـثـلـجُ، وجـدرانُ الـمـسـاءِ

وكـمـا تـنـجـرُّ أمٌّ ضـيَّـعـت
طِـفـلَـهـا، يـبـحـثُ عـن أدنـى غـذاءِ

يـجـتـدي الـصَّـمـتَ نـداءً أو يـداً
أو فـمـاً يـفـتـرُّ، أو رَجْـعَ نـداءِ

ويُـداري الـسُّـهـدَ أو يـرنـو إلـى
ظِـلِّـهِ، يـخـتـالُ فـي ثـوبٍ نـسـائـي

فـتُـعـاطـيـه مـنـاهُ أكْـؤسـاً
مـن دخـانٍ، واحـتـضـانـاً مـن هـبـاءِ
تـحـتـسـي أنـفـاسَـهُ أُفْـسِـيَـةٌ
عـاقـرٌ، تـمـتـص ألـوانَ الـهـواءِ

هـل هـنـا لابـن سـبـيـلِ الـريـحِ مِـنْ
مـوعـدٍ، أو هـاهُـنـا دفءُ لـقـاءِ؟

عـاد مـن قَـفْـرٍ دُخـانـيٍّ إلـى
عـامـرٍ أقـفـرَ مـن لـيـلِ الـعَـراءِ

وغـدا يـبـتـدئُ الأشـواطَ مـن
حـيـث أنـهـاهـا، إلـى غـيـرِ انـتـهـاءِ

يـقـطـعُ الـتِّـيْـهَ إلـى الـتِّـيـهِ، بـلا
شـوقِ أسـفـارٍ، ولا وعـدِ انـثـنـاءِ

وبـلا ذكـرى، ولا سـلـوى رؤىً
وبـلا أرضٍ، ولا ظـلُّ سـمـاءِ

عُـمْـرُهُ دوَّامـةٌ مـن زئـبـقٍ
وسُـهـادٌ وطـريـقٌ مـن غَـبـاءِ

❂❂❂

صديقُ الرِّياح

مارس 1966م

علـى اسمِ الـجـنـيـهـاتِ، والأسـلـحـةْ
يـتـاجـرُ بـالـمـوتِ كـي يـربـحـهْ

ويـشـتـمُ كـفَّـيْ مُـرابـي الـحـروبِ
فـيـزرعُ فـي رمـلِـهِ مـطـمـحَـهْ

ذوائـبـهُ الـحـاضـنـاتُ الـنُّـجـومَ
بـأيـدي الـمُـرابـيـن كـالـمِـمـسـحَـةْ

يُـمـنِّـيْـهِ طـاغٍ حـسـاهُ الـفـجـورُ
وجَـلْـمَـدَ فـي حـلـقِـهِ الـنَّـحـنـحَـةْ

فـيـدمـى وتـغـدو جـراحـاتُـهُ
مـنـادِيـلَ فـي كـفِّ مَـنْ جَـرَّحَـهْ

وتـومـي لـه حـربـةُ (الـهُـرْمُـزانِ)
بـ(قـرآنِ عـثـمـانَ) والـمِـسْـبـحـةْ

فـيـهـوي، لـه جُـبـةٌ مـن رمـادٍ
ومـن دامـيـات الـحـصـى أوشِـحَـةْ

عـلـى وجـهِـهِ تـرسُـبُ الـحـشـرجـاتُ
وتـطـفـو قـبـورٌ بـلا أضـرحَـةْ

ويـجـتـرُّهُ مـن وراءِ الـسـرابِ
أسـىً يـرتـدي صـبـغـةَ مُـفْـرِحَـةْ

فيجتاحُ تلاً شواهُ الحريقُ
وتلاً دخانُ الأَظى لوَّحهْ

ويغتالُ رابيةً مُمسياً
وتأكلُهُ ربوةٌ مُضبِحَةْ

وكالسُلِّ يمتصّ زيتَ (الرياض)
ويُرضِعُ من دمِهِ المذبحةْ

ويسقطُ حيث تلوحُ النقودُ
هنا أو هنا، لا يعي مطرَحَهْ

طيوفُ الحياةِ على مُقلتَيْهِ
عصافيرُ داميةُ الأجنِحةْ

تَعُب أساريرهُ الأمسياتُ
وتنسى الصبيحاتُ أن تلمَحَهْ

و غاياتُهُ أن يُدير الحروب
ويبتزَّ أسواقها المُربِحَةْ

وما دام فيهِ بقايا دَمٍ
فمن صالح الجيبِ أن يسفَحَهْ

يجُودُ بأشلائِهِ ولتكُنْ
لـ(إبليس) أو (آدم) المصلحَةْ

* * *

وتلك عوائدُهُ الخالداتُ
يجوعُ، ومن لحمِهِ يأكلُ

بِلا دِرْهمٍ كانَ يَذْمَى فكيف؟
وكنزُ (المُعَزُّ) لهُ يُبذَلُ

أيَنسى عراقتَهُ، إنه
أبو الحربِ أو طِفلُها الأوَّلُ

وما زال تُنجبُهُ كلَّ يومٍ
(بسوسٌ) وأخرى به تحبلُ

إلى أين يسري؟ وردَّ الصدى:
إلى حيث لا ينثني الرُّحَّلُ

وكانَ هناك سراجٌ حزينٌ
يَئِنُّ، ونافذةٌ تسعُلُ

فأصغى الطريقُ إلى مَسْمَرٍ
كنعشٍ ينوء بما يحملُ

وقال عجوزٌ سها الموتُ عنهُ:
على مَنْ ننوحُ؟ ومَنْ نثكلُ؟

رمى أمسِ (يحيى) أخاهُ (سعيداً)
وأردى ابن أختي أخي (مقبلُ)

فردَّ لهُ جارُهُ: لو رأيتَ
متاريسَنا كيف تستقتِلُ

تمورُ فتغشى الجبالُ الجبالَ
ويبتلعُ الجندلَ الجندلُ

ويهوي الجدارُ على ظلِّهِ
ويجترُّ أسوارَهُ المعقِلُ

وقـالـت عـروسٌ صـبـاحَ الـزفـافِ:
سـعـى قـبـل أن يـبـردَ (الـمـخـمـلُ)

ويـومـاً حـكـوْا: أنّـهُ فـي (حـريـبٍ)[1]
ويـومـاً أتـى الـخـبـرُ الـمـذهـلُ

وصـاح فـتّـى: أخـبـروا عـن أبـي
وأجـهـشَ، حـتـى بـكـى الـمَـنـزِلُ

وولّـى ربـيـعٌ مـريـرٌ، وعـادَ
ربـيـعٌ بـمـأسـاتِـه مـثـقـلُ

وضـاعَ الـمـدى وصـديـقُ الـريـاحِ
يـحـومُ، وعـن وجـهِـهِ يَـسـألُ

ويـمـضـي بـه عـاصـفٌ قُـلَّـبٌ
ويـأتـي بـه عـاصـفٌ حُـوَّلُ

* * *

أمـا آن يـا ريـحُ أن تـهـدأي
ويـا راكـبَ الـريـحِ أن تـتـعـبـا؟

وأيـن تـرى شـاطـئَ الـمـوجِ يـا
(بـراشُ)[2] ويـا نـسـمـاتِ الـصَّـبـا

ويـا آخـرَ الـشـوطِ: أيـن الـلـقـاء؟
ويـا جـدبُ أرجـوكَ أن تُـخـصِـبـا

(1) حريب مدينة شرق اليمن.

(2) براش: جبل شرق صنعاء.

ويا حلمُ هل تجتلي مُعجزاً
تحيلُ خطاهُ الحصى كَهْرَبا

يُبيدُ بكفٍّ نيوبَ الرياحِ
ويمحو بكفٍّ، حلوقَ الرُّبا

ويغرسُ في الذئبِ رفقَ النِّعاجِ
ويمنحُ بعضَ القوى الأرنبا

أيأتي؟ ويحتشدُ الانتظارُ
يمدُّ له المهدَ والملعبا

ويبحثُ عن قدميْه الشروقَ
ويحفرُ عن ثغرِهِ المَغْربا

وعادت كما بدأتْ غيمةٌ
توشّي بوارقَها الخُلَّبا

وتُفرغُ أثداءَها في الرمالِ
وتهوي تحاولُ أن تَشْرَبا

و(صنعاءُ) ترتقبُ المعجزاتِ
وتحلمُ بالمُعجزِ المُجْتَبى

وكالضَّيفِ شعَّ انتظارٌ جديدٌ
على الأفقِ، وامتدَّ واعشوشَبا

وحدَّقَ من كلِّ بيتٍ هوىً
يراقبُ عملاقَهُ الأغلبا

ويختارُ أحلى الأسامي لَهُ
وينتخبُ اللَّقبَ الأعجبا

ويَــخْــلــقُــهُ فــارســاً يــمــتــطــي
هــلالاً ويــتَّــشــحُ الــكــوكَــبــا

ســيــدنــو فــقــد آن لــلــسُّــهْــدِ أن
يــنــامَ، ولــلــنَّــوحِ أن يــطــربــا

فــعُــمْــرُ الــرَّصــاصِ كــعُــمْــرِ ســواهُ
وإن طــالَ جــاءَ لــكــي يــذهــبــا

وقــد يُــقْــمِــرُ الــجــوُّ بــعــد اعــتــكــارٍ
وقــد يُــنــجِــلُ[1] الأحــمــقُ الأنــجــبــا

❁❁❁

(1) يُنجل: يكون له نجل.

كانت وكان

أغسطس سنة 1965م

كانت له، حيث لا ظِلٌّ ولا سعفُ
من النخيلِ الحوالي، ناهدٌ نَصفُ

وكان أرغدُ نصفَيْها الذي ابتدأتْ
أو انمحى من صِباها الياءُ والألفُ

أغرى وأفتنُ ما في بعضِ فتنتِها
طفولةٌ، وامتلاءٌ مثمرٌ هَيفُ

كانت له بعض عام، لا يمتُّ إلى
ماضٍ ولا امتدَّ من إخصابِه خَلَفُ

ولّى، ولا خبرٌ يُهدى إليهِ وفي
حقائبِ الريحِ من أخبارهِ تُحَفُ

وقِصَّةٌ لمْلَمَ التاريخُ أحرُفَها
فاستضحكَ الحبرُ في كفَّيْهِ والصُّحفُ

وغاب أوَّلَ يومِ عن تذكُّرِهِ
وفي تظنّيهِ من إيمائِهِ نُتَفُ

كان الخميسُ أو الاثنين واحتشدتْ
مواقفٌ، تدفعُ الذكرى وتلتقِفُ

في بدءِ (تشرينَ)، نادَتْهُ نوافذُها
فحامَ كالطيف، يستأني وينجَرفُ

هل ذاك مخدعها؟ تومي النجوم على
جبينِهِ، وعلى عينيْهِ تعتكِفُ
بل تلك. غرفتُها أو تلك. أيُّهما؟
أو هذه، وارتدت أزياءَها الغُرفُ

* * *

وبعدَ يومٍ وليلٍ، جاءَ يسألُها
عن عمِّها. أخبروه أنهُ دَنِفُ
من ذا تريدُ؟ وتسترخي عبارتُها
فيأكلُ الأحرفَ الكَسْلَى ويرتشِفُ
ويدَّعي أنَّهم قالوا: أليس لها
عمٌّ ويعتصرُ الدَّعوى وينتزِفُ
ويستزيدُ جواباً: هل هنا سكنٌ؟
أظنُّ (بيتُ فُلانٍ) أهلُهُ انصرفوا
وَخانَهُ الرِّيقُ، فاستحلتْ تلعثُمَهُ
واخضرَّ في شفتيْها العذرُ والأسفُ
ونصفَ (كانون) زارت بنتَ جارتِهِ
فأفشتِ الخبرَ الأبوابُ والشُّرَفُ
وقالت امرأةٌ: من تلك؟ والتفتتْ
أخرى، تُكذِّبُ عينيْها وتعترفُ
وعرَّفتها عجوزٌ، كلُّ حِرفتِها
صُنعُ الخطايا، لوجهِ اللَّهِ تحترِفُ

وقـصَّـتِ امـراةٌ عـنـهـا، لـجـدَّتِـهـا
فـصلاً، كـمـا ذاب فـوق الـخُـضْـرَةِ الـصَّـدَفُ

فـعـوَّذتْـهـا وقـالـت: كـنـت أُشـبِـهُـهـا
لـكـن لـكـلِّ طـويـلٍ يـا ابـنـتـي طَـرَفُ

وغـمـغـم الـشَّـارعُ الـمـهـجـور: مَـن خـطـرَتْ
كـمـا تَـخَـطَّـرَ تـلٌّ مـائـجٌ تَـرِفُ

وحـيـن عـادت، وحـيَّـاهـا عـلـى خـجـلٍ
ردَّتْ، ومـا كـان يـرجـو، لـيـتـهـا تـقـفُ

وخـلـفـهـا اقـتـادَهُ وعـدُ الـسَّـرابِ إلـى
بـيـتِ نـضـيـجِ الـصِّـبـا جـدرانُـهُ الـشَّـغَـفُ

حـتـى احـتَـسـتْـهـا شـفـاهُ الـبـابِ، لا أحـدٌ
يُـومـي إلـيـه، ولا قـلـبٌ لَـهُ يـجِـفُ

وظَـنَّ وارتـاب حـتـى اشـتَـمَّ قِـصَّـتَـهُ
كـلـبٌ هـنـاكَ وثـورٌ كـان يـعـتـلِـفُ

وعـاد مـن حـيـث لا يـدري عـلـى طُـرقٍ
مـن الـذهـولِ إلـى الـمـجـهـولِ يـنـقـذِفُ

فـاعـتـادَ ذكـراهُ بـيـتٌ مـسَّـهُ فـمُـهـا
فـي دربِـهـا، وبـظـلِّ الـدَّارِ يـلـتـحِـفُ

وقـرَّبـت دارَهـا مـن ظـلِّ مـلـجـئـهِ
يـدٌ تَـعـلَّـمَ مِـن إغـداقِـهـا الـسَّـرفُ

وكـان يُـضْـغـي فـتـدعـو غـيـرُهـا ابْـنـتَـهـا
وجـارةٌ غَـيـرُهـا تَـخـفَـى وتـنـكـشِـفُ

متى تبوحُ؟ وهل يُفضي بخطرتِها
دربٌ، ويخبرُ عنها الريحَ منعطفُ؟

وحلَّ شهرٌ رماديُّ الخُطى هرِمٌ
ضاعت ملامِحُه، واسترختِ الكتِفُ

وفي نهايتِه، جاءت تُسائِلُهُ
عن هِرِّها: لم يزُرنا، فاتنا الشَّرفُ

فنغَّمتْ ضحكةَ كَسْلى، طفولتُها
جَذْلى، على الرقَّةِ المغناجِ تَنْقَصِفُ

فمدَّ كفّاً خجولاً، وانحنى قَرَنا
من وجهِها الموعدُ المجهولُ والصَّلَفُ

وكان يرنو، وجوعُ الأربعين على
ذبولِ خدَّيْهِ يستجدي ويرتجفُ

وقال ما ليس يدري فادَّعت غضباً:
مَنْ خِلْتَني؟ قُلْ لغيري: إنني كَلِفُ

وأعرضتْ واستدارتْ: كيف شارِعُنا؟
حلوٌ، أما ساكنوه السوءُ والحَشَفُ؟

(فلانةٌ) لم تَدَعْ عِرضاً و(ذاك) فتىً
يُغوي ويكذبُ في ميعادِهِ الحلِفُ

* * *

من ذلك اليومِ يومِ (الهرِّ) كان له
عُمْرٌ، ومتَّجهٌ غضٌّ ومنصرفُ

واخـضـرَّ قُـدَّامَـهُ عُـشٌ تُـدَلِّـلُـهُ
عـلـى رفـيـفِ الـدَّوالـي روضـةٌ أُنُـفُ

أجْـنَـتْ[1] لـهُ، أيُّـهـا يـدعـو مَـجـاعـتَـهُ؟
وأيُّ أفـنـانِـهـا يـحـسـو ويـقـتـطِـفُ؟

ومـرَّ عـهـدٌ كـعـمـرِ الـحُـلْـمِ يـرقُـبُـهُ
مـتـى يـعـودُ؟ يُـمـنِّـيـهِ ويـخـتـلـفُ

وكـان فـيـه كـمـولـودٍ عـلـى رَغَـدٍ
أنـهـى رضـاعـتَـه الـتـشـريـدُ والـشَّـظَـفُ

كـانـت لَـهُ ويَـقُـصُّ الـذكـريـاتِ عـلـى
طـيـفٍ، يـقـابـلُ عـيـنـيْـه ويـنـحـرفُ

والـيـومَ فـي الـقـريـةِ الـجَـوْعـى يُـضـيِّـعـهُ
دربٌ، ودربٌ مـن الأشـواكِ يـخـتـطـفُ

يَـسِـيـحُ كـالـرِّيـحِ فـي الأحـيـاءِ يَـلـفِـظُـهُ
تِـيـهٌ، ويـسـخـرُ مـن تـصـويـبِـهِ الـهَـدَفُ

❂ ❂ ❂

(1) أجنت له: أبدت له الثمار الجنيّة.

نهايةُ حسناءَ ريفيَّة

سبتمبر سنة 1965م

كما تذبلُ الدَّالياتُ الصَّبايا
ذوَتْ في سخاءِ المُنى والعطايا
وكالثَّلجِ فوقَ احتضارِ الطُّيورِ
تراخَتْ على مُقلتيْها العشايا
وكابنِ سبيلٍ جثَتْ وحدها
تُهدِّجُ خلفَ الضَّياعِ الشكايا
وتَشْغُلُ في صدرِها أمسياتٌ
من الطينِ، تبصقُ ذَوْب الحنايا
ويوماً أشار أخوها القتيلُ:
تعالَيْ تشهَّتْ يديْكِ يدايا
فناحتْ كبِنْتِ مليكٍ غدَتْ
بأيدي (التَّتارِ) أذلَّ السَّبايا
أهٰذي أنا؟ وتعيدُ السؤالَ
وتبحثُ عن وجهِها في المَرايا
أما كان ملءَ قميصي الربيعُ؟
فأين أنا؟ في قميصي سوايا
وفرَّ سؤالٌ خجولٌ تَلاهُ
سؤالٌ، على شفتيْها تعايى

وأيــن الــفَــراشُ الــذي امــتــصَّــنــي؟
أيــرثــي هــشــيــمُ الــغــصــونِ الــعَــرايــا؟

وذاتَ مــســاءٍ تــمــطَّــى الــســكــونُ
كــبــاغٍ يــهِــمُّ بــأدهــى الــقــضــايــا

وأقــعــى يــهــزُّ إزاءَ الــجــدارِ
أكُــفّــاً مــن الــشــوكِ خُــرْسَ الــنــوايــا

وفــي الــصــبــحِ أهــدتْ لــهــا جــارتــان
غــبِــيّــاً رضــيَّ الــرُّقــى والــسَّــجــايــا

يَــفُــضُّ الــكــتــاب ويَــشْــوي الــبــخــورَ
ويــســتــلُّ مــا فــي قــرارِ الــخــفــايــا

فــتَــشْــتــمُّ أمــسِ الــمُــســجَّــى، يــعــودُ
وتــجــتــرُّهُ مــن رمــادِ الــمــنــايــا

وتــنــتــظــرُ الــزائــريــن كــأُمٍّ
تــراقــبُ عَــوْدَ بــنــيــهــا الــضــحــايــا

فــلا طــيــفَ حُــبٍّ يــشــقُّ إلــيــهــا
سُــعــالَ الــكــوى أو فَــحــيــحَ الــزَّوايــا

وكــان يَــمُــدُّ الــمــســاءُ الــنــجــومَ
إلــيــهــا مــعــبَّــأةً بــالــهــدايــا

وتــتَّــئِــدُ الــشَّــمــسُ قــبــل الــغــروبِ
تُــوشّــي رؤاهــا بــأزهــى الــخــبــايــا

ويــجــثــو الــصــبــاحُ مــلــيّــاً، يــرشُّ
شــبــابــيــكَــهــا بــأرقِّ الــتَّــحــايــا

وتـــحـــمـــلُ عَـــنْ وَهْـــجِ أسـمـــارِهـــا
ريـــاحُ الـــدُّجـــى هَـــوْدجـــاً مـــن حـــكـــايـــا

وكـــانـــت كـــمـــا يـــخـــبِـــرُ الـــذاكـــرونَ
أبـــضَّ الـــغـــوانـــي وأطـــرى مـــزايـــا

وأنـــضَـــرُ مِـــن صـــاحـــبـــاتِ (الـــسُّـــمُـــوِّ)
ولـــكـــنـــهـــا بـــنـــتُ أشـــقـــى الـــرعـــايـــا

تـــهـــادتْ مـــن الـــريـــفِ عـــامَ الـــجـــرادِ
تُـــعـــاطـــي الـــمـــقـــاصـــيـــرَ أحـــلـــى الـــخـــطـــايـــا

وفـــي بـــدءِ (نـــيـــســـانَ) حـــثَّ الـــخـــريـــفُ
إلـــيـــهـــا مـــن الـــريـــحِ أمْـــضـــى الـــمـــطـــايـــا

فـــشـــظَّـــى كـــؤوس الـــهـــوى فـــي يـــديْـــهـــا
وخـــبَّـــأَ فـــي رئـــتـــيْـــهـــا الـــشـــظـــايـــا

وخـــلَّـــفَ مـــنـــهـــا بـــقـــايـــا الأنـــيـــنِ
وعـــادَ؛ فـــأنـــهـــى بـــقـــايـــا الـــبـــقـــايـــا

❂ ❂ ❂

لا اكتراث

سبتمبر سنة 1965م

روِّيهِ، أو حطِّمي في كفِّه القَدَحا
فلم يَعُدْ ينتشي، أو يطعمُ التَّرحا

لا، لم يُحس ارتواءً، أو يجدْ ظمأً
أو يبتهجْ إن غَدَت أحلامُهُ مُنَحا

سُدىً تُمنِّين مَنْ ماتت رغائِبهُ
مِنْ طولِ ما اغتبقَ القِطْرانَ واصْطَبحا

فعادَ، لا يرتجي ظِلاً ولا شجَراً
ولا يراقبُ وعداً، جدَّ أو مَزَحا

إذا اشتهى اقتاتَ شِلْواً من تذكُّرهِ
وامتصَّ ما خطَّ في رملِ الهوى ومحا

كالطَّيفِ يحيا بلا شوقٍ ولا حُلُمٍ
ولا انتظارِ رجاءٍ، ضَنَّ أو سمَحا

يُنقِّرُ السُّهدَ عن ميعادِ أُغنيةٍ
كطائرٍ جائعٍ، عن سِربهِ نَزَحا

وينزوي، كضريحٍ يستعيدُ صدًى
يبكي ويهزجُ (لا حُزناً ولا فَرحا)

لا تسألي، لم يَعُدْ مَن تعرفين هنا
ولَّى وخلَّف من أنقاضِهِ شَبحا

آسي بقاياهُ، أو شَظّي بقيَّتَهُ
للرّيح، لم يدْرِ مَن آسى ومَنْ جَرحا

❂❂❂

رائدُ الفَراغ

ديسمبر 1964م

طـــاوٍ، يــــريـــدُ بـــلا إرادَةْ ظـمـآنُ، يـجـتـرعُ اتِّـقـادَةْ
هـيـمـانُ، تَـركُـضُ فـيـهِ أشـــواقُ الـجـنـيـنِ إلـى الـوِلادَةْ
فـيُـفـتِّـشُ الأطـيـافَ، عـن إيــمــاءِ قُــرْطٍ أو قِــلادَةْ
عـن وعـدِ بـاذلـةٍ تـجـو دُ فـيـسـتـزيـدُ إلـى الزِّيـادَةْ
لـفـتـاتُـهـا لـحـنٌ، تـتـو قُ إلـيـه أخـيـلَـةُ الإجـادَةْ
ويُـسـائـلُ الأشـبـاحَ: مَـنْ أعـصـي، ومَـنْ أُدني قـيـادَهْ؟
مَـنْ أمـلأُ الـجـاراتِ؟ مَـنْ أشـهـى. يـحـومُ بـكُـلِّ غـادَةْ
ويـغـيـبُ فـي حُـمَّـى الـسُّـهـا دِ، يُـعـيـدُ كـارثـةً مُـعـادةْ
وكـمـا يُـقـدِّرُ يـرتـمـي فـي دفءِ (تـقـوى) أو (سـعـادَةْ)
ويـمـدُّ زنـدَيْـه، ويَـسـهـــصِرُ مَـنْ يـظُـنُّ، بـلا هـوادَةْ
ويـمـورُ حـتـى يـشـتـكـي قـلـقُ الـفـراشِ إلـى الـوسـادَةْ
ويـعـودُ يـغـفـو، أو يُـحـرِّ قُ فـي نـدامـتِـهِ سُـهـادَهْ

* * *

حـتـى أطَّـلَّـتْ لـيـلـةٌ مِـعـطـاءةُ الأيـدي جـوادَةْ
مَـنـحَـتْـهُ مِـنْ رغـدِ الـمـوا سـمِ فـوق أحـلام الـرَّغـادَةْ
وعـلـى صُـبَـيـحـتِـهـا دَهـتْـــهُ صـبـيـحـةٌ وَأَدَتْ رُقـادَهْ
ضـاعِـفْ كِـراءَ الـبـيـتِ أو دَغْـمـهُ أتـحـرمُـنـي الإفـادَةْ؟
مـاذا يـقـولُ لـ(مـدفَـنٍ) ورثَ الـغـبـاوةَ والـسِّـيـادَةْ
ذَهَـبـتْ مـلامِـحُ وجـهِـهِ وتَـجـلْـمَـدَتْ فـيـهِ الـبـلادَةْ

مِنْ أيـن يُعطي مِنْ قَطَعْتَ سبيلَهُ، وحكرتَ زادَهْ
حَسناً. سأترُكهُ، أضِفْهُ إلى مبانيكَ المُشادَهْ
وانجرَّ يرتادُ الفراغَ ويُطعِمُ الشَّوكَ ارتيادَهْ
والريحُ تَبصقُهُ وتَصْفَعُ في ملامحِهِ بلادَهْ

۞ ۞ ۞

من أيـن؟

يناير 1965م

مِـنْ أيـن تـهـمـسـيـن لـي؟ فـتـسـتـعـيـدُ الأهْـويَـةْ
مِـنْ أيـن؟ إنَّـنـي عـلـى أيـدِي الـظُّـنـونِ، ألـهِـيـةْ
مِـنْ حـيـث لا أعـي ولا تَـدْريـن أيُّ أُحـجِـيـةْ؟!
وَتَـهـمِـسـيـن لـي كَـمـا يَـنْـدَى اخـضـرارُ الأوديـةْ
كـمـا تـبـوحُ جَـنَّـةٌ حُـبـلـى بـأسـخـى الأعـطـيَـةْ
فـيـشـرئـبُّ مَـنـزلـي مـن الـثُّـقـوبِ الـمُـصـغـيَـةْ
عـريـانُ يـغـزلُ الـصَّـدى أسِـرَّةً وأغْـطِـيـةْ
يـمـدُّ كـلَّـهُ إلـيـ ـكِ حِـضْـنَـهُ وأيـديـهْ
أتـشـعُـريـن أنـنـي ألـقـاكِ، كـلَّ أُمـسـيـةْ؟
عـلـى جـفـونِ خـاطـرٍ أوِ احـتـمـالِ أُمْـنـيـةْ
يـطـيـرُ بـي إلـيـكِ مِـنْ هـنـا جـنـاحُ أُغْـنِـيـةْ

❂❂❂

فارس الأطياف

يونية 1966م

كـان اسـمُـهُ (يـحـيـى)، وكـان يُـوافـي
بـيـتـاً مـن الـمـيـعـادِ والإخـلافِ

وافـاه أوّلَ مـرّةٍ كـمـجُـدِّفٍ
أعـطـى الـضَّـيـاع قـيـادةَ الـمِـجْـدَافِ

وغـداةَ حَـيَّـا الـبـاب قـطَّـب لـحـظـةً
وصـفـا كـوجـهِ الـوارثِ الـمـتـلافِ

وهـفـا إلـى لُـقـيـاهُ أنـضـر مَـدْخـلٍ
تُـومـي رَوائـحُـهُ إلـى الأضـيـافِ

وأتـاه ثـانـيـةً، فـمـاس أمـامَـهُ
ثـوبٌ، كَـوَشْـيِ الـموسـمِ الـهَـفـهـافِ

فـكـأنَّ كـلَّ خـمـيـلـةٍ ألـقَـتْ عـلـى
كـتـفـيْـه أزديـةً مـن الأفـوافِ

مـاذا وراء الـثـوبِ؟ فـجـرٌ راسـبٌ
يـهـوي ويـسـتـحـيـي وفـجـرٌ طـافِ

ورَنـا إلـى الـشُّـبَّـاكِ يـرجـو فـاخـتـفـتْ
وارتـدَّ بـالـوعـدِ الـجـلـيِّ الـخـافـي

وغـدا إلـيـهِ، فـرفَّ شـيءٌ ظَـنَّـهُ
حـسـنـاءَ، تَـرفِـلُ فـي ثـيـابِ زفـافِ

ودعــا (حــســيــنــاً) مــرّةً فــأجــابَــهُ
صــوتٌ كــســاقــيــةٍ مــن الأصــدافِ

فــاشــتــمَّ أَتْــرَفَ ربــوةٍ أجــنَــتْ لــه
ودنــا، فــغــابــت عــن يــدِ الــقــطَّــافِ

فــهُــنــا مَــزارٌ مــن طــفــولاتِ الــضُّــحــى
ومــن الــشَّــذا وأصــايــلِ الأصــيــافِ

يــمــضــي إلــيــهِ عــلــى الــحــنــيــن ويــنــثــنــي
مــنــهُ عــلــى فــرسٍ مــن الأطــيــافِ

هــي لَــمْ تَــعِــدْهُ، ويــرتــجــي مــيــعــادَهــا
وسُــدىً يُــعــنــقِــدُ خُــضْــرةَ الــصَّــفــصــافِ

فــيــرودُ كــالــسِّــمــســارِ مــتــجــرِ عــمِّــهــا
ويُــشــيــدُ بــالــبــيَّــاعِ والأصــنــافِ

ويــعــودُ قــبــلَ الــعــصــرِ يــقــصــدُ جَــدَّهــا
فــي الــبــيــتِ، يُــطْــري حُــمــقَــهُ ويُــصــافــي

ومــضــى يــصــادقُ عــنــدَ مــدخــلِ بــابِــهــا
مــقــهــىً، وبــابــاً كــالــخــفــيــرِ الــجــافــي

وبــلا مــحــاولــةٍ رآهــا مــرَّةً
جَــذْلــى كــحــقــلِ الــزَّنــبــقِ الــرَّفَّــافِ

كــان الــمــســاءُ الــغــضُّ عــنــدَ رجــوعِــهِ
حــقــلاً ربــيــعــيًّــا ونــهــرَ سُــلافِ

حــقًّــاً رآهــا كــالــضُّــحــى، والــبــوحُ فــي
نــظــراتِــهِ كــالــطَّــائِــرِ الــخــوَّافِ

خلفَ الزُّجاجِ تبرَّجَتْ وأظَلَّها
شعرٌ، كأهدابِ الغروبِ الصَّافي
كانت تُغنِّي حينذاكَ وتنتقي
ثوباً، وترمي بالقميصِ الضَّافي
وأمامَ مرآةٍ، تُعرِّي نِصْفَها
وتموجُ تحتَ المِئزرِ الشَّفَّافِ
لِمَ لا يُناديها؟ وكيفَ؟ ويختفي
عنهُ اسمُها، ويضيعُ في الأوصافِ
شفقيَّةُ الشَّفتينِ، كَحْلى ناهدٌ
صيفيَّةٌ، ثلجيَّةُ الأعطافِ
وخلا الطريقُ فلم يُصِخْ إلاَّ إلى
أصدائِها، وعبيرِها الهتَّافِ
ومشى يُحدِّقُ والذهولُ الحُلْوُ في
عينيه يبسمُ كالصَّبِيِّ الغافي
ويُعيدُ رؤيتَها ويحضنُ ظِلَّها
ويمدُّ آمالاً بلا أطرافِ
ويَعي فيتَّهمُ المُنى، ويعودُهُ
حُلمٌ سخيُّ الهمسِ والإرجافِ
فيشيدُ مملكةً، ويستولي على
أسمى الرؤوسِ، وأعرض الأكتافِ
ويرنُّ مِذياعٌ فيمسي مُطْرَباً
في زحمةِ التَّصفيقِ والإرهافِ

يشدو فتحتشدُ المَسامرُ حولهُ
موَّاجةَ الأثداءِ والأرْدافِ

ويمدُّ خطوتَهُ فيركضُ (عَنتَرٌ)
في صَدرِهِ ويكرُّ (عبدُ منافِ)

فيُغيرُ، يطعنُ أو يحوزُ فُلانةً
وفُلانةً بشريعةِ الأسيافِ

فإذا اسمُهُ أخبارُ كُلِّ مدينةٍ
وإذا صداهُ مَسامِرُ الأريافِ

وتلينُ خطوتُهُ فيصبحُ تاجراً
تكسوهُ أُبَّهةٌ من الآلافِ

إنَّ النُّقودَ سلاحُ كُلِّ مُقاتلٍ
ما كانَ أصدقَ حكمةَ الأسلافِ

مَنْ كانَ؟ أوضعَ مِنْ (مُثَنَّى) فاحتوى
مالاً، وأصبحَ أشرفَ الأشرافِ

سأفوقُ مَنْ أَثروا، وتُخبرُ جدَّتي
أنَّ الزَّمانَ يَرِقُّ بعدَ جَفافِ

وتقص أُمِّي كيفَ كانَ دعاؤها
حولي قناديلاً تضيءُ مَطافي

وانجرَّ يهمسُ للطُّيوفِ ويجتلي
وعداً مِنَ الإغداقِ والإسرافِ

ويُحوِّلُ الدُّنيا بلمعةِ خاطرٍ
قيثارةً، موهوبةَ العَزَّافِ

فيُعِدُّ مشروعاً ويُنجِزُ ثانياً
كالبرقِ، يحمِلُهُ إلى الأهدافِ

وغداً، ستُخبِرُ كلُّ بنتٍ أُمَّها
عنهُ، وتحسدُ أُختَها وتُجافي

وتنافِسُ الخُلْواتُ بنتَ مزارهِ
فيهِ، وتمنَحُهُ بلا استعطافِ

وإلى مَدى التَّحليقِ يرفَعُهُ هوىً
وهوىً يخوضُ بهِ مَدَى الإسفافِ

ورَنَا بلا قصدٍ، فخالَ تحرُّكاً
يدنو كقُطَّاعٍ مِنَ الأجلافِ

مَنْ ذا هُناكَ؟ وكان يسعلُ حارسٌ
ويقصُّ ثانٍ فُرْقَةَ الأُلَّافِ

وأجابَ هِرٌّ هِرَّةً فأجالَ في
وَجْهِ السُّكونِ توسُّمَ العَرَّافِ

فاعتادهُ شبحٌ عليهِ عباءةٌ
شَعْثا ووجهٌ كالضَريحِ العافي

واحتَجَّ مُنعطفٌ أطارت صَمْتَهُ
ونُعاسَه نقَّالةُ الإسعافِ

ماذا دنا مِنهُ؟ توثُّبُ غابةٍ
من أذرعٍ صخريَّةِ الأخفافِ

ومشى كمُتَّهمٍ تُكشِّرُ حولَهُ
وحشيَّةُ المَنفى ووجهُ النَّافي

وأشارَ مصباحٌ فأنكر وجهَهُ
ويديْه في إيمائِهِ الخطّافِ
ورأى هواجسهُ على ظَلِّ الدُّجى
كدَمِ الشَّهيدِ على يدِ السَّيَّافِ
وأحسَّ عمَّتَهُ تقولُ لأُمِّهِ:
رجعَ ابنُ قلبكِ، فأَمِّني أو خافي
وهناكَ أخبرَهُ التَّعثُّرُ أنَّهُ
يمضي ويرجعُ وهو طاوٍ حافِ

۞۞۞

وراء الرياح

يونية سنة 1964م

تقولينَ لي. أينَ بيتي مُزاحْ؟
مِنَ النَّارِ زادَ رمادي جراحْ؟

تقولينَ أينَ؟ وبيتي صدىً
مِنَ القبرِ، جُدرانُهُ مِنْ نُواحْ

وتِيهٌ وراءَ ضياعِ الضَّياعِ
وخلفَ الدُّجى، ووراءَ الرِّياحْ

هُناكَ قراري على اللاّقرارِ
وفي لا غُدُوٌّ وفي لا رواحْ

وراءَ النَّوى، حيثُ لا برعمٌ
جنينٌ، ولا موعدٌ من جَناحْ

أموتُ، وأستولدُ الأغنياتِ
وأبذُلُها للبِلى في سماحْ

وأَحْلُمُ، حيثُ الرُّؤى ترتمي
على غابةٍ من لُهاثِ النُّباحْ

وحيثُ الأفاعي تبيعُ الفحيحَ
وتمتصُّ جوعَ الحَصَى في ارتياحْ

لماذا أُجيبُ؟ وتَسْتَنْبِتينَ
سؤالاً يُبرعمُ حُلْمَ الصَّباحْ

فـــأُصـــغـــي، وأســـمـــعُ مـــن لا مـــكـــان
صـــدىً واعـــداً، زنـــبـــقـــيَّ الـــصُّـــداحْ
وأَشْـــتَـــمُّ صـــيـــفـــاً خـــجـــولَ الـــقِـــطـــافِ
تـــالـــعـــثـــمَ فـــي وجـــنـــتـــيْـــكِ وفـــاحْ
ونـــاغـــى عـــلـــى شـــاطِـــئـــيْ مُـــقـــلـــتـــيْـــكِ
مُـــنـــىً رُضَّـــعـــاً ووعـــوداً شِـــحـــاحْ
أحَـــلْـــنَ رمـــادي حـــريـــقـــاً صـــمـــوتـــاً
وأورقْـــنَ فـــي شـــفـــتـــيْـــهِ فَـــبـــاحْ
لأنَّـــا الـــتـــقـــيْـــنـــا، وَلَـــذْنـــا الـــشُّـــروقَ
وأَهْـــدى لـــنـــا كـــلُّ نـــجـــمٍ وِشـــاحْ
فـــمـــاج بِـــنـــا مـــنـــزلٌ مـــن شـــذاً
ومِـــنْ أُغـــنـــيـــاتِ الـــصِّـــبـــا والـــمَـــراحْ

۞ ۞ ۞

يا نجوم

مارس 1967م

لــفــتــةً يــا نــجــومُ إنِّــي أنــادى
مَــنْ رآنــي؟ أو مــن تــجــلَّــى الــمُــنــادى؟

إنَّــنــي يــا نــجــومُ كُــلَّ مــســاءٍ
هــاهُــنــا، أبــلــعُ الــشِّــفــارَ الــحِــدادا

وبــلا مــوعــدٍ أمُــدُّ بــنــانــاً
مــن حــنــيــنٍ، لــكُــلِّ طــيــفٍ تــهــادى

لــكــنــوزٍ مــن شــعــوذاتِ الــتَّــمــنــي
تــتــبــدَّى ثُــنــىً، وتَــخــفــى فُــرادى

أزرعُ الــسَّــقــفَ والــزوايــا فُــتــوحــاً
فــتــســوقُ الــكُــوى إلــيــهــا الــجــرادا

وأُنــادي والــريــحُ تــمــضــي وتــأتــي
كــالــمــنــاشــيــرِ جَــيــئــةً وارتــدادا

وتــقــصُّ الــذي حــكــتْــهُ مِــراراً
لــلــرَّوابــي، ولــقَّــنــتــهُ الــوِهــادا

وتــعــيــدُ الــذي أعــادت وَتــزوي
مِــن سُــعــالِ الــبــيــوتِ فَــصــلاً مُــعــادا

مَــنْ أُنــادي يــا ريــحُ. مَــنْ؟ لــســتُ أدري
هــل ســيــدنــو، أم يــســتــزيــدُ ابــتــعــادا؟

مَــنْ يــرانــي؟ إنِّــي هُــنــا يــا عَــشــايــا
أنــفــخُ الــسَّــقْــف، أو أُداري الــرُّقــادا

ورؤىً، تــســتــفــزُّنــي وتُــولِّــي
ورؤىً تــزرعُ الــمــســاءَ سُــهــادا

وهَــوَىً يَــعــزفُ احــتــراقــي ويــشــدو
فــأُعــيــدُ الــصَّــدى وأحــســو الــرَّمــادا

❁ ❁ ❁

أُمُّ يعرُب

أغسطس 1964م

حيث الغُبارُ الأهوجُ ... على الرِّياحِ ينشجُ
وحيث تشمخُ الدُّمى ... ويستطيلُ العَوْسجُ
هناكَ حيث يدَّعي ... على القشورِ البهْرجُ
جزيرةٌ، تطفو على ... صحوِ الرُّبا وتدلجُ
مُطِلَّةٌ، كأنَّها ... نعشٌ أشمُّ أبلجُ
تمضي به حَنيَّةٌ ... جَرْحَى وتلٌّ أعرجُ
سمراءُ حُلْمُها على ... أيدي الرياحِ هودجُ
ومِزْوَدٌ من الهوى ... ومرتعٌ مُضرَّجُ
تجثو كذاهلٍ إلى ... ما لا يرى يُحدِّجُ
كجائعٍ يشتمُّ مِنْ ... حوليهِ لحماً ينضجُ
تَهْوَى وظِلُّ نفسِها ... يُخيفُها ويزعجُ
فتحبلُ الرُّؤى على ... أهدابِهَا وتُخدِجُ
على الفراغِ تنطفي ... وللفراغِ تُسرجُ
على اصفرارِ وجْهِها ... تَعَمْلَقَ التَّشَنُّجُ
فبعضُها لبعضِها ... تَوَحُّشٌ مُهَيِّجُ
يُومي إلى رُكامِها ... ركامُها المدجَّجُ
فترجع (البسُوسُ) في ... أحشائِها تُهَمْلِجُ

ويَعصرُ التحامُها دماءَها، ويمزجُ
وتنثني يَهُزُّها تبجُّحٌ مُحَشْرَجُ
تَقُص عن جدودِها كَمْ أخمدوا وأجَّجوا
وأبدعوا مَقابراً وأسقطوا وتوَّجوا
وأتخموا سوقَ الرَّدى وأكسدوا وروَّجوا
وأينَ صالَ (جُزْهُمٌ) وأينَ جالَ (خَزْرَجُ)
فيشرئبُّ (هاشمٌ) من رملِهَا و(مذحجُ)
فتغزلُ الحياةُ مِنْ ثلجِ البِلَى، وتَنْسُجُ
سلِ الرِّياحَ هَلْ لَها خلفَ الرُّؤى توهُّجُ
هل يستفزُّ وجْهَها إلى الضُّحى التَّبرُّجُ
هناكَ ذرَّ بُرعمٌ فأومأ التَّأَرُّجُ
إلى نهودِ هَضْبةٍ يُحيلُها التَّرَجْرُجُ
تُثير موعداً، على عينيهِ طَيْفٌ أدعجُ
هناكَ نبضُ مولدٍ يُريبُهُ التَّحَرُّجُ
تَلَجْلَجتْ بنانُهُ فأفصحَ التَّلَجْلُجُ
وكَرْمةٌ عيونُها أحلامُ أنثى تُزوِجُ[1]
ومُنحنىً يَخضرُّ في حروفِهِ التَّهَدُّجُ
وواحةٌ حبلى تَعي متى؟ وكيف تُنتِجُ؟
فتَبتَدي جزيرةٌ أُخرى أجدُّ أبهَجُ
لها طفولةٌ، على رَكْضِ البزوغِ تَدْرُجُ

---

(1) تزوج: تدخل طور الزواج.

عــلــى امــتــدادِ حِــضْــنِــهــا   تَــنْــدَى الــحَــصــى، وتَــهْــزُجُ
ويَــنْــتَــشــي (عَــرارُهــا)   ويــفــرحُ الــبــنَــفْــسَــجُ
فــلــلــكُــوى، تَــلَــفُّــتٌ   ولــلــرُّبــا تَــمَــوُّجُ

⊛⊛⊛

آخر جديد

أبريل 1965 م

مولاتي، يا أحلى
عندي لكِ، أخبارٌ عجلى

قالوا عن (حُوريَةٍ) امتلأتْ
فتناً، أغلى ما في الأغلى

نَهداها كِبْرُ شُموخِهما
خدَّاها نظرتُها النَّجلا

أنَّى خَطَرَتْ لَبِسَتْ حقلاً
من غَزْلٍ، وانتعلتْ حقلا

فهُنا وهناكَ، لِمِشيتِها
تاريخٌ يستهوي النَّخلا

أملاهُ يوماً منعطفٌ
والرِّيحُ، أعادَتْ ما أملى

و(ثُريَّا) أَجْنَتْ، وحَواها
عُشٌّ؛ فاخْضَوْضَرَ واخْضَلاً

وحكى عن (مَرْيَمَ) جِيرَتُها
ميعاداً، ولقاءً نَذْلا

حتى عرَّاها إخوتُها
من أكفانِ الحسبِ الأعلى

وانحلَّتْ عن (يحيى) قمرٌ

واستهوت مِطلاقاً كَهْلا

* * *

لكن، أَأَقُصُّ لغاليتي

من آخرِ أخباري فَضْلا؟

إنّي وحدي، والبردُ على

أنقاضي يسقطُ كالقتلى

أجْتَرُّ الطينَ، وأعزفُهُ

وأُغنّي للرِّيحِ الثَّكْلَى

بالأمسِ، شذا المذياعُ هُنَا

فشَمَمْتكِ، أُغنيَةً جَذْلى

وكزهرِ الرُّمّانِ اختلَجَتْ

شفتاكِ، وخِفَّتُكِ الخَجْلى

وتناغى الطّيبُ كعزّافٍ

ولَدَتْ قيثارتُهُ الحُبْلى

وكأنَّ لقاءً يحضُنُنا

أرجو، فتُجيدين البَذْلا

واليومَ، تقمَّصني قَلَقٌ

مجنونٌ، لم يعرف مَهْلا

فتقاذفني التَّجوالُ كما

تستاقُ العاصفةُ الرَّمْلا

فَعَبَرْتُ زُقاقاً مأهولاً
وزُقاقاً هَرِماً مُنْحَلاَ
وتُراباً ينسجُ أقنعةً
لوجوهٍ لَمْ تَحملْ شَكْلا
وطريقاً سَمْحاً أسْلَمَني
لمضيقٍ يَلتَحِفُ الوَحْلا
وإلى سوقٍ في آخرِهِ
مُنعطفٌ يَنْشُدُني أَهْلا
وسألتُ هنالك (فلفلةً)
عن دارِكِ فادَّعَتِ الجهلا
أَوَلا تَدرينَ، تَلَقَّاني
عَبَقٌ مِنْ شرفتكِ انْهَلاَّ
وهُناكَ جَثَوتُ، أعبُّ صَدىً
حيّاً، وأعيدُ صَدىً ولّى
وإخالُ الممشى يَسْتَرخي
ويُلَحِّنُ خَطْرَتَكِ الكَسْلى
فأُصيخُ إلى ما لا أدري
وأضمُّ الهِرَّةَ والطِّفلا
ورآني البابُ فمَدَّ على
كتِفَيّ، الخُضرةَ والظِّلاَّ
وحكى لي كيفَ تلاقَيْنا
في تِلكَ الأُمسِيَةِ الكَحْلَى

ومــتــى تــأتــيــنَ؟ أيــخــبــرُنــي؟
وتــلــعــثــمَ بــالــخــبــرِ الأجْــلَــى

* * *

والآنَ، رجــعــتُ، كــمــا تــســري
فــي الــغــابِ، الــقــافــلــةُ الــعَــزْلا
هــذا مــا جــدَّ، ولا أدري
مــاذا ســيــجــدُّ، ومــا يــبْــلــى؟

۞۞۞

خدعة

مايو سنة 1965م

مَنْ تمنحينَ الضِّحكةَ الواعِدَةْ
والهزَّةَ المعطاءَةَ، النَّاشِدَةْ

سُدىً، تَمُدِّينَ إليهِ اللَّظَى
لن تستحرَّ الكومةُ الخامِدَةْ

قد أصبحَ الجُوعانُ، يا روحَهُ
شبعانَ، تزدانُ لَهُ المائِدةْ

الجمراتُ الخُضْرُ في لَمْسِهِ
تثلَّجتْ واحِدَةً واحِدَةْ

تَساءَلي: أينَ اختفى وجهُهُ؟
كيفَ انطفَتْ أعراقُهُ الواقِدَةْ؟

وفتِّشي عينيهِ، هَلْ فيهِما
حتى رمادُ الجُذوةِ البائِدَةْ

مَنْ ذا تُثيرينَ، كما تقتفي
صَبِيَّةٌ، عصفورةً شارِدَةْ

يَداهُ في مَجْناكِ، لَكِنَّهُ
ريَّانُ، يحسو قهوةً بارِدَةْ

وكانَ لا يصحو ولا يرتوي
مِنْ دفءِ هٰذي الثَّروةِ الحاشِدَةْ

عُـــودي إلـــى الأمـــسِ تَـــريـــهِ، كـــمـــا
كـــانَ اجـــتـــداءً أو مُـــنـــىً ســـاهِـــدَةْ

أو حـــاولـــي أن تُـــصـــبـــحـــي لُـــعـــبـــةً
أُخـــرى، ومُـــدِّي نـــظـــرةً كـــائِـــدَةْ

فـالـحـلـوةُ الأولـى، عـلـى نُـضْـجِـهـا
وخِـضْـبِـهـا كـالـسِّـلـعـةِ الـكـاسِـدَةْ

فـــكـــيـــفَ والأُخْـــرى غـــداً عِـــنْـــدَهُ
أُولـــى، فـــيـــا لَـــلْـــخُـــدعـــةِ الـــخـــالِـــدَةْ!

مـــاذا تـــقـــولـــيـــنَ؟ أكُـــلُّ الـــذي
يـــبـــنـــي وتـــبـــنـــيـــنَ بـــلا قـــاعِـــدَةْ

⊛⊛⊛

صَدَى

مـــن ذا يُــنــاديــنــي؟ أُحِــسُّ نــداءً
يــعــتــادُنــي، فــيُــحــيــلُــنــي أصــداءَ

خــلــفــي وقُــدّامــي، يُــزنــبــقُ دِفْــئُــهُ
ويــنــرجــسُ الــلَّــفــتــاتِ والإغــراءَ

فــأشــدُّ أنــفــاســي وأعــراقــي إلــى
فــمــه، وأغــزِلُ مِــنْ شــذاه رداءَ

مَــنْ ذا؟ ويــلــثُــمــهُ الــتــســاؤلُ والــمُــنــى
يــحــفــرن عــنــهُ الــحــيــرةَ الــشــقــراءَ

والــبــابُ يــلــثــغُ بــالــلِّــقــاءِ ويــنــطــوي
فــي صــمــتــهِ، يــتــحــرَّقُ اســتــجــداءَ

والــسُّــهــدُ يــلــهــثُ فــي الــرُّفــوفِ ويــحــتــســي
أنــفــاسَــهُ، ويُــجَــرجِــرُ الإعــيــاءَ

فــأقــولُ لــلــجــدرانِ: مَــنْ؟ وتــقــولُ لــي:
مَــنْ؟ والــكُــوَى تــتــســاجــلُ الإيــمــاءَ

وتَــمــدُّ أَذْرُعَــهــا إلــيــهِ وتــنــحــنــي
تُــصــغــي، وتــجــمــعُ ظــلَّــهــا، أشــلاءً

والــلــيــلــةُ الــكَــحْــلَــى، تُــصــيــخُ إلــى الــصَّــدى
فــتُــحــيــلُــهــا مــعــزوفــةً ســمــراءَ

وَتميسُ مِنْ خِلفِ الثُقوبِ، كناهدٍ
خجلى، تريدُ وتَحْذَرُ الإفشاءَ

مَنْ ذا يُناديني؟ ويدنو مِنْ يدي
حتى أهِمَّ بلمسِهِ، يتناءى

كيفَ اسْتَسَرَّ؟ وأستحيلُ ترقُّباً
شَرِهاً يُداري السُّهْدَ والإغفاءَ

حتى يعودَ. أكادُ أهتفُ باسمِهِ
ويُريبني، فأضيِّعُ الأسماءَ

مِنْ أينَ يدعوني؟ وأنبشُ لهفَتي
عن نَبْعِهِ؟ وأفتِّشُ الإصغاءَ

وأمدُّ أسئلةً، يُمنّي بعضُها
بعضاً ويضحكُ بَعْضُها استهزاءَ

من أينَ باحَ؟ أمِنْ هُنالكَ، ربَّما
أَمْ إنَّهُ مِنْ هاهُنا، يتراءى

مِنْ حيثُ لا أدري، وأدري أنَّهُ
يعتادُني فيحيلُني أصداءَ

❁ ❁ ❁

أصيلُ القرية

مارس 1967م

تدلَّى كمزرعةٍ مِنْ شَرَرْ
مُعلَّقةٍ بذيولِ القَمَرْ

وحامَ كغابٍ مِنَ الياسمين
تندَّى على ظِلِّه واستَعَرْ

فمالَتْ تُودِّعُهُ رَبْوَةٌ
وتهتزُّ كاللَّهبِ المُحتضِرْ

كحسناءَ عرَّى العتابُ الخجولُ
هواها وبالبسماتِ استَتَرْ

تُعابِثُهُ وتُباكي الطيورَ
وتستعبرُ الرابياتِ الأُخَرْ

ومدَّت لَهُ القريةُ الهَيْنَماتِ
كلغوِ الرؤى كاصطخابِ (التَّتَرْ)

وأَغْلَتْ لَهُ جوقةً مِنْ دُخانٍ
ومعزوفةً مِنْ خوارِ البَقَرْ

فرَفَّ، كأجنحةٍ مِنْ نُضَارٍ
كأرديةٍ من دموعِ الزَّهَرْ

وعرَّاهُ صحوُ المَدى فارتدى
لهيبَ ذوائبه، واتَّزَرْ

* * *

تهادى يُجمِّعُ من كُلِّ أُفْقٍ
صدى عُمْرِهِ ولُهاثَ البَشَرْ

ويحبو كموجٍ يمدُّ يديه
إلى شاطئٍ مِنْ مُزاحِ القَدَرْ

وأرسى على كَتِفَيْ شاهقٍ
كأرجوحةٍ مِنْ ذهول الفِكَرْ

يُلَمْلِمُ مِنْ جَمْرَتي مُقْلَتَيْهِ
حِبالاً، يخيطُ شِراعَ السَّفَرْ

ويجبلُ. آثارُ أقدامِهِ
أباريقُ حُبٍّ ونجوى سَهَرْ

وأغفى فنادى الرَّواحُ الرُّعاةَ،
فعادوا ثُنِيَّ، وتوالَوْا زُمَرْ

وناشَتْ خُطاهُمْ هدوءَ التُّرابِ
ورعشَ الكَلا وسكونَ الحَجَرْ

ونقَّر خطوُ القطيع الحصى
كما ينقرُ السَّقْفَ وقعُ المَطَرْ

وشدَّ الرُّعاةُ إلى الراعياتِ
شبابَ المُنى وملاهي الصِّغَرْ

وكانت (غزالٌ) غناءَ الرُّعاةِ
وصيفَ الرُّبا وشذا المُنحَدَرْ

مآزرُها، مِنْ رُنُوِّ الحقولِ
إليها، ومن قُبُلاتِ النَّهَرْ

وقــامــتُــهــا مِــنْ عــمــودِ الــصَّــبــاح
ذوائــبُــهــا، مِــنْ خــيــوطِ الــسَّــحَــرْ

*

وكــانــت تُــمــاشــي (مُــشــنَّــى صَــلاح)
وتــقــرأُ فــي وجــهِ (تــقــوى) الأثــرْ

ولــمَّــا دنــا الــحــيُّ ضَــجَّــت (سُــعــادُ):
أضــاعَ (حــســيــنُ) الــخــروفَ الأغــرّ

فَــمَــنْ. مَــنْ رآهُ؟ تــعــالَــوْا نــعُــدُّ
مــواشــيَــنــا قــبــلَ تــيــهِ الــنَّــظَــرْ

ولــمــا أتــمُّــوا، حَــكَــتْ (وردةٌ)
و(فــرحــانُ) عــن كُــلِّ وادِ خَــبَــرْ

فــأخــبــرَ أيــن ذَوَى مــرتَــعٌ؟
وأيــن زَكــا مــرتَــعٌ وازدهــرْ؟

وفــي أيِّ شِــعْــبٍ؟ تــمــدُّ الــذئــابُ
حَــلاقِــمَــهــا مِــنْ وراءِ الــحــذرْ

* * *

ومــرُّوا كــحــقــلٍ تَــلُــمُّ الــرِّيــاحُ
وُرَيــقــاتِــهِ، وَتَــمــيــلُ الــثَّــمَــرْ

كــقــيــثــارِ هــاوٍ دؤوبٍ يُــلِــحُّ
عــلــى وتــرٍ، ويُــدَمّــي وَتَــرْ

وأدمــى الــوداعُ نــداءَ الــعــيــونِ
ولــوَّن ظِــلُّ الــغــروبِ الــخَــفَــرْ

* * *

وحيَّا فمُ القريةِ العائدين
ونادى مَمرٌّ ولبَّى مَمرّ

وأخفى (عليّاً) مضيقٌ طويل
وواري (تُقى) شارعٌ مُختصر

ودارت ثوانٍ، فرانَ السُّكونُ
ينوّع بالذكرياتِ السَّمَرْ

ففي مسمرٍ ذكرت (مَريمٌ)
أباها، وناحت كيومِ انتحَرْ

وفي مَسْمَرٍ بَثَّ (سَعدٌ) أباه
شجونَ الزَّواجِ وأغضى البصَرْ

وثرْثَر في كُلِّ بيتٍ حديثٌ
وأحزنَ كلُّ حديثٍ وسرّ

فأُمُّ (ثُريَّا) تفوقُ الرِّجالَ
وتُوحي أمرَّ وأحلى الذِّكَرْ

فكيفَ تجلَّتْ مساءَ الزِّفافِ
وفي الصُّبحِ مات أبوها الأبَرّ

وأُمُّ (عليٍّ) تُربِّي الدَّجاجَ
وتكدحُ خلفَ ارتعاشِ الكِبرْ

تُرقِّعُ أسمالَ أطفالِها
وتحسو عروقَ يديها الإبَرْ

و(حسَّانُ) خانَ غرورَ البناتِ
بهِ، وانتقى أمَّ إحدى عشرْ

وبــاعَ (رَجــا) أُخــتَــهُ فــي (الــريــاض)
بــألــفــيــن لــلــتَّــاجِــر الــمُــعــتــبــز

ومــاتَ (ابــنُ ســرحــانَ) يــومــاً وعــادَ
يُــخــبِّــر جــيــرانَــهُ عــن ســقَــز

وأصــغــى الــسُّــكــونُ إلــى كُــلِّ بــيــتٍ
كــحــيْــرانَ، يــنــوي ويــنــســى الــوَطَــز

وأغــفــى رفــاقُ الــهــوى والــقــطــيــعُ
عــلــى مــوعــدِ الــمُــلــتــقــى الــمُــنــتــظَــز

ولــيــلــتُــهُــمْ ذكــريــاتٌ وحُــلْــمٌ
كــلــمــعِ الــنــدى فــي اخــضــرارِ الــشَّــجَــز

طــيــوفٌ، كــمــا حــثَّ ســربُ الــحــمــامِ
قــوادِمَــهُ خــلــفَ ســربٍ عَــبــز

وكــلَّــت ريــاحٌ، وجُــنَّــت ريــاحٌ
ونــجــمٌ تــأنَّــى ونــجــمٌ طَــفَــز

وَفــتَّــشَ عــن قــدمــيْــهِ الــدُّجــى
ودبَّ، كــأعــمــى يــجــوسُ الــحُــفَــز

فــأذكــى هُــنــا جــمــراتِ الــسُّــهــادِ
وأعــطــى هُــنــاكَ الــرؤى والــخــدَز

وأفــنــى هــزيــعــاً وأدمــى هــزيــعــاً
فــعــادَ الأصــيــلُ الــمُــوَلِّــي ســحَــز

❁ ❁ ❁

لصٌّ في منزل شاعر

نوفمبر 1966م

شكراً، دخلتَ بلا إثارَةْ وبلا طفورٍ، أو غَرارةْ
لمّا أَغَرْتَ خنقتَ في رجليكَ ضوضاءَ الإغارةْ
لَمْ تسلُبِ الطِّينَ السُّكونَ، ولم تُرِعْ نومَ الحجارةْ
كالطَّيفِ جئتَ بلا خُطىً وبلا صدىً، وبلا إشارةْ
أرأيتَ هذا البيتَ قِزماً، لا يُكلِّفُكَ المهارةْ؟
فأتيتَهُ ترجو الغنائِم، وهْو أَعْرَى مِنْ مَغارَةْ

* * *

ماذا وجدتَ سِوى الفراغِ وهِرَّةٍ تَشْتَمُّ فارَةْ
ولهاثَ صُعلوكِ الحُروفِ يصوغُ مِنْ دمِهِ العِبارةْ
يُطفي التوقُّدَ باللَّظى يَنسى المَرارةَ بالمرارةْ
لَمْ يُبقِ في كوبِ الأسى شيئاً. حساهُ إلى القرارةْ

* *

ماذا؟ أتلقى عندَ صُعلوكِ البيوتِ غِنى الإمارةْ؟
يا لص، عفواً إن رجِعْتَ بدون رِبحٍ أو خسارَةْ
لَمْ تَلْقَ إلاّ خيبةً ونسيت صندوقَ السِّجارةْ
شكراً، أتنوي أنْ تُشرِّفَنا بتكرارِ الزِّيارةْ؟!

❂❂❂

ذهول الذهول

فبراير سنة 1964 م

لـــديـــهِ أحـــلـــى الـــحـــكـــايـــا شُـــكـــولْ
تُـــثـــيـــرُ فـــيـــهـــا عـــنـــفـــوانَ الـــفُـــضَـــولْ

يُـــخـــبِّـــرُهـــا. يـــســـأَلُـــهـــا. يـــنـــتـــقـــي
مِـــنْ قِـــصَّـــةِ الأشـــواقِ أشـــهـــى الـــفُـــصـــولْ

وكـــيـــف يـــنـــســـلُّ إلـــيـــهـــا إذا
تَـــثـــاءَب الـــبـــابُ، وأومـــا الـــدُّخـــولْ؟

وغـــاب فـــي الـــتَّـــفـــكـــيـــر، واعـــتـــادَهُ
ظِـــلٌّ دُخـــانِـــي، كـــوجـــهِ الـــعَـــذولْ

مـــاذا؟ إذا لاحـــت لَـــهُ فـــجـــأَةً
وأنـــكـــرتْـــهُ، واحـــتَـــمـــتْ بـــالأُفـــولْ

لا، لَـــمْ يَـــغِـــبْ عـــن بـــالِـــهـــا، إنَّـــهُ
كـــانَ لَـــهـــا جـــاراً عـــطـــوفـــاً وَصُـــولْ

لـــكـــنْ أتـــدري أنَّ أشـــواقَـــهُ
كـــمـــا تَـــكُـــبُّ الـــعـــاصـــفـــاتُ الـــســـيـــولْ؟

أَلاَ تـــرى، أنَّ اخـــتـــلاجـــاتِـــهِ
أمـــامَـــهـــا شَـــهْـــقُ الـــحـــريـــقِ الأَكـــولْ؟

وكـــانَ يـــخـــشـــى بـــيـــنَ جـــيـــرانِـــهـــا
جـــاراً تُـــرابـــيَّ الأمـــانـــي خَـــتُـــولْ

يُحَمْحِمُ الشَّيطانُ في صدرِهِ
وبينَ فكَّيهِ يُصَلِّي بتُولْ
واستنطقَ الباب ومدَّ المُنى
وهو احتراقٌ وانتظارٌ سؤولْ
واسْتَنزَلتْها قَبْضَتا وهمِهِ
فضمَّها قبل احتمالِ النُّزولْ

* *

منْ ذا؟ وإذْ لاحت رماهُ إلى
شموخِ نَهْديها، الخيالُ العَجولْ
وأقبلَتْ في موكبٍ مِنْ شذا
مُلَحَّنِ الخَطْوِ طروبِ الذبولْ
مفاصلُ المَمْشى على خطوها
عادت صنوجاً، واستحالَتْ طُبُولْ
ومُقلتاها تَغْزِلان الرُّؤى
حمائماً زُرْقاً وصحواً كَسولْ
كيف يُناجيها؟ ألا تنطوي
أحرفُهُ تحت اصفرارِ الذُّبولْ
فينحني خجلانَ، لكنَّها
حسناءُ يُرضيها اللهيفُ الخَجولْ
ماذا يُلاقي؟ شعلةً بضَّةً
من الصِّبا، والكبرياءِ المَلُولْ!
دِفْئاً، وإشراقاً كما يرتمي
فجرُ الرُّبا فوقَ اخضرارِ السُّهُولْ

يحبو على أهدابِها موعدٌ
طِفلٌ، ويسترخي عليه الخُمولْ

في أيِّ زاوٍ من تهاويلِها
يرسو؟ وفي أيِّ اخضرارٍ يَجولْ؟

يذهلُهُ عن بَعْضِها بَعْضُها
فما الذي يُغوي؟ وماذا يَهُولْ؟

* * *

وعادَ يحكيها لِناي الهوى
ويسألُ الأشباحَ ماذا يَقُولْ

هل يُخبرُ الأشواقَ عنها كما
يخبرُ عن (جنَّاتِ) عدْنٍ رَسولْ

ووجهُهُ أسئلةٌ حُوَّمٌ
ظوامئٌ، يَمْتَصُّهُنَّ النُّحُولْ

يَخْفِقْنَ كالأوراقِ، يسألنَ عن
روائحِ الأُنثى رياحَ القُبولْ

وكانَ يَطوي شارعاً جوُّهُ
غابٌ كثيفٌ، مِنْ زُنودِ (المَغولْ)

كالنَّعشِ يستلقي عليهِ الدُّجى
وتَعجِنُ السُّحْبُ عليهِ الوُحولْ

وساءَلَ الدَّربُ التفاتَ الحَصى
مَنْ ذلكَ الآتي كطَيفِ الطُّلولْ؟

يـــــمــــــدُّ رؤيـــــاهُ إلــــى لا مـــــدىَ
ويـــــذرعُ الأوهــــام عَــــرْضــــاً وطُــــولْ

عـــــهـــــدتُــــهُ مـــــرَّ عِـــــشــــاءَ وفـــي
عـيـنـيـه مِـنْ أطـيـافِ (قـيـسٍ) فُـلـولْ

وزارَ داراً، بـــــيـــــنَ جُـــــدرانِـــــهـــــا
صـيـفٌ نـبـيـذيُّ الـجَـنـى والـحُـقـولْ

مـضـى إلـــيــهـــا ذاهـــلاً وانـــثـــنــى
عـــن بـــابِـــهـــا، وَهْـــو ذهـــولُ الـــذُّهـــولْ

* *

ذكريات شيخين

أبريل سنة 1967م

كان يا (عمرُو) هنا بيتُ المَرَخ
زنبقي الوعدِ، صيفي المِنَخ
الطيوفُ الحُمْرُ والخُضْرُ على
مقلتيْهِ كعناقيدِ البلَخ
أشمستْ فيهِ اللّيالي، والمدى
بثُريّاتِ دواليهِ اتَّشَخ
كان مضيافاً، إذا ما جئتهُ
شعَّ كالفجرِ، وكالوردِ نَفَخ
فانمحى. يا لَلتَّلاقي بعدما
نَزَحَ الرُّوَّادُ عنهُ ونَزَخ!

* * *

يا تُرى، من أينَ نمشي؟ هاهُنَا
قام حيٌّ، وهُنا أرسى مَصَحَ
وعَهِدْنا منزلاً قَزْماً هُنا
من تُرى عملَقَهُ حتى طَمَخ؟
واستراحَتْ هاهُنَا مقبرَةٌ
قَرُب العُمرانُ مِنْها فاكتَسَخ

ووراءَ الــــسُّـــورِ أرســـى مــــصـــنـــعٌ
وهـــنـــاكَ امْـــتَـــدَّ ســـوقٌ وانْـــفَـــســـخْ

أيـــنَ نَـــحـــنُ الآنَ؟ واري عَـــهْـــدُنـــا
وجـــهَـــهُ، وانـــطـــفـــأتْ فـــيـــهِ الــلُّــمَـــخْ

أنــكــر (الــنَّــهْـرَيْـنِ) وَجْــهَـيْـنـا ومِــنْ
قــبــلــهِ، أنــكــرنــا (بــابُ الــسَّــبــخْ)[1]

مَـــنْ يُـــقَـــوِّيـــنـــا، وكُـــنَّـــا زمـــنـــاً
كـ(بـغـالِ الـرُّومِ)[2] أو خـيـلِ (جَـمـخْ)

*

هـــاهُـــنَـــا نَـــجْــلِـسُ يـــا (عـــمـــرُو) نـــرى
مـــا اقـــتـــنـــى الـــتـــاريـــخُ مِـــنَّـــا واطَّـــرَحْ

خـــطَّ آثـــارَ خُـــطـــانـــا زمـــنٌ
بـــيـــديـــهِ وَبِـــرِجْـــلَـــيْـــهِ مَـــســـخْ

فـــانـــحـــنـــى (عـــمـــرُو) وقـــالَ: اذكُـــرْ لـــنـــا
يـــا (عـــلـــيُّ) الأمـــس واتـــركْ مـــا اجـــتَـــرَحْ

أمـــسُـــنـــا كـــانَ كـــريـــمـــاً مُـــغْـــدَمـــاً
وزمـــانُ الـــيـــومِ أغـــنـــى وأَشَـــحْ

كـــيـــف كُـــنَّـــا نَـــنْـــطَـــوي خـــلـــف الـــلُّـــحـــى
ونـــواري مِـــنْ هَـــوانـــا مـــا افـــتَـــضَـــحْ

---

(1) النهرين وباب السَّبح: حيَّان شهيران في قلب صنعاء.

(2) هذه حكاية الشيوخ حين يصفون ما ذهب مِنْ قوى الشباب.

يـومَ أعـلَـتْ (روضـةٌ) بـرقُـعَـهـا
واسـتـجـدنـا مـا اخـتـفـى مِـمَّـا اتَّـضَـحْ

أطـعَـمَـتْـنـا وألـحَّـتْ فـي الـنَّـوى
عـن يـديـنـا، وتـشـهَّـيـنـا أَلَـحّ

فـتـردَّدنـا عـلـى جـارٍ لَـهـا
نـشـتـري الـتَّـبـغَ، ونُـطـري مـا امـتَـدَحْ

وأطـلَّـتْ ذاتَ صُـبـحٍ مِـثـلـمـا
يـرتـدي صـحـوُ الـرُّبـا (قـوس قُـزَحْ)

فـارتَـعَـشْـنـا وانـجَـلَـتْ دهـشَـتُـنـا
ثـم أومـأنَـا إلـيـهـا بـالـسُّـبَـحْ

فـاقـتـفـتْـنـا، وَتَـركْـنـا لِـلـهـوى
كُـلَّ أمـرٍ، وأَطَـعْـنـا مـا اقـتَـرَحْ

ومـضـى عـامـان لا نـدري مـتـى
جـدَّ حـادي الـعُـمـرِ، أو أيـنَ مَـزَحْ

كـيـفَ كُـنَّـا قـبـلَ عـشـريـن نـعـي
هَـمْـسَـةَ الـطَّـيـفِ، وإيـمـاءَ الـشَّـبَحْ

ونُـغَـنِّـي كـالـسُّـكـارى قـبـلَ أَنْ
يـعـد الـعـنـقـودُ أشـواقَ الـقَـدَحْ

ثُـمَّ أصـبـحـنـا نـشـازاً. صـوتُـنـا
فـي ضـجـيـجِ الـيـومِ كـالـهـمـسِ الأبـحّ

كـلُّ شـيءٍ صـارَ ذا وجـهـيـن، لا
شـيءَ يـدري أيُّ وجـهـيـهِ أَصَـحّ

يـا (عـلـيُّ) انـظُـرْ، ألاح الـمُـنـتَـهـى؟
لا انـتـهـى الـمـسـعـى ولا الـسَّـاعـي نَـجَـحْ!

لـم نَـعُـدْ نـهـنـا ولا نـأسـى، ذَوَتْ
خـضـرةُ الأُنـسِ، خَـبَـتْ نـارُ الـتَّـرَحْ

أو خَـبـا الـحِـسُّ الـذي كُـنَّـا بـهِ
نَـطْـعَـمُ الـحُـزْنَ، ونَـشْـتَـمُّ الـمَـرَحْ

لَـمْ يَـعُـدْ شـيءٌ كـمـا نـألَـفُـهُ
فـعَـلامَ الـحُـزْنُ، أو فِـيـم الـفَـرَحْ؟

*

دَخَـلَـتْ (صـنـعـاءُ) بـابـاً ثـانـيـاً
لـيـتَـهـا تَـدري، إلـى أيـنَ افـتَـتَـحْ

❁ ❁ ❁

سَبَّاحُ الرَّماد

أكتوبر سنة 1963م

يريدُ، ويَمضي إلى لا مرادْ
يخوضُ إلى الوعدِ موجَ الرَّمادْ

ويَرمي سفينتَهُ للحريقِ
وتُنشِدُ أهدابُهُ: لا ارتدادْ

فيقذفُهُ سَفَرٌ حالِمٌ
إلى سفرٍ، مِنْ رؤى (شهرزادْ)

وتجترُّهُ مِنْ غيومِ الصَّديدِ
بلادٌ من الطِّيبِ في لا بلادْ

يَنِمُّ عليها اختلاجُ البروقِ
فتمتدُّ عيناهُ في لا امتِدادْ

فتبصُقُهُ الرِّيحُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
وتمضغُ في مُقلتيهِ العِنادْ

وتسألُهُ: هل يعودُ إلى
مصيفِ رُباهُ، ودِفءِ الوِهادْ؟

فيسألُها: هَلْ لَهُ مَنزِلٌ
على شُرفتيهِ انتظارُ المَعادْ؟

فتُخبِرُهُ أَنَّ دُنياهُ ريحٌ
ودوّامةٌ، مِنْ طُيوفِ السُّهادْ

ضـــجـــيـــجُ فـــراغٍ، يـــلـــوكُ صَـــداهُ
وَيُـــوهـــمُ شِـــدقـــيْـــهِ بـــالازدراذْ

ووديـــانُـــهُ فـــي ضـــيـــاعِ الـــضَّـــيـــاعِ
ومَـــوعِـــدُهُ رحـــلـــةُ (الـــسَّـــنـــدبـــاذْ)

يـــغـــازلُ خـــلـــفَ امـــتـــدادِ الـــخَـــيـــالِ
مـــدىً لـــلـــفُـــتـــونِ عـــلـــيـــهِ احـــتـــشـــاذْ

ســـواعِـــدُهُ سُـــلَّـــمٌ لـــلـــشُّـــمـــوسِ
وأهـــدابُـــهُ لـــلـــثُّـــريَّـــا وِســـاذْ

ذوائِـــبُـــهُ لُـــجَـــجٌ مِـــنْ رحـــيـــقٍ
وأحـــضـــانُـــهُ الـــخُـــضْـــرُ صَـــيْـــفٌ جَـــواذْ

لـــوافِـــتُـــهُ مِـــنْ أغـــانـــي الـــطُّـــيـــوبِ
وأبـــوابُـــهُ أذرعٌ مِـــنْ وِداذْ

حـــنـــونُ الـــمَـــمَـــرَّاتِ، جـــدرانُـــهُ
نـــجـــومٌ كَـــسَـــالـــى تُـــديـــرُ الـــرُّقـــاذْ

❂❂❂

كلمةُ كلِّ نَهار

سبتمبر 1967م

كيف اشرأب (ظفارٌ)[1] وانتخى[2] (صبِرُ)
يوم التقى الشَّعبُ والآمالُ والقَدَرُ

وكيف عادَ لـ(صنعاءَ) العجوزِ صِباً
أطرى، وأشمس في أرجائِها السَّمَرُ

وكيف يا (نِقمُ) المولودُ. كيف هَمَتْ
أصداؤهُ الخُضْرُ، حتى أورقَ الحَجَرُ؟

وكيف أَنكَرْتَ يا (صُراوحُ)[3] كُلَّ صدىً
حتى تورَّدَ في أهدابِكِ الخَبَرُ؟

وكان يومُ نُشورِ الشَّعبِ مُنتظِراً
وافى كما انْهَلَّ في ميعادِهِ المطَرُ

أطلَّ فاحتضنتْهُ كُلُّ رابيةٍ
وبشَّرَ الواديَ الممتدَّ مُنحَدَرُ

وسارَ والفجرُ في كَفَّيْهِ ألويةٌ
ومِنْ جراحِ الضَّحايا خلفَهُ سحَرُ

(1) ظفار: جبل جنوب غرب صنعاء، وصبر جبل مطل على تعز من الجنوب.
(2) انتخى: ساورته النخوة.
(3) صرواح جبل في الشرق من صنعاء حدثت فيه أول معركة بعد قيام الثورة.

فـــهـــنَّـــأتْ جـــارةٌ أُخـــرى وهـــنَّـــأهـــا
جـــارٌ، وزغـــردتِ الـــشُّـــرُفـــاتُ والـــجُـــدُرُ

وهـــاهُـــنـــا غَـــمْـــغَـــمَ الـــتـــاريـــخُ: أيـــنَ أنـــا؟
مَـنْ قـائـدُ الـزَّحـفِ. سـيـفُ الـلـهِ أو عُـمَـرُ؟

مـــاذا هُـــنـــا الـــيـــومَ، يـــا دُنـــيـــا؟ هُـــنـــا يـــمـــنٌ
طِـفـلٌ، عـلـى شـفـتـيْـهِ يـبـسـمُ الـظَّـفَـرُ

هـــذا الـــنُّـــشـــورُ أو الـــمـــيـــلادُ، مَـــدَّ فـــمـــاً
إلـــى الأعـــالـــي، فـــدلَّـــى نـــهـــدَهُ الـــقَـــمَـــرُ

مـــضـــى، وكـــلُّ طـــريـــقٍ تـــحـــت مـــوكـــبِـــهِ
شَـــدوٌ، وكُـــلُّ حـــصـــاةٍ حـــولَـــهُ وَتَـــرُ

*

وذاتَ يـــومٍ ربـــيـــعـــيِّ الـــضُّـــحـــى، نَـــبـــحَـــتْ
(صِـنْـوانَ)[1] عـاصـفـةٌ تَـعـوي وتَـنْـفَـجِـرُ

مـــن ذا أهـــاجَ رمـــادَ الأمـــسِ، فـــاشـــتَـــعَـــلَـــتْ
فـــي أعْـــيُـــنِ الـــرِّيـــحِ، مِـــنْ ذرَّاتِـــهِ شَـــرَرُ؟

أهـــذِهِ الـــحَـــرْبُ يـــا تـــاريـــخُ؟ كـــيـــف تَـــرى؟
مِـن خـلـف (جـنَّـاتِ عـدنٍ) أومَـأتْ (سَـقَـرُ)

ومـــرَّ عـــامٌ جـــحـــيـــمـــيٌّ، روائـــحُـــهُ
دمٌ، بِـــحَـــشْـــرجـــةِ الـــبـــتـــرولِ مُـــتَّـــزِرُ

(1) صنوان: منطقة شمال صنعاء.

ودبَّ ثــانٍ خــريــفــيُّ الــمَــدى، قَــلِــقٌ
يُــفــنــي ويَــفْــنَــى ويــحــيــا وَهْــوَ يــنــتــحــرُ

وطــالَ كــالــسُّــهــدِ حــتــى انــهــدَّ فــي دمِــهِ
تــثــاءبَــتْ، مِــنْ بــقــايــا وجــهِــهِ الــحُــفَــرُ

وغــابَ خــلــفَ الــشَّــظــايــا، فــابــتَــدَتْ سَــنَــةٌ
تُــعَــبِّــئُ الــنَّــارُ ثــديــيْــهــا وتــعــتَــصِــرُ

فــأجــهــدَ الــمــوتُ شِــدْقــيْــهِ وقــبــضَــتَــهُ
حــتــى تــجــلــمــدَ فــي أنــيــابِــهِ الــضَّــجَــرُ

وقــالَ كــلُّ نــهــارٍ: لــن تــنــالَ يــدٌ
مِــنْ ثــورةٍ، مــاتَ فــي مــيــلادِهَــا الــخَــطَــرُ

❂ ❂ ❂

ليلة خائف

نوفمبر 1967م

كانت قناديلُ المديـ ـنةِ كالشرايين النَّوازِفْ
والجوُّ يلهثُ، كالمدا خنِ فوقَ أكتافِ العواصِفْ
وهناك مذعورٌ بِلا حانٍ، على الأشواكِ عاكِفْ
كالطَّائِرِ المجروحِ، في عشٍّ بأيدي الرِّيح واجِفْ
السقفُ يُنذِرُهُ، ويصـ ـمتُ أو يوسوِسُ كالزَّواحِفْ
والظِلُّ يلمحُهُ، وفي عينيه تحترقُ الهواتِفْ
والباب يلغطُ بالوعيـ ـدِ، وينتقي أعتى الرَّواجِفْ
ماذا هُناكَ؟ ورَاعَهُ شيءٌ، كلغْلَغَةِ القذائفْ
فأحسَّ أفواجَ (التتا رِ)، طوائفاً تتلو طوائِفْ
ورأى النوافذَ أعْيُناً كالجمرِ مُطفأةَ العواطِفْ
أينَ المفرُّ؟ وهَمَّ وانـ ـثنى وأحجم، نصف تالِفْ
فيفرُّ، وَهْو مُسمَّرٌ والبيتُ يهربُ وهْو واقِفْ
ومَضتْ نجومٌ مُطفأ تٌ وانثنَتْ أُخْرَى كواسِفْ
فروتْ إليهِ الرِّيحُ خَفْـ قَةَ مِعزَفٍ ونحيب عازِفْ
وعلى اختناقِ لُهَاثِهِ ضَحَّى بصوتٍ غير آسِفْ
وهُنَا تحدَّى الرُّعب، أو داراهُ، أو أَلِف المخاوِفْ
فَهَمَى على عينيه إغْـ ـفاءٌ، كأسحارِ المَصَائِفْ
وتبثَّتِ الأحلامُ هَجْـ ـعَتَهُ، وبُدِّلتِ المواقِفْ
فانهارَ قُطَّاعُ الطَّريـ ـقِ وأسكتَ الجوُّ العواصِفْ

ورأى فَـــراديـــســـاً تُـــدَلِّـــ لـمـهُ، تَـمُـدُّ لَـهُ الـمـقـاطِـفْ
وبـرغـمِـهِ عَـصَـفَ الـتَّـيَـقُّـ ظُ بـالـعُـلالاتِ الـخـواطِـفْ
فـــأفـــاقَ رُبـــعَ مُـــخَـــدَّرٍ ثُـلُـثَـيْ صـريـعٍ، نِـصـفَ خـائِـفْ

●●●

أُمٌّ في رِحلة

سبتمبر 1967م

هـل هـذا طِـفـلُـكَ؟ واقـتـربـت
كـالـطِّـفـلِ تُـنـاغـي وتُـنـادي:

طِـفْـلـي، هـل أعـجـب سـيِّـدتـي؟
حـلـوٌ، كـهـدايـا الأعـيـادِ

وكـأوَّلِ إحـسـاسِ الأُنـثـى
بـرنـوٌ الـمُـعـجَـبِ والـصَّـادي

مـا اسْـمُ الـمـحـروسِ؟ أجِـبْ يـا ابْـنـي
(نـعـمـانُ) كـجَـدِّ الأجـدادِ

أهـلاً (نُـعـمـانُ) فـيـسـتـحـيـي
ويُـرَفـرِفُ كـالـوَردِ الـنَّـادي

فـتُـحـاكـي لـثـغَـتَـهُ الـخَـجْـلـى
وتُـغـمـغـمُ كـالـنَّـبـعِ الـشَّـادي

مـا أروعَـهُ، يـا عـمُّ ومـا
أسـخـى عـيـنـيـهِ بـإسـعـادي

أولادي الأربـعـةُ اخـتـلـطـوا
فـيـهِ. مـا أحـلـى أولادي

عـيـنـاهُ كـعـيـنَـيْ (عـائـشـةٍ)
خـدَّاهُ كـخَـدَّيْ (عـبَّـادِ)

فـمُـهُ، يـفـتـرُّ، كـثـغـرِ (لـمَـى)
زنـداهُ كـزَنْـدَيْ (حـمَّـادِ)

* * *

شـكـلٌ حـلـوٌ، مـا أجـمـلَـهُ
كـالـطَّـيـفِ، كـأطْـيـارِ الـوادي
كـالـحـبُ، كـدغـدغـةِ الـذُّكـرى
كـالـحُـلْـمِ، كـهـمـسِ الـمـيـعـادِ
أشـتَـمُّ حـلـيـبـي فـي فـمِـهِ
قُـبـلاتـي، أنـفـاس بـلادي
وتـمـدُّ إلـيَّ مـلامِـحُـهُ
فَـرحـي وعـذاب الـمـيـلادِ
زَهْـوي بـالـحـمـلِ كـجـاراتـي
صـرخـاتِ الـمَـهـدِ وإجـهـادي
وتُـعـيـدُ إلـيَّ طـفـولـتُـهُ
صِـغـري وطـفـولـةَ أنـدادي
فـكـأنّـي ولِـدَاتـي نَـشْـدُو
أو نـركـضُ، كـالـسَّـيـلِ الـعـادي

* * *

(نـعـمـانُ) أعـاد صِـبـا عُـمـري
يـا عـمُّ، وأيـقـظَ إيـقـادي
كـهـوَىً كـلَّـتْ أنـشـودتُـهُ
وتَـلَـظَّـى رجـعُ الإنـشـادِ

خلفي، ياعمُّ نداءاتٌ
وأمامي سِحْرُ الأبعادِ

أمضي وأعودُ وأطفالي
أسفاري، أشواقُ مَعادي

لا تأسَيْ، يا بنتي إني
سافرتُ العُمْر بلا زادِ

خُضْتُ الخمسينَ بلا ولَدٍ
يرجى، وبلا أملَ حادي

وأتى الأولاد بلا رزقٍ
وبلا طُرُقٍ وبلا هادي

فصبرْنَا صبر الدَّربِ على
أقدامِ الرَّائحِ والغادي

واستنجدنا المولى حتى
لبَّانا، أسخى إنجادِ

* *

أتُحبِّينَ ابْني، كلَّ ابْنٍ
في الأرضِ وكلَّ الأحفادِ؟

* *

عفواً، يا عمُّ أنا أمٌّ
أولادُ الغيرِ كأولادي

⚙ ⚙ ⚙

سفَّاحُ العمران

مارس 1967م

يـا قـاتـلَ الـعُـمـرانِ أخْـ ـجَلتَ المعاوِلَ والمكينةْ
ألِأَنَّ فـي فـمِـكَ الـنـفـو ذَ وفي يديكَ دَمَ الخزينَةْ؟
جَرَّحْتَ مُجْتَمعَ الأسى وخنقتَ في فمِهِ أنينَهْ
وأحلتَ مُزدحم الحيا ةِ خرائباً ثكلى، طَعينةْ
ومضيتَ من هدمٍ إلى هدمٍ، كعاصفةٍ هجينَةْ[1]
وتَنهَّدُ الأنقاضِ في كفَّيْكَ أوراقٌ ثمينَةْ
وبشاعَةُ التَّجميلِ في شفتيْكَ كأسٌ أو دَخِينَةْ[2]
سلْ ألفَ بيتٍ عطَّلتْ كفَّاكَ مِهنَتَها الضَّنِينةْ
كانتْ لأهليها متا جرُ مِثلَهُمْ، صُغرى أمينةْ
كانوا أحقَّ بها، كما كانت لِمِثْلِهِمُ قِمينَةْ
فطَحَنْتَها ونَفَيْتَهُمْ مَنْ للضَّحايا المُستَكِينةْ؟
أخرَجتَهُمْ كاللاجئيـ ـنَ بلا مُعينٍ أو مُعينةْ
وكنَسْتَهم تحتَ النَّها رِ كطينةٍ تَجترُّ طِينةْ
فمَشوا بلا هدفٍ، بلا زادٍ سِوى الذِّكرى المُهينةْ
يستصرخونَ اللهَ والْـ إنسانَ والشَّمس الحزينةْ
وعيونُ أُمِّ الثُّورِ خَجْـ ـلى والضُّحى يُدمي جَبِينَهْ

---

(1) هجينة: لئيمة مدخولة النسب.

(2) دخينة: سيجارة.

والـرِّيـحُ تـنـسـجُ مـن عـصـيـ ـرِ الـوَحْـلِ قِـصَّـتَـكَ الـمُـشـيـنـةْ

* * *

مـن أنـتَ؟ شـيءٌ، عـن بـنـي الْـ إنـسـانِ مـقـطـوعُ الـقـريـنـةْ!
ذئـبٌ عـلـى الـحَـمَـلِ الـهـزيـ ـلِ تـروعُـكَ الـشَّـاةُ الـسَّـمـيـنـةْ
عـيـنـاك مـذبـحـةٌ مـصـوَّ بـةٌ، ومـقـبـرةٌ كـمـيـنـةْ
ويـداكَ زوبـعـتـانِ، تـنـ ـبحُ في لُـهـاثـهـمـا الـضَّـغـيـنـةْ
يـا وارثـاً عـن (فـأرِ مـأ ربَ) خُـطَّـةَ الـهَـدمِ الـلَّـعـيـنَـةْ
حـتـى الـمـسـاجـدُ رُعْـتَ فـيـ ـهـا الـطُّـهـرَ، أقـلـقـتَ الـسَّـكـيـنـةْ
يـا سـارقَ الـلُّـقـمـاتِ مِـن أفـواهِ أطـفـالِ الـمـديـنـةْ
يـا نـاهـبَ الـغـفـواتِ مـن أجـفـانِ (صـنـعـاء) الـسَّـجـيـنـةْ
مـن ذا يـكـفُّ يَـديْـكَ عـن عـصـ ـرِ الـجـراحـاتِ الـثـخـيـنـةْ؟
مـن ذا يُـلـبِّـي لـو دَعَـتْ هـذي الـمـنـاحـاتُ الـدَّفـيـنـةْ؟
مـن ذا يُـلـقِّـنُ طَـفـرةَ الْـ إعـصـارِ، أخـلاقـاً رزيـنـةْ؟
نـأتِ الـشـواطـئُ، يـا ريـا حُ فـأيـنَ مـن يُـنـجـي الـسَّـفـيـنـةْ؟!

ذات يوم

سبتمبر 1962م

أَفَقنا على فجرِ يومِ صبي
فيا ضحواتِ المُنى أطْرِبي

* * *

أتدرينَ، يا شمسُ ماذا جرى؟
سلَبنا الدُّجى فَجْرَنا المُختبي

وكانَ النُّعاسُ على مُقلتيكِ
يُوشوِسُ كالطَّائرِ الأزْغَبِ

أتدرينَ أنَّا سبقْنَا الربيعَ
نُبشِّرُ بالموسمِ الطَّيِّبِ

وماذا؟ سؤالٌ على حاجبيْكِ
تَزَنْبقَ في هَمسِكِ المُذْهَبِ!

وسِزنا حشوداً تطيرُ الدروبُ
بأفواجِ ميلادِنا الأنجبِ

وشَعباً يدوِّي: هي المعجزاتُ
مُهودي، وسيفُ (المثنَّى) أبي

* *

غربتُ زماناً غروب النهارِ
وعُدتُ يقودُ الضُّحى مَوْكِبي

أضـأنـا الـمَـدى قـبـلَ أنْ تـسـتـشـفَّ
رؤى الـفـجـرِ أخـيـلـةَ الـكَـوكَـبِ

فـولَّـى زمـانٌ كـعـرضِ الـبَـغـيِّ
وأشـرقَ عـهـدٌ كـقـلـبِ الـنَّـبـي

طـلـعـنـا نُـدَلِّـي الـضُّـحـى ذاتَ يـومٍ
ونـهـتـفُ: يـا شـمـسُ لا تـغـرُبـي

❂❂❂

سيرةٌ للأيام

مارس 1968م

ربما لا تطيقُ مثلي قرارا
فلْنُسافِرْ تساؤلاً وادِّكارا

يا صديقي الحنينُ من أين؟ تدري
كيف عاد الضُّحى وأين توارى

أتُراهُ نهارُ أمسي المُوَلِّي
عاد أشهى صباً وأسخى انهمارا

هل رمادُ الضُّحى يَحُولُ رداءً
للعشايا، لكي يعودَ نهارا؟

العشايا صبحٌ كفيفٍ يُدلِّي
شوقَه من رمادِ عينيهِ نارا

يسحبُ الظلَّ والطيوفَ الحزانى
ويُعاني شوقَ الطُّيورِ الأسارى

ثم يأتي، كما مضى في ذهولِ
شفقيٌّ، يَذْمى ويندى افترارا

يا صديقي وهل يَعي كيفَ أغفى
جمرُ أجفانِهِ؟ وكيفَ أنارا؟

وهلِ الشَّمسُ طفلةٌ أو عجوزٌ
تستعيرُ الصِّبا وتُغوي المَدارا؟

أتـــراهـــا عـــضـــرِيَّـــةَ أم تَـــراهـــا
مـــتـــحـــفـــاً دايـــراً، يُـــوشّـــي الـــجِـــدارا؟

مـــا الـــذي تـــدَّعـــي؟ لـــهـــا كـــلَّ يـــوم
مـــولـــدٌ، كـــيـــفَ يـــا (فـــقـــيـــهَ بُـــخـــارى)؟

أَوَمَـــا أزوجَـــتْ[1] (وروـمـــا) جـــنـــيـــنٌ
و(أبـــو الـــهـــولِ) فـــي حـــنـــايـــا الـــصَّـــحـــارى؟

أَوَمـــا أدفَـــأَتْ (ثُـــبـــيـــراً)[2] ولـــمَّـــا
يَـــلِـــدِ الـــغـــيـــبُ (يَـــعْـــرُبـــاً) أو (نِـــزارا)؟

فـــلـــيـــكُـــنْ، إنَّـــمـــا الأصـــالاتُ أبـــقـــى
جِـــدَّةً والـــنُّـــضـــارُ يـــبـــقـــى نُـــضـــارا

يـــا صـــديـــقـــي فـــكـــيـــف يَـــدْعُـــونَ هـــذا
مُـــســـتـــعـــاداً وذاكَ يُـــدعـــى ابـــتـــكـــارا؟

رُبَّـــمـــا لـــم يَـــجِـــدَّ شـــيءٌ، ولـــكـــن
نـــحـــنُ نَـــرنـــو بـــنـــاظـــراتِ الـــسُّـــكـــارى!

والـــرَّبـــيـــعُ الـــذي نـــرى الـــيـــوم، هـــل كـــا
ن الـــرَّبـــيـــعَ الـــذي رأيـــنـــا مـــرارا

وســـنـــلـــقـــاهُ، بـــعـــدَ (كـــانـــون) أمـــلـــى
بـــالـــرؤى مـــن عـــيـــونِ أحـــلـــى الـــعَـــذارى؟

والـــمـــصـــيـــفُ الـــذي نَـــراهُ كِـــبـــاراً
كـــان ذاكَ الـــذي شَـــهِـــدنـــا صِـــغـــارا؟

---

(1) أزوجت: دخلت سن الزواج.

(2) ثبير جبل في الجزيرة العربية.

ولماذا صمتَّ، ترنو يميناً
في شرودٍ وتستديرُ يسارا

كيف نُغضي، وللسؤالاتِ ركضٌ
تحتَ أهدابِنَا يخوضُ الغِمارا؟

هل تُحِسُّ الحقولُ ما سِرُّ (نيسا
نَ)؟ ومِنْ أينَ عادَ يَهمي اخضرارا؟

كيفَ أَصْغَتْ إليهِ؟ هل ضَجَّ، يا أشـ
ـواكُ مَوتي وبارَكَ (الجُلَّنارا)؟

أيُّ فصلٍ من الفصولِ التوالي
أسكتَ (البومَ) واستعادَ (الهَزارا)؟

أينَ يَمضي الزَّمانُ؟ هل سوف يَطْوي
سِفْرَهُ، أو يَعي فيشكو العِثارا؟

ربَّما، إنما.. لماذا نُنادي؟
ويضيعُ الصَّدى، فنرجو القِفارا

أتظُنُّ الرياحَ تدري إلى أيـ
ـنَ؟ ومِن أينَ تَسْتَهِلُّ المَسارا؟

أتُراها تُعطي الرُّبا جانحيْها
ذاتَ يومٍ وتستَعيرُ الوقارا؟

يا صديقي أنا وأنت اشتهاءٌ
نحتسي الملحَ أو نلوكُ الشِّفارا

طالَ فينا جوعُ السُّؤالِ، فأطعمـ
ـناهُ (كانونَ) واعتصرنا الغُبارا

واجـتـدانـا ولائـمـاً عـاجـلاتِ
فـطـبـخـنـا عـلـى الـنُّـجـومِ الـحـيـارى

كـلُّ مـا عـنـدنـا نـداءٌ بـلا ردٍّ،
سـؤالٌ يـتـلـو سـؤالاً مُـثـارا

مَـنْ دَعَـانـا؟ ومَـنْ نُـنـادي؟ أصَـخْـنَـا
وانـتـظـرنـا، حـتـى حُـرِقْـنَـا انـتـظـارا!

فـلْـنَـنَـمْ، والـنـعـاسُ يَـروي حـكـايـا
نـا، ويُـرخـي قـبـلَ الـشُّـروع الـسِّـتـارا

۞۞۞

عند مجهولة

29/ 10/ 1969م

هذه الأمسيَّةُ الكَسْلى الغريبهْ
مرحٌ خابٍ ولذَّاتٌ كئيبهْ

السُّقُوفُ الخُرْسُ أيدٍ لا ترى
ووراءَ البابِ أنفاسٌ مُريبهْ

والزَّوايا أذرعٌ مجهولةٌ
والكُوى عينا رقيبٍ أو رقيبهْ

رُبَّما أخطأتُ، لكنْ قلقٌ
يعتريني واحتمالاتٌ قريبَهْ

* * *

اللقاءُ الحُلْوُ مُرٌّ هاهُنَا
وتناجي الحُبِّ دقَّاتٌ رتيبَهْ

هذه الساعاتُ أنسٌ خائفٌ
ومُنىً خمريَّةٌ جَذْلى رَهيبَهْ

أينَ طعمُ الخمرِ والحُبُّ هنا
ولديَّ الكأسُ ملأى، والحبيبَهْ؟

يا حنانَ الحلوةِ الغَنْجَا إلى
أينَ تَمضي بي لياليكَ العجيبَهْ؟

هـاهُـنَـا يـا شـهـرزادُ انـطـفـأتْ
نـارُ جَـذْبـي وابـتـدتْ نـارٌ خَـصِـيـبـةْ

* *

إنـمـا مـن أنـتِ؟ قُـولـي لـي، أَمَـا
خـلْـف بـرقِ الأُنْـسِ أمـطـارُ الـمُـصِـيـبـةْ

بـالـهـوى مَـنْ أنـتِ يـا مـجـهـولـةٌ
دونَ أَنْ أدعـوهـا كـانـت مُـجـيـبـةْ

فـلـتـكـونـي مَـنْ تُـريـديـن، لـقـد
كـنـتُ مَـصـدوراً فـأصـبـحـتِ الـطَّـبـيـبـةْ

❂❂❂

ضائع في المدينة

25/ 4/ 1969م

سوفَ أبكي ولَنْ يُغيِّرَ دَمعي
أيَّ شيءٍ من وضعِ غيري وَوَضْعي

هَلْ هُنَا أو هُنَاكَ غيرُ جذوعٍ
غيرُ طينٍ يَضِجُّ، يعدو ويُقْعي

لو عبرتُ الطَّريقَ عريانَ أبكي
وأنادي، من ذا يعي أو يُوَعِّي؟

يا فتى يا رجال! يا.. يا... وأنسى
في دويِّ الفراغِ صَوْتي وسَمْعي

* * *

رُبَّما قالَ كاهنٌ، ما دهاني
ومَضَى يستعيذُ مِنْ شَرِّ صُنعي

رُبَّما استفسرَتْ عجوزٌ صبيّاً
ما شجاني، وأين أُمّي ورَبعي

أو رمى عابرٌ إليَّ التفاتاً
واختفى في لحاقِ جمعٍ بجمعِ

إنَّما لو لَمَسْتُ جيبَ غنيٍّ
في قوى قبضتيهِ قوتي ومَنْعي

لتلاقى الزِّحامُ حولي يُدوِّي:
مجرمٌ، واحتفى بِرَكْلي وصَفْعي
ولصاحَ القُضاةُ: ما اسْمي وعُمْري؟
مَنْ ورائي؟ ما أصلُ أصلي وفَرْعي؟
ما الذي يا فلانُ يا ابْنَ فُلانٍ؟
ولَهَوْا ساعةً بخفضي ورفعي
وهَذَى المُدَّعي بقتلي لأنّي
خُنتُ، حاولتُ مكسباً غيرَ شرعي
وزرعتُ اللُّصوصَ في كُلِّ دربٍ
وعليَّ ابتلاعُ أشواكِ زَرْعي
فيقصُّ القُضَاةُ أخطارَ أمسي
وغَدي وانحرافَ وَجْهي وطَبْعي
عندهم مِنْ سَوابقي نصفُ سِفْرٍ
وفصولٌ أشدُّ عن خُبْثِ نَبْعي
وسأُدعى تقدُّميّاً خَطيراً
أو أُسمَّى تآمُريّاً، ورَجْعي
وهُنَا سوفَ يحكمونَ بسجني
ألفَ شهرٍ، أو يَسْتَجيدون قَطْعي
وسأبكي ولن يُغيِّرَ دَمعي
أيَّ شيءٍ مِنْ وضعِ غَيري وَوَضْعي

***

بينَ أُختين

1/ 7/ 1968م

أيـقـولُ: إنِّـي.. رُبَّـمـا سَلَخْتُهُ مِنْ دعوى الشَّهامَةْ
لـو يـجـتـديـهـا هـل تـجـو دُ؟، ولـو أبَـتْ يـا لـلـنَّـدامـةْ
كـانـت مُـطَـلَّـقـةً فـهـل تـأبى الـذَّلولُ الـمُـسـتـهَـامَـةْ
لـكـن لـمـاذا يـشـتـهـيـ ـهـا كَـمْ يُـلـحُّ بـلا سـآمَـةْ
أومَـا تَـلـوحُ كـأُخـتِـهـا أو أنَّـهـا أجـلـى قَـسـامَـةْ
وأبـضُّ أفـنـانـاً وأغـ ـرض مِـئـزراً وأمـدُّ قـامَـةْ
فـي عـنـفـوانِ الـسَّـبْـعِ والـ ـعشرين أمْـرَحُ مِـنْ غُـلامَـةْ
لـو لَـمْ تَـكُـنْ أخـتَ الـتـي فـي دارِهِ لـرمـى احـتـشـامَـهْ

* * *

أيُـطـيـقُ لـو سَـخِـرت بـهِ حَـمْـلَ الـقـطـيـعـةِ والـمَـلامَـةْ؟
أوْ لَـوْ حَـكَـتْـهُ لأُخـتِـهـا لاستعجلت يـومَ الـقـيـامَـةْ
لـكـنْ رفـيـفُ ثـمـارِهـا يـدعـوه يـنـتـظـرُ اقـتـحـامَـهْ

* * *

أتـرُدُّهُ؟ لـن تـسـتـحـيـ ـلَ لَـبُـوءةً هـذي الـحَـمـامَـةْ
أوَلَـمْ تَـعِـدْهُ دلائـلٌ مِـنْـهـا مـلـوَّنَـةُ الـوَسَـامَـةْ
ضَـحِـكـتْ لَـهُ يـومَ الـخـمـيـ ـس وضِـحْـكـةُ الأُنـثـى عـلامَـةْ
وأحَـسَّـهـا لـمـحـتْ هـوا هُ بـعـيـنِ زَرْقَـاءِ الـيـمـامَـةْ
أيـامَ وعـكـةِ أُخْـتِـهـا جـاءَتْ وطَـوَّلَـتِ الإقـامَـةْ
وبَـدَتْ أرقَّ مِـنَ الـنَّـدَى وتـكـلَّـفَـتْ كَـذِبَ الـصَّـرامَـةْ

وغـــداةَ زارَ شـــقـــيــقَــهـــا كــانَــتْ أرقَّ مِــنَ الــمُــدامَــةْ
حــيَّــتْــهُ حــيــنَ أتــى وقــا لَــتْ حــيـنَ عــادَ مَــعَ الــسَّــلامَــةْ
سـلَّـمْ عـلـى (تَـقْـوَى) وزا دت دِفْءَ نَـبْـرَتِـهـا رخـامَـةْ

* * *

فـنـوى تـصـيُّـدَهَـا غـداً أو بـعـدُ، وَلْـتَـقُـمِ الـقِـيـامَـةْ
واخـتـار حُـلَّـتـه ونَـمَّـ ـقَ فـوقَ جـبـهـتِـهِ الـعَـمَـامَـةْ
وأتى يُغَنِّي: (يا عروس الرَّوْضِ) أو «يـــا ريـــمَ رامَـــةْ»
أو يـشــرئــبُّ كــظــامــئٍ بـيـديـهِ يـعـتـصـرُ الـغَـمَـامَـةْ
حــتــى دَنــا مِــنْ دارِهــا حـيَّـتْـهُ آيـاتُ الـفَـخَـامَـةْ
مــنْ ذا هُــنَـا؟ خـرجـوا أتَـدْ ري عـاد خـالـي مِـنْ تِـهـامَـةْ
كـيـفَ الـعِـيـالُ؟ وأيـنَ أخْـ ـتِـي؟ عِـنـد عَـمَّـتِـهـا كَـرَامَـةْ
ودَعَـتْـهُ ضِـحـكَـتُـهَـا فـهَـمَّ وعــادَهُ خَــوَرُ (الــنَّــعــامَــةْ)
ودَنَـتْ كـأجـنـى كَـرْمَـةٍ تـلـهـو بـنـهـديْـهَـا أمَـامَـهْ
وأرادَ فـاسـتـحـيـا عـلـى شـفـتـيْـهِ مـشـروعُ ابـتـسـامَـةْ

⊛ ⊛ ⊛

سوفَ تذْكُرين

2/ 2/ 1969م

ذاتَ يــومِ سَــتَــذكُــريــنَ ارتــجــافــي
بــيــنَ كــفَّــيْــكِ وانــهــيــالَ اعــتــرافــي

وســؤالــي: مَــنْ ذا هُــنَــا؟ وارتــيــاعــي
مــنْ سُــؤالــي وخَــشْــيــتــي أنْ تــخــافــي

واقــتــرابــي حــتــى شَــمَــمْــتُ، وَعَــوْدي
بــأســى جــيــئــتــي وهــزء انــصــرافــي

ووراثــي ذِكْــرى تَــعَــضُّ يَــدَيْــهــا
وأمــامــي طــيــفٌ كــوحــشٍ خُــرافــي

* * *

مَــنْ رآنــي مِــنْ أيــنَ جِــئْــتُ؟ وأمــضــي
كــالــصَّــدى، كــاغــتــرابِ ريــحِ الــفــيــافــي

أيُّ جَــذْلــى رَجَــعْــتُ عــنــهــا، ومِــنــهــا
وإلــيــهــا جَــنــازتــي وزِفَــافــي

والــذي كــانَ مَــنــزلــي قــبــلَ حــيــنٍ
جــئــتُــهُ فــاســتــحــالَ مَــنــفــى الــمــنــافــي

إنَّــمــا ســوفَ تَــذْكُــريــنَ وقــوفــي
بــيــن كــفَّــيْــكِ أجــتــدي أو أُصــافــي

ذاتَ يـومٍ سـتـرحـمـيـن احـتـراقـي
بـعـدمـا ذُبْـتُ واعـتـصـرتُ جَـفـافـي

وتـقـولـيـنَ: كـانَ عـصـفـورَ حُـبٍّ
ظـامِـئـاً.. كـيـفَ عـزَّ عـنـهُ ارتـشـافـي

كـانَ يـأتـي والـجـوعُ يـشـوي يـديـهِ
وعـلـى وجـهِـهِ اصـفـرارُ الـقـوافـي

واخـتـلاجـاتُـهُ تُـسَـلِّـي غُـرُوري
وانـكـسـاراتـهُ تَـحُـثُّ انـعـطـافـي

كـانَ يـقـتـادُهُ عَـبـيـري فـيـدنـو
ثُـمَّ يُـثـنـيـهِ ضَـعْـفُـهُ عـن قِـطـافـي

* * *

وتَـعـوديـنَ تَـذْكُـريـن الـتـمـاسـي
ورُجـوعـي وكـيـفَ كـنـتُ أُوافـي

وتـوَدِّيـنَ لَـوْ بَـذَلْـتِ ولـكـن
عـنـدَ أَنْ تُـجْـدبـي وأرضـى عَـفـافـي

⊛⊛⊛

نحنُ أعداؤنا

أبريل 1969م

لأنَّا رضَعنَا حليبَ الخُنُوعْ
تقمَّصَنَا مِنْ صِبانا الخُضُوعْ
فجُعْنَا ليكتظَّ جَلاَّدُنَا
ويَطْغى، وننسى بأنَّا نَجُوعْ!
وحينَ شَعَرنا بنهشِ الذِّئاب
شَدَدْنا على الجُرحِ نارَ الدُّمُوعْ
ورُحنا نُجيدُ سِبابَ الدُّجى
ولَمْ ندرِ كيفَ نضيءُ الشُّموعْ
نَفورُ وتُطْفِئُنَا تفلَةٌ
فنَمْتَصُّ إطفاءَنا في خُشُوعْ
ولمَّا سمِعنا انفجارَ الشُّعوب
أفقنا نرى الفجرَ قبلَ طُلُوعْ
ويوماً ذكرنا بأنَّا أُناس
فثُرنا ومُتنا لتحيا الجُمُوعْ
ولَكِنْ لبِسنَا رداءَ الأُباة
وفي دَمِنا المُستضامِ الهُلُوعْ
فحينَ انتوينا شروعَ المَسِير
حَذِرْنا المغبَّاتِ قبلَ الشُّروعْ

وقُلنا أتى من وراءِ الحُدود
جرادٌ غريبٌ فأشقى الرُّبُوعْ

وليسَ عِدانا وراءَ الحُدود
ولَكِنْ عِدانا وراءَ الضُّلُوعْ

فقد جَلَتِ الرِّيحُ ذاكَ الجَرادَ
فكُنَّا جراداً وكُنَّا الزُّروعْ

* * *

ومَنْ ذا أتى بعدُ؟ غازٍ تَصولُ
يداهُ ويرنو بعينَيْ (يَسُوعْ)

عرفناكَ يا أروعَ الفاتحين
إلى أينَ؟ ليسَ هُنَا من تَرُوعْ

أنلقاكَ يا (عنترَ) ابنُ السّيوف
بغيرِ المَواضي وأقوى الدُّروعْ

وكانَتْ بروقُ الدَّمِ المُفتدي
وعوداً تَعي وغيوباً تَضُوعْ

هُناكَ انتصرنا، بَذَرنَا الرَّبيع
ولَكِنْ جَنَيْنَا شِتاءَ القنوعْ

وَقَفْنا نحوكُ لأبلى القبور
وُجُوهاً، نُعَضري طلاء الصُّدوعْ

وليسَ عِدانا وراءَ الحُدود
ولَكِنْ عِدانا وراءَ الضُّلوعْ

* * *

تُـرى كـيـف نَـمـضـي؟ وهَـلْ خـلـفَـنَـا
مَــنُــوعٌ وبــيــنَ يــديــنــا مَــنُــوعْ؟

وأيــنَ وَصَــلــنَــا؟ هُــنَــا لَــمْ نَــزَلْ
نــبــيــعُ الــمُــحــيَّــا ونَــشـري الــهُــجــوعْ

* * *

فــهَــلْ خــلْــفَــنــا شــاطــئٌ يــا ريــاحُ؟
أقــدّامَــنــا مــرفــأٌ يــا قُــلُــوعْ؟

وصَــلــنــا هُــنــا لا نُــطــيــقُ الــمُــضِــيَّ
أمَــامــاً ولا نــســتــطــيــعُ الــرُّجــوعْ!

فــلَــمْ يــبــقَ فــيــنــا لــمــاضٍ هــوىً
ولَــمْ يــبــقَ فــيــنــا لآتٍ نُــزُوعْ

⁂

حماقةٌ وسَلام

11/ 10/ 1968م

مــاذا تــرى؟ وَهُــنــاً يــريــ ـدُ، وطـاقـةٌ تـمـتَـصُّ طـاقَـةْ
وإفــاقــةٌ كــالــسُّــكــرِ أو سُــكْــراً أَمَــرَّ مِــنَ الإفــاقَــةْ
جـيـلاً يـوثِّـقُ، بـيـنَ مَـضـ رَعِـهِ ومـحـيـاهُ الـعَـلاقَـةْ
ويــريـــقُ آلافَ الــكــؤو سِ أسىً على الكأسِ المُراقَةْ
تـشـتـدُّ فـيـه قـوى الـفـتـى وتَـمـيـعُ فـي دمِـهِ الـرَّشـاقَـةْ

* * *

جـيـلُ الـتَّـحـرُّرِ والـهَـوى عـبـدُ الـتـفـاهـةِ والأنـاقَـةْ
جيـلُ الـتَّـفَـتُّـحِ والـتَّـمـزُّقِ والــحــداثــةِ والــعِــتــاقَــةْ
حـيْـرانُ يَـغـمـرهُ الـشُّـرو قُ، ولا يَـرى أيَّ ائـتـلاقَـةْ
ومُـرفَّـهٌ، لـلـجـوعِ فـي ذرَّاتِ طـيـنـتِـهِ عـراقَـةْ
غـضـبـانُ يـبـلـعُ بـعـضُـهُ بـعـضـاً ويـفـخـرُ بـالـصَّـفَـاقَـةْ
وسـيـنـتـهـي.. وجـدُ الـسُّـلا حِ، وليسَ تَـنْـقُـصُهُ الحماقَةْ
لـيـتَ الـذي دفَـعَ الـسُّـلا حَ إليـهِ، عـلَّـمَـهُ الـلَّـبـاقَـةْ
حـتـى يَـعـي مَـنْ يـسـتـفـزُّ ومَـن يُـلاقـي فـي طـلاقَـةْ
حـتـى يُـوالـي عـن هُـدىً يـقـظٍ، ويَـكْـرَهُ عـن لـيـاقَـةْ
مَـنْ لا تُـعـلِّـمُـهُ الـعـدو اةُ، فـهـو أجـهـلُ بـالـصَّـداقَـةْ

* * *

ثكلى بلا زائر

مارس سنة 1969م

بنـاتُ (عيسى) وابنةُ (المَغربي)
لَبِسنَ ألوانَ الرَّبيعِ الصَّبي

رَجعْنَ بعدَ (النَّقشِ) مِنْ بابِنا
يَرْكُضنَ، يضحَكنَ بلا مُوجِبِ

ومَوْكَبتْ (بِلقيس) مِنْ صِنفِها
عَشراً، وقادت رحلةَ المَوْكِبِ

ورُحْنَ من سوقٍ إلى شارعٍ
على شظايا أعيُنِ العُزَّبِ

يَسخَرنَ حيناً مِنْ هوى مُعجبٍ
وتارةً يبْحَثنَ عن مُعجبِ

يُبدينَ أطرافَ الحُلى عَنْوَةً
وغفلةً يُسْفِرنَ للأجنبي

و(أمُّ نشوان) اختَلَت فانثنت
حسناءَ، بينَ البِكْرِ والثَّيِّبِ

* * *

فكيفَ ألقى العيدَ يا والدي؟
أقوى مِنَ النِّسيانِ ذِكْرى أبي

جاءَتْ قُبيلَ الأمسِ أُمّي (تُقى)
في لهفةِ الأُمِّ وعُنْفِ الغَبي

فاحمرَّ مِنْ تقبيلِهَا مَدْمَعي
وانهدَّ من تربيتِهَا مَنْكِبي

وهَدَّأتْني أمسِ (وهَّاسةٌ)
يا بنتيَ ارتاحي غداً واطربي

لا تَحرمي طفليْكِ عيديهِمَا
لاقيهِمَا فَرْحَى ولو، جَرِّبي

ما أنتِ أولى امرأةٍ فارقَتْ
أباً، جرى هذا لبنتِ النَّبي

* * *

ولفَّني ليلٌ كسولٌ، بلا
قلبٍ، بلا حُلْمٍ، بلا كوكبِ

وأصبحَ العيدُ فماجَ الصِّبَا
مِنْ ملعبٍ داوٍ إلى ملعبِ

وثرثَرَ المِذياعُ مِلءَ المَدى:
يا عيدُ. يا عيدُ. ولَمْ يَتْعَبِ

واستنطقَ (الحيمي) قُنُغْرَافَهُ
وصاحَ وابْناهُ مع (القعطبي)

زُمْرٌ وحشدٌ هاهُنا أو هُنا
مدافعٌ كالأحمقِ المُغْضَبِ

لا، لَـــنْ أُطـــيـــقَ الـــيـــومَ أمـــواجَـــهُ
مِـــنْ صَـــخَـــبٍ عـــالٍ إلـــى أصـــخـــبِ

أغـــلـــقـــتُ بـــابَ الـــبـــيـــتِ فـــي وجـــهِـــهِ
فـــانـــســـلَّ مِـــنْ شُـــبَّـــاكِـــهِ الأشـــيَـــبِ

هـــربـــتُ مِـــنْ تـــلـــويـــحِ كـــفَّـــيْـــهِ، مِـــنْ
عـــيـــنَـــيْـــهِ؛ فـــانـــثـــالَ عـــلـــى مَـــهْـــرَبـــي

كـــيـــفَ يَـــرى (ثـــكـــلـــى بـــلا زائـــرٍ)؟
وأيـــنَ مِـــنْ أضـــوائِـــهِ أخـــتـــبـــي؟

الـــيـــومَ عـــيـــدُ الـــلَّـــهِ يـــا والـــدي
فـــأيـــنَ أنـــتَ الـــيـــومَ، تَـــهـــتَـــمُّ بـــي؟

تـــجـــيـــئُـــنـــي قَـــبـــلَ الـــضُّـــحـــى كـــي أرى
أثـــمـــارَ حُـــلْـــمـــي فـــي الـــسَّـــنـــا الـــمُـــذهـــبِ

تـــلـــتـــذُّ بـــاسْـــمـــي، تـــســـتـــجـــيـــدُ ابـــنـــتـــي
يُـــتَـــمـــتِـــمُ ابْـــنـــي بـــاسْـــمِـــكَ الأعـــذبِ

تـــقـــولُ (كَـــعْـــكِـــي) لـــم تَـــذُقْ مَـــثْـــلَـــهُ
كـ(قـــهـــوتـــي) فـــي الـــعُـــمْـــرِ لَـــمْ تـــشْـــرَبِ

يُـــعـــيـــدُنـــي تـــدلـــيـــلُـــكَ الـــمُـــشْـــتَـــهـــى
صـــبـــيَّـــةً كـــالـــطـــائـــرِ الأَزْغـــبِ

زوَّارُ جـــاراتـــي أتَـــوْا وانـــثـــنـــوا
وأنـــتَ لَـــمْ تُـــقْـــبِـــلْ ولَـــمْ تَـــذْهَـــبِ

فـــرُحـــتُ أُضـــنـــي الـــبَـــحْـــثَ فـــي مـــن مـــضـــى
أو مَـــنْ أتـــى عـــن وجـــهِـــكَ الـــطَّـــيِّـــبِ

لِكُلٍّ بِنتٍ والدٌ أو أخٌ
إلا أنا، يا ليتَ يَدري أبي

حتى أبو (سُعدى) أتى بعدَما
غابَ ثلاثينَ، ولَمْ يَكْتُبِ

وعادَ مِنْ (غانا) أخو (زهرةٍ)
وعمُّ (أروى) عاد من (يَثْرِبِ)

أبي، أتدري مَنْ يُنادي؟ أمَا
تَشْتَمُّ ريحَ الدّارِ كالغُيَّبِ

عَمِّي الذي أوصيتَهُ، لا تَسَلْ
عن فرخةٍ في ذمَّةِ الثَّعلبِ

لو شَمَّ كفِّي لاحتسى خاتمي
لو مسَّ رِجْلي لاحتوى جوربي

في آخرِ السَّبعينَ، لَكِنَّهُ
أصبى إلى اللَّذغِ مِنَ العقربِ

ومُتَّ أنتَ الغضُّ، وابْنُ البِلى
كالبغلِ. يا للمَوقفِ الأغرَبِ!

كيفَ نَجا اللِّصُّ وماتَ الَّذي
يستغفرُ اللهَ ولم يُذْنِبِ

عفواً، فلا تدري ولاعِلْمَ لي
كيفَ يُعادي الموتُ أو يجتبي

❁❁❁

حلوةُ الأمس

5/ 7/ 1968م

أيُّ شوقٍ إليكِ أيُّ اندفاعَة
فلماذا استحالَ جُوعي قَناعَةْ؟

لم تكوني شهيَّةَ الدِّفءِ لو لَمْ
ترتَعِشْ في دَمي إليكِ المَجاعَةْ

كُنتِ يا حُلوتي أَضَنَّ اشتهائي
بعد أَنْ تَبذُلي يزيدُ فظاعَةْ

غيرَ أنّي طينٌ يشجُّ وتُطفي
نارَهُ تفلةٌ تُسمَّى اضطجاعَةْ

* * *

قد تقولينَ: سوفَ أنأى ويَظما
ثم يأتي ويجتدي في ضراعَةْ

رُبَّما أشتهيكِ عاماً وأُنهي
شوقَ عامينِ في مدى رُبْعِ ساعَةْ

(حُلوةَ الأمسِ) ما تزالينَ أحلى
إنّما في تصوُّراتي الشَّناعَةْ

ما اختتمنا تمثيلَ دورٍ بدأنا
مِنهُ فَصلاً لَكِنْ فَقَدْنَا البَرَاعَةْ

* * *

هــل تُــخــيــفــيــنَــنــي بــإســعــادِ غــيــري
صَــدِّقــيــنــي إذا ادَّعــيــتُ الــمــنــاعَــةْ

فــلــتــخُــصِّــي بــمــا لــديــكِ فُــلانــاً
أو فــلانــاً، أو فــلــتــكــونــي مُــشــاعَــةْ

◎◎◎

من رحلة
الطّاحونة إلى الميلاد الثاني

2/ 8/ 1969م

مِنَ الفَجْرِ حتى الفَجْرِ ننجرُّ كالرَّحى
إلى أينَ يا مَسْرى؟ ومن أينَ يا ضُحى؟

أَضَعْنا بلا قصدٍ طريقاً أضاعَنا
ولاحَ لَنَا دربٌ بدأناهُ فانْمَحى

وشَوَّشَنا تلويحُ برقٍ أهاجَنا
وولَّى ولا ندري إلى أينَ لوَّحا

وقُلنا، كما قالَ المُجِدُّون مَنْ غفا
عن الفوزِ لم يظفرْ ومن جدَّ أفْلَحا

إذا لم نَجِدْ في أوَّلِ الشَّوطِ راحةً
فسوف نُلاقي آخرَ الشَّوطِ أزوحا

ورُحنا نُسَقِّي الرَّملَ أمواهَ عُمْرِنا
فيظما، ويرويهِ إلى أن ترَنَّحا

* * *

سَرينا وسِرنا نَطحنُ الشَّوكَ والحَصى
ونحسو ونقتاتُ الغُبارَ المُجرَّحا

ومِنْ حولِنا الأطلالُ تستنفرُ الدُّجى
وتُرخي على الأشباحِ غاباً مِنَ اللِّحى

هُنا أو هُنا، يا زحفُ نرتاحُ ساعةً
تَعِبْنا وأتعبنا المَدَارَ المُسَلَّحا

كطاحونةٍ نمضي ونأتي كمُنحنى
يَشُدُّ إلى رجليهِ تلاًّ مُجنَّحا

فيا ذكرياتِ التِّيهِ مَنْ جرَّ قَبْلَنا
خُطاهُ وأمسى مثلنا حيثُ أَصْبَحا؟

ركضنا إلى الميلادِ قَرناً وليلةً
وُلِدْنا فكانَ المَهْدُ قبراً تفتَّحا

ومِتْنَا كما يبدو، رَجَعْنا أجِنَّةً
لنختارَ ميلاداً أشقَّ وأنجَحا

⊛⊛⊛

كاهنُ الحرف

سبتمبر 1969م

مَـنْ تُـغـنِّـي هُـنـا؟ وتَـبـكـي عـلامـا؟
كـلُّ شـيءٍ لا يـسـتـحـقُّ اهـتـمـامـا

الـقـضـايـا الـتـي أهـاجَـتْـكَ أقـوى
مِـنْ أغـانـيـكَ، مِـنْ نُـواحِ الأيـامـى

خـلـفَ هـذا الـجـدارِ تـشـدو وتـبـكـي
والـزَّوايـا تـنـدى أسـىً وجُـثـامـا

هـذه سـاعـةُ الـجـدار كـسـولٌ
تَـرجِـعُ الـقَـهـقَـرى وتَـنْـوي الأمَـامـا

والـثَّـوانـي تَـهْـمـي صـديـداً وشـوكـاً
وسَـتـهـمـي ولـيـسَ تـدري إلـى مـا؟

والـحـكـايـا رؤى سـجـيـنٍ أقَـرُّوا
شـنـقَـهُ بـعـدَ سـجـنِ عـشـريـنَ عَـامـا

والـمـحـبَّـاتُ والـتَّـلاقـي رمـادٌ
والأغـانـي بـردُ الـقـبـورِ الـقُـدامـى

والـصَّـبـيـحـاتُ كـالـيَـتَـامـى الـحَـزَانـى
والـلَّـيـالـي كـأُمَّـهـاتِ الـيَـتَـامـى

عـبـثـاً تـنـشـدُ الـكـؤوسَ لـتَـسْـلـى
مـاتَ سِـحْـرُ الـكـؤوسِ، مـلَّ الـنَّـدامـى

كـــلُّ حـــيـــنٍ وكـــلُّ شـــبـــرٍ زِحـــامٌ
مِـــنْ رُكـــامِ الـــوحـــولِ يـــتـــلـــو زِحـــامـــا

مَـنْ تُـغـنِّـي يـا (كـاهـنَ الـحـرفِ)؟ مـاذا؟
هَـلْ سُـعـالُ الـحـروفِ يُـشـجـي الـرُّكـامـا

◎◎◎

حكايةُ سنين

أبريل 1965م

مِنْ أينَ أبتدئُ الحكايةْ؟ وأضيعُ في مَدِّ النّهايَةْ
وأعي نهايةَ دَورِهَا فتعودُ من بدءِ البدايَةْ
تَصِلُ الخطيئةَ بالخطيـ ـئةِ والجنايةَ بالجنايَةْ
مِنْ عهدِ مَنْ وُلِدوا بلا سببٍ وماتوا دونَ غايَةْ
المُسبلينَ على الذئا بِ البيضِ أجنحةَ الرّعايَةْ
الناسجينَ عُروقَهُمْ لمواكبِ الطّاعونِ رايةْ
مَنْ حوّلوا المُستنقعا تِ الجائعاتِ إلى النّفايَةْ
أنصافُ آلهةٍ مُطَوَّ قةٌ بأسلحةِ العِنايةْ
ووجوهُهُمْ كاللافتا تِ على مواخيرِ الغِوايةْ
كانوا ملوكاً ظِلُّهُمْ حَرَمٌ ورُقيتُهم حِمايَةْ
فلحومُنا لخيولِهم مرعىً وأعظُمُنا سِقايَةْ
وبيادِرٌ تُعطيهِمُ حبَّاتِ أغنيِنَا جِبايَةْ
واللهُ والإسلامُ في أبواقِهِمْ بعضُ الدّعايَةْ
أيامَ كانت للذُّبا بِ على الجراحاتِ الوِصايَةْ
أيامَ كان السّلُّ يأ كُلُنَا وليسَ لنا دِرايَةْ
وأبي يُعلِّمُنا الصَّلا لَ ويسألُ اللهَ الهِدايَةْ
ويعيذُنا بـ(المُصْطَفى) والصَّالحينَ وكُلِّ آيةْ
ويقولُ: اعتادوا الطَّوى كَمْ عادةٍ بدأتْ هِوايَةْ

ويـعـودُ يَـشـكـو والـسُّـعـا لُ يـرضُّ فـي فـمِـهِ الـشِّـكـايَـةْ
مِـنْ هـاهُـنَـا ابـتـدت الـرِّوا يـةُ، أيـنَ أيـنَ مَـدى الـرِّوايَـةْ؟

* * *

أأَقُـصُّـهـا؟ بـعـضـي يُـهـيِّـئـ ـنـي وبـعـضـي يـزدريـنـي
وبـرغـمِ إرهـاقـي أخـو ضُ مَـجَـاهـلَ الـسِّـرِّ الـكـمِـيـنِ
وظـلالُـهـا خـلـفـي وقُـ ـدَّا مـي كـأمـسـيـةِ الـطَّـعـيـنِ
فـأتـيـهُ فـيـهـا كـالـتـفـا تِ الـطَّـيـفِ لـلـطَّـيـفِ الـحَـزيـنِ
وأعـافُـهـا فـيـشُـدُّنـي أرَقـي ويـعـزفُـنـي حَـنـيـنـي
وتُـزَقْـزِقُ الـخَـلَـجَـاتُ فـي رأسـي كـعـصـفـورٍ سـجـيـنِ
مـاذا يُـعـاوِدُنـي كـشـعـ وذِة الـرُّؤى، كـصـدى الـيـقـيـنِ؟!
ويـديـرُ كـأسـاً مـن دمِ الـذِّ كْـرَى وحـشـرجـةِ الأنـيـنِ
فَـتُـهـيـجُـنـي، ومُـنـايَ تـحـ ـفرُ في حريقي عن مَعيني
والـحـرفُ يـمـرحُ فـي فَـمـي والـسُّـهـدُ يـلـهـثُ فـي جَـبـيـنـي
ومَـدى الـسُّـرى يـطـفـو ويـر سـبُ فـي فـمِ الـوهـمِ الـضَّـنـيـنِ
ويـمـدُّ أغـنـيـةً تَـحِـنُّ إلـى الـصَّـدى وإلـى الـرَّنـيـنِ
ولِـمَـنْ ألَـحْـنُ هَـجْـعـةَ الْـ أشـبـاحِ والـرُّغْـبِ الـدَّفـيـنِ؟
لـمـواكـبِ الـتَّـاريـخِ يَـرْ ويـهـا الأمـيـنُ عـن الأمـيـنِ
ولِأُمّـيَ الـيـمـنِ الـعـجـو زِ ولابْـنـيَ الـيـمـنِ الـجَـنـيـنِ
كـانـت مـواقـعُ خَـطْـوِهِ طـيـنـاً تـوحَّـلَ فـوقَ طِـيـنِ

* * *

أتـقـولُ لـي: ومـتـى ابـتـدَتْ سـخـريَّـةُ الـقـدَرِ الـبَـلـيـدِ؟
وإلـى بـدايـتِـهَـا أعـو دُ عـلـى هُـدى الـحلـمِ الـشَّـريـدِ

مُنْذُ انحنى مغنى (عُلَيَّـ ـةَ)[1] واستكانَ حِمى (الوليدِ)

واستولَدَ السُّحبَ الحَبَا لى ألفُ (هارونِ الرَّشيدِ)

حتى امتطى (جنكيزُ) عا صفةَ الصَّواهِلِ والحديدِ

وهنالكَ انتعلَ (التَّتا رُ) معاطِسَ الشَّمَمِ العنيدِ

وتموكَبَتْ زُمَرُ الذِّئا بِ على دَمِ الغَنَمِ البَديدِ

فاستَعْجَمَ (الضَّادُ) المبيـ ـنُ ورايةُ الفتحِ المَجيدِ

أين العروبةُ؟ هَلْ هُنا أنفاسُ (قيسٍ) أو (لبيدِ)

أين التماعاتُ السُّيو فِ ودفءُ رنَّاتِ القَصيدِ؟

لا هاهُنَا نارُ القِرَى تهدي ولا عبقُ الثَّريدِ

لا مستعيذَ، ولا اختيا لُ الشَّدوِ في شفتَيْ (وَحِيدِ)[2]

فتلامَعَتْ أيدي علو ج (التُّركِ) تومِئُ من بعيدِ

وتقولُ: يا ريحُ ابدأي صَخَبي، ويا دُنيا أعيدي

وتَمدُّ تَلمسُ مِنْ هُنَا كَ ذوائبَ اليمنِ السعيدِ

حيثُ اختلاجاتُ الغرو بِ على الرُّبا لفتاتُ غيدِ

حيثُ المزارعُ وانتظا رُ الجوعِ حبَّاتِ الحَصِيدِ

حيثُ الصراعُ على السَّفا سِفِ، والزِّحامُ على الزَّهيدِ

* * *

ومضى العُلوجُ إليه كا لإعصارِ، كالسَّيلِ الشَّديدِ

وبرغمِهِ أدْمَوْا إلى (صنعاء) بيداً بعدَ بيدِ

(1) عليّة: هي بنت المهدي رمزاً لانهيار الحضارة العربية والوليد بن عبد الملك رمزاً للفتح العربي.

(2) وحيد: المغنية التي أجاد ابن الرومي وصفها في داليته الفذة.

فـتـشـاءَبَـتْ أبـوابُـهـا لـزحـوفِ (أبـرهـة) الـجَـديـدِ
وهـنـا انـحـنـى (نـقـمُ) الـصَّـبُـو رُ وأذعـنـت كـثـبـانُ (مِـيْـدي)
وتـهـافَـتَ الأجـدادُ، فـاتَّـ ـكـلَ الـمُـطـيـقُ عـلـى الـقـعـيـدِ
وتـخـدَّروا بـروائـح الـ ـمـوتـى وعـهـدِهِـمُ الـرَّغـيـدِ
وكـمـا تُـقـلِّـدُ أمٌّ أمَّـ ـي لـثـغـةَ الـطِّـفـلِ الـولـيـدِ
راحـوا يُـعـيـدون الـمُـعـا د عـن (الـحـسـيـنِ) وعـن (يـزيـدِ)
عـن مُـهـرِ (عـنـتـرةٍ) وعـن صـمْـصـامَـةِ الـشَّـيـخ الـزُّبـيـدي
عـن (شـهـريـارَ) و(بـابِ خـيـ ـبـر) و(ابـنِ عـلـوان)[1] الـنَّـجـيـدِ
وغـذاؤهـم زجـلُ (الـخـفـنـ ـجـي)[2] والـلـحـومُ بِـكـلِّ عـيـدِ
ومـصـيـرُهُـمْ حُـلْـمٌ عـلـى أهـدابِ شـيـطـانٍ مَـريـدِ
وتَـمَـلْـمَـلـوا يـومـاً وفـي نـظـراتِـهـم كـسـلُ الـوعـيـدِ
فـمـحَـوْا دُخـانَ (الـتُّـركِ) وار تـدّوا إلـى الـغـسـقِ (الـحـمـيـدي)
فـتَـخَـيَّـروا لـلـحُـكْـم أو ثـانـاً مِـنَ الـدَّمِ والـجـلـيـدِ
أهـواؤهُـم كـمـسـاربِ الْـ ـحـيَّـاتِ فـي الـغـارِ الـمـديـدِ
أو كـالـمـقـابـرِ يـبـتـلِـعْـ ـنَ ويَـسْـتَـزِدنَ إلـى الـمَـزيـدِ
كـانـوا عـبـيـدَ خُـمـولِـهِـمْ والـشَّـعْـبُ عُـبـدانُ الـعَـبـيـدِ
كـانـوا يُـعـيـرونَ الـمُـدى شـرعـيَّـةَ الـذَّبـحِ الـمُـبـيـدِ
أو يـقـتـلـونَ ويـخـرُجـو نَ يُـرخِّـمـون عـلـى الـفـقـيـدِ
خـلـفَ الـدُّخـانِ يُـمَـثِّـلـو نَ روايـةَ (الـيـمـنِ) الـشَّـهـيـدِ

* * *

(1) يعرف ابن علوان في اليمن بأنه المنقذ من الجان كما هو في الأساطير الشعبية.
(2) الخفنجي: شاعر شعبي ساخر

أتـقـولُ لـي: وهـل انـطَـفَـتْ ... فـي ذلـكَ الـعـهـدِ الـنُّـجـومُ؟
دفَـنَ الـغـبـارُ هـواءَهُ ... فـتَـجَـلْـمَـدَتْ فـيـهِ الـغُـيـومُ
وتـهـدَّج الـرَّاوي كـمـا ... يـسـتـعـطـفُ الأُمَّ الـفـطـيـمُ
واجـتـرَّ نَـبـرَتَـهُ، وقـا ... لَ وكـفَّـنَ الـزَّمـنَ الـشُّـهـومُ
تـمـشـي الـفـصـولُ كَـمَـا يُـخـشْـ ... ـخِـشُ فـي يـدِ الـرِّيـح الـهـشـيـمُ
أنَّـى أَصَـخْـتَ فـلا صـدىً ... يُـنـبـي، ولا يـوحـي نـسـيـمُ
إلاَّ رفـاتُ الـبـائـديـ ... ـن تـقـيَّـأتـهُـنَّ الـجـحـيـمُ
وعـلـى امـتـدادِ الـتِّـيـهِ يـز ... عـقُ (هـدهـدٌ) ويـصـيـحُ (بُـومُ)
وهـنـاكَ كـانَـتْ قـريـةٌ ... تـجـثـو كـمـا ارتَـكَـمَ الـرَّمـيـمُ
جَـوْعـى ويـطـبُـخُـهـا الـهـجيـ ... ـرُ وتـحـتـسـي دَمَـهـا الـسَّـمُـومُ
نَـسِـيَـتْ مـواسِـمَـهـا فـأشْـ ... ـتَـتْ قـبـلَ أَنْ تَـلِـدَ الـكُـرومُ
تـروي حـكـايـاهـا الـشـقـو ... بُ فـيـسـعُـلُ الـجـوُّ الـكـلـيـمُ
ووراءَ تـلـويـحِ الـطِّـلا ... ءِ مـديـنـةٌ جَـرحـى تَـؤومُ
تَـبْـيَـضُّ مـن بـعـدٍ كـمـا ... يـتـكـلَّـفُ الـضِّـحـكَ الـلـئـيـمُ
وعـلـى الـشـوراعِ تـنـعسُ الـذِّ ... كْـرَى، ويـصـفـرُّ الـوجـومُ
وعـلـى تـجـاعـيـدِ الـرُّمـا ... دِ يُـهَـيْـنِـمُ الـثَّـلـجُ الـبـهـيـمُ
وتُـغـوِّرُ الـسَّـنـةُ الـعـجـو ... زُ وتـبـدأُ الـسَّـنـةُ الـعـقـيـمُ
حـتـى تـفـجَّـرَ لـيـلـةً ... حَـدَثٌ، كـمـا قـالـوا عـظـيـمُ
فـهـوى كـمـا زَعَـمـوا (الـحرا ... مُ) ونـاحَ (زمـزمُ) و(الـحَـطـيـمُ)

* * *

مـاذا جـرى؟ مَـنْ يـخـلـفُ الـ ... ـمَـرحـومَ؟ مـن أتـقـى وأخـشـى؟
أو تـحـسـبُ الـجـوَّ الـكـفـيـ ... ـفَ محا الدُّجى أو صارَ أعشى؟

ألـقـتـهُ غـاشـيـةٌ إلـى ... أُخْـرَى إلـى أدجـى وأغـشـى
فـجـنـازةُ (الـمـنـصـورِ) أمْـ ... ـسِ غَدَتْ لـ(يحيى) اليومَ عَرْشا
فـأجـالَ سُـبـحَـتَـهُ وزا ... دَ عـلـى امـتـدادِ الـغـشِّ غِـشّـا
واذا بـعـجـلِ (الـتُّـركِ) عـا ... دَ على الضَّحايا العُزْلِ وَحْشا
يُـردي ويـجـهـرُ أو يـحـو ... كُ مـكـايـداً حُـمْـراً ورُقْـشـا
وعـلاهُ (جـوخٌ) فـاخـتـفـت ... أظْـفـارُهُ وأجـادَ بَـطْـشـا
وعـمـامـةٌ كُـبْـرى تُـتَـوْ ... جُ رأس طـاعـونٍ مُـوَشَّـى
وتـزيـنـهُ لـلـعـاثـريـ ... ـنَ كـمـا يـزيـنُ الـدَّفْـنُ نَـعشـا
فـيشـقُّ لـلـشَّـعـبِ الـقُـبـو ... رَ ويستحيلُ الشَّعبُ رَفْشَا
وضـحـيَّـةً تَـروي هـوى ... جـلاَّدِهـا وتـمـوتُ عَـطْـشـى
ويـجـودُ لـلـكـفِّ الـذي ... يُـعـطـيـهِ تـمـزيـقـاً ونَـهْـشـا
ويـعـودُ يَـسـتـجـدي الـرَّغـيـ ... ـف ويُرهِقُ التَّفتيشَ نَبشا
مـاذا يـقـولُ؟ أيـرتـجـي ... مـولاهُ؟ هـل يُـعـطـيـهِ قِـرشـا؟
لا الـجـوعُ أنـطـقَـهُ وإنْ ... نـمَّ الـذُّبـولُ بـهِ وأفـشـى
أتـراهُ لَـمْ يـحـمـلْ فـمـاً ... فـيـبـوحُ، إطـراقـاً ورَغْـشـا
ويُـحِـسُّ أذرُعَـهُ وأزْ ... جـلَـهُ أمـام الـرِّيـحِ قَـشَّـا
يـهـوي وتـبـلـعُ مـا يـريـ ... ـدُ ضـراعـةٌ مـسـخـتْـهُ كَـبْـشـا
وجـهٌ كـأقـدمِ دِزهَـمٍ ... لـم يُـبـقِ فـيـهِ الـمـسْـحُ نَـقْـشـا
سـنـواتُ (يـحـيـى) تـسـتـقـي ... دَمَـهُ، ويـرجـوهُ ويـخـشـى

* * *

ويـديـرُ أسـئـلـةً، ويـحـ ... ـذرُ هـمـسـهُ ويـعـي انـكـسـارَهْ
ويـهـمُّ حـقـدُ هـوانِـهِ ... فـتـفـرُّ مِـنْ دمِـهِ الـجـسـارةْ

ويـمـدُّ عـيـنـيْـهِ كَـمَـا ... تـرنـو إلـى الـسُّـنَّـوْرِ (فـارَةْ)
فـتـشـدُّ نَـقْـنَـقَـةُ الـطُّـبـو ... لِ إلـيـه أُبَّـهـةَ الـحَـقَـارَةْ
وغـداةَ يـومٍ أَوْمـضَـتْ ... مـن حـيـثُ لا يَـدري إشـارَةْ
فـأطـلَّ نـجـمٌ مِـنْ هُـنَـا ... كَ ومِـنْ هُـنَـا لَـمَـعَـتْ شَـرارَةْ
حـتـى تـنـهَّـدَ (جِـزْيَـزٌ)[1] ... وتـنـاشـدَ الـصَّـمـتُ انـفـجـارَةْ
نـبـض الـهـدوءُ الـمـيْـتُ واحْـ ... ـمـرَّتْ عـلـى الـثَّـلـجِ الـحَـرارَةْ
مـاذا؟ وأقـمـرتِ الـنَّـوا ... فـذُ والـسُّـطـوحُ بـكُـلّ حـارَةْ
وتـنـاغـمـتْ (صـنـعـاء)، تَـسـ ... ـألُ جـارةٌ وتُـجـيـبُ جـارَةْ
حُـريَّـةٌ. (دسـتـورُ) صُـغْـ ... ـنـاهُ وأعـلـيْـنـا شِـعـارَهْ
«سجِّلْ مكانكَ»[2] وانبرى الْـ ... ـتـاريـخُ يـحـتـضـنُ الـعِـبـارَةْ
وأطـلَّ جـوٌّ لـم تـلـدْ ... أُمُّ الـخـيـالاتِ انـتـظـارَهْ
وهُـنـاكَ أدركَ ثـي(شـهـرزا ... دَ) الـصُّـبـحُ، فـارتـقـبتْ نـهـارَهْ
وانـثـالَ أسـبـوعٌ، تَـزُفُّ ... عـرائـسُ الـفـجـرِ اخـضـرارَهْ
وتـلاهُ ثـانٍ لـحَّـنَـتْ ... بُـشْـراهُ أعـراقَ الـحـجـارَةْ
حـتـى تـبـدَّى ثـالـثٌ ... لـمَـحَـتْ ولادتُـهُ انـتـحـارَهْ
حَـشَـدَ الـخـريـفُ إزاءَهُ ... هـمـجـيَّـةَ الـرِّيـحِ الـمُـثـارَةْ
وتـلاقَـتِ الـفـلـواتُ حَـوْ ... لـيـهِ، وأشـعـلـتِ الإغـارَةْ
مـاذا جـرى يـا (شـهـرزا ... دُ)؟ تَـضَـاحَـكـي. يـا لَـلْـمَـرارَةْ!
عـشـرون يـومـاً، وانـثـنـى ... الـمـاضـي فـردَّيـنـا الإعـارَةْ

* * *

(1) جزْيز: المكان الذي صُرع فيه الإمام يحيى عام 1948م.
(2) سجِّلْ مكانك: مُستهلُّ قصيدة ألقاها الزبيري في ذلك الحدث.

مـن ذا أطـلَّ، وأجـهـشَ الْـ ـمـيدانُ: أحـمـدُ و(الـوِشـاحُ)[1]
أسـطـورةُ الأشـبـاح دقَّ طـبـولَـهُ سـاحٌ وسـاحُ
يـسـطـو فـتـعـتـصـرُ الـرُّبـا يـدَهُ ويـسـبِـقُـهُ الـصِّـيـاحُ
ويـزُفُّ أعـراس الـفُـتـو حِ إلـى مـقـاصِـرِهِ الـسِّـفـاحُ
(عُـوجُ بْـنُ عُـنُـقٍ) شـقَّ أنـ ـفَ الـشَّـمـسِ منكبُهُ الـوَقـاحُ
الـجـنُّ بـعـضُ جـنـودِهِ والـدَّهـرُ فـي يـدِهِ سِـلاحُ
أو هـكـذا نَـبـحَ الـدُّعـا ةُ وعَـمَّـم الـفـزَعَ الـنُّـبـاحُ
فـاحْـمـرَّ مـن وهـجِ الـمـذا بـحِ فـي مـلامـحِـهِ ارتـيـاحُ
واغْـبـرَّ بـالـذَّبـحِ الـمـسـيـ ـرُ ومـادَ بـالـجُـثَـثِ الـرَّواحُ
وسـرى وعـادَ (الـسِّـنـدبـا دُ) ودربُـهُ الـدَّمُ والـنُّـواحُ
خـمـسٌ مـن الـسـنـوات لا لـيـلٌ لـهُـنَّ ولا صـبـاحُ
يـبِـسـتْ عـلـى الـسـهْـدِ الـعـيـو نُ وأقـعـد الـزَّمـنَ الـكُـسـاحُ
«نـاشَـدْتُـكِ الإحـسـاس يـا أقـلامُ»[2] واخـتـنـق الـصُّـداحُ
لـم يـنـبـض الـوادي ولَـمْ يـنـبُـتْ لـعـصـفـورٍ جَـنـاحُ
فـتـنـاوَمَ الـتـاريـخُ والْـ ـتـأمـتْ عـلـى الـجـمْـرِ الـجِـراحُ
لـكِـنْ وراء الـسَّـطـحِ أسْـ ـئـلـةٌ، يـجِـدُّ بـهـا الـمُـزاحُ
أو يـنـطـوي صـوتُ الـنَّـبـيِّ وَتـدَّعـي فـمـهُ (سِـجـاحُ)
فـدوى (الـزُّبـيـريُّ) الـشَّـريـ ـدُ وأفـشـتِ الـوعـدَ الـريـاحُ
وتـنـاقـلَ الـجـوُّ الـصَّـدى فَـزَقـا الـتَّـهـامـسُ والـطُّـمـاحُ
مـاذا تـقـولُ الـرِّيـحُ؟ فـا لـغـابـاتُ تـومـئُ والـبِـطـاحُ

(1) الوشاح سيّاف الإمام الظالم.
(2) مطلع قصيدة للزبيري صوّرت الأوضاع المؤلمة

ويُــحــدِّقُ الــرَّاعــي فَــتُــخْــ ـــبِــرُهُ مــراتِــعُــهُ الــفِــســاحُ
ســتَــكِــلُّ يــومــاً (شــهــرزا دُ) ويــســكــتُ الــسَّــمَــرُ الــمُــبــاحُ

فــإذا (الــثُّــلايــا)[1] والــبُــطــو لــة يــركُــلانِ شــمــوخَ (صــالــةْ)[2]
فــتــضــاءلَ (الــفــيــلُ) الــمُــخَــدَّ رُ وارتــدى جِــلْــدَ (الــثُّــعــالَــةْ)
وكــــمــــوعــــدِ الــــرُّؤيــــا أرا ح الــجــنَّ، واطَّــرح الــجــلالَــةْ
وانْــــحَـــطَّ تـــاجٌ وارتـــقـــى تـــاجٌ عــمــوداً مــن عَــمــالَــةْ
مـــاذا يـــرى (صـــبِـــرٌ)؟ وغـــا صتْ خــلــف جــفــنــيْــهِ الــدلالــةْ
وكــمــا تــمــيــدُ عــلــى شــحــو بِ الــسُّــجــنِ أروِقَــةُ الــمَــلالَــةْ
مَــضَــتِ الــلَّــيــالــي الــخــمــسُ أَجْــ ـهلَ بــالــمــصــيــرِ من الــجــهــالَــةْ
فــتــحــسَّــس (الــفــيــلُ) الــمَــهِــيْــ ـضُ قــواهُ، وابــتــدرَ الــعُــجــالَــةْ
وعَــلاَ الــجــوادَ، ومــوَّجَ الــصَّــ ـمصامَ، واكــتــســحَ الــضَّــحــالَــةْ
والــشَّــارعُ الــمَــشْــلــولُ يــز مُــرُ، لــلــبــطــولــةِ والــسَّــفــالَــةْ
وكــمــا انــتــهــى الــشَّــوطُ ابــتــدا يُــذكــي الــدَّمُ الــغــالــي مــجــالَــهْ
فــيــمــدُّ عــفــريــتُ الــدُّخــانِ عـــلـــى أشــعَّــتِــهِ ظِــلالَـــهْ
ويــخــافُ أنْ يَــلِــدَ (الــثُّــلايــا) قــبــرُهُ، ويــرى احــتــمــالَــهْ
فــتُــعَــســكِــرُ الأشــبــاح فــي أهــدابِ عــيــنــيــه خــيــالَــهْ
مَــنْ ذا؟ ويــتَّــهِــمُ الــصَّــدى وتــديــنُ يــمــنــاهُ شِــمــالَــهْ
فــانــهــارَ (شــمــشــونٌ) ونــا ءَ بــرأسِــهِ ووعــى انــحــلالَــهْ
واســتــنــزفَ الــفــلــكُ الــمُــعــطَّــ لُ عــن جــنــاحــيــهِ الــبــطــالَــةْ

---

(1) الثُّلايا: أحد المناضلين الشهداء حيث قتله الإمام إعداماً في تعز
(2) صالة: قصر الإمام في تعز.

وانساقَ يغزِلُ كُلَّ حِيْـ ـنِ كوكباً، ويديرُ هالَةْ
ويَشِبُ نجماً، لم يعُدْ مِن نبضِهِ إلاَّ ثُمالَةْ
وهنا تلقَّتَ موعدٌ في أعينِ القِممِ المُشالَةْ
وتدافعَ الزَّمنُ الكسيْـ ـحُ على جناحٍ من عُلالَةْ
وانثالَ كالرِّيحِ العجو لِ يلوْنُ الفَلَكُ اشتعالَهْ
وتساءلتْ عيناهُ: مَنْ ذا هاهُنا؟ فرأى حِيالَهْ
إشراقةَ (العُلُفيِّ) إطْـ ـراقَ (اللُّقَيَّةِ) وانفعالَهْ
فرمى على زَنْدَيهما الْـ ـجُلَّى وأعباءَ الرِّسالَةْ

وإلى العشيِّ تعاقَدا واستبطآ سيرَ الثَّواني
الساعةُ المكسالُ مثلُ الشَّـ ـغِبِ، تجهلُ ما تُعاني
أيكونُ مُستشفى (الحُدَيْـ ـدةِ) مولدَ الفَجْرِ اليماني
وعلى امتدادِ اليوم ضمَّـ ـهُمَا التَّفرُّقُ والتَّداني
يتفرَّقانِ مِنَ الشُّكو كِ، وللمُنى يتلاقيانِ
يتخوَّفانِ فيُخجِما نِ ويذكُرانِ فيهزآنِ
هل بُحتَ بالسِّرِّ المُخيْـ ـفِ إلى فُلانٍ أو فُلانِ؟
إنِّي أُحاذرُ مَنْ رأيْـ ـتُ على الطريقِ ومنْ يراني
كَمْ طال عُمْرُ اليوم؟ لِمْ لا يختفي قبلَ الأوانِ؟
حتى ارتمى الشَّفقُ الغرِيْـ ـبُ على سريرٍ مِنْ دُخانِ
وكأنَّ هُدْبَيْ مقلتيْـ ـهِ شاطِئانِ مُعلَّقانِ
نظرا إليهِ يُفتِّشا نِ عنِ الصَّباحِ ويسألانِ
وكما أشارَ (الهندوا نةُ) أبدَيا بعضَ التَّواني

ومـشـى الـثـلاثـةُ شـارعَـيْـ ـنِ مِـنَ الـمـشـانـقِ والأمـانـي
ودعـا الـنَّـفـيـرُ، فـسـارَ (أحْـ ـمـدُ) سـيـرَ مُـتَّـهـمٍ مُـدانِ
يـرنـو، أيـلـمـحُ حُـمْـرَةً؟ كـلَّا، وتَـلـمـعُ نـجـمـتـانِ
فـيـمـورُ داخـلَ شَـخـصِـهِ شـخـصٌ غـريـبُ الـوجـهِ ثـانـي
ويـعـي ضـمـانَ مُـنَـجِّـمـيْـ ـهِ فـيـسـتـريـحُ إلـى الـضَّـمـانِ
ودنـا فـمـاج الـبـابُ وانْـ ـهـالَ لـسُّـكـونُ عـلـى الـمـكـانِ
مِـنْ أيـنَ نَـبـغَـتُـهُ؟ ويـمَّـ ـم فـجـأةً قِـسـم الـغـوانـي
فـتـنـادتِ الـطَّـلَـقـاتُ فـيْـ ـهِ كـالـزَّغـاريـدِ الـقَـوانـي
وانْـهَـدَّ قـهَّـارُ الـبـنـا دقٍ كـالـجـدارِ الأرجـوانـي
أتُـرى حـصـادُ الـقـبـرِ يـرْ جـعُ كـالـرَّضـيـعِ بـلا لِـبـانِ
وعـلـى يـقـيـنِ الـدَّفـنِ ردَّ بـنـبـضـتـيْـنِ مِـنَ الـبـنـانِ
فـتـطـلَّـعـتْ مِـنْ كُـلِّ أُفْـ ـقٍ تـسـألُ الـشُّـهـب الـرَّوانـي
كـيـفَ انـطـفـا الـشـهـبُ (الـثـلا ثـةُ) فـي ربـيـعِ الـعُـنـفـوانِ
وتـراجـع (الـبـاهـوتُ) يـخْـ ـرقُ بـالـمـواجـعِ وهـو فـانـي
يـحـيـا ولا يـحـيـا، يـمـو تُ ولا يـمـوتُ بِـكُـلِّ آنِ
فـتـبـرَّجَـتْ (مـأسـاةُ وا ق الـواقِ)[1] تُـغـدِقُ كـالـجِـنـانِ
وتـجـولُ تـظـفـرُ مِـنْ ذوا ئِـبـهـا غـروبـاً مِـنْ أغـانـي
وتـهـزُّ نَـهـديْـهَـا اعـتـلا جـاتُ الـمَـحَـبَّـةِ والـحـنـانِ
فـاخْـضَـرَّ عـامٌ بـالـمـوا عـدِ واحـتـمـالاتِ الـعَـيـانِ
وأهَـلَّ عـامٌ عَـسـجـدِيُّ الـلَّـمْـحِ صـخـريُّ الـلِّـسـانِ

---

(1) مأساة واق الواق: رواية ثورية للأستاذ الشاعر الزُبيري دعا فيها إلى الثورة والجمهورية

فـرمـى إلـى حَـلْـقِ الـثُّـرا   بِ بـقـيَّـةَ الـبَـطَـلِ الـجَـبَـانِ
وهـنـا ابـتـدا فـصـلٌ تـروَّ   ى فـيـهِ إبـداعُ الـزَّمـانِ

* *

مـاذا هُـنـا؟ (سـبـتـمـبرٌ)   أشـواقُ آلافِ الـلَّـيـالـي
حُـرَقُ الـعـصـافـيـرِ الـجِـيـا   عِ إلـى الـبـيـادرِ والـغِـلالِ
بـثُّ الـمَـسـامِـرَ والـرؤى الـ   ـعَـطْـشَـى وأخـيـلـةَ الـخـيـالِ
خَـفْـقُ الـنـوافـذِ وارتِـجـا   فـاتُ الـرِّيـاحِ عـلـى الـتِّـلالِ
وتـطـلُّـعُ الـوادي وأسْـ   ـئـلـةُ الـنُّـجـومِ إلـى الـجـبـالِ
وتـلـهُّـفُ الـكـأسِ الـطَّـريـ   ـحِ إلـى انْـهـدالاتِ الـدَّوالـي
كـان احـتـراقـاتِ الإجـا   بـةِ وابـتـهـالاتِ الـسُّـؤالِ
وتـلـفُّـتَ الآتـي إلـى   آثـارِ أقـدامِ الأوالـي
عـشـريـنَ عـامـاً قُـلَّـبـاً   حَـبِـلَـتْ بِـهَـا أُمُّ الـنِّـضـالِ
نـسـجَـتْـهُ مِـنْ شَـفَـقِ الـمَـقـا   صِـلِ والـجـراحـاتِ الـغَـوالـي
حـتـى أطـلَّ عـلـى عُـقـا   بِ مِـنْ أسـاطـيـرِ الـمُـحـالِ
فـي كُـلِّ ريـشـةِ جـانـحٍ   مِـنْـهُ (أبـو زيـدِ الـهِـلالـي)
فـي الـنَّـفـخـةِ الأولـى رمـى   بـالـعـرشِ أغـوارَ الـزَّوالِ
وأمـالَ زوبـعـةَ الـرِّمـا   لِ إلـى سـراديـبِ الـرِّمـالِ
يُـعـطـي الـمواسـمَ والـمَـحَـبَّـ   ـةَ بـالـيـمـيـنِ وبـالـشِّـمـالِ
أنَّـى مـشـى أجْـنَـى (الـولـيـ   ـدَ) مـن الـمُـنـى وأجَـدَّ بـالـي
مـوجٌ سـمـاويُّ الـنُّـضـا   رةِ، شـاطـئـاهُ مـن الـلآلـي
مـاذا هُـنـا؟ (سـبـتـمـبرٌ)   أتـقـولُ لـي: أَجْـلَـى الـمَـجـالـي
شـيءٌ وراءَ تَـصَـوُّرِ الـدُّ   نْـيـا وأبـعـادِ الـجَـمـالِ

فـوقَ احـتـمـالاتِ الـرَّجـا ... ءِ وفـوقَ إخـصـابِ الـنَّـوالِ

* *

أتـقـولُ لـي: وهـل انـتـهـى ... فـي جُـثَّـةِ الأمـسِ الـنُّـزوعُ؟

شـاءَ الـرُّجـوعَ وسـلَّـحَـتـ ... ـهُ الـبِـيْـدُ، فـانـتـحـرَ الـرُّجـوعُ

وزَوَتْـهُ حُـفـرتُـهُ وأطْـ ... ـبقَ فـوقَ مـرقـدِهِ الـهُـجـوعُ

وعَـلا الـدُّخـانُ أزقَّـةَ الـ ... ـبـترولِ، فـانـتـبـهَ الـصَّـريـعُ

واهْـتـاجَ ثـانـيـةً فـمَـدَّ ... زنـودَهُ (الـنِّـيْـلُ) الـضَّـلـيـعُ

وأحـاطـتِ الـخـضـراءَ مِـنْ ... أقـوى سـواعـدِهِ دُروعُ

وارتـدَّ ظِـلُّ الأمـسِ والْـ ... ـتـحـمَ الـتَّـوقُّـعُ والـوقـوعُ

فـتـنـادتِ الـنِّـيـرانُ والـتـ ... ـقـتِ الـمَـصَـارعُ والـجُـمـوعُ

وانْـجَـرَّ عـامـانِ نـجـومُـهُـ ... ـمَـا وشـمـسُـهُـمَـا الـنَّـجـيـعُ

فـبِـكُـلِّ رابـيـةٍ إلـى ... لـحـمِ ابْـنِـهـا ظـمـأٌ وجـوعُ

وبِـكُـلِّ مُـنـعـرجٍ إلـى ... تـمـزيـقِ إخـوتِـهِ وُلـوعُ

فـهُـنـالـكَ انـقـصـفـتْ يـدا ... نِ وثَـمَّـةَ انـتـشـرتْ ضُـلـوعُ

وهـنـاكَ خـرَّتْ قِـمَّـةٌ ... وهُـنـا هـوى تـلٌّ مَـنـيـعُ

فـلـكُـلِّ شـبـرٍ مِـنْ دمِ الـشُّـ ... ـهَـداءِ تـاريـخٌ يَـضـوعُ

أرأيـتَ حـيـثُ تـسـاقـطـوا ... كـيـفَ ازدهـى الـنَّـضْـرُ الـمُـريـعُ

حـيـثُ اغـتـلـى الـوادي ولـفَّ ... (عَـلِـيّـاً)[1] الـصَّـمـتُ الـجَـزُوعُ

رَضَـعَ الـدُّجـى دمَـهُ فـأشْـمَـس ... قـبـلَ أن يَـعِـدَ الـطُّـلـوعُ

حـيـثُ الـتـقـى (الـحَـمْـزِيَّ) ذا ... ب الـغـيـمُ واحـتـرقَ الـصَّـقـيـعُ

حـيـث انـطـفـا (سـنـدٌ) تـدلَّـ ... ـتْ أنـجـمٌ وعَـلَـتْ شُـمـوعُ

---

(1) علي عبد المغني: أول شهيد في معارك الثورة على الحدود.

حيث ارتمى (الكِبْسِيُّ) أوْ رَقَ منجمٌ وشدا ربيعُ
وأعادتِ الأحداثُ سِيـ ـرَتَها فأرْعدَتِ الرُّبُوعُ
وتعطَّشَ الميدانُ فانْـ ـفَجر الضُّحى ودوى الهَزِيعُ
ومشَتْ على دَمِها الذِّئا بُ وغاص في دمِهِ القطيعُ
حتى توارى الأمسُ، زَغْـ ـرَدَتِ المآتمُ والدُّموعُ
وهفَتْ أغانيها، تَضِجُّ (ليسلَمَ الشَّرَفُ الرَّفيعُ)
وتبوحُ للنَّصْرِ انْطلِقْ فمجالُكَ الأبدُ اللَّموعُ
ولِمُرْضِعي (سبتمبرٍ) دَمُهم: لقد شب الرَّضيعُ

أتظُنُّ رابيةً تتو قُ إلى دمٍ أغلى يسيلُ؟
أوَمَا ارتوى عَطَشُ الرِّما لِ واُتْخِمَ العَدَمُ الأكولُ؟
يا لَلأسى، كيف اسْتَطَبَّ مماتَهُ (اليمنُ) العليلُ؟
ورنا السُّؤالُ إلى السُّؤا لِ وبغتةً وجَمَ السَّؤولُ
ماذا اسْتَجدَّ فباحتِ الْـ أصداءُ، وارتجف الذُّهولُ
لبَّى الدَّمَ الغالي دمٌ أغلى إلى الدَّاعي عَجُولُ
مَنْ ماتَ؟ واسْتَحيا السُّؤا لُ وأطرقَ الرَّدُّ الخجولُ
أهُنَا (الزُّبيريُّ) المُضرَّ جُ؟ بَلْ هُنَا شعبٌ قتيلُ
وأعادتِ القِمَمُ الحكا يةَ واستعادتْها السُّهولُ
من ذا انطوى؟ علَمٌ خيو طُ نسيجِهِ الألمُ البتولُ
في كُلِّ خَفْقٍ منهُ (جِبْـ ـرِيلٌ) وفي فَمِهِ رَسُولُ
بدأ الرَّعيلُ بهِ السُّرى فكبا وسارَ بهِ رَعيلُ
وخبا وراءَ حنينِهِ جيلٌ، وأشرقَ فيهِ جِيلُ

وعلى الحرابِ أتمَّ أشْـ ـواطاً، مداها المُستحيلُ
وعلى سنا ميلادِهِ الثَّـ ـاني تكاتفتِ الفُلولُ
لفَظَ البِلَى غِربانَ (وا قِ الواقِ) وانثنتِ (المَغولُ)
فاحْتزَّ رحلتَهُ الرَّصا صُ النَّذْلُ والطِّينُ العَميلُ
فغفا وصِدْقُ الفَجْرِ في نظراتِهِ سحَرٌ بليلُ
أتقولُ: عاجلَهُ الأفو لُ، فكيف أشعَلَهُ الأفولُ؟
فعلى الجبالِ مِنَ اسْمِهِ شُعلٌ مُجنَّحةٌ تَجولُ
وصدَىً تُعَنْقِدُهُ الرُّبا وهوىً تُسنْبِلُهُ الحقولُ
وبِكُلِّ مَرمى ناظرٍ مِنْ لَمْحِهِ صحْوٌ غَسيلُ
كيف انتهى ولخطوِهِ في كُلِّ ثانيةٍ هَديلُ
هو في النَّهارِ الذِّكريا تُ وفي الدُّجى الحُلُمُ الكحيلُ
وهُنا ضُحَىً مِنْ جُرْحِهِ وهُناكَ من دمِهِ أصيلُ
غَرَبَ الشَّهيدُ وبينَهُ والمُنتهى الموعودِ مِيلُ
مَنْ ذا يكِرُّ إلى مدَا هُ؟ وقد خَلا مِنْهُ السبيلُ
فَلْيبتهِجْ دَمُهُ إلى أبعادِ غايتِهِ وصولُ
أوَمَا رأى الشهداءُ كَيْـ ـفَ؟ اخضوضرتْ بِهِمُ الفصولُ؟
فرشوا (السَّعيدةَ) بالرَّبيْـ ـعِ ليهنَأَ الضَّيفُ البذولُ
ومضَوْا لِوُجْهَتِهِمْ ويبـ ـقى الخِصْبُ إن مَضَتِ السيولُ

۞ ۞ ۞



لِعَيْنَيْ
أمّ بلقيس


الناشيء

أنسى أن أموت

القاهرة 1971م

تـمـتـصُّـنـي أمـواجُ هـذا الـلَّـيـلِ فـي شَـرَهٍ صَـمـوتْ
وتُـعـيـدُ مـا بـدأتْ وتَـنْـوي أن تـفـوتَ ولا تـفـوتْ
فـتُـثـيـرُ أوجـاعـي وتُـرْغـمـنـي عـلـى وجَـعِ الـسُّـكـوتْ
وتـقـولُ لـي: مُـتْ أيـهـا الـذَّاوي فـأنـسـى أن أمـوتْ

*

لـكـنَّ فـي صَـدري دُجَـى الـمـوتـى وأحـزانُ الـبـيـوتْ
ونـشـيـجُ أيـتـامٍ بـلا مـأوىً، بـلا مـاءٍ وقـوتْ
وكـآبـةُ الـغَـيـمِ الـشِّـتـائـي وارتـجـافُ الـعـنـكـبـوتْ
وأسـىً بـلا اسْـمٍ واخـتـنـاقـاتٌ بـلا اسْـمٍ أو نـعـوتْ
مَـنْ ذا هـنـا، غـيـرُ ازدحـامِ الـطـيـنِ يـهـمـسُ أو يَـصُـوتْ
غـيـرُ الـفـراغِ الـمُـنـحـنـي يـذوي، يُـصِـرُّ عـلـى الـثُّـبـوتْ
ودمُ الـخُـطـى والأعـيـنُ الـمـلأى بـأشـلاءِ الـكـبـوتْ

* *

مَـنْ ذا هـنـا، غـيـرُ الأسـامـي الـصُّـفْـرِ تـصـرُخُ فـي خُـفـوتْ
غـيـرُ انـهـيـارِ الآدمـيَّـةِ وارتـفـاعُ (الـبـنـكـنـوتْ)
وَحـدي ألـوكُ صـدى الـريـاحِ وأرتـدي عُـرْيَ الـخـبـوتْ

❁❁❁

صنعاء..
الموت والميلاد

أبريل 1970م

وُلِدَتْ صنعاءُ بسبتمبرْ
كي تلقى الموتَ بنوفمبرْ
لكنْ كي تولدَ ثانيةً
في مايو أو في أكتوبرْ
في أوَّلِ كانونَ الثاني
أو في الثاني من ديسَمبرْ
ما دامتْ هَجعتُها حُبلى
فولادتُها لنْ تتأخَّرْ
رُغْمَ الغثيانِ تَحِنُّ إلى
أوجاعِ الطَّلْقِ ولا تَضجرْ

* *

يُنبي عَنْ مولِدِها الآتي
شفقٌ دامٍ. فَجْرٌ أشقرْ
ميعادٌ كالثَّلجِ الغافي
وطيوفٌ كالمطرِ الأحمرْ
أشلاءٌ تخفقُ كالذِّكرى
وتنامُ لتحلُمَ بالمحشَرْ

ورمادُ نهارٍ صيفيٍّ
ودخانٌ كالحُلُمِ الأسمَرْ

ونداءٌ خَلْفَ ونداءاتٍ:
لا تنسَى (عبلةَ) يا (عنترْ)

أسماءٌ لا أخطارَ لها
تُنبي عن أسماءٍ أخْطَرْ

* *

هل تَدري صنعاءُ الصَّرعى
كيف انطفأتْ؟ ومتى تُنشرْ؟

كالمِشْمِشِ ماتَتْ واقفةً
لتُعِدَّ الميلادَ الأخضرْ

تندَى وتَجِفُّ لكي تَندى
وترِفُّ تَرِفُّ لكي تَضْفَرَ

وتموتُ بيومٍ مشهورٍ
كَي تُولَدَ في يومٍ أشهَرْ

تَرمي أوراقاً مَيْتةً
وتُلوِّحُ بالورقِ الأنْضَرْ

وتَظلُّ تموتُ لكي تَحيا
وتموتُ لكي تحيا أكثرْ

❁❁❁

من منفى
إلى منفى

نوفمبر 1971م

بـــــلادي مــــــن يـــــدَيْ طـــــاغٍ
إلـــــى أطْـــغــــى إلــــى أجــــفــــى
ومــــــن ســــجــــنٍ إلــــى ســــجــــنٍ
و مـــــن مــــنـــــفـــى إلـــى مـــنـــفـــى
ومـــــن مُـــســـتــــعــــمـــرٍ بـــادٍ
إلـــــى مُـــســــتـــعـــمـــرٍ أخْـــفـــى
ومـــــن وحـــشٍ إلــــى وحـــشـــيْـــ
ـنِ وهـــي الـــنَّـــاقـــةُ الـــعَـــجْـــفـــا

بـــــلادي فـــــي كـــــهـــوفِ الـــمـــو
تِ لا تَـــفـــنـــى ولا تَـــشـــفـــى
تُـــنـــقِّـــرُ فـــي الـــقـــبـــورِ الـــخُـــرْ
سِ عـــن مـــيـــلادِهـــا الأصـــفـــى
وعـــــن وعـــــدٍ ربـــيـــعـــيٍّ
وراءَ عُـــيـــونِـــهـــا أغْـــفـــى
عـــن الـــحُـــلُـــمِ الـــذي يـــأتـــي
عـــن الـــطَّـــيـــفِ الـــذي اســتـــخـــفـــى

فـــتـــمـــضـــي مـــن دُجـــىً ضـــافِ
إلـــى أدجـــى، إلـــى أضـــفـــى
بـــلادي فـــي ديـــارِ الْـــغَـــيْـــ
ـرِ أو فـــي دارِهَـــا لَـــهْـــفَـــى
وحـــتـــى فـــي أراضـــيـــهـــا
تُـــقـــاســـي غُـــربـــةَ الـــمَـــنْـــفَـــى

⊛⊛⊛

إلاّ أنا وبلادي

دبسمبر 1969م

تَسَلِياتي كَمُوجِعاتي، وزادي
مثلُ جوعي، وهَجْعتي كسُهادي

وكؤوسي مريرةٌ مثلُ صَحْوي
واجتماعي بإخوتي كانفرادي

والصداقاتُ كالعداواتِ تؤذي
فسواءٌ من تَصطفي أو تُعادي

إنَّ داري كغُرْبتي في المنافي
واحتراقي كذكرياتِ رمادي

يا بلادي التي يقولونَ عنها
منكِ ناري ولي دخانُ اتّقادي

ذاكَ حظّي لأن أُمّي (سُعودٌ)[1]
وأبي (مُرشدٌ) وخالي (قَمادي)[2]

أو لأنّي دفعتُ عن طهرِ أُختي
وبناتي مكرَ الذّئابِ العَوادي

(1) سعود: اسم نسائي في الريف اليمني.
(2) قمادي: عائلة يمنية كبيرة توارثت الفقر.

أو لأنّـــي زَعَـــمْـــتُ أنَّ لـــديـــهـــم
لـي حـقـوقـاً مـن قـبـل حـقٍّ (ابْـنِ هـادي)[1]

* * *

يــا بــلادي هــذي الــرُّبــا والــسَّــواقــي
فــي ضــلــوعــي تــنــهُّــداتٌ شَــوادي

إنَّــمــا مَــنْ أنــا ولــيــسَ بــكَــفِّــي
مــدفــعٌ والــتــرابُ بــعــضُ امــتــدادي!

رُبَّــمــا كــنــتُ فــارِســاً. لــســتُ أدري
قــبــلَ بــدءِ الــمَــجــالِ مــاتَ جَــوادي

الــعــصــافــيــرُ فــي عُــروقــي جــيــاعٌ
والــدَّوالــي والــقــمــحُ فــي كُــلِّ وادي

فــي حــقــولــي مــا فــي سِــواهــا ولــكــن
بــاعــتِ الأرضَ فــي شــراءِ الــسَّــمــادِ

* *

يــا نــدى يــا حــنــانَ أُمِّ الــدَّوالــي
وبِــرُغــمــي يــجــيــبُ مــن لا أنــادي!

هــذه كــلُّــهــا بــلادي، وفــيــهــا
كــلُّ شــيءٍ إلاّ أنــا وبــلادي!

❁ ❁ ❁

---

(1) حقّ ابن هادي: مصطلح للرشوة.

صنعاء..
الحلم والزَّمان

يولية 1970م

صنعاءُ يا أُختَ القبورِ ثُوري فإنَّكِ لمْ تَثُوري
حاولتِ أن تتقيَّأي في ليلةٍ عَفَنَ العُصورِ
وأردتِ قبلَ وسائلِ الـ ـبُنيانِ تشييدَ القُصورِ
ونَويتِ في تشرينَ أنْ تَلدي أعاجيبَ الزُّهورِ
فدهاكِ غَزوٌ مِثلما يَحكُونَ عن يومِ النُّشورِ
أيدٍ كأيدي الأخطبو طِ وأوجهٌ مثلُ الصُّخورِ
فتساقَطتْ شُرفاتُكِ النَّـ ـعْسى كأعشاشِ الطُّيورِ
وانْصبَّ إرهابُ المَغو لِ من البُكورِ إلى البُكورِ
وامتدَّ من بابٍ إلى بابٍ كغاباتِ النُّمورِ
حتى رأى (نُقُمٌ)[1] ذُرا كِ تَخِرُّ دامِيةَ الظُّهورِ
ورأى قلوبكِ في الضُّحى الـ أعمى تَفِرُّ من الصُّدورِ
ورأى خمائلَكِ الظَّليـ ـلةَ يرتحِلْنَ مِنَ الجُذورِ
هَرَب الجِدارُ من الجِدا رِ، هَوى النُّفورُ على النُّفورِ

صنعاءُ مِنْ أينَ الطَّريـ ـقُ إلى الرُّجوعِ أو العُبورِ

---

(1) نقم: جبل مطلٌّ على صنعاء من الجهة الشرقية ويدعى (غيمان) كذلك.

مــاذا تَــريْــنَ أتــسْــبــحــيْــ ـنَ؟ أتَـعـبُـريـنَ بـلا جُـسـورِ؟
هـل تُـسْـفِـريـنَ عـلـى الـشُّـرو قِ؟ أتـخـجَـلـيـنَ مـن الـسُّـفـورِ؟
أتُــزاحــمــيــنَ الــعــالــمَ الْــ ـمَـجْـنُـونَ؟ يـا بـنـتَ الـخُـدُورِ
شـهـرٌ، وعُـذتِ كـمـا أتَـيْــ ـتِ بــلا مـكــانٍ أو شُــهــورِ
تــتــنــهَّــديــنَ بــلا أسَــىً أو تَـضْـحـكـيـنَ بـلا سُـرورِ

* *

صــنــعــاءُ مــاذا تــشــتــهِــيْــ ـنَ؟ أتـهـدأيـنَ لـكـي تَـمـوري؟
تــتــوهَّــجــيــنَ ولا تَــعِــيْــ ـنَ، وتـنـطَـفـيـنَ بـلا شُـعـورِ
كَـمْ تـحـمـلـيـنَ ولا تـريْــ ـنَ وتـعـتـبـيـنَ عـلـى الـدُّهـورِ
مـا زالَ يـخـذُلُـكِ الـزَّمـا نُ فـتـبـزُغـيـنَ لـكـي تَـغـوري
يـا شـمـس صـنـعـاء الـكـسـو لَ أمـا بَـدا لـكِ أن تَـدوري؟

❂ ❂ ❂

بلادٌ في المَنفى

لأنَّ بــلادي الــحــبــيــبــةْ فــي مُــرْتَــبــاهــا غــريــبــةْ
لأنــــهـــا وهـــي مَـــلأى بــالــخــصــبِ غــيــرُ خــصــيــبــةْ
لأنَّـــهـــا وهـــي حُـــبــلــى بــالــرِّيِّ عَــطْــشــى جَــديــبــةْ

* * *

جــاءَتْ ومَــدَّتْ يــديْــهــا إلــى الأكُــفِّ الــمُــريــبــةْ
ثُــمَّ ارتَــمَــتْ كــعَــجــوزٍ مِــنْ قــبــلِ بــدءِ الــشَّــبــيــبــةْ
تــنــسى الــمــصــيــرَ ويــأتــي مــصــيــرُهــا فــي حَــقــيــبــةْ
لأنَّ دارَ أبــيــهــا لــهــا مَــنــافٍ رهــيــبــةْ

❂ ❂ ❂

عيِّنة جديدة مِن الحُزن

فبراير 1973م

مثلما تعصرُ نهديْها السَّحابَةْ
تُمطرُ الجُدرانُ صمتاً وكآبَةْ

يسقطُ الظِّلُّ على الظِّلِّ، كما
تَرتمي فوق السَّآماتِ الذُّبابَةْ

يمضغُ السقْفُ وأحداقُ الكُوَى
لَغطاً ميتاً وأصداءً مُصابَةْ

مِزَقاً من ذكرياتٍ وهوىً
وكؤوساً مِن جِراحاتٍ مُذابَةْ

تبحثُ الأحزانُ في الأحزانِ عن
وترِ باكٍ وعن خَلْقِ ربابَةْ

عَن نُعاسٍ يملكُ الأحلامَ، عن
شجنٍ أعمقَ من تيهِ الضَّبابَةْ

تسعلُ الأشجارُ، تحسو ظلَّها
تجمدُ الساعاتُ من بَرْدِ الرتابَةْ

هاهُنا الحُزنُ على عادتِهِ
فلماذا اليومَ للحُزنِ غرابَةْ؟

ينزوي كالبومِ، يهمي كالدُّبى
يرتخي، يمتدُّ، يزدادُ رحابَهْ

يلبسُ الأجفانَ، يمتص الرُّؤى
يمتطي للعنفِ أسراب الدُّعابَهْ

يلتوي مثلَ الأفاعي، يغتلي
كالمُدى العطشى ويسطو كالعِصابَهْ

يرتدي زِيَّ المُرائي، ينكفي
عارياً كالصَّخْرِ شوكي الصَّلابَهْ

وبلا حِسٍّ يُغنِّي وبلا
سببٍ يبكي ويسْتَبكي الخَطابَهْ

يكتبُ الأقدارَ في ثانيةٍ
ثُمَّ في ثانيةٍ يمحو الكتابَهْ

للثَّواني اليومَ أيدٍ وفمٌ
مثلما تَعدو على المذعورِ غابَهْ

وعيونٌ تغزلُ اللَّمْحَ كما
تغزلُ الأشباح أنقاضُ الخرابَهْ

مَنْ يُنَسِّينا مراراتِ العِدا؟
مَنْ يقوِّينا على حَمْلِ الصَّحابَهْ؟

من يُعيدُ الشَّجْو للأحزانِ؟ مَنْ
يمنحُ التَّسهيدَ أوجاعَ الصَّبابَهْ؟

مــــن يــــردُ الــــلّــــونَ لــــلألــــوانِ؟ مَــــنْ
يــهــبُ الأكــفــانَ شــيــئــاً مــن خــلابَــةْ

* * *

كــانَ لــلــمــألــوفِ لــونٌ وشــذاً
كــانَ لــلــمــجــهــولِ شــوقٌ ومَــهــابَــةْ!
مَــنْ هُــنــا؟ أســئــلــةٌ مــن قــبــلِ أَنْ
تَــبــتــدري غــرابــاتُ الإجــابَــةْ

۞۞۞

في بيتها العريق

يولية 1970م

مـــنْ؟ قـــالـــتُ: أنـــا يـــا غَـــزُّولَـــةْ
أهـــلاً بـــحـــروفٍ مَـــشـــلـــولـــةْ

أهـــلاً! فـــي لـــهـــجـــةٍ قـــاتـــلـــةٍ
تـــخـــشـــى أنْ تُـــمـــسِـــي مـــقـــتـــولَـــةْ

مـــاذا تَـــخـــشَـــيْـــنَ؟ ألـــيـــســـتْ لـــي
بـــالـــدَّارِ صِـــلاتٌ مـــوصـــولَـــةْ؟

أَوَلـــســـتُ صـــديـــقـــاً تـــعـــرفُـــنـــي
هـــذي الـــحُـــجُـــراتُ الـــمَـــمْـــلـــولَـــةْ؟

هـــذا الـــدِّهـــلـــيـــزُ الـــمُـــسْـــتَـــلـــقـــي
هٰـــذي الـــجُـــدرانُ الـــمَـــصـــقـــولَـــةْ

اصـــعـــدْ، لـــكـــنْ هـــل فـــي فَـــمِـــهـــا
أُخـــرى، أو أُذنـــي مـــخـــلـــولَـــةْ؟

وصـــعـــدتُ، كـــمـــجْـــهـــولٍ قـــلـــقٍ
يـــجـــتـــازُ شِـــعـــابـــاً مـــجـــهـــولَـــةْ

ومـــعـــي صـــعـــدَتْ كـــانـــت تـــبـــدو
جَـــذْلَـــى بـــالـــحـــســـرةِ مَـــكـــحـــولَـــةْ

كَمُؤَمَّرةٍ، مَنْ تحكُمُهُمْ
ماتوا، أو باتَتْ مَعزولَةْ

في نصفِ العُمْرِ بعينيْها
أجيالُ وعودٍ مَمْطولَةْ

وشظايا معركةٍ بدأتْ
نصراً وارتدَّتْ مَخذولَةْ

شرَّفتَ، وزادتْ ترحيباً
كزواقِ عروسٍ معلولَةْ

عندي ضيفٌ ومددتُ يدي
لِبَنانٍ كَسْلَى مقفولَةْ

أهلاً، فأجابَ كمن يُلقي
أعذاراً ليسَتْ مقبولَةْ

اجلسْ، قالَتْها واقتربتْ
تروي أخباراً مَعقولَةْ

عندي الجاراتُ وزوجُ (هدى)
وطبيبٌ. إنّي مَنزولَةْ

وهنا انتزَعَتْني قهقهةٌ
وصَدى نحنحةٍ مَغلولَةْ

فسمعتُ من الغُرفِ الأُخرى
أنفاس حنايا مَتْبُولَةْ

بَـوْحـاً كـالـحـبْـلِ الـمُـسـتـرخـي
تـحـتَ الأثـوابِ الـمـبـلـولَـةْ

نـبـراتُ نـداءٍ وجـوابٍ
كـلُـهـاثِ عـجـوزٍ مَـسـعـولـةْ

ضـحـكـاتُ ذئـابٍ جـائـعـةٍ
هـمـسـاتُ نِـعـاجٍ مـأكـولَـةْ

هـل هـذا الـبـيـتُ بـعـزَّتِـهِ
أمـسـى أحـضـانـاً مـبـذولَـةْ؟

بـيـتٌ خـدَّاعٌ. ربَّـتُـهُ
مـن زيـفِ الـدَّعـوى مـجـبـولَـةْ

*

أيـكـونُ الـخَـلُّ سِـوى خَـلٍّ
حـتـى فـي الـكـأسِ الـمَـعـسـولَـةْ

لـكـنْ مـا بـالُ الـضَّـيـفِ يـرى
وَجـهـي بـلـحـاظٍ مَـذهـولَـةْ

مـا جِـئـتُ أُفـتِّـشُ عَـنْ عَـبـثٍ
أو عَـنْ لـحـظـاتٍ مـسـلـولَـةْ

مـا جـئـتُ لِأنـزِلَ مـنـطـقـةً
بـنـعـوشِ سُـكـارى مـأهـولَـةْ

قـولـي لـي: أنـتَ بـلا ذوقٍ
فـلـتـذهـبْ، إنِّـي مَـشـغـولَـةْ

* * *

مـــا جـــئـــتُ إلـــيــكِ عـــلـــى أمـــلِ
أســـفـــاري لـــيـــســـتْ مـــأمـــولَـــةْ

لـــكـــنّـــي جـــئـــتُ بـــلا ســـبـــبِ
رُدّيـــنـــي، لـــســـتِ الـــمـــســـؤولَـــةْ

ورجـــعـــتُ كـــمـــا أقـــبـــلـــتُ بـــلا
هـــدفٍ كـــالـــرِّيـــحِ الـــمـــخـــبـــولَـــةْ

❂❂❂

لعينَيْ أم بلقيس

15/ نوفمبر/ 1972م

لـهـا أغْـلـى حَـبـيـبـاتـي بـدايـاتـي وغـايـاتـي
لـهـا غَـزوي وإرهـاقـي لـهـا أزهـى فُـتـوحـاتـي
وأسـفـاري إلـى الـمـاضـي وإبـحـاري إلـى الآتـي
لـعـيـنَـيْ (أمِّ بـلـقـيـسٍ) فُـتـوحـاتـي ورايـاتـي
وأنـقـاضـي وأجـنـحـتـي وأقـمـاري وغَـيـمـاتـي
لـهـا تـلـويـحُ تَـوديـعـي لـهـا أشـواقُ أوبـاتـي
أُشـرِّقُ وهـي قُـدَّامـي أُغـرِّبُ وهـي مـرآتـي
إلـيـهـا يـنـتـهـي رُوحـي ومـنـهـا تـبـتـدي ذاتـي

❊ ❊

أُغـنِّـي وهـي أنـفـاسـي وأسـكـتُ وهـي إنـصـاتـي
وأظـمـأ وهـي إحـراقـي وأحـسُـو وهـي كـاسـاتـي
أمـوتُ وحُـبُّـهـا مـوتـي وأحـيـا وهـي مـأسـاتـي
تُـروِّيـنـي لـظَـىً وهَـوىً وأشـدُو ظـامـئـاً: هـاتـي
فـتُـقـصـيـنـي كـعـادتِـهَـا وأتـبـعـهـا كـعـاداتـي
وأغـزلُ مِـنْ روايـحـهـا مـجـاديـفـي ومَـرسـاتـي
هُـنَـا وهُـنـاكَ مـولاتـي وأسـألُ: أيـنَ مـولاتـي؟

❊ ❊

أنـا فـيـهـا وأحـمـلُـهـا عـلـى أكـتـافِ آهـاتـي

عـلـى أشـواقِ أشـواقـي عـلـى ذرّاتِ ذرّاتـي
وأذوي وهـي تَـحـمِـلُـنـي فـتـنـمـو فـي جـراحـاتـي
وأسـألُ: أيـنَ ألـقـاهـا؟ فـتَـغْـلـي فـي صَـبـابـاتـي
وتَـرنُـو مـن أسـى هـمـسـي ومِـنْ أحـزانِ أوقـاتـي
ومِـنْ صَـمـتـي كـتـمـثـالِ أُشَـكِّـلُ وجـهَ نـحّـاتـي
وتـبـدو مِـنْ شـذا غَـزَلـي ومِـنْ ضِـحْـكـاتِ حُـلْـواتـي
ومِـنْ نـظـراتِ جـيـرانـي ومـن لـفـتـاتِ جـاراتـي
ومِـنْ أسـمـارِ أجـدادي ومِـنْ هـذَيـانِ جَـدّاتـي
ومِـنْ أحـلامِ أطـفـالـي ومِـنْ أطـيـافِ أمـواتـي

* *

هُـنـا مـيـلادُ غـالـيـتـي هـنـا تـاريـخُـهـا الـعـاتـي
هُـنـا تـمـتـدُّ عـاريـةً وراءَ الـغَـيْـهَـبِ الـشّـاتـي
تَـحِـنُّ إلـى الـغَـدِ الأهـنـى فـيـمـضـي قـبـلَ أن يـاتـي

⚙⚙⚙

امرأةٌ وشاعِر

1971م

أتُسائلينَ مَنِ التي آثرتُ؟ أو أينَ اشتياقي؟
وتردِّدينَ: ألستَ مَنْ أبدعتَ صحوي وائتلاقي؟
شُطآنَ عينَيَّ، اخضرا رُ مواسمي، دِفئي، مذاقي
بستانُ وجهي، أمسيا تُ جَدائلي، ضحواتُ ساقي؟

سمَّيْتَني وهجَ الضُّحى قمراً يجِلُّ على المحاقِ
بوح الزنابقِ والورو دِ إلى النُّسيماتِ الرُّقاقِ
أنسيْتَني بشريَّتي ونسيتَ بالأرض التصاقي
وذهبتَ يا أغلى مرا يا الحُسْنِ، أو أحلى نِفاقِ
أتُعودُ لي. تبكي غُرو بي أو تُغنِّي لانبثاقي؟

لن تَعدمي غيري ولَنْ تلقَيْ كصِدْقي واختلاقي
قَدْ كُنتُ موثوقاً إلَيْـ ـكِ مَنَ التي قَطَعتْ وِثاقي
لمَّا وجدْتُ القُرب مِنْـ ـكِ أمرَّ مِنْ سهرِ الفِراقِ
آثرتُ حُزنَ البُعدِ عَنْـ ـكِ على مراراتِ التَّلاقي
وبدونِ توديع ذَهَبْـ ـتُ كما أتيتُ بلا اتِّفاقِ
ونسيتُ بيتَكِ والطَّرِيْـ ـقَ نسيتُ رائحةَ الزُّقاقِ
لَمْ أدرِ مِنْ أينَ انطلَقْـ ـتُ ومَنْ لقِيتُ لدى انطلاقي

انــســقْــتُ لا أدري الــطَّــرِيْــ ـقَ ولا الطَّريقُ يعي انسياقي
حـتـى الـمـصـابـيـحُ الـتـي حـولـي تُـعـانـي كـاختـنـاقـي
كـانَ الـلُّـقَـاءُ بـلا وُجُـوْ هِ والـفِـراقُ بـلا مـآقـي
فـلْـتـتـركـيـنـي لـلـنَّـوى أظـمـا وأمـتـصُّ احـتـراقـي
وبـرغـمِ هـذا الـجـدبِ لـن أأسـى عـلـى الـخَـلِّ الـمُـراقِ

* * *

لـكـنْ، لـمـاذا تـسـأَلِـيْـ ـنَ: بـمـن أهـيـمُ ومَـنْ أُلاقـي؟
فـلْـتـسـتـريـحـي إنَّـنـي وحـدي، وأحـزانـي رِفـاقـي
كـالـسِّـنـدبـادِ بـلا بـحـا رِ كـالـغـديـرِ بـلا سـواقـي
ورجـايَ ألاَّ تَـسـألـي هـل مِـتُّ أو مـا زِلـتَ بـاقـي؟

⊛⊛⊛

مدينةٌ بلا وجه

يناير 1971م

أتــدريــن يــا صــنــعــاءُ مــاذا الــذي يــجــري؟
تــمــوتــيــن، فــي شــعــبٍ يــمــوت ولا يــدري

تــمــوتــيــنَ، لــكِــنْ كــلَّ يــومٍ وبــعــدمــا
تــمــوتــيــنَ تــســتــحــيــيــنَ مِــنْ مَــوتِــكِ الــمُــزْري

ويــمــتــصُّــكِ الــطَّــاعــونُ لا تــســألــيــنَــهُ:
إلــى كَــمْ؟ فــيــســتــحــلــي الــمــقــامَ ويــســتــشــري

تــمــوتــيــنَ: لــكــن فــي تَــرَقُّــبِ مَــولــدٍ
فــتَــنــســيــنَ أو يــنــســاكِ مــيــعــادُهُ الــمُــغْــري

فــهــلْ تــبــحــثــيــنَ الــيــومَ عــن وجــهــكِ الــذي
فَــقَــدْتِــيــهِ أو عــن وجْــهــكِ الآخــر الــعَــصــري

إلــى أيــنَ؟ هــل تــدريــنَ مِــنْ أيــنَ؟ رُبَّــمــا
طَــلَــعْــتِ بــلا وجــهٍ وغِــبْــتِ بــلا ظَــهْــرِ؟

تــســيــريــن مِــنْ قــبــرٍ لــقــبــرٍ، لــتــبــحــثــي
وراءَ سُــكــونِ الــدَّفــنِ عــن ضــجَّــةِ الــحَــشْــرِ

أتــســتــنــشــقــيــنَ الــفــجــر فــي ظــلــمــةٍ بــلا
هــدوءٍ، بــلا نــجــمٍ يــدلُّ عــلــى الــفــجــرِ؟

خبا كلُّ شيءٍ فيكِ لا تسألينَهُ:
لماذا؟ ألا يعنيكِ شيءٌ مِن الأمرِ

وحتى الرَّوابي فيكِ باعَتْ جِباهَها
وما عرفَتْ ماذا تبيعُ وما تَشري!

وحتى عَشايا الصَّيفِ فيكِ بلا رؤًى
وحتى أزاهيرُ الرَّبيعِ بلا عطرِ

وحتى الدَّوالي فيكِ ضاعَ مَصيفُها
وحتى السَّواقي ضيَّعتْ مَنْبع النَّهرِ

وحتى أغاني الحُبِّ مات حنينُها
وحتى عيونُ الشِّعرِ فيكِ بلا شِعْرِ

أتدرينَ أنَّ الشَّمس فوقَكِ لا ترى
وأنَّ لياليكِ المريضاتِ لا تَشري

سُدَىً تَنشُدينَ الفجر في أيِّ مَطلعٍ
وفي ناظرَيْكِ الفجرُ أو ليلةُ القدرِ

۞ ۞ ۞

صبوة

23/ يناير/ 1970م

دكـــتـــورةُ الأطـــفـــال إنِّـــي هُـــنـــا
مِــنْ يــومِ مــيــلادي بــلا مُــرضــعَــة

عــنــدي عــصــافــيــرُ الــهــوى تــجــتــدي
حــنــانَ هــذي الــكَــرْمــةِ الــطَّــيِّــعَــة

وربــمــا اســتــكْــذَبْــتِــنــي، إنَّــمــا
مــن أيــنَ لــي أن أَحــرِقَ الأقــنــعَــة

تَــريْــنــنــي كــهــلاً، وفــي داخــلــي
مــن الــتَّــصــابــي صِــبْــيــةٌ أَربــعَــة

مــجــاعَــةُ الــخــمــســيــنَ فــي أَضْــلُــعــي
طــفــولــةٌ أعــتــى مِــنَ الــزَّوبــعَــة

خَــلْــفَ اتِّــزانــي مــائــجٌ صــاخــبٌ
ســفــيــنــةٌ نــاريَّــةُ الأشــرِعَــة

* * *

دكـــتـــورةُ الأطـــفـــالِ لا تــبــعُــدي
عــنِّــي وعــن مــأســاتــيَ الــمــوجــعَــة

لــقــد زرعــتُ الــحُــبَّ، لــكــنــنــي
مــا ذُقْــتُ إلا حــنــظــلَ الــمــزرعَــةْ

عُــمــري بــلا مــاضٍ، ومُــســتــقــبــلــي
كــأُمــســيــاتِ الــغــابــةِ الــمُــفــزعَــةْ

❁ ❁ ❁

يمنيٌّ
في بلاد الآخرين

أكتوبر 1972م

مـــن أيـــنَ أنـــا؟ مـــنْ يـــدري
أَوَلـــيـــســـتْ لـــي جِـــنـــســـيَّـــةْ؟

نَـــســـبـــي رايـــاتٌ حُـــمْـــرٌ
وفـــتـــوحـــاتٌ ذَهـــبـــيَّـــةْ

فـــلـــمـــاذا تَـــســـتَـــغـــرِبُـــنـــي
هـــذي الـــزُّمَـــرُ الـــخَـــشَـــبـــيَّـــةْ

يـــا إخـــوانـــي أصـــلـــي مِـــنْ
صـــنـــعـــا، أُمِّـــي (دُبَـــعِـــيَّـــةْ)

صـــنـــعـــاويٌّ، حُـــجـــريٌّ!
مـــا صـــنـــعـــا؟ مـــا الـــحُـــجَـــرِيَّـــةْ؟

مِـــنْ أيـــنَ أنـــا؟ تَـــشـــويـــنـــي
بـــتـــغـــابـــيـــهَـــا الـــسُّـــخْـــرِيَّـــةْ

عـــربـــيٌّ لا تـــعـــرفُـــنـــي
حـــتـــى الـــدُّنـــيـــا الـــعـــربـــيَّـــةْ

وأبـــي؟ قـــالـــوا: يـــمـــنـــي
أمِّـــي، قـــالـــوا يـــمـــنـــيـــةْ

لكن أنستني لوني
وفمي أيدي الهمجيَّةْ
سنواتٌ جوعى عَطشى
وقياداتٌ تَبعيَّةْ
وغراباتٌ لا تُزوى
وغراباتٌ مزْويَّةْ

*

يا ريحُ، بلادي خَلْفي
ومعي، مثلي منسيةْ
حتى أرضي يا أرضي
كأهاليها منفيةْ!!
وطني أسفارٌ تمضي
وتعودُ بلا أُمْنِيةْ
تشريدٌ لا بدءَ لَهُ
ومسافاتٌ وحشيَّةْ
حُرَّاسُ حدودٍ يقظى
وتقانينٌ وثنيَّةْ
مدنٌ لا أسماءَ لها
وزحاماتٌ عدميَّةْ
أسواقٌ كُبرى، أدنى
ما فيهِنَّ البشريَّةْ
وبدائيّاتٌ غَرْقى
في الأقنِعةِ العَصريَّةْ

وعـــلـــى رُغْـــمـــي أســـتـــجـــدي
كـــلَّ الايـــدي الـــحَـــجَـــرِيَّـــة

* * *

وبـــلادُ بـــلادي مـــنـــفـــى
ومـــتـــاهـــاتٌ أبـــديَّـــة

مـــن أيـــنَ أنـــا؟ مـــجـــهـــولٌ
جـــوَّالٌ دونَ هُـــوِيَّـــة

وبـــلا وطـــنٍ لـــكِـــنِّـــي
مـــوهـــومٌ بـــالـــوطـــنـــيَّـــة

⊛⊛⊛

اعتيادان

مارس 1970م

حانَ لي أنْ أُطيقَ عنكِ ابتعادا
والتهابي سيستحيلُ رمادا
وتجيئينَ تسألينَ كلَهْفى
عن غيابي، وتدَّعينَ السهادا
وتقولينَ: أينَ أنتَ؟ أتنسى؟
وتُعيدينَ لي زماناً مُبادا
أوَمَا كنتُ أغتلي وأُرَجِّي
قطراتٍ، فتبذُلينَ اتّقادا
تزرعينَ الوعودَ في جدبِ عُمْري
وتدُسِّينَ في البذورِ الجرادا

* *

كان لا بُدَّ أنْ أقولَ: وداعاً
وبرغمي لا أستطيعُ ارتدادا
غيرَ أنّي أودُّ أن لا تَظُنِّي
أنني خنتُ أو أسأتُ اعتقادا
ربما تزعمينَ أنَّ ابتعادي
عنكِ أدنى (رضيَّة) أو (سعادا)

أو تـقـولـيـنَ: إنَّ جـوعَ احـتـراقـي
عـنـدَ أُخـرى لاقـى جـنـىً وابـتـرادا

اظْـمـئِـنِّـي، لـديَّ غـيـرُ الـتـسـلِّـي
مـا أعـادي مِـنْ أجـلِـهِ وأُعـادى

* * *

قـد أُنـادي نـداءَ (قـيـسٍ) ولـكـن
كـلُّ (قـيـسٍ) وكـلَّ (لـبـنـى) الـمُـنـادى

لـي نـصـيـبـي مـن الـتـفـاهـات، لـكـن
لـن تـريْـنـي أريـدُ مـنـهـا ازديـادا

* * *

لـم أكـنْ (شـهـر يـارَ) لـكـنْ تـمـادَتْ
عِـشـرةٌ صـوَّرتْـكِ لـي (شـهـرزادا)

كـان حُـبِّـي لـكِ اعـتـيـاداً وأُلْـفـاً
وسـأنـسـاكِ أُلـفـةً واعـتـيـادا

۞ ۞ ۞

صنعانيٌّ يبحث عن صنعاء

3/ 5/ 1972م

هذي العماراتُ العوالي ضيّعنَ تجوالي، مَجالي
حولي كأضرحةٍ مُزوَّرةٍ بألوان اللآلي
يلمحنني بنواظرِ الإسمنت من خلف التَّعالي
هذي العماراتُ الكبارُ الخرسُ ملأى كالخوالي
أدنو ولا يعرفْنني أبكي ولا يسألنَ: ما لي
وأقولُ: من أينَ الطريقُ؟ وهنّ أغبى من سُؤالي

كانت لِعمّي هاهُنا دارٌ تحيط بها الدَّوالي
فغدت عمارةَ تاجرٍ (هندي) أبوهُ (برتغالي)
وهناك حصنُ تآمرٍ كان اسمُهُ (دار الشلالي)
وهناك دارُ عمالةٍ كانَ اسمُها (بيت العبالي)
وهنا قصورُ أجانبٍ غُلْفٍ كتجّار الموالي
هل هذه صنعا؟ مضت صنعا سوى كسرٍ بَوالي
خمس من السنوات أجلت وجهها الحرَّ (الأزالي)[1]

من أين يا إسمنتُ أمشي؟ ضاعت الدُّنيا حِيالي
بيت ابْنِ أختي في (معمّرَ) في (الفليحي) بيت خالي

---

(١) أزال الاسم التاريخي لمدينة صنعاء.

أيـن الـطـريـق إلـى (مـعـمَـرَ)؟ يـا بـنـاتـي يـا عـيـالـي

وإلـى (الـفـلـيـحـي) يـا زحـام، ولا يـعـي أو لا يـبـالـي

بـالـلـه يـا أمَـاهُ دُلِّـيـنـي ورقَّـت لابـتـهـالـي

قـالـت: إلـى (الـنـهـريـن) قـدَّامي وأمضي عن شـمـالـي

وإلـى (الـقـزالـي) ثـم أسـتـهـدي بـ(صـومـعـة) قـبـالـي

من يعرف (النهرين)؟ من أين الطريق إلى (القزالي)[1]

* *

مـن ذا هـنـاك؟ مـسـافـر مـثـلـي يـعـانـي مـثـلَ حـالـي

حشدٌ من العجلات يلهثُ في السباق وفي التوالي

وهـنـاك (نـصـرانـيّـة) كـحـصـان (مـسـعـود الـهـلالـي)

وهـنـاك مـرتـزق بـلا وجـه، عـلـى كـتـفـيـه (آلـي)[2]

* * *

الـيـوم (صـنـعـا) وهـي مـتـخـمـةُ الـديـار بـلا أهـالـي

يـحـتـلُّـهـا الـسِّـمـسـار والـغـازي ونـصـفُ الـرأسـمـالـي

والـسـائـحُ الـمـشـبـوه والـداعـي وأصـنـاف الـجـوالـي

من ذا هُـنـا؟ (صـنـعـا) مضت واحتلَّها كـلُّ انـحـلالـي

* *

أمّـي، أتـلـقـيـن الـغـزاة بـوجـه مـضـيـاف مـثـالـي؟!

لِـم لا تُـعـاديـن الـعـدا؟ مـن لا يـعـادي لا يـوالـي

مَـنْ لا يـصـارعُ، لا نـسـائـيّ الـفـؤاد ولا رجـالـي

إنـي أغـالـي فـي مـحـبـة مـوطـنـي. لِـمَ لا أغـالـي؟

(1) معمر والفليحي والنهرين القزالي: من أحياء صنعاء القديمة.

(2) آلي: نوع من البنادق.

من أين أرجع أو أمرُّ؟ هنا سأبحث عن مجالي

ستجدُّ أيامٌ بلا منفى وتشمس يا نضالي

وأحب فجرٍ ما يهلُّ عليك من أدجى الليالي

۞ ۞ ۞

اعترافٌ بلا توبة

1947م

غابت هذه القصيدة عن الدواوين السابقة إجابة لرغبة أستاذنا الذي وجهت إليه، ولمَّا أصبح بلا رغبة لدخوله عالم الصمت، رغبت القصيدة أن تخرج من مخبئِها صورة لتحدِّي الصِّبا وصورة لأفكار بعض أساتذة الجيل الماضي:

إنْ يــدَّعِ الــعــالِــم فــلا فِــريــةٌ
فــالــصِّــدقُ كــلُّ الــصِّــدقِ فــيــمــا ادَّعــى

لــكــنَّ سِــرَّ الــعــالــمِ فــي نــفــسِــهِ
كــالــعــسَــلِ الــصَّــافــي خــبــيــثُ الــوِعــا

يــقــولُ: شــيــطــانٌ وشــيــطــانــةٌ
دعــتْ فــلــبــى أو هَــفَــتْ إذ دعــا

ولــم يــقُــلْ إلــفٌ ومــألــوفــةٌ
تــجــمَّــعــا. ســبــحــانَ مــنْ جــمَّــعــا

لأنَّــنــي اســتــحــلــيــتُ أُمــســيَّــةً
يــردُّنــي عــن درسِــهِ مُــوْجَــعــا

إنْ كــنــتُ ألــقــى نــادراً حــلــوةً
فــهــو يُــلاقــي دائــمــاً أربــعــا

أريــدُ أُنْــســاً مِــثْــلَــهُ، أشــتــهــي
كــالــنَّــاسِ أنْ أروى وأنْ أشــبــعــا

يـا سـيـدي الـمـفـضـالُ، قـالـوا: تَـرى
تـعـلـيـمَ مـثـلـي قـطُّ لَـنْ يـنْـفَـعَـا

أغـلـقـتَ بـاب الـبـيـتِ والـدَّرسِ فـي
وجْـهـي، سـألـقـى الـدَّرس والـموضِـعَـا

يـا (لـطـفُ) مـهـمـا لُـمْـتَـنـي لـم أَدَعْ
هـذا الـسـلـوكَ الـشـائـنَ الـمُـمْـتِـعـا

ولـتـمـنـعِ الـتـعـلـيـم عـنِّـي كـمـا
تـهـوى، فـخـيـرٌ مـنـك لـن يـمـنَـعـا

أبـصـرْتـنـي مـن بـيـتِـهَـا خـارجـاً
كـالـكـلـبِ، أمـشـي واجـفـاً مُـسـرعـا؟

نـعـم، جَـرى هـذا وإنْ تـبـتـغِ
شـهـادةَ أقـوى سـلِ الـمـضـجـعـا

تـقـولُ. إنِّـي مُـنـكِـرٌ بـعـدمـا
ألـقَـتْ لـديـكَ الـتُّـهـمـةُ الـبُـرْقُـعَـا

فـلأعـتـرف، لا نـاويـاً تـوبـةً.
إنِّـي ومـنْ سـمَّـيْـتَ بـتـنـا مـعـا

❂ ❂ ❂

تقرير إلى عام 71 حيثُ كُنَّا

يناير 1971م

حـيـث كُـنَّـا كـمـا أرادَ الإمـامُ
كـلُّ دعـوى مِـنَّـا عـلـيـنـا اتِّـهـامُ

إنَّـمـا سـوف نَـدَّعـي ولْـتُـصَـدِّقْ
يـا (وِصـابـانِ) ولـتَـثِـقْ يـا (رجـامُ)[1]

غـيـر أنَّـا وبـعـدَ تـسـعٍ طـوالٍ
حـيـثُ كُـنَّـا كـأنـمـا مـرَّ عـامُ

كـلَّـمَـا جَـدَّ، أنَّـنَـا قـد كَـشَـفْـنـا
أوجُـهـاً دلَّـنـا عـلـيـهـا الـلِّـثـامُ

وعـرفْـنـا مـن الـعـمـالاتِ صِـنـفـاً
كـانَ أطـرى مـا أحـدثَ (الـعـمُّ سـامُ)

يـرتـدي كـلَّ سـاعـةٍ ألـفَ لـونٍ
ولَـهُ كـلَّ سـاعـتـيْـن نـظـامُ

حـيـثُ كُـنَّـا، لـكـن لـمـاذا أضَـغْـنَـا
فـي الـتَّـعـادي سـبـعـاً؛ وفـيـمَ الـخِـصـامُ؟

(1) وصابان: منطقة جبلية مطلة على تهامة بالقرب من زبيد، ورجام منطقة بالقرب من صنعاء تزرع القات وأجود أنواع العنب.

جـرَّحـتـنـا الـحـروبُ فـي غـيـرِ شـيءٍ
وبـلا غـايـةٍ دَهـانـا الـسَّـلامُ

* * *

الـغـزاةُ الـذيـنَ يـومـاً تـلاشَـوْا
بِـقـوانـا، لَـهُـمْ عـلـيـنـا اقـتـحـامُ
إنَّـهُـمْ يُـوغِـلُـونَ فـيـنـا ونُـغْـضـي
فـلـمـاذا رُغْـنـاهـمـوا حـيـن حـامـوا

* * *

الـرُّكـامُ الـذي نـفـضـنـاهُ عـنَّـا
ذاتَ يـومٍ لَـهُ عـلـيـنـا ازدحـامُ
ونِـعـالُ الـغُـزاةِ وهـي كـثـيـرٌ
فـوقَ أعـنـاقِـنَـا جِـبـاهٌ وهَـامُ
والأُبـاةُ الـذيـنَ بـالأمـسِ ثـاروا
أيـقـظـوا حـوْلَـنـا الـذِّئـاب ونـامـوا
حـيـنَ قُـلـنـا قـامـوا بـثـورةِ شَـعْـبٍ
قـعـدوا قـبـلَ أن يَـرَوْا كـيـفَ قـامـوا
رُبَّـمـا أحـسـنـوا الـبـدايـاتِ، لـكـن
هـل يُـحِـسُّـون كـيـفَ سـاءَ الـخِـتـامُ؟
مـاتَ (سـبـتـمـبـرُ) الـبـشـيـرُ ولـكـن
أُمُّـهُ نـاهـدٌ هَـواهـا غـلامُ

❁ ❁ ❁

مواطنٌ بلا وطن

يولية 1970م

مــــواطـــــنٌ بـــــلا وطـــــنْ لأنّـــــهُ مِـــــنَ الـــيـــمـــنْ

تُــــبــــاعُ أرضُ شَــعــبِــهِ وتُـــشـــتـــرى بـــلا ثَـــمـــنْ

يـــبـــكـــي إذا ســـألـــتَـــهُ مــن أيــنَ أنــتَ؟ أنــتَ مــنْ؟

لأنَّـــــهُ مِـــــنْ لا هُــــنـــا أو مــن مــزائــدِ الــعَــلَــنْ

مـــواطـــنٌ كـــانَ جِـــمـــا هُ مــن (قُــبــا) إلــى (عَــدَنْ)

والـــيـــومَ لَــمْ تَــعُــدْ لَــهُ مـــزارعٌ ولا ســـكَـــنْ

ولا ظِـــــلالُ حـــــائـــــطٍ ولا بــقــايــا مِــنْ فَــنَــنْ

بِـــلادُهُ ســـطْـــرٌ عـــلـــى كـــتـــابِ (عِـبـرةِ الـزَّمـنْ)[1]

روايـــــةٌ عـــــن (أســـعـــدٍ) أســـطـــورةٌ عـــن (ذي يـــزنْ)

حـــكـــايـــةٌ عـــن هُـــدهُـــدٍ كـــانَ عـــمـــيـــلاً مـــؤتـــمـــنْ

وعـــن مـــلـــوكٍ اسْـــتَـــبـــوا أو ســبــأوا مــلــيــونَ دَنّ[2]

الـمُـلْـكُ كـانَ مُـلْـكَـهُـم سِــواهُ «قَــعْــبٌ مــن لَــبــنْ»[3]

والـــيـــومَ طـــفـــلُ (حِـــمْـــيـــرٍ) بِـــــلا أبٍ بِـــــلا صِـــــبـــــا

---

(1) كتاب في التاريخ اليمني القديم لـ(عُمارة اليمني).

(2) يقال إن ملوك (سبأ) سُمُّوا بهذه التسمية لكثرة ما استبوا من النساء أو سبأوا من الخمر (أي شربوا)

(3) إشارة إلى بيت (أمية بن أبي الصلت) الذي مدح به (سيف بن ذي يزن): «هذا هو المُلْكُ لا قعبانِ من لبن»

بلا مدينةٍ، بلا مخابئٍ، بلا رُبا
يَغزوهُ ألفُ هُدهُدٍ وتنثني بلا نبا
يكفيهِ أنَّ أُمَّهُ (رَيّا)[1] وجدُّهُ (سَبا)
وأنَّ عمَّ خالِهِ كانَ يزينُ (يَحْصُبا)
وأنَّ خالَ عمِّهِ كانَ يقودُ (أرْحَبا)
كانوا يُضيئونَ الدُّجى ويَعبدونَ (الكَوكَبا)[2]
يدرونَ ما شادوا ولا يدرونَ ماذا خرَّبا؟
يبنونَ للفارِ العُلا ويزرعونَ للدُّبى
يا ناسجَ (الإكليلِ)[3] قُلْ: تلكَ الجِباهُ من غَبا
أَوْ سَمِّها كواكباً تمنَّعتْ أن تغرُبا
فهل لها ذرِّيَّةٌ منَ الشموخِ والإبا؟

* * *

اليومَ أرضُ (مأربِ) كأُمِّها موجَّهَةْ
يقودُهَا كأُمِّها فارٌ.. وسوطُ (أبرهَةْ)[4]
فما أمرَّ أمسِها ويومُها ما أشبَهَهْ
تبيعُ لونَ وَجْهِها للأوجُهِ المُمَوَّهةْ
(تمُّوزُ) في عيونِها كالعانسِ المُوَلَّهَةْ
والشَّمسُ في جَبينِها كاللَّوحةِ المُشَوَّهَةْ

---

(1) ريّا بنت الحارث: فارسة حميرية شهيرة.

(2) إشارة إلى (معبد القمر) في (مأرب).

(3) الإكليل: كتاب عن ملوك اليمن القدامى لـ(أبي محمد الهمذاني) من مؤرخي القرن العاشر.

(4) أبرهة: القائد الحبشي الذي غزا اليمن.

فـيـا (سـهـيـلُ)[1] هـل تَـرى أَسْـئِـلَـةً مُـدلَّـهَـةْ؟
مـتـى يـفـيـقُ هـاهُـنـا شـعـبٌ يَـعـي تَـنَـبُّـهَـهْ؟
وقـبـلَ أن يـرنـو إلـى شـيءٍ يَـرى مـا أتـفَـهَـهْ
فـيـنـتـقـي تـحـتَ الـضُّـحـى وجـوهَـهُ الـمُـنـزَّهَـةْ
يَـمـضـي ويـنـسـى خـلـفَـهُ عـاداتِـهِ الـمُـسـفَّـهَـةْ
يَـفـنـى بـكـلِّ ذرَّةٍ مـن أرضِـهِ الـمـؤلَّـهَـةْ

* *

هُـنـا يُـحِـسُّ أنَّـهُ مـواطـنٌ لَـهُ وطـنْ

◎◎◎

(1) نجم يماني عند الفلكيين القدامى.

أبو تمّام
وعروبة اليوم

ديسمبر 1971م

مـا أصـدقَ الـسَّـيـفَ إن لـم يُـنـضـهِ الـكَـذِبُ
وأكـذبَ الـسَّـيـفَ إنْ لـم يـصـدُقِ الـغَـضَـبُ

بـيـضُ الـصـفـائـحِ أهـدى حـيـنَ تـحـمِـلُـهـا
أيـدٍ إذا غَـلَـبَـتْ يـعـلُـو بـهـا الـغَـلَـبُ

وأقـبـحُ الـنَّـصـرِ نـصـرُ الأقـويـاءِ بـلا
فَـهْـمٍ، سِـوى فـهـمِ كـم بـاعـوا وكـم كَـسِـبـوا

أدهـى مـن الـجـهـلِ عِـلـمٌ يـطـمـئِـنُّ إلـى
أنـصـافِ نـاسٍ طَـغَـوْا بـالـعـلـمِ واغـتـصـبـوا

قـالـوا: هـمُ الـبـشـرُ الأرقـى، ومـا أكـلـوا
شـيـئـاً كـمـا أكـلـوا الإنـسـانَ أو شَـرِبـوا

*

مـاذا جـرى يـا أبـا تـمَّـام؟ تـسـألُـنـي!
عـفـواً سـأروي ولا تـسـألْ: ومـا الـسَّـبـبُ؟

يَـدْمـى الـسـؤالُ حـيـاءً حـيـنَ نـسـألُـهُ:
كـيـف احـتـفـت بـالـعِـدا (حـيـفـا) أو(الـنَّـقَـبُ)

مَــنْ ذا يُـلَـبِّـي؟ أمَـا إصـرارُ مُـعـتـصـم
كـلّا وأخـزى مـن (الأفْـشِـينِ)[1] مـا صَـلـبـوا

الـيـومَ عـادتْ عُـلـوجُ (الـرُّومِ) فـاتـحـةً
ومَـوطِـنُ الـعَـرَبِ الـمـسـلـوبُ والـسَّـلَـبُ

مـاذا فـعـلـنـا؟ غَـضِـبـنـا كـالـرِّجـالِ ولـم
نَـصـدُق، وقـد صَـدَقَ الـتَّـنـجـيـمُ والـكُـتُـبُ

فـأطـفـأتْ شُـهُـبُ (الـمـيـراجِ) أنـجُـمَـنـا
وشـمـسَـنـا، وتـحـدَّت نـارَهـا الـخُـطَـبُ

وقـاتـلـت دونـنـا الأبـواقُ صـامـدةً
أمَّـا الـرِّجـالُ فـمـاتـوا ثَـمَّ أو هـربـوا

حُـكَّـامُـنـا إنْ تَـصَـدَّوا لـلـحِـمَـى اقـتـحـموا
وإن تَـصَـدَّى لَـهُ الـمـسـتـعـمـرُ انـسـحـبـوا

هُـمْ يـفـرشـونَ لـجـيـشِ الـغـزوِ أعـيُـنَـهُـمْ
وَيَـدَّعـونَ وُثُـوبـاً قـبـلَ أنْ يَـثِـبـوا

الـحـاكـمـون و(واشـنـطـن) حـكـومـتُـهُـمْ
والـلّامـعـونَ ومـا شَـعُّـوا ولا غـربـوا

الـقـاتِـلـون نـبـوغَ الـشَّـعْـبِ تَـرضِـيـةً
لـلـمُـعـتـديـنَ ومـا أجْـدَتْـهُـمُ الـقُـرَبُ

---

(1) حيدر الأفشين: قائد جيش المعتصم، فخانه فصلب وأحرق، وقال أبو تمام في حرقه رائيته الشهيرة: «الحقُّ أبلج والسيوفُ عواري». إلخ.

لهم شُموخُ (المُثنّى) ظاهراً ولَهُمْ
هوًى إلى (بابِكَ الخَرَميِّ)[1] ينتسبُ

*

إذاً ترى يا (أبا تمّام) هل كَذَبَتْ
أحسابُنا، أو تَناسى عِزّةُ الذَّهبُ؟

عروبةُ اليومِ أُخرى لا يَنِمُّ على
وجودِها اسْمٌ ولا لونٌ ولا لقبُ

تِسعونَ ألفاً لـ(عمُّوريّةَ) اتّقدوا
وللمُنَجّمِ قالوا: إنّنا الشُّهُبُ

قيلَ: انتظارُ قِطافِ الكَرْمِ، ما انتظروا
نُضجَ العناقيدِ، لكن قبلَها التهبوا

واليومَ تِسعونَ مليوناً وما بَلغوا
نُضجاً، وقد عُصِرَ الزيتونُ والعنبُ

تنسى الرؤوسُ العوالي نارَ نخوتِهَا
إذا امتطاها إلى أسيادِهِ الذَّنَبُ

(حبيبُ) وافيتُ من صنعاءَ يحملُني
نسرٌ وخلفَ ضلوعي يلهثُ العربُ

ماذا أُحدِّثُ عن صنعاءَ يا أَبَتي؟
مليحةٌ عاشقاها السِّلُّ والجَرَبُ

(1) المثنى بن حارثة الشيباني: الفارس الشهير، وبابك الخرمي: قرمطيٌ وهو أحد القادة الذين قاوموا الدولة العباسية.

ماتت بصندوقِ (وضّاح)[1] بلا ثمنٍ
ولم يَمُتْ في حَشاها العِشْقُ والطَّرَبُ

كانت تُراقبُ صُبح البعثِ، فانبعثتْ
في الحُلْمِ ثمَّ ارتمتْ تغفو وترتقبُ

لكنَّها رُغْم بُخْلِ الغَيثِ ما برِحَتْ
حُبلى وفي بطنِها (قَحطان) أو (كَرِبُ)

وفي أسى مُقلتيها يغتلي (يمَنٌ)
ثانٍ كحُلْمِ الصِّبا، ينأى ويقتربُ

*

(حبيبُ) تسألُ عن حالي وكيف أنا؟
شبابةٌ في شفاهِ الرِّيحِ تنتحبُ

كانت بلادُكَ (رَخْلاً)، ظَهر (ناجيةٍ)
أمَّا بلادي فلا ظَهْرٌ ولا غَببُ

أزعيتَ كُلَّ جديب لخمَ راحلةٍ
كانت رعتْهُ وماءُ الرَّوضِ ينسكبُ

ورُحتَ من سفرٍ مُضْنٍ إلى سفرٍ
أضنى، لأنَّ طريقَ الرَّاحةِ التَّعبُ

---

(١) وضّاح عبد الرحمن بن إسماعيل، شاعر يماني غلب عليه لقب (وضّاح) لإشراق وجهه ووضوحه. أحبّتْهُ (أمُّ البنين) زوج الخليفة (الوليد بن عبد الملك) وعندما اكتشف أمره ساعة وصل خبّأته في صندوق، وعندما عرف الخليفة أخذ الصندوق ورماه في بئر كانت تحت بساطه

لكِنْ أنا راحلٌ في غيرِ ما سفرِ
رَحْلي دمي وطريقي الجمرُ والحطبُ

إذا امتطيتَ ركاباً للنَّوى فأنا
في داخلي أمتطي ناري وأغتربُ

قبري ومأساةُ ميلادي على كتفي
وحوليَ العدَمُ المنفوخُ والصَّخَبُ

* * *

(حبيبُ) هذا صداكَ اليومَ أُنشِدُهُ
لكن لماذا تَرى وَجْهي وتكتئبُ؟

ماذا؟ أتعجبُ من شَيبي على صِغَري؟
إنِّي ولِدتُ عجوزاً، كيف تعتجبُ؟

واليومَ أذوي وطيشُ الفَنِّ يَعزفُني
والأربعونَ على خدَّيَّ تلتهبُ

كذا إذا ابْيَضَّ إيناعُ الحياةِ على
وجهِ الأديبِ أضاءَ الفكرُ والأدبُ

وأنتَ من شِبتَ قبلَ الأربعين على
نارِ (الحماسةِ) تجلوها وتنتخبُ

وتجتدي كلَّ لصٍّ مُترفٍ هِبةً
وأنتَ تُعطيهِ شِعراً فوق ما يهَبُ

شرَّقتَ غرَّبتَ من (والٍ) إلى (ملِكٍ)
يَحُثُّكَ الفقرُ أو يقتادك الطَّلبُ

طوّفتَ حتى وصلتَ (الموصلَ) انطفأتْ
فيكَ الأماني ولم يشبعْ لها أربُ
لكنَّ موتَ المجيدِ الفَذِّ يبدأهُ
ولادةً من صِباها ترضعُ الحِقَبُ

(حبيبُ) ما زال في عينيكَ أسئِلةٌ
تبدو وتَنسى حكاياها فتنتقبُ
وما تزالُ بحلقي ألفُ مُبكيةٍ
من رهبةِ البوحِ تستحيي وتضطربُ
يكفيكَ أنّ عِدانا أهدروا دَمنا
ونحنُ من دِمنا نحسو ونحتلبُ
سحائبُ الغزوِ تَشوينا وتحجبُنا
يوماً ستحبلُ من إرعادنا السُحُبُ
ألا تَرى يا (أبا تمَّامَ) بارِقَنا
(إنَّ السماء تُرجَّى حينَ تحتجِبُ)

❁ ❁ ❁

نصيحة سيِّئة

إنْ تـريـدي سـيـارةً وإدارةْ
فـلـتـكـونـي قـوَّادةً عـن جَـدارَةْ

ولـتُـعـدّي لـكُـلِّ سـلـطـانِ مـالٍ
كـلَّ يـومٍ زواجـةً مُـسـتـعـارَةْ

ولـتـكـونـي عـمـيـلـةً ذاتَ مـكـرٍ
تـشـربـيـنَ الـقـلـوبَ حـتـى الـقَـرارَةْ

ولْـتـبـيـتـي سـريـرَ كـلِّ وزيـرٍ
ولْـتُـمَـنّـي مَـنْ فـي انـتـظـارِ الـوزارَةْ

وبـهـذا الـنَّـشـاط تُـمـسـيـنَ أعـلـى
مـن وزيـرٍ ورُبَّـمـا مُـسـتـشـارةْ

فـسـراويـلُ الـحـاكـمـيـنَ تُـعـانـي
رُغـمَ تـبـريـدِهـا وُثـوب الـحـرارَةْ

* *

أنـتِ أدرى بـهـمْ فـلـيـس لـديـهـم
غـيـرُ مـا تـعـرفـيـن أدنـى مـهـارَةْ

إنَّـمـا هـل تـريْـنَ هـذا امـتـيـازاً؟
مـثـلُ هـذا يُـجـريـهِ فـارٌ وفـارَةْ

لـيـس لـلـحـاكـمـيـنَ أيُّ طـمـوحٍ
غـيـر تـحـقـيـقِ أمـسـيـاتِ الـعَـهـارَةْ

والـتـمـاسِ الـمُـسـاعـداتِ لـتـفـنـى
جـبـهـةُ الـشَّـعـبِ تـحـتَ نـعـلِ الـتِّـجـارَةْ

واجـتـلابِ الـمُـخـطِّـطـيـن صـنـوفـاً
كـي تـضـيـعَ الـبـلادُ فـي كُـلِّ قـارَةْ

❊

أنـتِ أدرى بـهـم ولـيـس غـريـبـاً
فـالـبـغـايـا عـيـونُ حـكْـمِ الـدّعـارَةْ

أنـتِ تَـشـريـنَـهُـم بـدفءِ الـلَّـيـالـي
فـيـبـيـعـونَ فـي هـواكِ الإمـارَةْ

وتـقـوديـنَ الـمُـنـتـنـاتِ إلـيـهـم
فـتـقـوديـنَـهـم بـأخـفـى إشـارَةْ

لا تـضـيـقـي فـلـم يـعُـدْ ذاكَ سِـرّاً
إنَّ أقـوى الـرِّيـاحِ ريـحُ الـقـذارَةْ

فـلْـتَـزيـدي مـن الـنَّـشـاطِ لـتـبـنـي
كـالـسَّـلاطـيـنِ كـلَّ شـهـرٍ عـمـارَةْ

تـلـكَ أخـزى نـصـيـحـةٍ فـاقـبـلـيـهـا
كـي تـفـوزي ولا تـكـونـي حِـمـارَةْ

لـسـتِ إلاَّ عـبـارةً ذاتَ وجـهٍ
لـوجـوهٍ دلَّـتْ عـلـيـهـا الـعـبـارَةْ

❊❊❊

لافتة على طريق
العيد العاشر لثورة (سبتمبر)

صنعاء 26 سبتمبر 1972م

أيُّها الآتي بلا وجهٍ إلينا
لم تَعُدْ مِنَّا ولا ضيفاً لدَيْنا

غير أنَّا، يا لِتزييفِ الهوى
نلتقي اليومَ برغمَيْ رغبتيْنا

ستَرانا غيرَ مَنْ كُنَّا كما
سوفَ تبدو غيرَ مَنْ كُنَّا رأيْنا

أسفاً ضيَّعتنا أو ضِعتَ مِنْ
قبضتيْنا يومَ ضَيَّعنا يديْنا

* * *

قبلَ عشرٍ كُنتَ مِنَّا ولنا
يا تُرى كيفَ تَلاقيْنا؟ وأيْنا؟

أنتَ لا تدري ولا نَدري مَتى
فرَّقتنا الرِّيحُ؟ أو أينَ التقيْنا؟

وإلى أينَ مضى السيرُ بنا
دونَ أن ندري؟ ومِنْ أينَ انثنيْنا؟

يومَ جِئنا المُلتقى لم ندرِ مِنْ
أينَ جِئنا؟ وإلى أينَ أتيْنا؟

رُبَّـمـا جِـئـنـا إلـيـهِ مـثـلـمـا
يـطـفـرُ الإعـصـارُ أو سِـرْنـا الـهُـوَيْـنـى

رُبَّـمـا جِـئـنـا بـلا وجـهـيْـن أو
ضـاعَ وجْـهـانـا ومَـرأى وُجْـهَـتـيْـنـا

عـبـثـاً نـسـألُ أطـلالَ الـمُـنـى
بـعـدَ بـؤسِ الـمُـنـتـهـى: كـيـف ابـتـديْـنـا؟

كـيـف ذُقـنـا وجـع الـمِـيـلادِ؟ كـم
ضَـحِـكَ الـمَـهـدُ لـنـا أو كَـمْ بـكـيْـنـا؟

كـيـف نـاغـيْـنـا الـصِّـبـا؟ مـاذا انـتـوى
مـهـدُنـا الـمـشـؤومُ؟ أو مـاذا انـتـويْـنـا؟

لا نَـعـي كـيـف ابـتـديْـنـا؟ أو مـتـى؟
كـلُّ مـا نـذكـرُهُ أنَّـا انـتـهـيْـنـا

أنـتَ مـهـمـا تـرتـدي أسـمـاءَنـا
مِـنْ أعـاديـنـا ومـحـسـوبٌ عـلـيْـنـا

غـيـر أنَّـا كُـلَّ عـام نـلـتـقـي
عـادَةً والـزّيـفُ يُـخْـزي مـوقـفَـيْـنـا

❂ ❂ ❂

الفاتحُ الأعزل

ديسمبر 1972م

ساهٍ، في مقعدِهِ المُهمَلْ
كسؤالٍ ينسى أنْ يسألْ

كحريقٍ يبحثُ عن نارِ
فيهِ عن وقدتهِ يذهلْ

كجنينٍ في نهدَيْ أُمٍّ
لهفى تتمنّى أن تحبلْ

يطفو ويفرُّ كعصفورٍ
توّاقٍ في قفصٍ مُقفلْ

يستسقي كالحُلُمِ الظّامي
ويحدِّق كالطَّيفِ الأحولْ

فيشمُّ خُطى الفجرِ الآتي
في مُنتصفِ اللَّيلِ الأليلْ

ويصوغُ الصَّمتَ ضُحىً غَزِلاً
وأصيلاً ورديّاً أكحلْ

ويُضيعُ جمالاً مَبذولاً
في الكشفِ عن العدمِ الأجملْ

يشدو للزَّاويةِ الكَسْلى
ويُصيخُ إلى الرُّكْنِ الأكسلْ

ويُفتِّشُ عن فَمِهِ الثَّاني
ويحِنُّ إلى فمِهِ الأوَّلْ

والأربعةُ الجدرانُ إلى
عينيْهِ تُصغي، تتأمَّلْ

ترنُو كفتاةٍ تستجدي
غَزَلاً، وإذا ابتَسَمَتْ تخجلْ

* *

يغلي ويمورُ كما يعدُو
في كفِّ العاصفةِ المِشْعَلْ

مَرْمِيٌّ كالقبرِ المَنْسي
وإلى كُلِّ الدُّنيا يرحلْ

يغزو الأقمارَ ولا يَغْيا
ويخوضُ البحرَ ولا يَبْتَلّ

في كُلِّ روايةِ فنَّانِ
مِنْ قِصَّتِهِ الفَصلُ الأطْوَلْ

في كُلِّ تَثَنِّي أُغنيةِ
أنثى لهواهُ تتجمَّلْ

في كُلِّ كتابٍ عن بطلٍ
أخبارٌ عنهُ لم تُنقَلْ

حيّاً في التاريخِ الفاني
في الكُثبانِ العَطْشى يخضلّ

يقتادُ الخيلَ (عنترةِ)
يجترُّ الزِّقَّ مع (الأخطَلْ)

ويُناضلُ (قيصرَ) في (روما)
كـ(سِبِرْتاكوس) ولا يفشَلْ

يطوي (الإسكندرَ) في يدِهِ
ويجولُ على كتفَيْ (أخْيلْ)

ويردُّ اليوم إلى الماضي
ويعيدُ الماضي مُستقبلْ

ويلُمُّ الأزمنةَ الشَّتَّى
لحظاتٍ تعرفُ ما تجهلْ

تتشهَّى، تنوي، تتحدَّى
تستأني، تَعدو، تتخيَّلْ

فيُعفِّرُ (أبرهةً)، يُذكي
عينَيْ (سينا) بدمِ المُحتَلّ

يهمي فوقَ (الجولانِ) لظَىً
يرمي بـ(الشُّمْرِ) عن المنهلْ

يمحو (سايجونَ) بأصبعِهِ
ويُمزِّقُ (خيبرَ) بالمِنجلْ

يـرمـي عـن صَـهْـوتِـهِ (كِـسْـرى)
ويـقـاتـلُ فـي (حـيـفـا) أعـزلْ

يُـدميـهِ الـقـصـفُ ولا يُـدْمـى
يُـرديـهِ الـقـتـلُ ولا يُـقـتَـلْ

يَـهْـفُـو مـن حـلْـقِ الـمـوتِ إلـى
أعـتـابِ الـمـيـلادِ الأحـفَـلْ

يَـجْـتَـثُّ الـكـونَ لـيـبـدأهُ
أسْـخـى ويـشـكِّـلَـهُ أفـضـلْ

ويـصـوغُ الـعـالـمَ ثـانـيـةً
أو يـأمُـرُهُ أن يـتـحـوَّلْ

مَـرْمِـيٌّ يـرحـلُ مـن بُـعْـدٍ
كـالـهـولِ إلـى الـبُـعْـدِ الأهْـوَلْ

فـي كُـلِّ مـتـاهٍ يَـسْـتـهـدي
فـي كُـلِّ حـريـقٍ يـتـغـسَّـلْ

يـغـزو الـمـجـهـولَ بـلا وعـيٍ
ويَـعـي لا يـدري مـا يـفـعـلْ

فـيـعـودُ يُـشـكِّـلُ مـا ألـغـى
أو يـمـضـي يـمـحـو مـا شَـكَّـلْ

۞۞۞

كانوا رجالاً

مَــنْ نــحــنُ يــا (صــرواحُ) يــا (مَــيْــتَــمُ)[1]؟
مــوتــى ولــكــنْ نــدَّعــي، نَــزْعُــمُ

نــنــجــرُّ لا نــمــضــي ولا نــنــثــنــي
لا نــحــنُ أيــقــاظٌ ولا نُــوَّمُ

نــغــفــو بــلا نــومٍ ونَــصْــحــو بــلا
صَــحْــوٍ، فــلا نَــرْنــو ولا نــحــلُــمُ

* * *

كــم تــضــحــكُ الــدُّنــيــا وتــبــكــي أسَــىً
ونــحــنُ لا نــبــكــي ولا نــبــسِــمُ

فــلــمْ يــعُــدْ يُــضــحــكُــنــا مُــضــحِــكٌ
ولَــمْ تَــعُــدْ آلامُــنــا تُــؤلِــمُ

أضــاعــتِ الأفــراحُ ألــوانَــهــا
وفــي عــروقِ الــحُــزنِ جــفَّ الــدَّمُ

مــاذا؟ أَلِــفْــنــا طــعــمَ أوجــاعِــنــا
أوْ لَــمْ نَــعُــدْ نــشْــتَــمُّ أو نَــطْــعَــمُ!

---

(1) صرواح: قصرٌ في اليمن يقال إن الجنَّ بنته لـ(بلقيس)، وميتم: وادٍ من (سمارة).

أزِقَّةُ البترولِ تمتصُّنا
تبصُقُنا للرِّيحِ أو تَهضمُ

والسيِّدُ المَحكومُ في دارِهِ
في دارنا المُستحكِمُ الأعظمُ!

❊

بلادُنَا كانت، وأبطالُنا
كانوا رجالاً قبل أن يحكُموا

يقالُ: كانوا فُهَماء الحِمَى
واليومَ لا ينوونَ أنْ يَفهموا

ثاروا صباحَ القصفِ لكنَّهم
يومَ انتصارِ الثَّورةِ استسلموا

وبعدَ عامٍ غيَّروا لونَهُمْ
وبعدَ أيَّامٍ نسوا مَنْ هُمُو

يا موطني مَنْ ذا تُنادي هُنا؟
اسكُتْ. لماذا؟ أنتَ لا تَعلَمُ

إنَّ الطويلَ العُمْرِ لا يرتضي
حُبّاً يُنادي. أو صدَىً يُلهِمُ

ترونَ أنْ أنسى يمانيَّتي
كي يطمَئِنَّ الفاتحُ الأغشمُ

الصَّمتُ أنجى. حسنٌ! إنَّما
في نارِ صَمتي (يمنٌ) مُرغمُ

هـــذي بـــلادي وهـــنـــا إخـــوتـــي
اسـكـت، تـأدَّبْ. طـافـرٌ مُـجـرمُ

لـكـنْ، لـمـاذا؟ إنَّ أهـلـي بَـنَـوْا
هُـنـا ديـاراً وهُـنـا خـيَّـمـوا

فـي كُـلِّ شـبـرٍ تـنـجـلـي ضـحـوةٌ
مِـن خَـطْـوِهِـمْ أو يـزدهـي مَـوسـمُ

هـذي الـحَـصـى مـن بـعـضِ أشـلائِـهِـمْ
مـن لـحـمِـهِـمْ هـذي الـرُّبـا الـجُـثَّـمُ

هـذا الـضُّـحـى مـن وهـجِ أبـصـارِهِـمْ
ومِـنْ رواهـمْ هـذهِ الأنـجُـمُ

مـا زلـتُ أدري أنَّ ذا مَـوطـنـي
لِـمْ لا أُنـاديـهِ وعـنـدي فَـمُ؟

* *

بعد الحنين

أغسطس 1969م

هــل تــغــفــريــنَ لــوَ آنّــنــي أُبْـدي الـذي حـاولـتُ أُخـفـي؟
ســأقــولُ شـيـئـاً تـافِـهـاً يكفي الذي قد كانَ. يكفي
مـا عـادَ يـسـبـقُـنـي الـحَـنِـيْـ ـنُ إليـكِ أوْ يـنـجَـرُ خَـلْـفـي
مــا كــانَ جــبــاراً هَــوا كِ وإنَّــمــا قَــوَّاهُ ضَــعْــفــي
والــيــومَ لا أبــكــي نَــوا كِ ولا اقـتـرابـي مـنـكِ يـشـفـي

۞۞۞

ساعة نقاش
مع طالبة العنوان

12 أبريل 1972م

ما جاء بين قوسين على لسان البطلة

ـ أهــلاً أتُــريــديــنَ الــعــنــوانْ؟
مــهــلاً أرجــوكِ، لــمــاذا الآنْ؟

لا أدري الــسَّــاعــةَ أيــنَ أنــا
أوْ مــا اسْــمــي أو مِــنْ أيِّ مــكَــانْ!

فــي صــدري تــبــكــي أطــيــارٌ
عــطــشى، فــي جُــمــجــمتِــي شــيــطــانْ

*

(شــيــطــانٌ أُنــثــى أو ذَكــرٌ؟
شــيــطــانُ الأعــشــى أو حــســانْ؟)

ـ خــفْــقٌ نــاريٌّ يــعــزفُــنــي
وصــدًى كــأزاهــيــرِ الــرُّمَّــانْ

* *

(هٰــذي أغــراضُ الــشِّــعــرِ كــمــا
جــرَّبــتَ ولاداتُ الــوِجــدانْ

تَــغــلــي كــربــيــعٍ مــخــبــوءٍ
يــشــتــاقُ إلــى لُــقْــيــا الــبُــســتــانْ

الطَّقْسُ رديءٌ ثلجيٌّ
أحياناً، جمريٌّ أحيانْ

(أخبارُ اليومِ نفوا، هجموا
كَسروا إحدى كَتِفَيْ لُبنانْ

ألديْكَ جديدٌ تُنشِدُنا؟)
ـ ما زال جنيناً، بلْ غثَيانْ

(غداً المولودُ سنرقُبُهُ)
ـ تدرينَ مواعيدَ الفنَّانْ

(ما مطلعُها؟ أقِفا نأسى
من ذِكرى سينا والجولانْ

كلُّ الوطَنِ الغالي سينا
وجميعُ مدائِننا عمَّانْ

موشي ما عادَ هُناكَ، هُنا
وهنا ألفا موشى ديَّانْ

من ذا يقتادُ سفائِننا
يا ريحُ؟ الموجُ بلا شُطآنْ!

أتعيدُ الرِّيحُ دَمَ القتلى
وتَشِبُّ شرايينُ الميدانْ؟)

* *

أتَرينَ مقابِرَنا يوماً
تهتاجُ، فتقذفُنا شُجعانْ؟

نهمي أمطاراً أو نَهْوي
أشلاءً أو نمضي فُرسانْ!

(مـعـقـولٌ، مـا دُمـنـا نُـشْـوى
أنْ يُـنـضِـجَـنـا الألـمُ الـحَـرَّانْ

أسـخـى الـثـوراتِ جـنَـيَ وُلِـدَتْ
فـي الـمَـنـفـى أو خـلـفَ الـقُـضـبـانْ

أنـسـيـتَ الـقَـهـوةَ) فـلـتَـبْـرُدْ
(بَـرَدَتْ جـدّاً، سـئـم الـفـنـجـانْ)

* *

(قـل لـي أقـرأت مـقـالاتـي)
ـ فـي أنـقـى سـاعـاتِ الإمـعـانْ

وقـصـائـدُكَ الـحُـلْـواتُ ضُـحَـىَ
وغـروبٌ صـيـفـيٌّ الأجـفـانْ

ديـوانٌ يـبـدو لا أحـلـى
مِـنـهُ إلاَّ أُمُّ الـدِّيـوانْ

(شُـكـراً يـا . .) وارتـبـكَـتْ ورَنَـا
مِـنْ عـيـنـيْـهـا خُـبْـثٌ فَـتَّـانْ

وتـراءَتْ كـامـرأةٍ أُخْـرى
تـلـهُـو فـي داخِـلِـهـا امـرأتـانْ

فـتـنـاسَـتْ لـهـجـتَـهـا الأولـى
وتـنَـاغـتْ كـالـطِّـفـلِ الـجَـذلانْ

وتـنـاعَـسـتِ الـنَّـبـراتُ عـلـى
شـفـتـيْـهـا كـالـفـجـرِ الـنَّـعـسـانْ

* * *

(مــا بــدءُ قــصــيــدتِــكَ الــكُــبْــرى؟)
وأضــاءَتْ ضِــحْــكَــتُــهــا الــفُــســتــانْ

ـ مــا زلــتُ أفــتِّــشُ عــن صــوتــي
وفــمــي فــي مُــعــتــرَكِ الألــحــانْ

وأُســائِــلُ عــن وجــهــي، عَــنّــي
عــن يــومــي فــي تــيــهِ الأزمــانْ

عــن حــرفٍ حُــرٍّ الــوَجــه لَــهُ
نــفــسٌ غَــضْــبــى وفــمٌ غــضــبــانْ

(الــشِّــعْــرُ الــيــومَ كــمــا تَــدري
ألــوانٌ، لــيــس لَــهــا ألــوانْ

كُــلُّ الأنــفــاسِ بــلا عــبَــقٍ
كــلُّ الأوتــارِ بــلا عِــيــدانْ

«زمــنُ الــصَّــاروخِ قــصــائــدُهُ
عَــجْــلــى كــالــصَّــاروخِ الــعَــجــلانْ

ولِــمَــنْ تَــشْــدو والــقَــصــفُ هُــنــا
وهُــنــا والــعــصــرُ بــلا آذانْ)

أيْــديــهِ فــولاذٌ، فــمُــهُ
طــاحــونٌ، أرجُــلُــهُ نــيــرانْ

يــرنُــو مــن خــلْــفِ الــتِّــيــهِ كــمــا
تَــرنُــو الــحــيــطــانُ إلــى الــحــيــطــانْ

أقراصُ النَّوم تبيع لَهُ
أهداباً وهُدوءاً يقظانْ)

*

ما أضيعنا يا شاعرتي
في عصرِ الوزنِ بلا ميزانْ
في ظلِّ الغزوِ بلا غزوٍ
في عهدِ البيعِ بلا أثمانْ
أموازنةُ القُوَّاتِ سوى
تجميلِ مناقيرِ العِدوانْ؟

(فلْتسلَمْ فلسفةُ الأيدي
ولتسقطْ فلسفةُ الأذهانْ
كلُّ الأوراقِ بما حَمَلَتْ
تشتاقُ إلى ألفَيْ طوفانْ)

- ما أتعبنا يا أختُ، وما
أقوى وأمرَّ عِدا الإنسانْ
(أدري أنَّا لم نتغيَّرْ
مهما عَصرَوْا[1] لون الطُّغيانْ
أترى القُرصانَ وإن لَبِسوا
أطرى الأشكالِ سوى القُرصانْ

(1) عصروا: جعلوه عصرياً.

تــدري مــا زِلــتَ لــمــولاتــي
نـعـلاً) ـ وأنـا نـعـلُ الـسـلـطـانْ!

(قُــلْ: لــم نَــتْــرُكْ وثــنــاً لــكِــنْ
فــي أنــفُــسِــنــا أصــلُ الأوثــانْ

مــا أضــعــفَــنــا شــيءٌ إلاّ
مــا فــيــنــا مــن طــيــنِ الإذعــانْ

فــلأذهــبْ. عــفــواً طــوَّلْــنــا)
ـ لــم تَــذهــبْ لُــقْــيــانــا مــجّــانْ

(حــســنــاً عــنــوانَــكَ). وابــتــســمــتْ
عــيــنــاهــا، كــعــشــايــا نــيــســانْ

ـ صــنــعــا يــا ســلــوى عــنــوانــي
بــيــتــي فــي مُــزدَحَــمِ الأحــزانْ

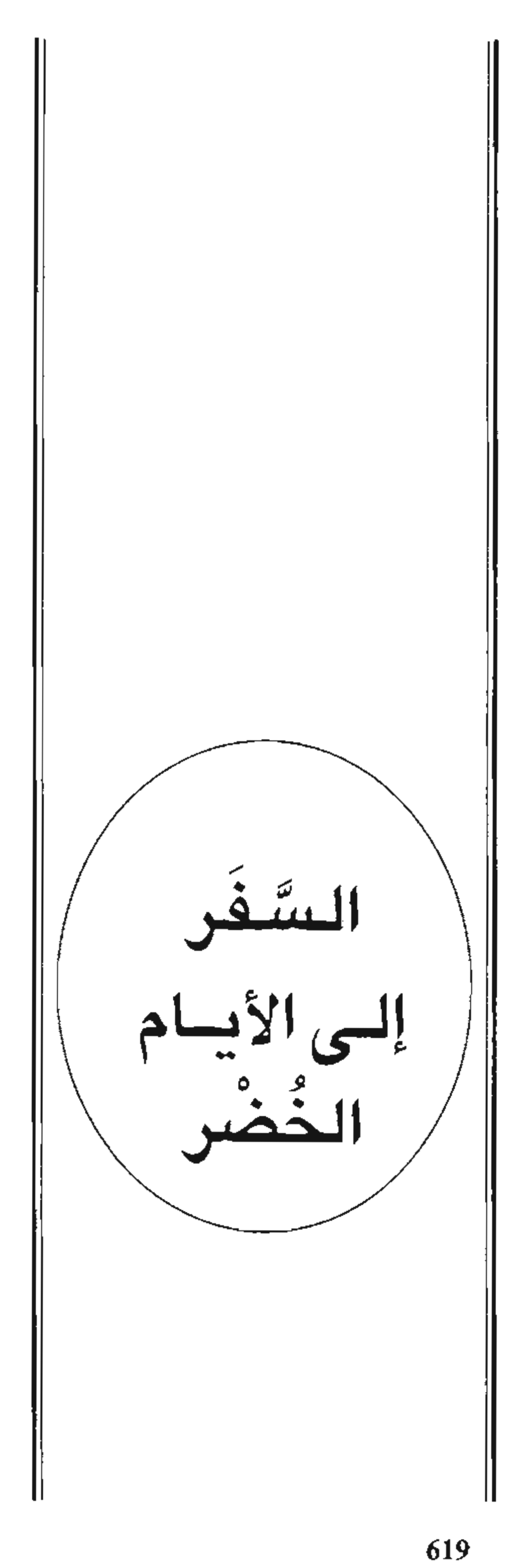
عــمــلــي عــزَّافٌ مُــبــتــدِئٌ
يــبــكــي أو يَــشــدُو لــلــجُــدرانْ

صــنــدوقُ بــريــدي مــعــروفٌ
بــرمــيــلُ الــحَــرقِ أو الــنِّــســيــانْ

*

وهــدأتُ بــرغــمــي وانــصــرفَــتْ
ولَــبِــســنــا الــصَّــمــتَ عــلــى الأشــجــانْ

***


السَّفَر
إلى الأيام
الخُضْر


الناشيء

لها..

لتلكَ التي تَفْنى وأخلُقُ وجهَها
وأرفعُ نَهدَيْها وأُبدِعُ فاها

أذوبُ وأقسو كي أذوب لعلَّني
أُؤجِّجُ من تحتِ الثُّلوجِ صِباها

وأنسجُ للحرف الذي يستفزُّها
دمي أعيناً جمريَّةً وشِفاها

أذكُرُها مرآتَها، عرقَ مأربٍ
وأنَّ لها فوق الجيوبِ جِباها

وأنَّ اسمها بنتُ المُلوك وأنَّها
تبيعُ بأسواقِ الرَّقيقِ أباها

وأنَّ لها طيشَ الفتاةِ وأنَّها
عجوزٌ لعِنِّينٍ تبيعُ هواها

*

أُغَنِّي لِمَنْ؟ للحلوةِ المُرَّةِ التي
أُبرعمُ من حُزنِ الرَّمادِ شذاها

لِـصـنـعَـا الـتـي تُـردي جـمـيـع مـلـوكِـهـا
وتـهـوى وتَـسـتـجـدي مـلـوكَ سِـواهـا

لِـصـنـعَـا الـتـي تـأتـي وتَـغـربُ فـجـأةً
لـتـأتـي ويـجـتـازُ الـغـروب ضُـحـاهـا

۞ ۞ ۞

طقوس الحرف

نوفمبر 1973م

هُنا، أُرَقِّمُ الصَّدى وأنمحي كالخَربشة
وكالصَّلاةِ أرتقي وأرتمي كالدَّزوشة
أهمي نَدىً وأرتخي كالتُّربةِ المُرَشَّشَةْ

سحابةٌ تزرعُني تفاحةً ومِشمِشَةْ
نعشاً تجرُّهُ الحَصى إلى الوعودِ المُنْعِشَةْ

مقبرةٌ تُلْبِسُني عباءةً مُزركشَةْ
عِمامةً زيديَّةً ولِحيةً مُنتَفِشَةْ

عشيةٌ تَمُدُّني للرِّيحِ بِيْداً مُوحِشَةْ
جنازةَ هِنديَّةً حمامةً مُعشْشَةْ

عصفورةٌ تَحْمِلُني صفيحةً مُنَقَّشَةْ
جزيرةً، شواطِئاً سفينةً مُرَقَّشَةْ

حقيبةٌ تطبُخني قضيَّةً مُشَوَّشَةْ
أمسيةً كهفِيَّةً صبيحةً مغبَّشَةْ

بيتاً، كتاباً، شارعاً مقهًى، حكايا مُذهِشَةْ

ألوهَةٌ تعزِفُني وعداً غريب الوَشْوَشَةْ
دقائقاً ورديَّةً مواقِفاً مُرتَعِشَةْ

۞۞۞

لصٌّ تحت الأمطار

سبتمبر 1973م

اللَّيلُ خَريفيٌّ أرْعَنْ
يَهمي، يَذْوي، يَرمي، يَطعَنْ
يَشتَلُّ جِراباً مُلهِبَةً
يستلقي كالجبلِ المُثخَنْ
يأتي ويعودُ كطاحونٍ
أحجاراً وزُجاجاً يَطحنْ
يعدو كالأدغالِ الغَضبى
يسترخي يَفْغَرُ كالمدفَنْ
يَعْرَى، يتزيَّا، يتبدَّى
أشكالاً، يبسمُ، يتغضَّنْ
في كُلِّ جِدارٍ يَتَلَوَّى
وبِكلِّ مَمَرٍّ يتأسَّنْ
وبلا أسماءٍ يَتَسمَّى
وبلا ألوانٍ يَتَلَوَّنْ
ويَشُمُّ بأُذنيهِ، يَرنو
قلقاً كرقيبٍ يتكهَّنْ

* *

مـن أيـنَ أمُـرُّ؟ هـنـا وَكْـرٌ
مـلـعـونٌ، رادتُـهُ ألـعَـنْ

وخـصـوصـيَّـاتٌ واقـفـةٌ
تـهـذي كـالـمـذيـاعِ الألْـكَـنْ

وتُـقِـلُّ بـرامـيـلاً تَـسْـطُـو
تـحـتَ الأضـواءِ ولا تُـسْـجَـنْ

أخـشـابـاً جـدَّ مُـبَـزْوَزَةً
بـأسـامـي نـاسٍ تـتـزيَّـنْ

وهـنـا شُـبَّـاكٌ يَـلْـحَـظُـنـي
شـبـحٌ فـي وجـهـي يَـتَـمَـعَّـنْ

شـيءٌ يـهـتـزُّ كـعـوسـجَـةٍ
وعـلـى قَـدمَـيْـهِ يَـتَـوَثَّـنْ

بـابٌ يَـسْـتَـجْـلـي، زاويَـةٌ
تُـصْـغـي، مُـنـعَـطـفٌ كـالـمَـكْـمَـنْ

قـنـديـلٌ يَـسْـهُـو كـالـغـافـي
ويَـعـي كـغـبـيٍّ يَـتـفـطَّـنْ

كـبـريءٍ عـاصٍ يـتـلـقَّـى
إعـدامـاً عـن حُـكْـمٍ مُـعْـلَـنْ

* * *

مـا هـذا؟ جَـمْـعٌ مُـضْـطَـخِـبٌ
يَـعْـوي أو يـشْـدو، يَـتَـفَـنَّـنْ

حُـــفَـــرٌ تَـــرتَـــجُّ روادِفُـــهـــا
حُـــزَمٌ مـــن قَـــشٍّ تَـــتَـــلَـــحَّـــنْ

طَـــرَبٌ فـــي ذا الـــقـــصـــرِ الـــعـــالـــي
أو عـــرسٌ فـــي هـــذا الـــمَـــسْـــكَـــنْ

ولـــمـــاذا أحـــســـدُ مَـــنْ يَـــبْـــدو
فَـــرِحـــاً مـــن عـــيـــشَـــتِـــهِ مُـــمْـــتَـــنّ؟

لا ، لَـــســـتُ لـــئـــيـــمـــاً يـــؤسِـــفُـــنـــي
أن يَـــهـــنـــأ غـــيـــري فـــي مـــأمَـــنْ

لـــكِـــنَّ مـــســـرَّاتِ الـــهـــانـــي
تُـــوحـــي لـــلـــعـــانـــي أن يَـــحـــزَنْ

*

حَـــســـنـــاً ، كـــفَّ الـــمـــطـــرُ الـــهـــامـــي
وبـــدأتُ كـــدَرْبِـــي أَتَـــعَـــفَّـــنْ

وأخـــذتُ كـــأُمـــســـيـــتـــي أهـــمـــي
أتـــرَمَّـــدُ ، أدمَـــى ، أتـــعـــجَّـــنْ

أيـــســـاراً يـــا (صَـــنـــعـــا) أمـــضـــي
أم أنـــتـــهـــجُ الـــدَّرب الأيـــمَـــنْ؟

هَـــلْ هـــذا الأحـــســـنُ أم هـــذا؟
يـــبـــدو لا شـــيءَ هُـــنـــا أحـــســـنْ

فـــلْـــتُـــقـــدِمْ يـــا (فـــرحـــانُ) بـــلا
خـــوفٍ. مـــا جـــدوى أنْ تَـــأمَـــنْ

أقـــدَمـــتُ. أظُـــنُّ بـــلا ظَـــنّْ
وبـــدونِ يـــقـــيـــنِ أتـــيـــقَّـــنْ

ومَـضـيـتُ، مَـضَـيـتُ. وَصـلـتُ إلـى
حـــيٍّ كـــدخـــيـــلٍ يـــتـــيـــمَّـــنْ[1]

فـــهـــنـــا إقـــطـــاعـــيٌّ دَسِـــمٌ
وهـــنـــا إقـــطـــاعـــيٌّ أســـمَـــنْ

هـــذا مـــا أعـــتـــى حـــارِسَـــهُ
بَـــلْ هـــذا حـــارسُـــهُ أخـــشَـــنْ

والـــدَّارُ الـــشَّـــامـــخـــةُ الأُخـــرى
تـــبـــدو أغـــنـــى، لِـــكـــنْ أحـــصَـــنْ

وهـــنـــاكَ عـــجـــوزٌ وارثـــةٌ
تُـــعـــطـــي. لـــو عـــنـــدي مـــا أرهَـــنْ

هَـــلْ أغـــشـــى مَـــنـــزِلـــهـــا؟ أغـــشـــى
فـــلـــعـــلَّ فـــوائِـــدَهُ أضـــمَـــنْ

لا، لا فـــيـــهِ جُـــبْـــنُ امـــرأةٍ
وأنـــا لـــو أخـــنُـــقُـــهـــا أجـــبَـــنْ

* *

الـــبـــنـــكُ حـــراسَـــتُـــهُ أقـــوى
ويُـــقـــالُ ودائِـــعُـــهُ أثـــمَـــنْ

(1) يتيمَّن: يتزيا بزيّ أهل اليمن.

لـــو كـــانَ الأمـــرُ جِـــراسَـــتَـــهُ
لــحَــســبــتُ صــعــوبــتَــهُ أمــكَــنْ

الــبــنــكُ مــغــالــقُــهُ أُخــرى
تــحــتــاجُ لــصــوصــاً مــن (لَــنْــدَنْ)

كـــلُّ الأمـــوالِ مُـــســـلَّـــحـــةٌ
بــفــنــونِ الإرهـــابِ الــمُــتــقَــنْ

فـــلأرجِـــعْ، حـــســـنـــاً لا أدري
أرُجـــوعـــي أم تـــيـــهـــي أغـــبـــنْ؟

ســـيَـــهِـــلُّ غـــدٌ ولَـــهُ طُـــرُقٌ
أنـــقـــى ومـــتـــاعِـــبُـــهُ أهْـــوَنْ

وبـــدأتُ أُحِـــسُّ بُـــزوغَ فـــتَـــىً
غـــيـــري، مـــنِ مِـــزَقـــي يـــتـــكَـــوَّنْ

⊛⊛⊛

يداها

دمشق، أكتوبر 1974م

مثلما يبتدِئُ البيتُ المُقفَّى
رحلةً غيميَّةً تبدو وتَخْفى

مثلما يلمسُ منقارُ السَّنا
سحَراً أرعشَ عينيْهِ وأَغْفى

هكذا أَخْسُو يديكِ. أصبعاً
أصبعاً، أطمعُ لو جاوَزْنَ ألفا

مثلَ عنقودينِ أعيا المُجتني
أيُّ حباتِهما أحلى وأصفى؟

هذه أملى وأطرى، أختُها
تلكَ أشهى، هذه للقلبِ أشفى

هذه أخصبُ نضجاً إنَّني
ضِعتُ بينَ العشرِ لا أملكُ وَصْفا

حُلوةٌ تُغري بأحلى، كلُّها
هتفت كُلْني وصدَّتْ وهي لَهْفى

تلكَ أصبى، تلكَ أنقى إنَّما
لم أُفَكِّرْ أنَّ في البُستانِ أجفى

*

أنــتَ مــن أيــنَ؟ ـ كــنــبْــضــيْ وَتَــرِ
وذَنَــتْ شــيــئــاً ـ أنــا مــن كُــلِّ مَــنــفــى

صــمــتَــتْ بــعــدَ ســؤالٍ قَــرأتْ
مــن صَــداهُ قِــصَّــتــي حــرفــاً فــحــرفــا

❂ ❂ ❂

أُغنيةٌ من خَشَب

فبراير 1974م

لـــمـــاذا الـــعـــدوُّ الـــقـــصـــيُّ اقـــتـــرب؟
لأنَّ الـــقـــريـــب الـــحـــبـــيـــب اغـــتـــربْ

لأنَّ الـــفـــراغَ اشـــتـــهـــى الامـــتـــلاَ
بـــشـــيءٍ فـــجـــاء سِـــوى الـــمُـــرتَـــقَـــب

لأنَّ الـــمـــلـــقِّـــنَ والـــلاَّعـــبـــيـــن
ونُـــظَّـــارةَ الـــعـــرضِ هُـــمْ مـــنْ كَـــتَـــبْ

لـــمـــاذا اســـتـــشـــاطَ زحـــامُ الـــرَّمـــادِ؟
تـــذكَّـــرَ أعـــراقَـــهُ فـــاضـــطـــربْ

لأنَّ (أبـــا لـــهـــبٍ) لـــم يـــمُـــتْ
وكـــلُّ الـــذي مـــاتَ ضـــوءُ الـــلَّـــهَـــبْ

فـــقـــامَ الـــدُّخـــانُ مـــكـــانَ الـــضـــيـــاءِ
لـــهُ ألـــفُ رأسٍ وألـــفـــا ذَنَـــبْ

لأنَّ الـــرِّيـــاحَ اشـــتـــرت أوجُـــهـــاً
رجـــالـــيَّـــةً والـــغـــبـــارَ انـــتـــخـــب

أضـــاعـــت (أزالٌ)[1] بـــنـــيـــهـــا، غَـــدَتْ
لـــكُـــلٍّ دعـــيٍّ كـــأمٍّ وأبْ

(١) أزال: أحد أسماء صنعاء قديماً

وأقْعَتْ، لها قلبُ فاشيَّةٍ
ووجهٌ عليه سِماتُ العربْ
فهل تِلكَ صَنعا؟ يفِرُّ اسمُها
أمامَ التَّحرّي، ويعوي النَّسبْ
وراءَ السِّتارِ الظَّفاري عيونٌ
صليبيَّةٌ وفَمٌ مُكتَسبْ
عجوزٌ تَئِنُّ بعصرِ الجليدِ
وتلبسُ آخر ما يُجتَلَبْ

لماذا الذي كانَ ما زالَ يأتي؟
لأنَّ الذي سوفَ يأتي ذَهَب
لأنَّ الوجوه استحالت ظُهوراً
تفتِّشُ عن لونِها المُغتَصَبْ
لأنَّ المغنِّي أحبَّ كثيراً
كثيراً، ولم يَدْرِ ماذا أحَب
لماذا تُمنِّي الظروفُ الحنينَ
فتُغري وتعرضُ غيرَ الطَّلَبْ؟
تَغِلُّ العواسجُ في كُلِّ آنِ
وفي كُلِّ عامٍ يَغِلُّ العنَبْ
لماذا؟ لماذا؟ ركامٌ يمُرُّ
ركامٌ يلي دون أدنى سببْ!

ويستَنفِرُ الغَضَبُ الحَمْحَماتِ
قليلاً، ويعتادُ. يعيا الغَضَبْ

ويُحصي الطريقُ. جدارٌ مَشى
جدارٌ سيمشي، جدارٌ هَرَبْ

ولا شيءَ غيرُ جدارٍ يقومُ
بوجهي وثانٍ يعدُّ الرُّكَبْ

وتحكي، أعاجيب مَنْ أدبروا
وجاؤوا ـ شبابيكُ (بئرِ العَزَبْ)[1]

ولم يمضِ شيءٌ يُسمَّى غريباً
ولم يأتِ شيءٌ يُسمَّى عَجَبْ

لأنَّ الصَّباح دُجَىً، والدُّجى
ضُحَىً، ليس يدري لماذا غَرَبْ؟

فلا الصِّدقُ يبدو كصدقٍ ولا
أجادَ أكاذيبهُ مَنْ كَذَبْ

*

لماذا؟ ويمحو السؤالُ السُّؤالَ
وينسى الجوابُ اسْمهُ واللَّقَبْ

ويُضني المُغَنِّي يديْهِ وفاهُ
وشيءٌ يُجَلِّمِدُ حِسَّ الطَّرَبْ

(1) بئر العزب: أحد الأحياء الراقية في صنعاء.

فتمضي القواربُ مقلوبةً
وتأتي ويَنسى المحيطُ الصَّخَبْ

ويصحو الغرامُ يَرى أنَّهُ
على ظهرِ أغنيةٍ مِنْ خَشَبْ

❁ ❁ ❁

من بلادي عليها

فبراير 1974م

قُلْ لها قَبلَ أن تَعضَّ يديها
هَلْ غرامُ الذِّئابِ يحلو لَدَيْهَا؟

وهي ليست شاةً ولكن لماذا
تتوالى هذي الهدايا إليها؟

مُقلتاها أظما من الرَّملِ. ماذا
يرشفُ المُرتَوونَ مِنْ مُقلَتيها

عشقُ هذا الزَّمانِ يخلعُ وجهاً
ويُغطِّي وجهاً ويُبدي وُجَيْها

إنَّهم عاشقونَ. فليخدعوها
لَنْ يُلاقوا أعزَّ مِنْ جانبَيْها

تحتسي منهمُ الجُنيهاتِ لَكِنْ
لا ترى عشقَهُمْ يُساوي الجُنيها

تمتطي كفُّها الهدايا، ولكن
كلُّ مُهدٍ لا يمتطي مَنكِبيها

فهي أشقى من عاشِقَيها وأقوى
غير أنِّي أخافُ مِنها عليها

❂❂❂

أحزان وإصرار

مايو 1973م

شوطُنا فوقَ احتمالِ الاحتمالْ
فوقَ صبر الصَّبِر، لكن لا انخذالْ

نغتلي، نبكي على مَنْ سقَطوا
إنَّما نمضي لإتمام المجَالْ

دمُنا يهمي على أوتارِنا
ونُغَنّي للأماني بانفعالْ

مُرَّةٌ أحزانُنا، لكنَّها
يا عذاب الصَّبْرِ أحزانُ الرِّجالْ

نبلعُ الأحجارَ، ندمى إنَّما
نعزفُ الأشواقَ، نشدو للجَمالْ

ندفنُ الأحباب، نأسى إنَّما
نتحدَّى نحتذي، وجهَ المُحَالْ

مُذْ بدأنا الشَّوطَ جَوْهَرنا الحَصى
بالدَّمِ الغالي وفَرْدَسْنا الرِّمالْ

وإلى أينَ؟ عَرفْنا المُبتدا
والمسافاتُ، كما ندري طِوالْ

وكنيسانَ انطلقنا في الذُّرا
نسفحُ الطِّيب يميناً وشِمَالْ

نبتني لليمنِ المنشودِ مِنْ
سُهْدِنا جسراً وندعوهُ: تعالْ

وانزرعْنَا تحت أمطارِ الفَنَا
شجراً مِلءَ المَدى أعيا الزَّوالْ

شجراً يَحضُنُ أعماقَ الثَّرى
ويُعيرُ الرِّيح أطرافَ الظِّلالْ

واتَّقدنا في حشا الأرضِ هوَىً
وتحوَّلْنا حقولاً وتِلالْ

مِشْمِشاً، بُنّاً، وروداً وندىً
وربيعاً ومَصِيفاً وغِلالْ

نحنُ هذي الأرضُ، فيها نلتظي
وهي فينا عنفوانٌ واقتتالْ

من روابي لحمِنا هذي الرُّبا
من رُبا أعظُمِنا هذي الجبالْ

ليس ذا بدءَ التَّلاقي بالرَّدى
قد عشقناهُ وأضنانا وِصالْ

وانتقى مِنْ دَمِنَا عِمَّتَهُ
واتَّخذنا وجهَهُ النَّاري نِعالْ

نَعرِفُ الموتَ الذي يَعرِفُنا
مَسَّنا قتلاً ودُسْناهُ قِتالْ

وتَقَحَّمْنا الدَّواهي صُوراً
أَكَلَتْ مِنَّا، أَكَلْناها نِضالْ

موتُ بعضِ الشَّعبِ يُحيي كلَّهُ
إنَّ بعضَ النَّقصِ روحُ الاكتمالْ

هاهُنا بعضُ النُّجومِ انطفأتْ
كي تَزيدَ الأنجمُ الأُخرى اشتعالْ

تَفقدُ الأشجارُ من أغصانِها
ثُمَّ تزداد اخضراراً واخضلالْ

إنَّما ياموتُ هل تدري متى
ترتخي فوقَ سريرٍ من مَلالْ؟

في حنايانا سؤالٌ، ما لَهُ
من مُجيبٍ وهو يَغلي في اتِّصالْ

ولماذا ينطفي أحبابُنا
قبلَ أن يستنفدَ الزَّيتَ الذُّبالْ؟

ثُمَّ ننسى الحُزنَ بالحُزنِ، ومَنْ
ـ يا ضياعَ الرَّدِّ ـ يُنسينا السُّؤالْ؟

❁❁❁

ورقة من التاريخ

مسافرة بلا مُهِمَّة

يولية 1973 م

يــا رؤى الــلَّــيــل يــا عــيــونَ الــظَّــهــيــرةْ
هــل رأيــتُــنَّ مــوطــنــي والــعــشــيــرَةْ؟

هــل رأيــتُــنَّ (يَــحْــصُــبــاً) أو (عَــســيــراً)؟
كــان عــنــدي هــنــاكَ أهــلٌ وجِــيــرَةْ

ودوالٍ تَــشْــقَــرُ فــيــهــا الــلَّــيــالــي
ويــمــدُّ الــضُّــحــى عــلــيــهــا سريــرَهْ

ورواب عــيــونُــهُــنَّ شــمــوسٌ
وعــلــيــهــنَّ كُــلُّ نــجــمٍ ضَــفــيــرَةْ

وسُــفــوحٌ تَــهْــمــي ثُــغــاءً وحــبّــاً
وحــقــولٌ تَــروي نــبــوغَ الــحَــظــيــرَةْ

وبــيــوتٌ يــنــســى الــضُّــيــوفُ لــديــهــا
قــلــقَ الــدَّارِ وانــتــظــارَ الــمُــديــرَةْ

يــا رؤى، يــا نــجــومُ أيــن بــلادي؟
لــي بــلادٌ كــانــت بــشــبــهِ الــجــزيــرَةْ

أخــبــرَوا أنَّــهــا تَــجــلَّــتْ عــروســاً
وامْــتَــطَــتْ هُــدهــداً، وطــارت أســيــرَةْ

وإلى أينَ يا نجومُ؟ فَتُومي
ما عرفنا، يا أختُ بدءَ المسيرَةْ

مَنْ أنا يا مدى؟ وأُنكرُ صوتي
ويَعُبُّ السّفارُ وجهَ السّفيرَةْ

مَنْ أشاروا عليَّ كانوا غباءً
ليتَهُمْ موضعي وكنتِ المُشيرَةْ

كيفَ أختارُ. كيفَ؟ ليسَ أمامي
غيرُ دربٍ، فليس في الأمرِ خيرَةْ

رحلَتْ مثلما يَحُثُّ سُراهُ
موكبُ الرّيحِ في اللّيالي المَطيرَةْ

وارتدى(الفارُ) ناهديها وأنستْ
هجرةُ المُنحنى خُطاها الأخيرَةْ

ورَوَوْا: أشأمَتْ على غيرِ قَصدٍ
ثُمَّ أمستْ على (دمشقَ) أميرَةْ

قلعَتْني، يا شامُ ريحٌ وريحٌ
زرعَتْني هُنا كُروماً عصيرَةْ

وبرغْمي نزلْتُ غيرَ مكاني
مثلما تلتقي العظامُ النّثيرَةْ

وبلا موسمٍ تَنَامَتْ وحَيَّتْ
بالرياحينِ والكؤوسِ النّضيرَةْ

«وسقتْ من أتى البريصُ إليها
بَرَدَى خمرةً» ونُغمى وفيرَةْ

وعَلَتْ جبهةُ (الخورنَقِ) تاجاً
يا (سِنِمَّارُ) أيُّ عُقبى مُثيرَةْ؟!

وهَمَتْ كالنُّجومِ سعْداً ونحساً
وعطايا وحشيَّةً ومُجيرَةْ

«أنتِ كالَّيلِ مُدركي» من أمامي
وورائي. كلُّ النَّواحي ضريرَةْ

*

وحكَوْا: أنَّها ثيابُ سواها
جمَّلَتْها وأنَّها مُستعيرَةْ

فرأوْها وصيفةً عندَ (روما)
ورأوْها في بابِ (كِسرى) خفيرَةْ

وبعيراً لبنتِ (باذانَ) حيناً
وأواناً تحتَ (النَّجاشي) بعيرَةْ

عندما أحرقَتْ بـ(نجرانَ) غزواً
كان ينوي، صارت رمادَ الجزيرَةْ

أطفأتْ بالثِّقابِ مدَّ جحيمٍ
أتراها ملومةً أم عذيرة؟

فتهاوَتْ حصىً وطارتْ عُيوناً
هربَتْ من وجوهِها مُستجيرَةْ

وإلــى أيــنَ ثــانــيــاً يــا مــنــافــي
والإجــابــاتُ كــالــسُّــؤالِ مــريــرَةْ؟

نــزلَــتْ (يَــثْــربــاً) هــشــيــمــاً فــكــانَــتْ
بــالــعــنــاقــيــدِ والــرَّفــيــفِ بــشــيــرَةْ

فــتــنــاغــى الــنَّــخــيــلُ: مــن أيــنَ جــاءتْ
هــذه الــكَــرْمــةُ الــعــجــوزُ الــنَّــكــيــرَةْ؟

جِــئــتُ يــا عــمُّ مــن جــذوري أرجِّــي
تــربــةً مــن رمــادِ حُــزنــي قــريــرَةْ

وتــجــلَّــتْ فــي ذلــكَ الــقَــفْــرِ دُوراً
وقــطــوفــاً تــومــي بــأيــدٍ مُــنــيــرَةْ

ونــخــيــلاً مــن الــسُّــيــوفِ الــمَــواضــي
وســيــوفــاً مــن الــقــوافــي الــجَــهــيــرَةْ

وارتــمــتْ فــي (حِــرا) طــريــقــاً وكــهــفــاً
ثــم أَضْــحَــتْ مَــنــذورةً ونــذيــرَةْ

ومــصــلَّــى وخــنــدقــاً وحــصــونــاً
ونــبــيّــاً وســورةً مُــســتــطــيــرَةْ

ولــيــالٍ مَــضَــتْ وجــاءت لــيــالٍ
وانــقــضَــتْ عُــســرةٌ وجــاءتْ عــســيــرَةْ

فــانــتــضَــتْ فــي يــدِ (الــسَّــقــيــفــةِ) (ســعــداً)
أكــبــرُ الــقــومِ لــلأمــورِ الــكــبــيــرة

* *

يـا قـريـشُ اذكـري نَـمَـتْـنـا جـمـيـعـاً
صُـحـبـةٌ سـمْـحـةٌ وقُـربـى أثـيـرَةْ

فـلـكِ الـسَّـبقُ والـجـبـينُ الـمُـحلّـى
وأنـا الـجـبـهـةُ الـشَّـمـوخُ الـنَّـضيـرَةْ

أنـتِ أمَّـارةٌ. . أنـا ـ ثُـمَّ قـالـوا:
سَـكَـتَـتْ قـبـلَ أن تـقـولَ ـ وزيـرَةْ

دهـشـةُ الـبـدءِ ضـيَّـعَـتْ مـن خُـطـاهـا
أوَّلَ الـدَّربِ وهـي حَـيْـرى حـسـيـرَةْ

وجـهُـهـا غـاص فـي غُـبـارِ الـمـرايـا
واسْـمُـهـا ضـاعَ فـي الأمـاسـي الـغـفـيـرَةْ

أيـنَ (سـعـدٌ)؟ قـالـوا: رمـاهُ عِـشـاءً
مـاردٌ مـن (قُـبـا) يُـسـمَّـى (بـجـيـرَةْ)

وحـكَـوْا: أنَّـهـا اسـتـعـارتْ وجـوهـاً
خـبَّـأتْ تـحـتَـهـا الـوجـوهَ الـكـسـيـرَةْ

* * *

وإلـى أيـنَ ثـالـثـاً؟ هـل لـسَـيْـري
وانـثـنـائـي مـهـمَّـةٌ بـي جـديـرَةْ؟

أصـبـحَ الـصَّـارمُ الـيـمـانـي بـكَـفِّـي
(مِـرْوداً) فـي يـدَيْ فـتـاةٍ غـريـرَةْ

وطَـغَـتْ رِدَّةٌ فـعـادتْ نـبـيّـاً
ونـخـيـلاً مـن الـسُّـيـوفِ الـشَّـهـيـرَةْ

وإلـــى أيـــنَ رابِـــعـــاً؟ لـــقـــتـــالٍ
جَـنَّـحـتْ خـيـلُـهُ وشَـبَّـتْ نـفـيـرَهْ

مَـنْ رآنـي خُـضْـتُ الـفـتـوحـاتِ، لـكِـنْ
عُـدْتُ مِـنـهـا إحـدى الـسَّـبـايـا الـطَّـريـرَهْ

* *

وإلـــى أيـــنَ خـــامِـــســـاً، يـــا قـــوافـــي
هـــاجـــرَ الـــحـــبُّ والـــرَّوابـــي الـــخَـــضـــيـــرَهْ؟

فـــأتَـــتْ ثـــانـــيـــاً (دمـــشـــقُ) غـــرامـــاً
قَـــمَـــريَّ الـــجـــبـــيـــنِ، بـــاكـــي الـــســـريـــرَهْ

قـــصـــرُ (أُمِّ الـــبـــنـــيـــنَ) هـــذا، عـــلـــيـــه
ـ حـــســـبـــمـــا أخـــبـــرَتْ ـ سِـــمـــاتٌ كـــثـــيـــرهْ

جـــرَّبَـــتْ أعـــســـرَ الـــفـــتـــوحِ خـــيـــولـــي
فـــلأُجـــرِّبْ هـــذي الـــفـــتـــوحَ الـــيَـــســـيـــرَهْ

لـــم أجـــدْ (روضـــةً) فـــأدركـــتُ أزهـــى
لـــعـــبـــةٍ حـــلـــوة ولـــكـــنْ خـــطـــيـــرَهْ

وعـــلـــى مـــوعـــدٍ رقَـــتْ فـــي ثـــوانٍ
كـــتِـــفَ الـــقـــصـــرِ بـــالـــهـــوى مُـــســـتـــنـــيـــرَهْ

فِـــتَـــنٌ فـــوقَ مـــا يـــظـــنُّ الـــتـــمـــنِّـــي،
غـــرفـــةٌ فـــوقَ وصـــفِـــهـــا بـــالـــوثـــيـــرَهْ

لـــحـــظـــةً والـــتـــوى الـــســـريـــرُ ضـــريـــحـــاً
خـــشـــبـــيّـــاً يـــمـــوتُ، يـــطـــوي زفـــيـــرَهْ

إيــهِ (وضّــاحُ) دونــكَ الــبــئــرَ فــانــزِلْ
قــطــعــةً دونَ وصــفِــهــا بــالــحــقــيــرَهْ

ولــهَــتْ (ديــدَمُــونــةٌ) فــي عُــلاهــا
(وعــطــيــلُ) الــهــوى صــريــعُ الــحــفــيــرَةْ

هــكــذا أخــبــرُوا، لأنَّ بــلادي
خــنــجــرُ الآخــريــنَ وهــي الــعَــقــيــرَةْ

***

مــا الــذي جــدَّ؟ أعــولَ الــثَّــأرُ حــتَّــى
لــيــسَ يــدري قَــبــيــلَــهُ ودَبــيــرَهْ

فــارتــقــى (هــاشــمٌ) و(مــروانُ) ولَّــى
وهــي مــلــغــيَّــةُ الــحــسـابِ هــجــيــرَةْ

مَــنْ أنــا؟ وانــجــلَــتْ لــهــا مــن بــعــيــدٍ
لــوزُ (هــمــدانَ) كــالــنُّــجــومِ الــصَّــغــيــرَةْ

ذكــرَتْ أن مــوطــنــاً كــان فــيــهــا
نــســيَــتْ بَــدْأهُ وتــنــســى مــصــيــرَهْ

فــانــثَــنَــتْ (هــاديــاً) وقــالــت: تُــرابــي،
يــا كــنــوزَ الــرَّشــيــدِ أغــلــى ذخــيــرَةْ

***

حِــقــبــةٌ، والــتَّــوتْ رُبــاً مــن أفــاعٍ
غــادراتٍ وهــي الــضَّــحــايــا الــغــديــرةْ

تَــوَّجَــتْ، أســقــطَــتْ عــلــى غــيــرِ هَــدْيٍ
وانــتــقَــتْ دون رؤيــةٍ أو بَــصــيــرَةْ

فانتهت (فاطميّةً) وهي (أروى)
ظاهِراً، خلقَهُ سِجلٌّ وسيرَةْ

وتسمَّت بـ(القرمطيّ) ولكن
أنقصتْها الممارساتُ القديرَةْ

فنفَت وادَّعَت، كما شاء داعٍ
لبِست وجهَهاً وأخفَت ضميرَهْ

وأسرَّتْ قُدساً وأبدَتْ شِعاراً
خلفَهُ - لو علِمْتَ - ألفُ شَعيرَةْ

واستحرَّتْ خلفَ (النجاحي) وأدمى
في رُباها خيولَهُ وحميرَهْ

* * *

ثُمَّ صارَتْ (مهديَّةً) و(رسولاً)
نزلَتْ وادياً أضاعَتْ شفيرَهْ

فأقامت في كُلِّ صقعٍ إماماً
هيَّأتْ نعشَهُ وحاكَتْ حريرَهْ

وتساقَتْ دماً وشوقاً إليهِ
وهي أظما إلى المياهِ النّميرَةْ

من أتى؟ عاصفٌ من التُّركِ طاغٍ
فلأمزِّقْ حلوقَهُ وهديرَهْ

إنّهُ يقذفُ السّعيرَ المُدوِّي
فلأردّْ إلى حشاهُ سَعيرَهْ

وأعـــدَّتْ لَـــهُ الـــقـــبـــورَ إلـــى أنْ
دَفَـــنَـــتْ عـــهْـــدهُ، أجَـــدَّتْ نـــظـــيـــرَهْ

* *

وتـــراخـــى عـــهـــدٌ عـــشـــيـــرُ الـــلَّـــيـــالـــي
وارتَـــخَـــتْ تـــحـــتَ رُكـــبـــتـــيْـــهِ عـــشـــيـــرَةْ

وبـــلا يـــقـــظـــةٍ أفـــاقَـــتْ ومـــدَّتْ
(حـــزْيَـــزاً) شُـــعـــلـــةً إلـــى (ضُـــبـــرِ خِـــيْـــرَةْ)

* *

وهـــنـــاكَ انـــطـــفَـــتْ وأطـــفَـــتْ وقـــالـــوا:
خـــبـــزَتْ لـــلـــخُـــلـــودِ أشـــهـــى فـــطـــيـــرَةْ

وحَـــكَـــوْا: أنَّـــهـــا أرادت ولـــكـــن
جـــيـــدُهـــا الـــمُـــنـــحـــنـــي قـــدِ اعْـــتـــادَ نِـــيْـــرَهْ

وطـــوَتْ أربـــعـــاً وعـــشـــراً، مُـــنـــاهـــا
مُـــســـرعـــاتٌ؛ لـــكـــنْ خُـــطـــاهـــا قـــصـــيـــرَةْ

رُبَّـــمـــا تـــخـــدعُ الـــبـــروقُ عـــيـــونـــي
رُبَّـــمـــا تـــحـــتَـــهـــا غـــيـــوثٌ غـــزيـــرَةْ

أيَّ شـــيءٍ أريـــدُ؟ مـــا عـــدتُ أغْـــفـــو
أقـــلـــقَ الـــعـــصـــرُ مـــرقـــدي وشـــخـــيـــرَهْ

وهـــنـــا أنـــهـــتِ الإمـــامـــاتِ، هَـــبَّـــتْ
مِـــنْ أســـاهـــا تـــقـــودُ أبـــهـــى مـــســـيـــرَةْ

هَـــلَّ (أيـــلـــول) مـــولـــداً وربـــيـــعـــاً
لـــم تَـــزَلْ تـــحـــمـــلُ الـــفـــصـــولُ عـــبـــيـــرهْ

وقِلاعاً تَثْني المغيرين صَرْعى
وتلالاً مدجَّجاتٍ مُغيرَةْ

* * *

ثُمَّ ماذا؟ أَسْمَتْ (سعيداً) (نبيلاً)
ودعَتْ (شُعلَةً) (هدى) أو (سميرَةْ)

غيَّرتْ شَعْرَ جلدِها وهي لمَّا
تتغيَّرْ ولَمْ تُغيِّرْ وتيرَهْ

فترةً واجتلَتْ قِناعاً يُحلِّي
جَبهاتٍ إلى القَفا مُستديرَةْ

أصبحَتْ أطوعَ المطايا ولكِنْ
بالتواءِ الدُّروبِ ليستْ خبيرَةْ

فلأُسافرْ كعادتي، كلُّ قفرٍ
ذبْتُ في نبتِهِ، سكنْتُ صفيرَهْ

ورمادي خلفي يعدُّ رجوعي
يعجنُ الرِّيحَ باحثاً عن خميرَةْ

رحلَ النَّبعُ من جذوري فهيَّا
يا هشيمَ الغُصونِ نَتْبَعْ خريرَهْ

وإلى أين، يا منافي أخيراً؟
وتشظَّتْ في كُلِّ مَنفى أجيرَةْ

هكذا ما جرى لأنَّ بلادي
ثروةُ الآخرينَ، وهي الفقيرَةْ

❁❁❁

الغزو من الداخل

نوفمبر 1973م

نُشرت هذه القصيدة في أكثر من جريدة ومجلة ومنشور، وكانت مليئة بالاغلاط نتيجة اختلاف الخط النسخي والاستعجال، وهي الآن في صيغتها الصحيحة باستثناء زيادة أربعة أبيات في كل مقطع.

فظيعٌ جهلُ ما يجري ... وأفظعُ منهُ أنْ تَدري
وهل تدرينَ يا صنعا ... مَنِ المُستعمرُ السِّرِّي؟
غُزاةٌ لا أُشاهِدُهمْ ... وسيفُ الغزوِ في صدري
فقد يأتونَ تِبْغاً في ... سجائرَ لونُها يُغري
وفي صدقاتِ وحشيٍّ ... يُؤنسِنُ وجهَهُ الصَّخري
وفي أهدابِ أُنثى، في ... مناديلِ الهوى القَهْري
وفي سروالِ أُستاذٍ ... وتحتَ عِمامَةِ المُقْري
وفي أقراصِ مَنْعِ الحَمْـ ... ـلِ في أنبوبَةِ الحِبْرِ
وفي حُرِّيَّةِ الغثَيا ... نِ في عَبثِيَّةِ العُمْرِ
وفي عَوْدِ احتلالِ الأمْـ ... ـسِ في تشكيلِهِ العَصْري
وفي قِنِّينةِ (الويسكي) ... وفي قارورةِ العِطْرِ
ويَسْتَخْفُونَ في جِلْدي ... ويَنسلُّونَ مِنْ شَعْري
وفوقَ وجوهِهِم وجهي ... وتحتَ خيولِهِمْ ظهري
غُزاةُ اليومِ كالطَّاعو ... نِ يخفى وهو يستشري
يُحَجِّرُ مولدَ الآتي ... يُوَشِّي الحاضرَ المُزْري

فـظـيـعٌ جـهـلُ مـا يـجـري وأفــظَــعُ مِــنــهُ أنْ تــدري

* * *

يـمـانـيُّـونَ فـي الـمَـنـفـى ومَـنـفـيُّـونَ فـي الـيـمَـنِ
جـنـوبـيُّـونَ فـي (صَـنـعـا) شـمـالـيُّـونَ فـي (عَـدَنِ)
وكـالأعـمـامِ والأخْـوا لِ فـي الإصـرارِ والـوَهَـنِ
خُـطـى (أكـتـوبـرَ) انـقـلـبَـتْ حُـزَيـرانـيَّـةَ الـكَـفَـنِ
تَـرَقَّـى الـعـارُ مـن بـيـعٍ إلـى بـيـعٍ بـلا ثـمـنِ
ومِـنْ مُـسـتـعـمـرٍ غـازٍ إلـى مُـسـتـعـمـرٍ وطَـنـي
لـمـاذا نـحـنُ يـا مَـربـى ويـا مـنـفـى بـلا سـكَـنِ
بـلا حـلـمٍ بـلا ذِكـرى بـلا سـلـوى بِـلا حَـزَنِ؟
يـمـانـيُّـونَ يـا (أروى) ويـا (سـيـفَ بـن ذي يـزنِ)
ولـكِـنَّـا بـرغـمِـكُـمـا بـلا يُـمْـنٍ بـلا يَـمَـنِ
بـلا مـاضٍ بـلا آتٍ بـلا سـرٌ بـلا عَـلَـنِ
أيـا (صـنـعـا) مـتـى تـأتـيـنَ مِـنْ تـابـوتِـكِ الـعَـفِـنِ؟
تُـسـائِـلُـنـي: أتـدري؟ فـاتَ قـبـلَ مـجـيـئِـهِ زمَـنـي
مـتـى آتـي؟ ألا تَـدري؟ إلـى أيـنَ انـثـنَـتْ سُـفُـنـي
لـقـد عـادَتْ مـن الآتـي إلـى تـاريـخِـهـا الـوثـنـي
فـظـيـعٌ جـهـلُ مـا يـجـري وأفـظـعُ مـنـهُ أنْ تـدري

* *

شـعـاري الـيـومَ يـا مـولا يَ نـحـنُ نـبـاتُ إخـصـابِـكْ
لأنَّ غِـنـاكَ أركَـعَـنـا عـلـى أقـدامِ أحـبـابِـكْ
فـألْـهَـنـاكَ قُـلـنـا: الـشَّـمْـ ـسُ مـن أقـبـاسِ أحـسـابِـكْ

فـنَـمْ يـا (بـابـكُ الـخَـرْمـي) عـلـى (بـلـقـيـسَ) يـا (بـابِـكْ)
ذوائـبُـهـا سـريـرُ هـوا كَ بـعـضُ ذيـولِ أربـابِـكْ
وبـاسـمِ الـلـهِ - جـلَّ الـلَّـ ـهُ - نـحـسـو كـأس أنـخـابِـكْ
أمـيـرَ الـنَّـفـطِ نـحـنُ يـدا كَ نـحـنُ أحـدُّ أنـيـابِـكْ
ونـحـنُ الـقـادةُ الـعَـطـشى إلـى فـضـلاتِ أكـوابِـكْ
ومـسـؤولـونَ فـي (صَـنـعـا) وفـرَّاشـون فـي بـابِـكْ
ومـن دَمِـنـا عـلـى دَمِـنـا تُـمَـوْقِـعُ جـيـشَ إرهـابِـكْ
لـقـد جِـئْـنـا نـجـرُّ الـشَّـعْـ ـبَ فـي أعـتـابِ أعـتـابِـكْ
ونـأتـي كُـلَّ مـا تـهـوى نُـمَـسِّـحُ نـعـلَ حُـجَّـابِـكْ
ونـسـتـجـديـكَ ألـقـابـاً نُـتـوِّجُـهـا بـألـقـابِـكْ
فـمُـرْنـا كـيـفـمـا شـاءتْ نـوايـا لـيـلِ سـردابِـكْ
نـعـم يـا سـيِّـدَ الأذنـا بِ إنَّـا خـيـرُ أذنـابِـكْ
فـظـيـعٌ جـهـلُ مـا يـجـري وأفـظَـعُ مِـنـهُ أن تـدري

❂❂❂

قبل الطريق

أكتوبر 1973م

قَبلَ الطَّريقِ أبتدي سَيْري رحيلَ أحرُفي
أجيءُ قبلَ مولدي بعدَ مدى تخلُّفي
مُفتِّشاً عن جبهتي وعن عروقِ مِغْزَفي
وعن عيونِ مَرْبعي وعن نُهودِ مَصْيَفي
أصيحُ للرُّبا: اقفزي وللحدائقِ: ازحفي
وللضِّفافِ: أبحري وللبحارِ: كَفْكِفي
وللغُصونِ: سافري وللعروقِ: رَفْرِفي
وللحقولِ: حَلِّقي وللمقابرِ: اهْتفي
وللعواصفِ: ارقدي وللحجارةِ: اعْصِفي

* * *

أُحِسُّها جميعَها تَذوي: سئِمتُ مَوقفي
مللتُ طولَ وقفتي وملَّني توقُّفي
هل أبتدي تحرُّكي؟ تعلَّمي أنْ تَعرفي
وَجرِّبي أن تَرفُضي وحاولي أن تجرِفي
تغيَّري وغيِّري تجدَّدي وفَلْسِفي
وأخرِقي ما أخرجوا وأَلِّفُوا وأَلِّفي
كي تُولدي جديدةً قبلَ الولادةِ آنَلِفي

وأسْتَحِثُّ رِحلتي أضيعُ في تَقصُّفي
لا خطوةٌ تَدلُّني ولا طريقٌ يقتفي
أمدُّ صوتي مَغبَراً وأمتطي تلَهُّفي
وأجتلي عوالِماً منفيَّةً وأنتفي
مُحمَّلاً جِنيَّةً حُبْلى ووجهاً مَتْحَفي
جلدُ الرَّصيفِ مِئزَري لونُ الرِّياحِ مِعْطَفي
جنسيَّتي غرابتي مملَكَتي تَطَرُّفي
مدينتي قصيدَةٌ أُشْعِلها وأنطفي
حبيبةٌ تُميتُني دقائقاً وتختفي
حريقةٌ تَشْربُني أشربُها وأشتفي

*

أجسُّ نبضَ نجمةٍ على جبيني تَنْكَفي
أغيبُ في تَمزُّقي كي يهتدي تَكَشُّفي

۞۞۞

السَّفَر إلى الأيّام الخُضْر

أغسطس 1974م

يا رفاقي إن أحزنَتْ أُغنياتي
فالمآسي حياتُكُمْ وحياتي

إن هَمَتْ أحرُفي دماً فلأنّي
يمنيُّ المِدادِ، قلبي دَواتي

أمضغُ (القاتَ) كي أبيتَ حزيناً
والقوافي تهمي أسىً غيرَ (قاتي)

أنا أُعطي ما تمنحونَ احتراقي
فالمراراتُ بذرُكُمْ ونباتي

غيرَ أنّي، ومُدْيةُ الموتِ عَطْشى
في وريدي أشدو فأُلغي وفاتي

فإذا جِئتُ مُبْكياً فلأنّي
جِئتكُمْ مِنْ مَمَاتِكُمْ ومَمَاتي

عارياً، ما استعرتُ غيرَ جبيني
شاحباً، ما حملتُ غيرَ سِماتي

جائعاً، من صَدى (ابنِ علوانَ) خُبزي
ظامئاً، مَنْ ذبولِ (أروى) سُقاتي

* * *

رُبّما أشتهي وأُنعلُ خَطوي
كُلَّ قصرٍ يُومي إليكِ فَتاتي؟

أقسمَ الجَدُّ: لو أكلنا بثديٍ
لُقمةً من يدٍ أكلتُ بناتي[1]

* * *

قد تقولونَ: ذاتيَ الحسُّ، لكنْ
أيَّ شيءٍ أحسُّ؟ من أينَ ذاتي؟

كلُّ هذا الرُّكامِ جلدُ عظامي
فإلى أينَ مِنْ يديهِ انفلاتي؟

يحتسي من رمادِ عينيهِ لَمْحي
يرتدي ظلَّ رُكبتيْهِ التفاتي

تحتَ سكّينه تناءى اجتماعي
وإلى شِدْقِهِ تلاقى شَتاتي

آخرَ الليلِ.. أوّلَ الصُّبحِ، لكنْ
هل أحسَّتْ نهودَها أُمسِياتي؟

هل أداري أحلامَكُمْ فأُغَنّي
للأزاهيرِ والليالي شواتي؟

عندما يُزهرُ الهشيمُ سأدعو:
يا كؤوسَ الشّذا خُذيني وهاتي

---

(1) إشارة إلى المثل الحِمْيَري (تموت الحرةُ جوعاً ولا تأكُل بثدييها).

الـشّـتـاءُ الـذي سـيـنـدى عـقـيـقـاً
يـبـتـدي مـوسـمَ الـورودِ الـلّـواتـي

لـيـسَ قَـصـدي أن تـيـأسـوا، لِـخُـطـاكُـمْ
قـصّـةٌ مِـنْ دمِ الـصُّـخـورِ الـعـواتـي

* * *

يـا رفـاقـي فـي كُـلِّ مَـكْـسَـرِ غُـصـنٍ،
إنْ تـوالـى الـنَّـدى ربـيـعٌ مُـواتـي

يـرحـلُ الـنَّـبـعُ لـلـرَّفـيـفِ ويَـفْـنـى
وهـو يُـوصـي: تَـسَـنْـبَـلـي يـا رُفـاتـي

والـرَّوابـي يَـهْـجُـسْـنَ: فـيـمَ وقـوفـي
هـاهُـنـا يـا مـدى سـأرمـي ثـبـاتـي؟

سـوفَ تـأتـي أيـامُـنَـا الـخُـضْـرُ لـكـنْ
كـي تـرانـا نـجـيـئُـهـا قـبـلَ تـاتـي

❂❂❂

صنعاء في طائرة

مايو 1974م

علـى الـمـقـعـدِ الـرَّاحـلِ الـمُـسْـتَـقـرُ
تـطـيـريـن مـثـلـي ومـثـلـي لـهـيـفَـةْ

ومـثـلـي أنـا، صِـرْتُ عـبـدَ الـعـبـيـدِ
وأنـتِ لـكُـلِّ الـجـواري وصـيـفَـةْ

كِـلانـا تُـخـشِّـبُـنـا الأمـنـيـاتُ
وتـعـصِـرُنـا الـذِّكـريـاتُ الـعـنـيـفَـةْ

فَـقَـدْنَـا الـخـلـيـفـةَ مُـذْ بـاعَـنـا
إلـى كُـلِّ سـوقٍ جـنـودُ الـخـلـيـفَـةْ

* * *

أصـنـعـا إلـى أيـنَ؟ أمـضـي أعـودُ
لأمـضـي، كَـأنّـي أؤدّي وظـيـفَـةْ

مَـلَـكْـتُ الـمـطـاراتِ والـطَّـائـراتِ
وأكـلـي (جـرادٌ) لأنّـي سـخـيـفَـةْ

ومـمـلـكـتـي هـودجٌ مـن ريـاحٍ
تـروحُ عَـجـولاً وتَـأتـي خـفـيـفَـةْ

أتـبـكـيـنَ؟ لا، لا ومـن تـؤسِـفـيـنَ
إذا أنـتِ مـقـهـورةٌ أو أسـيـفَـةْ؟

ومــاذا سـيـحـدثُ لـو تَـصـرُخِـيـنَ
وتَـتَّـزرِيـنَ الـدُّمـوعَ الـكَـثـيـفَـةْ

سـيـرنـو إلـيـكِ الـرَّفـيـقُ الـلَّـصـيـقُ
ويـنـسـاكِ حـيـنَ تَـمُـرُّ الـمُـضـيـفَـةْ

ويُـعـطـيـكِ قُـرصَـيْـنَ مِـنْ (أسـبـريـن)
فـتَـىً طـيِّـبٌ أو عـجـوزٌ لـطـيـفَـةْ

وقـد لا يـراكِ فـتَـىً أو عـجـوز
ولا يـلـمـحُ الـجـارُ تـلـك الـضَّـعِـيـفَـةْ

أتُـصـغـيـنَ؟ لا صـوتَ غـيـرُ الـضَّـجـيـج
وغـيـرُ اخـتـلاج الـكـؤوسِ الـمُـطـيـفَـةْ

فـقـد أصـبـحَـتْ رؤيـةُ الـبـاكـيـاتِ
لـطـولِ اعـتـيـادِ الـمـآسـي ألـيـفَـةْ

تـخـافـيـن مـاذا؟ عـلـى أيِّ شـيءٍ
تـضِـنِّـيـنَ؟ أصـبـحـتِ أنـتِ الـمُـخـيـفَـةْ

فـلَـمْ يـبـقَ شـيءٌ عـزيـزٌ لـديـكِ
أضَـعْـتِ الـعَـفـافَ ووجْـهَ الـعـفـيـفَـةْ

عـلـى بـابِ (كـسـرى) رمـيـتِ الـجـبـيـنَ
وأسـلـمْـتِ نـهـدَيْـكِ يـومَ (الـسَّـقـيـفَـةْ)

وبِـعْـتِ أخـيـراً لِـحَـى (تُـبَّـعٍ)
وأهـداب (أروى) وثَـغْـرَ (الـشَّـريـفَـةْ)[1]

---

(١) الشريفة دَهْمى: مؤلفة وشاعرة من نوابه القرن الثاني عشر الهجري.

أتُعطيكِ (واشنطنُ) اليومَ وجهاً؟
خُذي. حسناً جرِّبي كلَّ جِيفَةْ

فقد تُلْفِتينَ بهذا السُّقوطِ
كأخبارِ مُنتحرٍ في صحيفَةْ

* * *

أصنعا، ولكنْ متى تأنفينَ
يقولونَ: قد كُنتِ يوماً مُنيفَةْ

متى منكِ تمضينَ عَجْلى إليكِ؟
ترينَ اخضرارَ الحياةِ النَّظِيفَةْ

أمِنْ قلبِ أُغنيَةٍ مِنْ دموعٍ
ستأتينَ..؟ أَمْ مِنْ حنايا قذيفَةْ

* * *

بين المُدْية والذّابِح

25/ 9/ 1974م

وحشةُ الخارج تَغوي حولَهُ
ثُمَّ تَنفيهِ إلى داخلِهِ

غربةُ الدَّاخلِ تَرميهِ إلى
مائجٍ يَبْحَثُ عن ساحِلِهِ

راحلٌ منهُ إليهِ، دربُهُ
شاردٌ أضْيَعُ مِنْ راحِلِهِ

بعْضُهُ يسألُهُ عن بعضِهِ
ردُّهُ أَحْيَرُ مِنْ سائِلِهِ

باحثٌ عن قتلِهِ يعدو على
مُذيةِ الذُّبحِ إلى قاتِلِهِ

يأكلُ الموتُ بقايا عُمْرِهِ
ويُغَنّي في يَدَيْ آكِلِهِ

فمُهُ أصغرُ مِنْ صيحتِهِ
عبئُهُ أكبرُ مِنْ حامِلِهِ

شاعرٌ ووطَنُهُ في الغربة

1973 ـ 1974م

كـانَ صُـبـحُ الـخـمـيـسِ أو ظُـهـرُ جُـمْـعَـةْ
أذهَـلَـتْـنـي عـنـي عـن الـوقـتِ لـوعَـةْ

دَهـشَـةُ الـراحـلِ الـذي لـم يُـجَـرِّب
طـعـمَ خـوفِ الـنَّـوى ولا شـوقَ رَجْـعَـةْ

حـيـن نـادت إلـى الـصُّـعـودِ فـتـاةٌ
مـثـلُ أخـتـي بُـنَـيَّـةُ الـصَّـوتِ، رَبْـعَـةْ

مـنـذُ صـارَتْ مُـضِـيـفـةً لـقَّـبـوهـا
(سـوزَنـاً) واسـمـهـا الـطـفـولـيُّ (شَـلْـعَـةْ)

إنَّ عـصـريَّـةَ الأسـامـي عـلـيـنـا
جـلـدُ فـيـلٍ عـلـى قـوامِ ابْـنِ سـبـعَـةْ

هـل يُـطـرِّي لـونُ الـعـنـاويـن سِـفْـراً
مَـيِّـتـاً زوَّقَـتْـهُ آخِـرُ طـبـعَـةْ

* *

حـانَ أن يُـقـلِـعَ الـجـنـاحـان، طِـرْنـا
حـفـنـةً مِـنْ حَـصَـىً عـلـى صـدرِ قـلـعَـةْ

مـقـعـدي كـانَ وشـوشـاتِ بِـلادي
وجـهُ أرضـي فـي أدْمُـعـي ألـفُ شـمـعَـةْ

ووصلْنا، قَطَّرَتْ مأساةُ أهلي
منْ دمِ القلبِ دمعةً بعدَ دمعَةْ

* * *

زعموني رفعْتُ بندَ التَّحدِّي
واتَّخذتُ القتالَ بالحرفِ صنعَةْ

فليكُنْ، ولأمُتْ ثلاثينَ موتاً
كُلّما خُضْتُ سِتَّةً هاجَ تسعَةْ

كُلّما ذُقْتُ رائعاً مِنْ مَمَاتي
رُمْتُ أقسى يداً وأعنفَ روعَةْ

ألأنّي يا موطني أتَجزَّا
قِطعاً من هواكَ في كُلِّ رُقْعَةْ

نعتوني مُخرِّباً، أنتَ تدري
أنّها لَنْ تكونَ آخرَ خُدْعَةْ

عَرَفُوا أنَّهُمْ أُدينوا فسَنُّوا
للجواسيسِ تهمةَ الغيرِ شِرْعَةْ

عندما تفسُدُ الظُّروفُ تُسمَّى
كُلُّ ذِكْرىَ جميلةٍ سوءَ سُمعَةْ

يُظْلِمُ الزَّهرُ في الظلامِ ويَبدو
مثلَ أصفى العيونِ تَحتَ الأشِعَّةْ

*

يا رحيلي هذي بلادي تُغَنِّي
داخلي، تغتلي، تَدُقُّ بِسُرْعَةْ

كـنـتُ فـيـهـا ومُـذْ تـغَّـيـبـتُ عـنـهـا
سـكـنـتْـنـي مـن أرضِـهـا كُـلُّ بـقـعَـةْ

الـتَـقَـتْ فـيَّ (صـعـدةٌ) و(الـمُـعَـلَّـى)
الـقـطـاعـاتُ داخـلـي صِـرْنَ قِـطـعَـةْ

صِـرْتُ لـلـمَـوطِـنِ الـمُـقـيـمِ بَـعـيـداً
وطـنـاً راحِـلاً. أفـي الأمـرِ بِـدعَـةْ؟!

أحـتـسـي مـوطِـنـي لـظَـىً، يـحـتـسـيـنـي
مـن فـمِ الـنَّـارِ جـرعـةً إثْـرَ جُـرعَـةْ

فـي هـواهُ الـعـظـيـمِ أفـنـى وأفـنـى
والـعـذابُ الـكـبـيـرُ أكـبـرُ مُـتـعَـةْ

❁❁❁

مناضلٌ في الفراش

سبتمبر 1974م

مَنْ أنتَ؟ ماذا تساوي؟ وكلُّ ما فيكَ خاوي
تُحِسُّ جِلْدَكَ ثلجاً مُطيَّناً وَهْوَ كاوي
تَئِنُّ، تُخْفي ضجيجاً أنتَ الصَّدى وهوَ عاوي
الدَّاءُ فيكَ عنيدٌ يقوى ولكِنْ تُقاوي
لا تستطيعُ تُوالي ولا تُطيقُ تُناوي
وكنتَ تُضْني الدَّواهي تُغْيي حلوقَ المهاوي
تنوي قبورُك لكنْ تجتازُها غيرَ ناوي
تدوسُ هَولاً وتُدْمي هولاً عنيفَ المَساوي
تلوحُ للقَبْضِ وَهْماً وتختفي في المَلاوي
فمِنْ رصيفَيْنِ تأتي إلى رصيفَيْنِ تاوي
تبدو بكُلِّ مكانٍ تخفى بسحْرٍ سَمَاوي

* * *

والآنَ تسطو عليهِمْ وأنتَ وحدَكَ ثاوي
كِسلانُ كالجِذْعِ تَقْوى عليكَ أدنى الهَراوي
لا تشتهي أيَّ شيءٍ وكلُّ ما فيكَ طاوي
تَعُبُّ عشرينَ قُرصاً وأنتَ كالأمسِ ذاوي
لا الطِّبُّ يعرفُ داءً ولا الدَّواءُ يُداوي

كُلُّ القِلاعِ اللَّواتي أقلَقْتَها في تَهاوي
فاهْدأْ فخطْوُكَ ماضٍ والدَّربُ مُصغٍ وراوي

۞۞۞

غريبان.. وكانا هما البلد

سبتمبر 1974م

دلـيـــل:

عزيزي القارئ، أحببت قبل أن تدخل إلى هذه القصيدة أن تحمل في يدك هذا الدليل إلى زواياها المعتمة بغبار الأحداث وأثريّة الأسماء.

1 ـ (أُمُهُ مِنْ سورةِ المَسَدْ) في البيت الثالث: إشارة إلى (حمَّالَةِ الحطب) في (سورة المسد) وهي تدل على الفقر والكدح.

2 ـ (بينون) في البيت الرابع عشر: حصن من المرمر، بناه الملك (أسعد الكامل)؛ ويقع في منطقة (ثَوبان ـ الحدا)، وليس له شهرة بين الآثار على غرابته لصعوبة الوصول إليه.

3 ـ (صخرٌ من السَّدّ) في البيت الخامس عشر: إشارة إلى (سدّ مأرب) الذي تَهدَّم، وأصبحت أحجاره شريدة يسأل بعضها عن بعض.

4 ـ يشير البيت السادس عشر والسابع عشر إلى الغُربة الدائمة لليمنيين، والسفر بأسماء مستعارة وبجوازات مختلفة، يتمّ بها تغيير الاسم لملاءمة الجواز حتى يصبح للمسافر في كل بلد اسمٌ آخر؛ فقد يحمل الحي جواز الميت ويستعير المسافر جواز العائد. ويكفي أن يغير اسمه حتى لا يتكلف ثمن جواز آخر. هذا قبل فكرة صورة المسافر على جوازه.

5 ـ (الرامي) في البيت الثامن عشر: اسم مرض يفتك بالأبقار حتى يكاد يستأصل الحظائر، ويُسمّي مجتمع القُرى هذا المرض

(أحمد الرامي)، اختصرته لطول الاستعمال؛ فسمَّته (الرامي)، وفي بعض المناطق (الطاعون). وتنسب إليه صفات غريبة بعد دخوله إلى القرى، حيث يتحدث بعضهم إلى بعض أنهم وجدوه في الطريق إلى القرية، وله أربع أرجل يمشي عليها منتصباً كالإنسان، وله عشر أيد أظفارها كالسكاكين المحمرَّة اللون. وهذا الرعب في وصفه نتيجة تأثيره في الأبقار التي تعتبر وسائل الحرث ومصادر الغذاء لبناً وسمناً. والوقت الذي يطرأ فيه هذا المرض يعتبر حدثاً يؤرّخ به أهل القُرى.

6 ـ (الإدريسي) في البيت العشرين: هو (محمد بن علي الإدريسي) أمير (صَبْيا) الذي أتى من أفريقيا واحتلَّ المنطقة التهامية من اليمن، واشتعلت بينه وبين اليمنيين حروب عامين؛ وكانت له الجولة الأولى حتى هُزم في حرب ثالثة عام 1932م.

7 ـ (حيكان) في البيت الثاني والعشرين اسم لأكثر من وادٍ في أكثر من منطقة حتى أصبح رمز الخصب، وفيه يقول الحكيم اليماني (علي بن زايد):

ما لذَّ لي مثل حيكان المُسْبِلي يُشبعِ انسان
والتُّلْم يِمْلي غَرارة

وهذا غاية الخصب.

8 ـ (الدودحية) في البيت الثالث والعشرين: هي بنت شابَّة وقعت في الحب في الثلاثينيات، فأدَّى بها إلى حمل صورة المحبوب في بطنها. ولأنها من طبقة غنية انتشرت الحكاية حتى وصلت إلى قاضي المنطقة، فأمر بربطها مع أبيها ومحبوبها، وشدَّ على ظهورهم الطبول وصبغهم بالقطران، ودارت بهم الجموع على

المنطقة؛ حتى أصبحت تلك الحكاية مادة الأغاني الشعبية مدة عشرين عاماً. وقد تفنَّن الشعب في هذه الأغاني، فعبرت عن التعيير وعن الشوق إلى المليحة وعن الحسد لمن نالها وقد امتد أثر هذه الأغنية إلى الآن، فأحيا أداءها الفنان (علي الآنسي) في أغنية (خَطَرْ غُصْنُ القَنا).

9 ـ (حرب السَّبْع) في البيت السابع والعشرين إشارة إلى حروب السنوات السبع مع القوى الاستعمارية والرجعية منذ انفجار ثورة سبتمبر 1962م إلى آخر عام 1967م.

سبتمبر 1974م

مـنْ ذلـكَ الـوجـهُ؟ يـبـدو أنـه (جَـنَـدي)
لا، بـل (يـريـمـي) سـأدعـو جـدَّ مُـبـتـعـدِ

أظُـنُّـهُ (مُـكـردَ الـقـاضـي) كـقـامـتِـهِ
لا بل (مثنَّى الرَّداعي)، (مرشدَ الصَيَدي)

لـعـلَّـهُ (دُبَـعِـيٌّ)، أصـلُ والـدِهِ
مِـنْ (يـافِـعٍ)، أُمُّـهُ مِـنْ (سـورةِ الـمَـسـدِ)

عـرفْـتُـهُ يـمـنـيّـاً، فـي تَـلَـفُّـتِـهِ
خـوفٌ وعـيـنـاهُ تـاريـخٌ مِـنَ الـرَّمَـدِ

مـن خُـضـرةِ (الـقـاتِ) فـي عـيـنـيْـهِ أسـئـلـةٌ
صُـفْـرٌ تَـبـوحُ كـعـودٍ نـصـفِ مُـتَّـقِـدِ

رأيـتُ نـخـلَ (الـمُـكَـلّا) فـي مـلامِـحِـهِ
شـمَّـيـتُ عَـنْـبَ (الـحَـشـا) فـي جـيـدِهِ الـغَـيِـدِ

مِــنْ أيــنَ يــا ابْــنــي؟ ولا يــرنــو وأســألُــهُ
أدنــو قــلــيــلاً: صــبــاح الــخــيــر يــا ولــدي

ضــمَّــيــتُــهُ مــلءَ صــدري، إنَّــهُ وَطَــنــي
يــبــقــى اشــتــيــاقــي وذُوبــي الآنَ يــا كَــبِــدي

يِــسْــعِــدْ صــبــاحُــك يــا عــمِّــي، أتــعــرفُــنــي؟
فــيــكَ اعــتــنــقــتُ أنــا قــبَّــلــتُ مــنــكَ يــدي

لاقــيــتُ فــيــكَ (بَــكــيــلاً) (حــاشــداً) (عَــدَنَــاً)
مــا كــنــتُ أحــلــمُ أن ألــقــى هــنــا بــلــدي

رأيــتُ فــيــكَ بــلادي كــلُّــهــا اجــتــمــعَــتْ
كــيــفَ الــتــقــى الــتِّــسعــةُ الــمــلــيــونَ فــي جــسدِ؟

عــرفــتُ مَــنْ أنــتَ يــا عــمِّــي، تــلالُ (بَــنَــا)
(عــيــبــانُ) أثــقــلَــهُ غــابٌ مــن الــبَــرَدِ

(شــمــســانُ) تــنــســى الــثــريَّــا فــوقَ لــحــيــتِــهِ
فــاهــاً ويــنــســى ضــحــىً رجــلــيــهِ فــي الــزَّبَــدِ

(بَــيْــنــونُ) عــريــانُ يــمــشــي مــا عــلــيــه ســوى
قــمــيــصِــهِ الــمــرمــريِّ الــبــاردِ الأبــدي

صــخــرٌ مِــنْ الــسَّــدِّ يــجــتــازُ الــمُــحــيــطَ إلــى
ثــانٍ، يُــنــادي صــداهُ: مَــنْ رأى عُــمُــدي؟

* * *

مــا اسْــمُ ابــنُ أمــي؟ (ســعــيدٌ) فــي (تــبــوكَ) وفــي
(ســيــلانَ) (يــحــيــى) وفــي (غــانــا) (أبــو ســنــدِ)

وأنتَ يا عمُّ؟ في (نيجيريا) (حسنٌ)
وفي (الملاوي) دَعَوني (ناصرَ العَنَدي)

سافرْتُ في سنة (الرَّامي)، هربتُ على
عَمِّي غداةَ قَبرْنا (ناجيَ الأسَدي)

مِنْ بعدِ عامينِ من أخبارِ قتلِ أبي
خلفَ (اللُّحِيَّةِ) في جيشٍ بلا عَدَدِ

أيامَ صاحوا: قُوَى (الإدريسيَ) احتشَدَتْ
وقابلوها بجيشٍ غيرِ مُحتَشِدِ

رحلتُ في ذلكَ التَّاريخِ أذكُرُهُ
كأنَّها ساعةٌ يا (سعدُ) لم تَزِدِ

صباحَ قالوا: (سُعودٌ) قبلَ خِطْبتِها
حُبلى، و(حَيْكانُ) لم يحبلْ ولم يلدِ

و(الذُّودحيَّةُ) تَهمي في مراتِعِنا
أغانيَ العارِ والأشواقِ والحَسَدِ

ودَّعتُ أغناميَ العشرينَ (مُخصَنَةً)
حتى أعودَ، وحتى اليومَ لم أعُدِ

* * *

مَنْ ماتَ يا ابني؟ مَنِ الباقي؟ أتسألُني!
فصولُ مأساتنا الطُّولى بلا عَددِ

ماذا جرى في السنينَ السِّتِّ من سَفَري؟
أخشى وقوعَ الذي ما دارَ في خَلَدي

مـارسْـتُ يـا عـمُّ حَـرب الـسَّـبـع مُـتَّـقِـداً
تـقـودُنـي فـطـنـةٌ أغـبـى مـن الـوَتَـدِ

كـانـت بِـلا أرجُـلٍ تَـمـشـي بـلا نـظـرٍ
كـانَ الـقـتـالُ بـلا داعٍ سـوى الـمَـدَدِ

وكـيـف كُـنْـتُـمْ تـنـوحـونَ الـرِّجـالَ، بـلا
نَـوحٍ، نـمـوتُ كـمـا نـحـيـا بـلا رشَـدِ

فـوجٌ يـمـوتُ ونـنـسـاهُ بـأربـعـةٍ
فـلَـمْ يـعُـدْ أحـدٌ يـبـكـي عـلـى أحـدِ

وفـوقَ ذلـكَ ألـقـى ألـف مُـرتـزقٍ
فـي الـيـومِ يـسـأُلـني: مـا لـونُ مُـعـتَـقَـدي؟

بـلا اعـتـقـادٍ، وهُـمْ مِـثـلـي بـلا هـدفٍ
يـا عـمُّ مـا أرخـص الإنـسـانَ فـي بـلَـدي

والآنَ يـا ابْـنـي؟ جـوابٌ لا حـدودَ لَـهُ
الـيـومَ أُدْجـي لـكـي يـخـضـرَّ وجـهُ غَـدي

❁ ❁ ❁

ابنُ فُلانة!

فبراير 1974م

لا تَسَلْ مَنْ أنا؟ فلاِسْمي صِلاتٌ
بالتَّي أرضَعَتْهُ ذوب المهانةْ

كيف أحكي: فُلاناً ابنَ فُلانٍ
ورِفاقي يدعونني: ابنَ فُلانةْ!

إن رأوْني أبدو رصيناً أشاروا
علَّمتْهُ تلكَ البتولُ الرَّصانةْ

وإذا لاحظوا قميصي جديداً
ردَّدوا: فوقَ رُكبتيْها خزانةْ

دخلُها كلَّ ليلةٍ نصفُ ألفٍ
أحسنوا الظَّنَّ. تُهمةٌ لا إدانَةْ

ولَدَيْها، كما يقولونَ جَيْشٌ
درَّبَتهُ خبيرةٌ في المجانةْ

وهي سِمسارةٌ لكُلِّ دعيٍّ
فوقَ هذا وللعِدا قهرمانَةْ

أعجبتْ سادةَ النُّقودِ فأعطَوْا
وجدُوا عندَها أحطَّ استكانةْ

حَسَناً، إنها عليهِمْ دليلٌ
إن تَخَفَّوْا دلَّتْ بأخزى إبانَةْ

نحنُ ندري، هل أبدعوا غيرَ هذا
وانتزافَ البلادِ في كُلِّ حانَةْ

كان يحكي هذا وهذا يليهِ
ويُداجي هذا بُخبثِ الرَّزانَةْ

ألفُ أُمٍّ روَتْ حكاياتِ أُمّي
لبنيها فَردَّدوا في أمانَةْ:

بيتُها أشهرُ البيوتِ جميعاً
ولَهُ دونَ كُلِّ بيتٍ حَصانَةْ

* * *

إنني ساقطٌ لأنَّ لأُمّي
عند أغنى الرجالِ أعلى مكانَةْ

لا تَلُح لي يا اسْمي فإني جبانٌ
حينَ تبدو بفضلِ تلكَ الجبانَةْ

يا التي يخبرونَ عَنْها كثيراً
اتركيني.. ودَّعتُ دارَ الإهانَةْ

صِرتُ غيري، رميتُ باسْمي ورائي
وسأعتادُ جِدَّتي بالمِرانَةْ

○○○

الهدهدُ السادس

فبراير 1974م

مـن أيـنَ لـي يـا (مَـذْحَـجِـيَّـةْ) وتـرٌ كـقِـصَّـتِـكِ الـشَّـجِـيَّـةْ؟

أيـنَ انـطـفَـتْ عـيـنـاكِ؟ اسْـ ـكُتْ. أيـنَ جبـهتُـكِ الأبـيَّـةْ؟

اسْـكُـتْ، أتـبـتـدعـيـن يـو مـاً جـبـهـة أعـلـى طـريَّـةْ؟

اسْكُتْ، رجعتُ إلى التَّعقُّـ ـلِ، لا أريـدُ الـعَـبـقـريَّـةْ

أوَلـيـس فـلـسـفـةُ الـهَـزِيـ ـمـةِ أن أمـوتَ تـعـقُّـلِـيَّـةْ؟

وهَـلِ الـعـمـالـةُ حـكـمـةٌ؟ وهـلِ الشَّجاعـةُ مـوسـمـيَّـةْ؟

اسْـكُـتْ، ولـكـنْ لـسـتَ مـن أبـطـالِ تـلـكَ الـمـسـرحـيَّـةْ

بـعـدَ الـغـروبِ سـتَـبـزُغِـيْـ ـنَ كـشـمـسِـكِ الـبـكـرِ الـجـريَّـةْ

اسْـكُـتْ، لأنَّ الـجـوَّ أحْـ جـارٌ حـلـوقٌ بـربـريَّـةْ

* * *

الـشِّـعْـرُ أقـوى فـاعـزفـي رِئَـتَـيْـكِ أو مـوتـي شـقـيَّـةْ

الـصَّـمـتُ يُـعـشِـبُ طُـحْـلُـبـاً حُـمَّـى، ذيـولاً عـوسـجـيَّـةْ

وقـرونَ أشـبـاحٍ كـأ بـوابِ الـسُّـجـونِ الـعَـسـكـريَّـةْ

سـقـفٌ مِـنَ الـحـيَّـاتِ والْـ أيـدي وألـوانِ الـمَـنـيَّـةْ

يـطـفـو ويـركـضُ، يـمـتـطـي عـيـنـيْـهِ، يـسـقـطُ كـالـمـطـيَّـةْ

* * *

مـاذا هُـنـا؟ شـيءٌ كـلا شـيءٍ، شـظـايـا مـتـحـفـيَّـةْ

الـلَّـيـلُ يـبـحَـثُ عَـنْ ضُـحَـىً والـصُّـبـحُ يـبـحـثُ عـن عـشـيَّـةْ

هــرب الــزَّمــانُ مــن الــزمــا ... نِ، خـوَتْ ثـوانـيـهِ الـغـبـيَّـةْ
مـن وجـهـهِ الـحـجـري يـفـرُّ ... إلـى شـنـاعـتِـهِ الـخـفـيَّـةْ
حـتـى الـزَّمـانُ بـلا زمـا ... نِ، والـمـكـانُ بـلا قـضـيَّـةْ
الـتَّـابـعـونَ بـلا رُؤو ... سٍ والـمـلـوكُ بـلا رعـيَّـةْ
والـمُـسـتـغِـلُّ بـلا امـتـيـا ... زٍ والـفـقـيـرُ بـلا مـزيَّـةْ

* *

مَـنْ ذا هُـنـا؟ (صـنـعـا) بـلا ... صـنـعـا، وجـوهٌ أجـنـبـيَّـةْ
مـتـطـوِّعـونَ وطـيِّـعـا ... تٌ، أوصـيـاءُ بـلا وصـيَّـةْ
حُـزَمٌ مِـنَ الـشَّـعْـرِ الـمُـسـرَّ ... حِ والـعـيـونِ الـفـوضـويَّـةْ
خـبـراءُ فـي عُـقْـمِ الإدا ... رةِ، وافـدونَ بِـلا هُـويَّـةْ
ومـسـافـرونَ بـلا ودا ... عٍ، واصـلـون بـلا تـحـيَّـةْ
ومُـؤَمْـرَكـونَ إلـى الـعـظـامِ ... لـهـم وجـوهٌ فـارسـيَّـةْ
ومُـؤَمْـرَكـاتٌ يـرتـديـن ... قـمـيـص (لـيـلـى الـعـامـريَّـةْ)
كـتـلٌ مـن الإسـمـنـتِ لا ... بـسـةٌ جـلـوداً آدمـيَّـةْ
تـسـعـونَ فـوجـاً والـمـسـا ... فـةُ فـي بـدايـتِـهـا الـقَـصِـيَّـةْ
يـا (هـدهـدُ) الـيـومَ الـحـمـو ... لـةُ فـوقَ طـاقـتِـكَ الـقـويَّـةْ
هـذي حـقـائِـبُـكَ الـكِـبـا ... رُ تَـنِـمُّ عـن خُـبْـثِ الـطَّـويَّـةْ

* * *

هـل جِـئْـتَ مـن سـبـأٍ؟ وَكَـيْـ ... ـف رأيـتَـهُ؟ أضـحـى سـبـيَّـةْ
ولَّـى، عـلـيـهِ عـبـاءةٌ ... مِـنْ أُغـنـيـاتِ (الـدَّودحـيَّـةْ)
سـقـطَ الـمُـتـاجـرُ، والـتِّـجـا ... رةُ والـمُـضَـحِّـي والـضَّـحـيَّـةْ
حـتـى الـبـقـاعُ هَـرَبْـنَ مِـنْ ... أسـمـائِـهـنَّ (الـحِـمْـيـريَّـةْ)

هل للقَضيَّةِ عَكْسُها؟ هل للحكايةِ من بقيَّةْ؟
كلُّ الحلوقِ أقلُّ من هذي الجبالِ (اليخْصُبِيَّةْ)
كلُّ السِّلاحِ أقلُّ مِنْ هذي الملايينِ العصيَّةْ

* * *

(صنعاءُ) من أينَ الطَّريـ ـقُ إلى مجاليكِ النَّقيَّةْ؟
وإلى بكارتِكِ العجو زِ، إلى أنوثتِكِ الشَّهيَّةْ
يا زوجةَ السَّفَّاحِ والسّمـ ـسارِ يا وجهَ السَّبِيَّةْ
سقطَتْ لَحَى الفُرْسانِ والـ ـتحَتِ المُسِنَّةُ والصَّبِيَّةْ

❁ ❁ ❁

يوم 13 حزيران

1974م

جـبـيـنُـهُ دبّـابـةٌ واقـفَـةْ
أهـدابُـهُ دبّـابـةٌ زاحـفـةْ

لـيـس لـهُ وجـهٌ.. لـه أوجـهٌ
مـمـسـوحـةٌ كـالـعـمـلـةِ الـتّـالـفَـةْ

سـاقـاهُ جـنـزيـران، أعـراقُـهُ
إذاعـةٌ مـبـحـوحـةٌ راجـفَـةْ

تـلـغُـو كـمـا تـسـقـي الـرياحُ الـحـصـى
تَـخـمَـرُ كـالـجِـنّـيَّـةِ الـرَّاعِـفَـةْ

بـعـدَ قـلـيـلٍ مِـئـتـا مـرَّةٍ
وعـدٌ كـسُـكْـرِ الـلَّـيـلـةِ الـصـائـفـةْ

وبـعـدَ عـشـريـنَ احـتـمـالاً بَـدَتْ
ولادةٌ مـكـرورةٌ زائـفَـةْ

حـمـاسَـةٌ صـفـراءُ مـعـروقـةٌ
أنـشـودةٌ مـسـلـولـةٌ واجِـفَـةْ

شـيءٌ بـلا لـونٍ، بـلا نـكـهـةٍ
مـاذا تُـسَـمِّـيـهِ؟ الـلُّـغَـى الـواصـفَـةْ

يـــا عـــمُّ دبَّـــابـــاتُ . . إنَّـــي أرى
هـــذا أنـــقـــلابٌ . . جـــدَّتـــي عـــارفَـــةْ

نـــفـــسُ الـــذي جـــاء مـــراراً كـــمـــا
تـــأتـــي وتـــمـــضـــي دورةُ الـــعـــاصـــفَـــةْ

وســـوفَ يـــأتـــي ثُـــمَّ يـــأتـــي إلـــى
أن تـــســـتـــفـــيـــقَ الـــثَّـــورةُ الـــوارفـــةْ

* * *

لا يـــركـــبُ الـــشَّـــعـــبُ إلـــى فـــجْـــرِهِ
دبَّـــابَـــةً، لا يـــمـــتـــطـــي قـــاذفَـــةْ

الـــشَّـــعْـــبُ يـــأتـــي لاهِـــثـــاً، صـــابِـــراً
مُـــمـــتـــطـــيـــاً أوجـــاعَـــهُ الـــنَّـــازفَـــةْ

يـــأتـــي، كـــمـــا تـــأتـــي ســـيـــولُ الـــرُّبـــا
نـــقـــيَّـــةً خـــلاَّقـــةً جـــارِفَـــةْ

يـــبـــرعِـــمُ الـــشَّـــوقُ الـــحَـــصَـــى تـــحـــتَـــهُ
والـــشَّـــمـــسُ فـــي أجـــفـــانِـــهِ هـــاتِـــفَـــةْ

وتَـــهـــجِـــسُ الأعـــشـــابُ فـــي خـــطـــوِهِ
هـــجْـــسَ الـــمَـــجـــانـــي لـــلـــيـــدِ الـــقـــاطِـــفَـــةْ

* * *

يـــا عـــمُّ: دبَّـــابـــاتُ . . قُـــلْ لُـــعـــبـــةٌ
ســـخـــيـــفَـــةٌ كـــالـــلُّـــعـــبـــةِ الـــسَّـــالِـــفَـــةْ

لـــكـــنْ لِـــمـــاذا لـــمْ تُـــثِـــرْ لـــفـــتـــةً
ولا اســـتـــفـــزَّتْ لـــمـــحـــةً كـــاشـــفَـــةْ؟

لأنَّ مَــنْ كـــانـــوا مـــضَـــوْا وانـــثـــنـــوْا
طـــائـــفـــةٌ ولَّـــتْ، بَـــدَتْ طـــائـــفَـــةْ

الـــمُـــنـــتـــهـــي أمـــســـى هـــو الـــمُـــبـــتـــدي
والـــصُّـــورةُ الـــمـــخـــلـــوفـــةُ الـــخـــالِـــفَـــةْ

قـــد يـــســـتـــعـــيـــرُ الـــعـــزفُ غـــيـــرَ اسْـــمِـــهِ
لـــكـــنـــهـــا نـــفـــسُ الـــيـــدِ الـــعـــازفَـــةْ

* *

دبَّـــابـــةٌ أُخـــرى وأُخـــرى، ولا
ألـــقـــى رصـــيـــفٌ نـــظـــرةً خـــاطـــفَـــةْ

لـــم تـــلـــتـــفِـــتْ دارٌ ولا بُـــقـــعـــةٌ
بـــدَتْ عـــلـــى أمـــنٍ ولا خـــائـــفَـــةْ

شـــيءٌ جـــرى، لـــم يـــســـتـــدِرْ شـــارعٌ
ولا انـــجـــلَـــتْ زاويـــةٌ كـــاسِـــفَـــةْ

مـــاذا جـــرى؟ لـــم يَـــجْـــرِ شـــيءٌ هـــنـــا
صـــنـــعـــاءُ لا فَـــرْحَـــى ولا آســـفَـــةْ

(الـــقـــاتُ) ســـاهٍ والـــمـــقـــاهـــي عـــلـــى
أكـــوابِـــهـــا مـــحـــنـــيَّـــةٌ عـــاكِـــفَـــةْ

مـــاذا جـــرى؟ لا حِـــسَّ عـــمَّـــا جـــرى
ولا لـــديْـــهِ ومـــضـــةٌ هـــادفَـــةْ

مـــاذا يـــعـــي الـــتـــاريـــخُ؟ مـــاذا رأى؟
ولَّـــى بـــلا ذكـــرى، بـــلا عـــاطـــفَـــةْ

❂ ❂ ❂

بين ضياعَيْن

يناير 1974م

كُــلُّ مــا عِــنْــدَنــا يــزيــدُ ضــيــاعــا
والــذي نــرتــجــيــهِ يَــنْــأى امــتــنــاعــا

نــتــشَــهَّــى غــداً، يــزيــدُ ابــتــعــاداً
نُــرجــعُ الأمــسَ، لا يــطــيــقُ ارتــجــاعــا

بــيــن يــومٍ مَــضَــى ويــوم ســيــأتــي
نــزرعُ الــريــحَ نــبــتَــنــيْــهــا قِــلاعــا

والــذي ســوف نــبــتَــنِــيْــهِ يُــوَلِّــي
هــارِبــاً والــذي بــنَــيْــنــا تــداعــى

نــمــتــطــي مــوجــةً إلــى غــيــرِ مَــرْسَــى
إن وجــدْنــا ريــحــاً فــقــدْنَــا الــشِّــراعــا

وإلــيــنــا جــاءَ الــشُّــراةُ تِــبــاعــاً
حــبِــلَــتْ أخــصــبُ الــجــيــوبِ تِــبــاعــا

لا يُــحِــسُّ الــذي اشــتَــرانــا لِــمَــاذا
والــذي بــاع مــا دَرى كــيــف بَــاعــا!

فَــتَــهَــاوى الــذي تَــلَــقَّــى وأعْــطَــى
وشــمــخْــنَــا مــســتــهــزئــيــنَ جِــيــاعــا!

***

أصيل من الحبّ

19/ 2/ 1974م

قد كان لا يصحو ولا يَرْوى
واليومَ لا يسلو ولا يَهْوَى

ينسى، ولكنْ لم يزلْ ذاكراً
حبيبةً كانتْ لَهُ السَّلوى

وكان إنْ مَرَّ اسْمُها أزهَرَتْ
في قلبِهِ الأشواقُ والنَّجْوَى

وانثالتِ السّاعاتُ من حولِهِ
أحلامَ عُشَّاقٍ بلا مَأوَى

وكانتِ الحلوى لطفلِ الهَوَى
والآنَ لا خلاًّ ولا حَلْوَى

وكانَ يشكُو إن نَأتْ أو دَنَتَ
لأنَّهَا تَستعذبُ الشَّكوى

* * *

كانت لديهِ الكلَّ، لا مثلُها
لا قبلُها، لا بعدَها حَوَّا

فأصبحَتْ واحدةً، لا اسْمُها
أحلى ولا مجنونُها أغْوَى

يـــودُّ أن يَـــهْـــوَى فـــيـــخـــبُـــو الـــهَـــوَى
ويـــشـــتـــهـــي يَـــنْـــســـى فـــلا يَـــقْـــوَى

فـــلـــمْ يـــعـــذ فـــي حـــبِّـــهِ صـــادقـــاً
ولـــيـــس فـــيـــهِ كـــاذبَ الـــدَّعْـــوَى

أصـــيـــلُ حـــبٍّ يـــســـتـــعـــيـــدُ الـــضُّـــحَـــى
ويـــنـــطـــوي فـــي الـــلَّـــيـــلـــةِ الـــعَـــشْـــوَى

⊛⊛⊛

ألوان من الصمت

أغسطس 1974م

مثلُ طفلٍ حالمٍ يصحُو ويغفُو
يرسبُ الصمتُ بعينيْهِ ويطفُو

ينطوي خلفَ تلوِّي جِلْدِهِ
كعُقابٍ ينتوي الفتكَ ويعفُو

يهمسُ الإنشادَ، ينسى صوتَهُ
يتزيَّا بالهَوَى، يحنو ويجفُو

يحتسي أنفاسَهُ، يرسِلُهَا
زُمَراً كالنَّخلِ ترتدُّ وتَهْفُو

ينحني، يرحلُ في لِحيتِهِ
جاثِياً ينْجَرُّ، يغبرُّ ويصفو

بعضُهُ ينسلُّ مِنهُ، بعضُهُ
يمتطي أطرافَ كفَّيْهِ ويقفُو

* * *

صرخةُ المذياعِ تُدمي هجسَهُ:
قاتلوا في (قبرصَ) اليومَ وكفُّوا

(الفَيَتْكِنْجَ) اسْتَحالوا شَجَراً
هبطوا كالجمرِ، كالعُقبانِ خَفُّوا

ارتدى أبطالُ (سَيجُونَ) الحصى
دخلوا الأعشاب كالأعشابِ جَفُّوا

حشَدَتْ (واشنطن) الموتَ سدَىً
ركضَ الأمواتُ أخطاراً وحفُّوا

أنبتَتْ كَلٌّ حصاةٍ موكباً
كعفاريتِ الرُّبا اصطفُّوا وصَفُّوا

وثَبُوا كالسَّيلِ، كالسَّيل انثنَوْا
تحتَ أمطار اللّظى احمرُّوا ورَفُّوا

قررَّ الأقطابُ حلّاً حاسماً
للمآسي، لحظةً تَابُوا وعَفُّوا

استشفُّوا أنَّ إقلاقَ الأسى
يطلقُ الأطفالَ. هذا ما استشفُّوا

انتهَتْ أخبارُنا فانتظروا
واستراحُوا ساعةً، غَنَّوْا وزفُّوا

يَخْلعُ الصَّمتُ هنا ألوانَهُ
يتعبُ التمزيقُ فيها ثُمَّ يرفُو

⊛⊛⊛

ثرثرات محموم

يناير 1974م

كـان يـحـكـي، يـبـكـي، يـجـيـبُ، يُـنـادي
يـدَّعـي، يـشـتـكـي، يـصـافـي، يُـعـادي

مـرحـبـاً يـا (سـعـيـدُ)، خـذْ نـورَ يـنـي
اسـكـتـي، هـاتِ بُـنْـدُقـي يـا (عُـبـادي)

غـادَرتْ عُـمْـقَـهَـا الـبـحـارُ وجـاءَتْ
ركـبـتْ ظـلَّـهَـا الـرِّمـالُ الـحَـوادي

* * *

هـل تـخـافـيـنَ أن أمـوت؟ حـيـاتـي
لـم تـحـقِّـقْ شَـيـئـاً يـثـيـرُ افْـتِـقـادي

كـنـتُ كـالآخـريـنَ، أمـشـطُ شَـعْـري
أنـتـقـي بـزَّتِـي، أبـيـعُ كَـسـادي

أشـتـري (ربـطـة)[1] وأصـحـو بـكـأس
وبـكـأسِ أُطـفـي شـمـوع سـهـادي

وأُوالـي بـلا اعـتـقـادٍ وأنـوي
سـحـقَ مَـنْ لـم يـتـاجـروا بـاعـتِـقـادي

---

(1) رَبطةٌ: حزمة قات

كـــلُّ هـــذَا عُـــمْـــري، وعـــمـــرٌ كَـــهـــذا
لا يُـــســـَـــاوي عـــذابَ يـــومِ وِلادي

* * *

اسقِـنـي يـا (صـلاح)، زدْ، مَـنْ دعَـانـي؟
يـا عـيـالَ الـكـلابِ ردُّوا جَـوادي

كـيـف أقـضـي دَيْـنـي ولـيـس بـبـيـتـي
غـيـرُ بـيـتـي ومِـعْـزفٌ غـيـرُ شـادي؟

والَّـذي كـانَ والـدي صَـارَ طـفـلـي
مَـن أُداري.. عـنـادَهُ أو عـنـادي؟

لـبِـسَـتْ قـامـةُ الـرِّيـاحِ جَـبـيـنـي
نـسـيَ الـلَّـيـلُ رجـلَـهُ فـي وِسَـادي

* * *

زَوَّجَـتْ بـنـتَـهَـا بـعـشـريـن ألـفـاً
بـاعَ (نـاجـي سـعـيـدُ) (زيـدَ الـجَـرادي)

كـلُّ آتٍ مَـضَـى، أتـى كـلُّ مـاضٍ
ضـاع فـي كـلِّ رايـحِ كـلُّ غَـادي

(مـا كَـفَـى واحِـداً كَـفـى اثْـنـيـنِ) قـالـوا
أكـلـونـي ويـحـذرونَ ازدرادي

ولأنّـي مُـجـوَّفٌ مـثـلُ غـيـري
بِـعْـتُ وجـهـي لـوجـهِ مـائـي وزادي

الـيـسـاريُّ رزقُ الـيـمـيـنـي، وقـالـوا:
اجْـودُ الـخُـبـزِ مِـنْ طـحـيـنِ الـتَّـعَـادي

مـن سيـعـطـي (سـعـداً) حُـسـامـاً بـصـيـراً
ثـالـثُ الـسَّـاعـدَيْـنِ ذيـلُ جِـيـادي

* * *

ذاتَ يـومٍ كـانـتْ مـمـرّاتُ (صـنـعـا)
مـن نـبـيـذٍ ومِـنْ زهـورٍ نـوادي

تَـتَـهَـادى الـنُّـجـومُ فـي كـلِّ دَرْبٍ
كـالـغَـوانـي.. فـأيـنَ ذاكَ الـتَّـهَـادي؟

سـألـوا مـن أنـا، وصـرَّحـتُ بـاسْـمـي
كـامـلاً، أنـكـروا بـأنّـي (مُـرادي)

قلت: (إبِّي)، (عَنْسي)، (زبيدي).. أشاروا
الـرِّيـالاتُ نـسـبـتـي وبـلادي

أضـحـكـتْـهُـمْ كـتـابـةُ اسْـمـي وفـوْراً
بَـيَّـضَـتْ خـضـرةُ الـنُّـقُـودِ مِـدادي

* * *

عـنـدهُ نـعـجـةٌ فـأمـسـى مـديـراً!
نـهـدُ أنـثـى مـؤهَّـلٌ غـيـرُ عَـادي

الـحـلـيـبُ الـذي يُـسـمَّـى جـلـوداً
طـازجـاتٍ أمـسـى سـريـرَ (ابْـنِ هـادي)[1]

قَـبْـلَ بـدءِ الـزَّواجِ طُـلِّـقَـتْ.. صَـارَتْ
كـلُّ زوجـاتِـهِـمْ خـيـولَ رُقـادي

---

(1) ابن هادي: اشتهر بالرشوة فسمّيت باسمه.

كـانَ يـخـشـى أبـي فَـسـادي ويـبـنـي
يـومَ عُـرْسـي رفـضْـتُ. . عـاشَ فـسـادي

كـنـتُ أعـتـادُهَـا (غَـزالاً) فـأضـحَـتْ
(فـاتـنـاً). ودَعِ الـهَـوَى يـا فُـؤادي

* * *

مـن أرادَ الـنَّـجـاةَ مـاتَ لـيـحـيـا
والـذي لـم يَـمُـتْ إلـى الـمـوتِ صـادي

سَـلَّحُـونـا (شـيـكـي)[1] وقـالـوا عـلـيـكُـمْ
وعـلـيـكـم. حَـسْـبَ الـقَـرارِ الـقـيـادي

كـانَ (يـحـيـى) كـالـتَّـيْـسِ يـعـدو ويـثْـغُـو
و(مـثـنَّـى) يُـلـقـي خِـطـابـاً (زيـادي)[2]

وهَـجَـمـنـا. مِـتْـنـا قـلـيـلاً، أفـقـنـا
مـوتُـنَـا كـانَ مـولِـداً لا إرادي

ورجـعـنـا ولـلـصـخـورِ عـيـونٌ
كـالـصَّـبـايـا ولـلـرَّوابـي أيـادي

انَّ تـحـتَ الـقـنـاعِ والـوجـهِ وجـهـاً
يـخـتـفـي تـحـتَ ظـهـرِهِ وَهْـوَ بـادي

صـاحـبُ الـواديَـيْـنِ دونَ تَـمَـنٍّ
نَـالَ ألـفـاً وبـاعَ مـلـيـونَ وادي

* * *

(1) شيكي: نوع من البنادق يكشف للعدو بإضاءته مصدر الرماية الليلية.

(2) زيادي: نسبة إلى زياد بن أبيه صاحب الخطبة الشهيرة (البتراء).

بـدءُ لـيـلـي حـبٌّ بـدونِ عـشـاءٍ
نـصـفُ يـومـي هـوىً وخـبـزٌ مُـعـادي

هـل سـأعـتـاد وجـهَ غـيـري بـوجـهِـي؟
زَعَـمُـوا، ربَّـمَـا أخـونُ اعـتـيـادي

قـالـتَ لـي: أنَّ ذا (أكـيـدٌ) ولـكـنْ
أيُّ شـيءٍ مـؤكَّـدٌ يـا (حَـمـادي)؟

آه مَـاذا أريـدُ؟ أدري وأنـسـى
ثـم أنـسـى أنِّـي نـسـيـتُ مُـرادي

* * *

كـان يـحـكـي وفَـتْـحَـتـا مُـقْـلـتـيْـهِ
مـثـلُ ثـقـبـيْـنِ فـي جـدارِ رمـادي

◎◎◎

الشاطئ الثاني

دمشق، أكتوبر 1974م

يـا وجْـهَـهَـا فـي الـشـاطـئ الـثَّـانـي
أسـرجْـتُ لـلإبـحـارِ أحْـزانـي

أشـرغـتُ يـا أمـواجُ أوردَتـي
وأَتـيـتُ وخُـدي فـوقَ أشـجَـانـي

ولـمـا أتـيـتُ.. أتَـيْـتُ مـلـتـمسـاً
فـرحـي وأشـعـاري وإنـسَـانـي

* * *

مِـنْ أيـنَ؟ لا أرجـوكِ لا تَـسَـلـي
تـدريـنَ. وجـهُ الـرِّيـحِ عـنـوانـي

لـو كـانَ لـي مـن أيـن؟ قـبـلَ هـنـا
قـدّرتُ أنَّ الـتِّـيـهَ أنـسـانـي

مِـنْ أيـنَ ثـانـيـةٌ وثـالـثـةٌ؟
أضـنـيـتُ بـحـثَ الـرَّدِّ، أضـنـانـي

مـن قـبـريَ الـجـوَّالِ فـي جـسـدي
مـن لا مـتـى، مـن مـوتِ أزمـانـي

مـن أخـبـرتْـنـي عـنـكَ؟ لا أحـدٌ
مَـنْ دلَّـنـي؟ عـيـنـاكِ، شـيـطـانـي

قـلـقـي، حـنـيـنُ الـعـمـرِ، عَـفْـرَتَـتِـي
فـي الـبـحـثِ عـن تَـزبـيـتِـكِ الـحـانـي

عــن نــبــضِ أعــراقــي وعــن لــغــتــي
عــن مــنــبــتــي مــن عــقــمِ أكــفــانــي

أَعَــلَــيَّ أفــنــى هــاهُــنَــا عــطــشــاً،
جــوعــاً وفــي كَــفَــيْــكِ بُــسْــتــانــي؟

* * *

حــانَ اقــتــرابــي مــنــكِ. أيــنَ أنــا؟
الــشَّــوقُ أقــصــانــي وأدنــانــي

مــن أيــنَ لــي، يــا ريــحُ مــعــجــزةٌ؟
يــا مــوجُ أيــنَ رأيْــتَ رُبَّــانــي؟

يــا صُــبْــحَــهــا مِــنْ أيــنَ؟ مُــدَّ يَــداً
يــا عــطــرَهَــا مِــنْ أيــنَ؟ نــادانــي؟

الــشــاطِــئُ الــلَّــهْــفَــانُ يــدفــعُــنــي
وأخــافُ هــذا الــمــعــبــرَ الــقــانــي

مِــنْ أيــنَ، يــا جَــذْلــى أمــدُّ فَــمــي
ويــدي إلــى بــســتــانِــكِ الــهــانــي؟

مِــنْ أيــنَ؟ إنَّ الــبــعــدَ قــرَّبــنــي
مِــنْ أيــنَ؟ إنَّ الــقــربَ أقــصــانــي

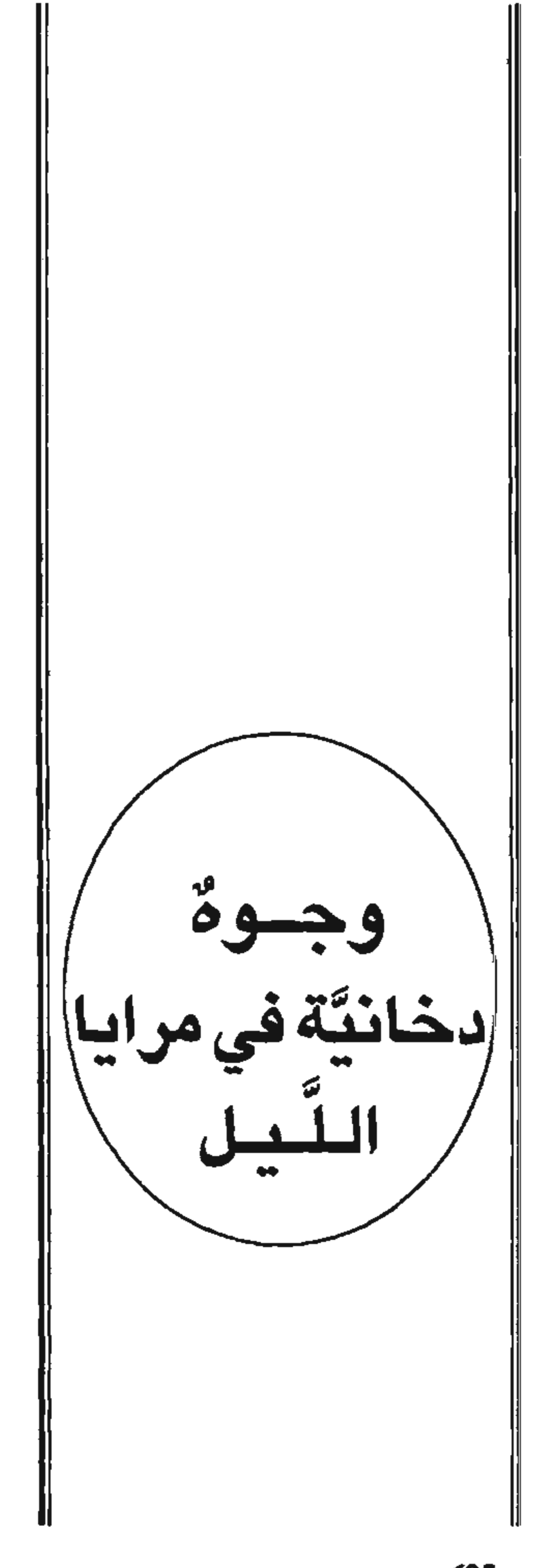
* * *

اليومَ كانَ البدءُ يا سفَري
وغداً سألقاها وتلقاني

فلْتَنْتَظِرْني حيثُ أنتَ غداً
يا وجهَها في الشاطئ الثاني

⊛⊛⊛


الناشيء



وجـوهٌ دخانيَّة في مرايا اللَّـيل


الناشيء

بين الرجل والطريق

(نوفمبر 1975م)

كان رأسي في يَدي مثلَ اللُّفافَةْ
وأنا أمشي كباعاتِ الصَّحافَةْ

وأُنادي: يا ممرّاتُ إلى
أَيْنَ تَنْجرُّ طَوابِيرُ السَّخافَةْ؟

يا براميلَ القماماتِ إلى
أينَ تمضينَ؟ إلى دُورِ الثَّقافَةْ

كُلُّ برمِيلٍ إلى الدُّورِ؟ نعم
وإلى المقهى جواسيسُ الخِلافَةْ

ثم ماذا؟ ورصيفٌ مثقلٌ
برصيفٍ، يحسبُ الصَّمتَ حَصافَةْ

* * *

هاهُنا قصفٌ، هنا يَهْمي دمٌ
ربَّمَا سمَّوْهُ توريدَ اللَّطافَةْ

ما الذي.. ؟ مَنْ أطلقَ النَّارَ؟.. سُدَىً
زادتِ النيرانُ والقَتْلَى كَثافَةْ

وزحامُ السُّوقِ يشْتَدُّ بِلا
نظرةٍ عَجْلَى، بلا أيِّ انعِطافَةْ

لـم يـعُـذ لـلـقـتـلِ وقـعٌ؟ رُبّـمـا
لـمْ تَـعُـذ لـلـشّـارِعِ الـدّاوي رَهـافَـةْ

لا فـضـولٌ يَـرْتَـئـي لا خـبـرٌ.
خـيـفَـةٌ كـالأمـن، أَمْـنٌ كـالـمَـخـافَـةْ

مـا الـذي. ؟ مـوتٌ بـمـوتٍ يـلـتـقـي
فـوقَ مـوتـي. مَـنْ رَأى فـي ذا طَـرافَـةْ؟

نـهـضَ الـمـوتـى، هـوى مَـنْ لَـمْ يَـمُـتْ
كـالـنُّـعـاسِ الـموتُ. لا شـيءَ خُـرافَـةْ

* *

يَـا عَـشـايـا، يـا هُـنـا، يـا ريـحُ مَـنْ
يـشْـتَـري رأسـي بـحـلـقـومِ (الـزَّرافَـةْ)؟

بـيـن رِجْـلـي وطـريـقـي جُـثَّـتـي
بـيـن كـفِّـي وَفـمـي عـنـفُ الـمَـسـافَـةْ

الـمُـحـالُ الآنَ يَـبْـدُو غـيـرَهُ
كـذَّبـتْ (عـرَّافـةُ الـجـوفِ) الـعَـرافَـةْ

هـاهُـنَـا أُلـقـي خُـطـامـي. حـسـنـاً
رُبَّـمـا تُـلـفـتُ عـمّـالَ الـنَّـظـافَـةْ؟

ربَّـمـا تـسـألُـنـي مـكـنـسـةٌ:
مـا أنـا أَوْ تـزدري هـذي الإضـافَـةْ

ذيـل:

ـ في البيت الخامس عشر (عرّافة الجوف) وهي رَبْعَة بنت سنان، وكانت تتهم النجوم إذا فشلت في تنبُّؤها عن المستقبل.

❂❂❂

زامر القفر العامر

مايو 1976م

تـغـنّـي؟ أغـانِـيـكَ بـيـنَ الـرُّكـامْ
عـيـونٌ يـفـتِّـتُـهُـنَّ الـزِّحـامْ

نُـهـودٌ تَـسـاقَـطُ مـثـلُ الـحَـصَـى
جـبـاهٌ يـمـزِّقُـهـا الارْتِـطـامْ

وأنـتَ تُـغـنِّـي بـلا مـبـتَـدا
بـلا خـبـرٍ عـن دُنُـوِّ الـخِـتـامْ

ووجـهُـكَ فـعـلٌ لَـهُ فـاعـلانِ
مـضـافٌ إلـى جـرِّ مـيـمٍ ولامْ

لـهـذا تُـغَـنِّـي بـدونِ انـقـطـاع
يَـثـورُ عـلـى وجـهِـكَ (ابْـنُ الـحَـرامْ)

عـلـى جـلـدِكَ الـبـنـكـنـوتـي عـلا
سُـعـالُ الـعَـشـايـا وبـيـعُ الـمَـنـامْ

وسـوفَ تُـغَـنِّـي إلـى أنْ يـرِفَّ
صـداكَ ربـيـعـاً ويـهـمـي حَـمـامْ

لأنَّـكَ أشـواقُ راعٍ بـ(إبٍّ)
وأحـلامُ فـلاَّحـةٍ فـي (شِـبـامْ)

وأعراسُ كاذيةٍ في (حَرازْ)
وأفراحُ سُنبُلَةٍ في (مَرامْ)

لأنَّ حروفَكَ عُشبِيَّةٌ
كعينيْكَ يا نبيَّ الاهتمامْ

تُزَمِّرُ للسهلِ كي يَشْرَئِبَّ
وللسفحِ كي يخلعَ الاحتِشامْ

وللمُنْحَنَى كي يمدَّ يديْهِ
ويُعلي ذَوائبهُ لليمامْ

وللبدرِ المُنْطَفي كي يُشِعَّ
ويورقَ في المِنْجَلِ الابتِسامْ

وللشَّمْسِ كي تجتلي أوجهاً
دُخانِيَّةً، في مَرايا الظَّلامْ

مِنَ الحَقْلِ جئتَ نبيّاً إليهِ
وما جئتَ مِنْ (هاشِمٍ) أو (هِشامْ)

أغانِيكَ بوْحُ رَوابي (العُدَيْنِ)
مُناكَ تَشهِّي دَوالي (رِجامْ)[1]

لأنَّ بقلبكَ صومَ الحُقُولِ
تُغنّي لِتَسْوَدَّ صفرُ الغَمامْ

---

(1) إبّ، شبام، حراز، مرام، العدين، رجام: أسماء مناطق من مختلف جهات اليمن

هـــواكَ اعـــتـــنـــاقُ الـــنَّـــدَى والـــغُـــصـــونِ
لأنَّ غَـــــرامَــــكَ غـــــيــــرُ الــــغَــــرامْ

تـــمـــوتُ أسَـــىً كـــي تُـــشـــيـــعَ الـــسُّـــرَورَ
تُـــغـــنِّـــي، وأَنـــتَ الـــقـــتـــيـــلُ الـــسَّـــلامْ

❂❂❂

صياد البروق

نوفمبر 1976م

وَحْدي، نعم كالبحرِ وحدي مـنّـي ولـي جَـزْري ومَـدِّي
وحـدي وآلافُ الــرُّبــا فـوقـي، وكـلُّ الـدّهـرِ عـنـدي
مـن جِـلْـدِيَ الـخَـشَـبـيِّ أَخْـ ـرُجُ، تـدخـلُ الأزمـانُ جِـلْـدي
مِـنْ لا مُـتـى آتـي، أعـو دُ مـضـيِّـعـاً قَـبْـلـي وبـعـدي
كـحـقـيـبـةٍ مـلأى ولا تـدري، كـبـابٍ لا يُـؤدّي
مـشـروعُ أغـنـيـةٍ بـلا صـوتٍ، كـتـابٌ غـيـرُ مُـجْـدي
شـيءٌ يُـخَـبِّـئُـني الـدُّجى فـي زرعِ سُـرَّتِـهِ وَيُـبْـدي
مـنَ تَـشْـتَـهـي؟ مَـنْ أنـتَ يـا جُنْدي؟ هَل اسْمي غيْرُ جُنْدي؟
حـاولْـتُ مـثـلَـكَ مـرَّةً أبـدُو ذَكـيّـاً. ضـاعَ جُـهْـدي
مـن أنـتَ يـا مَـجْـدي أفـنْـ ـدي؟ قال لي: (مَجْدي أفَنْدي)
مـاذا تُـضـيـفُ إلـى الـغُـرُو بِ إذا وصـفـتَ الـلَّـونَ وزْدي؟
هـل أنـتَ مِـثْـلـي؟ أكْـشِـفُ الْـ ـمَكْشُوفَ حينَ يغيمُ قَصْدي؟
مـثـلـي ركـبـتَ ذُرا الـمَـشِـيْـ ـبِ وما وصلتَ سفوح رُشْدي

* *

أسـرعْ، ويـنـجـرُّ الـطَّـريـ ـقُ وينثَني. يَغْمى ويهْدي
قَـفْ عـنـدَ حَـدِّكَ حـيـثُ أنْـ ـتَ وهَـلْ هُـنـا حـدٌّ لِـحَـدِّي؟
كـانـوا هُـنـالِـكَ يـضْـحَـكُـو نَ، يُـودِّونَ فـم الـتَّـعَـدِّي

بـاسْـمـي يُـوَشُّـونَ الـخِـيـا نَـةَ يـسـفَـحُـونَ دَمـي بِـزَنْـدي
بـي يـرفـلـونَ لـيـخْـفِـرُوا بـيـديَّ فـي فـخـذيَّ لَـخـدي
فـأمُـوتُ، لـكـنْ يـغـتَـلـي فـي كـلِّ ذرَّاتـي الـتَّـحَـدِّي
أهـوي بـلا كـفَـنٍ، تَـزْ فَـعُ جـبـهَـتـي لـلـشَّـمـسِ بَـنْـدي
مـاذا؟ وأيـنَ أنـا؟ وَأَصْـ ـعَـدُ مـن قـراراتِ الـتَّـرَدِّي
بـعـدَ اعـتـصـارِ الـكَـرْمِ يُـنْـ ـشِـدُكَ الـرحـيقُ: بـدأتُ عَـهْـدي
سـتـصـيـرُ يَـا هـذا الَّـذي أدعـوهُ قَـبـري الآنَ مَـهْـدي
وأجـيءُ مـن نـارِ الـبُـرُو قِ يُـسـنْـبِـلُ الأشـواقَ رَغْـدي

❁ ❁ ❁

مأساة حارس الملك

أكتوبر 1976م

سـيِّـدي هـذي الـرَّوابـي الـمُـنـتِـنَـةْ
لـمْ تَـعُـدْ كـالأَمـسِ كـسـلـى مُـذْعِـنَـةْ

(نُـقُـمٌ)[1] يـهـجـسُ، يُـغـلـي رَأسَـهُ
(صَـبِـرٌ)[2] يَـهْـذي، يـحـدُّ الألْـسِـنَـةْ

(يَـسْـلَـحٌ) يُـومـي، يـرى مـيـسـرةً
يَـرْتَـئـي (عـيـبـان)، يَـرْنُـو مـيـمـنَـةْ

لـذُرا (بَـغـدانَ) أَلْـفـا مُـقْـلـةٍ
رفـعَـتْ أنـفـاً كَـأَعْـلَـى مِـئـذَنَـةْ

اقـتـلـوهـم واسْـجُـنُـوا آبـاءهـمْ
واقـتُـلـوهُـمْ بَـعْـدَ تـكـبـيـلِ سَـنَـةْ

أمـرَكُـمْ، لـكـنْ، ولـكـنْ مـثـلُـهُـمْ
سَـيِّـدي هـذي أسـامـي أَمْـكِـنَـةْ

هَـمْ شـيـاطـيـنُ، أنـا أعـرفُـهُـمْ
حـيـنَ أسْـطُـو يَـدَّعُـونَ الـمَـسْـكَـنَـةْ

(صَـبِـرٌ) وغـدٌ، أنـا رقَّـيْـتُـهُ
كـانَ خَـبَّـازاً، أُحِـلُّـهُ مِـعْـجَـنَـةْ

---

(1) نقم وعيبان: جبلان مطلان على (صنعاء).

(2) صبر: جبل مطل على (تعز)، يسلح: ربوة بين منطقة (صنعاء) والمناطق الوسطى.

(نُـــقُـــمٌ) كـــانَ حِـــصـــانـــاً لأبـــي
اطـــحـــنــوه عـــلَـــفـــاً لـــلأحْـــصِـــنَـــةْ

أقـــتـــلـــوا (يَـــسْـــلَـــحَ) ألـــفَـــيْ مَـــرّةٍ
اسْـحَـبُـوا (عَـيـبـانَ) حَـتَّـى (مـوسِـنـةْ)[1]

اقـــلـــعـــوا (بَـــغْـــدانَ)[2] مـــنْ أغْـــراقِـــهِ
انـــقـــلـــوا نـــصـــفَ (بـــكـــيـــلٍ) (مَـــقْـــبَـــنَـــةْ)[3]

* * *

أمـــرَكُـــمْ لـــكـــنْ، ولـــكـــنْ اقـــطـــعـــوا
رأسَـــهُ دَعْ عَـــنْـــكَ هـــذي الـــلَّـــكْـــنَـــنَـــةْ

عـــنْ أبـــي، عـــن جـــدّه مـــمـــلـــكـــتـــي
طـــلـــقـــةٌ بـــثَّـــتْ خُـــيُـــوطَ الـــعَـــنْـــعَـــنَـــةْ

ســـيِّـــدي إطـــلاقُ نـــارٍ.. رُبَّـــمـــا
ثـــورةٌ، قُـــلْ تـــســـلـــيـــاتٌ مُـــخْـــزِنَـــةْ

* * *

هـــاجـــسٌ فـــي صـــدرِ مَـــوْلانـــا أتـــتْ
مَـــنْ تَـــخَـــوَّفْـــتَ. أكـــانـــتْ مُـــمْـــكِـــنَـــةْ؟

آخـــرُ الـــهـــمـــسِ ســـكـــوتٌ أوْ لَـــظَـــى
أوّلُ الـــعَـــزْفِ الـــمُـــدَوّي دَنْـــدَنَـــةْ

---

(1) موسنة: منطقة تبعد عن (عيبان) بأكثر من 100 كيلو متر، وهي في (حراز).
(2) بعدان: مجموعة جبال محزَّمة بالقرى والحقول.
(3) مقبنة: منطقة قريبة من (تعز)، كانت تخضعها وما حولها رجال منطقة (بكيل) الواقعة شمال (اليمن).

الـجـهـاتُ الأربـعُ احـمـرَّتْ، عَـوَتْ
السـمـاءُ الآنَ صـارَتْ مِـدْخَـنَـةْ

مـهـرجـانٌ دمـوِيٌّ. مـا الَّـذي
شَـبَّ عـيـنَـيـهِ؟ وَمَـنْ ذا لَـوَّنَـهْ؟

الـشـيـاطـيـنُ الـذيـنَ انـفـلـتُـوا
عـرفُـوا أدْهَـى فـنـونِ الـشَّـيـطَـنَـةْ

* * *

امْـضِ يـا جُـنْـدي ومـزِّقْـهُـمْ. نـعـم
فـرصـةٌ أخـرجُ، أزمـي الـسَّـلْـطَـنَـةْ

أُشـعِـرُ الـثُّـوارَ أَنّـي مـنـهـمـو
سـوفَ تـبـدُو سـيِّـئـاتـي حَـسَـنَـةْ

لـسـتُ مـن عـائِـلـةِ الأَسْـيـادِ يـا
إخـوتـي. إنـي (مـثـنّـى مُـخْـصَـنَـةْ)

إنـنـي سـيـفٌ لِـمَـنْ يـحـمِـلُـنـي
خـادمُ الأسـيـادِ كـلَّ الأزمـنَـةْ

كـنـتُ فـي كَـفَّـيْ (أَبـي جَـهْـلٍ) كَـمـا
كـنـتُ فـي تِـلـكَ الأَكُـفِّ الـمُـؤمِـنَـةْ

فـي فـمـي (أُرْجَـوزَتـا هـنـدٍ) كَـمـا
فـي فـمـي (الأعـرافُ) و(الـمـمـتَـحَـنَـةْ)

كـنـتُ فـي كَـفَّـيْ (يَـزِيـدٍ) شـعـلـةً
فـي يـدِ (الـسِّـبْـطِ) شَـظـايـا مُـثْـخَـنَـةْ

وتَمَضْعَبْتُ بكفَّيْ (مُصْعَبٍ)
و (لمروان) حَذِقْتُ المَرْوَنَةْ

أعرفُ الموتَ (مقاماتٍ) هُنا
هاهُنا أشدوُ المَنايا (المَيْجَنَةْ)

ينتضيني مَنْ يُسَمَّى سَيِّداً
أو هجيناً، واليدُ المستهْجَنَةْ

إنّني للمُغْتَدي، بي يَغْتَدي
للمُضَحّي، بي يُفَدّي مَوْطِنَهْ

حينَ قُلْتُمْ: ثورةٌ شَعْبِيَّةٌ
جئتُكُمْ أشتاقُ كَفّاً مُتْقِنَةْ

رافِضاً كالشَّعبِ أنْ يُدمِيَني
(أَخْزَمٌ) ثانٍ جديدُ (الشِّنْشِنَةْ)[1]

عَلَّمتْ خطوي حماساتُ الذُّرا
قلقَ الرِّيحِ وفَنَّ المكْنَنَةْ

لا عِيالي شَكَّلوا مبخلةً[2]
لِيَدَيَّ، لا بناتي مَجْبَنَةْ[3]

* * *

صِرتُ غَيري، ولَعَيْنَيْ موطِني
صغتُ جُرحي أنجماً مستوطِنَةْ

---

(1) الشنشنة: الطبيعة أو العادة السيئة، وفيها إشارة إلى المثل العربي (شنشنة أعرفها من أخزم) تعبيراً عن العقوق.

(2) مبخلة: أسباب البخل

(3) مجبنة: أسباب الجبن وفي الأثر (الأولاد مجبنة مبخلة).

عن مَماتي وردةٌ تحكي، وعن
مَوْلدي في الموتِ تُنبي سَوسَنةْ

* * *

فترةً، وارتدَّ مولانا إلى
ألفِ مَوْلى، سلطناتِ (كَوْمَنَةْ)[1]

أيَّ نفعٍ يجتني الشَّعْبُ إذا
ماتَ (فرعونُ) لتَبْقى الفَرْعَنَةْ؟

نفسُ ذاكَ الطَّبلِ أضحى ستَّةً
إنَّما أخوى وأعلى طَنْطَنَةْ

يَمْنُوني، يَسُرُوني، تَوَّجُوا
مَنْ دَعَوْها الوسَطَ المُتَّزِنَةْ

جاءَنا المحتلُّ في غيرِ اسْمِهِ
لبِسَتْ وجهَ النبيِّ القَرْصَنَةْ

سادتي عَفواً، سَتَبْدو قصَّتي
عندَكُمْ عاديَّةً مُمْتَهَنَةْ:

كنتُ سَجّاناً أدقُّ القيدَ عَنْ
خبرةٍ؛ صرتُ أُجيدُ الزَّنْزَنَةْ

أقتلُ المقتولَ، أُدميهِ إلى
أن أرى الأسرارَ حُمْراً مُعلَنَةْ

(1) الكومنة: ادّعاء الشجاعة في اللهجة المحلية.

قَــدَ تَــطَــوَّرْتُ عــلــى تــطــويــرِهِــمْ
وأَنَــا نــفــسُ الأَداة الــمُــوْهَــنَــةْ

مِــحْــنَــتــي أَنــي، كَــمــا كــنــتُ لــمــنْ
هــزَنــي، مــأســاةُ عُــمْــري مُــزْمِــنَــةْ

⊚⊚⊚

الأخضر المغمور

يناير 1976م

لـكـي يـسـتـهـلَّ الـصـبـحُ مـن آخـرِ الـسُّـرى
يـحـنُّ إلـى الأسـنـى ويـعـمـى لـكـي يَـرَى

لـكـي لا يـفـيـقَ الـمـيِّـتـونَ، لـيـظْـفَـرُوا
بـمـوتٍ جـديـدٍ؛ يُـبْـدِعُ الـصـحـوَ أغْـبَـرا

لـكـي يُـنـبِـتَ الأشـجـارَ يـمـتـدُّ تُـربـةً
لـكـي يـصـبـحَ الأشـجـارَ والـخـصـبَ والـثَّـرَى

لـكـي يـسـتـهـلَّ الـمـسـتـحـيـلُ كـتـابَـهُ
يـمـدُّ لَـهُ عـيـنـيْـهِ حِـبْـراً ودفـتَـرا

لأنَّ بـهِ كـالـنَّـهـرِ أشـواقَ بـاذِلٍ
يـعـانـي عـنـاءَ الـنَّـهـرِ، يـجـري كـمـا جَـرَى

يـروي سـواهُ وهـو أظـمـا مـن الـلَّـظَـى
ويـهـوي لـكـي تـرقَـى الـسـفـوحُ إلـى الـذُّرا

لـكـي لا يـعـودَ الـقـبـرُ مـيـلادَ مـيِّـتٍ
لـكـي لا يُـوالـي قـيـصـرٌ عَـهْـدَ قَـيْـصَـرا

لأنَّ دمَ (الـخـضـراءِ) فـيـهِ مـعـلَّـبٌ
يـذوبُ نـدَىً، يـمـشـي حـقـولاً إلـى الـقُـرَى

لأنَّ خطاهُ تُنبِتُ الوردَ في الصفا
وفي الرَّملِ أضحى يعشقُ الحسن أحمرا

هُنا أَوْ هُنا يَنْمُو، لأنَّ جذورَهُ
بكلِّ جُذورِ الأرضِ ورديَّةُ العُرَا

وعن أعينِ (الغِيلانِ) يركضُ حافِياً
ويجترُ من أحجارِ (عيبانَ) مئزَرا

يقولونَ: من شكلِ الفوارسِ شكلُهُ
نَعَمْ، ليس (تكسيّاً) لِمَنْ قاد واكتَرَى

له (عبلةٌ) في كلِّ شبرٍ ونسْمَةٍ
وما قالَ: إنّي (عَنْتَرٌ) أو تَعَنْتَرا

ولا كانَ دلاّلَ المَنايا حصانُهُ
ولا باعَ في سوقِ الدّعاوى ولا اشْتَرَى

يحبُّ لذاتِ البذلِ، بالقلبِ كلِّهِ
يحبُّ ولا يدري ولا غيرُهُ دَرَى

لأنَّ بِهِ سِرَّ الحُقُولِ تُحِسُّهُ
يشعُ ويندَى، لا تعي كيفَ أَزْهَرا

حكاياتُهُ لونٌ وضوءٌ، عرفتُهُ
كشعبٍ كبيرٍ وهوَ فَردٌ من الوَرَى

بسيطٌ كـ(قاعِ الحقلِ)، عالٍ كـ(يافعٍ)
عميقٌ، كما تكسو العناقيدُ (مِسْوَرا)[1]

(1) قاع الحقل، يافع، مسور: مناطق يمنية خصبة.

ومــن أيــنَ؟ مــن كــلِّ الــبِــقــاعِ، لأنَّــهُ
يــجــودُ، ولا يــدرونَ مِــنْ أيــنَ أمْــطَــرا

يــغــيــمُ، ولا يــدرونَ مــن أيــنَ يَــنْــجَــلــي
يــغــيــبُ، ولا يــدرون مــن أيــنَ أسْــفَــرا

وقــد يــعــتــريــهِ الــمــوتُ مــلــيــونَ مــرَّةٍ
ويــأتــي ولــيــداً نــاســيــاً كُــلَّ مــا اعــتَــرَى

تَــدُلُّ عــلــيــهِ الــرِّيــحُ هَــمْــســاً إلــى الــضُّــحَــى
وتــروي عَــطــايــاه الــعَــشــايــا تَــفَــكُّــرا:

هُــنــاكَ شَــدا كــالــفــجــرِ، أورقَ هــاهُــنَــا
هُــنــا رفَّ كــالــمَــرْعَــى، هــنــالــك أثْــمَــرا

لأنَّ خُــطــاهُ بــرعَــمَــتْ شــهــوةَ الــحَــصَــى
لأنَّ هــــواهُ فــــي دمِ الــــبــــذرِ أقــــمَــــرا

تُــرَى مــا اسْــمُــهُ؟ لا ـــرفُ الــنــاسُ مــا اسْــمُــهُ
وســوفَ تــســمِّــيــهِ الــعــصــافــيــرُ أخْــضَــرا

○○○

المحكوم عليه

أغسطس 1975م

قيلَ عن (ميمَ نونَ) أضحَى مُهِيلا
هل تَحرَّيتَ أنتَ؟ ما نَفْعُ قيلا!

اشترى مرَّةً أمامي كتاباً
اسْمُهُ (كيف تقهرُ المُسْتَحِيلا؟)

ومَضَى شاهراً لهُ كأميرٍ
أُمويٍّ يَهُزُّ سيفاً صقيلا

راح يُومي إلى الوزاراتِ، يحكي
لصديقَيْنِ: سوفَ نَشفي الغليلا

قلتُ: هَلْ صارَ ثائراً؟ وعلى مَنْ؟
وهوَ مِنّا. هل يصبحُ الهِرُّ فيلا؟

ذاتَ يومٍ رأيتُهُ وَسْطَ مقهَىً
ورآني، أغضى ومالَ قليلا

كان في حَلْقةٍ مِنَ النّاسِ، يُبْدي
مِنْ نَزاهاتِهِ شُروقاً بليلا

قسّمَ الثائرينَ صِنفيْنِ. صِنفاً
منفعيّاً، صِنفاً نقيّاً أصيلا

لاحَ لي كالمُريبِ، لا بل تبدَّى
كخطيرٍ يريدُ أمراً جليلا

دَسَّ يَوْماً في جيبِهِ شبهَ ظرفٍ
قُرمُزِيٍّ، لمحتُهُ مُسْتَطِيلا

مرَّةً اشترى الجريدَةَ، سَمَّى
نصفَها خائناً ونصفاً دَخِيلا

(كي أُنمّي أُمَيَّتي أشتريها)
أعجبَ العابرينَ، أرضى (خليلا)

صنَّفَ الكاتبينَ. هذا عميلاً
لعميلٍ وذا دَعاهُ العَمِيلا

كان يرنو إليهِ كلُّ رصيفٍ
مثلَ مَنْ يَجتَلي غُموضاً جَمِيلا

سكنَ (القاعَ) مدَّةً و(شُعُوباً)[1]
نصفَ شهرٍ وحلَّ شهراً (عَقيلا)

أجَّرَ الدُّورَ باسْمِ بِنتِ أخيهِ
واكترى في (المَطيطِ) بيتاً نحيلا

وعلى الذِّكرِ كم لديه بيوتٌ؟
تِسعةٌ. . هَلْ تَراهُ رَقماً ضئيلا؟

ابتنى منزلَينِ وهوَ وزيرٌ
سبعةً عندما تولَّى وكِيلا

---

(1) القاع، شعوب، عقيل، المطيط: أسماء أحياء في صنعاء، ويسمّى الأخير مضافاً (شارع المطيط).

كـــان لِـــصّــاً مــحــصَّــنــاً إن تــولّـــى
وطــنــيّـــاً إذا غَـــدا مـــســتــقــيـــلا

يـشـتـهـي الآن مَـنـصِـبـاً . . ذاكَ سـهـلٌ
وهـو يـدري إلـى الـوصـولِ الـسَّـبِـيـلا

عــلَّ أســيـــادَهُ الَّـــذيـــن امــتــطــوْهُ
أنــفــذوهُ، بــل واسـتَـجـادُوا الـبَـديـلا

لــم يــكــنْ ثــائــراً عــلــى أيِّ حــالٍ
إنَّـــمـــا قَـــدْ يــثـــوِّرُ الآن جِـــيْـــلا

يَــسْــتــفِــزُّ الــرُّكــودَ أيُّ ضــجــيــجٍ
أوَّلُ الانــفــجــارِ يــبــدو فَــتــيــلا

* * *

خــمــســةٌ يــقــبـضــونَ فــوراً عَــلــيــهِ
احــتــيــاطــاً . . لــقــد مَــلَــكْــنــا الــدَّلــيــلا

ســيِّــدي، لَــمْ نَــجِــدْهُ فــي أيِّ شــبــرِ
ابــحــثــوا جــيِّــداً . . بَــحَــثْــنــا طَــويــلا

هــاتِ يــا (مــيــمُ خــا . .) ثــلاثــيــنَ عَــيْــنــاً
انــتــخــبْ أنــتَ مــن تــراهُ كَــفِــيــلا

لـــم نـــجـــدْهُ، يـــقـــولُ عـــنـــهُ أُنـــاسٌ
إنَّـــهُ كـــالـــرِّيـــاحِ يَـــهْـــوَى الـــرَّحـــيـــلا

لـم نـجـدْهُ . . صـوتٌ: قَـبَـضْـنـا عَـلـيـهِ
ألـــبـــســـوهَ ســـوطـــاً وقـــيـــداً ثـــقـــيـــلا

أنـــزِلـــوهُ زِنْـــزانَـــةً، أنـــتَ أدْرى
يـا أبـا الـضـربِ كـيـفَ تَـرْعَـى الـنَّـزِيـلا

* * *

كـيـفَ نـلـقـى يـا (مـيـمَ نـونَ) خَـلاصـاً
سـاءَنـي أنْ أرَى الـعـزيـزَ ذَلـيـلا

أنـتَ أغْـلَـى أحِـبَّـتـي مـن زمـانٍ
كـنـتَ شَـهْـمـاً ومـا تـزالُ نَـبِـيـلا

إنَّ عـنـدي رَأيـاً، عـسـى تَـرْتَـضِـيـهِ
لـيـسَ مِـنْ عـادَتـي أردُّ الـزَّمِـيـلا

مـنـزلاً لـلـمـديـرِ.. أكـتـبْـه بـيْـعـاً
سـوف يُـنْـجِـيـكَ.. هَـلَ تـمـوتُ بَـخـيـلا؟

لـم يـوافـقْ.. اضـربْـهُ حَـتَّـى تُـلاقـي
نـصـفَـهُ مـيِّـتـاً ونـصـفـاً عَـلـيـلا

وهـنـا ضـجَّ حـارسٌ كـان يُـصـغـي
مـا لَـكُـمْ يـأكـلُ الـمَـثِـيـلُ الـمـثـيـلا

مـثـلُـكُـم كـان ثـائـراً، فـرجـعـتُـمْ
نـصـفَ مِـيـلٍ فـتـابَ وارتـدَّ مـيـلا

كـلُّ مـا بَـيْـنَـكُـمْ.. سـقـطـتُـمْ عُـراةً
وهَـوَى حـامـلاً رداءً غَـسِـيـلا

هَـلْ تُـريـدونَ قَـتْـلَـهُ؟ مـاتَ يـومـاً
مـثـلَـكُـمْ.. كـيـف تَـقْـتُـلونَ الـقَـتـيـلا؟

ooo

أمام المفترق الأخير

مارس 1975م

يـا شـعـرُ، يـا تـاريـخُ، يـا فـلـسـفـةْ
مـن أيـنَ يَـأتـي، قـلـقُ الـمَـعْـرِفَـةْ؟

مـن أيـنَ يـأتـي؟ كـلُّ يـوم لـهُ
غـرابـةٌ، رائـحـةٌ مُـزْجِـفَـةْ

نـألـفُـهُ شـيـئـاً، فـيـبـدو لـنـا
غـيـرَ الـذي نـعـتـادُ، كـي نـألـفَـهْ

لـكـنْ لَـهُ فـي كـلِّ يـوم فَـمٌ
ثـانِ، يَـدٌ ثـالـثـةٌ مُـرهَـفَـةْ

حـيـنـاً لـهُ كِـبْـرٌ وحـيـنـاً لَـهُ
تـواضـعٌ أغـبـى مـن الـعَـجْـرَفَـةْ

وتـارةً تـعـلـو وتـهـوي بـهِ
أجـنـحـةٌ غـيـمـيَّـةُ الـرَّفْـرَفَـةْ

أصَـمُّ كـالأحـجـارِ، لـكـنَّـهُ
يَـذْوي ولا صـوتٌ لـهُ، لا شَـفَـةْ

يَـنْـوي كَـفـنّـانٍ بـلا فـكـرةٍ
يـغـلـي كـطـيـشِ الـفـكـرةِ الـمُـلْـحِـفَـةْ

نُحِسُّ أنّا مأساويُّونَ، لا
نملكُ للمأساةِ غيرَ الصَّفَةْ

يَجْترُّنا الخبزُ فتقتاتُنا،
من قبلِ أن نشتمَّها الأرغِفَةْ

نموتُ ألفَيْ مرَّةٍ كي نَرَى
كلَّ يدٍ مشبوهةٍ مُسعِفَةْ

* * *

يا دورُ، يا أسواقُ ماذا هُنا؟
موتٌ تُغاوي وجْهَهُ الزَّخْرَفَةْ

رعبٌ صليبيٌّ، لهُ أعينٌ
خضرٌ وأيدٍ بَضَّةٌ متلِفَةْ

يا (فُندقَ الزهرا) مُحالٌ تعي
قضيَّةَ (المَنْصُورةِ) المُؤسِفَةْ

ويا (مَخا)[1] ماذا سَيبدُو إذَا
تقيَّأَتْ أسْرارَها الأغْلِفَةْ؟

تَفنَّنَ الموتُ فأَضحَى لَهُ
جلدٌ أنيقٌ، مُدْيَةٌ مُترفَةْ

يَمتَصُّ بالقتْلِ الحريري كَما
يجتاحُ بالوحشيَّةِ المُسرِفَةْ

(1) المخا: فندق بصنعاء، والمنصورة: حي شعبي جوار (فندق الزهراء) بصنعاء أيضاً.

يُــــلَــــمِّـــــعُ الأوبــــاءَ كــــي تــــرتـــدي
بــــراءةَ أظــفــارِهــا الــمُــجْــحِــفَــةْ

* * *

مــن أيــنَ نــمــشــي يــا طــوابــيــرُ، يــا
ســوقــاً مِــنَ الأنْــيــابِ والــهَــفْــهَــفَــةْ؟

مِــنْ أيــنَ يــا جــدرانُ، يــا خِــبــرةً
تُــزوِّقُ الــتــمــويــتَ، والــسَّــفْــسَــفَــةْ؟

مــن هــاهُــنــا أو مِــنْ . . وتَــجْــتــازُنــا،
مــن قــبــلِ أن نــجــتــازَهــا الأرصِــفَــةْ،

هــل نــنــثــنــي يــا شَــوْط؟ هــل يــنــثــنــي
نــهــرٌ يُــريــدُ الــعُــشْــبُ أن يــوقِــفَــهْ؟

هُــنــا طــريــقٌ لا يُــؤدّي، هُــنــا
دربٌ إلــى الــرّابــيَــةِ الــمــشــرِفَــةْ

هــذا عــنــيــفٌ ولــهُ غــايــةٌ
وذا بــلا قــصــدٍ ومــا أعــنَــفَــهْ

* * *

هاتف وكاتب

مايو 1975م

اكْــتُــبْ، لا تَــتَــعــطَّــلْ   مــا أقــســى أَنْ أَفْــعَــلْ
صــارت كــفِّــي رِجْــلاً   مــا جــدوى أن تَــكْــسَــلْ؟
لــمْ أســتَــولِــدْ حَــرْفــاً   جــدِّدْ حــرفــاً مُــهْــمَــلْ
تــدري، لــلــحــرفِ صــبــاً   يــفــنــى وصــبــاً يــحــبــلْ

* * *

مــن يُــخْــرِجُــنــي مــنّــي؟   الــبــحــثُ عــنِ الــمَــدْخَــلْ
الــخــفــضُ إلــى الأعــلَــى   الــرفــعُ إلــى الأسْــفَــلْ
الــتَّــوقُ إلــى الأَقْــسَــى   الــصــدُّ عَــنِ الأسْــهَــلْ
الــمــوتُ إلــى الأَنْــهَــى   الــبــدءُ مــنَ الأَصْــلْ

* * *

اكْــتُــبْ شِــعْــراً، فــكْــراً   أنــفــاســاً تَــتَــشَــكَّــلْ
تــمــهــيــداً، عــنــوانــاً   تــفــعــيــلاتِ أفــعــلْ
اهْــمِــسْ شــيــئــاً، حــتَّــى   كــالــقــمــح إلــى (الــمِــنــجــلْ)
هــمــسُ الأرضِ الــوَجْــعــى   فَــنٌّ عــنــدَ الــجَــدْوَلْ
ولِــخــفــقِ الــبــذرِ صــدًى   فــي إبــداعِ الــمَــشْــتَــلْ

* * *

أَتَــرانــي مــخــنــوقــاً؟   اهْــمِــسْ، لا تَــتَــمَــهَّــلْ
جَــرِّبْ، فــلــديــكَ فَــمٌ   وجــنــونٌ يَــتَــعــقَّــلْ

قَـــتَـــلـــونـــي، مـــرَّاتٍ اكـــتـــبْ كـــي لا تُـــقـــتَـــلْ
بـــدمِ الـــمَـــوْتِ الـــثَّـــانـــي تـــمـــحـــو الـــمـــوتَ الأَوَّلْ
حـــاولْ. حـــاولـــتُ بـــلا جَـــدْوَى. مـــاذا أَعْـــمَـــلْ؟

* * *

اشـــتَـــقْـــتَ كـــمـــا يـــبـــدو مـــاذا؟ طـــفـــحَ الـــمِـــرْجَـــلْ
شـــهـــواتُ الـــحـــبـــرِ عـــلـــى شَـــفَـــتَـــيْـــكَ دَنَـــتْ تَـــســـأَلْ
تَـــتَـــشَـــكَّـــلُ أقـــبـــاســـاً أكـــواخـــاً تَـــتَـــأَمَّـــلْ
مَـــشْـــرُوعـــاً جـــذريّـــاً يـــنـــســـى أَنْ يَـــتَـــأَجَّـــلْ
أطـــفـــالاً، أبـــطـــالاً أشـــجـــاراً تـــتـــهـــدَّلْ

* * *

أظَـــمِـــئْـــتَ الآنَ، ولا تَـــدْري مـــاذا تَـــنْـــهَـــلْ؟
اســـتـــقـــبـــلْ مـــا يَـــأْتـــي وتَـــخَـــيَّـــرْ مـــا تَـــقْـــبَـــلْ
آتـــي الـــمـــاضـــي أدهـــى مـــاضـــي الآتـــي أعـــضَـــلْ!
فـــلْـــتَـــكْـــتُـــبْ تـــحـــقـــيـــقـــاً عـــن مـــاضـــي الـــمُـــسْـــتَـــقـــبَـــلْ
عـــن أحـــجـــارٍ طـــارتْ وصـــقـــورٍ تَـــتَـــرَجَّـــلْ
عـــن مـــاءٍ صـــارَ دَمـــاً ودمٍ أمْـــسَـــى مـــخـــمَـــلْ
عـــن تـــاريـــخٍ ثـــانٍ عـــن أشـــغـــالٍ تُـــشْـــغَـــلْ
عـــن (صـــنـــعـــا) ثـــانـــيـــةً مـــن ضُـــرَّتِـــهـــا تـــرْحَـــلْ
عـــن وجـــهِ (يَـــزَنِـــيٍّ) ولَّـــى وأتـــى أجـــمـــلْ
عـــن مـــعـــنَـــىً لا يـــعـــنـــي عـــن خَـــجَـــلٍ لا يَـــخْـــجَـــلْ
عـــن حـــيٍّ لا يـــحْـــيَـــا عـــن قَـــبْـــرٍ يَـــتَـــغَـــزَّلْ
عـــن مَـــيْـــتٍ يـــتَـــنَـــدَّى مـــولـــوداً مُـــسْـــتَـــعْـــمَـــلْ

عـــــن زوايـــــةٍ وَلَـــــدَتْ ثـــوريّـــاً مُـــســـتـــعـــجَـــلْ

* * *

مَـــنْ يُـــعـــطـــيـــنـــي لـــغـــةً أعـــلَـــى ويـــداً أطـــوَلْ؟

لـــوْ لـــي صـــوتٌ أعـــتـــى لـــوْلـــي حـــبـــرٌ أقْـــتَـــلْ

اكْـــتُـــبْ عَـــمّـــا تَـــدْري تـــســـتـــكْـــشِـــفْ مَـــا تَـــجْـــهَـــلْ

ooo

مُغَنٍّ تحت السَّكاكين

يناير 1975م

بـعـيـنـيـهِ حُـلُـمُ الـصَّـبـايـا وفـي
حـنـايـاه مـقـبـرةٌ مـسـتـريـحَـةْ

لِـنـيـسـانَ يـشـدو وفـي صـدرِهِ
شـتـاءٌ عـنـيـفٌ، طـيـورٌ جـريـحَـةْ

بـلادٌ تـهُـمُّ بـمـيـلادِهـا
بـلادٌ تـمـوتُ وتـمـشـي ذبـيـحَـةْ

بـلادانِ داخـلَـهُ.. هـذهِ
جـنـيـنٌ وهـذي عـجـوزٌ طـريـحَـةْ

وآتٍ إلـى مـهـدِهِ يَـشْـرَئِـبُّ
ومـاضٍ يَـئِـنُّ كـشـكـلـى كَـسـيـحَـةْ

زمـانـانِ داخِـلَـهُ. يـغـتـلـي
دجَـىً كـالأفـاعـي وتـنـدى صـبـيـحَـةْ

ورُغْـمَ صـريـرِ الـسَّـكَـاكِـيـنِ فـيـهِ
يُـغـنِّـي، يُـغـنِّـي ويـنـسـى الـنَّـصـيـحَـةْ

فـتـخـضـرُّ عـافـيـةُ الـفـنِّ فِـيـهِ
وأوجـاعُـهُ وحـدَهُـنَّ الـصَّـحـيـحَـةْ

أيا شمعةَ العُمْرِ ذوبي، يُلحُّ
فتَشخُو وتومي: أأبدُو شَحيحَةْ؟

فيُولَدُ في قلبهِ كلَّ يوم
ويحملُ في شَفَتَيْهِ ضريحَةْ

يُوالي، فيرفضُ نصفَ الولاءِ
ويُبدي العداواتِ جَلْوَى صريحَةْ

لهُ وجهُهُ المفرَدُ، لا يرتَدي
وجوهاً تُغطّي الوُجُوهَ القَبيحَةْ

يُعرّي فضائحَ هذا الزّمانِ
ويعرى، فيبدو كأنقى فَضِيحَةْ

تَرَى وجهها الشمسُ فيهِ، كما
ترى وجْهَها في المَرايا المليحَةْ

●●●

بعد سقوط المكياج

إلى (ف. ح)

غـيـرَ رَأسـي، اعـطـنـي رأسَ (جَـمَـلْ)
غـيـرَ قـلـبـي، اعـطـنـي قَـلـبَ (حَـمَـلْ)

رُدَّنـي مـا شـئـتَ. . (ثـوراً)، (نـعـجـةً)
كـي أُسَـمِّـيـكَ يـمـانـيّـاً بَـطَـلْ

كـي أُسَـمِّـيـكَ شـريـفـاً أو أرى
فـيـكَ مـشـروعَ شـريـفٍ مُـحْـتَـمَـلْ

سَـقَـطَ الـمـكـيـاجُ، لا جـدوى بـأنْ
تَـسْـتَـعـيـرَ الآنَ وجْـهـاً مـفـتَـعَـلْ

* * *

كُـنـتَ حـسـبَ الـطَّـقـسِ تـبـدو ثـائـراً
صـرتَ شـيـئـاً مـا اسْـمُـهُ؟ يـا لَـلْـخَـجَـلْ

يـنـقُـشُ الـبـولـيـسُ مـا حـقَّـقـتَـهُ
مـن فـتـوحٍ بـ(الـمـواسـي) فـي الـمُـقَـلْ

بـ(الـهْـرَاوي)، بـ(الـسّـكـاكـيـنِ)، بِـمـا
يـجـهـلُ الـشـيـطـانُ مـن أخـزى الـحِـيَـلْ

تـقـتُـلُ الـمـقـتـولَ كـي تـحـكُـمَـهُ
ولـكـي تـرتـاح تـشـوي الـمـعـتـقَـلْ

هـل أُسَمّيكَ بهذا ناجحاً؟
إن يكن هذا نجاحاً، ما الفَشَلْ؟

إنّما أرجوك، غلِّطني ولو
مَرَّةً كُنْ آدميّاً، لا أقَلّ

قلْ أنا الكذّابُ وامنحني على
حِسِّكَ الانسانيَ الشعبي مَثَلْ

فلقد جادلتُ نَفسي باحثاً
عَنْ مَزاياك، فأعْياني الجَدَلْ

أنتَ لا تَقْبَلُ جَهْلي، إنّما
ليسَ عِنْدي للخيانات غَزَلْ

أيُّ شيءٍ أنتَ؟ يا جسرا العِدا
يا عميلاً، ليس يدري ما العَمَلْ

ردَّني غَيْري لكي تبصرني
للذُّبابِ الآدمي نَهرَ عَسَلْ

⊛⊛⊛

سندباد يمني
في مقعد التحقيق

يولية 1975م

كَمـا شئـتَ فَتِّشْ. . أيـنَ أُخـفـي حَـقـائـبـي
أتـسـألـنـي: مـن أنـتَ؟ أعـرفُ واجـبـي

أجِبْ، لا تُـحـاولْ، عُـمْـرَكَ، الاسـمُ كـامـلاً
ثـلاثـونَ تـقـريـبـاً، (مـثـنّـى الـشـواجـبـي)

نَـعَـمْ، أيـنَ كـنـتَ الأمـسِ؟ كـنـتُ بـمـرقَـدِي
وجمجُمَتي في السجنِ، في السُّوقِ شاربي

رَحـلْـتَ إذنْ. . فـيـمَ الـرّحـيـلُ؟ أظـنّـهُ
جَـديـداً، أنـا فِـيـهِ طـريـقـي وصـاحِـبـي

إلـى أيـنَ؟ مـن شـعـبٍ لـشـانٍ بـداخِـلـي
مـتـى سـوفَ آتـي؟ حـيـن تَـمـضـي رَغـائـبـي

جـوازاً سِـيـاحـيّـاً حَـمَـلْـتَ؟. . جَـنـازَةً
حـمـلـتُ بـجـلـدي، فـوقَ أيْـدي رَواسِـبـي

مـن الـضِـفَّـةِ الأُولَـى رحـلـتُ مُـهَـدَّمـاً
إلـى الـضـفـةِ الأخـرى حَـمَـلـتُ خَـرائِـبـي

هُـراءٌ غـريـبٌ لا أعـيـهِ، ولا أنـا
مـتـى سـوفَ تـدري؟ حـيـنَ أنْـسَـى غَـرائِـبـي

* * *

تـحـدَّيـتَ بـالأمـسِ الـحـكـومـةَ، مـجـرمٌ
رهــنــتُ لَــدَى الـخَـبّــازِ أمـسِ جَـوارِبــي

مــنِ الــكــاتــبُ الأدنــى إلــيــكَ؟ ذَكَـرْتُـهُ
لَــدَيــهِ كَــمــا يــبــدو كِــتــابــي وكــاتِــبــي

لـدى مَـنْ؟ لـدى الـخـمّـارِ، يـكـتـبُ عـنْـدَهُ
حـسـابـي ومَـنْـهـى الـشـهـرِ يَـبْـتَـزُّ راتِـبـي

قــرأتَ لــهُ شــيــئــاً؟ كــؤوســاً كــثــيــرةً
وضَــيَّــعــتُ أجْــفــانــي لــديــهِ وحــاجِــبــي

قـرأتَ ـ كـمـا يـحـكـونَ عَـنـكَ ـ قَـصـائِـداً
مــهــرَّبــةً . . بــل كــنــتُ أوَّلَ هــاربِ

أمـا كـنـتَ يـومـاً طـالـبـاً؟ كـنـتُ يـا أخـي
وقـد كـانَ أسـتـاذُ الـتَّـلامـيـذِ، طـالـبـي

قــرأتُ كــتــابــاً مــرَّةً، صــرتُ بــعــدَهُ
حــمــاراً، حــمــاراً لا أرَى حَـجْـمَ راكِـبـي

* * *

أحَـبَـبْـتَ؟ لا بـل مِـتُّ حُـبّـاً مـن الـتـي؟
أحـبَّـيـتُ حَـتَّـى لا أعـي، مَـنْ حَـبـائـبـي

وكَــمْ مِــتَّ مــرّاتٍ؟ كــثــيــراً كَــعــادتــي
تـمـوتُ وتـحـيـا؟ تـلـك إحـدى مَـصـائِـبـي

ومـاذا عـنِ الـثُّـوّارِ؟ حـتـمـاً عـرفـتَـهُـمْ!
نَـعَـمْ، حـاسَـبُـوا عَـنّـي، تـغـذَّوا بِـجـانِـبـي

ومـاذا تـحـدَّثـتُـمْ؟ طـلـبـتُ سـجـارةً
أظـنُّ وكـبـرِيـتـاً. بـدوْا مِـنْ أَقـارِبـي

شـكـوْنـا غَـلاءَ الـخُـبـزِ، قُـلـنـا ستـنْجَـلـي
ذكـرنـا قـلـيـلاً مـوتَ (سَـغـدانَ مـارِبـي)

ومـاذا؟ وأنـسـانـا الـحـكـايـاتِ مُـنْـشِـدٌ:
«إذا لـم يـسـالِـمْـكَ الـزَّمـانُ فَـحـارِبِ»

وحـيـنَ خـرَجْـتُـمْ أيـنَ خـبَّـأْتَـهُـمْ بـلا
مـغـالـطـةٍ؟ خـبَّـأْتُـهُـمْ فـي ذَوائِـبـي

لـديـنـا مَـلَـفٌّ عـنـكَ.. شـكـراً لأنَّـكُـمْ
تـصـونـونَ مـا أهـمَـلـتُـهُ مـن تَـجـارُبـي

لـقـد كـنـتَ أمِّـيّـاً حِـمـاراً وفـجـأةً
ظـهـرتَ أديـبـاً. مُـذْ طَـبَـخْـتُـمْ مَـآدِبـي

خـذُوهُ.. خـذونـي لَـنْ تَـزِيـدوا مَـرارتـي
دَعُـوهُ.. دَعُـونـي لَـنْ تَـزِيـدُوا مَـتـاعـبـي

⊛⊛⊛

الآتون من الأزمة

نوفمبر 1974م

يا حَزانَى، يا جميعَ الطيِّبين
هذهِ الأخبارُ من دارِ اليَقين:

قرَّروا الليلةَ أن يتَّجِروا
بالعَشايا الصُّفرِ، بالصبحِ الحَزين

فافتَحوا أبوابَكُمْ واختَزِنوا
من شُعاعِ الشَّمسِ ما يكفي سِنين

وَقَّعوا مشروعَ تقنينِ الهَوَى
بالبطاقاتِ لكلِّ العاشِقين

ما ألِفتُم مثلَهُمْ أن تَعْشَقوا
خَدَرَ الدفءِ.. لَكُمْ عشقٌ ثَمين

* * *

قرَّروا بيعَ الأماني والرُّؤى
في القَناني، رَفَعوا سِعرَ الحَنين

فَتَحوا بَنكينِ للنَّومِ، بَنَوا
مصنَعاً يطبخُ جوعَ الكادِحين

إنَّكُمْ أجدرُ بالسُّهْدِ الَّذي
يَعِدُ الفجرَ بوصلِ الثائِرين

بَـدَأُوا تـجـفِـيـفَ شـطـآنِ الأسَـى
كـيَ يـبـيـعُـوهـا كـأكـيـاسِ الـطَّـحِـيـنْ

عـلَّـبُـوا الأمْـراضَ، أعـلَـوْا سِـعْـرَهـا
كـي يـصـيـرَ الـطـبُّ سِـمْـسـاراً أمـيـنْ

حـسـنـاً.. تـجـويـعُـكُـمْ، تـعـطـيـشُـكُـمْ
إنَّـمـا الـخـوفُ عـلـى الـوَحْـشِ الـسَّـمِـيـنْ

شَـيَّـدوا لـلأمـنِ، سِـجـنـاً راقِـيـاً
تـسـتَـوي الـسُّـكَّـيـنُ فِـيـهِ والـطَّـعـيـنْ

إنَّ مَـجّـانِـيَّـةَ الـمَـوْتِ عَـلَـى
رأيِـهِـمْ حـقٌّ لـكـلِّ الـعـالَـمِـيـنْ

أزمَـةُ الـنَّـفْـطِ لَـهَـا مـا بـعـدَهـا
إنَّـكُـم فـي عـهـدِ (تـجّـارِ الـيَـمِـيـنْ)

فـاسْـبِـقُـوهُـمْ يـا حَـزانَـى وارْفَـعُـوا
عَـلَـمَ الإضْـرارِ وَرْدِيَّ الـجـبـيـنْ

واحْـرُسُـوا الأجْـواءَ مِـنْـهُـمْ، قـبـلَ أنْ
يُـعـلِـنُـوهـا أزمـةً فـي الأوكْـسِـجِـيـنْ

* * *

إنَّـهُـمْ أقْـسَـى وأدْرَى. إنَّـمَـا
جَـرَّبُـوا مـعـرفـةَ الـسِّـرِّ الـكَـمِـيـنْ

عـنـدَمـا تَـدْرُونَ مَـنْ بـائِـعُـكُـم
يـسـقـطُ الـشّـاري وسـوقُ الـبـائِـعـيـنْ

عــــنــــدَمــــا تَــــدرُونَ مَــــنْ جَــــلاّدُكُــــمْ
يُــحــرقُ الــشَّــوكُ ويَــنْــدى الــيــاسَــمــيــنْ

عَــنْــدَمــا تــأتــونَ فــي صَــحْــو الــضُّــحَــى
تــبــلــعُ الأنــقــاضُ كَــلَّ الــمُــخْــبِــريــنْ

إنَّــــكُــــمْ آتــــونَ، فــــي أعــــيــــنِــــكُــــمْ
قَــــدَرٌ غــــافٍ وتَــــاريــــخُ جَــــنــــيــــنْ

⊚⊚⊚

في وجه الغزوة الثالثة

(فبراير 1975م)

حَسَناً.. إنَّما المهمَّةُ صَعْبَهْ
فليكنْ، ولْنَمُتْ بكلِّ مَحَبَّهْ

يُصبح الموتُ مَوطِناً حينَ يُمسي
وطنٌ أنتَ منهُ أوحشَ غُرْبَهْ

حين تُمسي من هَضْبِةٍ بعضَ صَخْرٍ
وهي تَنْسَى أنَّ اسْمَهَا كانَ هَضْبَهْ

فلْتُصلَّبْ عِظامَنا الأرْضُ.. يدري
كلُّ وحشٍ أنَّ الفريسةَ صَلْبَهْ

ولْنَكُنْ للحِمَى الذي سوفَ يأتي
من أخاديدِنا جُذُوراً وتُربَهْ

مبدعاتٌ هِيَ الولاداتُ، لكنْ
موجعاتٌ. حقيقةٌ غيرُ عَذْبَهْ

ولماذا لا تبلغُ الصوتَ؟ عفواً
من توقِّي إرهابَهُمْ زادَ رَهْبَهْ

كيف نستعجلُ الرَّصاصَ ونخشى
بَعْدَ هذا نباحَ كَلْبٍ وكَلْبَهْ

هـل يـردُّ الـسـيـولَ وحـلُ الـسـواقـي؟
هـل تـدمّـي قـوادمَ الـرّيـحِ ضَـرْبَـةْ؟

أنـتَ مـن مـوطـنٍ يـريـدُ، يـنـادي
مِـنْ دمِ الـقَـلـبِ لـلـمُـهِـمّـاتِ شَـغْـبَـهْ

* * *

اتّـفـقْـنـا.. مـاذا هـنـاكَ؟ جـدارٌ
بـل جـبـيـنٌ، عـلـيـهِ شـيءٌ كـقُـبَّـةْ

ربَّـمـا (هِـرَّةٌ) تُـلاحـقُ (فـأراً)
ربـمـا كـانَ طـائـراً خَـلْـفَ حَـبَّـةْ

إنَّـمـا هـل يَـرَى الـتَّـفـاهـاتِ حـيٌّ؟
تـلـتـقـي أحـدَثُ الـخُـطُـوراتِ قُـرْبَـهْ

هـل تـرى مَـنْ هُـنـاك؟ غـزواً يُـقَـوّي
قَـبْـضَـتَـيْـهِ، يـحـدُّ مـلـيـونَ حَـرْبَـةْ

يـحـتَـذي (الـبـنـكـنـوتَ)، يـومـي إلـيـهِ
وعـلـيـهِ مـن الـبَـرامـيـلِ جُـبَّـةْ

إنَّـهُ ذلـك الَّـذي جـاءَ يـومـاً
وإلـى الـيـومِ فـوقَـنـا مِـنْـهُ سُـبَّـةْ

* * *

قـبـل عـامٍ وأربـعـيـنَ اعـتَـنَـقـنـا
فـوقَ (أبـهـا) عـنـاقَ غـيـرِ الأَحِـبَّـةْ

والـتـقـيْـنـا بـهِ بـ(نـجـرانَ) حـيـنـاً
والـتـقـيـنـا بـقـلـبِ (جـازانَ) حِـقْـبَـةْ

والـتـقـيـنـا عـلـى (الـوديـعَـةِ) يـومـاً
والـمَـنـايـا عـلـى الـرُؤوسِ مُـكَـبَّـة

جـاءَ تـلـكَ الـبـقـاعَ، خُـضْـنـا هَـرَبْـنـا
وهـي تـعـدُو وراءَنـا مُـشْـرئِـبَّـة

إنَّـهـا بـعـضُ لَـحْـمِـنـا، تَـتَـلـوَّى
تـحـتَ رجـلـيْـهِ كـالـخُـيـولِ الـمُـخِـبَّـة

فـي حَـشـاهـا مِـنَّـا بـذورٌ حَـبـالـى
وجـذورٌ ورديَّـةُ الـنَّـبْـضِ خِـضْـبَـة

* * *

مـا لَـهُ لا يَـكُـرُّ كـالأمـسِ؟ أضـحَـتْ
بـيـن مَـنْ فـوقَـنَـا ونـغْـلـيْـهِ صُـحـبَـة

إنَّـهُـم يَـطْـبُـخُـونَـنـا كـي يـذُوقُـوا
عـنـدمـا يُـنْـضِـجُـونـنـا شَـرَّ وَجْـبَـة

خَـصْـمُـنـا الـيـومَ غـيـرُهُ الأمـسَ طَـبْـعـاً
الـبـرامـيـلُ أمـرَكَـتْ (شـيـخَ ضَـبَّـة)

عِـنْـدَهُ الـيـومَ قـاذفـاتٌ ونـفـطٌ
عـنـدَنـا مَـوْطِـنٌ يَـرَى الـيـومَ دَرْبَـة

عـنـدهُ الـيـومَ خِـبْـرةُ الـمـوتِ أغـلـى
عـنَـدنـا الآنَ مـهـنـةُ الـمـوتِ لُـعْـبَـة

صـارَ أغْـنَـى، صِـرْنـا نَـرَى بـاحـتـقـارٍ
ثـروةَ الـمـعـتَـدي كـسـروالِ (قَـحـبَـة)

صار أقوى، فكيفَ نقوى عليهِ
وهو آتٍ؟ نمارسُ الموتَ رَغْبَةْ

ونُدمّي التِّلالَ، تغلي فيَمْضي
كلُّ تلٍّ دامٍ بألفينِ رُكْبَةْ

ويُجيدُ الحَصَى القتالَ، ويدْري
كلُّ صَخْرٍ أنَّ الشجاعةَ دُرْبَةْ

يَضْعُبُ الثائرُ المضَحّي ويقوَى
حينَ يدري أنَّ المُهمَّةَ صَعْبَةْ

❁ ❁ ❁

أمسية حجرية

يونية 1975م

كــــغــــرابٍ يــــرتَــــمــــي فَــــوقَ جَــــرادهْ
سـقـطَـتْ وَجْـعَـى، تَـدَلَّـتْ كـالـوِسـادَهْ

كـنـسـيـجِ الـطُّـحْـلُـبِ الـصـيـفـي نَـمَـتْ
أعْـشَـبـتْ فـيـهـا وفـي وَجْـهـي الـبَـلادَهْ

وعــلــى الــجــدرانِ والــسـقـفِ ارتَـخَـتْ
مــثــلَ فَــخــذَيْ مَــرأةٍ بــعــدَ الــوِلادَهْ

تــحــتَــسِــيــنــي، تــحــتــسـي هــادئــةً
مــثــلَ مَــنْ صــارَ لــديــهِ الــقَــتــلُ غــادَهْ

تَــرتَــدي الأنــقــاضَ والــشَّــوكَ عــلــى
جــيــدِهَــا مــن أعــيــنِ الــمــوْتَــى قِــلادَهْ

* * *

كــنــتُ أَذْوي بــاحــثــاً عــن مــطــلــعِ
كــانَ يــهــذي عــابــرٌ، (فــرحــانُ عَــادَهْ)

ســأُسَــمّــيــهِ (ظــفــاراً) (مَــذْحَــجــاً)
لــو أتَــتْ أُنــثــى أُســمِّــيــهــا (سَــعــادَهْ)

هَــلْ لَــهــا، أو هَــلْ لــهُ مُــسْــتَــقْــبَــلٌ؟
هــل وُلــدْنــا نــحــنُ فــي حــضــنِ الــرَّغــادَهْ؟

أمِنَتْ (سَيْجُونُ)، (بَيْروتُ) ابتَدَتْ
تَرْتَمي، ترمي بلا أَدْنَى هَوادَةْ

نَفْسُ ذَاكَ الدَّورِ.. (يحيى) قالَها
كيف أضحَى نابُها كيرَ الحِدادَةْ؟

* * *

كنتُ أصغي يا دُجَى قافيةً
لمحةً، يُعطي حكاياتٍ مُعادَةْ

كان مخمورٌ يُدَوّي: من أنا
إنّني (عنترةٌ) هاتوا القِيادَةْ

ردّني (إبليسُ) عن أبوابِهِ
وثناني الشيخُ عن بيتِ العِبادَةْ

كنت أفنَى، كان يغزو جارةً
فارسٌ يَزوي أعاجيبَ الإرادَةْ

بَعْدَ مَضْغِ (القاتِ)، - فيما يدّعي -
يغتدي (كَبْشاً)، يعبُّ الشّايَ (سادَةْ)

يخطفُ البِكْرَيْنِ من بُرجَيْهِما
لبطولاتِ الهَوَى طبعاً ريادَةْ

* * *

حارسٌ يبتزُّ ما يحرسُهُ
ويَدينُ الصبحَ (سَعْداً) أو (قَتادَةْ)

راحَ يَحْكي: أنّهُ يَلقَى الذي
كابَدَ (الفاروقُ) في (عامِ الرّمادَةْ)

يــا دكــاكــيــنُ. . ويــومــي رشــوةً
فــي عُــهــودِ الــمــالِ تَــزْدادُ الــنَّــكــادَةْ

كــنــتُ أُنــهــي الــشــطــرَ، جــارٌ يــبــتَــدي
خَــصْــمَــهُ، أشــبــعــتَ لــلــقــاضــي الــمَــزادَةْ

شــاهــدٌ مــخــتَــرِفٌ ألــبَــسَــهُ
حــضــرَةُ الــقــاضــي قــمــيــصــاً مــن زَهــادَةْ

يــســتَــوي فــي الــزَّمــنِ الــسِّــمْــســارِ مَــنْ
يُــلْــهَــمُ الــهــجــوَ ومَــنْ يُــغْــري الإشــادَةْ

قــالَ لــي: مــن أنــتَ؟ نــذلٌ إنَّــنــي
مــثــلُــهُ مُــســتَــعــمَــرٌ بــاسْــمِ الــسِّــيــادَةْ

طــفــلُ جــاري كــان يــســتــســقــي، أنــا
كــنــتُ أرجُــو لــحــظــةً حُــبْــلــى جَــوادَةْ

* * *

مَــنْ هُــنــا؟ كَــلــبٌ يُــهَــوْهــي، هِــرَّةٌ
تَــتَــنَــزَّى، مــنــزلٌ يــشــدُو (حَــمــادَةْ)

شــارعٌ يَــبْــكــي الــضَّــحــايــا، مــكــتــبٌ
يــمــنــحُ الــجــانــي وِســامــاً وشَــهــادَةْ

جُــثَــثٌ تَــهْــوي بــلا فــائــدَةٍ
خــنــجَــرٌ دامٍ لــهُ كــلُّ الإفــادَةْ

* * *

زادتِ الأمــســيــةُ الــوَجْــعَــى أسَــىً
مــثــلَ غــيــري لــم أزِدْ، أنــتَ الــزِّيــادَةْ

أتَــرَى الــصَّــرْعَــى؟ لــهــمْ بَــدءٌ، مَــتَــى؟
يــنــضــجــونَ الآنَ فــي جــوفِ الإبــادَةْ

كُــنْــتُ أَفْــتَــى. لــم تُــجِــبْ، كــنــتُ عــلــى
زَغْــمِــهــا أزدادُ نُــضْــجــاً وإجــادَةْ

⊛⊛⊛

في الغرفة الصَّرعى

ديسمبر 1975م

شـيءٌ بـعـيـنَـيْ جـدارِ الـحـزنِ يـلـتَـمِـعُ
يَـهِـمُّ . . يـخـبـرُ عـن شـيءٍ ويـمـتـنِـعُ
يـريـدُ يَـصـرخُ، يُـنـبـي عَـنْ مَـفـاجـأةٍ
لـكـنَّـهُ، قـبـلَ بـدءِ الـصـوتِ يـنـقـطـعُ
يـغـوصُ، يـبـحـثُ فـي عـيـنـيْـهِ عـن فَـمِـهِ
تـغـوصُ عـيـنـاهُ فـيـهِ، يـقـتـفـي، يَـدَعُ
عَـمَّـا يُـفَـتِّـشُ؟ لا يـدري، يـضـيـع هـنـا
يـقـومُ، يـبـحـثُ عـنـهُ وهـو مـضـطـجِـعُ
يـومـي إلـى الـسَّـقـفِ، تـسـترخـي أَنـامـلُـهُ
تـمـتَـدُّ كـالـدُّودِ، كـالأجـراسِ تَـنْـزَرِعُ

* * *

مِـنْ أيـنَ يـا بـابُ يـأتـي الـرعـبُ؟ تـلـمـحُـهُ
مِـنْ أيِّ زاويـةٍ يَـغـشـوشِـبُ الـوَجَـعُ؟
يـمـشـي عـلـى فَـمِـهِ هـذا الـسـكـونُ، عـلـى
أطـرافِ أرجُـلِـهِ يـهـوي ويَـرتَـفِـعُ
يـصـفـرُّ كـالـسُّـلِّ، يـهـمـي مـن عَـبـاءَتِـهِ
يـنـحـلُّ كـالـقَـشِّ، كـالأسـمـالِ يـجـتَـمِـعُ

كـمـومـسٍ بـاغـتَ الـبـولـيـسُ مَـرْقَـدَهـا
كـمُـقـبـلـيـنَ، عـلـى أشـلائِـهـمْ رجـعـوا

كـمـيِّـتـيـنَ، يـمـدُّونَ الأكـفَّ إلـى
مـوت جـديـدٍ، يـمـنّـي وهْـوَ يـبـتَـلِـعُ

* * *

الـصـمـتُ يـسـقُـطُ كـالأحـجـارِ بـارِدةً
عـلـى الـزَّوايـا، ولا يـشـعـرْنَ مـا يـقَـعُ

تُـصـغـي إلـى بـعـضِـهـا الـجـدران واجـفـةً
تـئـنُّ، تَـخـمَـرُّ كـالـقـتـلـى وتـمـتَـقِـعُ

فـي هـذهِ الـغـرفـةِ الـصَّـرْعـى، أسَـىً قـلـقٌ
يـطـولُ كـالـعـوْسَـجِ الـنّـامـي ويـتّـسِـعُ

الـحـزنُ يـحـزَنُ مـن فـوضـى غَـرابـتِـهِ
فـيـهـا ويـفـزَعُ، مـن تـهـويـشِـهِ الـفَـزَعُ

❂ ❂ ❂

وجوهٌ دخانيّة في مرايا الليل

أبريل 1975م

الدُّجى يَهْمي وهذا الحزنُ يهمي
مطراً من سُهدِهِ يظما ويُظمي

يتعبُ اللَّيلُ نزيفاً وعلى
رُغْمِهِ يَدْمى وينجرُ ويُدْمي

يرتَدي أشلاءَهُ، يمشي على
مُقْلَتَيْهِ حافياً، يَهْذي ويُومي

يرتَمي فوقَ شَظايا جلدِهِ
يطبخُ القَيْحَ بشدقَيْهِ ويَرمي

* * *

أيُّها اللَّيلُ.. أنادي إنّما
هل أُنادي؟ لا، أظنُّ الصوتَ وهمي

* * *

إنّهُ صَوْتي ويبدو غَيرُهُ
حين أُصغي باحِثاً عن وجهِ حُلْمي

من أنا؟ أسألُ شخصاً داخلي:
هل أنا أنتَ؟ ومن أنتَ؟ وما اسْمي؟

* * *

أيُّها الحارسُ تَدْري من أنا؟
اشتروا نومي.. طويلٌ ليلُ هَمّي

ألأنّـــي حــــارسٌ يـــا ســـيِّـــدي
زوَّجــوهــا ثــانــيــاً. . الــمــالُ يُــغــمــي

مــن أنــا؟ الــلّــيــلُ يــبــنــي لــلــرؤى
قــامــةً كــالــرُّمــحِ مــن جِــلْــدي وعَــظْــمــي

لا تَــعــي. ســكــرانَ؟ تــسـعٌ أعــلــنَــتْ
أوَّلَ الأخــبــارِ مــا ســمَّــوْهُ رَسْــمــي

مــن أنــا؟ صــار ابْــنُ عَــمِّــي تــاجــراً
واشــتــرى شــيــخٌ ثــريٌّ بــنــتَ عَــمِّــي

هَــلْ تَــنــامُ الــصُّــبْــحَ؟ ســيّــارتُــهــا
عــبــرتْ قُــدّامَ عَــيْــنــي، فــوقَ لَــحْــمــي

أصْــغِ لــي أرجــوكَ؟ أغــرى أمَّــهــا
شــيَّــدَتْ قــصــرَيْــنِ مــن أشــلاءِ هَــدْمــي

* * *

مــن أنــا يــا (تــكْــسِ)؟ أفْــلَــسْــتُ ومــا
شَــبِــعُــوا. . مَــنْ مِــنْ حُــمــاةِ الأمــنِ يَــحْــمــي؟

مِــنْ هُــنــا سِــرْ، هــاهُــنــا قِــفْ، رخْــصَــتــي
مــا الــذي حــمَّــلــتَ؟ فــتِّــشْ. هــاتِ قــســمــي

خــمــســةٌ لــ(الــقــاتِ)، خــمــســونَ لَــهُــمْ
وانــتَــهَــى دَخْــلــي وأنــهــى الــسُّــلُّ أُمّــي

* * *

عــاجِــنَ الــفــرنِ. أتــدري؟ سَــنَــةً
وأنــا أعْــجِــنُ أحــزانــي وَغَــمّــي

مـن أنـا؟ كـانَـتْ تـرى والـدتـي
ذُلَّ بعضِ النّاسِ، تحتَ البَغْضِ خَتْمي

غِبْتَ عن قصْدي! رفيقي غائبٌ
من ليالٍ، رأيُهُ في الحبسِ (جَهْمي)[1]

* * *

ما الّذي أفعلُهُ؟، كلٌّ لَهُ
شاغلٌ ثانٍ وفهمٌ غيرُ فَهْمي

داخلي يَسْقُطُ في خارجِهِ
غُرْبَتي أكبرُ مِنْ صَوْتي وحجمي

(نُقَمٌ) يرنُو بعيداً.. سيِّدي
هل ترى في ضائعِ الأرقامِ رَقْمي؟

طحنَتْ وَجْهي، لأنّي جَبلٌ
خيلُ كِسْرَى، عجنتْهُ خيلُ نَظْمي[2]

أعشبتْ أرمِدَةُ الأَزْمانِ في
مُقْلتيَّ، جلمدَتْ شَمسي ونَجْمي

تذهبُ الرِّيحُ وتَأْتي وأَرَى
جبهَتي فيها وهذا حَدُّ عِلْمي

* * *

(1) نسبة إلى قصيدة الشاعر العباسي علي بن الجهم:
قالوا حبستَ فقلتُ ليس بضائري
حبسي وأيُّ مهنّدٍ لا يغمدُ؟

(2) إشارة إلى الاستعمارَيْن. الفارسي والتركي.

مَـــنْ هُـــنــا أســـألُـــه؟ مَـــنْ ذا هُـــنـــا
غـيـرَ ثـوبٍ فـيـهِ مـا أدعـوهُ جِـسْـمـي؟

مـن أنـا والـلـيـلـةُ الـجَـزْحَـى عـلـى
رُغـمِـهـا تَـهْـمـي، كَـمـا أهـمـي بِـرُغْـمـي؟

هـل كَـفـى يـا أرضُ غَـيْـثـاً؟ لـم تَـعُـدْ
تـغـسـلُ الأمـطـارُ أَوْجـاعـي وعُـقْـمـي

◎◎◎

خوف

مارس 1976م

هـذي الأكـاذيـبُ الـجـديـدةْ مــوتٌ لَــهُ أيــدٍ عَــديــدَةْ
تَــنْــبَــتُ أوكــاراً، طــوا بـيــراً عــمَــاراتٍ مَــديــدَةْ
تُــرْدي وفــوراً تــرتَــدي وجهَ الشَّهيدِ، صِبا الشَّهيدَةْ
حـلْقَ الـمـرئـي تَـسْتَعِيْـ ـرُ وتـخـتَـذي لـحمَ الـقَـصيـدَةْ
تـهـمـي مُـؤكَّـدةَ الـخـطـو رةِ وهــي لا تــبــدو أكـيــدَةْ
غـيـرَ الَّـذي تُـبْـدي تـريـ ـدُ ولا تَـراهـا كـالـمُـريـدَةْ
يـدعـونـهـا (دَعـمـاً)، مُـسَـا عـدةً مـبـادرةً حَـمـيـدَةْ
وحــقــيــبــةً رَحّــالــةً بين (الرشيدَةِ) و (الرَّشِيدَةْ)
وعــداً، مــوافــقــةً، مُــنَــا وَرَةً، زيــاراتٍ مُــفِــيــدَةْ
هــبــةً بــلا عِــوَضٍ، قــرو ضــاً ذاتَ آجــالٍ بَــعــيــدَةْ
لــكــنْ لِــمــاذا يُــغــدِقُــو نَ؟ أشمُّ رائـحـةَ الـمَـكِـيدَةْ
وأرى مــؤامــرةً، لَــهــا شـكْـلُ الأُخـوَّةِ والـعَـقـيـدَةْ
تَـدْنُـو كـمـشـفِـقَـةٍ، كـعاشـقـةٍ، كَــقــاتِــلَــةٍ عَــتِــيــدَةْ
مـاذا؟ أُسَـمِّـيـهـا؟ تُـبَـلِّـ ـدُني، أسمِّيـهـا الـبَـلـيـدَةْ
وتــزيــدُ مِــنْ أُمِّــيَّــتــي هــذي الإذاعــةُ والــجَـرِيـدَةْ
هــذي الــدِّرامــاتُ الَّــتــي تـبْـدو بـطـولـتُـهـا مَـجـيـدَةْ
أأَخــافُ مــن كَــرَمِ الـمـسـا عِـدِ أمْ أخـافُ مِـنَ (الـسَّـعـيـدَةْ)؟

⊗⊗⊗

التاريخ السِّرِّيّ للجدار العتيق

فبراير1976م

يُريدُ أن يَنْهارَ هذا الجدارْ
كي ينتهي من خيفةِ الانهيارْ

يريدُ، لكنْ، ينثني فَجأةً
عنْ رأيِهِ، يحسُو حليبَ الغُبارْ

يَهِمُّ أن يَرْثي جِداراً هَوَى
يَراهُ، فوراً صارَ ألفَيْ جدَارْ

* * *

عجيبةٌ يا ريحُ. ماذا جرى؟
تشابَهَ الميلادُ والانتِحارْ

أختارُ هذا ما تَرَى. من رأى
قبلي رُكاماً أحسَنَ الاختِيارْ؟

الانفجارُ المبتدي، عادةً
يُعطي رماداً قد تسميّه نارْ

ألمْ تُجَرِّبْ؟ كلُّهمْ جَرَّبُوا
مَنْهى التَّرَدِّي، أوَّلَ الانفجارْ

يـــرتـــدُّ مَـــذهُـــوشـــاً إلـــى جِـــلْـــدِهِ
كـــهـــاربٍ يَـــخْـــشَـــى ســـقـــوطَ الإزارْ

كـــحـــقـــلِ دودٍ وَسْـــطَ رُمّـــانَـــةٍ
كـــثـــوبِ لـــصٍّ خـــارجٍ مـــن حِـــصـــارْ

يـــبـــدو كـــإنـــســـانٍ، لأشـــواقِـــهِ
روائـــحُ الـــمَـــلْـــهَـــى وشـــكـــلُ الـــقِـــطـــارْ

عـــلـــيـــه جِـــلْـــدٌ وَرَقـــيٌّ، لَـــهُ
عـــشـــرونَ قـــرْنـــاً تـــقـــبـــلُ الاعـــتـــصـــارْ

كـــمُـــدَّعٍ، مـــوطِـــئُـــهُ عِـــنـــدَهُ
عـــلـــى قـــمـــيـــصِ الـــعـــيـــدِ أحْـــلَـــى زرارْ

* * *

أنـــا هُـــنـــا.. أعـــلـــى الـــرُّبـــا قـــامـــةً
يـــدايَ لا تَـــلْـــقـــى الـــيـــمـــيـــنُ الـــيَـــســـارْ

بـــلْ لـــيـــس لـــي كـــفٌّ لـــســـيـــفٍ.. أمـــا
سِـــنـــانُ[1] (عـــمْـــرٍو) ذاك أمـــضـــى الـــشّـــفـــارْ؟!

---

(١) سنان (عمرو): إشارة إلى (عمرو بن العاص)، عندما هاجمه (علي بن أبي طالب)؛ فاحتال (عمرو) تفادياً لسيف (علي)، بكشف عورته؛ فاستحيا (علي) وتراجع. وقد أشارت إلى هذه الحادثة كثير من الأشعار كقول بعضهم:

بـــطـــل يـــصـــول بـــســـوأتـــيـــه
لا بـــصـــارمـــه الـــمـــذكّـــر

وكقول أبي فراس:

ولا خـــيـــر فـــي ردّ الـــردى بـــمـــذلـــة
كـــمـــا ردّهُ يـــومـــاً بـــســـوأتـــه عـــمـــرو

فـي لـحـيـةِ (الـمِـرِّيـخِ) لـي مـكـتـبٌ
نـهـدُ (الـثـريّـا) فـوق بـابـي شِـعـارْ

لـكـنَّـنـي كـالـسَّـهـلِ، لا سُـورَ لـي
مُـفَـتَّـحٌ لـلـفـتـحِ والانـجِـرارْ

تَـصَـوَّروا، يَـومَ اعـتـدى جـيـرتـي
أنـعـلـتُ وجـهـي خـيـلَ حُـسـنِ الـجِـوارْ

أهـوى الـتَّـسـاوي، قـاطـعـاً كـلَّ مَـنْ
يـبـدو طـويـلاً كـي يـسـاوي الـقِـصـارْ

يَـوْمَ اشـتـكَـتْ قـمـعَ الـخِـمـارِ ابـنـتـي
أنـصـفـتُ. . ألـبـسـتُ الـبـنـيـنَ الـخِـمـارْ

* * *

وهـاهُـنـا يُـنـهـي، لـكـيْ يَـبـتَـدي
يـقـصُّ عـنْ أصـدائِـهِ بـاخـتِـصـارْ

يُـقـعـي كـجـنـديَّـيْـنِ، عـادا بـلا
نـصـرٍ يـبـولانِ دمَ الانـتـصـارْ

يـشـتـاقُ لـوْ يـعـدو، كـسـيّـارةٍ
لـو يـحـمـلُ الـبـحـرَ، كـإحْـدى الـجِـرارْ

لـو وجـهُـهُ نـعـلا حـصـانَـيْـنِ، لـو
سـاقـاهُ (مَـبْـغـىً) فـي قـمـيـصِ الـنَّـهـارْ

لـو تـصـبـحُ الأبـحـارُ بـيـداً، ولَـوْ
عـواصـمُ الأصْـقـاعِ تـمـسـي بِـحـارْ

يطيرُ، لكنْ يرتثي نعلُهُ
ترقيعَ رجليْه بماءِ الوَقارْ

لا شيءَ غيرُ النَّعلِ جِذرٌ لهُ
يُلْهي بهذا القشْ ريحَ القَرارْ

* * *

هلْ متَّ؟ يبدو متَّ، لا إنها
دعايةٌ، زيفٌ، دخانٌ مُثارْ

(مسرور) تدري كيفَ إسكاتُهمْ
لا تبقَ حيًّا، صدقَتْ (جُلْنارْ)

تسدُّ بابَ الريحِ كي لا تَرَى
أنّي دخانٌ من رُؤى (شَهْريارْ)

الشعبُ. داءُ الشعبِ تَقتيلُهُ
أشفى، ليبقى الأمنُ والازدهارْ

يهونُ حِقدُ (الشِّمْر) يا (كربلا)
لو لمْ يكنْ في كفِّه (ذو الفُقارْ)[1]

ماذا؟ أتَدْعو حكمتي فُرصَةً
للغزوِ؟ قلْ: صحّحتُ بدءَ المَسارْ

---

(1) ذو الفقار: السيف الشهير لـ(علي بن أبي طالب). قيل إن (معاوية) اشتراه من (الحسن بن علي) وفي معركة (كربلاء) حمله (الشِّمْر) واحتز به رأس (الحسين)، فكان يقول: (يزيد) عند ذكر مصرع (الحسين): إنما قتلته بسيف أبيه، وفي رواية: بسيف جده باعتباره هدية من (النبي) إلى (علي) يوم فتح (خيبر).

كـيـفَ ألاقـي جـبـهـةً خـارجـي
وفـي قِـذالـي جـبـهـةٌ مـن شَـراز

لا لـمْ أمُـتْ جـدّاً، أمـا رايـتـي
خـفّـاقـةٌ فـوقَ ظـهـورِ الـفِـرارْ!

حـوافـرُ الـمـحـتـلِّ، فـي شـاربـي
لـكـنَّـنـي أُشـبـعْـتُ مـنـهُ الـدُّمـارْ

لأنَّـنـي جـزَّأتُـهُ. نـصـفُـهُ
سـيـفـي ونـصـفٌ داخـلـي مـسـتَـشـارْ

وهـاهـنُـا يُـنْـهـي، يـرى وجْـهَـهُ
مِـنْ مـنـكِـبـيْـهِ، فـي مَـرايـا الـفَـخـارْ

غـنّـي (ألـيـزا)، (جـولـيـانُ) اخـلـعـي
عـبـاءتـي، سـاقـي أدِرْهـا. أدارْ

يـودُّ لـوْ مـا بـيـن فـخـذيْـهِ فـي
إحْـدى يـديْـهِ خـاتـمـاً أو سِـوارْ

جـريـدةً، أخـبـارُهـا عَـنْ حـصًـى
يـنـمـو وعـن (ديـكٍ) تـعَـشّـى (حِـمارْ)

روايـةً، أبـطـالُـهـا عـوسـجٌ
يـمـشـي وأطـيـارٌ تـبـيـعُ الـمَـحـارْ

* * *

لـي جـبـهـةٌ مـن مـوقـدِ (الـشَّـنـفَـرى)
وجـبـهـةٌ مـطـبـوخـةٌ بـالـبُـخـارْ

فـي غـيـرِ جِـلْـدي، أعـشـبـتْ قـامَـتـي
وكـان جـلـدي مـن شـمـيـمِ (الـعَـرارْ)

رأسـي سِـوَى رأسـي الَّـذي كـانَ لـي
يـا سـادَتـي بـيـنـي وبـيـنـي قِـفـارْ

بـيـنـي وبـيـنـي مـن يُـسـمَّـى أنـا
فـوقَ الأَنـا الـثـانـي أنـا الـمُـسْـتَـعـارْ

وهـاهُـنـا يُـصْـغـي. أقـلـتُ الـذي
أعْـنـي؟ وهـلْ أعـنـي؟ هُـنـا الابـتِـكـارْ

يـودُّ لـو كـفّـاهُ، أشْـهـى صـدَىً
لـمـعْـزَفٍ، لـو مـقـلـتَـاهُ (هَـزارْ)

لـو قـلـبُـهُ مـنـديـلُ (عـرّافـةٍ)
لـو أنْـفُـهُ مـروحـةُ الانـتِـظـارْ

يـريـدُ مـا لـيـسَ يَـعـي، يـبـتَـدي
يَـعـي وقَـدْ فـاتَ أوانُ الـبِـذارْ

الـمـوسـمُ الـوهـمـي، لأغـبـى الـمُـنـى
يُـعـطـي، قُـبـيْـلَ الـحَـرْث وهـمَ الـثّـمـارْ

* * *

مـاذا أنـا؟ شـيءٌ مـسـيـخٌ بـلا
عـرقٍ، بـلا شَـيءٍ يـسـمَّـى إطـارْ

قـد كـانَ يَـنْـمُـو الـطِّـفْـلُ، والـيـومَ لا
يـنـمُـو صـغـيـرٌ كـي يـطـولَ الـكِـبـارْ

يـعـودُ يُـنْـهـي الـكـأسَ مـن بـدئِـهـا
فـيـبـتـدي قـبـلَ الـشَّـرابِ الـخُـمـارْ[1]

هـل كـنـتُ أحـكـي؟ مـطـلـقـاً. مـن حـكَـى
فـي داخـلـي كـانَ يـنـامُ الـجِـوارْ

يُـريـدُ أن يـنـهـارَ خَـضْـرُ الـضُّـحَـى
والـلَّـيـلُ، كـي يـنـهـارَ هـذا الـجِـدارْ

◎ ◎ ◎

(1) الخُمار: وجع الرأس من كثرة الشراب.

الأميرة
وتحوُّلات مرايا العشق

أبريل 1976م

كَما تَرَيْنَ، حَوْلي — لوني، فَمي، عُمْري الوَجيعْ
إليكِ يا أميرَتي — قلبي يُؤجِّجُ الصَّقيعْ
ولْتَجعَلي عُشْبَ دَمي — بعضَ شوارِبِ الرَّبيعْ
ولْتَغْزليني للرُّبا — جَدائِلاً مِنَ النَّجيعْ
مَدائِناً تَعدو إلى — أبوابِ عالَمٍ مُريعْ
حكايةً قاتيَّةً — على مَراتِعِ القَطِيعْ
خُطورةً سِرِّيَّةً — قَبلَ حُدُوثِها تَشيعْ
قَصيدةً بلا فَمٍ — جِنسيَّةً بلا ضَجيعْ
مَحبَّةً فَضيحةً — إدانةً بِلا شَفيعْ
عنقودَ ظِلٍّ في جَنيـ — ـنِ كلِّ نَبتَةٍ يَضيعْ

* * *

ما شِئْتِ مولاتي أرى — ما تأمرينَ أَسْتَطيعْ
فلْتُبْدِعيني صَيحةً — ولادَةً، موتاً فَظيعْ
بَدْءاً بلا بِدايةٍ — نُبوَّةً بلا تَبيعْ
سيفاً لَهُ، أَلْفا يَدٍ — مُقارِعاً، بِلا قَريعْ
طُفولةً بِلا صِباً — أُمومةً بلا رَضيعْ

مسافراً، مِنْ نَفْسِهِ فِي نَفْسِ غيرِهِ يَبيغ
شيئاً يُضَيِّعُ اسْمَهُ يَعي أسامِيَ الجَميغ
مِنَ الرِّياحِ يشتَري كلَّ الَّذي لَها يَبيغ
جوعانُ يُطعِمُ الحَصَى لحماً ويأكلُ (الضَّريغ)[1]
درباً إلى ثلاثةٍ باباً إلى بابٍ وَسيغ
كَما تَرينَ، حَوْلي لوني، فَمِي، عمري الوَجيغ

●●●

(1) الضريع: طعام سكّان جهنم.

ليلة فارس الغبار

مَلَّيتُ مملكةَ الجبينِ العالي
فوَقَعتُ مِنْ رَأسي إلى سِروالي
كانَ المساءُ يجُرُّني كَذيولِهِ
وأجرُّ خَلفَ جَنازَتي أَذيالي
أختالُ كالسُّلطانِ، حاشيتي الحَصَى
تحتي، بلا فخرٍ حصانُ الوالي
جَيشي عُفوناتُ الأَزِقَّةِ تحتَفي
حولي، وراياتي خيوطُ سُعالي

* * *

أهلاً، وكيفَ الحالُ؟ شكراً أدَّعي
تَرَفَ الأميرِ، حَصافةَ (اللِّبْرالي)
أبدو كـ(مالِيٍّ)، يُعادي مالَهُ
وأفيقُ أسخرُ، بالفقيرِ المالي
لكنني أزمي وراءَ حقيقتي
وأُجيدُ تمثيلَ المحبِّ السّالي
في طينةِ الحُمَّى أغيبُ دقائقاً
عنِّي وأصحو يَرتَمي أمثالي

أنسى تفاصيلي كبدءِ روايةٍ
قبل البدايَةِ ينتهي أبطالي

وأعودُ، قُدّامي ورائي جَبْهَتي
نعلي وساقي في مكانِ قِذالي

عُريانَ يلبسُني الذبابُ، أُحِسُّني
كالنعشِ، كالبئرِ العميق الخالي

كسريرِ ماخورٍ، يُجفّفُ بعضُهُ
بعضاً وينتظرُ النّزيفَ التّالي

* * *

هل كنتُ؟ أين أنا؟ أفتّشُ لمْ أجدْ
شخصي الجديدَ ولا كَياني البالي

من أينَ يا جدرانُ جئتُ؟ خلالَها
أمشي وأرجُلُها تجوسُ خِلالي

كانَ الطَّريقُ بلا يدَيْنِ، يقول
خَلَطَتْ يميني حكْمَتي بشمالي

لا درب غيري، منتهايَ كَأَوَّلي
أنوي السؤالَ، يرُدُّ قبلَ سُؤالي

الشمسُ تبحثُ عن جبينٍ تَزْدَهي
فِيهِ فَتهْوي، ترتدي أَوْحالي

هل غيرُ هَذا يا طريقُ تقولُ لي؟
أسألتَ؟ يمضي يحتَذي أَوْصالي

فـأفـرُّ مـن فـخـذي إلـى فـخـذي ومـن
عـرْقٍ إلـى عـرْقٍ، أجـرُّ خَـبـالـي

فـوقـي سـوى رأسـي وشـيءٌ تـحـتَـهُ
رأسـي، وفـي جـلـدي عـجـينٌ آلـي

شيءٌ كـسقـفِ الـسجـنِ، يـنـفـيـنـي إلـى
غـيـري ويُـرجـعُـنـي إلـى أشـمـالـي

* * *

والآنَ هـل خِـرسـتْ هَـواتِـفُ أزمـتـي؟
نـامَـتْ وأسْـهـرتِ الـرُّكـامَ حِـيـالـي

كـانـتْ كـوكـرِ الـمُـخْـبِـريـنَ عَـشِـيَّـتي
تـجـري وراءَ، تُـهَـيِّـئُ اسْـتِـقـبـالـي

وبـلا عَـشـاءٍ بِـتُّ ذاكَ لأنَّـنـي
بـعـدَ الـغـروبِ، لـبـسـتُ (إمـبْـريـالـي)

أعـطـيـتُ قـوتَ الـشَّـهـرِ، أثـمـنَ تـافـهٍ
لـيـصـيـرَ أرخـصَ مـا يـكـونُ الـغـالـي

أصـبـحـتُ مـكـتـشـفَ الـتَّـفـاهَـةِ فـاتِـحـاً
بـعـجـيـن ثـانـيـتـيْـنِ جـذبَ لَـيـالـي

جـربْـتُ قـتـلَ الـوقـتِ، لـكـن هـا أنـا
بِـتُّ الـقَـتـيـلَ ومـا قـتـلـتُ مَـلالـي

مـاذا فـعـلـتُ؟ أردتُ شُـغْـلَ بَـطـالَـتـي
لـكـنْ أردتُ ومـا عـرفـتُ مَـجـالـي

❂❂❂

ليالٍ بيروتيّة
في حقائب سائح عربي

أغسطس 1975م

سِواهَا حلوةً أَطْرَى وهاتِ زجاجةً أخرى
وثالثةً ورابعةً وأنتَ بعادَتي أدْرَى

* * *

لِمسؤولٍ ملاييني أعدُّوا السّهرةَ الكُبْرَى
لأمّيّ، لِلَخمِ النّا سِ مِنْ كُلِّ المُدَى ـ أقْرَى
مزاجُ السّيِّدِ البرميْـ ـلِ ضارٍ، يعشقُ الأضْرَى
فهاتُوا الأغنجَ الأقْوَى وهاتُوا العانسَ (الشُّغْرَى)
وهاتوا الأرشقَ الطُّوْلَى وهاتوا الأسمنَ الصُّغْرى
لأن حقائبَ السُّلطا نِ من حُلْواتِنا أغْرَى
ومن أجسادنا أمْلَى.. فمَنْ بجلودِنا أحْرَى؟

* * *

لأنَّ بلادَهُ جَرْبَى بدونِ إرادةٍ أثْرَى
فأمسى الوحْشَ في (المَبْغَى) وفي المذياعِ ما أبْرَى

* * *

وكانتْ تلبسُ اللُّحْظا تُ نهراً طائرَ المَجْرَى
وكانَ اللّيلُ يستَلقي كسقفِ الحانَةِ السَّهْرَى
وكانَتْ غُرْفَتي العطشَى بأظفارِ الأَسَى شَجْرا

كـعـصـفـورٍ بـلا لـونٍ   يـجـيءُ الـحُـلْـمُ والـذِّكْـرَى
كـأشـلاءٍ مِـنَ الأَخْـجـا   رِ تـكـبـرُ، تـرتَـدي، تَـعْـرَى
كـشُـرطِـيَّـيْـنِ يَـقْـتـسـمـا   نِ فِـخْـذَ أجـيـرةٍ سَـكْـرَى
وكـانَ الـسـوقُ سـيَّـافـاً   حـصـانـاً مـن حُـلَـى (كِـسْـرَى)
وبـحـراً يـمـتَـطـي مُـهْـراً   ومُـهـراً يـمـتَـطـي الـصَّـخْـرا
ولـلأَبْـوابِ أنـفـاسٌ   كـسـجـنٍ يـطـبـخُ الأَسْـرَى
وكـانـت أنـجـمٌ تَـدْنُـو   تُـواسـي الـحـانَـةَ الـحَـسْـرَى

* * *

وشـابَ الـلَّـيـلُ، والـسـلـطـا   نُ فـي بَـوَّابَـةِ الـمَـسْـرَى
يـغـوصُ بـعـمـقِ رجـلـيْـهِ   مـن الـيُـمْـنـى إلـى الـيُـسْـرَى
ومـن كَـبْـشٍ إلـى شـاةٍ   ومـن أهْـنـا إلـى أمْـرا
لِـهـذا تـرتـجـيـهِ (الـقُـدْ   سُ) يـرفـعُ بـيـرقَ الـبُـشْـرَى

❁❁❁

فراغ..

يولية 1975م

مـاذا هـنـا أفـعـلُـهُ؟ يَـشـغَـلُـنـي أَشـغَـلُـهُ
أعْـطِـيـهِ نـارَ داخـلـي مـا عـنـدَهُ يـبـذُلُـهُ
يـجـرحُـنـي، أُحِـسُّـهُ يـشـربُـنـي، آكُـلُـهُ
يـمـتَـصُّـنـي، أُذيـبُـهُ يـحـرقُـنـي، أُشـعِـلُـهُ
يُـذهِـلُـنِـي عـن عـدمـي عـن عُـقْـمِـهِ أُذهِـلُـهُ
مـاذا هُـنـا أرفُـضُـهُ؟ مـاذا هُـنـا أقـبـلُـهُ؟
مـنْ ذا هـنـا يـقـتـلُـنـي؟ مـاذا هـنـا أقـتـلُـهُ؟
لا شـيءَ غـيـرُ مـيِّـتٍ ومـيِّـتٍ يـحـمـلُـهُ

* * *

الـوقـتُ لا يـمـضـي ولا يـأتـي خـوتْ أرجُـلُـهُ
أقـدامُـهُ رؤوسُـهُ رؤوسُـهُ أسْـفَـلُـهُ
أمـامَـهُ وراءَهُ آخـرُهُ أَوَّلُـهُ
لا يَـنـتَـهـي لـغـايـةٍ لأنَّ لا بـدءَ لَـهُ
مـاذا أقـولُ يـا هُـنـا؟ ومـا الَّـذي أَعْـمَـلُـهُ؟
مـاذا، ومـثـلـي مـيِّـتٌ؟ هـذا الَّـذي أسـألُـهُ

❁❁❁

الضَّباب
وشمس هذا الزمان

يولية 1976م

يشتهي الصمتُ أن يبوحَ فينسى
ينتوي أن يرقَّ، يمتدُّ أقسى

يَنزَوي خلفَ ركبتَيهِ، كحُبْلى
يرعشُ الطَّلْقُ بطنَها وهي نَغسى

* *

أيَّ شيءٍ تُسِرُّ يا صمتُ؟ تعلو
وجهُهُ صخرتانِ. شعْثا ومَلْسا

ربَّما لا يُحِسُّ، أوْ ليسَ يدري
وهو يغلي بالحسِّ ماذا أحسَّا

تشرئبُّ الثُّقوبُ مثلَ أكفٍّ
فاقداتِ البنانِ، تشتاقُ لَمْسا

ينبسُ العُشْبُ بالسؤالِ كطفلٍ
يتهجّى قخطَّ الرَّضاعةِ دَرْسا

قبلَ أن تبزُغَ البراعيمُ ترمي
لفتاتٍ، تخافُ لَمْحاً وهجْسا

يحذرُ المَيْتُ رمسهُ، وجنينٌ
قاذفٌ وجهَهُ إلى المَهْدِ رَفْسا

* * *

ما الَّذي يستجدُّ؟ لا شيء يُجْدي
كلُّ شيءٍ يبيعُ وَجْهَيْهِ بَخْسا

وجْهُكَ الدّاخلي لعينيكَ منفى
وجهُكَ الخارجي لرجليْكَ مَرْسى

أنتَ مثلي، بيني وبيني جدارٌ
وجدارٌ بيني وبينك أجْسى [1]

أصبحَتْ (عامرٌ) جواداً لـ(روما)
وجلوداً سُمْراً يخبّئنَ (فُرْسا)

بعدَ (باذانَ)[2] جاء (باذانُ) ثانٍ
(عبدريٌّ) سبى (يريماً) و(عَنْسا)

* * *

كان يسْطو (جنبولَ) ثم تَوارَى
وانتقى باسْمِهِ لـ(ذُبْيانَ) (عَبْسا)

---

(1) أشدُّ قسوة وحِدّة.

(2) باذان قائد النجدة الفارسية التي تحولت إلى احتلال بديل للاحتلال الحبشي ويريم وعنس: أخصب المناطق اليمنية أو أكثرها عطاء، لامتدادها وكثرة سدودها في ذلك الحين.. فقد قيل: إنه كان على أوديتها ثمانون سدًا، وتسمّى عنس قديماً (مذحج) كما كانت (يريم) تسمّى (يَحْصُب) أو (يَحْضُب) وعبدري: نسبة إلى (عبد الدار) جد الأمويين. ذبيان وعبس: قبيلتان عربيتان متقاربتان، تقاتلتا نحو أربعين عاما حتى حدود الإبادة.

ما الذي يستجدُّ؟ تنوي بروقٌ
تنهمي، تنثني من الخوفِ تَعْسا

يمتطي نفسهُ الضبابُ ويأتي
كالمسجَّى، يلقِّنُ الصمتَ هَمْسا

يحتوي كلَّ مَغْبَرٍ، يتلوَّى
في عيونِ الكُوَى رؤىً جدَّ خُرْسا

يحتذي ساعديْهِ، عينيْه يهوي
خاسِئاً، يرتقي أحَطَّ وأخْسَى

كجدارٍ ينهارُ فوق جدارٍ
كغبارٍ يستنزفُ الرِّيحَ جِنْسا

يتبدَّى عليه جلدُ الصَّحارى
وطلاءٌ تشمُّ فيهِ (فرنسا)

وركامٌ من التَّلاوينِ، حَتَّى
لا يُبقِّي لأيِّ (حِزْباءَ) لِبْسا

كجرادٍ لهُ حوافيرُ خيلٍ
كمَلاءٍ من بَولِها تتَحَسَّى

* * *

صمتٌ، ما الوقتُ؟ لا أرى ما أُسَمِّي
لا الصباحُ ابتَدا ولا اللَّيلُ أَمْسى!

لم يعدْ، يا ضبابُ للوقتِ وقتٌ
والمكانُ انْمَحَى، على الرِّيحِ أرْسَى

أَنـــنـــي يــا ضــبــابُ أســمــعُ شــيــئــاً
اسْــمُــهُ مــوْطِــنــي، يُــغــنّــي ويَــأْسَــى

مــلءُ هــذا الــرِّحــابِ، يــمــتــدُّ يــرمــي
عــنــهُ نَــفْــســاً ويــبــتَــدي مــنــهُ نَــفْــســا

ذاكَ وادي (عَــسَــى). نــعــمْ، كــانَ يــومــاً
وتــخــطّــى وادي (عــســى) مَــنْ تَــعَــسَّــى

أَتُــراهُ يــحــمــرُّ، يــرنُــو بــعــيــداً
ومُــنــاهُ تــجــتــازُ عــيــنــيْــهِ حَــدْســا؟

مــا الــذي لا تُــحِــسُّــهُ؟ كــيــف تــدري؟
ومــتــى كــنــتَ أنــت تــمــلِــكُ حِــسَّــا؟

* * *

أتــرى هَــذِهِ الــعــيــونَ الــدَّوامــي
تــحــتَ رجــلــيْــكَ، ســوف تُــنــبــتُ شَــمْــســا؟

شــمــسُ هــذا الــزَّمــانِ، مــن تَــحْــتُ تــبــدُو
ثــمَّ تَــعْــلــو، تُــفــجِّــرُ الــمــوتَ عُــرْســا

٭٭٭

الوجه السبئيُّ وبزوغُهُ الجديد

سبتمبر 1976

يقولونَ: قبلَ النجومِ ابتدَيْتْ
تضيءُ وتجتازُ لولا ولَيْتْ

وكنتَ ضُحى (مارِبٍ) فاستَحَلْتَ
لكلِّ بعيدٍ سِراجاً وزَيْتْ

يقولونَ، كُنتَ وكُنتَ وكنتَ
وفي ضحوةِ العمرِ أصبحتَ مَيْتْ

ولَمْ يبقَ منكَ، على ما حكَوا
سوى عَبْرةٍ أو بقايا صُوَيْتْ

و(نُونِيَّةٌ) شَبَّها (دِعْبِلٌ)
وأصداء (بائيَّةٍ) لـ(الكُمَيْتْ)

* * *

ولكنْ متى مُتَّ، كنتَ (بُخَيْتاً)
فصِرتَ شعوباً تُسمَّى (بُخَيْتْ)

لأنَّ اسْمَكَ امتدَّ فيهم، رأوكَ
هناكَ ابتديتَ وفيكَ انتهَيْتْ

فــأيــنَ أُلاقــيــكَ هــذا الــزَّمــانَ؟
وفــي أيِّ حــقــلٍ؟ وفــي أيِّ بَــيْــتْ؟

أُلاقــيــكَ أرصِــفــةً فــي (الــرِّيــاضِ)
وأوراقَ مــزرعــةٍ فــي (الــكــوَيْــتْ)

ومــكــنــســةً فــي رمــالِ الــخــلــيــجِ
وشَــتْ عــن يــديْــكَ وأنــتَ اخــتــفَــيْــتْ

وإِســفــلْــتَ أســواقِ مُــســتَــغــمِــرٍ
أضــأتَ مــســافــاتِــهــا وانــطَــفَــيْــتْ

وروَّيْــتَــهــا مــن عــصــيــرِ الــجــبــيــنِ
وأنــتَ، كــصــحــرائِــهــا مــا ارتــويــتْ

فــكُــنــتَ هــنــالــكَ ســرَّ الــحــضــورِ
و(شَــيْــكــاً) هُــنــا، كــلُّ فــصــلــيْــنِ (كــيْــتْ)

بــريــداً: لــنــا شــجــنٌ، كــيــف (ســعــدٌ)
و(أروى)؟ وهــل طــالَ قَــرْنــا (سُــبــيْــتْ)؟

* * *

ولــكــنْ مــتــى مِــتَّ، يُــنــبــي الــعــبــيــرُ
عــلــى ســاعــديْــكَ وعــن مــا ابْــتَــنَــيْــتْ

ومــا دُمــتَ تَــبْــنــي وتــهــدي ســواكَ
ســيــحــكــونَ: مــنــكَ إلــيــكَ اهــتــدَيْــتْ

ومــن تــجــربــاتِ الــنِّــهــايــاتِ جــئــتَ
ولــيــداً، وقــبــلَ الــبُــزوغِ انــتَــقَــيْــتْ

أَمِـثْـلَ الـربـيـعِ لـبِـشْـتَ الـمـغـيـبَ
وأنـــضـــرَ مـــن كُـــلِّ آتٍ أتَـــيْـــتُ

ذيــل:

- في البيت الخامس نونية دعبل وبائية الكميت وهما: قصيدتان شيعيتان تشيدان باليمن وإشارة إلى افتخار دعبل بالقحطانية وإلى الفكر الشيعي في بائية الكميت.
- في البيت السادس (بخيت) وهو: اسم (ابن مذحج) الذي امتدت منه قوافل العرب من الجزيرة.
- في البيت الثالث عشر لفظة كيت وهي: رمز للعدد غير المعروف.
- في البيت الرابع عشر سُبَيت وهو: اسم لكل ثور يولد يوم السبت، لأنه رمز للحراثة.

❂ ❂ ❂

طيفٌ ليليّ

مارس 1976م

هـزَّ كـفَّـيْـهِ وأرجـف لـحـظـةً، ثُـمَّ تـوقَّـفْ

وبـلا داعٍ تـأنَّـى مـثـلَ مَـنْ يـنـوي ويـأسَـفْ

مـثـلَ مَـنْ بـالـخـوفِ يُـردي وهـو مـن قـتـلاهُ أخـوَفْ

* * *

مـرحـبـاً شـرَّفـتَ، لـكـنْ مـا اسْـمُـهُ؟ مـن أيـنَ شَـرَّفْ؟

فـجـأةً جـاءَ كـوحـشٍ وعـلـى الـفـورِ تـلـطَّـفْ

عـلَّـهُ شَـمَّ عـبـيـرَ (الْـعـقـاتِ) فـاخـضَـرَّ وفـوَّفْ[1]

وارتـدى جِـلْـداً (مَـعِـيـنـيَّـاً) وجـلـبـابـاً مُـنَـصَّـفْ[2]

وتـبـدَّى كـنـديـمٍ كـمـغـولـيٍّ تَـصَـوَّفْ!

كـطُـفَـيْـلـيٍّ قـديـمٍ خـارجٍ مـن جـوفِ مـقـصَـفْ

كـانَ فـي يـمـنـاهُ تـابـوتٌ وفـي يُـسْـراهُ مِـغْـزَفْ

لـونُـهُ مِـنْ كـلِّ وادٍ شـكـلُـهُ مِـنْ كُـلِّ مـتـحَـفْ

ولـهُ وجـهٌ شـتـائـيٌّ وسـروالٌ مُـزَخْـرَفْ

وقَـوامٌ شِـبْـهُ قِـزْمٍ وقِـذالٌ نـصـفُ أهـيَـفْ

(1) فوَّف: تكاثف وازدادت ألوان غصونه.

(2) منصَّف: جلباب مقسوم إلى نصفين

وفُضولٌ يملكُ الدُّنـ ـيا بدينارٍ مُزيَّفْ

* * *

هكذا يبدو، ولكنْ سرُّ ماضيهِ مُغلَّفْ
ربَّما كانَ أميراً أو لسِمْسارٍ موظَّفْ
أو لـ(ذي زَيدانَ) سيفاً أو لخيلِ (الفُرسِ) مِعْلَفْ
أو حِصاناً لجبانٍ أو نبيّاً دونَ (مُصْحَفْ)

*

رُبَّما ماتَ مِراراً ربما أبقى وأتْلَفْ
رُبَّما أشتى بنَيْسا نَ وفي كانونَ صَيَّفْ
رُبَّما للرِّيحِ غنَّى ربما للصمتِ ألَّفْ
فهو يلغُو كغبيٍّ ويُرائي كالمُثقَّفْ
مثلُ مَنْ يَغني ويَحكي غيرَ ما يَغني مُحَرَّفْ
يعرفُ الباب فيدنو ثُمَّ يَنسى ما تَعرَّفْ
حُلْمُهُ أكبرُ مِنْ عَيْـ ـنَيْهِ، مِنْ كفَّيْهِ أعْنَفْ
يركضُ الشكُّ بهُدْبَيْـ ـهِ ويستلْقي كمُتْرَفْ
تسعلُ الأشياءُ كالأطْـ ـفالِ كالفيرانِ تزحَفْ
وهو كالشُّبَّاكِ ساهٍ وكحَدِّ السَّيْفِ مُرْهَفْ
راحِلٌ وهو قعيدٌ طائرٌ وهوَ مُسَلْحَفْ
بيَدٍ يُومي، بأخرى يُرعِشُ الذَّقنَ المُنَتَّفْ

* *

ساعَةً وارْتَدَّ، لكنْ وجهُهُ عندي تَخلَّفْ
عندَ ذاكَ الرُّكنِ أقْعَى عندَ هذا الرُّكنِ رَفْرَفْ

فـي رُؤى الـسَّـقْـفِ تـنـدًى وعـلـى الـبـابِ تَـكَـثَّـفْ
هـاهُـنـا كـالـوعـدِ أغْـرى وهـنـا كـالـمـوتِ طَـوَّفْ
هـاهُـنـا مـثـلـي تَـشَـهَّـى وهُـنـا مـثـلـي تـفَـلْـسَـفْ

❂ ❂ ❂

الغبارُ
والمَرائي الباطنيَّة

مايو 1976م

هــاهُــنــا الــجــدرانُ تَــذمــى وتُــفَــكِّــرْ
وعــلــى أرؤسِــهــا تــمــشــي وتــنــظُــرْ
بــعــضُــهــا يــزحــمُ بــعــضــاً هــاربــاً
بــعــضُــهــا يُــقْــبَــلُ كــالــخــيــلِ ويُــدْبِــرْ
بــعــضُــهــا يــمــشــي ولا يــمــشــي، يــرى
مــثــلــمــا يــســتــقــرئُ الأســرارَ مُــخْــبِــرْ
الــمــرائــي بــاطــنــيَّــاتٌ هــنــا
تــحــجــبُ الــرَّائــي وفــي عــيــنــيْــهِ تُــسْــفِــرْ
يُــجْــهَــدُ الإبــصــارُ فــي رؤيــتِــهــا
وســوى مــا يــنــفــعُ الــتــقــريــرُ يُــبْــصِــرْ
عَــجَــبــاً، رغــمَ الــتــعــرِّي تــنــطــوي
ذاتُــهــا فــيــهــا وذاتُ الــغــيــرِ تُــظْــهِــرْ

***

مــا الــذي شــاهــدتُ، تــقــضــي مــهــنــتــي
أنْ أرى سِــرّاً، فــيَــخْــفَــى وأُقَــدِّرْ

الـــمِـــدادُ الأبـــيـــضُ الـــسِّـــرِّي بـــلا
أيِّ ســرٍّ. مــا الــذي يُــبْــدي ويُــضــمِــرْ؟

تَــبْــذِرُ الأوراقُ، لـــكـــنْ مـــا لَـــهـــا
فـي يـديْـكَ اتَّـسَـخَـتْ مـن قـبـلِ تُـثْـمِـرْ؟

لـمْ تَـكُـنْ غـيـرَ أجـيـرٍ، لا تَـخَـفْ
إنَّ أغـبـى مـنـكَ مَـنْ سـوفَ يـؤجَّـرْ

مِـنْ. إلـى، مـثـلُ ذبـابٍ يـرتـمـي
مـثـلُ ذكـرى لا تُـلاقـي مَـنْ تُـذكِّـرْ

مـثـلُ أفـكـارٍ أضـاعَـتْ فـمَـهـا
وتُـلاقـيـهِ؛ فـتـنـسـى أن تـعَـبِّـرْ

لا يَـعـي الآتـي إلـى أيـنَ، ومِـنْ؟
لـيـسَ يـدري صـادِرٌ مِـنْ أيـنَ يُـصْـدِرْ

الـغـبـارُ امـتـدَّ سـقـفـاً أزجُـلاً
أَغْـيُـنـاً، مـثـلَ الـحـصـى تـغـلـي وتُـمْـطِـرْ

أيْـدِيـاً رمـلـيَّـةً دُوديَّـةً
تـكـتـبُ الأحـلامَ والـرِّيـحُ تُـفـسِّـرْ

* * *

حـسـنـاً. مـاذا؟ هـوى الـسَّـقـفُ، ابـتـدا
وابـتـدَتْ بـعـضُ شـقـوقِ الأرضِ تُـقْـمِـرْ

رُبَّـمـا عـادَ كـمـا كـانَ؟ سُـدًى
الـتـقـى الـوجـهُ ومـرآةُ الـمُـبَـشِّـرْ

الــزُّفــاتُ الــمُــكْــرَمــيَّــاتُ[1] الــتَــقَــتْ

بــدأتْ، مــن تــحــتِ جــلــدِ الــمــوتِ تُــزْهِــرْ

❁ ❁ ❁

(1) المكرميّات: نسبة إلى (المُكْرَم بن أحمد) زوج الملكة (أروى) ومُفلسِف أسرار المذهب.


الناشيء



الفهرس


الناشيء

فهرس المحتويات

في طريق الفجر

مدينة الغد

لِعَيْنَيْ أمّ بلقيس

السَّفَر إلى الأيام الخُضر

وجـوهٌ دخانيَّة في مرايا اللَّـيـل


الناشيء



ديــوان

عبد الله البَرَدُّوني

الأعمال الشعرية

1-12

المجلد الثاني



مكتبة الإرشاد
شارع ٢٦ سبتمبر - صنعاء - ص.ب ٣٠١٨
هاتف: ٢٧٤١٩٠ _ ٢٧١٦٧٧ _ ٢٧٩٢٨٨
الجمهورية اليمنية

ديوان

عبد الله البردوني

الأعمال الشعرية

12 - 1

المجلد الثاني

12 - 7



مكتبة الإرشاد

صنعاء - اليمن

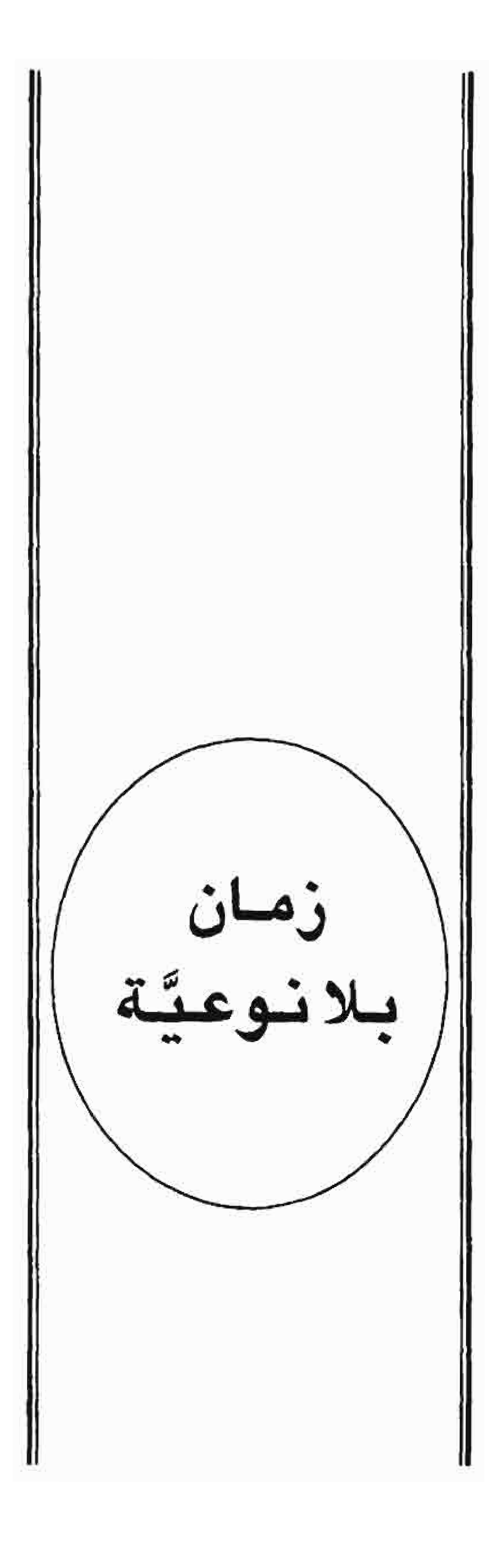
الطبعة الرابعة
١٤٣٠هـ - 2009 م

لوحة الغلاف للفنان: علاء البردوني

رقم الإيداع بدار الكتب بصنعاء
2009 / 181



مكتبة الإرشاد
الجمهورية اليمنية - صنعاء - ميدان التحرير
شارع ٢٦ سبتمبر - ص.ب ٣٠١٩ - تليفون ٧٠٧٧٥ ٢٧١٦٧٧


زمان
بلا نوعيَّة

مُغَنّي الغبار

إلى أينَ؟ هذا بذاكَ اشتبهْ
ومِنْ أينَ يا آخرَ التَّجْرِبَةْ؟

إلى أينَ؟ أضنى الرَّصيفَ المسيرُ
وأتعَبَتِ الراكبَ المركبةْ

وعن كُلِّ وجهٍ ينوبُ القناعُ
وترنو المرايا كمُستَغْرِبَةْ

إلى أينَ؟ مِنْ أينَ؟ يُدْني المَتاهُ
بعيداً ويستبعدُ المَقْرُبَةْ

* * *

سؤالٌ يولِّي، سؤالٌ يُطِلُّ
ومِنْ جلدِها تهربُ الأجْوِبَةْ

ويظما إلى شفتَيْهِ النداءُ
وتأتي القناني بِلا أشْرِبَةْ

فتعرى المدينةُ، تشوي الرِّياحُ
تقاطيعَ قامتِها المُعْشِبَةْ

ويبصقُ في جوفِها العابرونَ
وتُرخي على وجهِها الأحجِيَةْ

* * *

ويــأتــي الــســؤالُ بــلا دهــشــةٍ
ويــرتــدُّ كــالــهــرَّةِ الــمُــتــعَــبَــةْ

وتــصــبــو الــقــصــيــدةُ، تــحــنــو كــأُمٍّ
وتــهــتــاجُ كــالــعــانــسِ الــمُــغْــضَــبَــةْ:

لــمــاذا يُــغَــنِّــي هَــشــيــمُ الــدِّمــاءِ
وتُــصــغــي لَــهُ الــرِّيــحُ والأتــرِبَــةْ؟

هــل الــسَّــامــعــونَ بــلا مِــسْــمَــعٍ،
أَوَ انَّ الــمُــغَــنِّــي بِــلا مــوهِــبَــةْ؟

هــل الــسِّــلْــمَ تــبــنــي أو الانــتــصــارَ؟
ســمــعــتُ الإذاعــاتِ والــمــأدُبَــةْ

تــغــنَّــوْا عــلــى الــنُّــخَــبِ حــتــى الــجُــنــونِ
ومــاتــوا عــلــى جُــثَّــةِ الــمُــطْــرِبَــةْ

وهــل قُــلــتَ شــيــئــاً؟ صــبــاحَ الــجــمــالِ
أجــابُــوا؟ ســكــرْتُ بــهــذي الــهِــبَــةْ

ومــا رأيُــكَ الآنَ فــيــمــا جــرى؟
أُحــبُّ الــدِّرامــيَّــةَ الــمُــرْعِــبَــةْ

أمــا زرتَ شــخــصــيَّــةً فــذَّةً؟
نــعــم، زرتُ قــبــرَ (أبــي مُــرْهِــبَــةْ)

أطــالــعــتَ شــيــئــاً؟ تــســاوى الــحــشــيــشُ
ورائــحــةُ الــحــبــرِ والــمــكــتــبَــةْ

تخرَّجتُ قبلَ دخولي، كشفتُ
بلا كتبٍ رحلتي المُجْدِبَةْ

قرأتُ المقاهي، وفي نصفِ عام
أجدتُ البطالاتِ والثَّعْلبَةْ

وغيَّرتُ جلدي مِراراً، فمي
مراراً، أضاعتنيَ الأسْلَبَةْ

وفي (القاتِ) غبتُ بلا غيبةٍ
تذبذبتُ، أنهتني الذَّبْذبَةْ

دخلتُ الحواري ومنها خرجتُ
بدكتورةِ الذُّلِّ والمسغَبَةْ

عرفتُ القراراتِ رغمَ السطوحِ
كما تعرفُ الخنجرَ الأرنبةْ

قُتِلْتُ مراراً فَزِدْ مَرَّةً
يُحِسُّوا بأنَّ القتيلَ انْتبهْ

❂ ❂ ❂

لعبةُ الألوان

1978م

كانَ هذا ما جرى، ماذا سيجري؟

ما الذي يا ليلُ. . ؟ سَلْ أوجاعَ فجري

إنَّما أرجوكَ، قُلْ لي ما اسْمُهُ؟

هَلْ لَهُ رائحةٌ، يا ليلُ، تُغري؟

لا تشمَّ الآنَ، قُلْ ما لَونُهُ

لعبةُ الألوانِ أضحَتْ لونَ عَصْري

كيفَ يبدو؟ كلُّ ما ألمحُهُ

أَنَّ شيئاً آتياً يُشقي ويُثْري

* * *

أيُّها العفريتُ نَمْ، أقْلَقْتَني

ابتعِدْ عن سُرَّتي. . ما ذا التجرّي؟

أصبحَتْ سِرِّيَّتي لافتةً

فوقَ وجهي وجداراً فوقَ ظَهْري!

كيفَ أُخْفي والقناديلُ هُنا

وعلى ظهري (وكالاتُ التَّحرّي)؟

كلُّ مستورٍ تعرّى، إنما

سرَقَ الأنظارَ تزويرُ التَّعَرّي

* * *

هذهِ سيَّارةٌ تدْهَمُني
تِلكَ أُخرى. في يدِ الشيطانِ أمري

مُتُّ فوراً. كانَ قبري داخلي
غبتُ فيهِ لحظةً واجتزْتُ قبري

ليتَ شعري، يا (ثُريَّا) ما الذي
سوفَ يأتي بعدَ هذا؟ ليتَ شِعْري

رُبَّما يأتي الذي يُشعلُني
رُبَّما يأتي الذي يُخمِدُ جَمْري

رُبَّما فاجأني ما أشتهي
رُبَّما لاقيتُ أزرى بعدَ مُزْري

* * *

الثُّريَّا، آهِ مثلي تَمْتَري
قُلْ لَها يا (مُشْتَري): ماذا ستشري؟

رُبَّما بِعْتُ مَداري ليلةً
واشترى يوماً مهبُّ الرِّيحِ سِرِّي

هذهِ نظّارةٌ ترنو إلى
وَجْهِ غيري، وهيَ تشويني وَتَفْري

جمرُها يقرَأني من داخلي
وأنا في خارجي أمتصُّ حِبْري

* * *

مـا الـذي يـا ريـحُ. . . ؟ مـثـلـي لا تـعـي
مـا الـذي يـا بـرقُ. . . ؟ يـرنـو وهـو يَـسْـري

مـا الـذي يـا آخـرَ الـلّـيـلِ تـرى؟
ما الذي يا فجرُ. . . ؟ يُومي : سوفَ تَدْري

رُبّـمـا أَصـبَـحْـتَ شـيـئـاً ثـانـيـاً
تـزدري مـا كـنـتَ قـبـل الآن تُـطْـري

حـسـنـاً، مَـن أسـألُ الآن؟ إلـى
أيِّ أكـتـافِ الـرُّبـا أحـمـلُ صَـخْـري؟

صنعاء في فندق أمويّ

أكتوبر 1977م

تـوهَّـمْـتُ أنـي غـبـتُ عـن هـذه الـرَّوْعـى
فـمـن أيـنَ جاءتْ تسحرُ الـغـرفـةَ الـصَّرْعـى؟

تـهـامسُني فـي كُـلِّ شـيءٍ، تـقـولُ لـي:
إلـى أيـن عنـي راحـلٌ؟ «خَـفِّـفِ الـمَـسْـعـى»

ومـنْ هـذه الـرَّوْعـى؟ أظـنُّ وأمـتـري
وأدري، ويُنسيني لـظَـىً داخـلـي أفـعـى

أمـا هـذهِ (صـنـعـا)؟ نـعـم إنَّـهـا هُـنـا
بـطـلـعـتِـهـا الـجَـذْلـى، بـقـامـتِـهـا الـفَـرْعـا

بـخُـضـرتِـهـا الـكَـحْـلـى، بـنـكـهـةِ بَـوْحِـهـا
بـرَيَّـا روابـيـهـا، بـعِـطْـريَّـةِ الـمـرْعـى

*

أما كُنتِ في قـلـبي حضوراً عـلى الـنَّوى؟
ولـكـن حـضـورُ الـقُـرْبِ عـنـدَ الأسـى أدْعَـى

سـهـرْتُ وإيَّـاهـا نَـهُـدُّ ونَـبـتـنـي
ومـن جَـذْرِهـا نُـفْـنـي الـمـؤامَـرَةَ الـشَّـنْـعـا

أصـوغُ وإيَّـاهـا ولادةَ (يَـخْـصُـبِ)
أُغـنِّـي وإيّـاهـا: «أيـا بـارقَ الـجَـرعـا. . »

نـطـيـرُ إلـى الآتـي ونـخـشـى غـيـوبَـهُ
نَـفِـرُّ مـنَ الـمـاضـي ونَـهْـفـو إلـى الـرُّجْـعـى

ومِـنْ جـمـرِ عـيـنَـيْـهـا أشبُّ قـصـيـدةً
ومِـنْ جـبـهـتـي تـمـتـصُّ رنّـاتِـهـا الـوَجْـعـى

طـلـبـتُ فـطـورَ اثـنـيْـنِ، قـالـوا بـأنَّـنـي
وحـيـدٌ؛ فـقـلـتُ اثـنـيـنِ. إنَّ معـي(صـنـعـا)

أكـلـتُ وإيَّـاهـا رغـيـفـاً و(نـشـرةً)
هـنـا أكـلَـتْـنـا هـذه (الـنـشـرةُ) الأفـعـى

وكـانَـتْ لألـحـاظِ الـزوايـا غـرابـةٌ
وكـانـتْ تُـديـرُ الـسَّـقـفَ إغـمـاءةٌ صَـلْـعـا

ضـبـابـيَّـةَ الأخـبـارِ، تـدريـنَ سـرَّهـا؟
أتُـضـغـي؟ ومَـنْ مِـنَّـا بـمـأسـاتِـنـا أوْعـى؟

يُـعـزُّونَـنـا مـن كـلِّ بُـوقٍ كـأنَّـهُـمْ،
لِـحُـبِّ الـضـحـايـا مـن سـكـاكـيـنِـهِـمْ أرْعـى

* * *

زمـانٌ بـلا نـوعـيَّـةٍ، سـاقَ ويـلُـهُ
مـتـاخـيـم يـقـتـاتـونَ أفـئـدَةَ الـجـوعـى

لـمـاذا أنـا مَـنْـعـى الـمـحـبِّـيـنَ والـعِـدا؟
لـكـي يُـصـبـحَ الـقُـتَّـالُ قـتـلـى بـلا مَـنْـعـى

ذيل للقصيدة السابقة:

- ورَدَتْ في البيت الثاني عبارة «خفّفِ المسعى»، وهي إشارة إلى قصيدة لـ(عَبد الرحمن الآنسي) ثم أصبحت أغنية:

عن ساكني صنعا حديثك هات وافوج النسيم
وخفّفِ المسعى وقف كي يفهم القلب الكليم

وفي البيت الثامن عبارة «أيا بارقَ الجَرعى» وهو مطلع قصيدة لـ«ابن إسحاق» ثم أصبحَتْ أغنية:

أيا بارقَ الجرْعى هل الجَزْعُ ممطورُ
وهل بالغواني ذلك السفح معمورُ



وجه
الوجوه المقلوبة

مايو 1966م

الرَّقْمُ العاشرُ كالثَّاني
الواحدُ أَلْفٌ، ألفانِ

وسِوى المَغْدودِ كمعدودِ
وسِوى الآني مثلُ الآني

الألْفُ، الصُّفْرُ بلا فرقِ
سِيَّانِ الأعلى والدَّاني

الفوقُ سُقوطٌ صخريٌّ
التَّحْتُ سُقُوطٌ إنساني

نفسُ النَّوعِ الأعلى الأدنى
وجهُ المُفْني ظَهْرُ الفاني

سِيَّانِ القاتلُ والرَّاثي
سِيَّانِ الشَّامتُ والحاني

الإنسانُ الموتُ الأظمى
ودَمُ القتلِ الظَّمِئُ العاني

❊ ❊

المبتدأُ الثاني خبرٌ
الأوَّلُ مبنيٌّ باني

ولِحرفِ الباني محترَفٌ
ولقلبِ المَبْنى قلبانِ

ولرفعِ الأوَّلِ واجِهَةٌ
ولحذفِ الثاني وجهانِ

ولِمَثْنى (ماني) إعرابٌ
بالجرِّ إلى عَقِبيْ (ماني)

مَرْناهُ خليجيٌّ، فمُهُ
شقٌّ من صخرِ (إيواني)

لا فرقَ، برغمِ الفرقِ هنا
وهنا وهنالكَ سِيَّانِ

بَيْعٌ مخمورٌ وشراءٌ
لزجٌ، كالمُضطجِعِ الزّاني

تصنيعُ ذيولٍ، أدمغةٍ
تسويقُ مَناعي وأماني

سكّينٌ كالجُرحِ النّازي
جُرحٌ كالسّيفِ (العُثماني)

* * *

مَنْ أنتَ؟ القتلُ أو القَتْلى؟
ما بينَ المُدْيةِ والجاني

(يمنيٌّ) أُمِّيٌّ، لكنْ
حَذْسي أقرأُ مِنْ (يوناني)

لا أعتبرُ المرسومَ، أرى
ما خلفَ الحبرِ السُّلطاني

البيتُ الأبيضُ، في عيني
فحمي والهِنْدي غاني

إنسانيٌّ، لا لونيٌّ
وعلى العُدواني عُدْواني

*

مَنْ علَّمني هذا؟ وطَني
وفراقُ المُزْبَى رَبَّاني

هَلْ عِنْدَ الكلِّيَّاتِ سِوى
جهلٍ، عَنْ خُبْثِ عِلْماني؟

عن نهجِ اسْتِعْسمارِ الآتي
صدْقٌ، أو قُلْ ما أغْباني

في كلِّ بلادٍ، أنتَ هوَىً
(سوْطيٌّ) شوقٌ (حَذْناني)

طيْفُ (القَيْلاتِ) يُثيرُ على
عينيكَ حنيناً رُمَّاني

ما أحْلى (المِغْلي) شِتْوِيّاً
ما أشْهَى (الوادي) عَلاَّني

(القاتُ) الغربةُ والذِّكرى
الهمُّ الدَّاني (هَمْداني)

سِيّانِ الموطنُ والمَنْفى
سِيّانِ الطَّافرُ والواني

سِيّانِ المُغْطي والمُزْدي
سِيّان المَزْنَى والزّاني

عِطرُ المَفْدي ودمُ الفادي
أعراسُ البيعِ المَجّاني

مصباحُ السّارقِ والسّاري
مرآة المُضْني والضّاني

شبكاتُ الجاسوسِ الرّاقي
ألْقابُ العُهْرِ (الدِّيْواني)

البابُ الثاني للمَبْغَى
تنظيرُ البحثِ الميداني

* *

الخابي والزّاهي اشْتَبها
أتساوى الدَّاجي والقاني؟

للوَجْهِ البادي أربعةٌ
للظَّهْرِ المرئي ظَهْرانِ

ولِكُلِّ المقلوباتِ إلى
داخِلِها وجهٌ إعلاني

والفنُّ الإمكاني حِجْرٌ
لا يُبْدي غير الإمكاني

أوَليس لكانونٍ وجهٌ
مقلوبٌ، يصبحُ نَيْساني؟

يبدو هذا وسِوى هذا
أوَما السَّبْعِيناتُ زَماني

* *

الألوانُ الشَّتَّى امتَزَجَتْ
شيئاً يَهْذي: ما ألواني؟

ما شكلي الآنَ؟ وكالاتٌ
مِنْ أفقي يَنْبشْنَ كَياني

مِنْ أينَ أتيتُ، وأينَ أنا؟
أأتيتُ؟ أتى غيرُ مكاني

ماذا؟ ما اسْمي؟ أهُنا داري،
أمْ سجني وأنا سجَّاني؟

جِلْدي مِنْ (لندنَ) مِن (روما)
وقَوامي كُوزٌ (جَهْراني)

لِم لا أختارُ مقاييسي
وأرى وزْني مِن ميْزاني؟

أوَليستْ لي عينانِ، أرى
كالنَّاسِ ورأسٌ ويدانِ؟

أأنا نفسي وسِوى نفسي؟
أبدو غَيْرِيّاً وأناني

ماذا عن ساقي يَحملُني؟
مَنْ عَنِّي يسكنُ جُثْماني؟

* * *

أأنا صاحٍ؟ لو مَنْ أَنْسى
كأسي سكْرَتها أنْساني

صاحٍ وأعي برقَيْنِ إلى
نهري، مِنْ نَبْعي حَمَلاني

مَنْ يقلعُني مِنْ تشكيلي
ويُحلُّ عنّي شَيْطاني؟

يا قلبي فَتِّشْ عنْ قلبي
عن نارٍ كانتْ أَشْجاني

عن وجهِ (سهيلٍ) في وجهي
عن شمسٍ كانَتْ عُنواني

*

رُدِّي يا ضوضاءَ المَوْتى
صَوْتي، بُنَيَّةُ أحزاني

الكأسُ وريدٌ مقطوعٌ
مِن زَنْدي. . مَنْ ذا أَسْقاني؟

يا وهجَ الزَّيفِ أعِدْ بَصَري
يَبِسَتْ عيناك بأجْفاني

أختارُ أنا، يا زيفُ يدي
تشكيلي، وجْهي ولِساني

أدري أنّي أحَدٌ، أهوى
وأُعادي، أملكُ وِجْداني

أعدو عن فلسفةٍ، أمشي
عن رأيٍ. هذا مِنْ شاني

أجري، أَدمى، لكن أجري
وأُغَنّي، لكنْ وأُعاني

آسى، أدري ما مأساتي
أهفا، أدري أنّي هاني

* *

مَنْ يجهرُ أنّي كذّابٌ؟
مَنْ يحكي عَنّي هَذَياني؟

في برٍّ أبحِرُ، مَرساتي
رِجْلي وجَبيني شُطآني

هل أبكي؟ لكنْ قد يبكي
بشجَيَ أعلى مَنْ أبكاني

قطعانُ الدمعِ بلا دمعٍ
وتَباكي الأبراجِ أغاني

هَلْ أسكُتُ؟ جرَّبتُ، اتّهموا
صمتي بمعانٍ ومعاني

هــل أغْــشــى الــمــوتَ، فــمــنْ يــروي
أســـرارَ الـــمـــوتِ لـــجـــيـــرانِـــي؟

كـــالـــوردِ أمـــوتُ هـــوًى، تـــدري
(أروى) أنَّ الـــعـــشْـــقَ يـــمـــانـــي

ذيل لبعض
المفردات في القصيدة السابقة:

ماني في البيت (11): اسم فيلسوف فارسي قديم آمن بإلهين للنور وللظلمة؛ فكان كمن يفرُّ من الجدار إلى الجدار، وفي البيت رمز للامتداد الفارسي على الخليج قبل الثورة الإيرانية. وفي الأبيات من (25) إلى (28) أسماء أنواع من (القات) منسوبة إلى أمكنة وأزمنة: (السُّوطي) منسوب إلى (بني سوط) في المناطق الشمالية، (الحَذْناني) نسبة إلى (حدنان) وهو أشهر أنواع (القات) بالجودة في لواء تعز، (المعلي) يسمّى قات الملوك والوارثين الأغنياء في لواء (إب) ومثله قات (الوادي) في ضواحي (صنعاء) وهو أكثر جودة في الخريف المعروف عند الفلاحين بـ(علاَّن) ومثله (الهمداني) نسبة إلى (همدان). وفي البيت (45) (جهراني) نسبة إلى (جهران) وتقع في المنطقة الوسطى حيث عرفت بالمهارة في صناعة الأكواز الفخارية.

(أروى) في البيت الأخير، هي السيدة بنت أحمد الصليحي إحدى ملكات اليمن؛ وهي هنا رمز الأرض.

۞ ۞ ۞

الجدران الهاربة

1968م

أقبلتْ كلُّها الدكاكينُ وَلْهى
كبغايا هرَبْنَ منْ نسفِ ملهى
لم يَعُدْ من يجيءُ، جاءتْ سقوفٌ
فوقَ أخرى، واهِ أتى فوقَ أوْهى

كان يستفسرُ الغبارُ الشظايا:
المرايا أوِ الجراحاتُ أزهى؟
أيُّ صِنْفَيْ خمَّارةِ الموتِ أرقى؟
الأغاني أوِ السكاكينُ أشهى؟
ينثني، يُقبلُ الزحامُ. أيَدْري
أيَّ وجْهَيهِ، أيَّ ظَهْرَيْهِ أبْهى؟
مِنْ يديهِ يعدو إلى منكِبَيْهِ
ساهياً عنهُ، عن تَردِّيهِ أسْهى!

أقبلَتْ كلُّها العِماراتُ عَجْلى
تمتطي مخبزاً وتجترُّ مقْهى

تــرتــدي آخــرَ الأنــاقــاتِ، لــكــنْ
مــثــلــمــا تَــدَّعــي الــفَــطــانــاتُ بَــلْــهــا

كــان يــبــدو إســفــلْــتُ كــلِّ رصــيــفٍ
ركــبــةً تــحــتــذي ثــمــانــيــنَ وَجْــهــا

والــذي يَــبْــتــدي بــلا أيِّ بَــدْءٍ
والــذي يــنــتــهــي إلــى غَــيْــرِ مَــنْــهَــى

حــيــن تُــمْــحَــى الــدُّروبُ، إلاَّ طــريــقــاً
لــلــدَّواهــي تُــغْــري أمــرَّ وأدْهَــى

⊛ ⊛ ⊛

أغنياتٌ
في انتظارِ المُغنّي

1966م

لِأزهـى غـرامٍ، لأعـلـى طِـمـاغ
نُـغـنّـي، نـروغُ قِـوَى الارتـيـاغ

لِـنَـفـرُقَ بـيـنَ الـنَّـدى والـسَّرابِ
وبـيـنَ الـحـقـيـقـي وبـيـن الـخِـداعْ

لِـنـشـعُـرَ أنَّ لَـدَيْـنـا وجـوهـاً
أمـامـيَّـةً تـرفـضُ الارتـجـاعْ

نُـغـنّـي لِـنـخـتـرقَ الـمُـفـزعـاتِ
لـنـجـتـثَّ مِـنْ دَمِـنـا الإنـهـلاعْ

نُـغـنّـي لِـنـختـرعَ الـمُـسْـتَـحـيـلَ
لِـتـخـلُـقَـنـا شـهـوةُ الاخـتـراعْ

* * *

أَيـا (أمَّ كـلـثـومَ) أشـهـى الـتـلاقـي
بـحـضـن الـمـنـايـا، وأحـلـى الـوداعْ

هـنـاكَ انـهـيـارٌ يـشـيـدُ الـشُّـمـوخَ
فـراقٌ يـؤدّي لِأهـنـا اجـتـمـاعْ

فـقـد أصبـحَ الـموتُ، يـا بـنـتَ مِـصـرَ
عـلـى قـبـضـةِ الـمـوتِ أقـوى امـتـنـاعْ

فـمـن لَـمْ يَـمُـتْ كـي تـجـدَّ الـحـيـاةُ
يَـمُـتْ مـطـمـئـنـاً لـكـي لا يُـبـاعْ

لأنَّ الـمـمـاتَ الـتـجـاري يـجـيءُ
مـن الـضـيـقِ كـي يـسـتـزيـدَ اتِّـسـاعْ

ألا تـنـظـريـنَ زحـوفَ الـصَّـلـيـبِ؟
أَتَـوْا ثـانـيـاً كـانـقـضـاضِ الـسِّـبـاعْ

يَـسُـوسُـونَ مَـن نـصَّـبُـوهُـمْ رؤوسـاً
يـدوسـونَ مَـن لـقَّـبـوهـمْ (رُعـاعْ)

هِـيَ (الـخُـطـوةُ) الـخُـطـوةُ اسـتـوطـنـتْ
إلـى الـداخـلِ، اجـتـازتِ الـمُـسـتـطـاعْ

فـحـلَّـت عـن (الـخـطِّ) أعـلـى الـقـصـورِ
ومـدَّتْ عـلـى كـلِّ شـبـريـنِ بـاعْ

* * *

(أريـمٌ عـلـى الـقـاعِ)؟ (رقَّ الـحـبـيـبُ)
وقـدْ أجـذعَ الـرُّعـبُ فـي كـلِّ قـاعْ

نـريـدُ مـعـازِفَـنـا أيْـدِيـاً
طـوالاً، فـ(مُـوْشِـي) طـويـلُ الـذِّراعْ

نـريـدُ قـصـائـدَنـا عـاصـفـاً
سـيـولاً، سـيـوفـاً تُـداوي الـصُّـداعْ

مـــغـــامـــرةً ضـــدَّ كـــلِّ الـــريـــاحِ
تـــقـــودُ شِـــراعـــاً وتَـــهْـــدي شِـــراعْ

لأنَّ وُجَـــيْـــهـــاتِـــنـــا الـــعـــالـــيـــاتِ
تـــلاشـــتْ وزادتْ شُـــكـــولُ الـــقـــنـــاعْ

ومـــا دامَ مَـــنْ فـــوقَ هـــامـــاتِـــنـــا
جـــبـــانٌ، فـــكـــلُّ عـــدوٍّ شـــجـــاعْ

غـــدا أعـــنـــفُ الـــعـــشـــق عِـــشْـــقَ الـــتُّـــرابِ
وكـــلُّ هـــوًى لِـــســـواهُ ضَـــيـــاعْ

لأنَّ إجـــاداتِ إنـــجـــابِـــهِ
تـــمـــتُّ إلـــى جـــودةِ الابـــتـــلاعْ

إذا لـــمْ تَـــذُبْ نـــطـــفـــةٌ فـــي حـــشـــاهُ
تـــكـــسَّـــرْتَ تـــحـــتَ ركـــامِ الـــمَـــتـــاعْ

* * *

مـــنـــاديـــلُ عُـــرسِ الـــضَّـــحـــايـــا دمٌ
غـــنـــاءُ الـــتَّـــفـــانـــي أشـــقُّ ابـــتـــداعْ

لَـــهُ الـــغـــضـــبُ الـــبـــربـــريُّ الـــبـــتـــولُ
أُلـــوهـــيَّـــةُ الـــحـــزنِ والالـــتـــيـــاعْ

مـــقـــاطِـــعُـــهُ جـــمـــراتٌ، شـــفـــاهٌ
حَـــبـــالـــى يُـــجَـــمِّـــرْنَ حـــلـــمَ الـــرَّضـــاعْ

عـــروقٌ يُـــقـــطِّـــعـــهـــا الاشـــتـــعـــالُ
وتـــورقُ مِـــنْ آخـــرِ الانـــقـــطـــاعْ

خـيـولٌ شـعـاعـيَّـةٌ تَـرْتَـمـي
دخـانـاً وتـعـلـو رُبـاً مِـن شُـعـاعْ

لأنَّ هـوى الـيـوم غـيـرُ الـهـوى
تَـرَنُّـمُـهُ دمـويُّ الـسَّـمـاعْ

وداخِـلُـهُ أغـنـيـاتٌ يَـتُـقْـنَ
إلـى الـبـوحِ، كـالـقُـبَّـراتِ الـجِـيـاعْ

* * *

رؤانـا وحـبَّـاتُ أجـفـانِـنـا
حـصَـىً، تـحـتَ أقـدامِ جـيـشِ الـدِّفـاعْ

فـيـا (أمَّ كـلـثـومَ) غَـنِّـي رصـاصـاً
يُـحـنِّـي صـراعـاً ويَـشْـوي صِـراعْ

أُلـوفٌ كـ(يـوسـفَ) تـحـتَ الـسِّـيـاطِ
بـلا تـهـمـةٍ بـاسـتـراقِ (الـصُّـواعْ)

ويـا (قـيـسُ) لـيـلـى عـلـى كـلِّ سـوقٍ
تـمـوتُ سِـفـاحـاً، تُـجَـرُّ اقـتـلاعْ

ويـا (أحـمـد بْـنَ الـحـسـيـنِ) انْـتَـبِـهْ
فـ(كـافـورُ) مـا زال حـيّـاً مُـطـاعْ

ويـا (حـافـظُ) اغْـضَـبْ غَـدَتْ (دُنْـشـوايُ)
بـ(مـصـرَ) الـعـزيـزةِ كـلَّ الـبِـقـاعْ

لـقـد أسَّـسـتْ وَخْـدَهـا، إنَّـمـا
هَـوَتْ فـوقَ آسـاسِـهِـنَّ الـقِـلاعْ

فكيفَ يرى الشرقُ هذا السقوطَ
وقد كانَ ينتظرُ الارتفاعْ

* * *

أَكُلُّ النُّجومِ انطفَتْ؟ رُبَّما
تنحَّتْ لأُخرى أَجَدَّ التماعْ

أما بينَ ظاهرِ هذا الرَّمادِ
وبينَ طواياهُ، أعتى نِزاعْ؟

أما تحتَ كلِّ خُمودٍ بريقٌ
يدلُّ على مبعثِ الاندفاعْ

❂❂❂

الحَبَلُ العقيم

مارس 1977م

قِيلَ جاؤوا، وغيرُهمْ جاءَ حِيناً
جَدَّ شيءٌ، فما الذي جدَّ فينا؟
السرابُ القديمُ صارَ جديداً
الخِواءُ البديدُ أمسى مَتِينا
الجلودُ التي علينا طلاءٌ
كاذبٌ يركَبُ الفراغَ الحزينا

* * *

نُبطِنُ العقمَ كالحنينِ، ليرقى
فوقَنا، كي نعودَ فيهِ الجَنينا
فترى البؤس آكلاً وأكيلاً
وترى العقمَ ساجناً وسجينا
أيُّ فرقٍ ما بينَ ذاكَ وهذا؟
ذا هزيلٌ وذاكَ يَبْدو سمينا
والذي كانَ، كالذي امتدَّ منهُ
نزرعُ الوردَ، شوكُهُ يجتنينا!
كيفَ شئنا زهراً فأعشبَ شوكاً؟
كانَ فينا غِشُّ البذورِ دفينا

* * *

ذاكَ ولّـى، هـذا أتـى فـأرانـا
مـا أرتـنـا عِـصِـيُّ ذاكَ يـقـيـنـا

وعـلـيـنـا نـحـسـو الـشَّـظـايـا، نُـصـلّـي
لـشـموخٍ لَـمْ يـلْـقَ فـيـنـا جَـبـيـنـا

ونُـداجـي بـلا اقـتـدارِ الـمُـداجـي
ونُـغَـنّـي ولا نُـجـيـدُ الـرَّنـيـنـا

إنّـنـا نـبـتـغـي. هَـلِ الأمـرُ فـوضـى؟
نـنـطـوي كـي يـنـالَ مَـنْ يـبـتـغـيـنـا

مَـنْ يـرى مـبـدأَ الـتـعـقُّـلِ جُـبـنـاً؟
مَـنْ أرادَ الـحـيـاةَ مـاتَ رصـيـنـا

* * *

مَـنْ يَـذُبُّ الـنـقـودَ يـا أمُّ عـنّـا؟
أصـبـحَـتْ فـوقَـنـا الـرُّؤوسُ عـجـيـنـا

أمُّ، هـذا الـذبـابُ يُـدْعـى نـقـوداً
فـلْـتَـذُبّـي هـذا الـوبـاءَ الـثَّـمـيـنـا

أنـتِ فـي عُـرْيِـكِ الـحـقـيـقـيُّ أبـهـى
مِـنْ حُـلَـىً تـمْـتـطـيـكِ جـوعـاً بَـطـيـنـا

لـن تـكـونـي (بـاريـسَ) مِـنْ دونِ (رُسُّـو)
لـنْ تـكـونـي بـلا (أرِسْـطـو) (أثـيـنـا)

* * *

هَـلْ ذكـرنـا بـعـدَ الأوانِ؟ اطـمـئـنّـي
مـا ذكـرنـا لأنّـنـا مـا نَـسِـيـنـا

مُشْتَرُو البايِعِيكِ يدرونَ أنَّا
نقبلُ الكَسْرَ خيفةً أنْ نلينا

ما انتحرْنا لغيرِ عينيكِ عشقاً
دونَ أنْ نجتديكِ أنْ تعشقينا

منكِ جئنا، فينا كبرْتِ ومِنَّا
جئتِ، صرنا لكِ المكانَ المَكينا

فانتصَبْنا على (الطَّويلِ) طويلاً
والتَحَمْنا، للحصنِ سوراً حصينا

والتَحَفْنا الرّدى بـ (مِيْدي) سليماً
وانتعلناهُ في (خَرِيبَ) طعينا

وانْزَرَعْنا في قلبِ (سِنْوانَ) قمحاً
وانتثرنا في ريحِ (صنعا) طحينا

هل لمحتِ الأظافرَ الحُمْرَ تبدو
دونَ أيدٍ، تُخفي ذراعاً كَمينا؟

كانَ يأتي العدوُّ، ندعو أخانا
صارَ ينسلُّ مِن جفونِ أخينا

* * *

اسْكتوا، إنَّما حفيدُ (النَّجاشي)
يلبسُ اليومَ (حِمْيَراً) و (مَعِينا)

باسْمِ مَن تنطقونَ؟ تَخْشَونَ ماذا؟
مَنْ يُغذِّي نبوءَةَ الكاذبينا؟

كـيـفَ عـادتْ (أزادُ) بـالـحُـبِّ تُـزدي
وتـسـنُّ الـطّـلاقَ، بـالـموتِ دِيْـنـا؟

يَـسكـنُ الـمـخـبـرونَ صوتَ الـمُـضَـحِّي
يـسـتـعـيـرُ الـجـنـونُ وجـهـاً رزيـنـا

أُسـكـتـوا، إنـمـا تـنـوبُ الـزوايـا
بـاسْـمِـنـا، تـطـبـخُ الـسُّـقـوفُ أنـيـنـا

ما الـذي جـدَّ؟ تـسـمـيـاتٌ تُـعـانـي
مِـن فَـراغـاتِـهـا فـتُـغْـلـي الـطَّـنـيـنـا

مـا لَـهـا أيُّ سـاعـدَيْـنِ ولـكـنْ
تـسـتـعـيـرُ الـيَـسـارَ، تَـشْـري الـيَـمـيـنـا

وبـهـذا يُـبـيـدُنـا كـلُّ عـادٍ
ويُـبـيـدُ الـقـريـنُ مِـنَّـا الـقَـريـنـا

ولـكـي لا يُـقـالَ، نـدعـو خـؤونـاً
وطـنـيّـاً ونَـسْـتَـخِـيـنُ الأمـيـنـا

وبـأيْـدٍ مـقـطـوعـةٍ نـتـصـدَّى
وبـأيـدي الـعِـدا نُـشـيـدُ الـعَـريـنـا

ويـخـونُ الـمـنـظُّـرونَ ونَـنْـسـى
كـي يـعـيـدُوا مـا كـرَّروهُ سِـنـيـنـا

* * *

إنَّـنـا مـا نـزالُ طـيـنـاً مُـحـمّـى
يـحـمـلُ الـبـاردَيْـنِ. صـخـراً وطـيـنـا

لا سوى الطينِ، بعضُهُ فوقَ بعضٍ
لا نرى تحتَهُ سِوى ما يُرينا

وعلينا نَرى السِّباعَ حَماماً
ونُسمِّي سُودَ الحصى ياسَمينا

وعلينا أَنْ نستكينَ ونُوصي
كلَّ خفق في القلبِ أن يَسْتكينا

ولنا أَنْ نموتَ كيفَ أرَدْنا:
إنَّما، مَنْ يُميتُ فينا الحَنِينا؟

* *

لا تخافي يا أُمُّ، للشوقِ أيدٍ
تنتقي أخطرَ اللُّغَى، كي تُبِينا

ولكي تُنجبي البنينَ عِظاماً
حانَ أن تأكلي أبرَّ البنينا

ذيل للقصيدة السابقة

ـ في البيت (22): (الطويل) وهو اسم جبل جنوب شرقي (صنعاء) دارت فيه أشرس المعارك بين الجمهوريين والملكيين المُبادين في حرب 1967م المعروفة بحرب السبعين يوماً، ومثل الطويل حصن (ثلاء) الذي أرّخت أحجاره حرب سبع سنوات في الستينيات.

ـ في (23) (مِيْدي) و (حَريب) حيث اشتعلت فيهما أول المعارك بعد قيام ثورة 62.

ـ في البيت (24) (سِنْوان) وهو مركز لواء (صَعْدة) ضُرب فيه

الجمهوريون أروع مثل في البطولة، وفي البيت إشارة إلى النتيجة العكسية.

ـ في البيت (29) (أزاد) اسم زوجة (الأسود العنسي) الفارسية التي قتلت زوجها بالسُّمّ تنفيذاً لأوامر قومها، وفي البيت إشارة إلى الخيانة من البطانة.

❁ ❁ ❁

بغيض العَمْشي

كَمْ تُستفزُّ وكَمْ تُصالِحْ ... كَثُرَتْ على الدربِ النوابخ
كَثُرَتْ شكولٌ، ما لَها ... شكلٌ ولا عَنها روائخ
وبلا وجوهٍ، إنَّما ... تشري مِنَ الطَّقْسِ الملامخ
تَذوي بأشباهِ الشِّفا ... هِ ولا تُشيرُ ولا تُصارخ
تستوقفُ الجِدَّ الخَصِيـ ... ـب ولا تجدُّ ولا تُمازخ
غيمٌ يعوقُ الشَّمس لا ... يَندى، ويأبى أنْ يبارخ
أغبى ذكاءٍ يَرتَقي ... ويُجِيدُ تقنينَ الفضائخ

* * *

المُغتدي خلف السِّتا ... رِ يحثُّ أبطالَ المسارخ
دَعْ جانبيَّاتِ البطو ... لةِ، أنتَ أدرى مَنْ تُكافخ
إن شِئْتَ تسبحُ، فلتكُنْ ... في أعنفِ الأمواجِ سابخ
خَرْقُ الصخورِ إلى اللَّظى ... أهدى إلى بابِ المطامخ
هذي الكباشُ الآدميـ ... ـةُ باسمِ عالفِها تُناطخ
ما كنتَ كبشاً بارعاً ... بل أنتَ للذُّؤبانِ ذابخ
عوَّدتَ نفسكَ أنْ تُجا ... بِهَ لا تَملُّ ولا تُراوخ
تطأُ الذُّيولَ إلى الرُّؤو ... سِ، تنوشُ ما خلفَ اللَّوائخ
عريانُ إلاَّ مِنْ جِرا ... حِكَ والتَّصَدِّي للجَوارخ
ظَمْآنُ فوقَ الانْتِنا ... حِ وفوقَ تلويحِ السَّوانخ
لِسواكَ عربدةُ الكُؤو ... سِ، لغيرِ كَفَّيْكَ المَرابخ

مَنْ لَمْ يمتْ بـ(الشَّيْكِ) ماتَ محبةً والفَرَقُ واضحْ

* *

للنَّارِ تُفصحُ عن جَبِينِكَ، عن طوايا كلِّ كادحْ

كالرَّعْدِ تغضبُ للسَّنابِلِ، للأزاهيرِ النَّوافِحْ

فَرْداً كصَمْصامِ (الزُّبَيْدي)، مُثْخَناً كالسَّيْلِ كاسحْ

تغشى بمفردِكَ الرَّدى الخلطُ يُفْسِدُ كلَّ صالحْ

❁❁❁

سباعيَّةُ
الغثيانِ الرابع

مارس 1977م

كـــرأسٍ إلـــى قـــدمَـــيْـــهِ ارتـــحـــلْ
كـــخـــاتـــمـــةٍ مـــا لَـــهـــا مُـــسْـــتَـــهـــلّ

كـــأعـــقـــابِ مـــنـــهـــزمٍ وجـــهـــهُ
قـــفـــاهُ، كـــبـــدءٍ بـــلا مُـــقـــتَـــبـــلْ

كـــعـــوســـجـــةٍ جـــذَّرَتْـــهـــا الـــرِّيـــاحُ
كـــســـادســـةٍ فـــوقَ كـــفٍّ أشَـــلّ

* * *

تُـــرى كـــيـــف جـــاءتْ؟ ومـــن أيِّ أمٍّ؟
وعـــنْ أيِّ مـــضـــطـــجَـــعٍ مـــبـــتـــذلْ؟

وعـــن أيِّ فـــعـــلٍ أمـــاتَ الـــرُّدودَ
ومـــاتَ ومـــا شـــاهـــدَتْـــهُ انـــفـــعـــلْ

لأنَّ الـــذي كـــالـــدُّخـــانِ ارتـــقـــى
كـــذاكَ الـــذي كـــالـــشَّـــظـــايـــا نَـــزَلْ

أمِـــن غـــيـــرِ مِـــنْ، وإلـــى غَـــيـــرِ أيـــنَ
تـــبـــدَّتْ بِـــدونِ لِـــمـــاذا وهَـــلْ!

يُنَقِّلُها فَرَسٌ مِنْ ضَبابِ
ويركَبُها فارسٌ مُنتحَلْ

كمملوءةٍ، وهي أخلى يداً
وأقلقُ مِن سَهَرِ المعتقَلْ

يقاتِلُ فيها الفراغُ اسْمَهُ
وتحكي: علامَ وكيفَ اقتَتلْ؟

وتخبرُ عن غيرِ شيءٍ مضى
وعن غيرِ شيءٍ أتى عن عَجَلْ

تلملمُ أمعاءَها رايةً
وتبحثُ في قَيْئِها عَنْ بَطَلْ

تُسيِّسُ حتى تُراب القبورِ
وتقبرُ حتى جنينَ الأملْ

تُدلِّي قوائِمَها كالغسيلِ
وتنجرُّ كسلى إلى لا أجَلْ

لها قامةُ العصْرِ، لكنْ لها
رؤوسٌ كأخفافِ (يوم الجَمَلْ)

ملامحُها فوقَنا كالصخورِ
وتحتَ نعالِ الأعادي قُبلْ

* * *

أجاءتْ مفاجأةً؟ كُلُّ شيءٍ
خلا الجوَّ مِنْ عكسِهِ مُحتملْ

هـلِ انْـبَـتَّ عـن جـذعِـهـا كُـلُّ جـذرٍ؟
أفـي الـوَجْـهِ أم فـي الـمـرايـا الـخَـلَـلْ؟

لـمـاذا أُسـائـلُ؟ إنَّ الـجـوابَ
رهـيـبٌ، يـحـذِّرُنـي: لا تَـسَـلْ

لأنَّ عـيـونَ الـمـقـاهـي صـقـورٌ
لأنَّ الـقَـنـانـي خـيـولُ الـمَـلَـلْ

لأنَّ الـنَّـقـيـضَ الـتـقـى بـالـنَّـقـيـضِ
ولا يـعـرفُ الـبـعـدُ كـيـفَ اتَّـصـلْ

و(دارُ ابْـنِ لُـقـمـانَ) بـاعـتْ (صَـبِـيـحـاً)
فـجـاءَ الـذي مـنـذُ ألـفٍ رَحَـلْ

لـهُ سـاعـدٌ مِـنْ حـديـدٍ يـمـدُّ
لـقـتْـلِ الـخُـزامـى يـداً مـن بَـصَـلْ

* * *

فـيـا (أحـمـدَ بْـنَ الـحُـسـيـنِ) انْـهـمِـرْ
سِـوى الـدمـعِ نـاداكَ غـيـرُ الـطَّـلَـلْ

أغـارَ (الـدُّمُـسْـتُـقُ)، بَـلْ وامـتـطـى
إلـى ظَـهْـرِنـا وجْـهَـنـا وانـتـعَـلْ

سِـوى الـرُّومِ رومٌ، وروِمٌ أتَـوا
كـعـهـدِكَ رغـمَ اخـتـلافِ الـعِـلَـلْ

أتـعـرفُـهُـمْ؟ إنَّـهُـمْ مَـنْ رأيـتَ
وإنْ غـيَّـروا خَـيْـلَـهُـمْ والـخَـوَلْ

و (عبدُ الخَنا) نفسُ عبدِ الخنا
وإنْ عَضرَنَ الشَّكلَ واسْمَ الحُلَلْ

و (كِيسنجَرُ) اليومَ نَخَّاسُهُ
لأنَّ النَّخاسةَ صارتْ دُوَلْ

وأحفادُ (ضَبَّةَ) أضحتْ لَهُمْ
جلالاتُ مُلكٍ وجهلٌ أجَلّ

وحينَ يَسودُ الغَباءُ الثريَّ
تكونُ العَمالاتُ أجْدى عَمَلْ

* * *

ممالِكُنا اليومَ قامتْ على
ذيولِ العَصا لا رؤوسِ الأسَلْ

ورُغْمَ العَصا لا تَقولُ الجموعُ،
كأجدادِها «الخيرُ فيما حصلْ»

* * *

ورُغْمَ (الكوافيرِ)(1) لا أنطفي
لعلَّ احتراقي يُذيبُ الفَشَلْ

أما كلُّ جارٍ أتى كي يجيءَ
سواهُ.. لكلِّ بَديلٍ بَدَلْ

* * *

أنا ضدَّ تَيَّارِ هذا الرُّكامِ
أعومُ إلى شاطِئٍ مِنْ شُعَلْ

---

(1) الكوافير: جمع كافور إشارة إلى (كافور الإخشيدي).

وأدري، وأدري بــأنّــي إلـيـهِ
أخـوضُ دَمـي والـرَّدى والـوَحَـلْ

وفـوقَ فـمـي أرجـلُ الآخـريـنَ
وفـوقَ قِـذالـي قـبـورُ الأُوَلْ

لأنّـي أبـلـبـلُ نـومَ الـجـدارِ
أُغـنّـي بـمَـنْ لـقَّـبُـوهُـمْ هَـمَـلْ

ولـكـنّـنـي لا أمَـلُّ الـعـنـادَ
لأنَّ الـتَّـمـاوُتَ مـوتٌ أَمَـلْ

وأعـرفُ أنّـي وحـيـدٌ، وحـولـي
كـهـوفٌ مِـنَ الـرومِ حُـمْـرُ الـمُـقَـلْ

وأنّـي عـلـى نـصـفِ رأسـي أطـيـرُ
إلـى الـحـتْـفِ، والـقـتـلُ يـمـشي الـمهـلْ

وتـحـتَ زواقِ الـتـأنّـي يـجـدُّ
ويُـلـهـيـك، عـنْ جِـدِّهِ بـالـهَـزَلْ

حـقـائـبـهُ نـاهـداتٌ يُـشِـزْنَ
سـكـاكـيـنُـهُ أعـيـنٌ مِـن عَـسَـلْ

* * *

خـفـيُّ الـخُـطـى قـتـلُ هـذا الـزمـانِ
بـعـيـدُ الـمَـدَى، عـالـمـيُّ الـحِـيَـلْ

وغـيـرُ مـخـيـفٍ لأنَّ يـديْـهِ
إلـى الـقَـلْـبِ يـسـتـبـقـانِ الـوَجَـلْ

لأن سُـبـاعـيَّـةَ الـقَـيْءِ لا
تـرى وجـهَـهـا. كـيـفَ تَـنْـدى خَـجَـلْ؟

أتـدري خُـطـاهـا ومـا حـولَـهـا؟
بـهـا عـن سِـواهـا وعـنـهـا كَـسَـلْ

لأنَّ ثُـمـانـيَّـةَ تـسـتـجـدُّ
ودَورُ الـقـديـمـةِ لـمَّـا يَـزَلْ

لـهـذا أُغـامِـرُ، أبـدو غـريـبـاً
عـلـى الـعُـرْفِ كـالـمولـدِ الـمُـرتَـجَـلْ

وأعـرفُ كـيـفَ يَـرَى الـهـولَ مَـنْ
عـلـى الـموتِ مِـن كـلِّ ثُـقـبٍ دَخَـلْ

وأعـلَـمُ أَنَّ جَـزاءَ الـخِـطـارِ
كـثـيـرٌ كـثـيـرٌ وأنّـي أقَـلّ

ولـكِـنْ أمـوتُ لأَنْـدى جـذوراً
وأمـتَـدُّ بُـنّـاً، كُـرومـاً، جَـبَـلْ

سُـدوداً، عـيـونـاً سُـهَـيْـلـيَّـةً
ضُـحَـىً، فـي رمـادِ الـثُّـريّـا اغـتَـسَـلْ

* * *

لأنّـي بـدونِ مـحـلٍّ أمـدُّ
رُفـاتـي لـكـلِّ حـصـاةٍ مَـحَـلّ

وأنـبـتُ فـي (قـاعِ جَـهْـرانَ) قـمـحـاً
وأزرَعُـنـي ذُرَةً فـي (الـوَشَـلْ)

هـنـا أرتـخـي نـسـمـاتٍ، هـنـاكَ
خـريـفـاً. «لـكَ الـخـيـرَ يـا مَـنْ أكـلْ»

وأُمـطـرُ قَـبْـلَ لـيـالـي (سُـهـيـلٍ)
وأُغـلِـبُ قَـبْـلَ لـيـالـي (ثَـجَـلْ)

أحـولُ فـصـولاً مـكـانَ الـفـصـولِ
يـرى الـعـقـمُ كـيـفَ طـفـورُ الـحَـبَـلْ

وأَسـقـي (حُـمَـيْـدَ بْـنَ مـنـصـورَ) مِـنْ
أبـاريـقِ (سِـخْـلُـولَ) نـارَ الـزَّجَـلْ

وأسـتـنـبـتُ (الـشُّـبَّـثـي) مـشـمـشـاً
وأخـضـرُ فـي شـفـتـيْـهِ مَـثَـلْ

لـتـلـقـى بَـكـارةُ هـذا الـتُّـرابِ
أنـوثـتَـهـا واحـمـرارَ الـغَـزَلْ

هـنـاكَ أُدِلُّ عـلـى أنَّ لـي
بـلاداً، شَـذاهـا عـلـيَّ أدَلّ

فـلا مـاتَ مَـنْ مـاتَ مـثـلَ الـبـذورِ
ولا عـاشَ مَـنْ مـاتَ مـوتَ الـحـمَـلْ

ذيل للقصيدة السابقة

في البيت (22) (دار بن لقمان) وهي في المنصورة بمصر وقد كانت سجن ملك فرنسا أيام الغزو الصليبي وكان مديرها (صَبِيح).

من البيت الـ 24 إلى البيت الـ 32 وردت تضمينات وإشارات من أشعار أحمد بن الحسين (المتنبي):

في البيت الأول من المقطع إشارة إلى مطلع قصيدة للمتنبي:

أجـابَ دمـعـي ومـا الـداعـي سـوى طـلَـلِ
دعــا فــلــبّــاهُ قَــبْــلَ الــرَّكــبِ والإبــلِ

في البيت الثاني اسم (الدُمُسْتُقُ) وهو قائد الروم في حروبهم مع سيف الدولة وقد ورد في أكثر من قصيدة من ديوان المتنبي.

في البيت الثالث تضمين لقول المتنبي:

وسِــوى الــرُّوم خــلــف ظــهــرِكَ رومٌ
فــعــلــى أيّ جــانــبــيْــكَ تــمــيــلُ؟

في البيت الخامس (عبد الخنا) وهو نعت (كافور الإخشيدي) في هجائيات المتنبي له.

في البيت السابع من المقطع اسم قبيلة (ضَبّة) مهجوّة المتنبي وقاتلته وهي على جانب كبير من الغباء والوحشية البدائية.

في البيت التاسع إشارة إلى مطلع لامية للمتنبي:

أعـلـى الـمـمـالـكِ مـا تُـبْـنـى عـلـى الأسـلِ
والـطَّـعْـنُ عـنـدَ مـحـبِّـيـهـنَّ كـالـقُـبَـلِ

ولعل الرمز واضح والقرب من لغة المتنبي واضح أيضاً كعبارة الخيل والخول والخنا.

في المقطع الأخير من القصيدة من البيت الـ 56 إلى الـ 61 وردت أسماء ومصطلحات محلية:

أولاً (قاع جهران) وهو منطقة وسط اليمن شهيرة بالخصب وسعة الحقول وجودة القمح و(الوشل) من المنطقة نفسها وهي شهيرة بزراعة الذرة اليمنية والذرة الهندية.

في البيت الثاني من المقطع الأخير (ليالي سهيل) (العَلِب) (ليالي ثَجَل) وهي أسماء مواقيت خريفية تغزرُ فيها الأمطار.

في البيت السادس من المقطع ورد اسم (حميد بن منصور) وهو شاعر يمني حكيم سارت أشعاره كأمثال في التجارب الزراعية وتمجيد الأرض أما (سحلول) فهو (صالح سحلول) شاعر ثوري معاصر، والملحوظ أن الاسمين وردا غير معرّبين لكثرة تداولهما محلياً حتى إن الإعراب يغيّر من حلاوة وقعهما أو يدل على تغيير في الاسمين.



للقاتلة حبًّا

يونية 1977م

جِـدّي سـكّـيـنـاً جِـدّي ... عُـنُـقـي أغـلـى مـا أُهْـدي

أرجـوكِ اخـتـزّي عُـمْـري ... أضـحـى شـيـئـاً لا يُـجـدي

يـعـلـو مـشـنـوقـاً، يَـهْـوي ... كـرمـادِ الـنَّـعـشِ (الـهِـنـدي)

خُـبـزي مِـن كـفَّـيْ غَـيْـري ... غَـيْـري يـبْـنـيـهِ زَنْـدي

هـيَّـا ازمـي رأسـي عـنّـي ... وأريـحـيـنـي مِـنْ جِـلْـدي

مـاذا تـخـشـيـنَ؟ اقـتـربـي ... الـحـسـنُ الـوحـشـي يُـغـدي

كـونـي حُـبّـاً قـتّـالاً ... ولْـتَـبْـتـدئـي مِـنْ عِـنْـدي

أزديـنـي، كـي لا يـلْـقـى ... مُـسْـتَـهْـدِفُـنـي مـن يُـردي

مَـن لا يُـزدي لا يَـحْـيـا ... أوَتَـنْـتَـظِـريـنَ (الـمَـهْـدي)؟

* * *

اجْـتَـثّـيـنـي مِـنْ عِـرْقـي ... يـخـضرَّ مـكـانـي بـغْـدي

تُـورِقْ ذرّاتـي خَـيْـلاً ... أقـلامـاً، حـبّـاً رَغْـدي

مِـنْ كـلِّ حـصـاةٍ يَـنْـمُـو ... فـلاّحٌ يـزهـو جُـنْـدي

مِـنْ تَـحـتِ رُكـامـي يـحـبـو ... آتـيـكِ، يُـغـنّـي عَـهْـدي

قـتـلـي يُـبْـدي مِـنْ سِـرّي ... مـا أعـيـانـي أنْ أُبْـدي

أقْـصـى مـا أرجـو أفْـنـى ... كـي تَـنْـفَـجري مِـنْ لـحْـدي

كـي تَـبْـتَـدِئـي مِـنْ مَـنْـهَـى ... حُـلْـمـي بـصـبـاكِ الـوَرْدي

كـي تَـغْـلـي، تـحـكـي مـاذا ... يـشـدو لـقـمـيـصـي نَـهْـدي؟

* *

مَـــنْ هـــذا الـــجِـــنّـــي؟ رُدّي عـــنـــهُ كـــفَّـــيْـــكِ، رُدّي
مَـــنْ هـــذا يـــا. . .؟ زمّـــارٌ؟ يُـدعـى (حـيْـكـان الـرِّنْـدي)
مِـنْ ألـفِ خـريـفٍ يَـنْـدَى شـوقـاً، جـمـراً يـسْـتَـنْـدي
لا يـــبـــدو مـــن أيِّ هـــنـــا لا سـهـلـيّـاً، لا نَـجْـدي
مِـــنْ كـــلِّ نـــبـــاتٍ يـــأتـــي وبـكـلِّ شَـذاً يـسـتـهـدي
ريـــحـــيٌّ لا وقـــتَ لَـــهُ يُـشْـجي، لـكـنْ يَـسـتـعـدي
أشْـتـمُّ جـمـوعـاً فـيـهِ وأراهُ عـــــودًا فـــــرْدي

* * *

مـــاذا تـــبـــغـــي؟ تـــدري مَـــنْ أبـغـي وأعـي مَـنْ قـصـدي
أسْـتَـنْـبَـي عـنـهـا، يُـنـبـي عـن قُـرْبـي مِـنْـهـا بُـعْـدي
تـظـمـا فـي قـلـبـي، تُـذْنـي كـأسـي، تَـدْمَـى فـي خـدّي
فـي كـلِّ عـروقـي تـجـري وإلـيـهـا أُضْـنـي سُـهْـدي

* * *

مـاذا تَـسْـتَـجْـدي، شَـنْـقـي؟ حـتـى قَـتْـلـي أَسْـتَـجْـدي!
لا تـغْـضَـبْ، إنّـي أخـنـى تـدري، مـا أوفـى وعـدي
أدري مـا تـنـوي. شـكـراً لا يـخـفـى الـوجـهُ الـوُدّي
مـاذا تُـسْـدي لـي؟ هـدفـي أَغْـلَـى من قـصـرِ الـمُـسْـدي
قَـتْـلـي حُـبّاً لـلـكَـخْـلـى حَـدّي، أَلْـزَمَـنـي حَـدّي
كـيْ يَـحْـيـا فَـرْدي جـمـعـاً لا يَـفْـنـى، أَفْـنـى وَحْـدي

● ● ●

مكتبيُّون
والبطل والشاهد

مايو 1977م

مَن تُنادي؟ احترفْ صمتَ القناعةْ
عندهُمْ ضدَّ النداءاتِ مَناعةْ

هكذا قالوا، فقُلْ هلْ مانَعُوا
أن يكونوا للملايينَي بضاعةْ؟

سادتي، لي تجرباتٌ. جرِّبوا!
لَمْ تخوِّلنا القوانينُ استطاعةْ

أسَفاً عفواً، يولّي هازئاً
يحتسونَ الشّايَ في أهْنا وداعَةْ

* * *

نادرٌ هذا، كثيرٌ مثلُهُ
هادئٌ يغلي طفوراً واندفاعةْ

ولعينيْهِ حروفٌ نَبْضُها
لمعةٌ تعلو ومشروعُ التماعةْ

يشتهي المسؤولُ وجهينِ معاً
وجهَ شيطانٍ ووجهاً مِنْ ضَراعةْ

أشتهي عشرينَ.. عندي واحدٌ
كررِ الموجودَ في دارِ الطِّباعةْ
(سيفُ) ما يُلهيكَ؟ انطقْ مرَّةً
أزمةٌ في البَيْتِ، أبياتٌ مُضاعَةْ؟

* * *

رنَّةٌ أخرى. نَعَمْ، لستُ هنا
مرحباً. صوتٌ تلوِّيهِ الخَلاعَةْ
دائماً لستُ هنا! تدرينَ مَنْ
أصدقائي؟ ليسَ أوقاتي مُشاعَةْ
ضحكةٌ ذاتُ وجوهٍ، بحَّةٌ
رخوَةٌ، لَغْثَمَةٌ ذاتُ الْتِياعَةْ
حُلوَةٌ، أيُّ كتابٍ قال لي:
في القميصِ الحلوِ تختالُ البشاعةْ
أُمُّها تركيَّةٌ. قالَتْ (مُنى)
بل أبو والدِها. قالوا (رِفاعَةْ)

* * *

سَيِّدي، يا صاحبَ الشكوى احترفْ
أيَّ زيفٍ. أزدري هذي الصناعَةْ
القَوانينُ التي أقصوْكَ عنْ
أمْرِها، ذابتْ لديهِمْ بعدَ ساعةْ

جاءَ مَنْ يُعطي فصاروا كلُّهم
سلعةً، فوق القوانينِ وباعَة

لَمْ تَلُخْ لائحةٌ تمنَعُهم
كلُّها قالتْ لهم: سمعاً وطاعة

إنَّهُمْ أرخصُ مِن أثوابِهِمْ
إنَّهُمْ أكذبُ مِنْ دُورِ الإذاعة

(كرتريُّونَ) ويبدونَ، لِمَنْ
لا يرى أحفادَ (عمرو بْنِ قُضاعة)

في الصحافاتِ سأُخْزيهمْ غداً
إنَّها مرآتهمْ.. يا لَلشَّناعَة!

واتِّهامُ الشَّعْبِ، هل يخشَوْنَهُ؟
هُمْ يسمُّونَ الإداناتِ إشاعة

* * *

مَنْ تنادي؟ أيَّ بابٍ؟ لستَ مِنْ
هذه الطغمةِ أو تلكَ الجماعة

لنْ يُجيبوا طيِّباً تبدو، على
وجهِهِ آثارُ أظلافِ المجاعَة

مَنْ تُرَجِّي؟ لستَ ذا جيبٍ ولا
ذيلِ جيبٍ، فبمنْ ترجو الشَّفاعة؟

لستُ إلاَّ يمنيًّا قلبُهُ
مِنْ تمنِّي (شَرْعَبٍ)، من شوقِ (لاعة)

زارعـــيٌّ أنـــتَ؟ ذوَّبْـــتُ الـــحـــصـــى
والــمــحــاريــثَ وجــافَــتْــنــي الــزراعــةْ

ســـنـــةٌ ثـــمّ يـــوافـــي بـــذلُـــهـــا
هـــذه عـــن عـــهـــدِهـــا أولـــى انـــقـــطـــاعـــةْ

ســـوف أرمـــي كُـــتْـــبـــي، زوَّرَنـــي
حِـبْـرُهـا، كـنـتُ حـقـيـقـيَّ الـنَّـصـاعـةْ

ذائـــبٌ فـــي الأرضِ، إنِّـــي نـــبـــتـــةٌ
مِـن حـشـاهـا شـكَّـلـتْـنـي عـن بـراعـةْ

زَرَعَـــتْ غُـــصْـــنـــي وفـــيـــهِ انْـــزرَعَـــتْ
أغـصـنَـتْ فـي قـامـتـي، زادتْ فـراعـةْ

وأنـــا أورقـــتُ فـــي أغـــصـــانِـــهـــا
صـرتُ، مِـن أقـبـاس عـيـنـيْـهـا شُـعـاعـةْ

صِـــرتُ مِـــن خُـــضْـــلاتِـــهـــا مـــشـــمـــشـــةً
تـيـنـةً، رمّـانـةً، (دُخْـنـاً)، (جِـراعـةْ)

* * *

وطـــنـــيٌّ أنـــتَ؟ يـــنـــمـــو وطـــنـــي
تـحـتَ جِـلْـدي، مـنـذُ أسـقـانـي الـرَّضـاعـةْ

مـــبـــدئـــيُّ الـــحـــب؟ أَبْـــشِـــرْ بـــالـــرَّدى
الـرَّدى يـا صـاحـبـي صـنـوُ الـشَّـجـاعـةْ

مـــوتُـــنـــا الـــتـــجـــربـــةُ الـــبـــكـــرُ الـــتـــي
لا نَـعـيـهـا، فـنُـسـمِّـيـهـا فـظـاعـةْ

هوامش أسماء ولغات
محلية من القصيدة السابقة:

عمرو بن قضاعة: أحد أجداد اليمنيين ومن أصول العرب.

شرعب: من مناطق جنوب الشمال اليمني.

لاعة: من أطراف شمال الشمال، شهيرة بجودة بنّها.

دخن: نوع من الحبوب يشبه السمسم.

جِراعة: ذرة يمنية بيضاء يفضلها الفلاحون على الأنواع الأخرى من الذرة.

❁ ❁ ❁

زمانٌ بلا نوعيَّة

1977م

أنــوي أعُــبُّ الــكــأسَ، يــدنــو شــهــيــدْ
يــصــدُّنــي، أنــوي، يُــنــادي فــقــيــدْ

يــبــاغِــتُ الــرُّعــبُ الــذي لــم يَــعِــدْ
فــيــبــعــدُ الأدنــى ويــدنــو الــبــعــيــدْ

تــجــيءُ كــالأرمــاحِ، أيــدي الــرُّبَــى
تــرتَــدُّ أوجــاعــاً حــنــيــنــاً شَــرِيــدْ

تــأتــي حــصــى الأجــداثِ، تــرنــو كــمــا
يــرنــو إلــى الــمــقــتــولِ قــتــلٌ جَــديــدْ

الــكــأسُ تُــمــســي فــي يــدي أيْــديــاً
مــلامــحــاً أعــرفُــهــا، أســتــعــيــدْ

هــــذا قَــــذالُ مــــدَّهُ (مــــأربٌ)
وذاكَ وجــــهٌ لــــوَّحَــــتْــــهُ (زَبــــيــــدْ)

هــــذا مُــــحــــيَّــــا (مــــرشــــدٍ)، هــــذه
بــنــانُ (مــســعــودٍ)، ذراعــا (ســعــيــدْ)

هــــذا جــــبــــيــــنُ (الآنــــســــي) هــــذهِ
أهــدابُ (ســعــدٍ)، أنــفُ (عــبــد الــحــمــيــدْ)

كانوا فُرادى فالتقَوْا في الرَّدى
لكي أرى الموتَ الحبيبَ الوحيدْ

* * *

يا كأسُ هل أحسو؟ حَذارِ احترقْ
اشْرَبْ إلى أنْ تنطفي يا بَليدْ

لا ترتشفْها، لستَ مِنْ أهلِها
ذُقْها، إلى كَمْ أنتَ صادٍ وحيدْ

تخضرُّ في كَفِّي كجمرِ الهَوى
تحمرُّ كالسِّكِّينِ فوقَ الوريدْ

تَعْرَى إلى سُرَّتِها، تَرتَدي
كهفَيْنِ، تبدو ذاتَ أصلٍ مَجيدْ

تهتزُّ كالعنقودِ، تدعو فَمي
تَفْتَرُّ، خُذْ يا جرَّةً مِنْ جليدْ

فتغتلي في داخلي (كَرْبَلا)
نِصفي حسينيٌّ، ونِصْفي يزيدْ

أمشي كجيدٍ وحدَهُ لحظةً
ولحظةً رأسَيْنِ مِنْ غيرِ جِيدْ

* * *

يا كأسُ لا أسوى جناكِ ابْعدي
إنِّي، كما تحكينَ وغدٌ عنيدْ

أريدُ ماذا؟ يا زماناً بلا
نوعيَّةٍ لم يَدْرِ ماذا يُريدْ!

يــــدلُّ فـــــخــــذاهُ يـــــديـــــهِ، يـــــرى
أخــشــابَ عــيــنــيْــهِ بِــأُذْنَــيْ (لــبَــيــذْ)

بــــلا أبٍ يَــــبْــــدو، بــــلا ابــــنٍ وفــــي
عَــيْــنَــيْــهِ يــدمــى بــاحــثــاً عــنْ حــفــيــذْ

يــمــضــي ولا يــمــضــي ويــأتــي ولا
يــأتــي، يــولّــي ثُــمَّ يــبــدو وَلــيــذْ

تــقــولُ يُــعــطــي كــلَّ شــيءٍ؟ نَــعَــمْ
لــكــن أعِــنْــدَ الــزَّيــفِ شــيءٌ مُــفــيــذْ؟

* * *

مــاذا جــرى؟ عــهــدُ (الــرشــيــدِ) انــتــهــى
واخــتــلَّ (مــســرورٌ) مــحــلَّ (الــرَّشــيــذْ)

حَــلَّــتْ مــحــلَّ الــقــبــضــتــيْــنِ الــعَــصــا
كــانــتْ عــصــاً، صــارتْ يــداً مِــن حــديــذْ

والآنَ بــاســمِ الــشــعــبِ، عــنــهُ نَــرى
نُــحــيــي بــقــانــونٍ، بــشــانٍ نُــبــيــذْ

نُــغَــيِّــرُ الألــوانَ، هــذا بِــذا
نــســتــبــدلُ الأعــيــادَ، عــيــداً بِــعــيــذْ

هــذا قَــرارٌ مــا لَــهُ ســابــقٌ
مِــنْ نــوعِــهِ، مِــنْ كــلِّ نــوعٍ فــريــذْ

وقــتــاً، وتــعــتــادُ الــجــمــاهــيــرُ مَــنْ
جــاؤوا، وتــنــســى كــلــمــاتِ الــنَّــشــيــذْ

تَــــرى كــــأحــــلام بــــلا أعــــيــــنِ
كَــأعــيــنٍ فــي وجــهِ حُــلْــمٍ بَــديــذ

يــتــلــو نــبــوءاتِ الــقُــبــورِ الــصَّــدى
يَــمِــيــعُ كــالــمِــلْــحِ الــعــريــنُ الــشَّــديــذ

تــمــشــي الــبــراكــيــنُ بــلا ضــجَّــةٍ
ويــحــرقُ الــثــلــجَ الــغُــبــارُ الــزَّهــيــذ

* * *

هــلْ جــدَّ شــيءٌ؟ غــيــرَ أنَّ الــمُــنــى
كــانَــتْ وعــوداً فــاســتــحــالَــتْ وعــيــذ

وكــانَ يَــذري الــعــبــدُ مــأســاتَــهُ
والــيــومَ لا تــدري عــبــيــدُ الــعــبــيــذ

لأنَّ مَــنْ قــامــوا بــلا قــامــةٍ
عــن أمــرِ مَــنْ قــامــوا يــعــيــشُ الــقــعــيــذ!

تَــجَــذرَنَ الــتــاريــخُ، بــاعَ اسْــمَــهُ
أضــاعــتِ الأشــعــارُ بــيــتَ الــقــصــيــذ

لِــمْ لا أعــبُّ الــكــأس كــالــغــيــرِ؟ مــا
جــدوى احــتــراقــي؟ أيــنَ عــنــي أحــيــذ؟

ألــتــفُّ مِــنْ نَــفْــســي بــنَــفْــســي هــنــا
هــنــاكَ أَغْــرى كــالــزُّقَــاقِ الــمــديــذ

كــبــابِ مــقــهَــىً، كــمُــنــى أســرةٍ
مِــنْ ثــلــث قــرنٍ فــي انــتــظــارِ الــبــريــذ

تـمـتـدُّ فـوقـي سـاحـةٌ مِـنْ مُـدَىً
يـنـجـرُّ تـحـتـي شـارعٌ مِـنْ صَـديـدْ

يـا كـأسُ لـو تُـنْـسِـيـنَـنـي أشـتَـفـي
هـذا أكـيـدٌ.. كُـلُّ سـوءٍ أكـيـدْ

ذيل للقصيدة السابقة:

في البيت الـ 16 (مأرِب): من المناطق الشرقية الشمالية، يغلب على أهلها طول القامة والنحول، وكانوا إلى قبل عشرين عاماً من البدو الرحّل والمزارعين الفقراء.

(زَبِيد): مدينة في لواء تهامة، معروفة بشدة الحر، ذات تاريخ علمي وأدبي.

في البيتين التاليين لهذا البيت وردت أسماء (مرشد، سعيد، مسعود، سعد، عبد الحميد، والآنسي) وهي ليست عَلَمية لأشخاص معيَّنين وإنما أمثال عامة.

في البيت الـ 16 (لبيد): شاعر جاهلي إسلامي، أصيب في آخر عمره بالصمم كما عبّر هو عن الحال:

إن الـثَّـمـانـيـن وبُـلِّـغْـتُـهـا
قـد أحـوجَـتْ سـمـعـي إلـى تـرجـمـان

●●●

آخر الموت

1987م

لــيــس بــيــنــي وبــيــنَ شــيءٍ قــرابَــةْ
عــالَــمــي غــربــةٌ، زمــانــي غــرابــةْ

ربــمــا جــئــتُ قــبــلَ أو بــعــدَ وقــتــي
أو أتَــتْ عــنــهُ فــتــرةٌ بــالــنّــيــابــةْ

غــيَّــرتْ وقــتَــهــا الــفــصــولُ، أضــاعــتْ
أعْــيُــنُ الــشّــمــسِ والــنُّــجــومِ الــثّــقــابــةْ

مــنــتــهــى الــصــحــوِ ســكــرةٌ ســوفَ تــصــحــو
مَــن تُــرنِّــي، ومــن تُــغــنِّــي (حــبــابــةْ)[1]

جــاءَ مَــنْ يــســبــحــونَ فــي غــيــرِ مــاءٍ
وعــلــى الــمــاءِ يــزرعــونَ الــكــتــابَــةْ

يــا زمــانــاً مِــنْ غــيــرِ نــوعٍ تــســاوَتْ
مــهــنــةُ الــمــوتِ واحــتــرافُ الــطِّــبــابــةْ

يــنــمــحــي الــفــرقُ بــيــنَ عــكــسٍ وعــكْــسٍ
حــيــنَ يــنــســى وجــهُ الــصــوابِ الإصــابــةْ

---

(1) حبابة: أخصب زوجات علي بن زايد كما يقول عنها:

حــبــابــة الــمــال والــمــال الــعــيــال
مــن أيــن لــي مــال يــذّي لــي رجــال؟

يـرتـقـي الـذابـحـونَ، يـهـوونَ ذبـحـي
اسـتـوى الـحـكـمُ، يـا مُـدى والـقِـصـابـةْ

هـل أذابـتْ أرحـامَـهـا الأرضُ؟ يـبـدو،
ذكَّـرتْـهـا أو حـجَّـرتْـهـا الـرقـابـةْ

* * *

أصبحَ الطيبُ مقتلَ النبتِ، أضحتْ
مـهـنـةُ الأسـتـذاتِ قـتـلَ الـنَّـجـابـةْ

لـم يَـعُـدْ لِـلْـلِـقـاحِ أيُّ اشـتـهـاءٍ
قـطـراتُ الـنـدى غـدَتْ مُـسـتـرابـةْ

* * *

فـقَـدَتْ سُـكْـرَهـا ضـروعُ الـدَّوالـي
صـحـوةُ الـرعـبِ وَخْـذَهَـا الـمُـسـتـطـابـةْ

إنـمـا، مـا الـذي يُـسـمَّـى مُـخـيـفـاً؟
ربّـمـا لَـمْ تَـعُـدْ لـشـيءٍ رَهـابـةْ

أصـبـحَ الـقَـتْـلُ عـادةً واشـتـيـاقـاً
أصـبـحـتْ وحـدهـا الـنـجـاةُ الـمُـعـابـةْ

الـمـنـايـا بـيـن الـضُّـحـى ويـديْـهِ
بـيـن نـعـلِ الـدُّجـى وبـيـنَ الـذُّؤابَـةْ

يـقـتـلُ الـقـتـلُ نـفـسـهُ، ثُـمَّ يـأتـي
فـي سِـواهُ. لـهُ سـمـاتُ الـقـشـابَـةْ

* * *

مَـنْ سـتـسـقـي (أزادُ)[1]؟ لـم يـبْـقَ إلاَّ
كـوبُـهـا تـحـتـسـيـهِ حـتـى الـصُّـبـابَـةْ

هـجـعـةُ الأرضِ بَـرْعَـمـاتُ الـتَّـنـادي
آخـرُ الـمـوتِ أوّلُ الاسـتـجـابـةْ

هـاهُـنـا تـصـبـحُ الـرُّفـاتُ بـذوراً
امـطـري أيَّ بـقـعـةٍ يـا سـحـابـةْ

❂ ❂ ❂

(١) أزاد: زوجة الأسود العنسي الفارهية قتلته بالسم عن أمر القائد الفارسي باليمن.

فكريّات
رصيف متجوّل

يولية 1977م

مَن ذا يُصوِّتُ مِنْ هناكَ ويَختفي؟
ماذا هناكَ؟ دمٌ يشعُّ وينطفي

بابٌ إلى ثانٍ يدبُّ وَينثني
ركنٌ كداليَةٍ تَرِفُّ ولا تَفي

جثثٌ تسيرُ بلا رؤوسٍ، حارةٌ
تقتاتُ سرَّتَها وفيها تَغْتفي

دارٌ تُهامِسُ: كم ظمئتُ وعندما
كثُرتْ كؤوسي ضاع مني مِرْشَفي

حجرٌ بلا فخذينِ يزحفُ حاملاً
نَهْدَيْهِ في يدةٍ: أيا ريحُ اقْطِفي

سكرانُ، تَعْجَبُ نفسهُ مِن نفسهِ
كيف اعتصرتُ حبيبتي ومُعنِّفي

مشروعُ فلسفةٍ يصيحُ سكوتهُ:
إنّي أُنَضِّجُ في حشايَ مُفَلْسفي

إنّي أفتّشُ في أواخرِ منكِبي
عن نصفِ جُمجمتي وأوّل أحْرفي

رَجْعٌ نُواسيٌّ: أدارُ (زُبيدةٍ)
رحلَتْ، غدتْ مِن مُغتَفِيها تَغتَفي؟

* * *

كُلٌّ حكى. أحكي: أتدري يا هُنا
أنّي كتابٌ جئتُ قبلَ مُؤلِّفي؟

أيقولُ مَنْ ألقى: رصيفٌ عابرٌ
أم (قرمطيٌّ) في قميصِ (مُطَرَّفي)؟

ماذا يُصنِّفُني (المَلفُّ)؟ بطاقَتي
حَجَرٌ بِلا لونٍ كوَجْهِ مُصنِّفي

أيقولُ ما اسمي شارعٌ؟ أيظنُّني
بابٌ حصاناً، نارُ قلبي مِغلفي؟

أأُثيرُ منعطفاً، خدشتُ سكونَهُ؟
أأُرِيبُ زاويةً تُثيرُ تأسُّفي؟

* * *

لا دربَ أنكرني لأنّي مثلُ مَنْ
يمشون فوقي. مَنْ يُحِسُّ تصرُّفِي؟

قد يَبْحثونَ ولا يَرَوْنَ تَحرُّكي
قدْ يَنظُرونَ ولا يَرَوْنَ توقُّفي

مَنْ تِلْكَ تمشطُ لحيتي برنُوِّها؟
ذكَرَتْ أباها أم تريدُ تَخطُّفي؟

يا متجرَ الأصوافِ، ماذا أشتري؟
مَنْ أحرقَ (الحلاَّجَ) باعَ تصوُّفي

جَـرَّبْـتُ يـا أسـواقُ كـلَّ حـديـثَـةٍ
فـوجـدتُ أَجْـدى، مـا أُريـدُ تـقـشُّـفـي

مَـنْ سـوفَ يَـقـبـلُ مـا أُريـدُ؟ إرادتـي
مَـن ذا يـخـيـفُ إذا قـهـرتُ تَـخـوُّفـي؟

هـل تـلـكَ مـكـتـبـةٌ؟ نَـعَـمْ، لا إنّـهـا
مَـبْـغـى الـرؤوسِ كـمـا يـقـولُ مُـنـظِّـفـي

أتـمـوتُ يـا زيـفَ الـلـوافِـتِ؟ أرتـدي
شـكـلاً جـديـداً بـعـدَ مـوتِ مُـزيِّـفـي

* * *

حـسـنـاً أُواصـلُ جـولـتـي، هـذا الـذي
يـبـدو يـصـدُّ عـن الـخـطـيـرِ الـمـخـتـفـي

مـاذا يُـلَـوِّحُ كـانـتـفـاخِ ولادةٍ
يـنـوي الـبُـزوغَ وبـالـتـورُّمِ يـكـتـفـي؟

مـاذا جـرى؟ حَـبِـلَ الـرجـالُ نـيـابـةً
عـنـهُـنَّ هـيّـا يـا صـحـافـةُ زَخْـرِفـي

ولأنَّـهُـمْ حَـبِـلُـوا سِـفـاحـاً أنـجـبـوا
عَـدمـاً، فـهـيّـا شَـوْرِبِـيْـهِ وتَـنْـفـي

وهَـبـيـهِ ألـقـابَ الـبُـطـولَـةِ، لـنْ تـريْ
إسـراف كَـفَّـيْـهِ إذا لَـمْ تُـسْـرِفـي

قـولـي لـ(أروى) والـرَّبـابِ: تـزوَّجـا
بـعـضَـيْـكُـمـا، ذهَـبَ الـزَّمـانُ (الـيُـوسـفـي)

يستصلحُ العَطّارُ فوراً كلَّ مَنْ
فَسُدَتْ، يُصبِّي كُلَّ نهدٍ متحفي

أقراصُ مَنعِ الحَمْلِ يمضي عَهْدُها
لا ينثني إلاّ بأمرٍ مَصْرِفي

*

إنَّا بعونِ اللهِ نرسمُ ما يلي:
عن ما مضى بعدي وقبلَ تَشَرُّفي

النقطةُ العشرونَ تصبحُ رابعاً
الخمسُ بعدَ العشرِ أمرٌ مَوْقِفي

ويتمُّ مِنْ تاريخِ هذا نشرُهُ
تذييلُ أوَّلِهِ بحمدِ مُصْحَفي

مَن ذا يصدِّقُ أو يكذِّبُ ما جرى؟
لم يبْقَ مَنْ ينفي ولا ما ينتفي!

ماذا يفاجئُني مِنَ الآتي؟ مَضى
ما سوفَ يأتي. يا غرابةُ خَرَفي

مَن ذلكَ الفوجُ المسمَّتُ؟ ما اسْمُهُ
يا موطني؟ ضَيْفي وصارَ مُضيِّفي

يندسُّ بينَ فمي وبينَ تنفُّسي
ويشمُّ نيَّةَ وُجْهتي وتَحَرُّفي

مِنْ أينَ ذاكَ الفوجُ؟ أدري أنَّهُ
بعضُ الذين يُعَلْمِنون تَخَلُّفي

بعضُ الذينَ بقبضةٍ يُغْطُونَني
وبألفِ كفٍّ يغصِرونَ تلهُّفي

بعضُ الذين يُعرِّسون جَنازَتي
عن خبرةٍ ويُعهِّرونَ تَعفُّفي

أطْمعْتُهُمْ. منّي إليَّ تسرَّبوا
أضْحَوْا فمي، خُبزي، بناني، مِغْزفي

يخْفَوْنَ في جَسدي، وتَحْمي جَبْهَتي
أوساطهمْ، ويحاذرونَ تعرُّفي

مِن كلِّ ثقبٍ يوغلونَ بداخِلي
وبرغمِ إتلافي أُحرِّقُ مُتلِفي

لا تكترثْ، إنّي على أُمِّيَّتي
أرنو إلى هدفي، أرى مُستهدِفي

كانتْ قناديلُ الشوارعِ لا تُرى
كانَ التحرِّي لا يعي مَنْ يقتفي

ورؤوسُ أطفالٍ تُقصُّ رقابُها
عنها، وتعلو كالطيورِ وتَنْكَفي

ورؤى البيوتِ كوسوساتِ قيادةٍ
تخشى العِدا وتشكُّ في مَنْ تَصْطفي!

وهناكَ مُخْبِرةٌ تُفكِّرُ: كلُّ ما
في هذهِ الأرضِ الوقورِ تَطَرُّفي

حـاولـتُ أن أحـتـلَّ بـعـض قـلـوبِـهِـمْ
دخـلـوا دمـي، سـكَـن الـتَّـوجُّـس مِـغْـطَـفـي

الـغـيـمُ أحـنـى مِـنْ طـلاقَـةِ (حَـدَّةٍ)
(هَـرِبَـرْتُ) أغـبـى مِـنْ (مُـثـنَّـى الـمَـهْـنـفـي)

* *

أنـهـتْ رنـيـنَ الـتِّـسـع دارُ إذاعـةٍ
الـقـتـلُ فـي (زائـيـر) والـقُـتَّـال فـي

وإلـيـكـمُ الـتَّـفـصـيـلَ. يـسـقـطُ عـالَـمٌ
بـسـقـوطِـهِ فـي كـلُّ قَـطـرٍ يـخـتَـفـي

وحـضـارةٌ تَـغـدو ويـعـثـرُ نـعـلُـهـا
بـجـبـيـنِـهـا، وبـذا الـتَّـلَـهِّـي تَـشْـتَـفـي

* * *

مـاذا أقـولُ لـكـم؟ خـلـعـتُ تـلـطُّـفـي
أَغْـرَى الـنِّـعـالَ بـحـاجـبـي تـلـطُّـفـي

وإذا عَـنُـفْـتُ، كـخـطـوِكُـمْ فـمُـبـرِّري
أنِّـي رصـيـفٌ والـغـبـارُ مُـثـقِّـفـي

ذيل للقصيدة السابقة

في البيت الـ 11 ـ (قرمطي) نسبة إلى مذهب سياسي حكم في اليمن في القرن العاشر الميلادي بقيادة (علي بن الفضل)، وما تزال للمذهب ذرية. (مطرّفي): نسبة إلى جماعة زيدية تسمت بـ(المطرَّفيّة) وكانت تناضل (الهادوية) لتحريفها المذهب الزيدي.

في البيت الـ 26 ـ كلمة (تنْفي): أي ارفعيه على تنوفة كالوثن عندما

كان يرفعه العرب على أرضٍ مرتفعة تسمى (تنوفة) ويقولون (لقد نحتناه وتنّفناه علينا).

في البيت الـ 50 ـ (حدّة): مصيف بضواحي (صنعاء) يمتاز بحلاوة مشمشه. (مهْنَفي): نسبة إلى اسم منطقة من المناطق الوسطى قديماً وقد تغير اسمها الآن (جهران).



بين الجِدارِ وجِدار

أغسطس 1877م

هـذا الـجـدارُ يـقـولُ لـي ويـعـي
هَـمْـسـي، ويُـصـغـي لـلـرِّيَـاحِ مـعـي

يـرنـو إلـي، كـصـمـتِ مـمـلـكـةٍ
لـلـطَّـيـفِ تـهـمـسُ: مـاتَ مُـجْـتَـمـعي

ويـشـمُّ مـأسـاةً تُـقَـطِّـعُـنـي
وأشـمُّ فـي مـأسـاتِـهِ قِـطَـعـي

يـحـكـي بـلا صـوتٍ وأسـمـعُـهُ
أَهْـذي وأصـمـتُ، وهـو مُـسْـتَـمِـعي

يـبـكـي كـمـا أبـكـي، يُـسـاهـرُنـي
أغـفـو، رؤى عـيـنَـيْـهِ مُـضـطَـجَـعـي

مِـنْ أيـنَ جِـئْـنـا يـا جـدارُ؟ أنـا
مـنـكَ انـبـثـقـتُ، وجـئـتَ مِـنْ وجَـعـي

أورقـتُ فـي نـجـواكَ جَـمْـرَ هـوَىً
وهـجـسـتُ كـالـمـيـعـادِ فـي ولَـعـي

وهُـنـا الـتـقـيـنـا، كـنـتَ مُـضـطَـنَـعـاً
وأنـا كَـلا شـيءٍ، كَـمُـضـطَـنِـعـي

مَـــسْـــعــــاكَ لا صــــحـــوٌ ولا مَـــطَــــرٌ
والــعــقــمُ مُـضْـطـافـي ومُـرْتَـبـعـي

أمـضـي. خـيـولُ الأمـسِ تـسـبِـقُـنـي
أعـيـا الـوصـولُ، وضـاعَ مُـرْتَـجَـعـي

* * *

أتـــخـــافُ مـــثـــلـــي يـــا جـــدارُ، ولا
تـــدري؟ وأبـــدو لا أعـــي فَـــزَعـــي

كـــالـــنَّـــاسِ أنـــتَ؟ ولا يَـــرَى أحـــدٌ
تَـوْقـي إلـى رِيِّـي، إلـى شَـبَـعـي

مِـنْ كـلِّ خـاوٍ صُـغْـتَـنـي، وكَـمـا
أنْـبَـتَّـنـي أثـمـرتُ مُـبـتَـدعـي

أَوَمـا اقـتـلـعْـتَ مِـنَ الـبِـلـى مِـزَقـي
وهـتـفـتَ: يـا كَـسْـلـى هُـنـا انْـزَرِعـي؟

يـا هــذهِ عَـنْ أُخـتِـكِ ابْـتـعـدي
يـا تِـلْـكَ عَـنْ عـمَّـاتِـكِ انْـتَـزِعـي

يـا سـاقُ أَصـبـحْ جـبـهـةً ويـداً
يـا ظـهـرُ أبـطـنْ، يـا يـدُ انْـقَـطِـعـي

سَـفَّـلْـتَ جُـمْـجُـمَـتـي بـخـاصِـرَتـي
وَرَكَـمْـتَ تَـطْـويـلـي بـمُـتَّـسـعـي

ودَخَـلْـتَـنـي أَصْـبَـحْـتُ مِـنْ أثَـري
مـثـلـي جـداراً حـزنُـهُ جَـزَعـي

أوَما اضطَرَغْنا؟ لَمْ تَعُدْ طرفاً
بيني وبيني شبَّ مُضطَرَعي
ما كُنْتَ تَطْمَعُ قبلَ خِلْطَتِنا
واليومَ تَحكي أنتَ عَنْ طَمَعي

أنتَ اخْتَرَغْتَ شَقاوَتي، وأنا
أبدعتُ في إقْلاقِ مُخْتَرِعي
شكَّلْتَني بأجدُ هندسةٍ
ولَبِسْتَني كعباءةِ (البُرَعي)
أترى سقَطْنا؟ هل تَمتُّ إلى
راقٍ؟ أأدري أينَ مُرْتَفَعي؟
ما زلتَ تذكرُ أنني (نَخَعٌ)
ونسِيتَ سيفَ (الأشتَرِ النَّخَعي)

ذيل للقصيدة السابقة:

في المقطعين الأخيرين (البرعي): وهو شاعر متصوِّف إلى حد الدروَشة، عرف بعباءته الدهرية المهلهلة، كمتصوفة جيله من شعراء القرن الثالث عشر الميلادي. كما ورد (الأشتر النَّخعي): نسبة إلى منطقة (نخع) بوسط اليمن وهذا العلَم شهير بالبطولة القيادية. كان أشجع المحاربين بـ(صفّين) في معسكر الإمام علي، ودلالة الرمز بالعَلَمين شفّافة من خلال التركيب.

❂ ❂ ❂

جَلْوَة

يولية 1978م

كرائحةِ الصَّمتِ بعد الضَّجيجْ
كإغفاءةِ الحُزنِ بعدَ النَّشيجْ
كأجملِ مِنْ كُلِّ ما في الجمالِ
تجلَّيتِ ذاتَ مساءٍ بهيجْ
تُضيئينَ، تهمينَ لوناً غريباً
تضيعينَ في مهرجانِ الأريجْ

فتخرجُ مِن صوتِها الأُغنياتُ
تهيجُ بلا لغةٍ، تستهيجْ
تمدُّ العجيجَ اخضراراً، تحولُ
غصوناً، حماماً، حبالُ العجيجْ
على جَذْبِ عُشّي طلعتِ كصيفٍ
نضيجِ الدَّوالي لقلبٍ نضيجْ
تمازجْتِ مِنْ قلقِ الانتظارِ
ومِنْ فجأةِ الغيبِ أحلى مزيجْ

*

ألاقيكِ مثلَ اختناقِ البُكاءِ
ومثلَ انطفاءِ حبيسِ الأجيجْ

وللبُشْرَياتِ ذهولُ الخريفِ
ونيسانُ (صنعا) وصيفُ الخليجْ

*

هنا نغتلي ننسجُ الأمنياتِ
فتخلُقُنا أمنياتُ النَّسيجْ

لكي يهزج الفرحُ المستحيلُ
وينسى السكوتَ ابتكارُ الهَزيجْ

⁂

هدايا تشرين

1978م

أتـــراهُ يُـــحِـــس مِـــنْ أيِّ ثـــغـــرةْ؟
جـــاءَ يـــهْـــمـــي مـــرارةً فـــوقَ حـــســـرةْ

يـــرتـــمـــي بـــعـــضُـــهُ عـــلـــى حـــزْنِ بـــعـــضٍ
مـــثـــلَ أوجـــاعِ فُـــرقَـــةٍ بـــعـــدَ عِـــشْـــرَةْ

مـــثـــلَ مـــلـــهَـــىً مِـــنَ الـــشـــعـــابـــيـــن يُـــحـــيـــي
مِـــن عـــروقِ الـــغـــبـــارِ لـــلـــدُّودِ ســـهْـــرَةْ

مـــثـــلَ أحـــلامِ شـــارعٍ، كـــان قـــصـــراً
مـــثـــلَ أنـــقـــاضِ فـــكـــرةٍ تـــحـــت ســـكْـــرَةْ

جـــاءَ مِـــن صُـــفْـــرةِ الـــقـــبـــورِ إلـــيـــهـــا
يـــمـــتـــطـــي هِـــجْـــرةً إلـــى قـــحـــطِ هِـــجْـــرَةْ

ســـاحـــبـــاً خـــطْـــوَهُ كـــأشـــلاءِ قَـــشٍّ
رافـــعـــاً وجـــهَـــهُ عـــلـــى ثـــقـــبِ إبْـــرَةْ

حـــامـــلاً أغـــرب الـــشَّـــظـــايـــا، كـــنـــعـــشٍ
لـــفَـــقَـــشَـــةُ الـــريـــاحُ مِـــنْ كـــلِّ ذرَّةْ

هـــاربـــاً مِـــنْ مـــدارِهِ، كـــرمـــادٍ
لـــم يـــعُـــدْ يـــنـــتـــمـــي إلـــى أيِّ جَـــمْـــرَةْ

نـــازفـــاً قـــيـــحَـــهُ عـــلـــى كـــلّ مـــقـــهـــى
أغـــنـــيـــاتٍ، ونـــشـــرةً بـــعـــدَ نـــشْـــرَةْ

* * *

مـــا الـــذي قـــال؟ مـــا الـــذي قـــيـــل عـــنـــهُ؟
لا يَـــعـــي فـــكـــرةً ولا عـــنـــهُ فَـــكْـــرَةْ

اعـــتـــيـــاداً أتـــى ويـــمـــضـــي اعـــتـــيـــاداً
واعـــتـــيـــاداً ســـيـــنـــثـــنـــي بـــعـــدَ فَـــتْـــرَةْ

نـــفـــسُ ذاكَ الـــذي أتـــى قـــبـــلَ عـــامٍ
لـــم يَـــطُـــلْ إصـــبَـــعـــاً ولا زاد شَـــعْـــرَةْ

نـــفـــسُ تـــشـــريـــنَ فـــي الـــتـــقـــاويـــمِ يـــأتـــي
كـــلَّ عـــامٍ، ومـــا أتـــى غـــيـــرَ مَـــرّةْ

قَـــبْـــلَ خـــمـــسٍ مـــن الـــحـــريـــقِ الـــتـــقَـــيْـــنـــا
فـــاعـــتـــصـــرنـــا مِـــنْ وجـــهِـــهِ نـــصـــفَ قَـــطْـــرةْ

كـــان مـــيـــعـــادَنـــا، أتـــيـــنـــا إلـــيـــهِ
وأتـــى حـــامـــلاً كـــتـــابـــاً وجَـــرّةْ

فـــرآنـــا، رغـــمَ الـــحـــشـــودِ قـــلـــيـــلاً
ورآنـــا فـــي زحـــمـــةِ الـــســـوقِ كـــثـــرةْ

قـــبـــلَ أن نـــشـــربَ ارتـــوَيْـــنـــا فـــأعـــطـــى
غـــيْـــرَنـــا الـــمـــشـــربَـــيْـــنِ وارتـــدَّ صـــخـــرةْ

وارتـــدى حـــفـــرةً، يـــقـــولـــونَ كـــانـــتْ
وطـــنـــاً غـــالـــيـــاً لـــهُ فـــيـــهِ أُسْـــرَةْ

ويـقـولـونَ: كـانَ يـأتـي قـديـمـاً
فـي يـديـهِ ثـلـجٌ ومـشـروعُ زَهْـرَةْ

تـحـتَ إبـطَـيْـهِ سـلّـةٌ وسـريـرٌ
وعـلـى وجـهـهِ دلـيـلٌ وعِـبْـرَةْ

وارتـدى الـيـوم حُـفـرةً ضـاعَ فـيـهـا
فـيـهِ ضـاعـتْ، كَـفـارةٍ خـلـفَ كِـسْـرَةْ

فـسـلامٌ فـي الـذاهـبـيـنَ عـلـيـهِ
وعـلـيـنـا، ولـلـذئـابِ الـمَـسـرَّةْ

* *

هـل (بـنـاتُ الـهـديـلِ) يُـسْـعـدنَ مُـضـنَـىً؟
صـرنَ أضـنـى وأصـبـح الـزَّيـفُ خِـبـرَةْ

(أمُّ دِفْـرٍ) كـعـهـدِهـا، كـلُّ آتٍ
كـالـذي فـاتَ يـا (حـكـيـمَ الـمَـعَـرَّةْ)

أنـتَ أدرى. هـل دورةُ الأرضِ كـفّـتْ؟
هـلْ أصـاب الـخـمـودُ نـهـر الـمَـجَـرَّةْ؟

جـاءَ تـشـريـنُ مـرَّةً ثـمَّ ولَّـى
غـيـر حُـرٍّ وأرضُـنـا غـيـرُ حُـرَّة

إشارات إلى إشارات

في القصيدة السابقة:

في البيت الأول من المقطع الأخير إشارة إلى قول المعري في الرثاء منادياً الحمام:

يــا بــنــاتِ الــهــديــلِ أســعــدنَ أو عُــذْ
نَ، جــمــيــلَ الــعــزاءِ لــلإســعــادِ

في البيت الثاني من المقطع الأخير إشارة إلى الدنيا كما لقّبها أبو العلاء بأمّ دِفْر، ويحتوي البيت على عدة إشارات إلى أفكار علائية في الرئاسات والمذاهب مبثوثة في اللزوميات.

التساؤل في البيت قبل الأخير ينطوي على إشارة إلى قول حكيم المعرّة:

ولــنــارِ الــمــرّيــخ مــن حَــدَثــانِ الــدَّ
هْــرِ مُــطْــفٍ، وإنْ عَــلا فــي اتّــقــادِ

❁❁❁

لعابرٍ غيرِ مسبوق

1977 م

كبابِ كوخٍ مأتمي أُضغي إلى تهدُّمي
كبدءِ مسرحيَّةٍ تَهوى ختاماً مَلحمي
أَمتدُّ نصفَ شارعٍ يجرُّني تقحُّمي
تطيرُ قُدَّامي يدي تنجرُّ خلفي أَعظُمي
أخافُ من تَقَهقُري يُخيفُني تقدُّمي
أعدو، أضيعُ داخلي أجثو، يفرُّ مجثمي
أرمي أمامَ خطوَتي رأسي قُبيلَ أسهمي

* *

كلُّ الخيولِ أقبلَتْ وكلُّ سوقٍ (عَلْقَمي)
التلُّ وكرُ هجمةٍ والمنحنى تهجُّمي
تعندمَتْ بِيضُ الحصى وازمَدَّ كُلُّ (عَنْدَمي)
الصحوُ يخشى، يغتلي الغيمُ يخشى، ينهمي
النَّهرُ جدبٌ كالصَّفا الرملُ مائيٌّ ظَمي

يا ريحُ، نصفي مُخبرٌ نصفي حماسٌ موسمي
رِجلي تخافُ أُختَها زَنْدي يخافُ مِعصمي

* * *

للصَّخوِ جلدُ ربوةٍ للنَّوم وجهُ (مَلْجَمي)
للخوفِ يقظةُ الشَّذا أخافُ مِنْ تنوُّمي

الصمتُ واقفٌ على أطلالِ سدٌ (مَرْيَمي)
لَهُ قِذالُ ناقةٍ ووجهُ كَهْلِ (ذُرْعُمي)
الهجسُ نَعلُ خُوذةٍ الطَّيفُ رمحٌ (جُرْهُمي)
يُومي لكلِّ نَبْتةٍ: جريمةٌ أن تحلُمي
قِفي هُنا، كلُّ الفصو لِ في انتظارِ مَقْدمي
كلُّ الزمانِ في يدي كالرُّمحِ، لا تَهَكَّمي

* * *

تهدينَني! أجِئتُ مِنْ علمي إلى تعلُّمي؟
هلْ أذعَنَتْ؟ أخافُها قبلَ يدي تجهُّمي
تطرُّفٌ أنْ تورقي خطورةٌ أنْ تَبْسُمي
لا أشتري ما أشتهي بخِنجري ودرهمي؟
حماقَةٌ أنْ تَنْطقي غباوةٌ أنْ تَفْهَمي

* *

أينَ أنا؟ يفرُّ مِنْ عِرْقٍ إلى عِرْقٍ دمي
أغوصُ مِنْ ظَهْري إلى وَجْهي، أذوبُ في فمي
على انحطاطِ قامتي أرقى سُدَىً وأرتمي
لأنَّني مِنَ السُّقو طِ بالسُّقوطِ أحتمي
ومِنْ حُطامِ جثَّتي أمشي إلى تحَطُّمي
ومِنْ بنانِ مُغْدمي آتي ويمضي مُغْدمي
ومِنْ رمادِ أَغْصُني أسري إلى تَبرْعُمي
هنا الطريقُ مُغلَقٌ وهاهُنا جهنَّمي
هنا اندفنتُ، هاهُنا بزغتُ نصلاً (حَضْرَمي)

أضحكتُ (عَبْشَمِيَّةً) أرعبتُ كلَّ (عبشمي)

* *

البدءُ لا بَدءَ لَهُ والمنتهى توهُّمي

المرتَقى تأزُّمٌ والمرتقى تأزُّمي

هذي العناوينُ التي تومي عَمَىً يَهْدي عَمي

كلُّ الأسامي معبرٌ لعابرٍ بلا سَمي

وغيرُ مسبوقِ الخطى إلى خُطاهُ يَنْتَمي

يأتي، فيأتي مِنْ يَدي وَجْهي، نَهاري، أنجُمي

ذيل للقصيدة السابقة:

في البيت الـ 8 (علقمي): نسبة إلى الوزير (ابن العلقمي) الذي ساعد التتار على احتلال البلاد.

في البيت الـ 15 (ملجمي): نسبة إلى (عبد الرحمن بن ملجم) قاتل الإمام علي.

في البيت الـ 17 (مريَمي): السد المريمي نسبة إلى (مريمة) من منطقة يحصب الشهيرة بكثرة سدودها أيام السبئيين.

في البيت الـ 18 (درعمي): خرّيج دار العلوم والنسبة قياسية كعبدري نسبة إلى عبد الدار.

في البيت الـ 19 (جرهمي): الرمح الجرهمي نسبة إلى قبيلة (جُرْهم) التي كانت تُركِّب للرمح رأسين لزيادة الفتك.

في البيت الـ 36 (حضرمي): النصل الحضرمي من أشهر صناعات مدينة حضرموت اليمنية.

في البيت الـ 37 (عبشميّ) و (عبشميَّة): نسبة إلى عبد شمس، على

طريقة النحت اللغوي غير المقلوب، وفي البيت إشارة إلى قول عبد بن يغوث الحارثي عند أسره في قبيلة تَيم الرباب:

وتـضـحـكُ مـنـي شـيـخـةٌ عـبـشـمـيّـةٌ

كـأنْ لـمْ تـريْ قـبـلـي أسـيـراً يـمـانـيـا

⊛⊛⊛

حنين

أكتوبر 1978م

ظـامـئٌ والـكـؤوسُ عَـطْـشـى ومَـلأى
كـمـرايـا تـهـفـو إلـى وَجْـهِ مـرأى
كـشـوانٍ وردِيَّـةٍ تـتـبـدَّى
لـشـقِـيٍّ يـمـوتُ جُـزءاً فَـجُـزءا

* *

إنَّـهُ ظـامـئٌ إلـى غـيـرِ كـأسٍ
والـدَّوالـي إلـى تَـحَـسِّـيـهِ ظَـمْـأى
يـجـتـلـي أبـعـدَ الأمـانـي قـريـبـاً
مِـنْ يـدَيْـهِ، فـيَـدَّنـي وهـو يـنـأى
يـسـتـحِـثُّ الـوصـولَ، يـهـوى وصـولاً
كـلـمـا لاحَ قُـربـهُ زادَ بُـطْـئـا
يـتـشـظَّـى عـلـى الـلَّـيـالـي ويُـعـطـي
كـلَّ أُمـسـيَّـةٍ نـعـاسـاً ودِفْـئـا

* * *

هـاهُـنـا الـمـنـتـهـى، ويـعـدو إلـيـهِ
عـنـدمـا تـصـبـحُ الـنـهـايـاتُ بَـدْءا

كـانَ يـسـتـوقـدُ الـحـنـيـنَ ويَـفْـنـى
فـيـهِ عـشـقـاً، لا يـشـتـهـي مـنـهُ بُـرْءا

يـشـتـهـي أَنْ يَـصـيـدَ، يُـصـبـحُ صـيـداً
يـشـتـريـهِ شـيءٌ إذا ابـتـاعَ شـيـئـا

⊛⊛⊛

تحوُّلات أعشاب الرّماد

سبتمبر 1978م

عـرفـتُ لـمـاذا كـنـتُ قـتـلـي وقـاتـلـي
لأنَّ الـذي يُـعـطـيـنـيَ الـخُـبـزَ آكـلـي

لأنّـي بـلا ريـحِ إلـى الـريـحِ أنـتـمـي
فـيـومـاً يـمـانـيّـاً ويـومـيـن (بـاهِـلـي)

وطَـوراً غـروبـيّـاً وطـوراً مُـشـرِّقـاً
وحيـنـاً صَـدَىً، حيـنـاً نـشـيـداً (سـواحـلـي)

وآنـاً بـلا وقـتٍ وآنـاً مـوَقّـتـاً
قِـنـاعـي عـلائـيٌّ ووجـهـي تَـنـازُلـي

* *

أأروي حـكـايـاتـي؟ جُـفـونـي مَـحـابـرٌ
لأقـلامِ غـيـري، حـبـرُ غـيـري أنـامـلـي

لأنّـي دخـلـتُ الـسـجـنَ شـهـراً ولـيـلـةً
خـرجـتُ، ولـكـن أصـبـحَ الـسـجـنُ داخـلـي

لـقـد كـنـتُ مـحـمـولاً عـلـى نـارِ قـعـرِهِ
فـكـيـفَ تـحـمَّـلـتُ الـذي كـان حـامـلـي؟

ومَـنْ يـطـلـقُ الـسـجـنَ الـذي صِـرتُ سـجـنَـهُ؟
ومَـنْ يـطـرحُ الـعـبْءَ الـذي صـارَ كـاهـلـي؟

تخشَّبْتُ والأيَّامُ مثلي تَخَشَّبَتْ
أتمضينَ يا أيامُ؟ مِنْ أينَ؟ حاولي
مِنَ الآنَ حاولْ أنتَ. . كيفَ تريدُني؟
سَكَتُّ لماذا؟ هُزَّني مِنْ مفاصلي
تقولينَ: حقِّي أصبحَ اليومَ باطلاً
عليَّ، إليهِ أمتطي ظهرَ باطلي
أتدرينَ؟ أنساني التمرُّغُ هاهُنا
جبيني وأنستني المنافي شمائلي

* *

تقولينَ: ماذا أَنتوي يا هواجسي؟
أتنوينَ شيئاً؟ فارقيني وناضلي
أما فيكَ ما لم يحترقْ بعدُ؟ كلُّ ما
أعي، أنني أفنيتُ حتى تفاعُلي
أجِبْ غيرَ هذا، أعشبتْ فيكَ جمرةٌ
وهذا اختلاجي فيكَ أزهى دلائِلي
دمي صارَ ماءً رمَّدتْني، وُحُولُهُ
قميصي. أتخشى أَنْ تُفيقَ شواعلي؟
تُصيخُ إلى شيءٍ يجادلُ هجعَتي
ومِنْ أيِّ ذرَّاتي يُنادي مُجادلي؟

* * *

أُحِسُّ بقلبي الآنَ ركضَ ولادةٍ
عَنِ الصَّمتِ يُلهيني، عن الرُّعْبِ شاغلي

أبَيْني وبيني ثالثٌ اسمهُ أنا؟
أمِنّي أتى غيري؟ أيبدو مُشاكِلي؟

تحوَّلتُ غائيّاً، مِن الموتِ أبتدي
إلى غايةٍ أعلى ستُضحي وسائلي

ألِلْمرءِ ميلادٌ يموتُ ومولدٌ
بلا أيِّ حدٍّ؟ ما الذي يا تساؤلي..؟

أصوتي سوى صوتي؟ أُجرِّبُ صيحةً
هنا مولدي يا فجرُ، قبْلَ خمائلي

سقوني دمي، كي أرتوي دائماً بلا
حنينٍ فنادتْني إليها مناهلي

ترمَّدْتُ كي أغلي وأندى، وها أنا
أتيتُ وفي وَجْهي شظايا مراحلي

*

صباحَ المنى يا(قاعَ جهرانَ) هل ترى
على لحيتي لونَ الشعيرِ (القُباتِلي)؟

أتعرفُني يا عمُّ (عَيْبانَ) مَنْ أنا؟
أتنوينَ يا شمسَ الرُّبَا أنْ تُغازلي؟

* *

إلى شهوةِ الأعراسِ أسرجْتُ مَدفني
ومِنْ قَطْعِ شِريانِي بَدأْتُ تَواصُلي

أما كنتُ ميتاً؟ إنما كنتُ أغتلي
وأعلو على قتلي، لأجتثَّ قاتلي

ذيل للقصيدة السابقة:

في المقطع قبل الأخير (قاع جهران، قُباتِل، عيبان): سبقت الإشارة إلى الأول في مكان سابق و(قُباتِل): قرية بـ(جهران) شهيرة بجودة زرع الشعير. و(عيبان): اسم جبل مطِلّ على صنعاء كاد يخنقها بالحصار الملكي عام 67 وفيه بذلت صنعاء من الشهداء العشرات، حتى مزقت المحاصرين وحتى أصبح (عيبان) أزهى رموز النصر.

❁ ❁ ❁

استقالةُ الموت

مايو 1978م

هــذي الــرؤى الــمــصــفــرَّةُ الأوْرِدَةْ
وَجْـعَـى، كـهـذي الـلـيـلـةِ الـمـجـهَـدَةْ

تـهـوى وتـخـشـى مـثـلـمـا تـنـطـوي
فـي الـغُـصَّـةِ الأُمـنـيَّـةُ الـمـنـشِـدَةْ

تـنـسـلُّ مِـنْ أهـدابِـهـا، مـثـلـمـا
تـنـسـلُّ مِـنْ أضـلاعِـهـا الأفـئـدَةْ

لـلـرِّيـحِ أيـدٍ مِـنْ شـفـارِ الـمُـدى
وقـامـةٌ قَـشِّـيَّـةُ الأعْـمِـدَةْ

تُـرمِّـدُ الأقـبـاس، تُـدْمـي الـضُّـحـى
ولـلـحـزانـى تـعـجـنُ الأرمِـدَةْ

***

مـا هـذه؟ رِجْـلٌ أتَـتْ وَخْـدَهـا
جُـمـجـمـةٌ طـارث، هَـوَتْ مـفـرَدَةْ

سـيَّـارةٌ، فـيـلٌ عـلـى نـمـلـةٍ
عـصـفـورةٌ عـن سِـرْبِـهـا مـبـعَـدَةْ

ألـوانُ أصـواتٍ كـهـجْـسِ الـحـصـى
تـلـويـحـةٌ كـالـمُـدْيـةِ الـمُـغْـمَـدَةْ؟

حـنـيـنُ عـنـقـودٍ إلـى كَـرْمـةٍ
كـي تـسـتـهِـلَّ الـشـهـوةُ الـعَـنْـقَـدةْ

* *

يـا (سـعـدُ) تـبـدو خـائـفـاً. مـا الـذي
أخـافُ؟ أنـسـى الـخـوفَ يـا (مُـرشِـدَةْ)

مـا زالـتِ الأرضُ ولـوداً، ومـا
زالـتْ شـرايـيـنُ الـضُّـحـى مـوقَـدةْ

* * *

تـعـربـدُ الأسـواقُ، تـعـدو بِـلا
شـهـيَّـةٍ إغـمـاءةُ الـعـربَـدةْ

تـحـبـو الـمـمـرّاتُ عـلـى ظـهـرِهـا
وتـلـبـسُ الـجـدرانُ وجـهَ (الـبُـدَةْ)

* * *

مَـنْ ذا يُـسـمِّـي نـفـسـهُ سـيِّـداً؟
هـذي الـعـصـا، لا غـيـرُهـا الـسـيِّـدَةْ

الـجـوعُ والـكـربـاجُ تـاريـخُـكُـمْ
هـلْ غـيـرُ هـذيْـنِ سـوى الـمـفـسَـدَةْ؟

لـكُـمْ غـدٌ. يـأتـي ويـمـضـي غـدٌ
ومـا تـكـفُّـونَ عَـنِ الـغَـدْغَـدَةْ

مـا أخـدجَـتْ كـلُّ مـواعـيـدِنـا
إذا انـطـفـا وعـدٌ أضـاءتْ عِـدَةْ

هـل بـيـن مـوتـيْـنِ تـرى فـارقـاً؟
إمَّـا عـوَتْ أو زغـردت (مُـسْـعـدة)

يـا دودُ غـرِّدْ. حَـسـنـاً، يـا رَدى
أضِـفْ حُـلـوقـاً. فـكـرةٌ جَـيِّـدَةْ

سـمٌ اقـتـلاعَ الـعُـمـرِ تـشـذيـبـةٌ
وسـمٌ إزهـاقَ الـصِّـبـا هَـدْهَـدَةْ

❊ ❊

الـنَّـاسُ غـيـرُ الـناسِ، قُـلْ أصـبـحُـوا
أدهـى مِـنَ الـصـيَّـادِ والـمـصـيَـدَةْ

يـا سـيِّـدي خُـذْ مـهـنـتـي. هـاهُـنـا
ضـاعـتْ حـلـوقـي، طـاقـتـي الـمُـخْـمَـدَةْ

هـذا الـحِـمـى يـنـهـارُ فـيـهِ الـرَّدى
وتُـخـرَقُ الأعـدادُ والأعـتـدَةْ

أمـسـتـقـيـلٌ أنـتَ؟ أصـبـحـتُ لا
أُجْـدي، ولا تُـجـديـكَ هـذي الـجِـدَةْ

الـنَّـاسُ فـي هـذي الـربُـا كـالـرُّبـا
تـوارثـوا الإخـصـاب والـجـلْـمـدَةْ

ذيل للقصيدة السابقة

في البيت الـ 13 (البُدَة): وهو اصطلاح لعيِّنات خرافية من النساء يقال إنهن يحوِّلن الرجال إلى حمير، ويتحوّلن إلى أُتُنٍ ويمارسن معهم الجنس كالحيوانات أمام الناس، ثم تعود المرأة إلى صورتها البشرية بعد

أن تتمرغ في التراب حتى تمنع كثرة الغبار رؤية العيون إليها، على حين يعجز الرجل الممسوخ أن يستعيد صورته الآدمية إلاّ على يد رجل مشعوذ يُسمّى (المُبَدْبِد)، لأنه يُخلِّص الرجال من مسخ البُدات، وقد صار اسم البدة رمز البشاعة والخوف والمسخ. ووراء هذه الخرافة حكاية: يقال إن النساء اللواتي يصلن إلى هذه القدرة يتدرّبن على التعرّي ثلاثين ليلة في أمكنة مكشوفة ويبلن أربعين صباحاً متوالياً في مواجهة الشمس عند بزوغها، ويروي المخبرون عنهن أنهن من منطقتين معيّنتين، وأنهن يحرمن من الزواج لغناء آبائهن وارتفاع مهورهن لما يتمتّعن به من جمال.

❂ ❂ ❂

السلطان
والثائر الشهيد

1977م

تنبيه غير ضروري:

من البيت الاول إلى البيت الـ33 على لسان السلطان، ومن البيت 34 إلى آخر القصيدة على لسان الشهيد.

اسْــكُــنْ كــالــمــوتــى يــا أحــمــقْ
نَــمْ. هــذا قــبــرٌ لا خَــنْــدقْ

لا فــرقَ لــديــكَ، نــجــوتَ إذنْ
واخــتــرتَ الــمِــتْــراس الأوثَــقْ

تــدري مــا الــمــوتُ؟ ألا تــغــفــو؟
أقــلــقــتَ الــرعــبَ ومــا تــقــلَــقْ

هــل تــنــســى قِــتْــلَــتَــكَ الأولــى؟
وإلــى الأخــرى تــعــدو أشْــوَقْ

مَــنْ ذا أحــيــاكَ؟ أعــيــدوهُ؟
أعــيــيْــتَ الــشــرطَــةَ والــفَــيْــلَــقْ

هَــلْ كُــنــتَ دفــيــنــاً؟ لا ســمــةٌ
لــلــقــبــرِ ولا تــبــدو مُــزهَــقْ

دمُــكَ الــمــهــدورُ، عــلــى رغــمــي
أصــبــحــتَ بــهِ أزهــى آنَــقْ

أمْــلَــى بــالــعــافــيــةِ الــجَــذْلــى
ومِــنَ الــرُّمْــحِ (الــصَّــغْــدي) أرشَــقْ

مِــنْ أيــنَ طــلــعــتَ أحــرَّ صِــبــاً
وأكــرّ مِــنَ الــفــرَسِ الأبــلَــقْ؟

قــالــوا: أبــحــرتَ عــلــى نــعــشٍ
ويــقــالُ: رجــعــتَ عــلــى زورقْ!

أوَمــا دفَــنــوكَ وأعــلَــنَّــا؟
فــلــمــاذا تــعــلــو، تــتــألَّــقْ؟

أَرَكِــبْــتَ الــمَــدفَــنَ أجْــنــحَــةً
ونــســجْــتَ مِــنْ الــكَــفَــنِ الــبَــيْــرَقْ؟

مــاذا يــبــدو؟ مَــنْ يــخــدعُــنــي
بــصــري أو أنــتَ؟ مَــنِ الأصــدَقْ؟

شــيءٌ كــالــحــيَّــةِ يــلــبــسُــنــي
ســيــفٌ بــجــفــونــي يــتــعَــلَّــقْ

مِــنْ أيــنَ تُــبــاغــتُــنــي؟ أنــأى
تــدنــو، أســتَــخْــفــي تَــتَــسَــلَّــقْ

تــشْــويــنــي مــنــكَ رُؤىً حُــمْــرٌ
يــتــهــدَّدُنــي ســيــفٌ أزرق

شَــبَــحٌ حِــزبــاوِيٌّ يــرنــو،
يُــغْــضــي، يَــتَــقَــزَّمُ، يــتــعــمــلَــقْ

مِـــنْ أيِّ حـــجــيــمٍ تَــتَـــبــدَّى؟
عَـــن أيِّ عـــيـــونِ تَـــتَـــفَـــتَّــقْ؟

الـــوادي بـــاسْــمِـــكَ يـــتــحـــدَّى
والـــتَّـــلُّ بـــصـــوتِـــكَ يَـــتــشـــدَّقْ

الـــصَّـــخْــرُ يَـــنِــثُّ خُـــطــاكَ لــظَـــىً
الـــرِّيـــحُ الـــعَـــجْـــلَـــى تَـــتَـــبـــنْــدَقْ

أبـــكُـــلِّ عـــيـــونِ الـــشَّـــعْـــبِ تـــرى؟
أبـــكُـــلِّ جـــوانِـــحِـــهِ تـــعْـــشَـــقْ؟

تـــحْـــمـــرُّ هـــنـــاكَ، تـــمـــوجُ هـــنـــا
مِـــنْ كُـــلِّ مـــكـــانٍ تـــتـــدفَّـــقْ

قـــالـــوا: أُخْـــفـــي، أصـــبـــحـــتَ عـــلـــى
سُـــلْـــطـــانـــي تـــســلـــيـــطـــاً مُـــطْـــلَـــقْ

تـــحـــتـــلُّ قـــرارةَ جُـــمـــجُـــمَـــتـــي
فـــأذوبُ، إلـــى نـــعـــلـــي أغْـــرَقْ

أُزْدي، لا ألـــقـــى مَـــنْ يَـــفْـــنَـــى
أســـطـــو، لا ألـــقـــى مَـــنْ يـــفْـــرَقْ

أســـبَـــقْـــتُ إلـــيـــكَ، فـــكـــنـــتَ إلـــى
تـــقْـــطـــيـــعِ شـــرايـــيـــنـــي أسْـــبَـــقْ؟

شـــكَّـــكْـــتَ الـــمـــوتَ بـــمـــهْـــنـــتِـــهِ
لا يـــدري يَـــبْـــكـــي أوْ يَـــغْـــرَقْ!

هَــلْ شـلَّ الـقَـتْـلُ لـبـاقـتَـهُ
أو أنَّ فـريـسـتـهُ ألْـبَـقْ؟!

هَـلْ مِـنْ دمِـكَ اخْـتـضـبـتْ يـدُهُ
أو أنَّ أنـامـلَـهُ تُـخـرَقْ؟

أقَـتَـلْـتَ الـقَـتْـلَ ولـمْ تُـقْـتَـلْ؟
أوْقَـعْـتَ الـخُـطَّـةَ فـي مـأزَقْ

الـقـتْـلُ بـ(صـنـعـا) مـقـتـولٌ
وروائـحُـه فـيـهـا أعـبـقْ

* * *

الآنَ عـرفـتُ، فـمـا الـجـدوى؟
سَـقَـطَ الـتَّـنـسـيـقُ ومَـنْ نَـسَّـقْ

أضـحـى الـقُـتَّـالُ هُـمُ الـقَـتـلـى
أرديـتَ (الـقـائـدَ والـمُـلْـحَـقْ)

* * *

كـالـبَـذْرِ دَفَـنْـتَ هُـنـا جَـسَـدي
والآنَ الـبـذرُ هُـنـا أورَقْ

فـلِـقَـلْـبِ الـتُّـربـةِ أشـواقٌ
كـالـوردِ وحـلـمٌ كـالـزَّنـبـقْ

لأنـوثـتِـهـا، كـالـنَّـاسِ هـوىً
يـتـلـظَّـى، يَـخـبُـو، يَـتـرقْـرَقْ

بـدمـاءِ الـفـادي تـتـحَـنَّـى
لـزفـافِ مُـنـاهُ تـتـزوَّقْ

عَـمَّـقْـتَ الـقـبـرَ فـجـذَّرَنـي
فـبـزغـتُ مَـنَ الـعُـمْـقِ الـمـغـلَـقْ

الـسَّـطْـحُ إلـى الـمـاضـي يَـنْـمـو
وإلـى الآتـي يَـنْـمـو الأعـمَـقْ

مِـنْ ظُـلْـمـتِـهِ يـأتـي أبـهـى
كـي يـبـتـكـرَ الأبْـهَـى الأغـرَقْ

هَـلْ أهـمـسُ بَـوْحـي أوْ أُعـلـي؟
مـا عـادَ الـهـمـسُ هـو الألْـيَـقْ

يـا مَـنْ مَـزَّقَـنـي، جـمَّـعَـنـا
فـي خـطِّ الـثـورةِ مَـنْ مـزَّقْ

* * *

مـاذا حـقَّـقـتَ؟ ألا تـدري؟
وطـنـي يَـدْري مـاذا حَـقَّـقْ

ويَـعـي مِـنْ أيـنَ أتـى وإلـى
وعـلـى آتِـيْـهِ يَـتَـفَـوَّقْ

●●●

بطاقةُ موظَّفٍ متقاعد

يونية 1978م

(مُصفًّى بنُ يَغلى بنُ مَشرى سُهيلْ)
مكانُ الولادةِ (بيتُ العُجَيْلْ)

أبو والدي كانَ (قَيلاً) كلِصّ
لذا جئتُ لِصّاً كنصفِ بنِ قَيْلْ

أمِتُّ بعِرْقٍ إلى (ذي نُواسٍ)
وعِرْقٍ إلى جَدَّتي مِنْ (هُذَيلْ)

عَصَبْتُ جبيني بنارِ البروقِ
وفي كُلِّ وادٍ تدفَّقتُ سَيْلْ

صهيلٌ دمي وصليلٌ فمي
لأنَّ جدودي سيوفٌ وخيلْ

* * *

كَمِ العمرُ؟ أعطيتُهُ بالحسابِ
وأُعطيهِ مِنْ غيرِ وزنٍ وكَيلْ

تزوَّجتُ مُهراً وسبعينَ سيفاً
وأصبحتُ سيفاً بكفِّيْ (عُطَيْلْ)

تـــوظَّـــفْـــتُ بَـــعْـــدَ أبـــي حـــارســـاً
فـــأمـــسَـــيْـــتُ لـــيـــلاً وأصـــبـــحـــتُ لَـــيْـــلْ

*

تـقـصَّـيـتُ ضـيـفـاً يُـسَـمَّـى (جَـمـالاً)
تـعـقَّـبـتُ ضـيـفـاً يُـسـمَّـى (الـفُـضَـيْـلْ)

مِـــنَ الـــخـــيـــطِ أُرخـــي حـــبـــالاً، أصـــوغُ
فـــصـــولاً مـــطـــوَّلـــةً مِـــنْ فُـــصَـــيْـــلْ

وأُبْـــدي مـــيـــولاً إلـــى الـــثـــائـــريـــنَ
وأُخـفـي إلـى الـقـصـرِ خـمـسـيـنَ مَـيْـلْ

فـــأشـــري بـــنـــصـــفِ ريـــالٍ لـــحـــومـــاً
وقـــاتـــاً، وأرتـــادُ (عَـــزْرا شُـــمَـــيْـــلْ)

وأمـــشـــي أُتَـــمْـــتِـــمُ بـــالـــحـــوقـــلاتِ
أُدنـــدنُ: «مـــاذا الـــجـــفـــا يـــا غُـــزَيْـــلْ؟»

وأروي مـــنَ الـــمـــنـــفـــلـــوطـــي ســـطـــوراً
وأصـــرخُ: يـــا عـــيـــلُ عَـــيْـــلُـــوهُ عَـــيْـــلْ!

وكـــانَ لـــمـــولايَ عـــشـــرونَ رأســـاً
ولـــي نـــصـــفُ رأسٍ وعـــشـــرونَ ذَيْـــلْ

وكـــانـــتْ تـــرانـــي بـــيـــوتُ (الـــقَـــلِـــيـــسِ)
وتـــعـــجـــبُ كـــيـــفَ تـــرقَّـــى (رُمَـــيْـــلْ)

* * *

سـمـعـتُ بــ(لـنـدنَ) و(الـبـاسـتـيـلَ)
وأعـيـادِ (عـيـسـى) و(بـابـا نُـوَيْـلْ)

تـطـوَّرْتُ، سـمَّـيْـتُ بـنـتـي (صـبـاحـاً)
دعـوتُ الـمُـقَـهْـوي (مـديـرَ الـهُـتَـيْـلْ)

تـزوَّجْـتُ (جـانِـيْـنَ)، قـلـتُ: اذهـبـي
إلـى الـنـارِ، يـا بـنـتَ (نـاجـي تُـعَـيْـلْ)

نَـمـوتُ بـأصـلـي.. أنـا ابـنُ الـكـرامِ
سَـمـوْتُ بـنـفـسـي.. أنـا (ابـنُ الـطُّـفَـيْـلْ)

* * *

ومـا الـعـمـلُ الآنَ؟ مـاذا بُـعَـيْـدَ؟
إلـى الآنَ أعـرفُ مـاذا قُـبَـيْـلْ

لأنّـي حَـبِـلْـتُ دخـانـاً، وَلَـدتُ
غـبـاراً، مـن الـوَيْـلِ أنـجـبـتُ وَيْـلْ

ذيل للقصيدة السابقة

- في البيت الأول (بيت العجيل): اسم غير معين لانطباقه على أكثر من قرية يمنية.

- في البيت الثاني (قَيْل): وهو لقب ملكي في عهود الحميريين والسبئيين.

- في البيت التاسع (جمال والفضيل): وهما من رجال انقلاب 1948م. وكان جمال جميل ضابطاً عراقياً مدرّباً للجيش اليمني من مطلع الأربعينيات. وكان الفضيل الورتلاني جزائرياً على صلة روحية بجماعة الإخوان المسلمين وكان موظفاً في شركة إنجليزية بالسعودية، وكانت

مهمته باليمن في منتصف الأربعينيات تأسيس شركة تجارية.

في البيت الثاني عشر «عزرا شميل»: يهودي كان بيته وكْراً لشديدي التحفظ.

في البيت الثالث عشر «ماذا الجفا يا غزيل»: مطلع أغنية كانت شهيرة.

في البيت الرابع عشر (يا عيل عيلوه عيل): وهي عبارة ريفية تدل على التذمُّر الشديد وعلى نفاد الصبر. وقد اكتسبت بعداً ثورياً واجتماعياً في أشعار القردعي والمقدشية.

والعيل في اصطلاح الريف: نوع من الطيور البيضاء.

في البيت السادس عشر (القَليس): من الأحياء القديمة الفقيرة بصنعاء، و(رُمَيل): لقب تهكمي يطلقه المدنيون سخرية بغباء الفلاح.

في البيت التاسع عشر (ناجي ثعيل): من الأسماء الشائعة في الطبقات الدنيا.

❂ ❂ ❂

دويُّ الصَّمت

نوفمبر 1978م

مـا الـذي يَـدْوي هُـنـا؟ لا شـيءَ يَـبْـدو
كـانَ يـبـكـي الـصَّـمـتُ لـلـصـمـتِ ويَـشْـدو

كــانَ يَــنْــســاقُ جـدارٌ مـوثَــقٌ
بـجـدارٍ، وأنـيـنُ الـطِّـيـنِ يَـحْـدو

كـان يـرقـى، ثُـمَّ يَـنْـحَـطُّ الـحـصـى
مـثـلـمـا يـنـشـقُّ تـحـتَ الـرمـحِ نَـهْـدُ

ويـئـنُّ الـركـنُ لـلـمـمـشـى صـدًى
مـثـلـمـا يـنـحـلُّ فـوقَ الـتُّـبْـنِ عِـقْـدُ

تـخـرجُ الأشـيـاءُ مِـنْ أوجـهـهـا
تـرتـدي أخـرى، ووجـهُ الـحـزنِ فَـرْدُ

وتـقـولُ الـريـحُ لـلـريـحِ: إلـى
أيـنَ جِـئْـنـا وإلـى أيـنَ سـنَـغْـدو؟

* *

هـاهُـنـا لـلـمُـنْـحـنـى أفـئـدةٌ
لـلـرُّبَـا ذاكـرةٌ، لـلـعـشْـبِ وَجْـدُ

لـلـمـغـاراتِ صَـبـابـاتٌ، لـهـا
أعـيـنٌ بُـنِّـيَّـةٌ، لـلـصـخـرِ زَنْـدُ

هــــذِهِ الـــكـــرمـــةُ (أروى)، هــــذِهِ
(روضــةُ الـوضَّـاحِ)، هــذا الـتـلُّ (سـغـدُ)

هـــذهِ الأحـــجـــارُ عـــشَّـــاقٌ غَـــفَـــوْا
هـــذهِ الـــكـــثـــبـــانُ أشـــواقٌ وسُـــهْـــدُ

الـــمُـــحِـــبُّـــونَ الـــذيـــنَ احـــتَـــرَقـــوا
أورقــوا، بــالــتُّــربَــةِ انــشَــدُّوا وشَــدُّوا

* *

هــاهُــنــا الأطــلالُ تــصــبــو مــثــلــمــا
يــلــتــقــي بَــعْــدَ الــنَّــوى ثــغــرٌ وخــدُّ

يــذكــرُ الـــقـــبـــرُ صـــبـــا أيَّـــامِـــهِ
وتــعــي الأنــقــاضُ مَــنْ شــادوا وهــدُّوا

تـــهـــجـــسُ الأوراقُ: ردُّوا عِـــفَّـــتـــي
مـــلـــمـــســـي، يــا بــاعــةَ الأشــكــالِ رُدُّوا

تـــســـألُ الـــتـــمـــويـــتَ مــاذا يــرتــدي؟
وإلـــى أيِّ الـــنَّـــوادي سَـــوْفَ يَـــنْـــدُو؟

لـــلـــثَّـــوانـــي لـــغـــةٌ عـــشْـــبِـــيَّـــةٌ
لـــلأســـى أجـــنـــحـــةٌ تَـــزْقـــو وتَـــغْـــدو

تَـنْـمـحـي الـسَّـاعـاتُ، يـأتـي الـقَـبْـلُ مِـنْ
آخــرِ الــبَــعْــدِ، ومــا لــلآنِ بَــعْــدُ

مــاتَ وقــتُ الــوقــتِ، لا يــغــفــو الــدُّجــى
لا الــضُّــحــى يَــرْنــو ولا لــلــعِــنْــدِ عِــنْــدُ

الـطُّـفَـيْـلـيُّـونَ فـي عُـرْيِ الـحَـصـى
أعـرقـوا، كـالـطُّـحـلـبِ امـتـدُّوا ومـدُّوا

يـقـرأُ (الـمِـقْـواتُ) عـنـهـم قـلْـبَـهُ
لـحـظـةً، ثـم يَـرَى مـاذا أعـدُّوا

مـا الـذي تَـبْـغـونَ؟ يَـدْري (نـقـمٌ)
قَـصْـدَ مَـنْ جـاؤوا ومِـنْ أيـنَ اسـتـجـدُّوا

تـحـتَ أحـداقِ الـمـرايـا والـرُّؤى
أعـيـنٌ أصـفـى، وتـحـتَ الـجِـلْـدِ جِـلْـدُ

بـاطـنـيُّـونَ، ويَـبْـدونَ كـمـا
حـدَّدَ الـرائـي، ومـا لـلـحـدِّ حَـدُّ

هـاهُـنـا لـلـتـلِّ قَـلْـبٌ مِـنْ لـظَـىً
ولَـهُ مِـنْ جَـمْـرِهِ نَـسْـلٌ وجَـدُّ

ذيل للقصيدة السابقة

ـ في البيت الـ 20 الـ(مقوات): اسم منحوت من محل بيع القات.

ـ في البيت الـ 21 (نُقم): جبل مطل على صنعاء من جهة الشرق.

في البيت الـ 9 (روضة الوضّاح): وهي معشوقة الشاعر وضاح اليمن وقد ورد اسمها في البيت مضافة إلى الشاعر على عكس معاصريه من العشاق الشعراء كجميل بثينة وكثيِّر عزّة. وذلك لقول وضاح:

يـا روضـةَ الـوضّـاحِ قـد
عـنَّـيْـتِ وضّـاحَ الـيـمـن

❁❁❁

(أروى) في الشام

يـــا ثُـــلا (يـــا إبُّ)، يـــا (أرحَـــبْ)
يـــا (بَـنـــا) يـــا (لَـحْـجُ)، يـــا (شَـرْعَـبْ)
كــيْـــفَ يـــا أحـــبـــاب أُخْـــبِـــرُكُـــمْ:
أيَّ أشْـــواقِ الـــهـــوى أغْـــلَـــبْ؟
أيَّ أســـرارٍ أكـــاشـــفـــكُـــمْ؟
أيُّ مَـــوْتٍ بـــاســـمـــكـــمْ أنْـــسَـــبْ؟
هَـــلْ يـــؤدّي الـــصـــوتُ؟ أيـــنَ أنـــا؟
أدمُـــعـــي أوْ أحْـــرُفـــي أخْـــطَـــبْ؟

* *

هَـــلْ أقـــصُّ الآنَ حـــادثـــةً
صِـــدْقُـــهـــا مِـــن حُـــلْـــمِـــهـــا أكْـــذبْ؟
جـــمـــرُهـــا أنْـــدى فـــمـــاً وصـــدَىً
بُـــعْـــدُهـــا مِـــنْ قُـــرْبِـــهـــا أقْـــرَبْ
هـــاهُـــنـــا فـــي (الـــشَّـــامِ) ســـائـــحـــةٌ
اســـمُـــهـــا (أروى). ألا أعْـــجَـــبْ؟
مـــثـــلُـــهـــا تـــســـعـــونَ فـــي (صَـــفَـــدٍ)
مـــثـــلُـــهـــا ســـبـــعـــونَ فـــي (الـــمَـــرْقَـــبْ)

إنــمــا كــالــبُــنِّ نــكــهــتُــهــا
هَــجْــسُــهــا كــالــمــشــمــشِ الأزغَــبْ

إنَّــهــا (أروى) بــلا فَــرَسٍ
وبِــلا تــاجٍ سِــوى الــمُــذْهَــبْ

تــغــتــلــي الــعــشــرونَ فــي دَمِــهــا
وعــلــى أهْــدابِــهــا تَــلْــعَــبْ

لَــمْ تَــقُــلْ لــي أيــنَ مــولــدُهــا
أخْــبــرَتْــنــي. نــجــمُــهــا (الــعــقــربْ)

تــســتــجــيــدُ الــشِّــعــرَ مُــلــتَــهِــبــاً
وصــبــاهــا الأشْــعَــرَ الأكــتَــبْ

أنــتَــوي مِــنْ سِــحْــرِهــا هَــرَبــاً
وإلــيــهــا يَــهــربُ الــمــهــرَبْ

أقــتــلُ الــسَّــاعــاتِ، أرقــبُــهــا
كــارتــقــابِ الــعــائــدِ الــمَــرْكَــبْ

يــمــتــطــيــنــي قَــبْــلَ مَــقْــدَمِــهــا
هــاجــسٌ كــالــطــائــرِ الأحــدَبْ

مــا لــهــا زوجٌ ولا غَــزَلٌ
زوجُــهــا الــمــســتــقْــبــلُ الأصــعَــبْ

تــعــشــقُ الأحــداثَ، تــخــلــقُــهــا
تــســتــطــيــبُ الأحــدثَ الأرْهَــبْ

تُــــرهِـــقُ الأخْـــبـــارَ بــاحِـــثــةً
عـــن غـــدٍ بِـــكْـــرِ الـــمُـــنـــى أعـــزَبْ

* * *

إنَّـــــهـــــا (أروى)، وأيُّ شـــــذاً!
كـــيـــفَ يـــا لـــحـــنَ الـــهـــوى أطـــرَبْ؟
لاسْـــمِـــهـــا مِـــنْ مـــوطـــنـــي عَـــبَـــقٌ
صـــوتُـــهـــا مِـــنْ مـــوطـــنـــي كـــوكَـــبْ
مِـــنْ شـــذا الـــكـــاذي روائـــحُـــهـــا
مِـــنْ ضُـــحَـــى (ثَـــقْـــبـــانَ) بَـــلْ أثـــقَـــبْ
مِـــنْ دوالـــي (الـــسِّـــرِّ) ضـــحـــكـــتُـــهـــا
صـــدرُهـــا مـــوجٌ مِـــنَ (الـــمَـــنْـــدَبْ)
يـــا يـــدي. مِـــنْ أيـــنَ أقـــطِـــفُـــهـــا؟
يـــا فـــمـــي. مِـــنْ أيِّـــهـــا أشـــرَبْ؟
هـــاهُـــنـــا أشـــهـــى، أبَـــضُّ هُـــنـــا
هـــاهُـــنـــا أســـنـــى، هـــنـــا أعـــذَبْ
كـــاهـــتـــزازِ (الـــقـــاتِ) قـــامـــتُـــهـــا
بـــعـــضُـــهـــا مِـــنْ بـــعـــضِـــهـــا أطـــيَـــبْ

* * *

كـــيـــفَ أحـــكـــي؟ إنَّـــهـــا وطـــنـــي
حـــبّـــهـــا مِـــنْ خِـــصـــبِـــهـــا أخـــصَـــبْ
هَـــلْ هُـــنـــا داري ومُـــنْـــتَـــزَحـــي؟
إنَّـــنـــي مِـــنْ غُـــربَـــتـــي أغـــرَبْ

ذيل للقصيدة السابقة

ـ البيت الأول من القصيدة يتضمّن أسماء ست مناطق متباعدة من شطري اليمن.

ـ في البيت الـ 7 (صَفَد): مدينة فلسطينية (المرقَب) حي كويتي تسكنه أعداد من اليمنيين.

في البيت الـ 19 (الكاذي): شجر ذو رائحة طيبة هادئة، (ثقبان): مصيف صغير من ضواحي صنعاء.

في البيت الـ 20 (السِّرّ): شمال شرقي صنعاء شهير بجودة أعنابه وقاته، (المنْدب): مضيق بحري يمني له أهمية تجارية واستراتيجية.

۞ ۞ ۞

الصّاعدونَ مِنْ دمائِهم

إبريل 1978م

لأنَّـــهُــم مِـــنْ دَمِـــهِـــمْ أبــحـــروا
كــالــصُّــبــحِ مِــنْ تَــوْرِيــدِهِــمْ أســفــروا

تَـــكَـــسَّـــروا ذاتَ خـــريـــفٍ هُـــنـــا
والآنَ مِـــنْ أشـــلائِـــهِـــمْ أزْهَـــروا

وقـــبـــلَ إعـــلانِ الـــشَّـــذا حـــدَّقـــوا
وعَـــنْ ســـدادِ الـــرُّؤيَـــةِ اســـتـــبـــصـــروا

تـــجـــمَّـــروا فـــي ذكـــريـــاتِ الـــحَـــصـــى
ومِـــنْ حَـــنـــيـــنِ الـــتُّـــرْبَـــةِ اخـــضـــوضـــروا

هـــنـــاكَ رقّـــوا، هـــاهُـــنـــا أعـــشـــبـــوا
هَـــلْ تـــضـــجـــرُ الأمـــواجُ كـــي يـــضـــجـــروا؟

مِـــنْ كُـــلِّ شـــبـــرٍ أبـــرقـــوا، أشـــرقـــوا
كـــيـــفَ الـــتـــقـــى الـــمـــيـــلادُ والـــمـــحـــشـــرُ؟

كـــيـــفَ هَـــمَـــوْا لـــونـــاً، ســـنـــاً؟ كـــيـــفَ مِـــنْ
تـــحـــتِ الـــشَّـــظـــايـــا والـــحَـــصـــى أمـــطـــروا

*

مـــاذا يـــقـــصُّ الـــتـــلُّ لـــلـــمـــنـــحـــنـــى
عـــنـــهُـــمْ، ويـــروي الـــحـــقـــلُ والـــبـــيـــدرُ؟

وكـيـفَ تـحـكـي الـدَّارُ أخـبـارَهُـمْ
ويـسـتـعـيـدُ الـقـصَّـةَ الـمَـهْـجَـرُ؟

نـامـوا شـظـايـا أنـجُـمٍ فـي الـثَّـرى
وقـبـلَ إشـحـارِ الـدُّجـى أسـحـروا

مـؤقَّـتـاً غـابـوا لـكـيْ يَـبْـزُغـوا
كـي يُـشْـمِـسـوا، مـن بَـعْـدِ مـا أقْـمَـروا

عـادوا إلـى أعـراقِـهِـمْ، أورَقـوا
مِـنْـهـا ومِـنْ أشـجـارِهِـمْ أثـمـروا

مِـنْ حـيـثُ يـدرونَ ومِـنْ حـيـثُ لا
نـدري أطـلُّـوا، أذهـلـوا، أسـكـروا

لا شـيءَ يـدري، أيَّ شـيءٍ يـرى
وكـيـفَ أضـحـى غـيـرَهُ الـمـنْـظَـرُ؟

تـعـدو إلـيـهـم، كـالـصَّـبـايـا الـرُّبـا
يـطـيـرُ كـالـعـصـفـورَةِ الـمـعـبـرُ

وكـلُّ كـوخٍ يـمـتـطـي شـوقَـهُ
وكـلُّ صـخـرٍ فـرسٌ أشْـقَـرُ

وكـلُّ بُـسْـتـانٍ يـصـيـحُ: اقْـتَـطِـفْ
يـا كـلَّ طـاوٍ، يـا عِـطـاشُ اعْـصِـروا

*

مِـنْ أيـنَ جـاؤوا؟ كـلُّـهُـمْ أكَّـدوا
مـمـاتَـهُـمْ، عـنْ سِـرِّهِ أخـبـروا

وشَكَّلوهُ بِدعةً لَوَّنَتْ
أشكالَها الأسواقُ والسُّمَّرُ

قيلَ: انقضى عشرونَ عاماً على
تمزيقِهِمْ، قيلَ انقضَتْ أشهُرُ

وقالَ وادٍ أصبحوا عندَهُ
وقالَ سفحٌ فوقَهُ عسكروا

وقالَ نجمٌ: تحتَ عَيْني سرَوْا
والفَجْرُ في أهدابِهِمْ يسهرُ

وقيلَ: هَبُّوا صحوَةً وانْثَنَوْا
كما يَتيهُ العاصفُ الأغبرُ

وقالَ بعضٌ شاهَدوا دفنَهُمْ
وقالَ بعضُ البعضِ: لَمْ يُقْبروا

قيلَ: اختفَوْا يوماً وقيلَ: انطفَوْا
وقيلَ: مِنْ حيثُ انطَفَوْا نوَّروا

وقيلَ: ذابوا ذرَّةً ذرَّةً
والأرضُ في ذرَّاتِهِمْ تكبُرُ

* * *

في كلِّ مَلْقى أصبحوا قصَّةً
على رُؤاها تَلْتقي الأعصُرُ

تَرِقُّ، تَغْلي، تَنْهَمي خُضرَةً
تَطولُ، تَنْسى بَدْأها، تَقصرُ

لــكــنْ، أمــا مــاتــوا؟ أمَــنْ أعــلــنــوا
هــذا، بــآتــي وصــلِــهِــمْ بــشَّــروا؟

وكــيــف عــادوا مِــنْ غِــيــابِ الــرَّدى؟
لأنَّــهُــمْ غــابُــوا وهُــمْ خُــضَّــرُ

وكــانــتِ الــشَّــمْــسُ بِــلا مِــخْــورِ
وكــانــتِ الأشــعــارُ لا تَــشْــعَــرُ

وكــلُّ أمــرٍ كــانَ يــجْــري كــمــا
يُــدبِّــرُ الــمــاخــورُ والــمَــتْــجَــرُ

وكــانَــتِ الألــحــانُ طــيــنِــيَّــةً
والــوَقــتُ عَــنْ رجــلَــيْــهِ يــســتــفــسِــرُ

وكــلُّ مــرأى كــانَ مِــنْ لــونِــهِ
يــفــرُ، يُــلْــغــي طَــعْــمَــهُ الــسكّــرُ

كــانــوا زمــانــاً مُــســتــحــيــلاً أتــى
مِــنَ الــمُــحــالِ، انــفــجــروا، فَــجَّــروا

ومِــنْ يــقــيــنِ الــصَّــاعــدِ الــمــفــتــدي
ثــاروا عــلــى عُــنْــفِ الــرَّدى، ثَــوَّروا

*

أنــهَــوْا زمــانــاً تــحــتَ (مــوضــاتِــهِ)
يــنــهــارُ، لا يــنْــســى ولا يــذْكُــرُ

كــانــوا صــراعــاً بــالــنَّــجــيــعِ ارتــوى
روًى، إلــى أنْ أغْــصَــنَ الــخِــنْــجَــرُ

نقوشٌ
في ذاكراتِ الرِّيح

يناير 1979م

أولاً: من الملحوظ أن القصيدة تقابل بين الظواهر المنسجمات، وتشير إلى التقلبات من النقيض إلى النقيض كناموسة.

ثانياً: المفردات اللغوية في البيت الثاني (مَنْحَت) مكان النحت.

في البيت السابع (أخبَتوا) امتدوا إلى الخبوت.

في البيت الـ 14 (اسنَتوا) كابدوا سنة القحط أو سنواته.

هُنا كالضُّحى غنَّوْا وكاللَّيلِ أنصتوا
كهذي الرُّبا امتدُّوا، كنيسانَ أنبتوا

هُنا تخبرُ الأنسامَ عنهم حدائقٌ
ويروي أساطيرَ المهاراتِ (مَنْحَتُ)

رواب رَبَوْا فيها، نَمَتْ في لحومِهِم
وذابوا عليها، وَرَّدوها وربَّتوا

كما تهجسُ الأعشابُ للغيثِ لوَّحوا
كما يُفصحُ البستانُ للفجرِ صوَّتوا

كتحديق أفكارٍ بأهدابِ أنجُمٍ
تنادَوْا كبوحِ الوَرْدِ أعْلَوْا وأخفتوا

وقبلَ شعورِ الأرضِ بالدفءِ والنَّدى
تندَّوْا على أزهى الرَّوابي وأخبتوا

كتشرينَ جفُّوا، مثلَ أيَّارَ أمطرُوا
وكالطِّيبِ في أيْدي السَّوافي تَشتَّتوا

قُبيْلَ الضُّحى واللَّيلِ، داروا كواكباً
صباحاً، قُبيْلَ الوقتِ للشَّمسِ أقَّتُوا

أضاؤوا سُهيلاً، أشعلَتْ صيحةُ الهوى
نهودَ الثُّريَّا، مُذْ إليها تلَفَّتوا

مُحِبُّونَ أسخى بالقلوبِ مِنَ السَّنا
ولكنْ على العاتي أمرُّ وأعْنَتُ

* *

مِنَ العِشقِ جاؤوا كالأساطيرِ والرُّؤى
إلى العِشْقِ جاؤوا، جمَّرُوهُ و(كَبْرَتُوا)

وكانوا عفاريتاً مِنَ الشَّوقِ، كلَّما
أتوْا بقعةً أصبوْا حَصاها وعَفْرَتوا

وكالصَّيفِ رَفُّوا، عَنقَدوا كُلَّ ذرَّةٍ
وكي يُخْصبوا، في كلِّ جذرٍ تفتَّتُوا

وكالأرضِ، للأطيارِ والنَّاسِ أوْلمُوا
وكالأرضِ، أعطوْا كلَّ زاهٍ و(أسنتوا)

على كُلِّ تلٍّ مِنْ خُطاهُمْ عرائسٌ
مِنَ الشِّعرِ تشدو كالسَّواقي وتصمتُ

تَضِجُّ اخضراراً واحمِراراً وصَبْوَةً
وتُصغي فيغلوها الأسى والتَّزَمُّتُ

وفـي ذاكـراتِ الـرِّيـحِ مِـنْ بـعـضِ مـا حَـكَـوْا
نـقـوشٌ مـحـوْهـا مـرَّتـيـنِ وأثْـبـتُـوا

هُـنـاكَ يُـغـنِّـي بـاسـمـهـم، هـاهُـنـا الـصَّـدى
يُـغـنِّـي. . وهَـلْ يـدري الشَّـذَا كـيـف يـسـكـتُ؟

❂ ❂ ❂

بين بدايتين

فبراير 1969م

أمـامَ بـدايـةِ الـمَـطـلَـعْ ... وخـلـفَ نـهـايـةِ الـمـقـطَـعْ
تـمـوتُ وتـجـتـدي مـوتـاً ... لـتـفـنـى فـوقَ مـا تَـطْـمـعْ
ومـثـلَ تَـسَـكُّـعِ الأطـيـا ... فِ تـأتـي، تـنـثـنـي، تَـقْـبعْ
تَـحـولُ تـسـاؤلاً يَـهْـمـي ... ومِـنْ إحـراقِـهِ يَـرْضَـعْ
لـمـاذا يـبـرُقُ الأَذْجـى؟ ... لـمـاذا يـخـمـدُ الأَنْـصَـعْ؟
لـمـاذا أعْـشَـبَ الـمـبـكـى؟ ... لـمـاذا أَجْـدب الـمـرتَـعْ
لـمـاذا الـدُّرُّ فـي الأعـنـا ... قِ والأحـجـارُ فـي الـمـقـلَـعْ؟
وهَـلْ هـذا سِـوَى هـذا؟ ... مَـنِ الـمـخـدُوعُ والأَخْـدَعْ؟
لـمـاذا أرتـجـي أمـراً ... ويـأتـي عـكـسُـهُ أسْـرَعْ؟
وأيـنَ الـفَـرْقُ بـيـن الـقَـبْـ ... ـرِ والـمَـلـهـى؟ مَـنِ الأفـظَـعْ؟

*

هـنـا تـسـتـقـبِـحُ الأحـلـى ... هـنـا تَـسْـتَـجْـمِـلُ الأشـنَـعْ
هـنـا تـرقـى إلـى الأدنـى ... هـنـا تـهْـوي إلـى الأرفَـعْ
هـنـا تـمـحـو الـذي تـبـنـي ... هـنـا تـبـنـي الـذي تـقـلَـعْ
هـنـا تـدري مـتـى تُـنْـهـي ... هـنـا تَـنْـسـى مـتـى تَـشْـرَعْ
فـتـرضـى كـلَّ مـا اسْـتَـبْـشَـعْـ ... ـتَ خـوفَ تَـقَـبـلِ الأبـشَـعْ
ولا تـرضـى الـذي تـرضـى ... لأنَّ الـمـوتَ أنْ تَـقْـنَـعْ
إلـى مـا لا تَـعـي تُـصْـغـي ... إلـى مـا لا تَـرى تَـنْـزَعْ

* * *

أمـامَ هـواجِـسِ الـمَـزعـى   وخـلـفَ روائـحِ الـمَـخْـدَعْ
ونـحـوَ بَـكـارةِ الـمـيـلا   دِ إثْـرِ غـرابـةِ الـمـصـرَعْ
تـخـوض الـرِّحـلـةَ الـوَجْـعـى   وأنـتَ بـعُـقْـمِـهـا أوجَـعْ
ومِـنْ سـدٍّ إلـى سـيـفٍ   ومِـنْ (أروى) إلـى (تُـبَّـعْ)
ومِـنْ خَـيْـلٍ إلـى لَـيْـلٍ   ومِـنْ رُمْـحٍ إلـى مِـدْفَـعْ
ومِـنْ بـحـرٍ إلـى رمْـلٍ   ومِـنْ ريـحٍ إلـى أربَـعْ
تـشـقُّ فـواجِـعَ الأخـطـا   رِ خـلـفَ تَـلَـمُّـسِ الأفْـجَـعْ
وراءَ الأغْـنَـفِ الأقـسـى   لأنَّ الأعـنـفَ الأمْـتَـعْ

* *

وتـجـتـازُ الـذي تَـخْـشـى   ولا تَـلْـقـى الـذي يَـنـفَـعْ
كـنـهـرٍ، قـبـلَ أن يَـلْـقـى   مَـصَـبّـاً يـرحـلُ الـمـنـبَـعْ
لأنَّ الـشَّـمـس فـي عَـيْـنَـيْـ   ـكَ تـجْـنـي غـيـر مـا تـزْرَعْ
تـضـيـعُ الـلـيـلـةُ الأولـى   وتـأتـي الـلـيـلـةُ الأضـيَـعْ
وبـيـنَ الـحُـلـم والـلاّحُـلْـ   ـمِ يَـسْـري وحـدَهُ الـمـضـجَـعْ
ويـأتـي وحـدَهُ الـغـافـي   عـلـى الـطَّـيْـفِ الـذي أقـلَـعْ
فـتَـنْـسـى وضـعَـهـا الأوضـا   عُ، لا تـخـبـو ولا تـلـمَـعْ
ولا تـصـحـو ولا تـغـفـو   ولا تـعـطـي ولا تـمـنَـعْ
ويُـرخـي الـصـمـتُ رِجْـلَـيْـهِ   عـلـى عُـكّـازِهِ يَـركَـعْ
فـتـمـضـي الـمُـنْـيَـةُ الـشَّـعْـثـا   ويـأتـي الـخـاطـرُ الأصـلَـعْ

*

ومِـنْ بَـدْءٍ بـلا بَـدءٍ   تُـطِـلُّ إثـارةٌ أبـرَعْ
فـتُـعـطـي وجـهَـك الـمـزْقـى   ويُـعـطـيـكَ الـذي يَـخـلَـعْ
فـلا يـأتـي الـذي يـأتـي   ولا يـمـضـي الـذي وَدَّعْ

أراحَتْ نفسَها الأوقا ... تُ لا تأتي ولا ترْجِعْ
ولا تُبدي ولا تُخفي ... ولا تَنهى ولا تَجزَعْ
فلا يحكي الذي يَحكي ... ولا يُصغي الذي يَسمَعْ
ولا يَشدو الذي يَشدُو ... ولا يَبْكي الذي يَدْمَعْ

* *

وأنتَ هُناكَ، لا تَغْيا ... ومثلُ الريحِ لا تهجَعْ
تجيءُ بدايَةً رَوْعَى ... تعودُ بدايَةً أروَعْ
تُغَنّي، تمتطي مَوْتاً ... بَديعيّاً إلى الأبْدعْ

❂ ❂ ❂


ترجمة
رملية لأعراس
الغبار


الناشيء

خاتمة ثورتين

يناير 1983م

يا سِبتمز قُلْ لاكتوبز
كلٌّ منَّا أمسى في قَبْز

بينَ القبرينْ، نحوَ الشّبرينْ
أتُرَى الحفَّارَ أطالَ الشَّبْز؟

أسرعتُ أنا ولحقتَ على
خطِّ المَجْرى، طلَّقتَ الصَّبْر

نفسُ الشيطانْ، أخَذَ العُنوانْ
وأتى وحشاً في جِلْدِ الحَبْز

❋ ❋

أَضلَلتَ كما أَرْيَضْتُ أنا
وهُنا كهُنا، طَوعاً أو جَبْز

فَكِلا القَصْرينْ خَبرَ الشَّطرينْ
وأنا وأخي مِنْ قَتلى الخَبْز

سعيٌ مشكوز، صلحٌ مزبوز
يا طِفلَ سبا وقَّعتَ الزَّبْز

فهُنا حدَثي وهُنا جَدَثي
يا حُفرتَنا من ينوي السَّبْز

قـالـوا: (شَـمْـسـانْ) جـافـى (عَـيْـبـانْ)
ثـم الـتـقـيـا فـي مَـنْـهـى الـعَـبْـز

هــل وحَّــدَنَـا مَــنْ ألْــحَــدَنـا،
أو مَــنْ أوحــى وأجــادَ الــنَّــبْــز

يـا سـبـتـمـبـز، قــلْ لاكـتـوبـز:
كــلٌّ مِــنَّــا أمــسـى فــي قَــبْـز

❂ ❂ ❂

تنويه:
القصيدة على ايقاع الهزج الشعبي. وقد كتبت بعد التصالح بين (عدن) و (صلالة).

لعينيكَ يا موطني

لأنّي رضيعُ بيانٍ وصرْفْ
أجوعُ لحرفٍ وأقتاتُ حَرْفْ

لأنّي وُلدتُ ببابِ النُّحاةِ
أظلُّ أواصلُ هَزْفاً بِهَزْفْ

أنوءُ بوجهٍ كأخبارِ كانَ
بجنبيْنِ مِنْ حرفِ جرٍّ وظَرْفْ

أعندي لعينيكَ يا موطني
سِوى الحرفِ، أُعطيه سكباً وغَرْفْ

أتسألُني كيف أُعطيكَ شِعراً
وأنتَ تؤمِّلُ دُوراً وجَرْفْ[1]

أُفصِّلُ للياءِ وجهاً بهيجاً
وللميمِ جِيْداً وللنُّونِ طَرْفْ

أصوغُ قَوامَكَ مِنْ كُلِّ حُسنٍ
وأكسوكَ ضوءاً ولوناً وعَرْفْ

۞۞۞

(1) جرف: مفردة مشتركة فهي بالعامية اليمنية الكهف المنحوت في جبل أو المحفور في سفح، وهي بالفصحى المال الكثير من الذهب والفضة والمواشي؛ والمعنى الفصيح هو المقصود هنا.

الصديقات

أغسطس 1982م

نـافـراتٌ يَـنْـسـيْـنَ عـنـدي الـنِّـفـارا
واعـداتٌ لا يـسـتـطـبْـنَ اعـتـذارا

مُـسْـعَـداتٌ مِـنْ طـولِ مـا ارْتَـدْنَ بـيـتـي
زائـراتٌ أمـسـيْـن هُـنَّ الـمَـزارا

فـي بـسـاتـيـنِـهـنَّ يـحـلـو مُـقـامـي
فـوقَ أثـدائِـهـنَّ أهـوى الـسَّـفـارا

* * *

أصـبـحَـت وَحْـدَهـا الـقـصـائـدُ أهـلـي
صِـرْنَ لـي فـي الـضـيـاعِ حَـقـلاً ودارا

تـلـكَ أُمِّـي، تـلـكَ ابـنـتـي، تـلـكَ طـفـلـي
تـلـك عِـرسـي لـيـلاً وأخـتـي نـهـارا

حـاضـنـاتـي، وهُـنَّ طِـفـلاتُ حُـبِّـي
مُـرْضِـعـاتـي، وهُـنَّ أصْـبـى الـعـذارى

هُـنَّ سُـكْـري وهُـنَّ فـي الـكـأسِ أَصْـحـى
هُـنَّ صَـحْـوي وهُـنَّ حـولـي سُـكـارى

* * *

الـصـديـقـاتُ فـي الـزَّمـانِ الـمُـعـادي
والـحـوانـي، والـعـنـفُ لـيـسَ يُـجـارى

الـدفـيـئـاتُ فـي الـلَّـيـالـي الـشَّـواتـي
والـشـوادي والـصـمـتُ يـحـسـو الـجِـدارا

يـخـتـصـرْنَ الـشـعـوبَ قـلـبـاً بـقـلـبـي
وإلـى جـرَّتـي يَـسُـقْـنَ الـبِـحـارا

فـارعـاتُ الـقـوامِ يَـخْـضُـنَّ وجـهـي
وإلـى جـبـهـتـي أُطـيـلُ الـقِـصـارا

بـيـن أفـنـانِـهـنَّ يَـفْـتَـنُّ غُـصـنـي
فـأُغـنِّـي ويـعـطـسُ الـقـلـبُ نـارا

عـنـد ذاتِ الـوقـارِ أُصْـغـي وأنـسـى
عـنـدَ بـرقـيَّـةِ الـعـيـونِ الـوَقـارا

* * *

هُـنَّ شـتَّـى الـفـنـونِ، هـذي أَلُـوفٌ
تـلـك جِـنِّـيَّـةُ الـخُـطـى لا تُـبـارى

ذي (تـراجـيـديـا) وهـذي (درامـا)
تـلـك (جـمَّـالـةٌ) تـشـمُّ الـعَـرارا

هـذه ربـوةٌ تُـدَلِّـي الـثُـريَّـا
تـلـكَ فَـجٌّ هـنـاكَ يـتـلـو الـغُـبـارا

تـلـك عـيـنٌ تـمـدُّ لـلـشـمـسِ يـومـاً
تـلـك أُمـسـيَّـةٌ كـوهْـمِ الـحـيـارى

تـلـك بُـنِّـيَّـةٌ وهـذي نـبـيـذٌ
تـلـك قـمـحـيَّـةٌ تَـشِـعُّ اخـضـرارا

تــلــك وادٍ مــن الــكــرومِ الــحَــبــالــى
تــلــك روضٌ تُــفَــتِّــقُ الــجُــلَّــنــارا

تــلــك قــاتــيَّــةٌ كــأهــدابِ (أروى)
تــلــك دُخْــنِــيَّــةٌ كــغــيــمِ الــصَّــحــارى

* * *

هُــنَّ أنَّــى ذهــبــنَ وجــهُ بــلادي
جــئــنَ عــنــهُ وجــئــنَ مــنــه اخــتــصــارا

أيُّ أســمــائــهِــنَّ أشــذى نــشــيــداً؟
أيُّ أوصــافِــهِــنَّ أشــهــى ابــتــكــارا؟

* *

قــد أرى هــذه (تِــعِــزَّ) وتــبــدو
تــلــك (صــنــعــا)، هــاتــيــكَ تــبــدو (ذَمــارا)

تــلــك تــبــدو (بَــيْــحــانَ)، هــاتــيــك (إبّــاً)
تــلــك (لَــحْــجــاً)، هــذي تــلــوحُ (ظَــفــارا)

قــد أُسَــمِّــي هــذي (سُــعــاداً) وأدعــو
هــذه (وردةً) وهــذي (الــنَّــوارا)

هُــنَّ مــا شــئــتُ مِــن أســامٍ وإنِّــي
كــيــفــمــا شِــئــنَ لــي أمــوتُ اخــتــيــارا

۞ ۞ ۞

ذيل: في المقطع الأخير تعز، صنعاء، ذمار، بيحان، إب، لحج وظفار وهي أسماء مدائن ومناطق في شطري اليمن.

شتائيَّة

البـردُ أبـردُ مـا يـكـونْ والـلَّـيـلُ أسـهـدُ مـا يـكـونْ
وأشـذُّ مِـن شـبـقِ الـرَّصا صِ ومِـنْ غـرابـاتِ الـمَـنـونْ

* * *

مـاذا هُـنـا غـيـرَ الـدُّجى الْـ ـمَشْبُوهِ، وحشيَّ السُّكونْ؟
يُـبـدي ثـلاثـةَ أوجـهٍ ويـمـدُّ آلافَ الـذُّقـونْ
كشيـوخِ (يأجُـوجٍ)، كَسَيْـ ـفِ (الشّمرِ)، كالسقفِ الهَتونْ
وكـأنَّ كُـلَّ دقـيـقـةٍ تـبـدو مـلايـيـنَ الـقـرونْ
كـلُّ الـكـواكـبِ لا تَـدُو رُ وكـلُّ ثـانـيـةٍ حَـرونْ
وكـأنَّ فـوقَ مـنـاكـبِ الـلَّـ ـحـظـاتِ جـدرانَ الـسُّـجـونْ

* * *

الـبـردُ يـسـتـرخـي كـأفْـ ـيِـلَـةِ حـطـيـمـاتِ الـمُـتـونْ
يـنـسـلُّ، يـسـتـشـري.. لـهُ فـي كـلِّ زاويـةٍ شـؤونْ
ومـفـاصـلُ الأكـواخِ تَـزْ سُـفُ تـحـتَ أحـذيـةِ الـغُـبـونْ
والـحُـلْـمُ يـلـبـسُ مُـذيـةً والـطَّـيـفُ يـزفـرُ كـالأتُـونْ
وهـنـاكَ تـرتـجـفُ الـكُـوى وهـنـا يـجـولُ الـمُـخْـبـرونْ
فـتـمـوتُ (صـنـعـا) وهـي تُـو قِـدُ فـوقَ نـهـدَيْـهـا (الـنُّـيـونْ)
ويُـقـالُ: تـولِـمُ لـلـرَّدى وتـصـوغُ مِـنْ دمِـهـا الـصُّـحـونْ
والـلَّـيـلُ يـبـتـدعُ الـتـهـا ويـلَ الـغـريـبـاتِ الـفـنـونْ
ويـرهِّـلُ الـمـذيـاعُ حَـشْـ ـرَجَـةً يُـسـمِّـيـهـا الـلُّـحـونْ

كـهـوى الـمـراهـقِ يـغـتـلـي ويـئِـنُّ مـثـلَ (الـحـيـزبـون)[1]
والـصـمـتُ يـسـتـقـصـي، كـأسْـ ـئِـلَـةٍ قـريـحـاتِ الـجُـفـونْ
وكـمـدمـنِ ضـامٍ، عَـلَـيْـ ـهِ لِـكُـلِّ خـمَّـارٍ ديـونْ

* * *

تـصـفـرُّ أوردةُ الـرؤى تـسـودُّ وسـوسـةُ الـظُّـنـونْ
تـثِـبُ الـعـيـونُ بـلا وُجـو هِ والـوجـوهُ بـلا عـيـونْ
فـتـخـافُ جُـدرانُ الـمـديْـ ـنـةِ أن يُـفـيـقَ الـمَـيِّـتـون
الـنَّـومُ مُـتَّـهـمٌ، ومُـتَّـ ـهـمٌ سُـهـادُكَ يـا جُـنـونْ
والـحـبُّ مـتَّـهـمٌ، ومـتَّـ ـهـمٌ أسـى الـقـلـبِ الـحـنـونْ
والـصـوتُ يـحـتـرفُ الـخـيـا نـةَ، والـسـكـوتُ كَـمَـنْ يـخـونْ
حـتـى الـجـذورُ مُـدانـةٌ بـذنـوبِ إنـجـابِ الـغُـصُـونْ
حـتَّـى الـصـخـورُ، لأنَّـهـا كـانـت لـ(ذي يـزنٍ) حُـصـونْ
حـتـى الـذي كـان اخـتـلا لاً مـلَّـسـوهُ بـالـسُّـمـونْ[2]
حـتـى الـذي كـان اسْـمُـهُ عِـنـبـاً، تـحـوَّلَ زيـزفـونْ

* * *

يـا خُـدعـةَ الـتَّـشـكـيـلِ أَمْـ ـسَـى كـلُّ رأسٍ (بـنـطـلـونْ)
يـا بـردَ (كـافـاتِ[3] الـحَـريْـ ـري) لا يـراهـا الـطـيِّـبـونْ

---

(1) الحيزبون: العجوز الشِّرِّيرة.

(2) ملَّسوه: عبارة عن تليين الشيء القاسي بمادة محبوبة لابتلاعه، والسمون: جمع سمن.

(3) (كافات الحريري): سبعُ كافات اجتمعت في البيت الثاني من هذين البيتين:

جـاء الـشـتـاء وعـنـدي مـن لـوازمـه
سـبـع إذا الـبـرد فـي أجـوائـنـا قـرسـا
كِـنٌّ وكـيـس وكـانـون وكـأس طـلاً
بـعـد الـكـبـاب وكـ. . . نـاعـم وكِـسـا

وهي تدل على لوازم الشتاء عند المترفين.

غـارت أسـاريـرُ الـمُـنَـى وتَـجَـلْـمَـدَتْ فـيـهـا الـغُـضـونْ
والـلَّـيـلُ مـسـتـلـق كـمـا خـورٍ يُـنـقِّـرُ عـن (زبـونْ)
كـخـرابـةٍ شَـعْـثـا أنـا خَـتْ فـوقَ أعـظُـمِـهـا الـسُّـنـونْ

* *

يـا قـلـبُ هـل تَـدَعِ الـطُّـفـو رَ؟ وأيـن تـمـضـي بـالـشـجـونْ؟
لـلـشـوقِ شـوقٌ فـي حَـشـا هُ ولـلـمُـنـى وجـهٌ مـصـونْ
مـا دام لـي شـوقٌ، لـه وجـهٌ؛ فـإنَّ لـه بـطـونْ
لِـهـواهُ ألـفـا زوجـةٍ ولـكُـلِّ واحـدةٍ بـنـونْ
كـيـف اكـتـشـفـتَ؟ قـرأ تُ أسْـرارَ الـمـغـاورِ والـحُـزونْ
لـي مـوطـنٌ لا ذرَّةٌ فـيـهِ عـلـى الأُخْـرى تَـهـونْ

الأرضُ نـفـسُ الأرضِ، لـ كـنَّ الـجـحـيـمَ الآخـرونْ
الـسـجـنُ لِـضِـقُ الـسـج، لِـضـ ـقُ (الـمـكـرفـونِ) الـمـكـرفـونْ

*

لا تـكـتـرث، يـقـعُ الـذي لا يـدَّعـي الـمـسـتـطـلـعـونْ
مـن أيِّ نـبـعٍ أنـتَ؟ مـن يـاءٍ ومـن مـيـمٍ ونـونْ

*

لـلـقـلـبِ، يـا ديـجـورُ قَـلْـ ـبٌ مـنْ أسـاطـيـرِ الـفُـتـونْ
لـن يـعـدَمَ الأرقُ الـنـجـو مَ ولـن يـنـامَ الـعـاشـقـونْ

❁❁❁

ترجمةٌ
رمليّة لأعراسِ الغُبار

غـريـبـةٌ يـا طـارئـاتُ مـثـلـي
شـريـدةٌ مـثـلـي ومـثـلُ أهـلـي

مـنـقـادةٌ مـثـلـي لـكـلِّ ريـح
رمـلُ الـفـيـافـي أصـلُـهـا وأصـلـي

لأنَّـهـا رمـلـيـةٌ شـبـيـهـي
أتـى غـبـاراً نَـسْـلُـهـا ونـسـلـي

كـمـا الـتـقـى مـسـتـنـقـعٌ وقـيْـحٌ
كـان تـنـاجـي زَمْـرِهـا وطَـبْـلـي!

مـثـلـي بـلا فـعـلٍ بـلا تـخـلٍّ
هـل فِـعـلُـنـا أخْـوى أمِ الـتَّـخـلِّـي؟

مـثـلـي بـلا مـاضٍ، ومـا يُـسـمَّـى
مُـسـتـقـبـلـي يـأتـي، يـمـوتُ قـبـلـي

غـريـبـةٌ يـا طـارئـاتُ عـنِّـي
وتـلـتـحـفْـنَ قـامـتـى وظِـلِّـي

مـن مُـقـلـتـي تَـدْخُـلْـنَ قـبـل فـتـحـي
ومـن فـمـي تـخـرُجْـنَ بـعـد قَـفْـلـي

تَطبُخنَ في قلبي عشاءَ موتي
وتبترذنَ في يدي وأَغْلي

تَقُلْنَ ما لا أبتغي بصوتي
تَكتُبْنَ ما لا أرتَئي وأُمْلي

وليس لي ما أدَّعي، لأنني
أغمدتُ في قلبي يدي ونَصْلي

* * *

أيا التي سمَّيتُها بلادي
بلادُ مَنْ؟ يا زيفُ (لا تَقُلْ لي)

بلادُ مَنْ؟ يا عاقراً وأُمّاً
ويا شظايا تَضطَلي وتَصْلي

يا ظبيةً في عصمةِ (ابنِ آوى)
يا ثعلباً تحتَ قميصِ (مِثْلي)

يا طفلةً في أسْرِها تُغنّي
ويا عجوزاً في الدُّجى تُفَلّي

يا حلوةً دُوديَّةَ التَّشهّي
يا بَهْرجاً من أشنعِ التحلّي

همستِ للقَوَّادِ: هاكَ صدري
وقُلْتِ للسِّكّين: هاكِ طفلي

وللغرابِ: الْبَسْ فمي وكفّي
وللجرادِ: اسكُنْ جذورَ حقلي

فهل تبقَّى الآن منك، منِّي
شيءٌ سِوى لعلَّها، لعلِّي؟

* *

إلى سِوى هذا الزَّمانِ أهفو
إليهِ أُضني سُرعتي ومَهْلي
هل أمتطي نفَّاثةً إليهِ
وتحتَ جلدي ناقتي ورَحْلي؟
هل أمتطي بغلاً كنصفِ حلٍّ؟
قد يمتطي وَجْهي قِذالُ بغلي!
أيُّ الخُطى أهدى إليهِ؟ أَضحَتْ
غاياتُ عِرْفاني كبدءِ جهلي!
ياغيرَ ما جرَّبتُهُ أجبني
ويا سِوى تلكَ المُنى أطلَّي
ويا حدودَ المستحيلِ ذُوبي
ويا لُغاتِ المُمكنِ اضمَحِلِّي

* * *

ويا التي يَدْعونها ظروفاً
تحطُّ أكداسَ الدُّمى وتُعلي
الموتُ بالحلوى لديكِ حذقٌ
وبالمُدى ضربٌ مِنَ التَّسلِّي
مَنْ علَّمَ البوليسَ كيفَ يشوي
لحومَ عُشَّاقِ الحِمى ويَقْلي؟

مَنْ يحملُ الرَّشاشَ فهو حرٌّ
في قتلِ آتي موطني وقتلي

يقول، إذ يمشي على الضحايا:
ماذا هُنا غطَّى لموعَ نعلي؟

لأن قتلَ (النفطِ) ذو فنونٍ
يُرْدي هنا وهاهُنا يُصلِّي

هُنا يحنِّي لحيةً ويدعو
هناكَ يَرمي جِلْده المحلِّي

يبيع لوناً، يشتري سِواهُ
يريدُ تجديدَ اسْمِهِ فَيُبْلي

تلكَ القبورُ المزمناتُ فيهِ
يظلُّ يجلو حُسْنَها ويَطْلي

* * *

يبدو عروساً، لا تقولُ ريحٌ
لأختها: إنَّ الزِّفافَ رَمْلي

تُصغي إلى تصريحِهِ الدَّواهي
وآخرُ الأزواجِ عنه يُدْلي

يغدو أُصوليّاً بدونِ فِقْهِ
يُمسي حُلُوليّاً بلا تجلِّي(1)

(1) ترتّب الفلسفة الصوفية الوصول إلى الذات العليّة في أربع مراتب أولاً التواجد، ثانياً التجلّي، ثالثاً المكاشفة، رابعاً الحلول، أي وحدة الوجود الكلي. وفي البيت إشارة إلى الانتهاء دون بدء أو إلى السير من آخر الطريق.

يـشـمُّ مـاذا تـحـلـمُ الـعـشـايـا
يـصـيـحُ: هـذا الـعـصـرُ صُـنـعُ بَـذْلـي

أهـرقـتُ فـي أوكـارِهِ عـيـونـي
كـي يـرتـدي هـذا الـلَّـعـيـنُ شـكـلـي

لا تـنـفـلـت يـا بـحـرُ مِـنْ بـنـانـي
تـجـمَّـعـي يـا أرضُ تـحـتَ رِجْـلـي

يـا ريـحُ هـل تُـعـطـيـن غـيـرَ قـشٍّ؟
مِـنْ أيـنَ؟ تـاريـخُ الـرُّكـامِ بَـغْـلـي

غـداً تـرانـي أسـتـهـلُّ عـهـداً
لأنَّـنـي ضـيَّـعـتُ مُـسْـتَـهَـلِّـي

فـي الـقـلـبِ شـيءٌ، يـازمـانُ، أقـوى
لا تـنـعـطـفْ مـن أجـلـهِ وأجـلـي

أَحَـبُّ مـا تُـولـيـنَ مِـنْ عـطـايـا
يـا هـذه الأيـامُ أن تُـوَلِّـي!

❁❁❁

علاقِمة(*)

ديسمبر 1981م

المُستَهلُّ الآن يبدو الخاتِمَةْ
أتعودُ أم تأتي الفصولُ القادِمَةْ؟

القادماتُ مريرةٌ، أو أنَّها
أحلى. . تعاكستِ الظُّنونُ الرَّاجِمَةْ

أهناك قادمةٌ؟ يُقالُ: جميعُها
قدمَتْ كواهمةٍ وولَّتْ واهِمَةْ

ويُقال: أودَتْ مرَّتينِ، ومرَّةً
فقدَتْ قوائمَها وأغفتْ سالِمَةْ

ولعلَّها نجمتْ مراراً وانطوت
ولعلَّها اندثرتْ وظلَّتْ ناجِمَةْ

ولربما احتشدَتْ صباحاً وانثنت
ليلاً، وعادت والصبيحةُ واجِمَةْ

وعلى بقيَّةِ وجهِها (طراودةٌ)
وَطُيُوفُ (أبرهةٍ) وتلكَ الدَّاهِمَةْ

* * *

(*) علاقمة: جمع علقمي نسبة إلى الوزير (ابن العلقمي) الذي خان بلاده وتواطأ مع غزاة التتار في القرن الثالث عشر الميلادي فكانت تلك الكارثة من خيانة علقمي واحد. . فكم تكون الكوارث إذا تعدد العلاقمة؟

مِزَقُ النِّهاياتِ اسْتَحَلْنَ بدايةً
لنهايةٍ بدأت وأُخرى عازِمَةْ

أتَحُولُ أعجازُ الحوادثِ أوجهاً؟
وهلِ الحوادثُ مِثلُ أهلي راغِمَةْ؟

يا فلسفاتِ الشَّكِ، هَلْ حَلُمَ الذي
يُدْعى اليقينُ أم الشُّكوكُ الحالِمَةْ؟

أوَ ما الذي سمَّوْهُ لغوَ خُرافةٍ
أضحى الحقيقةَ، فالخرافةُ دائمةْ؟

حتى الذي زُعِمَ المحالُ فإنهُ
وافى وولَّى، والأهلَّةُ نائمَةْ

* * *

يا عينَ (زرقاءِ اليمامةِ) هل خبتْ
مُقَلُ الشموسِ أمِ المرايا قاتِمَةْ؟

أترينَ شيئاً في حقيقةِ وضعِهِ؟
وهلِ الجزيرةُ حيثُ كانت جاثِمَةْ؟

خَلَعَتْ شواطِئَها البحارُ وأقبلَتْ
فوقَ الرُّبا، وعلى العواصفِ عائِمَةْ

تنجرُّ تائهةً كظهرِ هزيمةٍ
تجتازُ قامتَها، كجبهةِ هازمَةْ

(تكساسُ) جاءت فوقَ منكبِ (لندنٍ)
غَدَتِ العواصمُ، فوقَ صدري عاصِمَةْ

كيف ارتدت جسدي؟ أأَحكي أنَّها
بيني وبينَ فمي تبثُّ تراجِمةْ؟

وهناكَ تعمرُ حانتيْنِ ومسجداً
وتُقيمُ أحياناً طقوس براهِمةْ

وكأنَّ (يعرُب) حارسٌ في بابِها
وكأنَّ (أروى) في يديْها خادِمَةْ

صُورُ القواصمِ بعد فُرقتِها التقت
في شكلِ مُنقصمٍ وهيئةِ قاصمةْ

يا (مأرب) الأغلى أتى (العَرِمُ) الذي
يُفني بدغدغةِ الأكُفُّ النَّاعِمةْ

سمَّيتَ سَيْلَ الغيثِ أمسِ عَرامةَ
أسيولُ نفطِ اليومِ ليستْ عارِمَةْ؟

أتقول: أعياكَ القياسُ وإنَّما
هاتيك غاشمةٌ وهذي الغاشِمةْ؟

بالأمسِ كُنتَ على التجارةِ حاكماً
واليومَ أصبحَتِ التجارةُ حاكِمةْ

أرأيتَ (إرياطَ) الذي تعتادُهُ
اليومَ يلتحفُ (العُذَيب) و(كاظِمَةْ)

و(الشّمْرُ) كرَّ بـ(ذي الفُقارِ) كما ابتدا
وأتى (الحسينَ) على ذراعَيْ (فاطِمَةْ)

نفضتْ مقابرها (البسوسُ) وأرْعَدَتْ
وعَدَتْ على دمِهَا الرِّمالُ الغائِمةْ

وتقمَّص (التِّنِّينُ) شكلَ حمامةٍ
ودنا (ابنُ آوى) كالبغيِّ النادِمَةْ

وتعدَّد (ابنُ العلقميِّ) فهاهُنا
قامَتْ علاقمةٌ، هناكَ علاقِمةْ

أوَأنتَ يا يومَ القيامةِ واحدٌ؟
مِنْ عهدِ عادِ والقيامةُ قائِمةْ

هل قلتُ يا ميمونةَ الذُّكرى سِوى
ما قُلتِ لي؟ عبثاً أُخبِّرُ عالِمَةْ

مِنْ ذا وذاكَ بدأتُ أعرفُ ثالثاً
لا تكترِثْ، إنَّ النتيجةَ حاسِمةْ

وقعَ الذي تدري وأدري، لا تخفْ
المَطْلعُ الآتي دليلُ الخاتمةْ

❂❂❂

مصارحة
المأدبة الأخيرة

قيلت بعد مقتل السادات

ألا اقْتُلْ كلَّ مَنْ تَلْقى إذا استبقيتَ لَنْ تبقى
لأنَّ القتلَ بعدَ القتْـ ـلِ طِبُّ الأمَّةِ الحَمْقى
قَتَلْتُ قُتِلْتُ، لا جدوى غَدَوْتُ الأقتلَ الأَشْقى
أبُتُّ جذورَها، تنمو أحزُّ رؤوسها، ترقى
وأدفنُ مَنْ تُسمِّيهِ نقيّاً، يصعدُ الأنْقى
بكُلِّ النارِ أَشْويها ومِنْ جمراتِها تُشْقى
هُنا تنهلُّ أمطاراً هناكَ تُكثّفُ البَرْقا
وتحتَ قذائفِ (النّابُلْـ ـم) تَنْدى، تَحرقُ الحَرْقا
وتبدو أنجُماً خُضراً رُبا ورديَّةً زَرْقا
تروحُ قرارةَ الأغوا رِ كي تستبطنَ العُمْقا
لها دمويَّةٌ كالصَّقْـ ـرِ تحتَ وداعةِ (الوَرْقا)
تَروعُ الباحثَ الأَذْهى وتُعيي الواعظَ الأتْقى
أتدري؟ كلُّ متراسٍ هُنا أعصى مِنَ (العَنْقا)
رصاصي ينثني عنهم قتيلاً داخلي مُلْقى
فجرِّبْ قَتْلَهُمْ تُضبِحْ شبيهي، جُثَّةً غَرْقى
على أنّي أرى أنّي أمشّي خُطَّةً خَرْقا
- سأعطي خطَّةً أُخرى وما لا يدعمُ الخُطَّةْ

ـ فعلنا الأعنفَ الأَضرى أَخَفنا النَّسْرَ بالبطَّةْ
ـ نَكظُّ السوقَ بـ (الوسكي) ونطوي صفقةَ الحِنْطَةْ
فَنُلْهي كلَّ صُعلوكٍ بسعرِ الخُبزِ و(الشَّطَّةْ)
ونُغري كُلَّ موصولٍ بشانٍ، نَخرِفُ الخُلْطةْ
ـ مراراً قلتَ لي هذا ووحدي أَدخلُ الورطَةْ
وعنكَ، وأنت لا تدري أنوءُ بصخرةِ الغلطَةْ
لقد أُسقِطْتُ بالثَّرَواتِ بالسَّهراتِ، بالشُّرطَةْ
قبضتُ الكفَّ عن هذا لذا أسرفْتُ في البَسْطَةْ
ولم أُسقطْ بذا وَجْهاً سِوى المطوي على السَّقْطَةْ
سِوى أُلعوبةِ المَلْهى سِوى المَبْني على الحِطَّةْ
فهَلْ حققتُ يا مولا يَ ما يستوجبُ الغِبْطَةْ؟
ـ مَنِ الأَغبى، أنا أو أنـ ـتَ؟ تلك خُلاصةُ النُّقطَةْ
ـ خلا مِنْ مخلبيْهِ القِطُّ لِمْ لا تحكُمُ القِطَّةْ؟
سُدَىً نختارُ سُلطاناً نريدُ أُنوثةَ السُّلْطَةْ
خبطتَ بوجهيَ العشوا فصرتُ نهايةَ الخبطَةْ
فدَعْ لي الآن جُمجمتي وخُذْ وصفي وخُذْ لقبي
وخُذْ دُوري وأودِيتي ودَعْني، لا تَخَفْ غَضَبي
ومَنْ أُدعى؟ أما وطني يردُّ إليكَ مُنتَسَبي
فلا أصبحتُ مِنْ بلدي ولا مَغناكَ مُغتَرَبي
أذِعْ ما ترتئي سبباً فأنتَ كما ترى سببي
كما استعملْتَني ذَنَباً منحتَ مكانتي ذَنَبي
فلم أصْعدْ بمقدرتي صعدتُ بزَنْدِكَ الخَشَبي
وما كنتُ الأحقَّ بذا ولا هذا حصانُ أبي

فما أعليتَ مِن خَلَفي ولا أنزلتَ مِنْ رُتَبي

* *

عرفتَ اليومَ، كيفَ تُرى بدأتَ أوانكَ الذَّهبي
ستَثْني كلَّ عاصفةٍ بهذا المِشْجَبِ القَصَبي
بأفواجٍ مِنَ الأغرا بِ تُدعى: الفيلقَ العربي
وهذا ما ارتكبتُ أنا فهل تبني على كَذبي؟

* * *

سيلقى ليلةً خَلَفي على كفَّيْكَ مُنقلَبي
فمنذُ الآنَ يرقبُهُ مصيرٌ كان مُرْتَقِبي
وأنتَ ستحتمي سنةً وتهوي لاحقاً عَقِبي

❁❁❁

وردةٌ من دم المتنبّي

أبريل 1980م

ما ورد من الأبيات بين قوسين هو على لسان المتنبي استخلاصاً من مواقفه أو تضميناً من معاني ابياته. وقد كثرت أسماء الاشارات على طريقة المتنبي في كثرة إشاراته.

مِنْ تَلظِّي لُمُوعِهِ كادَ يَعْمى
كادَ مِنْ شُهرةِ اسْمِهِ لا يُسمَّى

جاءَ مِنْ نفسِهِ إليها وحيداً
رامياً أصلَهُ غُباراً وَرَسْما

حاملاً عُمْرَهُ بكفَّيْهِ رُمحاً
ناقشاً نَهْجَهُ على القلبِ وَشْما

خالعاً ذاتَهُ لريحِ الفيافي
مُلحقاً بالملوكِ والدَّهرِ وَصْما

ارتضاها أُبوَّةَ السَّيفِ طِفلاً
أَرْضَعتْهُ حقيقةَ الموتِ حُلْما

بالمنايا أَرْدى المنايا ليحيا
وإلى الأعظَمِ احتذى كلَّ عُظْمى

عسكرَ الجنُّ والنُّبوءاتُ فيهِ
وإلى سيفِ (قُرمطٍ) كان يُنمى

البراكينُ أُمُّه، صارَ أُمّاً
للبراكينِ، للإراداتِ عَزْما

(كم، إلى كم تَفنى الجيوشُ افتداءً
لقرودٍ يَفْنَونَ لثماً وضَمّا)

* *

ما اسْمُ هذا الغلامِ يا (ابْنَ مُعاذٍ)
اسْمُهُ. لا، مِنْ أينَ هذا المُسَمَّى؟

إنَّه أخطرُ الصعاليكِ طُرّاً
إنَّهُ يعشقُ الخُطوراتِ جمّا

فيه صاحت إدانةُ العصرِ، أَضحى
حكَماً فوقَ حاكِميهِ وخصما

قيلَ: أرْدَوهُ، قيلَ: ماتَ احتمالاً
قيلَ: همَّتْ به المنايا وهَمّا

قيلَ: كان الرَّدى لديْهِ حِصاناً
يمتطيهِ برقاً ويبريْهِ سَهْما

الغراباتُ عنهُ قصَّتْ فُصولاً
كالَّتي أرَّختْ (جَدِيساً) و(طَسْما)

أورقَ الحبرُ كالرُّبا في يديْهِ
أطلعَتْ كلُّ ربوةٍ مِنهُ نجما

العناقيدُ غنَّتِ الكأس عَنْهُ
النَّدى باسْمِهِ إلى الشمسِ أوما

* * *

هَلْ سيختارُ ثروةً واتِّساخاً
أم تُرى يرتضي نقاءً وعُدْما؟

لـيـسَ يـدري، لـلـفـقـرِ وجـهٌ قـمـيءٌ
واحـتـيـالُ الـغـنـى مِـنَ الـفـقـرِ أَقْـمـى

رُبَّـمـا يـنـتـخـي مـلـيّـاً وحـيـنـاً
يـنـحـنـي، كـي يُـصـيـبَ (كـيـفـاً) و(كَـمَّـا)

عـنـدمـا يـسـتـحـيـلُ كـلُّ اخـتـيـارٍ
سـوف تـخـتـارُهُ الـضَّـروراتُ رَغْـمـا

لـيـتَ أنَّ الـفـتـى، كـمـا قـيـلَ صـخـرٌ
لـو بـوسـعـي مـا كـنـتُ لـحـمـاً وعـظـمـا

هـل سـأعـلـو فـوقَ الـهِـبـاتِ كـمـيّـاً؟
جـبـروتُ الـهِـبـاتِ أَعْـلـى وأَكْـمـى

* * *

أتـعِـلـوا خـيـلَـهُ نُـضـاراً لـيـفـنـى
سـيّـدُ الـفـقـرِ تـحـتَ أذيـالِ نُـعْـمـى

غـيـرَ ذا الـمـوتِ أبـتـغـي، مَـنْ يُـريـنـي
غـيـرَهُ. لـم أجـدْ لـذا الـمـوتِ طَـعْـمـا؟

أعـشـقُ الـمـوتَ سـاخـنـاً، يـحـتـسـيـنـي
فـائـراً؛ أحـتـسـيـهِ جـمـراً وفـحـمـا

أرتـعـيـهِ، أُحِـسُّـهُ فـي نـيـوبـي
يـرتـعـيـنـي، أُحِـسُّ نـهـشـاً وقـضـمـا

* * *

وجـدوا الـقـتـلَ بـالـدَّنـانـيـرِ أخـفـى
لـلـنَّـوايـا، أمـضـى مِـنَ الـسـيـفِ حَـسْـمـا

نـــاعـــمَ الـــذَّبـــحِ، لا يـــعـــي أيُّ راءٍ
أيـــنَ أدمـــى ولا يـــرى كـــيـــفَ أَصْـــمـــى!

يـــشـــتـــري مـــصـــرعَ الـــنُّـــفـــوسِ الـــغـــوالـــي
مـــثـــلـــمـــا يـــشـــتـــري نـــبـــيـــذاً ولـــحـــمـــا

يـــدخُـــلُ الـــمـــرءَ مِـــنْ يـــديْـــهِ ويـــنـــفـــي
جـــســـمَـــهُ مِـــنْ أديـــمِـــهِ وهـــو مُـــغْـــمـــى

يـــتـــبـــدَّى مـــبـــغَـــىً هـــنـــا، ثـــمَّ يـــبـــدو
مـــعـــبـــداً هـــاهُـــنـــا وبـــنـــكـــيـــنِ ثَـــمَّـــا

يـــحـــمـــلُ الـــســـوقَ تـــحـــتَ إبـــطـــيْـــهِ، يـــمـــشـــي
بـــايـــعـــاً، شـــاريـــاً نَـــعِـــيّـــاً ويُـــتْـــمـــا

* * *

مَـــنْ تُـــداجـــي يـــا (ابْـــنَ الـــحُـــســـيـــنِ؟) أُداجـــي
أَوْجُـــهـــاً تـــســـتـــحـــقُّ رَكْـــلاً ولَـــطْـــمـــا

كـــم، إلـــى كـــم أقـــولُ مـــا لـــســـتُ أعـــنـــي؟
وإلـــى كـــم أبـــنـــي عـــلـــى الـــوهْـــمِ وَهْـــمـــا؟

تـــقـــتـــضـــيـــنـــي هـــذي الـــجـــذوعُ اقـــتـــلاعـــاً
أقـــتـــضـــيـــهـــا تـــلـــكَ الـــمـــقـــاصـــيـــرَ هَـــدْمـــا

* * *

يـــبـــتـــدي، يـــبـــتـــدي؛ يُـــدانـــي وصـــولاً
يـــنـــتـــهـــي، يـــنـــتـــهـــي ويـــدنـــو؛ ولـــمَّـــا

هـــل يـــرى غـــيـــرَ مـــا تـــرى مُـــقـــلـــتـــاهُ؟
هـــل يُـــســـمِّـــي تـــورُّمَ الـــجَـــوفِ شَـــحْـــمـــا؟

فــي يــديْــهِ لــكــلِّ سِــيــنَــيْــنِ جــيــمٌ
وهـــو يـــنـــشَـــقُّ بـــيـــن مـــاذا وعـــمّـــا

لا يـــريـــدُ الـــذي يـــوافـــيـــهِ، يـــهـــوى
أعـــنـــفَ الاخـــتـــيـــار. إمَّـــا وإمَّـــا

كـــلُّ أحـــبـــابِـــهِ ســـيـــوفٌ وخـــيـــلٌ
ووصـــيـــفـــاتُـــهُ أفـــاعٍ وحُـــمَّـــى

يـا ابـنـةَ الـلَّـيـلِ، كـيـفَ جـئـتِ وعـنـدي
مِـنْ ضـواري الـزَّمـانِ مـلـيـونُ دَهْـمـا؟

الـلَّـيـالـي، كـمـا عَـلِـمْـتُ ـ شُـكـولٌ
لـم تـزِدْنـي بـهـا الـمـراراتُ عِـلْـمـا

* * *

آهِ يـا (ابْـنَ الـحُـسـيـنِ): مـاذا تُـرجِّـي؟
هـل نَـثـيـرُ الـنـقـودِ يـرتـدُّ نَـظْـمـا؟

بـحـفـيـفِ الـرُّمـوزِ تـرمـي سـيـوفـاً
عـاريـاتٍ، فـهـل تـحـدَّيـتَ ظـلْـمـا؟

كـيـفَ تَـدْمـى ولا تـرى لـنـجـيـعٍ
حـمـرةً، تَـنـهـمـي رفـيـفـاً وشـمَّـا؟

كـان يـهـمـي الـنـبـاتُ والـغـيـثُ طـلٌّ
فـلـمـاذا يـجـفُّ والـغـيـثُ أهْـمـى؟

ألأنَّ الـخُـصـاةَ أضْـحَـوْا مـلـوكـاً
زادتِ الـحـادثـاتُ وازْدَدْنَ عُـقْـمـا؟

هَلْ أقولُ الزمانُ أضحى تُذَيلاً؟
ربَّما قُلتَ لي: متى كان شَهْما؟

هل أُسمِّي حكمَ النَّدامى سُقوطاً؟
ربَّما قُلتَ لي: متى كان فَخْما؟

أين ألقى الخطورةَ البِكْرَ وحدي؟
لستُ أرضى الحوادثَ الشُّمْطَ أُمّا

أبتغي يا سيوفُ أمضى وأهوى
أسهُماً، من سهامِ (كافورَ) أرْمى

* * *

شاخَ، في نعلِهِ الطريقُ وتبدو
كلُّ شيخوخةٍ صِباً مُذلَهِمّا

كُلَّما انْهارَ قاتلٌ قامَ أخزى
كان يستخلفُ الذَّميمُ الأذمّا

هل طغاةُ الوَرَى يموتون زعماً،
يا منايا كما يعيشون زَغْما؟

أين حتميَّةُ الزمانِ؟ لماذا
لا يرى للتَّحوُّلِ اليومَ حَتْما؟

هل يُجاري، وفي حناياهُ نفسٌ
أنِفَتْ أن تَحُلَّ طيناً مُحَمّى؟

* * *

(ساءلتْ كلَّ بلدةٍ: أنتَ ماذا؟
ما الذي تبتغي؟ أجلَّ وأسْمى

غـيـرُ كـفّـي لـلـكـأسِ، غـيـرُ فـؤادي
لـعـبـةً فـي بـنـانِ (لَـمْـيـا) و(أَلْـمَـى)

كـيـفَ يـرجـو أكـوازَ (بـغـدادَ) نـهـرٌ
قـلـبُـهُ وحـدَهُ مِـنَ الـبـحـرِ أظْـمَـى؟

كـان أعـلـى مِـنْ (قـاسِـيـونَ) جـبـيـنـاً
مِـنْ نـخـيـلِ الـعـراقِ أَجْـنَـى وأَنْـمَـى

لـلـبـراكـيـنِ كـان أُمّـاً، أيُـمْـسـي
لـلـرُكـامِ الـرَّمـادِ خـالاً وعَـمّـا؟

* * *

(حـلَـبٌ)، يـا حـنـيـنُ، يـا قـلـبُ تـدعـو
لا أُلَـبّـي، يـا مـوطـنَ الـقـلـبِ مَـهْـمـا

أشـتـهـي عـالَـمـاً سِـوى ذا، زمـانـاً
غـيـرَ هـذا، وغـيـرَ ذا الـحُـكْـمِ حُـكْـمـا

أيـن أرمـي روحـي وجـسـمـي وأبـنـي
لـي، كـمـا أسـتـطـيـبُ روحـاً وجـسـمـا؟

خـفّـفِ الـصـوتَ، لـلـعِـدا ألـفُ سـمـعٍ
هـل أُلاقـي فـدامـةَ الـقـتـلِ فـذمـا؟

يـا (أبـا الـطـيِّـبِ) اتّـئِـدْ، قُـلْ لـغـيـري
اتّـخـذْ حـيـطـةً عـلـى مَـنْ ومِـمّـا؟

كُـلُّـهـم (ضَـبَّـةٌ) فـهـذا قـنـاعٌ
ذاكَ وجـهٌ سـمّـى تـواريـهِ حَـزْمـا

* * *

الطريقُ الذي تخيَّرتُ أبدى
وجهَ إتْمامِهِ. أُريدُ الأتَمَّا

مُتَّ غَمّاً، يا درب (شيرازَ) أوْرِقْ
مِنْ دمي كي يرفَّ مَنْ ماتَ غمًّا

وانفتحْ وردةً إلى الرِّيحِ، تُفضي
عن عدوِّ الجَمامِ كيفَ استجمَّا!

أَصْبحَتْ دونَ رجلِهِ الأرضُ، أضحى
دونَ إطلاقِ برقِهِ كلُّ مرمى

هَلْ يُصافي؟ شتَّى وجوهُ التَّصافي
للتَّعادي وجهٌ وإنْ كانَ جَهْما

أينَ لاقى مودَّةً غيرَ أفعى؟
هل تجلَّى ابتسامةً غيرَ شَرْما؟

أهلُهُ كلُّ جذوةٍ، كلُّ برقٍ
كلُّ قفرٍ في قلبِهِ وَجْهُ (سلمى)

تنمحي كلُّها الأقاليمُ فيهِ
ينمحي حَجْمُهُ ليزدادَ حَجْما

تحت أضلاعِهِ (ظفارٌ) و(رضوى)
وعلى ظهرِهِ (أثينا) و(روما)

يغتلي في قِذالِهِ (الكَرْخِ)، يرنو
مِنْ تقاطيعِ وجهِهِ (بابُ تُوما)

* * *

التعاريفُ تجتليهِ وتُغْضي
التناكيرُ عنهُ ترتدُّ كَلْمى

كلُّهُمْ يأكلونَهُ وهو طاوٍ
كلُّهُمْ يشربونَهُ وهو أظما

كلُّهُمْ لا يرونَهُ وهو لفحٌ
تحتَ أجفانِهِمْ مِنَ الجَمرِ أحْمى

حاولوا حَصْرَهُ فأذْكوْا حصاراً
في حناياهُمُو يُدَمِّي ويَدْمى

جرَّب الموتُ مَحْوَهُ ذاتَ يوم
وإلى اليومِ يقتُلُ الموتَ فَهْما

◎◎◎

عواصفُ وقَشّ

سبتمبر 1982م

لأنني هشٌّ وبيتي صفيخْ
تجترُّني ريحٌ وأقتادُ ريحْ

لا شيْءَ غيرُ الرِّيحِ، ماذا هُنا
سواكَ يا هذا الفراغُ الفسيخْ؟

حتى النقاواتُ التي أومضتْ
قيلَ: ارتدَتْ لونَ الأوانِ القبيحْ

لأنَّني قشٌّ مضافٌ إلى
قشٍّ، بُوَيْبي للذَّواري فتيحْ

ريحٌ تُغاديني سكاكينُها
ريحٌ يُماسيني حَصاها الطَّليحْ

لا، لللَّيالي سكراتُ الكَرَى
ولا، لصحوِ الصُّبحِ وجهٌ صَبيحْ

* *

تُقِلُّني قارورةٌ عاقرٌ
وينثني فوقي زقاقٌ جَريحْ

ثُلْثي غبارٌ قائمٌ، يمتطي
وَجْهي وثُلْثايَ غبارٌ طَريحْ

مَنْ ذا الذي يدعو سُعالي إلى
عقدِ اجتماعٍ واعترافٍ صَريخ

وبالهدوءِ المُرِّ يوصي، يَرى
أنَّ الهدوءَ اليومَ عقلٌ رَجيخ

يقولُ: يا (ناجي) بـ(يحيى) اتَّعِظْ
بقَتْلِ (فرحانَ) اعتبِرْ يا (سَميخ)

سَمِعتُ يا هذا، ولكن أعي
غيرَ الذي يحكي الغبارُ النَّصِيخ

ترى الذي يَهمي ندَىً عاطراً
هذا نجيعٌ آدميٌّ سَفيخ!

تقولُ: هذا واقعي؟ تَنثني
تُكيلُ للمقسومِ غَثَّ المَديخ

* * *

قرأتَ لي فِنجانَ مُستَقبلي
إنّي أرى ما لا ترى يا (سَطيخ)[1]

أُريدُ، أغشى عالَماً واضحاً
مثلي، زماناً مثلَ سرِّي فَضِيخ

ما الفرقُ بينَ القتلِ والقتلِ يا
كُثبانُ، يا هذا الغموضُ الفَصِيخ؟

خمسون عاماً مِنْ عِظامي غَدَتْ
خمسين نعشاً فوقَ ظَهري تَسِيخ

---

(1) سطيح: كاهن جاهلي كان يتنبأ بما سوف يحدث.

تـمـشـي بـأزمَـاسـي وأمـشـي بـهـا
فـمـا الـذي عـنِّـي وعـنـهـا أُزيـخ؟

تُـشِـتُّ أنـقـاضـي ريـاحُ الـضُّـحـى
تـلـمُّـنـي ريـحُ الـدُّجـى، كـالـضَّـريـخ

يـا هـذهِ الأجـداثُ، مـاذا جـرى؟
هَـلْ مَـنْ يـمـوتُ الـيـومَ لا يـسـتـريـخ؟

مـاذا تـقـولـيـنَ؟ يـجـيءُ الـذي
يـمـوتُ يـومـيّـاً طـريّـاً صَـحـيـخ

❊

يـا ذلـكَ الـبـرقُ الـذي يـبـتـدي
فـي الـظَّـنِّ، حـتـى أنـتَ عـنِّـي تُـشـيـخ!

مِـن أيـن تـأتـي الـريـحُ؟ مِـنْ خَـلْـفِـهـا
مـن وجـهِـهـا، لا فـرقَ. ردٌّ مـلـيـخ

وهـل سـتـأتـي غـيـرُهـا؟ رُبَّـمـا
هَـلْ أبـتـغـي أمـراً سِـوى مـا تُـتـيـخ؟

أذوي، وتـلـكَ الـرِّيـحُ تـمـتـصُّـنـي
أذمـى، وهـذي مِـنْ دمـي تَـسـتـمـيـخ

وذي تُـهَـوْهـي، مـثـلَ كـلـبٍ يـرى
كَـلْـبَـيْـن؛ يـجـتـرَّانِ طـفـلاً ذبـيـخ

❊ ❊ ❊

مَـنْ ذا لَـهُ حُـرِّيَّـةٌ أو يـدٌ
سـواكِ، يـا ريـحَ الـزَّمـانِ الـكَـسِـيـخ؟

مَنْ سوفَ يَثْني مُستبيحَ الحِمى
يا قشُّ، والحامي يدُ المُسْتَبيخ؟

ماذا سيأتي بعدُ؟ أرضي بلا
ماءٍ، سمائي كالأديمِ المَسِيخ

قرونُ هذي الرِّيحِ أقوى، نَعَمْ
أموتُ إمَّا ناطحاً أو نَطيخ

أُذكي حُطامي شهوةً للثَّرى
حَلْقاً لديكٍ ينتوي أن يصيخ

مهداً لغُصنٍ، زوجةً للنَّدى
ينبوعَ زيتٍ للسِّراجِ الشَّحيخ

هذا اكتمالي في ابتدائي الذي
أرجو وأدعوهُ الجزاءَ الربيخ

❂ ❂ ❂

أمينُ سرِّ الزَّوابع

يولية 1979م

كـانَ الـدُّجى يـمـتـطـي وَجْـهـي ويـرتـحِـلُ
وكـنـتُ فـي أغْـنـيـاتِ الـصَّـمـتِ أغـتـسـلُ

وكـانَ يـبـحـثُ عـن رجـلـيْـهِ فـي كَـتِـفـي
وكـنـتُ أبـحـثُ عـن صَـخْـري واحـتـمـلُ

وكـان يَـهْـذي الـسُّـكـارى فـي عـبـاءتِـهِ
وتـحـتَ جـلـدي حـيـارى بـالـدَّمِ اكـتـحـلـوا

وكـانَ يـغـزلُ أطـيـافـاً ويَـنـقـضُـهـا
وكـنـتُ والـصَّـمْـتَ والأشـبـاحَ نَـقـتـتـلُ

وكـانَ عِـنـدَ سُـهـادي يَـجْـتـدي عَـمَـلاً
وكـنـتُ كـالـرَّمـلِ عـنـد الـريـحِ لـي عَـمَـلُ

وكـانَ يـهـجـسُ: بـعـدَ الـمـبـتـدا خـبـرٌ
وكـنـتُ أسـألُ: مـا الـتَّـوكـيـدُ؟ مـا الـبـدَلُ؟

وكـانَ يـكـتـبُ أسـمـاءً ويـمـسَـحُـهـا
وكـنـتُ أفـتـحُ أوجـاعـي وأنـقَـفِـلُ

وأشـرَئِـبُّ كـعُـودٍ يـرتـدي حَـجَـراً
وكـانَ يـخـتـالُ فـي تـلـويـنِـهِ الـوَجَـلُ

وكـنـتُ أسـتـفـسـرُ الـجُـدرانَ: أيـنَ أنـا؟
وكـانَ يـسـتـجـوبُ الإعـدامُ مَـنْ سـألـوا

وكـنـتُ عَـنْ كُـلِّ بـرقٍ أنـهـمـي شـرراً
طَـلاًّ عـن الـغـيـمـةِ الـمِـكـسـالِ أنـهـمـلُ

أبـكـي عـلـى مَـنْ أتَـوا مـثـلـي بـلا سـبـبٍ
عـلـى الـذيـنَ بـلا مُـسـتـوجـبٍ أفَـلـوا

وأبـتـنـي عـالَـمـاً لا حـلْـمَ مُـكـتـشـفٍ
رآهُ، لا أنْـبَـأتْ يـومـاً بـه الـرُّسُـلُ

أصـوغُـهُ مـن خـيـالاتِ الـنُّـجـومِ، ومـا
أومَـا إلـى بـابِـهِ (الـمـرِّيـخُ) أو (زُحَـلُ)

أومـي إلـيـهِ، تُـسـمِّـي كُـلُّ دالـيـةٍ
أحـيـاءَهُ ورُبـاهُ، تَـفـرحُ الـسُّـبُـلُ

*

مـن ذا يُـجَـمْـجِـمُ فـي أدغـالِ جُـمـجـمَـتـي؟
جـنٌّ يـبـولـونَ، جِـنٌّ أولـمـوا؛ ثَـمِـلُـوا

الـكـاسُ تـحـرقُ فـي كـفِّـي وأَعْـصِـرُهـا
هـنـاكَ عـنـدَ الـرَّصـاصِ الـكـأسُ والـقُـبَـلُ

وكـانَ لـلـسُّـوقِ أصـواتٌ مـسـفـلـتـةٌ
وكُـنـتُ أُنـصـتُ، والإسْـفِـلْـتُ يـرتـجـلُ

وكـان أبـنـاؤهُ يـرقَـوْنَ مِـنْ يـدِهِ
لأنَّ آبـاءَهُ مِـنْ فَـخْـذِهِ نَـزَلـوا

ويَركبونَ مِنَ (الموديلِ) أبهضَهُ
سعراً، ويعلوهُمُ الإسمنتُ والوَحَلُ

وكنتُ قُدّامَ بابِ الحَظِّ أسألُهُ
وكانَ قُدَّامَ بابي يعرقُ الخَجَلُ

وكنتُ أستمنحُ الحدَّادَ مِطرقةً
وكانَ، مِثلي ببابِ الحظِّ يبتهلُ

لِمْ لا تكونُ كَمَنْ أَوْلَيْتُهُمْ نِعَمي؟
لأنني غَيْرُهُمْ. افْعَلْ كما فعلوا

لأنّني غيرُ مَنْ أوليتَ، يمنعُني
شيءٌ، أُفدِّيهِ أَنْ أَرْضَى الذي قَبِلوا

* * *

ماذا يوشوشُ؟ يُرخي الصَّمتُ لحيتَهُ
للرِّيحِ، يبحثُ عن عُكَّازِهِ المَلَلُ

يروِّضُ الشارعُ المدفونُ ركبتَهُ
على الوقوفِ، كما يَسْتَذْئِبُ الحَمَلُ

وكنتُ مِنْ ساقِ (وضَّاحٍ) أدبُ إلى
عرقوبِ (أروى)، طريقي الموتُ والغزَلُ

وكانَ يَنْجَرُّ ميدانٌ على فَمِهِ
كما تشكَّى إلى (ذي الرُّمَّةِ) الطَّلَلُ

وكانَتِ الهَضْبةُ الصَّفراءُ مُثقلةً
أولادُها في طوايا صُلبِها اكتَهَلوا

شَيبُ الأجِنَّةِ أقسى ما تُكابِدُهُ
كيفَ التقى، في حَشاها العُقْمُ والحَبَلُ

وكنتُ مِنْ كائناتِ اللَّيلِ واحدةً
وكانَ أتْفَهَ ما أشتاقُهُ الأمَلُ

*

هل أصفُرُ[1] الآن؟ يأتي الجنُّ، أُسْلِمُهُمْ
نفسي؛ لكي يأكلوني مثلَ مَنْ أكَلوا

يقالُ: كانوا شياطيناً لهم خطرٌ
تَطَرَّفوا زمناً، كالنَّاسِ واعتدلوا

واليومَ تُغرِقُهُمْ كأسٌ، وفي زمنٍ
خاضوا بحوراً وما ندّاهُمُ البلَلُ

مَنْ ذا أنادي؟ لماذا لا تنامُ أَجِبْ؟
أنسى لماذا؟ ومثلُ الفارِ ينفعلُ

وكان يُعشِبُ كفَّاهُ حصىً ودماً
وكانَ تحتَ قميصي يُزهرُ البَصَلُ

هل تنتمي؟ ذاكَ سرٌّ، كلُّ زوبعةٍ
عليَّ في حُزمةِ الأَسْرارِ تَتَّكِلُ

أنا ابنُ مَنْ وُلِدوا سِرّاً، وكي يَشِقُّوا
ماتوا وما شهقوا كالنَّاسِ أو سَعَلوا

(1) من الخرافات الشعبية أن الذي يصفر في القفر أو تحت الظلام يجلب عليه العفاريت.

يرنو الرصيفُ إلى وجهي كَمُتَّهَمٍ
مثلي، بلا هدفٍ يَغْصي ويمتثلُ

وكانَ يَحْكي غلامٌ: جاءَ يا أبَتي
مَنْ خِفْتَ، واجتازَ ثُقْبَ الإبرةِ الجَمَلُ

وكانَ لونُ الدُّجى مشروعَ أسئلةٍ
وكان بيني وبيني، حولَها جَدَلُ

كانَتْ تُصارعُ نَفْسي نَفْسَها، وأنا
عَنْها بتاريخ هذا الصَّمتِ مُنْشَغلُ

* * *

كانَ الدُّجى يخلعُ المَسْرى ويَلْبِسُني
وكنتُ ألْبِسُ أنقاضي وأنتعلُ

وكانَ يَبحثُ، في الغيماتِ عن دَمِهِ
وكانتِ الأرضُ عَنْ رِجْلَيَّ تَنفصلُ

وكنتُ أسردُ عن (بِلْقِيسَ) أُغنيةً
مِدادُ مَنْ كتبُوها العِطرُ والعَسَلُ

وكانَ يفترسُ المذياعَ مَنْ سَقَطُوا
ويرتدي وَجْهَ مَنْ قاموا مَنِ احتفلوا

مَنْ ضاجعوا الشَّمسَ في سروال والدِها
مَنْ وزَّعوا أُمَّهُمْ في بعضِ ما بَذَلوا

* * *

هـذي الـفـجـاجُ كـأُنـثـى، مـا لَـهـا رَحِـمٌ
هــذا الــزّحــامُ رجــالٌ، مــا بــهِ رَجُــلُ

يَـمـضـونَ، يـأتـونَ كـالأبـوابِ؛ مـا خَـرَجـوا
مــن أيِّ شــيءٍ ولا فــي غَـيـرِهِ دَخَـلـوا

غـاصَـتْ وجـوهُ الـرَّوابـي تَـحـتَ أرجُـلِـهـا
فـي جـلـدِ كـلِّ حَـصـاةٍ، يَـنـطـوي جَـبَـلُ

هـذي (الـدّرامـا) مِـنَ الأحـجـارِ أَحْـرُفُـهـا
ومِـنْ نـقـيـقِ الـغُـبـارِ الـدَّورُ والـبـطـلُ

هـل بُـحـتِ، يـا ريحُ بـالأسرارِ؟ تَـدْخُـلُـنـي
عَـجْـلـى، تـبـعـثـرُ ذرّاتـي وتـنـتـخـلُ

وكــانَ يــلــثــغُ نــجــمٌ، وعــدُهُ قَــدَرٌ:
عـلـى قـنـاديـلِ قـلـبـي سـافِـروا تَـصِـلـوا

كـانـت تَـفَـرَّعُ مِـنْ عـيـنـيْـهِ أُغـنـيـةٌ
وكـنـتُ، مِـنّـي إلـى عـيـنـيـهِ أنـتـقـلُ

وأسـتـحـيـلُ بـروقـاً، شـوقَ أوديـةٍ
غـمـامـةً؛ بـعـروقِ الأرضِ تـنـغـزلُ

وكــانَ يــبــدأُ حُــلْــمــاً مِــنْ أواخِــرِهِ
وأسـتـهـلُّ نـشـيـداً سـوفَ يَـكـتـمـلُ

وكـانَ يَـهْـمـي نـدَىً، جـمـراً وكـنـتُ أنـا
أُجـمِّـعُ الـغَـيْـمَ فـي كَـفّـي وأشـتـعـلُ

وكـانَ (عـيـبـانُ[1]) يـأتـي حـافـيـاً: أهُـنـا
أهـلـي؟ ويـدنـو بـعُـشـبِ الـنَّـارِ يَـشْـتَـمِـلُ

وكـان يـهـمـسُ مِـنْ خـلـفِ الـهـديـرِ فـمٌ:
لا يُـورقُ الـنَّـاسُ حـتـى تـذبُـلَ الـدُّوَلُ

(1) عيبان: اسم جبل مطل على صنعاء.

حـادي المطر

يولية 1979م

وراءَ بـرقٍ (مَـذْحَـجـي) أعـدو، أخـافُ، أرتـجـي
أظـمـا إلـى غـمـائـمٍ يُـفْـصِـحْـنَ عن تَـلَـجْـلُـجي
أحـدو سـحـابـةً إلـى أُخـرى، أصـيـحُ: عَـرّجي
يـا تـلـكَ، مِـنْ تـلـكَ اقـربـي فـي هـذهِ تـولَّـجـي
هـنـاكَ حـلْـمُ بـارقٍ بـنـبـضِـهِ تـزوَّجـي

* *

أَسْـقـي غـمـامـةً دمـي وغـيـمـةً تـشـنُّـجـي
أرجـوكِ يـا هـذي ارقُـصـي أرجـوكِ يـا تـلـك اهْـزُجـي
يـا هـذهِ تـألَّـقـي يـا هـذهِ تـضـرَّجـي
يـا هـذهِ تَـعَـبَّـأي يـا هـذهِ تـدجَّـجـي
كـالأُخـريـاتِ جـرِّبـي أن تـحـزنـي وتـبـهـجـي
كـالـرُّمـحِ شُـجِّـي جَـبْـهَـتـي كَـجَـبْـهَـتـي تـشـجَّـجـي
تَـشَـكَّـلـي شـيـئـاً، عِـدي لا تـحـذري أن تُـخْـدجـي
بـالـمُـنـحـنـى تـوحَّـدي وبـالـرُّبـا تَـتَـوَّجـي

* * *

يـا خُـلَّـبـاً أزعـجـتُـهـا تـعـلَّـمـي أَنْ تُـزعـجـي
أن تَـحـرقـي، أَنْ تُـورقـي أَنْ تَـضـحـكـي أن تَـنـشـجـي

أُغـلـي إلـيـكِ جـرّتـي تَـسـقـيـنـنـي تـحشـرُجـي
وكـالـولـيـدِ[1] أقـتـفـي هـروبَ طَـيْـفِ (مَـنْـبِـجـي)
أعـيـا بـحَـمـلِ قـامَـتـي أجـثـو، يُـنـادي مَـنْـهَـجـي
إلـى الـحـريـقِ أنـتـحـي وبـالـرَّمـادِ أخْـتـجـي
أجـتـرُّ خَـلْـفـي جـبـهـتـي يـجـتـرُّنـي تـعـرُّجـي
الـبـحـرُ يـحـسـو زَوْرَقـي الـرَّمـلُ يَـشـوي هَـوْدَجـي
أسْـرَجْـتَـنـي يـا مـوطـنـي حُـمِّـلْـتُ غـيـرَ مُـسْـرَجِ
يـمـتـصُّـنـي تَـسَـتُّـري يُـذيـبُـنـي تَـبَـرُّجـي
أمـوتُ، يـنـتـشـي عـلـى بُـطـولـتـي تَـفَـرُّجـي
يـصـيـحُ مـيـتٌ داخِـلـي: يـا جـيـفـتـي تَـبَـهْـرَجـي
مِـنْ قَـعْـرِ جُـثَّـتـي إلـى عُـنْـفِ الـخُـروجِ الْـتَـجـي
أفـنـى وآتـي بـاحـثـاً عـن مُـبْـتـدا تَـوَهُّـجـي
عـن ورطـةٍ تَـشُـبُّـنـي يـشـبُّـهـا تَـهَـيُّـجـي
تـقـولُـنـي، أقـولُـهـا أبـكـي، تـرى تـهـدُّجـي
تـرُدُّنـي أجـنـةً وتـنـتـقـي مُـنَـضَّـجـي
أجـتـازُ جِـلْـدي أغـتـلـي مُـفَـتِّـشـاً عـن مَـدْرَجـي
عـن هـمـسـةٍ ورديَّـةٍ عـن مـوعـدٍ بَـنَـفْـسَـجـي
عـن واحـةٍ (أوْسِـيَّـةٍ) وعـن غـديـرٍ (خَـزْرَجـي)
وعـن نـهـودِ كَـرْمـةٍ وراءَ تـلِّ عَـوْسَـجـي

---

(1) إشارة إلى حنين (الوليد) الملقب بـ(البحتري) إلى قريته (منبج)، كما في كثير من أشعاره الاغترابية.

وعـــن أريـــجِ مَـــطْـــلَـــعِ يــهــفــو إلــى تــأرُّجــي
وعـــن حَـــنـــيـــنِ مـــدخـــلِ يــضــيــعُ فــيــه مَــخْــرَجــي
أنـــســـى أمـــامَ بـــابِـــهِ هــشــاشــتــي، تَــحَــرُّجــي

* * *

إلـــى هُـــنـــا تَـــدَفُّـــقـــي ومِـــنْ هُـــنـــا تـــمـــوُّجـــي
هُـــنـــا أمـــدُّ قـــامـــتـــي مُـــخَـــضّـــبـــاً تـــوشُّـــجـــي
جـــذريَّـــتـــي بـــدايـــتـــي مِـــنْ بـــدعـــتـــي نـــمـــوذَجـــي
تَـــهْـــمـــي الـــبُـــروقُ مِـــنْ يـــدي يَـــهْـــدي الـــضُّـــحـــى تَـــبَـــلُّـــجـــي
أَشُـــدُّ أعـــراقـــي إلـــى ربـــابَـــتـــي ومِـــنْـــسَـــجـــي
أُعـــيـــدُ نـــوعَ صـــيـــغـــتـــي أَصُـــوغُ نـــوعَ مُـــنْـــتِـــجـــي

❁ ❁ ❁

جدليَّةُ
القتل والموت

أكتوبر 1982م

يـا رايـةَ الـفَـزَعِ الـفُـكـاهـي فَـقَـدَتْ غـرابَـتَـهـا الـدَّواهـي
غـدتِ اعـتـيـاداً، كـاحـتـمـا لـي جثَّتي، كَحصى مَتاهي
مـثـلَ ارتـحـالـي فـي غـيـو مِ التَّبغِ، في وَهجِ التَّماهي
مـا عـاد يـفـجـأُ فـاجـعٌ يـا هـولُ دَعْ عـنـك الـتَّـبـاهـي
هـذا الـذي تُـبْـديـنَ زَهْــ ـوٌ يـا مـخـافـةُ أم تَـزاهـي؟

* * *

أمـسـيـتَ لـغـواً يـا ردى والـقـتـلُ كـالـمـقـتـولِ سـاهـي
مَـنْ ذا تُـمـيـتُ، وكـلُّـهُـمْ مـاتـوا وأنـتَ هـنـاكَ لاهـي؟
سَـبـقَـتْـكَ أمـركـةُ الـمـذا بـحِ أيُّـهـا الـشـيـخُ الـرَّفـاهـي
الـيـوم لـلـشُّـيْـكِ الأوا مرُ، لـلـمُـدى كـلُّ الـنَّـواهـي!
أَصْـبَـحْـتَ يـا مـوتُ احـتـيـا طـاً مـثـلَ أبـطـالِ الـمَـقـاهـي
قـد كـنـتَ آجـالاً، وجـا ءَ الـقـتـلُ؛ فـاخـتـرقَ اتِّـجـاهـي
أتَـخـالُ ذبـحَ الـشُّـيْـكِ أمْـ ـهرَ مِنْ يـدِ الـحَـتْـفِ الإلـهـي؟
قـد كـانَ ذلـكَ مـثـلَ ذا والآنَ لَـيْـسَ لـهُ مُـضـاهـي
ويَـلـوحُ أنَّ الـفَـرقَ، بَـيْــ ـنَ الـموتِ والـموتَـيْـنِ واهـي

* * *

أتـقـولُ: عـطَّـلَـنـي الـرَّصـا صُ وشارَكَتْني الرِّيحُ جاهي؟
تَـبْـغـي مُـجـابـهـتـي، ألا تـدري. مـلايـينٌ جِـبـاهـي؟
الـسَّـوطُ أذكـى مَـنْ يَـشُـمُّ تَـطـرُّفـي ويَـرى سِـفـاهـي
هـذي الـشَّـظـايـا كُـلُّـهـا كـانَـتْ دَمي؛ فَـغَـدَتْ مِـياهـي
الـسَّـوطُ سَـمْـعـي والـسَّـكـا كـيْـنُ الـتـي أَخـسـو شِـفـاهـي
عـنـوانُ قَـبْـرِي فـي يـدي مَـهْـدي عـلـى طَـرْفِ اشـتـبـاهـي
لَـبِـسَـتْ مـعـي جِـلْـدي سـرا دِيـبُ الـمَـخـافـرِ والـمَـلاهـي

* * *

أتـظـنُّ إبـلـيـسَ انـتـهـى؟ أمـسـى بـذاكَ الـقَـصْـرِ طـاهـي
واعـتـاضَ عـشـرَ نـواهـدٍ عـن زوجِـهِ أُمِّ الـشَّـواهـي
تـكـسـوهُ أُبَّـهـةُ الـرَّشِـيـ ـدِ وشـمـلـةُ الـزُّهْـدِ (الـعَـتـاهـي)

* * *

سـيَّـارةٌ مِـنَّـا دَنَـتْ أُخـرى تـزيـدُ مِـنَ اكـتـنـاهـي
وتـكـادُ تـقـرأُ لـونَ أنـ ـفـاسـي تـعـبُّ خـيـوطَ آهـي
جـوَّالـةٌ تُـغـنـى بـمـا تـحـتَ انـكـسـارِكَ وانـشِـداهـي
وتـجُـسُّ هَـلْ (طـالـيـسُ) فـي خَـلَـدي أوِ (الـجَـمَـلُ الـدُّبـاهـي)؟
وتـرشُّ عُـجْـمَـةَ صَـوْتِـهـا بـفـصـاحـةِ الـسَّـمـنِ (الـعُـبـاهـي)
ألـمَـخـتَـهـا تُـبـدي الـمَـحَـبَّـ ـةَ، ذلـكَ الـغـزَلَ الـكَـراهـي
أتـقـولُ: أنَّـي واهِـمٌ؟ أأنـا بـمـأسـاتـي أُكـاهـي؟
أتـرى الـبـديـهـيَّـاتِ يـا مـولايَ مِـنْ نَـزَقِ ابـتـداهـي؟

* * *

يــا مــوتُ حــاذِرْ قــبــلَ أَنْ يَـرَوْا انـتـبـاهَـكَ وانـتـبـاهـي
الــذِّئــبُ يَــحْــذَرُ مِــنْ أخـيـــهِ فكيفَ أَحْذَرُ مِنْ شِياهي؟
مُـتْ بـالـبـطـالـةِ، هَـلْ تـرى بـعـدَ الـنِّـهـايـةِ مِنْ تـنـاهـي؟

❁❁❁

مِنْ آخرِ الكأس

نَعَمْ، لا انتهى شيءٌ ولا غيْرُهُ ابتدا
لِمَنْ أشتكي؟ لا الأهلُ جاؤوا ولا العِدا

تجيءُ ملايينُ القبورِ كغيرِها
كأنَّ الرَّدى في قَبْضَتَيْها سِوى الرَّدى

لأنَّ الغراباتِ التي تغزلُ الحَصى
عيوناً، وجوهاً، تَنْسِجُ الحلْمَ أرْمَدا

* * *

أما هاهُنا قَتْلَى تَروحُ وتغتدي
وقتلٌ بألفَيْ ركبةٍ راحَ واغتدى؟

ومَنْ تَحْتِ جِلْدِ الرِّيحِ يأتي وينثني
ويأتي كما ولَّى وينأى كما بدا

إذن يَنْهمي بعضُ الرَّصاصِ بلا يدٍ
فهل ترتدي سرِّيَّةُ الذّابحِ المُدَى؟

ومَنْ قَوْلَبَ الإعدامَ في غيرِ شكلِهِ؟
ترقّى، إلى أَنْ أصْبحَتْ رِجْلُهُ اليَدا

وأضحى كألوانِ الأواني، لأنَّهُ
تزيَّا بأرحامِ الثَّواني، توحَّدا

أقولُ لِمَنْ؟ يا ريحُ هَلْ تَزْعُمينني
توهَّمْتُ؟ هَلْ أكَّدْتَ أمراً مؤكَّدا؟

أعَنِّي تُغنِّي الريحُ والرَّملُ؟ لا أعي
أأنشدتُ أَمْ عني حصى الرِّيحِ أنشدا؟

ويجتازُني غيمٌ وتأتي روائحٌ
يُهاجِسْنَني وحدي ويرجِعْنَ شُرَّدا:

لماذا يسدُّ العالمُ المَيْتُ دربَ مَنْ
سيأتي؟ لأنَّ المَهْدَ بالمَدفنِ اقْتَدَى

لأنَّ الذي ألغى المسافاتِ بينَهُ
وبينَ سِواهُ صَيَّرَ القُربَ أبعدا

لأنَّ لُغاتِ السُّوقِ مِنْ كُلِّ عُملةٍ
تريدُ (أبا جهلٍ) وتدعو (محمَّدا)

فمِن أينَ يأتي العالَمُ الرَّابعُ الذي
يموتُ فِدائِيّاً وينمو كمُفتَدى؟

ومَنْ حزَّ أثداءَ اللَّيالي؟ مَنِ احتذى
بقايا عيونِ الشَّمسِ؟ مَنْ حَجَّرَ النَّدى

ومَنْ ذا يضجُّ الآنَ في كُلِّ بقعةٍ؟
أُنادي، ويأتي مِنْ سِوى صوتي الصَّدى

* * *

أَمُسُّ فمي، هل ما يزالُ؟ وأنشني
أشُمُّ ولا ريحاً. أأنفي تجَلْمَدا؟

بملـيونِ رِجْـلٍ يـركضُ الرُّعبُ، يـنحني
يـرى، يـنـتـقـي مِـنْ ريـشِـهِ مـا تـبـدَّدا

يُـنَـحِّـي رداءً، يـرتـدي أَغْـيُـنـاً بـلا
جـفـونٍ، يُـراوِغْـنَ الـنُّـعـاسَ الـمُـسـهَّـدا

يـمـيسُ كـسـتِّـيْـنـيَّـةٍ تـشـتـري الـصِّبـا
فـيـبـتـاعُـهـا كَـهـلٌ وتـبـتـاعُ أمْـرَدا

تـجـيءُ سـراويـلُ الـمـديـنـةِ وَخْـذَهـا
مِـنَ الـرِّيـحِ تـسـتـجـدي عَـشـاءً ومَـرْقَـدا

ويـدخـلُ بـعـضُ الـسُّـوقِ أصـلابَ بـعـضِـهِ
وتـنـثـالُ أسـرابٌ مِـنَ الـبـومِ والـحَـدا

وتـمـتـدُّ أيـدٍ تـقـتـلُ الـبـحـثَ عـن يـدٍ
أجـابَـتْ سـؤالاً عـن سـراجٍ تـمـرَّدا

عـن الـنَّـبـضِ فـي ذاكَ الـزُّقـاقِ الـذي الـتـوى
وعـن حـارةٍ تـهـوى (الـغـديـرَ) و(مـشـهـدا)

وعـن بـيـتِ شِـعْـرٍ قـيـلَ، قُـدَّامَ بـابِـهِ
رصـيـفٌ، يُـحـاذي نِـصـفُ رُكْـنَـيْـهِ مَـسْـجِـدا

وعـن أيِّ جـذرٍ سـوفَ يـصـبـحُ كـرمـةً
وعـن أيِّ عُـودٍ سـوفَ يُـصـبـحُ مَـقْـعَـدا!

* * *

خـذوا مَـنْ يـردُّ الـجِـيـمَ سـيـنـاً ودَبِّـبُـوا
فَـمَ الـسِّـيـنِ حـتـى يُـصـبِـحَ الـجِـيـمُ أدْرَدا

وحـتـى يَـرى كـلُّ الـنّـصـاعـاتِ حُـمـرةً
وحـتـى يُـحِـسَّ الأخـضـرَ الـنَّـضْـرَ أسْـوَدا

لأنَّ اشـتـبـاهَ الـلَّـونِ بـالـلَّـونِ يَـنـتـهـي
إلـى غـيـرِ لـونٍ، مـثـلَ بُـغْـضٍ تـودَّدا

بطـمسِ الضُّحى لا يحمدُ الصُّبحَ مَنْ سَرى
بـمـحـو الـسُّـرى، لا يـنـظـرُ الـعَـوْدَ أحـمـدا

* * *

هـنـا أحـشـدُ (الـقُـطـرانَ)[1]: مِـنْ أيـن أقـبـلَـتْ
عـفـاريـتُ كُـلِّ الـبـيـدِ أدهـى وأعـنـدا؟

أمـدُّ لـهـم (شـمـسَ الـمَـعـارفِ)[2] كُـلَّـهـا
يـصـبُّـونَ لـي مـن فِـلْـمِ (لـورنـسَ)[3] مَـسْـرِدا

أحـثُّ (ابـنَ عـلـوانَ)[4]: الـبـدارَ (ابـنَ يَـفْـرُسٍ)
وأسـتـنـفـرُ الـشـيـخَـيْـنِ (عَـمْـراً) و(أسـعـدا)[5]

---

(1) القطران: دهان خشبي يطبخه مختبرون من أعواد معروفة ويستخدمونه دهاناً للجرب ولقروح جلود الإبل، وعندما تروّج الإشاعات انتشار العفاريت يلجأ الناس إلى هذا السائل لدهن الأبواب، وأظلاف المواشي وأكثر ما يحدث هذا في سنوات القحط، ولعل هذه عادة يمنية.

(2) شمس المعارف كتاب يكتشف من خلاله المشعوذون مس الجان والسيطرة عليهم وإخراجهم ممن تقمصوا من الناس.

(3) فلم لورنس إشارة إلى حداثة أسلوب الغزو، كما أن الشعوذة إشارة إلى بدائية أسلوب الدفاع.

(4) أحمد بن علوان: شاعر صوفي كان يقف إلى جانب المواطنين ضد تعسف السلطة، وبعد موته أصبح أسطورة لقهر العفاريت وصار قبره مزاراً منذ القرن الرابع عشر إلى خمسينيات هذا القرن.

(5) عمرو بن معدي كرب وأسعد الكامل: من شجعان التاريخ اليمني.

أصيحُ، يقولُ الصوتُ ما لا أقولُهُ
أُصيخُ لمنْ، سَمْعي سِوى سَمْعِهِ ارتدى

فأشدو سكوتاً، كي أُحِسَّ بأنَّني
أُغنّي أنا؛ يستغربُ الشَّدوُ: مَنْ شدا؟

لأنَّ انقسامَ القلبِ أنساهُ قلبَهُ
لأنَّ اتحادَ الحُزْنِ فيهِ تعدَّدا

وفي البحثِ عن قلبي أُضيعُ بقيَّتي
وفي البحث عن صَوْتي أُضيعُ التَّنهُّدا

* * *

أقولُ لِمَنْ؟ كُلُّ المرايا تكسَّرَتْ
فليسَتْ تَرَى إلاّ الغُبارَ المُرمَّدا

وأصواتَ ألوانٍ تُطَقُّ كأنَّها
جدارٌ تَهاوى فوقَ ماءٍ تجمَّدا

لأنَّ اجتماعي ناشئٌ مِنْ تَجَمُّعي
سَقَطْتُ اجتماعاً وابتذلتُ التَّفرُّدا

سُدَىً في سباقِ الانهيار تَسارُعي
سدَىً تغتلي الأنقاضُ، أُصغي لها سُدَى

فهذا الأسَى مِنْ آخرِ الكأسِ يَبتدي
كأنَّ نهاياتِ المَدى أوَّلُ المَدى

لأنَّ سِوى الثُّوَّارِ ثاروا، وهَلْ يَعي
رداءاتِ ذا مَنْ لا يَرى ذاكَ أَجْوَدا؟

* * *

هـنـا أَدْخـلُ الـصَّـمـتَ الـذي ضـجَّ داخـلـي
أُفـتِّـش عـن شـيءٍ أُسـمِّـيـهِ مَـوعـدا
أُلَـقِّـبُـهُ تـلاًّ، كـتـابـاً، حـديـقـةً
أُنـاديـه مـيـدانـاً، أكـنِّـيـهِ مُـنـتَـدى
وأَغْـزِلُـهُ بَـرْقـاً، يـرانـي غـمـامـةً
ويـشـتَـمُّـنـي عُـرْسـاً وأَدْعـوهُ مـولِـدا
أُعِـدُّ لَـهُ لـونـاً، أُلاقـي تـلـوُّنـاً
وأخـتـارُ بُـنْـيَـاً أُلاقـي مُـوَرَّدا
يـحـنُّ وأهـفـو، يَـجـتـديـنـي وأجـتـدي
طُـفـورَ الـتَّـلاقـي؛ لا نَـعـي أيُّـنـا اجْـتَـدَى
أَعِـيـهِ وصـولاً مُـعـلـنـاً بـدْءَ وقـتِـهِ
رحـيـلاً قُـبـيْـلَ الـوقـتِ، لـلـوقـتِ غـرَّدا
وأجـثـو هـنـا وحـدي، فـتـدخـلُ غُـرفَـتـي
رُبـا مـوطـنـي . . مَـن ذا هَـداهـنَّ؟ مَـنْ حَـدا؟
ومِـنْ أيـنَ جِـئْـنَ الآنَ؟ مِـنْ كُـلِّ أَعْـظُـمـي
تـوالَـدْنَ آحـاداً وأَقْـبَـلْـنَ حُـشَّـدا
بـلا مـوعـدٍ مِـنْ كُـلِّ ثـقـبٍ دَخَـلْـنَـنـي
بـلا مُـرشـدٍ، بـعـضـي إلـى بـعـضِـهِ اهـتـدى
هـنـاكَ انـتَـهَـتْ كُـلُّ الـتَّـواريـخِ وابـتـدا
ضُـحـاهُ جـبـيـنٌ كـانَ لـلـشَّـمْـسِ مَـعْـبَـدا

❂❂❂

كُليمة لـ(مقبرة خزيمة)

مايو 1981م

فـي فَـمـي مِـنْ آخـرِ الـقـلـبِ كُـلـيـمـةْ
كـيـفَ أَحْـكِـيـهـا لـقـلـبـي، يـا خُـزَيـمـةْ؟

انـظُـري، كـيـفَ اسـتـحـالـت غُـصَّـةً
بـيـن صَـدري وفَـمـي، تـلـكَ الـنُّـغَـيـمـةْ؟

هَـلْ تـقـولـيـنَ لـقـلـبـي عـن فَـمـي:
إنَّـنـا (كُـنَّـا كَـنَـدْمـانـي جُـذَيـمـةْ[1])؟

هـذه الـبَـوحَـةُ أَعْـيَـتْ أَحْـرُفـي
ولـسـانـي، وهْـيَ فـي حـجـمِ الـلُّـقَـيـمـةْ

ظَـلَّ يَـشْـنـيـهـا اخـتـنـاقـي بـالـبُـكـا
مـثـلـمـا يـجـتـرفُ الـطُّـوفـانُ خـيـمـةْ

* * *

كـيـفَ أَحْـكِـيـهـا؟ تَـعـاصَـتْ، جـذَّرتْ
غـابـةً فـي الـقـلـبِ، فـي الأجـفـانِ غَـيـمـةْ

أصْـبَـحَـتْ أُمّـاً لأجـيـالِ الأسـى
فـي عـظـامـي، بـعـدمـا كـانَـتْ (أُمَـيـمـةْ)

---

(1) ندماني جذيمة: إشارة إلى قول متمِّم بن نُويرة:

وكـنـا كـنـدمـانـي جـذيـمـة حـقـبـة
مـن الـدهـر حـتـى قـيـل: لـن يـتـصـدّعـا

كَــبُــرتْ صــارت (زبــيــداً) (شَــبْــوةً)
أَضْـحَـتِ (الـحَـيْـمـةُ) فـيـهـا ألـفَ خَـيـمـةْ

لــفــظــةٌ كــالــوردةِ امــتــدَّتْ لــظَــىً
داخِــلــي زوبــعــةً، كــانَــتْ نُــسَــيــمــةْ

كَــوْكَــبــتْ كُــلَّ الأســامــي والــكُــنَــى
(مُــسْــعــداً) (أروى) (أبــا رَيّــا) (نُــعَــيــمــةْ)

إنَّــهــا أطــولُ مِــنْ صــوتــي، وفــي
أضْــلُــعــي أعــرَقُ مِــنْ أدواحِ (رَيْــمَــةْ)[1]

فــالْــمَــحِــيــهــا فــي ســكــوتــي، رُبَّــمــا
أوجَــزَتْ غَــورَ الــدُّجــى عــيــنــا نُــجــيــمــةْ

⊛⊛⊛

---

(1) زبيد، شبوة، الحيمة، ريمة: أسماء مناطق يمنية.

حواريَّةُ
الجُدارنِ والسَّجين

يونيو 1981م

ما جاء بين قوسين فهو على لسان الجدران

هــيَّــا يــا جُــدرانَ الــغُــرْفَــةْ
قُــولــي شــيــئــاً. خــبــراً، طُــرْفَــةْ

تــاريــخــاً مــنــســيّــاً، حُــلُــمــاً
مــيــعــاداً، ذكــرى عــن صُــدْفَــةْ

أشــعــاراً، ســجــعــاً، فــلــســفــةً
بــغُــبــارِ الــدَّهــشــةِ مــلــتــفَّــةْ

أنــغــامــاً تــعــلــو قــامــتُــهــا
وتــحــلُّ ظــفــائــرَهــا الــلَّــهْــفَــةْ

** **

هَــيَّــا يــا جــدرانُ ابــتــدعــي
أصــواتــاً، إيــمــاءً، وجْــفَــةْ

فــجّــاً أســطــوريّــاً، أرجــو
مِــنْ نــبــتِ غــرابــتِــهِ قَــطْــفَــةْ

أشــواقــاً، أَخْــيــلَــةً حَــبْــلَــى
كــوبــاً غــيــبــيّــاً أو رَشْــفَــةْ

** **

(يا هذا تستسقي نهراً
لا تنظُرُهُ وتَرى الضِّفَّةْ

الأنهارُ الكُبْرى تَفْنَى
غَرقاً، وتحنُّ إلى النُّطْفَةْ)

أترينَ لهذا خاتمةً؟
(ما عندي للموتى وَصْفَةْ

قد يَهْذي البعضُ كمذياعٍ
يعزو للسَّفَّاحِ الرَّأفَةْ)

❊ ❊ ❊

تَحْكِينَ الآنَ عنِ الجاري
أَلَدَيْكِ عنِ الآتي نُتفَةْ؟

(هذي أعوامٌ لا تمضي
لا تأتي، لا تجري خِلْفَةْ[1]

السَّقْفُ يَعي عن جُمْجُمَتي
أسراراً تجهلُها الشُّرْفَةْ

ترتابُ الزَّاويةُ اليُمنى
في اليُسرى، تتَّهمُ الصُّفَّةْ[2]

لعروقِ وقاري وسوَسَةٌ
أقوى مِنْ ثَرثرةِ الخِفَّةْ

(1) خلفة: متعاقبة مختلفة لتعاقبها.
(2) الصفة: رف واضح لاحق بالجدار متصل بسقفه.

أَوَمـا تـشـتَـمُّ شَـذا لُـغَـتـي؟
وتُـحـسُّ بـأجـفـانـي رَفَّـةْ؟

هـذا الـمـدعـو جـلـدي جَـدَثٌ
هـذا الـمـدعـو رأسـي قُـفَّـةْ[1]

إنِّـي أسـتـدعـي رائـحـةً
أُخـرى، أبْـغـي أعـلـى رَجْـفَـةْ

عـنـوانُ الـبَـرْقِ الـمُـسْـتَـخـفـي
أسـتـمـلـي عـيـنـيْـهِ خَـطْـفَـةْ

فـي قـلـبـي أَلـسِـنـةُ الـدُّنـيـا
لـكـنْ لـفَـمـي عَـنْـهـا عِـفَّـةْ

الـصَّـمـتُ حـوارٌ مُـحـتَـمـلٌ
والـهَـجْـسُ أدلُّ مِـنَ الـزَّفَّـةْ

إطـلاقُ الأحـرُفِ جِـرْفَـتُـكُـمْ
اخـتـرْتُ الـصَّـمـتَ أنـا جِـرْفَـةْ

أو قُـلْ: مـا اخْـتَـرْتُ ولا اخْـتَـرتُـمْ
طـبَـعَـتْـنـا الـعـادةُ والأُلْـفَـةْ)

***

حـسـنـاً، ألـديْـكِ سِـوى هـذا؟
(إجـهـادي مِـنْ طُـولِ الـوَقْـفَـةْ

(1) القفة: وعاء من خوص النخيل أو أوراقه أو من القصب.

مَـــنْ صَـــفَّ رُكــامــي لا يَــــدْري
أنّــي أوجـــاعٌ مُــصــطــفَّــةْ)

* * *

وَجْـعـي مـثـلـي، فَـمَـنِ الأشـقـى؟
مَـنْ أضـنـى؟ مَـنْ أعـتـى كُـلْـفَـةْ؟

مَـنْ أسـتـعـطـي يـدَهُ قـمـحـاً
ألـقـانـي صـاعـاً مِـنْ رُفَّـةْ[1]

* * *

(حـرْزني مِـنْ هـذا الـمَـثْـوى
أو فـاسْـكُـتْ مـثـلـي يـا (تُـحْـفَـةْ)[2]

◎◎◎

(1) الرفة: حطام التبن.
(2) تحفة: عبارة تهكّم.

أطوارُ بحّاثةِ نُقوش

ما جاء من الأبيات بين قوسين فهو على لسان البحّاثة مع نفسها:

كما تعرفُ النَّبْعَ قَبْلَ الورودْ
تشمُّ مِنَ السَّفْحِ ريحَ النُّجودْ

تجيءُ مُهَرَّبةً ذاتَ يومٍ
وتُمسي مواطنةً ذاتَ جُودْ

تبيضُ هُنا وهناك الرّصاص
وتَرمي هُنا وهُناك النُّقودْ

ويوماً تُسمَّى (لميساً) ويوماً
تُسمَّى (فُنَيدا) ويوماً (فُنُودْ)

وعن كلِّ شيءٍ تُعيدُ السُّؤالَ
وتُبدي غباءً أَمامَ الرُّدودْ

* *

(أتسهو عن (القاتِ) يا عمُّ يوماً؟)
أعدُّ إليهِ الثّواني عَدودْ!

(وكيفَ تُراكَ لدى مضغِهِ؟)
أميراً على جنِّ بيتِ العَروذْ!

(وكَـمْ عُـمـركَ الآن؟) سـبـعـونَ عـامـاً
عـرفْـتُ الأعـاجـيـبَ حُـمـراً وسُـودْ

* * *

تـكـسَّـرتُ فـي زَمـنِ (الانـسـحـابِ)[1]
ويـومَ (كـريـتـرْ)[2] ذَبـحْـتَ الـيـهـودْ
بـذي (الـسِّـكِّ)[3] أحـرقْـتُ طـيَّـارتـيْـنِ
عـلـى الإنـجـلـيـز، الـسِّـلاحُ الـزُّنـودْ

* * *

(أراكُـمْ حـفـاةً) نـعـمْ كـالـنُّـمـورِ
لأهـلِ الـغِـنـى لِـبسُ تـلـكَ (الـمُـسـودْ)[4]
(وهَـلْ تَـقـصـدون مِـنَ الاغـتـرابِ
سِـوى الـمـالِ؟) إنَّ الـمُـعـنَّـى قَـصُـودْ
(وأنـتَ كـجـدِّكَ يـا ذا الـفـتـى؟)
كـنـفـسـي، عـلـى كُـلِّ عـاتٍ حَـقُـودْ
(تُـراكَ وأخـتـيْـكَ نِـدَّ الإمـامِ؟)
أضـيـفـي إلـيـنـا أُلـوفَ الـنُّـدودْ

* * *

(1) الانسحاب: إشارة إلى الانسحاب في حرب تهامة عام 34م.
(2) كريتر: إشارة إلى المعركة بين اليمنيين واليهود بكريتر عدن عام 48م
(3) السك: نوع من البنادق الرديئة.
(4) المسود: نوع من الأحذية الطويلة الرقاب وكانت من أحذية الأغنياء في الأربعينيات وتسمى البواتي أي جمع بوتي.

وتستنفرُ المُسْتَرِيبَ الصَّموتَ
بإطرائِها كلَّ حالكٍ سَرودْ:

(حَكى لي أبو عامرٍ قصَّةً
سأكتُبُها برحيقِ الخُلُودْ)

* * *

تَجُسُّ نبوءاتِ (بيتِ الفقيهِ)
لكي تُدخِلَ الغيمَ قبلَ الرُّعودْ[1]

وعندَ (المُقَذِّي[2]) ترى داءَها
وعندَ (الشبيبي)[3] تُداوي الكُمُودْ

وفي طبِّ (حيفانَ) و(الحيمتينِ)
تغوصُ مِنَ السَّاقِ حتى الخُدودْ

* * *

(هُنا كلُّ شيءٍ على ما يُرام
لكلِّ عَنودٍ نقيضٌ عَنودْ

إذا ما استحال المُوالي عدوّاً
فسوفَ يكونُ المُعادي سَنُودْ

فما هاهُنَا للعداواتِ حدٌّ
وبينَ الأُخوَّاتِ أعتى الحُدُودْ

(1) المقذّي: أحد الأطباء الشعبيين الذين يوهمون المريض بإخراج علته من جسده في قطعة قطن يشاهدها المريض مصبوغة بالدم.

(2) وهو إشارة الى اهتمام البحاثة بتنبؤات مهدي أمين صاحب بيت الفقيه الذي يصدر كتابا كل سنة عن تنبؤاته السياسية.

(3) الشبيبي: أحد الذين يكتبون تمائم الحب وأوجاع الكمود العاطفية.

يــقــولــون: لا بُــدَّ، لا بُــدَّ، لا
عــن الــبــتِّ يَــسْــتَــحْــمِــسُــون الــبُــدودْ

أرى بــعــضَــهــم نَــبْــتَ هــذي الــسِّــنــيــنَ
وأكــثــرَهُــمْ نَــبْــتَ عــهــدِ الــجُــدودْ)

تُــضــاهــي أوانَ (الــمــقــيــلِ)[1] الــثُّــقــاتِ
فــتــروي تــواريــخَ كــلِّ الــعُــهــودْ

وتُــبــدي اخــتــصــاصــاً بــعــلْــم الــنُّــقُــوشِ
وأقــوامِ (عــادٍ) وأصــحــابِ (هُــودْ):

(هــنــاكَ بَــنَــوْا مــئــتــي مــعــبــدٍ
وكــانــوا هُــنــا، يَــعْــصِــرونَ الــقُــنُــودْ

وكــانــوا يُــصــلُّــونَ قــبــلَ الــصَّــبــاحِ
وبَــعْــدَ الــضُّــحــى يــدبــغــونَ الــجــلــودْ

يَــحُــوكــونَ فــي (الــجــنَــدِ) الــمُــذْهــبــاتِ
وفــي (مــأربٍ) يــنــقــشــونَ الــلُّــبــودْ)

*

وتَــســردُ كــيــف مــضــى (آصــفٌ)[2]
بــ(بــلــقــيــس) ثــم تــلــتــهــا (الــسدودْ)

و(ذي حُــود) تــحــكــي عــلــى أنــه
لــتــوحــيــدِهِ الــلَّــهَ ســمَّــوهُ (حُــوذْ)

---

(1) المقيل: وقت مضغ القات ويكون بعد الظهيرة.

(2) آصف: اسم العفريت الذي حمل بلقيس من اليمن إلى أورشليم أيام الملك سليمان.

وتَـزعـمُ أنَّ (يـريـمـاً) مَـريـمٌ
وأنَّ اسْـمَ (عـبـهـلـةٍ) (ذا الـعُـبُـوذْ)

وأنَّ (أبـا حِـمْـيَـرٍ) شـافـعـيٌّ
و(خـولانَ) مِـنْ قـبـلِ (زيـدٍ) (زُيُـوذْ)

و(ذا يـزنٍ) نَـشَـدَ الـمُـسـتـحـيـلَ
لـكـي يـنـجـلـي، بـعـدُ مـوتُ الـنُّـشُـوذْ

وتُـخـبـرُ عـن (سـبـأٍ) كَـمْ سَـبـى
وكـيـفَ طَـوى (حـضـرمـوتَ) الـبُـرُوذْ؟:

(أكـانـوا سـيـوفـاً، كـمـا يـدَّعـونَ؟
فـكـيـفَ اسـتـحـالـوا بـقـايـا غُـمُـوذْ؟

أَأَتـقـنـتَ سِـحـرَ الـزمـانِ الـدَّفـيـنِ
لـكـي تـقـتـدي بـالـقـبـورِ الـمُـهُـوذْ)؟

* *

وتُـبْـدي بـأنَّ اهـتـمـامـاتِـهـا
(مَـعـيـنـيَّـةٌ) عـن أبـيـهـا تَـذوذْ

وقـد تـدَّعـي أنَّـهـا مِـنْ (زُبَـيـدٍ)
وأن خـؤولـتَـهـا مِـنْ (عَـتُـوذْ)

وأنَّ أبـاهـا تـحـدَّى (الـوِشـاحَ)
وضـاعَ ابـنُـهـا فـي لـيـالـي (الـجَـروذْ)[1]

---

(1) ليالي الجرود: ليالي صيد الجراد تسميها بعض المناطق جرود وبعضها قرود والأولى أصح لصيد الجراد. وفي هذه الليالي تقع غرائب الأحداث =

وأنَّ أخـــاهـــا اشـــتـــرى (مـــوتـــراً)[1]
قُـبـيْـلَ (الـحـلالـي) وبـاعَ (الـقَـعـوذ)[2]
وعـن (فَـيـدٍ) صـنـعـا سـوى الـنـاسِ عـفٌ
وعـادوا سـواه بـأغـلـى (الـفُـيُـوذ)[3]
تُـغـنّـي كـأهـلـي: أَيـا (دانَ دانْ)
وكـالأهـلِ تـدعـو الـجـبـالَ (الـحُـيُـوذ)
وكـابـنِ الـغـويـري تـشـدُّ (الـعـسـيـبَ)
وتـلـبـسُ كـ (الـعَـنْـسِـيَـاتِ) الـعُـقُـوذ
فـتـغـدو يـمـانـيّـةً مِـنْ زجـاجٍ
مـقـاتـلـةً لا يـراهـا الـجُـنُـوذ

* * *

وبـعـدَ ثـلاثـيـن شـهـراً تـغـيـبُ
وتـأتـي كـأُخـرى، كـطـيـفٍ شَـرُوذ:
(مُـهِـمَّـاتـيَ الـيـومَ شَـتَّـى الـوجـوهِ
فـكـم أشـتـري؟ وعـلـى كَـمْ أجُـوذ؟)
وتـنـسَـلُّ كـالـهـاربِ الـمُـطـمـئـنّ
وتـخـتـالُ كـالـيـاسـمـيـنِ الـمَـيُـوذ

* * *

= وتنسب إلى العفاريت وعملاء السلطة؛ والوشاح: أحد الجلادين الذين كانوا يقطعون الرؤوس في الخمسينات.

(1) موتراً: اسم لكل سيارة في الأربعينات عند الشماليين و(بابور) عند الجنوبيين.

(2) القعود: هو الفتي من الجمال.

(3) الفيود: جمع فيد وهي غنائم القتال محلياً.

تـــراهـــا فَـــتـــاةً بُـــعَـــيْـــدَ الـــشـــروقِ
وقـــبـــلَ الـــعـــشـــيَّـــةِ زوجـــاً وَلُـــوذْ

لـــهـــا مِـــنْ جـــلـــودِ الـــتَّـــمـــاســـيـــح ثـــوبٌ
وقُـــبَّـــعَـــةٌ مِـــن ســـرابِ (الـــنُّـــفـــوذْ)

* * *

تـــلـــوحُ (سُـــويـــديّـــةً) تـــارةً
وحـــيـــنـــاً عـــلـــيـــهـــا اصـــفـــرارُ الـــهُـــنُـــوذْ

وتـــبـــدو هـــنـــاكَ ابـــنـــةَ (الـــعـــمّ ســـام)
وتـــبـــدو هُـــنـــا نـــاقـــةً مِـــنْ (ثـــمـــوذْ)

وآنـــاً تـــمـــرُّ كـــســـيَّـــارةٍ
وتـــرنـــو كـــغُـــزلانِ (وادي زَرُوذْ)

وطـــوراً تُـــحَـــجِّـــرُ لـــمْـــحَ الـــعـــيـــونِ
وطـــوراً تُـــعـــلِّـــبُ فـــيـــهـــا الـــهُـــجـــوذْ

* * *

وبـــعـــد ثـــمـــانـــيـــن يـــومـــاً تـــغـــيـــبُ
وتـــأتـــي، عـــلـــيـــهـــا مـــئـــاتُ الـــنُّـــهـــوذْ:

أرى ذلـــكَ (الـــبـــنـــطـــلـــونَ) اشـــرأبَّ
عـــلـــى ذلـــكَ (الـــتُّـــكْـــسِ) كـــبـــشٌ سَـــفُـــوذْ

يـــصـــيـــرُ اسْـــمُـــهـــا الـــعـــربـــي (رَنْـــدةً)
ومَـــنْ دلَّـــلـــوهـــا دَعـــوهـــا (رُنُـــوذْ)

وكـــان اسْـــمُـــهـــا فـــي (دُبـــي) (أُمّ زيـــنٍ)
وفـــي ســـوقِ (طـــهـــرانَ) (قـــوتَ الـــكُـــبُـــوذْ)

وكان اسْمُها في (المعادي) (حناناً)
وفي (الأحمدي) كانَ (أُمَّ الرَّشُوذْ)

وكانت بـ(بيروتَ) (دوبوفوارَ)
وفي (خورِ مكسرَ) (مَرْجِرْتِ يُوذْ)

لها سلَّةٌ من فُتاتِ اللُّغاتِ
وقارورةٌ من حليبِ الوُعودْ

تُسمِّي حسيناً (هُسيناً) كما
تُنادي بإيثارِ فردٍ فُرودْ

فَيُعجِبُها مثلُ (عبد الغفور)
ويُرعِبُها مثلُ (سَعدِ الكَدُوذْ)

تقولُ لذا: (ألفَ شكرٍ)، تقول لهاتِيكَ:
(مِرسي) لهذينِ: (قُوذْ)

ومِنْ كُتُبِ الحُبِّ تَشْري الرَّخيص
وتبتاعُ ليلاً يبيعُ الهُمُوذْ

* * *

هنا تفتحُ الجيبَ والسَّاعِدَيْنِ
هنا تفتحُ النَّارَ ذاتَ الوَقُودْ!

وتندسُّ بين الحِمى والحِمى
وبيني وبيني تشقُّ اللُّحودْ

وتسخو على كُلِّ ذي ثروةٍ
وتستنزفُ السيِّد ابنَ المَسُوذْ

(لِمَاذا أجودُ ولا أستميلُ
كثيراً، وأهْوَى وأَلْقى الصُّدُودْ؟

أما آدَ هذي الرِّياحَ الغبارُ
وحَجْبُ المَدَى؟ أيَّ شيءٍ يؤودْ؟)

ترى الحلَّ نفْيَ الحِمى مِنْ حماهُ
وتبديلَ أبنائِهِ بالوفودْ!

* * *

يخوِّفُها بائعُ (السندويتشِ)
وترتابُ في بائعِ (العنبرودْ)[1]

وتخشى الزُّقاقَ التُّرابي، تراهُ
يراوِغُها كالرَّقيبِ الكَيُودْ:

(أأقتادُ كلَّ أُنوفِ القصورِ
ويوقعُني شارعٌ في القُيودْ؟)

فتَخفى كعادتِها مدَّةً
وتأتي كأُخرى، كشيخٍ صَيُودْ

لها لحيةٌ كالنبيِّ الكذوبِ
وظهرٌ كظهرِ الحصانِ (الحَرودْ)

وكفَّان، رغمَ التماعِ الحُليِّ
بنانُهُما مِنْ أفاعٍ ودُودْ!

أواناً تناهزُ مَنْهى السُّقوطِ
وآناً تناهزُ بدءَ الصُّعودْ

(1) العنبرود: تسمية يمنية للأفوكادو وهو فاكهة استوائية وكذلك يطلق على الكمثري.

بـأسـمـارِ صَـنـعـا تُـسـمَّـى (الـمـدامَ)
وفـي (بـابِ مـوسـى) تُـسـمَّـى (حـمـودْ)!

وتُـدعـى بـ(صـعـفـانَ) دكـتـورةً
وتُـدعـى بـ(هـمـدانَ) ذاتَ الـجُـعـودْ

بـ(وادي بَـنـا) يـنـكـرون اسْـمَـهـا
وفـي الـجـوفِ يـدعـونـهـا (عـقـنـفـودْ[1])

وتُـدْعـى (الـخـبـيـرةَ) فـي (الـبـرتـكـولِ)
وفـي غـيـرِهِ أُمَّ أخـفـى الـجُـهُـودْ

تَـرودُ هُـنـا، مَـضـيَـفـاً فـي الـشّـتـا
وتـشـتـو مَـصِـيـفـاً؛ فـمـاذا تـرودْ؟

تُـشَـتِّـي وتـصـطـافُ كُـلَّ الـفـصـولِ
سِـوى الـحَـرِّ تَـبـغـي وغـيـرَ الـبَـرُودْ

* * *

عـلـى مـنـكـبِ الـجـوعِ تَـرْقَـى، تَـرى
عـلـى مَـن سـتـقـضـي؟ ومَـن ذا تـقـودْ؟

تـجـيءُ كـبـاحـثـةٍ مَـرّةً
وأُخـرى كـمـبـحـوثـةٍ لا تـعـودْ!

❁❁❁

(1) عقنفود: اسم لزوجة شيخ العفاريت (بدوح) ويطلق على كل امرأة شريرة وعلى كل سنة قحط أو كوارث.

عامٌ بلا رقم

وَجْهُهُ بيدرُ الجُثث ... ظهرُهُ مركبُ التَّفَث
صبحهُ الرَّثُّ كالدُّجى ... وهو مِنْ وقتِهِ أرَثّ
كلُّ مَجْرى فصولِهِ ... جَدَثٌ يقتفي جدَث
أهْوَ أقصى مدى الأسى ... أم بدائيَّةُ العبَث؟

* * *

جاء من جوفِ مسلخ ... وإلى المُدْيةِ انبعَث
يسهلُ الخبثُ أعزلاً ... تبَّ مَن سلَّح الخبَث
كيفَ وافى؟ مَنِ الَّذي ... قادَ مجراهُ واستَحث؟
أقسمَ الكلُّ أنَّهُمْ ... ما دَرَوا.. أيُّهم حنَث؟
قيلَ: أبقاهُ فاتحٌ ... في الشقوقِ التي نبَث
قيلَ: ألقاهُ عاصفٌ ... قيلَ: مستنقعٌ نفَث
زمنُ القحطِ إنْ سَخَا ... عزَّزَ الغثَّ بالأغث

* * *

أيُّ ريحٍ جَرَتْ بهِ؟ ... أيُّها زاولَ الرَّفَث؟
يا زفافَ الغُبارِ، مَنْ ... أولَدَ الرِّيحَ؟ مَن حرَث؟
ضاجَعت ثَمَّ نَفْسها ... بعضُها بعضَها طمَث!

* * *

مَنْ تبنَّى الذي أتى؟ ... أينَ عن وجههِ بحَث؟
قيلَ: مِنْ هاهُنا التوى ... قيلَ: مِنْ لا هُنا لهَث

بـــاتَ عـــيْـــنـــاً ومـــا درى   عـــادَ كـــعـــبـــاً ومـــا اكـــتـــرثْ
كـــان عـــامـــاً بـــلا مـــدَىً   صـــارَ قـــرنـــاً ومـــا انـــثـــلـــثْ[1]
قـــيـــلَ ســـمَّـــوْهُ حـــادثـــاً   قـــيـــلَ: غـــيـــرُ الـــذي حَـــدَثْ

*

(1) انثلث: بلغ ثلث عدد سنواته وهذا التعبير قياس على انتصف أي وصل نصفه.

ليلةٌ
مِنْ طرازِ هذا الزَّمان

يولية 1982م

دَنَتْ كزيارةِ الجاسوسْ ومثلَ غرابةِ الكابوسْ
وكالرَّحَّالةِ المَخْنيِّ مثلَ الهاربِ المحبوسْ
ومثلَ توغُّلِ المحتلِّ مثلَ تعقُّل الممسوسْ
تُخالِسُني كأمّيٍّ يُقلِّبُ دفتراً مَطْموسْ
تَحِنُّ إلى المدى الأَخْفى وتستغني عن الملموسْ
كوحشٍ ما لَهُ وصفٌ ولا رسمٌ على القاموسْ
كأنَّ الأنجمَ الكَسْلى حصىً في لحمِها مغروسْ

* * *

مساءُ الخير، مَنْ جاءت؟ حضوري غائبٌ ميؤوسْ
ستَسخُنُ، أنتَ مبرودٌ أُحِسُّ بأنَّني مشموسْ
تريدُ حليبَ شحرورٍ وكوزاً مِنْ دمِ الجاموسْ
فَمَنْ قبلي رأى الأَفعى تُحاكي الشَّيْخَ (جالينوسْ)؟
صَهٍ، لا تجتلبْ (رُسُو) ولا تعرفْ (إكذيا موسْ)
أبوكَ الفارسُ المُلْغى وأنتَ الفارسُ المفروسْ

* * *

أتَتْ منحوسةُ المَسْرَى إلى ذي الطَّالعِ المنحوسْ
بِكفَّيْها توابيتٌ وخَلْفَ قذالِها فانوسْ

بِـفـيـهـا سـورةُ (الأغْـلَـى) وتـحـتَ قـمـيـصِـهـا (بـاخـوسْ)
وعِـقْـدٌ فـوقَ فـخـذَيْـهـا كـخفقِ الـمِشْعَلِ الـمنكوسْ
لـهـا عـشـرونَ حـافـوراً وأنـفٌ يُـشـبِـهُ الـدَّبُّـوسْ
وأيـدٍ عـوسـجـيّـاتٌ وجـيـدٌ لـلـقـفـا مـعـكـوسْ
عـلـيـهـا يـرتـخـي ثـديـا نِ مثلَ الـجوربِ الـمـغـمـوسْ
وبـيـن قَـوامِـهـا والـظِّـلِّ شـيءٌ ثـالـثٌ مـدسـوسْ

* * *

غـريـبٌ أمـرُهـا عـنـدي وعـنـدَ أمـيـرِهـا مـدروسْ
رهـيـبٌ سِـرُّهـا عـنـدي وعـنـدَ سـريـرِهـا مـأنـوسْ
أمَـرَّتْ مـثـلُـهـا؟ كـلاً لـمـاذا اجـتـازت الـنّـامـوسْ؟
أتـأرقُ تـحـتَـهـا (صـنـعـا)؟ هلِ امتدَّتْ إلى (الأعبوسْ)[1]؟
أجـاءَتْ مَـنـزِلـي سِـرّاً فـلا جِـسّـاً ولا مـحـسـوسْ؟
ولا مُـسْـتَـنْـبِـئـاً عـنـهـا ولا حـدسـاً ولا مـحـدوسْ
لـمـاذا لا يَـعـيْـهـا الـبـا بُ إلا كـالـصّـدى الـمـهـمـوسْ؟
مَشَتْ، لا استموأتْ (سُوسو)[2] عَدَتْ، لا استَنْبَحَتْ (دعبوسْ)[3]
ولا نـادتْ زوايـا الـبَـيْـ ـت2 يا (باهوتُ[4]) يا (قُدُّوسْ)
ولا شَـمَّـتْ مُـحـيَّـاهـا نـوافـذُ جـارِنـا الـمـحـروسْ

* * *

(1) الأعبوس: منطقة من المناطق الوسطى في اليمن.
(2) سوسو: الاسم العائلي للهرّة في بعض البيوت.
(3) دعبوس: من أسماء الكلاب عند رعاة الأغنام.
(4) باهوت: لقب الشيخ الأسطوري أحمد بن علوان الذي يستغيث به بعض الأميين عند الشدائد.

أتَتْ، لا أُخبِرَ المَمْشى ولا دقَّ الحِمَى النَّاقوسْ
أأعْطَتْ كلَّ صَرصورٍ فماً مِنْ صَمْتِها مقبوسْ؟
وباتَتْ ضيفتي وحدي وبتُّ رئيسَها المرؤوسْ
برَغمي ترتدي وَجْهي وألبسُ جِلدَها المَلْبوسْ
فَمَنْ مِنَّا على الثَّاني تطفَّلَ؟ أيُّنا المهووسْ؟

❁❁❁

زامرُ الأحجار

مـوطـنـي أدعـوكَ مِنْ تـحـت الـخـنـاجـرْ
وإلـى زَنـدَيْـكَ مِـنْ مَـوتـي أُسـافـرْ

هـامـتـي عـنـوانُ بـيـتـيْـكَ، وفـي
قـبـضـتـي مِـنْ سُـرَّةِ الـريـح تَـذاكـرْ

مِـن سُـعـالِ الـتـبـغِ أَطْـفـو، وإلـى
جـبـهـتـي أخـرجُ مِنْ جـوفِ الـمـحـابـرْ

تـخـبـزُ الـكـثـبـانُ فـي جُـمـجـمـتـي
وجـهَـهـا خـارطـةً حُـمْـرَ الـدَّوائـرْ

* * *

الـمـسـافـاتُ مـعـي تـمـشـي إلـى
ركـبـتـي تـأتـي، ومـن سـاقـي تُـغـادرْ

مِـنْ هـنـا، مِـنْ نـصـفِ وَجْـهـي وإلـى
نـصـفِ وجـهـي سـائـرٌ، والـدربُ سـائـرْ

مِـنْ هُـنـا آتـي وآتـي مِـنْ هـنـا
دُلَّـنـي أرجـوك، مِـنْ أيِّ الـمـعـابـرْ؟

فـيـكَ أغـنـى، أرتـمـي سـنـبـلـةً
تـحـفـرُ الأشـواكَ عـن مـنـقـار طـائـرْ

عـن نـدَىً يـغـزلـنـي مـزرعـةً
ومـهـبّـاً يـعـزفُ الـريـحَ بـشـائـرْ

فـيـكَ أمـتـدُّ طـريـقـاً، أنـتـهـمـي
كـرمـةً، عـصـفـورةً، مـشـروعَ شـاعـرْ

* * *

هـاكَ، شَـكِّـلْـنـي كـتـابـاً، وردةً
أيَّ شـيءٍ، أيَّ تـشـكـيـلٍ مُـغـايـرْ

لـيـسَ تـدري الآن مـا اسْـمـي؟ رُبَّـمـا
كـنـتُ مِـنْ (عِـمـرانَ) أو مِـنْ (بـيـتِ عـامـرْ)

صِـرتُ لا أُجْـدي، أعـدنـي؛ إنَّـنـي
جـئـتُ مـن أُمٍّ، كـجـلْـدِ الـرَّمـلِ عـاقـرْ

قـمَّـطـتْـنـي نـبـتـةٌ بـرِّيّـةٌ
رحَّـبـتْ عـوسـجـةٌ بـابـنِ الأكـابـرْ

أرضـعـتْـنـي الـرِّيـحُ مـزمـاراً، وفـي
ذلـكَ الـمَـرْبـى دعـانـي الـسَّـفـحُ: زامـرْ

عـلَّـمـتْـنـي أدخـلُ الـكُـنْـهَ إلـى
أسـفـلِ الأَخْـفـى، لـيـرقـى كـلُّ غـائـرْ

فـتـهـجَّـيـتُ كـتـابَ الـمُـنْـحَـنـى
قـبـلَ أنْ تـحـلُـمَ بـالـحـبـرِ الـدَّفـاتـرْ

ولـذا أعـشـبْـتُ فـي سـاقـيْـك يـا
مـوطـنـي، أقـمـرتُ أشـواقـاً مـواطـرْ

فلماذا عنكَ هاجرتُ أنا
وإليكَ ارتحلْتُ أعتى المَهاجِرْ

موطني، هل أكشفُ الغَوْرَ؟ أما
يوجزُ البرقُ المصابيحَ السَّواهرْ

منكَ أدعوكَ، وصوتي أنتَ يا
أقربَ القُربِ ويا بُعدَ المُغامرْ

ولعينيْكَ أُغنِّي، وأنا
أنطفي وحدي كأعقابِ السَّجائرْ

أحتسي طعمَ رمادي باحثاً
في أسى الذَّراتِ عن شوقِ المجامرْ

أشتري من شارعِ الأمسِ فماً
معزفاً، أغنيةً عن (ظبْيِ حاجرْ)

جرَّةً، جاريةً، كوفيَّةً
أنجماً، أَخْيِلَةً حُمْرَ المشافرْ

أَمْضَغُ (القاتَ) الذي يمضغُني
أمتطي جنِّيَّة مثلي تُحاذرْ

أسألُ المذياعَ: ماذا يدَّعي؟
منْ صديقُ الشَّعبِ في دُورِ الأوامرْ؟

يستحيلُ الصَّمتُ نهدَيْ عانسٍ
أحتمي من ساعديْها بالضَّفائرْ

أغـتـفـي، يـتَّـكـئ الـنَّـومُ عـلـى
نـعـلِ شـرطـيٍّ، عـلـى أهـدابِ سـاحـزْ

* *

أدخـلُ الأحـجـارَ، أنـمـو، أرتـدي
عُـزيَـهـا، تـلـبسُـنـي، مـثـلـي تُـخـاطـرْ

تـبـتـنـي هـجـس الـحَـصـى فـلـسـفـةً
لـلـتَّـحـدِّي، تـنـتـقـي نـوعَ الـمـنـابـرْ

تـهـتـكُ الأسـرارَ، تَـذوي: يـا رُبـا:
الـسـلامُ الـقـتـلُ والـقـتـلُ الـمَـتـاجـرْ

آخـرُ الـحـربِ كـبـدءِ الـحـربِ، لا
يـبـتـدي الـنَّـصـرُ ولا لـلـحـربِ آخِـرْ

يـرتـقـي الـعُـهْـرُ عـلـى الـعـهـرِ، إلـى
آخـرِ الـمـرْقـى؛ لأنَّ الـسُّـوقَ عـاهـرْ

ولأنَّ الـشـارعَ الـشَّـعـبـي، عـلـى
زحـمـةِ الأهـلِ لـغـيـرِ الأهـلِ شـاغـرْ

هـذه (الـمُـوضـاتُ) أعـراسٌ بـلا
أيِّ عـرسٍ.. هـكـذا الـموتُ الـمُـعـاصـرْ

أيُّـهـا الأسـواقُ، مَـنْ ذا هـاهُـنـا
إنَّـهـا مـلأى، ولـكـن مَـنْ أحـاورْ؟

ذلـكَ الـدُّكَّـانُ يـعـطـي غـيـرَ مـا
عـنـدَهُ، هـذا بـلا حِـذقٍ يـنـاورْ

ذاكَ مـــاخــــورٌ بــــلا واجــــهـــــةٍ
ذاكَ ذو وجــــهـــيْـــنِ.   وُدِّيٌ ونـــافـــرْ

كــــلُّ شـــيءٍ رائــــجٌ مــــنـــتــــعـــشٌ
هـــل سِوى الإنــســانِ مـعــروضٌ وبـائــرْ؟

تــــلـــك أصـــواتُ أُنــــاسٍ، لا أعـــي
أيَّ حــرفٍ، أصــبـحَ الإِســمــنــتُ هــادرْ

يـــا فــتـــى، يـــا ذلـــكَ الآتـــي إلـــى
غـيـرِهِ يـرنـو: صـبـاحَ الـخـيـرِ (صـابـرْ)

سـنــةً تـبــحــثُ عــن بـيــتٍ؟ سُــدَىً
أَتْـعـبَ الـتـفـتـيـشَ (مـسـعـودٌ) و(شـاكـرْ)

إنْ هــداكَ الــبــحــثُ عــن بـيــتٍ إلــى
مـقـعـدٍ فـي أيِّ مـقـهـى، لـسـتَ خـاسـرْ

***

أصـبـح الـمـحـتَـلُّ طـيـنَ الأرضِ، عـن
طـيـنِـهـا واحـتـلَّ (مـريـانٌ) و(وظـافـرْ[1])

صـــار(رمـــســـيـــســـاً) و(عـــمـــراً) وارتــدتْ
قـــامـــةُ الـــتـــلـــمـــودِ (يَـــس) و(فـــاطـــرْ)

وبـــنـــى (بـــيـــجـــنْ) بـــ (جـــيـــهـــانَ) عـــلـــى
لـــحـــيـــةِ (الـــسَّـــاداتِ). . زُفِّـــي يـــا مَـــســـاخـــرْ

(1) مريان: رمز إلى الاسم الأنثوي الفرعوني، وظافر: رمز للاسم المذكر العربي كدلالة على الاشتراك في الامتحان الوطني.

لـم يَـعُـدْ هـذا (أبـو الـهـولِ)، هـنـا
(حـائـطُ الـمَـبْـكـى)، أَفِـقْ يـا قـبـرَ (نـاصـرْ)

تـسـألُ الأحـجـارُ: مـاذا يـخـتـفـي
يـا دِرامـا تـحـتَ ألـوانِ الـسَّـتـائـرْ؟

ومَـنِ الـسّـاداتُ مـنـكُـمْ؟ كُـلُّـكـم
واحـدٌ كـاثـنـيْـنِ.. مـوحٍ ومُـبـاشـرْ

صـلـواتُ الـنِّـفْـطِ (سـفـيـانـيّـةٌ)
والـمُـصـلّـى لـحـمُ (عـمّـارِ بـنِ يـاسـرْ)

إنَّـهـا نـفـسُ الـضَّـحـايـا والـمُـدى
آخِـرُ الـتـجـديـدِ فـي شـكـلِ الـوتـائـرْ

* * *

هـاهُـنـا الـثـروةُ فـقـرٌ زاهـرٌ
وكـذا الـفـقـرُ هُـنـا زاهٍ وزاهـرْ

يـا (بـهـاءَ الـدِّيـنِ) مـاذا تـنـتـقـي[1]؟
مَـنْ تُـغـنّـي وكِـلا الـبَـدريْـنِ حـاضـرْ؟

* * *

(1) بهاء الدين: إشارة إلى قول الشاعر المصري بهاء الدين زهير:

يـا لـيـل بـدرك حـاضـرٌ
يـا لـيـت بـدري كـان حـاضـرْ

حـتـى يـبـيـن لـنـاظـري
مـن مـنـهـمـا زاهٍ وزاهـرْ

والإشارة إلى البيتين غير جمالية وإنما تومئ إلى وضوح الثراء وإلى وضوح الفقر ورمزت لوضوح النقيضين بالازدهاء والازدهار.

أسمعُ الأحجارَ مِنْ داخِلها:
أيُنا الملعونُ؟ مَن أفشى السرائرْ؟

اصْبَحتْ، يا كشفُ (حلاَّجِيَّةً)
فتحَتْ للرِّيحِ أبوابَ الظَّواهرْ

ما الذي يَذوي؟ صخورٌ سيِّدي
ذاكَ أدهى ما جَرى سُخْفاً نُكابرْ

أسْكتُوا، كالنّاسِ أحجارَ الرُّبا
قبلَ أنْ تنشقَّ أحجارُ المقابرْ

اقتلوها الآنَ. . ماذا نَدَّعي؟
سجِّلوها ثورةً مِنْ غيرِ ثائرْ

. . هجماتٍ ضدَّ مجهولينَ. . مَنْ
غيرُكم أدرى بِقاموسِ العَساكرْ

* * *

تصرخُ الأحجارُ: يا أبطالُ في
غيرِ حربٍ، يا مغاويرَ المسامرْ

يا رجالاً في الملاهي، يا دُمَى
في سِواها مِنْ مَلَفَّاتِ المخافرْ

كسَّرَتْكُمْ فوضويّاتُ المُنى
يا (أفندمْ) لم تَعُدْ فيك مَكاسرْ

اهربُوا، نارِيَّةٌ أعينُها
ولها كالجِنِّ أيدٍ وحناجرْ

أهــي خــيــلٌ؟ شــبــهُ خــيــلٍ، إنَّــمــا
ذاتُ بُــعــدٍ تــاســعٍ فــي بــطــنِ عــاشــرْ

تــقــرأُ الأعــشــابَ مِــنْ أعــراقِــهــا
كــي تُــعــيــدَ الأرضُ تــركــيــبَ الــعــنــاصــرْ

تــرســمُ الــتَّــضْــهــالَ جُــغْــرافــيَّــةً
تــبــتــدي عــالَــمَــهــا مــن كُــلِّ حــافــرْ

* * *

خــبَّــأتْــنــي هــذه الأحــجــارُ فــي
صُــلْــبِــهــا، أضْــحَــتْ بــلادي والــعــشــائــرْ

عــن فــمــي تُــعــلــن عــن إنــصــاتِــهــا
أغــتــلــي هــجْــســاً، وعــن هــمــسي تُــجــاهــرْ

أنــا والأحــجــارُ نــأتــي، نــبــتــدي
مــوطــنــاً بِــكْــراً ونــخــتــارُ الــمــصــائــرْ

هَــلْ لِــذا الــوادي ســوى أحــجــارِهِ
وزمــانُ الــصَّــخــرِ أدرى بــالــضــمــائــرْ

❂❂❂

بنوكٌ وديوك

يونية 1980م

لنا بطونٌ ولديكُمْ بنوكْ
هذي المآسي نصَّبتْكم مُلوكْ

حُريَّةُ المقهى لنا، عِنْدَكُمْ
لكُلِّ بابٍ داخليٍّ فُكوكْ

*

مِن أيِّ صنفٍ أنت؟ إنّي إلى
شيءٍ سِوى ما في يديكُمْ هَلوكْ

لكُمْ ثراءٌ ولنا ثورةٌ
مَنْ أنتَ حتى تدَّعي؟ مَنْ أبوكْ؟

نصفُ يدي مغلولةٌ هاهُنَا
ونصفُ زَنْدي عاملٌ في (تبوكْ)

أنا الحواري والقُرى كُلُّها
- كُنْ مثل إحداها سكوتاً، تَرُوكْ

- لأنني مِنْها فمي بعضُها
- نخافُ لا تدري غداً أين فُوكْ!

لنا شروطٌ ولكُمْ شُرطةٌ
تخطُّ بالكرباجِ (حُسْنَ السُّلوكْ)

لــنــا نــقــاواتٌ لــكُــمْ عــكــسُــهــا
فــأَيُّــنــا أَوْلــى بــمــنــحِ الــصُّــكــوكْ؟

* * *

عــن مَــنْ تُــعــادي؟ كــلُّ مَــنْ تــجــتــبــي
مَــلُّــوا نــضــالاً، والــعِــدا أنــهــكــوكْ

يــا ضَــعْــفَــنــا تــبــدو لَــهُــمْ ســافــراً
يــاضَــعْــفَــهُــمْ، هــيــهــاتَ أنْ يُــدركــوكْ

لــكُــمْ ســجــونٌ ولــنــا عــنــكــمــو
تَــجــادلٌ مــثــل نُــقــارِ الــدُّيــوكْ

عــنَّــا تــلــوكــون الــلُّــغــاتِ الــتــي
نــعــنــي سِــواهــا. أيَّ هــمــسٍ نــلــوكْ؟

* *

ظُــنــونُــكــمْ عَــنَّــا يــقــيــنــيَّــةٌ
يــقــيــنــنــا عــنــكــم كــخــوفِ الــشــكــوكْ؟

لــنــا مــنــاقــيــرُ حــمــامــيَّــةٌ
لــكــم مُــدَىً عَــطْــشــى وجــبــنٌ سَــفُــوكْ

أنــتــم تــحــوكــون الــذي لا نَــرى
وتَــشْــتَــشِــفُّــونَ الــذي لا نَــحُــوكْ

هــذا انــتــهــاكٌ، بــل عِــدائــيَّــةٌ
كــلُّ ضــيــائــيٍّ عــدُوٌّ هَــتــوكْ

قُــلْ غــيــرَ هــذا، لا تَــقُــلْ غــيــرَهُ
مــلَــكْــتَ مَــنْ يــبــغــونَ أنْ يَــمــلِــكُــوكْ

الصَّمتُ المُرّ

نوفمبر 1982م

هـاهُـنـا أقـعـتِ الـلُّـغـةْ كـالـكـؤوسِ الـمُـفـرَّغـةْ
كـشَـظـايـا صـفـيـحـةٍ كـالـعـظـامِ الـمُـمـرَّغـةْ
واسـتـحـالَـتْ حـصَـىً بـلا أيِّ دَعْـوى مـسـوَّغـةْ
لا اسْـتَـحـرَّت بُـحـرْقَـتِـي لا اسـتـجـابـتْ لِـدغـدغـةْ
سـاهـدٌ أسـتـفـزُّهـا وهْـيَ فـي الـموتِ مـولـغـةْ
يـلـهـثُ الـصَّـمـتُ فـوقَـهـا كـالـرِّئـاتِ الـمُـتَـبَّـغـةْ

* *

شـهـوةُ الـبَـوحِ داخِـلـي صـخـرةٌ ذاتُ بـغـبـغـةْ
أو جـلـودٌ تـفـسَّـخَـتْ تـحـتَ إرهـاقِ مَـذْبَـغـةْ
لـيـسَ فـي الـصَّـمـتِ حـكـمـةٌ لا الـبـلاغـاتُ مُـبـلِـغَـةْ
فـلـسـفِ الـرَّمـلَ يـا حـصَـى وامـنـحِ الـرِّيـحَ أدمـغـةْ
لا انـجـلـى الـمُـخـتـبـي ولا غـطَّـتِ الـقُـبـحَ مَـصْـبـغـةْ

❂ ❂ ❂

قراءةٌ
في كفِّ النَّهرِ الزَّمني

هَـلْ هـذا الـجـاري مـفـهـومْ؟
يـبـدو مـجـهـولاً، مـعـلـومْ
صـنـعـائـيّـاً مِـنْ (رومـا)
أمـريـكـيّـاً مِـنْ (مـخـزومْ)!
عـيـنـاهُ فـي إبـطَـيْـهِ
ولـهُ أنـفٌ كـالـقـدُّومْ
قـدمـاهُ خَـزْفـا جـرٍّ
فـمُـهُ كـالـفـعـلِ الـمـجـزومْ
أدهـى مِـنْ رأسِ الأفـعـى
أنـمـى مِـنْ شـجـرِ الـزَّقُّـومْ
أجـلـى مِـنْ سـقـفِ الـمَـقْـهـى
أَخْـفَـى مِـنْ أوهـام الـبُـومْ
وأنـا، مـا بـيـنَ الـخـافـي
والـبـادي فـيـهِ مـقـسـومْ
يـسـتـخـفـي حـيـنـاً يـبـدو
حـيـنـاً شـيـطـانـاً مَـرْسـومْ

آناً عينيّاً، آناً

شكلاً غيبيّاً مزعومْ

يرنو كشقوبِ المبغى

يُومي كالطَّيفِ المَجْذومْ

يصبو كالشَّيخِ الفاني

يبكي كالطُّفلِ المفطومْ

* * *

هل هذا الجاري يجري

أو أنَّ المجرى مركومْ؟

يمتدُّ هُنا مسؤوماً

وهناكَ يُعيدُ المسؤومْ

ينحلُّ شُكولاً شتَّى

يبدو منشوراً، منظومْ

فعلاً لا أفعالَ لهُ

حالاً مجروراً مضمومْ

عُنقاً مقطوعاً، رأساً

برقابٍ أُخرى مدعومْ

إطلاقاً لاصوتَ لهُ

موتاً ذا صوتٍ مبغومْ

* * *

يـبـدو مَـلـهـى فـي (دلـهـي)
قـضـفـاً ودمـاً فـي (الـسَّـلُـومْ)[1]

مـذيـاعـاً فـي (هُـولـنـدا)
كـعِـطـاسِ الـمَـبْـغـى الـمـزكـومْ

فـي (واشـنـطـن) أسـطـولاً
يـنـوي إبـرامَ الـمـبـرومْ

أيـشـنُّ هـجـومـاً؟ ومـتـى
أجـلاهُ الـشَّـرقُ الـمـهـجـومْ؟

يـحـتـلُّ الـمُـحـتـلَّ بـهِ
يـقـتـادُ زمـامَ الـمـزمـومْ

* * *

ألِـهـذا الـجـاري صـفـةٌ؟
ألَـهُ تـاريـخٌ مـوسـومْ؟

يُـمـسـي كـبـشـاً فـي (صـيـدا)
يـغـدو ثـوراً فـي (الـخـرطـومْ)

سـوقـاً حُـرّاً فـي (نـجـدٍ)
ضـبّـاً، (هـزروفـاً)[2] مـخـطـومْ

رِيـمـاً وَجْـرِيّـاً، كـلـبـاً
كَـنَـديـاً يُـدعـى (بـرهـومْ)

---

(1) السلوم: حي من غربي بيروت، ومنطقة حدودية بين مصر وليبيا؛ وهنا إشارة إلى المكانين.

(2) الهزروف: حيوان يمشي على ثلاث، وقيل: إنه مسخ الجمل والفرس.

فَـــزواً رومـــيّـــاً يـــكـــســـو
بـــيـــضـــاتِ الـــخـــذرِ الـــمـــعـــصـــومْ
جَـــمَـــلاً لا يَـــرْعـــى (شِـــيْـــحـــاً)[1]
لا عـــهـــدَ لَـــهُ بـــ(الـــقـــيـــصـــومْ)[2]
لا يـــــدري شـــــيـــــئـــــاً إلاّ
خَـــلْـــعَ الـــسُّـــروالِ الـــمـــنـــهـــومْ
يُـــدْعـــى شـــيـــخـــاً فـــي (طـــنـــطـــا)
إفـــيـــونـــيّـــاً فـــي (الـــفَـــيُّـــومْ)
(حـــافِـــرُمْ)[3] مـــنْ ذا؟ ســـمَّـــوْهُ
فـــرَّامـــاً صـــار الـــمـــفـــروم
فـــي (ديـــفِـــرْ) أمـــســـى كَـــتَـــبـــاً
فـــي (ســـيـــنـــا) نـــصـــراً مـــهـــزومْ

* *

هـــذا الـــجـــاري يـــجـــري مِـــنْ
قـــدمـــيْـــهِ حـــتـــى الـــبـــلـــعـــومْ
حـــيـــنـــاً لا إيـــقـــاعَ لَـــهُ
حـــيـــنـــاً ذا نـــبـــضٍ مـــنـــغـــومْ
حـــيـــنـــاً وجـــهـــاً مـــشـــتـــومـــاً
حـــيـــنـــاً أزرى مِـــنْ مـــشـــتـــومْ

---

(1) الشيح: نبات قفري وهو يصلح مرعى وحطباً.
(2) القيصوم: أشهى مراعي الإبل.
(3) حافرم: إشارة إلى عبارة تهديد رددها (السادات) في خطاباته بداية رئاسته.

يُبدي تسجيمَ الفوضى
ويُغطّي القُبحَ المسجومْ

ويخافُ ذبابَ المَقْهى
ويغذّي فيهِ الجرثومْ

أتلو كفَّيْهِ فَضْلاً
مِن سِفْرِ الآتي المحتومْ

يرتَدُّ جداراً، يَلْوي
زَنْدَيْهِ جسراً ملغومْ

يُضحي في (مِيْدي) نفطاً
يُمسي تبغاً في (الأهنومْ)

تَكْساً في (صنعا) رَقماً
بالحبرِ الثَّلجي مرقومْ

يعدو هِرّاً حَجَرِيّاً
يستلقي فأراً مرجومْ

ويلوحُ (بَسوساً) أُخرى
الظُّلْمُ لديها المظلومْ

يغدو صُلْحاً أخويّاً
لبقاً في حسمِ المحسومْ

يعلو كالبحرِ الطَّاغي
يُقعي كالكُوزِ المثلومْ

أمْلى بكنوزِ الدُّنيا
أعرى مِنْ كوخِ المحرومْ

ماذا أحكي عن ماذا؟
زمني كالكهفِ المردومْ

مفصومٌ عن شَطَّيْهِ
وأنا عن نبعي مفصومْ

هل يأتي زمنٌ يمحو
مِنْ لُغَتي (كانَ المرحومْ)؟

أأُثيرُ هموماً كبرى؟
مَنْ ذا بالكُبرى مهمومْ؟

الشوقُ الهمُّ الأطغى
لا ملتزماً، لا ملزومْ

(إني مهضومٌ) وأنا
مَنْ ذا للوطنِ المهضومْ؟

ألِمَغْرُوقِيّ الأيدي
أحدٌ عن حسٍّ مغمومْ؟

هل تستدعي تصديقاً
يا هذا الصدقُ المذمومْ؟

* *

ماذا أحكي؟ هل أشجي
هذا الإسمنتَ المتخومْ؟

أروي للشؤمِ الآتي
تاريخ الماضي المشؤومْ

أهـذي وحـروفـي تـهـوي
حـولـي كـالـطـيـر الـمـسـمـومْ
حـتـى ظِـلِّـي مـتَّـهَـمْ
وقـمـيـصـي مـثـلـي مـوهـومْ

* * *

مـن أيـنَ أُنـادي؟ حَـلْـقـي
بـالـشَّـمـع الـقـانـي مـخـتـومْ
وعـلـى صـدري بـرمـيـلٌ
بـنـجـيـعِ بـلادي مـوشـومْ
ولـمـاذا لا تُـبـقـي لـي
هَـذَيـانـي؟ إنِّـي مـحـمـومْ؟
قُـلْ مـا تـهـوى، لـكـن قُـلْ
بـفـمٍ لـيـسَ لَـهُ حُـلـقـومْ
هـذا الـمـذيـاعُ الأمِّـي
أقـوى مِـنْ صـوتـي الـمـكـلـومْ
هـل هـذا الإسـمـنـتُ فـمـي
وعـلـى أنـفـاسـي قَـيُّـومْ؟
ألِـهـذا الـجـاري نَـسَـبٌ؟
أم هـذا ظـرفٌ مـقـحـومْ؟

* * *

وَيْـحـي، مَـنْ ذا يُـنـسـيـنـي
أنِّـي كـبـلادي مـعـدومْ؟

وبـــأنّـــي مـــبـــيـــوعٌ مِـــنْ
بـــيّـــاعٍ مـــثـــلـــي مـــقـــصـــومْ

وبـــأنّـــي مـــحـــكـــومٌ فـــي
كـــفّـــيْ مـــأمـــورٍ مـــحـــكـــومْ

وبـــأنّـــي بِـــيَـــدَيْ غـــيـــري
مِـــنْ لـــحـــمـــي ودمـــي مـــطـــعـــومْ

يـــا مَـــنْ أجـــلـــى (أَبـــرهـــةَ)
أضـــحـــى عـــربـــيّـــاً (يَـــكْـــســـومْ)(1)

أدري أنّـــي مـــحـــتـــلٌّ
وأرى فـــوقـــي خـــيـــلَ الـــرُّومْ

أدري، لـــكـــنْ مـــا الـــجـــدوى؟
مِـــنْ عـــلـــمـــي؟ إنّـــي مـــوصـــومْ

هـــل يـــبـــنـــيـــنـــي إدراكـــي
أنّـــي مِـــنْ أصـــلـــي مـــهـــدومْ؟

هـــل يُـــشـــفـــي مِـــنْ أزمـــاتـــي
تـــرديـــدي: أنّـــي مـــأزومْ؟

* * *

مـــاذا تـــحـــكـــي؟ لا تَـــغـــضـــبْ
لَـــمْ أكـــشـــفْ أمـــراً مـــكـــتـــومْ

---

(1) يكسوم: ابن أبرهة الحبشي وكان ينوب عن والده في حكم اليمن ثم صار خليفة له بعد موته.

عــمــلــي أُعْــطــي لــلــمــرئــي
سِــمَــةً، لــغــةً لــلــمــشــمــومْ

أتــلــو كــفّــاً مــائــيّــاً
وفــمــاً كــالــصّــخــرِ الــمــخــرومْ

حــيــنــاً أســتــقــرئ عُــقــمــاً
حــيــنــاً تــأكــيــداً مــســقــومْ

فــأُحِــسُّ جــذوراً خــلــفــي
وأشــمُّ أمــامــي بُــرعــومْ

* * *

هــل تــســتــجــلــي مــا يــخــفــى
عــنّــا، يــا أكّــالَ الــثُّــومْ؟

عــفــواً: إنــي عــفــريــتٌ
عــرّافٌ، واســمــي (يــحــمــومْ)[1]

أســتــنــبــئُ مــا لا يُــنــبــي
وأعــي مــا تــحــتَ الــحَــيْــزومْ

هَــلْ تــحــتَ الإســمــنــتِ دمٌ
يــغــلــي وطــفــورٌ مــكــظــومْ؟

مــا لا يــجــري مــفــهــومٌ
الــجــاري غــيــرُ الــمــفــهــومْ

❂❂❂

---

(1) يحموم: اسم أحد شيوخ الجان في الخرافة الشعبية باليمن، وعلى اسمه سمى (تأبّط شرّاً) حصانَهُ كما أنه كان اسم حصان (النعمان بن المنذر).

صعلوكٌ من هذا العَصْر

يولية 1981م

كان يُحِسُّ أنَّه خرابة
وأن كلَّ كائنٍ ذُبابة

وأنَّ في جبينِهِ غُراباً
يَشوي على أنفاسِهِ غُرابَة

وأنَّه نقَّابةٌ طَمُوحْ
وشرطةٌ تسطو على النَّقابة

وبعضُهُ يلهو بهجوِ بعضِ
وكلُّه يستثقلُ الدُّعابة

وتارةً يرى البحورَ كأساً
في كفِّهِ والعالَمَ استجابة

وأنَّ في قميصِهِ نبيّاً
أغنى عن الإعجازِ والصَّحابة

وأنَّ إبليسَ على يديْهِ
أتى يُصلِّي صادقَ الإنابة

وأنَّ (هارونَ الرشيدِ) يرجو
في بابِهِ التشريفَ بالحِجابة

وأنَّ أنـفَ الـشَّـمـسِ كـان فـأسـاً
مِـن نـصـفِ قـرنٍ طـلَّـق الـحَـطـابـةْ

وتـارةً يـرنـو إلـى الـثُّـريَّـا
كـحـائـضٍ نـامـت، عـلـى جَـنـابـةْ

تـبـدو لـعـيـنـيْـهِ (بـنـاتُ نـعـشٍ)
خـنـاجـراً غـيـمـيَّـةَ الـذُّرابـةْ

* * *

مـا طـالـعـي؟ كـانـت تـقـول أُمِّـي:
مـكـتـوبـةٌ عـلـى ابْـنـي (الـشَّـقـابَـةْ)[1]

رأت أبـي كـان عـصـاً (لـفـيـضـي)
وراعـيـاً عـنـدَ (بـنـي ثـوابـةْ)

وعـنـدَ (ثـاوي يـفـرسٍ)[2] يُـرجّـي
مـثـلَ ابـنِ خـالـي (مـهـنـة الـجِـدابَـةْ)

كـانـت تَـوَدُّ أنـنـي فـتـاةٌ
تُـغـوي ثـريّـاً، تُـحـسـنُ الـحِـلابـةْ

---

(1) الشقابة: لفظة عامية وهي الشره والتعاسة.

(2) ثاوي يفرس: الشيخ الأسطوري أحمد بن علوان الذي يعتقد الأميُون أنه يجيب نداء الملهوف ولو دعاه بغير اسمه: كيا ساكن يفرس ونحوها مما يدل على صفاته أو منطقته يفرس وكان يعطي زوار قبره سبباً للرزق أشهرها (الجدابة) وهي حركة سحرية يتمتع بها أشخاص فيهزُّون طبلاتهم ويطعنون أعينهم أو صدورهم بالحراب دون أي تأثير عليهم، لأن كرامة ابن علوان تحميهم، وبهذه المهنة يستدرُّون الرزق.

نــجــمــي هــنــا، أرضُ الــحِــمَــى ســمــائــي
هـــــذا نَـــــداهُ أنـــــجـــــمٌ مـــــذابَـــــةْ

وبـــرجُ عِـــشـــقـــي، مـــقـــلـــتـــا أزالِ[1]
وبـــرجُ حـــظِّـــي فـــي يَـــدَيْ (رُصَـــابـــةْ)[2]

الـــمـــنـــحـــنـــى، فـــي مـــوطـــنـــي شـــهـــابٌ
زاهٍ، وكـــــلُّ ربـــــوةٍ شـــــهـــــابَـــــةْ

*

وهـــاهُـــنـــا يُـــصـــغـــي، يُـــجِـــسُّ هـــجـــســاً
يَـــنـــشَـــقُّ مِـــنْ قـــرارةِ الـــكـــآبـــةْ

فـــيـــلـــمـــحُ الـــمـــآذنَ اســـتـــحـــالَـــتْ
مـــشـــروعَ بـــرقٍ يَـــبـــتـــغـــي ســـحَـــابـــةْ

يـــخـــالُ صُـــفْـــرَ الـــرَّابـــيـــاتِ تـــبـــدو
عـــرائـــســـاً ورديَّـــةَ الـــصَّـــبـــابـــةْ

يـــحـــكـــونَ عَـــنْـــهُ: أنَّـــه فـــقـــيـــرٌ
ونـــادراً مـــا يـــأكـــلُ الـــقُـــلابـــةْ[3]

وغـــالـــبـــاً يُـــمـــســـي بـــلا عَـــشـــاءٍ
عـــن نـــفـــسِـــهِ ســـاهٍ، عـــن الـــقـــرابـــةْ

---

(1) أزال: الاسم التاريخي لمدينة صنعاء.

(2) رصابة: هي أشهر القرى بالسعة وخصب الأرض ووفرة الماء، وعلى هذا مثل (علي بن زايد) الشهير: ما في المدن غير صنعاء، وفي البوادي رصابة.

(3) القلابة: هي أكلة فول مخلوط بالبصل والبيض.

وأنــهُ يُـثـنـي الـعِـقـابَ عـنـهُ
ولا يـمـدُّ الـكـفَّ لـلإثـابـةْ

وأنــه يـشـتـمُ كُـلَّ وكـرٍ
وأنّـهُ يـرتـادُ كُـلَّ غـابـةْ

يـسـتـبـطـنُ الـمسـاربَ الـخـفـايـا
مِـنْ قـعـرِهـا، فـي أوَّلِ انـسـرابـةْ

لـذا رأَوهُ أخـطـرَ الـحَـزانـى
لأنّـهُ مُـسـتَـغـربُ الـنَّـجـابـةْ

لأنّـه مِـنْ نـفـسِـهِ عـلـيـهـا
يَـخـشـى، ولا يَـسْـتـرهـبُ الـرَّهـابَـةْ

* * *

مَـنْ ذلـكَ الـصُّـعـلـوكُ؟ صـارَ هـمّـاً
وكـانَ يـومـاً تـافـهـاً لُـعـابَـةْ

بـأُمِّـهِ كـانَ (الـفـقـيـهُ) يُـزْري:
بُـشـراكِ يـابـنِ الـخـيـرِ يـا (كَـعـابَـةْ)

وكـان يُـدعـى فـي صِـبـاهُ نـحـسـاً
فـصـارَ يُـدعـى حـامِـلَ الـرَّبـابـةْ

وكـان يُـعـطـي الـفـعـلَ حـرفَ جـرٍّ
ولا يـرى لـلـمـصـدرِ انـتـصـابـةْ

ومـثـلَ شـيـخِ الـنَّـحـوِ كـان يـحـكـي:
تـأنـيـثُ بـابٍ، يـا بُـنـيَّ بـابـةْ

وَمِـنْ أسـامـي الـنـابـغـيـن يَـرْوي:
(الـسَّـهْـرَوَرْدي) و(ابـن خُـرْدُذابـةْ)

والـيـومَ يـغـلـي وحـدهُ كـسِـفْـرِ
لـلـرِّيـحِ يـروي: أغـربَ الـغـرابـةْ

يُـلـقـي (سُـهـيـلاً) فـحـمـةً، ويُـبـدي
نـجـمـاً يُـعـيـرُ الـشـارعَ الـثَّـقـابـةْ

يـمـحـو تـواريـخَ الـتـي سـتـأتـي
ويـبـتـدي مُـسـتـقـبـلَ الـكـتـابـةْ

❂❂❂

غيرُ كلٍّ هذا

مايو 1981م

مِثلَما تَهرَمُ في الصُّلْبِ الأجِنَّةْ
تأسنُ الأمطارُ في جوفِ الدُّجنَّةْ

يحبلُ الرَّعدُ ويحسو حَمْلَهُ
ثُمَّ يَنْشتمني غُباراً وأسِنَّةْ

تُمطرُ الأعماقُ نفطاً ودماً
يحلمُ الغيثُ بأرضٍ مُطمئنَّةْ

يُعشبُ الرَّملُ رمالاً وحصَىً
يستحيلُ الغيمُ بِيْداً مُرجَحنَّةْ

ينطوي البرقُ على إيماضِهِ
كتغاضي (عمَّةٍ) عن طيشِ (كِنَّةْ)

ينشُدُ الحُلْمُ البكاراتِ التي
لا يعي النخَّاسُ، مَنْ ذا باعَهنَّةْ

تأكلُ العِفَّةُ سِنْ أثدائِها
يغتدي القتلُ على المقتولِ مِنَّةْ

* * *

مَنْ هُنا؟ سوقُ البَغايا وحدَهُ
يكتبُ التاريخَ، يتلوهُ لَهُنَّةْ

هَلْ دمُ الإجهاضِ أمسى أحرفاً
للكتاباتِ، لِزَوجاتٍ وصِنَّةْ؟

فيلوكُ الصَّمتُ شِدْقَيْهِ، كما
تعلِكُ الخيلُ الجريحاتُ الأعِنَّةْ

مثلما يستضحكُ القَشُّ، كَما
ينفثُ المصدورُ أوجاعاً مُرِنَّةْ

يبتغي النَّبتُ، النَّدى، أرضاً سِوى
هذه الموطوءةِ القلبِ المُسِنَّةْ

وسماءً غيرَ هذي تنجلي
مِن وراءِ الحُلْمِ، مِن تحتِ الأكِنَّةْ

ورُباً أُخرى صبايا، للضُّحى
مِن حكاياهُنَّ لَثْغاتٌ وغُنَّةْ

عالَماً يأتي بلا بادرةٍ
زمناً مِنْ لا متى، مِنْ لا مظَنَّةْ

❁❁❁

علاماتُ العالمِ المُستحيل

مايو 1981م

قيلَ: لا بُدَّ أن يُطيلَ الغِيابا
قيل: ينأى كي يستزيدَ اقترابا

قيلَ عنوانُ نَبْعِهِ كُلُّ جرحٍ
قيلَ: يستوطنُ الظُّنونَ الكِذابا

قيلَ: أدناهُ عاصفٌ قبلَ عامٍ
وثناهُ غيمٌ فأغضى وحابى

وهُنا شكَّل الحصى مُقلتيْهِ
مقلةً حيَّةً وأُخرى غُرابا

وعلى وَجنتَيْهِ يمتدُّ وكرٌ
يستضيفُ الذُّبابُ فيهِ الذُّبابا

فوقَهُ يفسقُ الدُّجى بالمراعي
تحتَهُ تَسحبُ النِّمالُ الهِضابا

يُعشِبُ القحطُ في حشاهُ رمالاً
ويُباري فيه اليبابُ اليَبابا

* * *

قيلَ: أَوْدى، قيلَ: استحالَ نواةً
قيلَ: كهفاً أمسى لكهفيْنِ بابا

قيلَ: أغفى هناك، يجترُّ حُزناً
مثلما يذكرُ النجيعُ الحِرابا

قيلَ: مِنْ جوفِ حارةٍ سوفَ يَرقى
قيل: مِنْ لا هنا يجيءُ انصبابا

قيلَ: يأتي مِنْ تحتِ شُعْثِ الرّوابي
قيلَ: تنوي الرُّبا إليه الذّهابا

قد يُناديهِ كلُّ صقعٍ فيأبى
وبِلا دعوةٍ يكون الجوابا

* * *

قالتِ الشّمسُ: ذاتَ يومٍ سيهمي
قالتِ الرِّيحُ شاهدَتْهُ سَرابا

قالَ شيخُ الحَمامِ أبصارُ قلبي
تجتليهِ، عيني تراهُ ارتيابا

فأجابَ الغرابُ: يَبْيَضُّ لوني
قبلَ أن يبتدي يحثُّ الرِكابا

قالَ سِربُ القَطا: أظنُّ الثُّريّا
أوشكَت أنْ تَحُلَّ عنه النّقابا

وادّعى المُنتحنى بأنَّ خُطاهُ
أصبحتْ من رُنُوِّ عينيهِ قابا

هل تعي يا قطا ضجيجاً خليطاً؟
ربما استنبَحَتْ خُطاه الكِلابا

عنه يُنبي هذا النُّباحُ الموشَّى
بأغانٍ يَشحذْنَ ظفراً ونابا

فأجابَ القَطا: حَكَتْ عنهُ أُمّي
مثلما يَمضغُ الخَجولُ العِتابا

أخبرَتْ أنَّه أتى قبلَ عشرٍ
وتولّى، وما درتْ كيفَ ذابا

هل أحسَّت إذ ذاكَ مِنْ أينَ وافى؟
لا، ولا خمَّنتْ إلى أينَ آبا

ربَّما ظنَّ أنَّهُ كانَ فجّاً
وانثنى كي يَطيبَ، والآنَ طابا

***

والذي لا يراهُ قالَ: رآهُ
والذي شمَّهُ يقيناً تَغابى

قيلَ: ينهلُّ مِنْ عيونِ الأماني
قيلَ: يَسري تحتَ السُّطوحِ انسرابا

قيلَ: مَنْ ظنَّهُ سيرنو إليهِ
يملكُ الحالِمُ الغُيوبَ اغتصابا

قيلَ: مِنْ أصدقِ العلاماتِ عنهُ
صخرةٌ كالقطارِ تعلو شِهابا

قيلَ: بَلْ أنجمٌ تَحُولُ كؤوساً
ورؤوس لا تَستَقِلُّ الرِّقابا

قيلَ: بل نمّ عنهُ وقتٌ تجزًّا
ساعداً، مُذيةً ووجهاً ضبابا

قيلَ: أهدى علامةٍ عنه طفلٌ
يحتذي غابةً ويطوي الغُبابا

عبهريٌّ، سفَرْجليُّ المُحيَّا
مقلتاهُ تُعَنقدانِ الرَّغابا

ولَهُ لِحيةٌ وتسعون ثدياً
وفمٌ يمسخُ الأفاعي قِبابا

***

قيلَ: تنشَقُّ بذرةٌ عنهُ يوماً
قيلَ: تُدمي البروقُ عنه السَّحابا

ربَّما كانَ تحتَ حُزنِ الدَّوالي
وقريباً يجتاز ذاكَ الحِجابا

قيلَ: مِنْ أبعدِ الغراباتِ يدنو
يعجنُ الضوءَ والنَّدى والتُّرابا

يغزلُ البِيدَ بُرْتقالاً ووردأ
يحملُ البَحْرَ في يديهِ كِتابا

يدخلُ العشبَ، يركضُ العِشقُ فيها
يستحيلُ الهَبا غصوناً كَعابا

قيلَ: يغشى بيوتَ (صنعا) صباحاً
قيلَ: يغشى ليلاً (أديسَ أبابا)

قيل: فجراً يزفُّ (بيروتَ) أُخرى
وإلى (تلِّ أبيبَ) يحدو الخرابا

قيلَ: يمحو مجاعةَ (الهندِ) صيفاً
قيلَ: بل يستهلُّ (هِنْداً) شَبابا

قيلَ: مِنْ خارجِ التقاويمِ يأتي
مِنْ وراءِ الحسابِ يُلغي الحسابا

يُبدعُ العالمَ الصَّديقَ ويُنسي
ثانياً، ثالثاً، نِعاجاً، ذئاباً

طاوياً كُلَّ مَنْ دعوهم رؤوساً
دافناً كُلَّ مَنْ تسمَّوا ذُنابى

وسيبدو عاماً أشذَّ صبيٍّ
أو يُسمَّى أحنى عجوزٍ تصابى

ثم يبدو غيرَ التي لقَّبُوها
ثورةً، غيرَ ما دَعوْهُ انقلابا

ويُرى مِنْ وضوحِهِ كوليدٍ
يرتدي عُرْيُهُ الطُّفولي ثيابا

قيلَ: هذا وتارةً عكسَ هذا
ليت شِعري: أذاكَ أَمْ ذا أصابا؟

●●●

هذا اليأس

نوفمبر 1981م

تُـرى، مـا نـوع هـذا الـيـاسْ؟ وهـل لـقـيـاسـه مـقـيـاسْ؟
كـسـقـفِ الـسـجـن يـمـنـاهُ بـنـانْ شـمـالـه أمـراسْ
لـه رأسـانِ فـي رأسٍ وظـهـرٌ مـثـلُ ألـفَـيْ راسْ
وأذقـانٌ بـلا شَـعْـرٍ وأيـدٍ شَـعـرُهـا مـيَّـاسْ
وجـذعٌ لا أسـاس لـهُ وجـذعٌ ثـابـتُ الآسـاسْ

* * *

ألا تـدري لـهُ بـدءاً؟ فـهـل يـأتـي مِـنَ الأرمـاسْ؟
عـلـيـه روائـحُ الـمـوتـى ورعـبُ الـسـوقِ والـمـتـراسْ
تُـرى، مِـنْ أيـن مـأتـاهُ ومـا يـطـوي مِـنَ الـوسـواسْ؟
أراهُ فـوق مَـنْ قـامـوا وتـحـت مـلامـحِ الـجُـلاَّسْ
هـنـاك يـلـوح سـلـطـانـاً وشـيـطـانـاً هُـنـا خَـنَّـاسْ
فـهـل فـي قـلـبـه حِـسٌّ؟ وهـل فـي سـمـعِـهِ إحـسـاسْ؟

* * *

يـجـوس الـبَـدْءَ والـمَـنْـهـى ولا يـنـجـرُّ كـالـجـوَّاسْ
عـلـيـه عـمـائـمٌ كـالـدُّو رِ، فـوق رُبـاً مِـنَ الأتـيـاسْ
دنـيءُ الـسَّـيْـرِ والـمـسـرى جـبـانُ الـغـيـمِ والإشـمـاسْ
ألا يـبـدو لـه نـوعٌ ويـغـشـى سـائـرَ الأجـنـاسْ؟
يُـدوِّي تـحـت جـلـد الـصَّـمْـ ـتِ، يـعـوي فـي فـمِ الأجـراسْ

يــحــنُّ بــغُــلَّــةِ الــظــامــي ويَــغْــلــي فــي عــروقِ الــكــاسْ
يُــدَمِّــي الــمــأتــمَ الــبــاكــي يــحــلُّ جــوانــحَ الأعــراسْ
ويــعــلــو صــهــوةَ الــمُــثــري يــجــرُّ عــبــاءةَ الإفــلاسْ
ويــربــو فــي بــيــوتِ الــمــا لِ، يــســعــل فــي حشا الحُرَّاسْ
ومِــنْ ســوقٍ إلــى ســوقٍ يــســوق الــرِّقَّ والــنَّــخَّــاسْ
يــئِــنُّ بــقــبــضــةِ الــحــذَّا دِ، يــبــكــي فــي يــدِ الــنَّــحَّــاسْ
يــبــيــع الــخــوفَ أقــراصــاً ويــبــتــاعُ الــمــنــى أكــيــاسْ
يُــديــرُ الــحــكْــمَ والــمــحــكــو مَ والــمــدســوس والــدَّسَّــاسْ
يُــشَــكِّــلُ طــعــمَــهُ خــمــراً مِــيــاهــاً، مــســرحــاً، كُــرَّاسْ
أنــاشــيــداً وأخــبــاراً دمــاً، فــوق الــدَّمِ الــنَّــعَّــاسْ
نــهــوداً مِــنْ غــبــارِ الــلَّــيْــلِ، مِــن تِــبــن الأســى أكــداسْ
عَــشــاءً مِــنْ حــلــيــبِ الــرِّيْــحِ، أوهــامــاً مِــنَ الألــمــاسْ
طــوابــيــراً تــفــوق الــعَــدَّ، بــالأخــمــاسِ والأســداسْ
(بَــســوســاً) فــي حــمــى (رومــا) وسُــوقــاً فــي حِــمــى (جَــسَّــاسْ)
مــرايــا لا تــرى شــيــئــاً وجــوهــاً تــمــضــغ الأنــفــاسْ

* * *

يــرى مِــنْ شــوكِ إبــطــيْــهِ ومِــنْ عُــكَّــازِهِ الــنُّــوَّاسْ
ويــرمــي تــارةً نــاراً ويــهــوي تــارةً كــالــفــاسْ
وطَــوراً يــقــرأ الأبــرا جَ، طــوراً يــخــنــق الــنِّــبْــراسْ
وحــيــنــاً يــرتــدي الــمــحــرا بَ، حــيــنــاً يــلــبــسُ الــقُــدَّاسْ
ويــومــاً يــوقــد الــثَّــورا تِ، يــومــاً يــبــلــعُ الأقــبــاسْ

هــنــا يــهــمــي تــوابــيــتــاً هــنــا يــنــقــضُّ كــالأفــراسْ

هــنــا يــنــصــبُ أحــجــاراً ويــمــشــي هــاهُــنــا كــالــنَّــاسْ

تُــرى، مــاذا تُــســمِّــيــهِ عــيــونُ الــرَّمْــزِ والأقــواسْ؟

⊛⊛⊛

إحدى العواصف

أكتوبر 1979م

كتلفُّتِ الذكرى الحميمةْ: كذهول أيّامِ الهزيمةْ
كفرار محكومٍ عليـ ـهِ، كزوجةٍ أمستْ غريمةْ
كوثوب مزبلةٍ، لها ساقٌ على أخرى جثيمةْ
كدبيبِ أوّلِ سكرةٍ كختام أُغنيةٍ كليمةْ
جاءت منوَّعةً كما يروون أخبار الجريمةْ
وكما يُصيخ المخبرو نَ إلى تزاويقِ النَّميمةْ
تهمي كَحَكْيِ البدوِ عن أسواق عاصمةٍ فخيمةْ
تختالُ كـ(امرأة العزيـ ـزِ) وتنحني مثلَ البهيمةْ
كالرَّمل تصهلُ، كالطبو لِ تنقُّ، تخطبُ كالحكيمةْ
كجِدالِ برميليْنِ، عن أيِّ الأمور هي الصميمةْ

* * *

تُلقي ترهُّلَها على مِزقِ العشيَّاتِ السئيمةْ
في كل مِرآةٍ تُفتِّـ ـشُ عن ملامحِها القسيمةْ
ومِنَ الرمادِ إلى الرما دِ تزفُّ طلعتَها الوسيمةْ
تَعْوَجُّ حتى الركبتيْـ ـنِ وتنثني كالمستقيمةْ
تلجُ الثقوبَ إلى الثقو بِ لأنها ليست جسيمةْ
ولأنها الأمُّ العقيـ ـم أرادتِ الطرقَ العقيمةْ

فـي سِـنِّ والـدةٍ، تـتـو قُ إلى الرضاعةِ كالفطيمة
ولـها قوائم فرختيْـ ـنِ وقامةُ امرأةٍ لحيمة
مِنْ خيفة الشيطانِ تَحْـ ـمِلُ كلَّ أمسية تميمة
وعلى شوارع ظَهرِها تلهو الشياطينُ الرجيمة

* * *

تمضي، كعادتها بلا جدوى، تجيءُ بدون قيمة
بالزرع تعصفُ، بالصخو رِ تلوذ، تبسمُ كاللئيمة
فَتُعدِّدُ الأزواجَ، وَهْـ ـي العانسُ الولهى الدَّميمة
وعلى مناكبِها تجيءُ حقائبُ الخُططِ الأثيمة
وكتائبُ (السُّفْلِيْسِ) مِنْ أنواع (ريتا) أو (بسيمة)
تستورد (السرطانَ) تَحْـ ـسَبُهُ مساعدةً كريمة
وبغير مسمعِها تُصِيـ ـخُ إلى البراكينِ الكظيمة

* * *

أهيَ الوخيمةُ يا هبو بُ أمِ المهبَّاتُ الوخيمة؟
سَلِمتْ يداها، قُلْ معي ألأنها ليستْ سليمة؟
أأتتْ كاحدى العاصفا تِ مِنَ النسيم أو النَّسيمة؟
أهي الذَّميمةُ يا روا بي؟ أم أُبُوَّتُها الذَّميمة؟
اسْكتْ، لأن فم التقصِّـ ـي يجرح اللغةَ الرَّخيمة
وهلِ التَّردّي طبعُها؟ أَلِفتْ عوائدَها (حليمة)

* * *

تخشى وترجو، لا تصا دِقُ، لا عداوتُها أَلِيمَة
كالوارث المطلاقِ، تَهْـ ـوَى كالمطلَّقةِ النَّهيمة

كـسـلـى وأنـشـط مِـنْ ذبـا ... بِ الـصـيـف، مُـترفـةٌ عـديـمـةْ

فـي جـعـبـة الـتُـجَّـار جَـنْـ ... ـهَـتُـهـا، نـوايـاهـا الـكـتـيـمـةْ

مِـنْ كـل مـوطـوءِ الـدِّمـا ... غِ، لـهـا نـديـمٌ أو نـديـمـةْ

مـشـدودةٌ بِـعُـرىً هـنـا ... كَ وعـن هـنـا بـاتـت صـريـمـةْ

تـعـرى وتـلـبـس كـلَّ عَـيْـ ... ـدٍ طيف (صعدةَ) و(الجميمةْ)[1]

وتـقـول: والـدُهـا (يَـرِيْـ ... ـمٌ)، أُمُّـهـا تـدعـى (يـريـمـةْ)

وقـريـنُ عـمَّـتـهـا (نـعـيـ ... ـمٌ) واسْـمُ خـالـتِـهـا (نـعـيـمـةْ)

اسـمـيَّـةٌ، مـا لـونُـهـا؟ ... ألـهـا روائـحُـهـا الـشـمـيـمـةْ؟

حـتـى الأسـامـي تَـرْتَـدِيْـ ... ـهـا تـلـك أوسـمـةُ الـعـزيـمـةْ

رمـزُ الـمـواطِـنـةِ الـتـي ... بـسـوى لـوازمـهـا لـزيـمـةْ

لا فـرق فـي أسـمـائِـهـا ... بـيـن الـمُـمـيـتـةِ والـمُـنـيـمـةْ

* * *

تـنـأى عـن الآتـي، تـعـو ... دُ، تَـظَـلُّ رائـحـةً مُـقـيـمـةْ

تُـومـي كـواعـدةٍ، كـقـا ... تِـلَـةٍ بـمـهـنـتِـهـا عـلـيـمـةْ

تـهـوي وتـصـعـد كـالـدُخـا ... نِ، حـصـى تـبـدو زعـيـمـةْ

وكـأنَّ حـشـدَ غـبـارِهـا ... أبـطـالُ مـلـحـمـةٍ قـديـمـةْ

* * *

كـالـدُّود، لـم يـنـبـث لـهـا ... عـظـمٌ وسـمُّـوْهـا الـعـظـيـمـةْ

وهـي الأقـلُّ مـن الـتـسـا ... ؤلِ والإجـابـاتِ الـسـقـيـمـةْ

وأقـلُّ مِـنْ بـردِ الـمـديْـ ... ـحـةِ مِـنْ حـراراتِ الـشَّـتـيـمـةْ

لـلـطِّـيـن تُـولـمُ، تـبـتـنـي ... عـرشـاً بـرائـحـة الـولـيـمـةْ

---

(1) صعدة، الجميمة، يريم: أسماء مناطق يمنية.

تَـهَـبُ الـكـؤوسَ وتـحـتـسـي دمَـهـا، وتـحـسـبُـهُ غـنـيـمـةْ
وعـلـى تـجـاعـيـد الـفـرا غِ تـصـفُّ أقـنـعـةً نـظـيـمـةْ
وتَـهُـبُّ عـن أمـر الـمـصـا رفِ والـوعـودِ الـمـسـتـديـمـةْ
يـا مَـنْ تـبـنَّـوْا يُـتْـمَـهـا مَـنْ مـنـكـمـو أكـل الـيـتـيـمـةْ

❂❂❂

زوّار (الطَّواشي)

أكتوبر 1982م

كــان يــرتــادُ (الــطَّــواشــي)[1] راكــبــاً بــغــلاً ومــاشــي
تــارةً يــلــبــس طِــمْــراً تــارةً أزهــى الــتَّــواشــي
كــان يــخــشــى مَــنْ يــراهُ كــلُّ راءٍ مــنــهُ خــاشــي

* *

لــي هــنــا حــامٍ كــأهــلــي وحِــمَــىً يــبــغــي انــتــهــاشــي
مــا لــهــم يــكــسون جِــذْعــي أعــيــنــاً تــحــسو مُــشــاشــي
هــل دَرَوْا أوطــارَ قــلــبــي مِــنْ ضــمــوري وانــتــفــاشــي؟
أَلِــفــوا الــدهــشــةَ مــنــي وأنــا طــال انــدهــاشــي
جــاوزوا دَورَ الــتــوقِّــي كــيــف أجــتــازُ انــكــمــاشــي؟
أخــطــر الــشُّــبَّــانِ (ســعــدٌ) (زيــدُ يــحــيــى) و(الــرِّيــاشــي)
أَعــنــفُ الــنــسوانِ (سُــعــدى) (مــريــمٌ بــنــتُ الــخَــبــاشــي)
ســوف أُخــفــي مِــنْ نــفــوري ولــهــم أُبــدي بــشــاشــي
فــأُحــيِّــي مَــنْ أُلاقــي وأُغــالــي فــي الــتَّــحــاشــي
ربَّــمــا ارْتــابــوا بــصــمــتــي ربَّــمــا. أوحــى نــقــاشــي
ربَّــمــا أجــدى ثــبــاتــي ربَّــمــا خــان ارتــعــاشــي

* *

(1) الطواشي: أحد أحياء صنعاء القديمة وفيه حمّام تركي شهير

سألوا: أهُوَ وليٌّ؟ أهو للسلطانِ واشي؟
أهو داعٍ (حوشبيٌّ)[1] أهو عفريتٌ براشي؟
قيلَ: مسؤولٌ كبيرٌ قيلَ: مرشوٌّ وراشي
(قاتُهُ) المختارُ (وادي)[2] كوزُهُ المخصوصُ (باشي)[3]
قال شيخٌ: ذا مُخيفٌ واكتبوا: قال (الحفاشي)
دخلُهُ في كل يومٍ فوق أضعاف معاشي
صحنُهُ يكفي جياعي كأسُهُ يروي عطاشي

*

قيلَ: يحتازَ كتاباً كلُّ سرٌ فيه فاشي
قيلَ: يحوي ألفَ سِفرٍ ويعي حتى الحواشي
فهو يروي عهد (باذا نَ) وتاريخ (النَّجاشي)
يعرفُ الأمس ويدري كم ستأتي مِنْ غواشي
ولماذا لم يُعلِّمْ؟ كـ(الشَّهاري) كـ(الخراشي)
أهو يتلو كـ(الرّقيحي)؟ أهو يشدو كـ(العتاشي)
أو كـ(عِزِّ الدِّينِ يروي برمكيّاتِ الرَّقاشي[4]؟

*

مذ تبدَّى وهو يغشى بيتَ جلاَّبِ المواشي
مَنْ رآهُ قال يوماً: هات لي أو خذ كباشي

---

(1) حوشبي: نسبة إلى (ابن حوشب) الذي كان أمير (مَسوَر) ومعلم المذهب الإسماعيلي في القرن التاسع الميلادي.

(2) القات الوادي: أغلى أنواع القات.

(3) باشي: نسبة إلى ماء عذب كان يشتريه القادرون على تناول القات.

(4) الرقاشي: هو شاعر عباسي انقطع لمدح البرامكة.

ويــغــادي (تــلــك) حــيــنــاً وأحــايــيــنــاً يُــعــاشــي

قــائــلاً: يــصــفــو شــرابــي هــاهُــنــا يــحــلــو انــتــعــاشــي

فــسُــهــيْــلٌ ســقــف بــيــتــي وثــريّــاهُ فــراشــي

* * *

عــرفــوهُ، كــان عــطّــاراً وأيــامــاً قــمــاشــي

واسْــمُــهُ بــالأمــس (حــلــمــي) واســمــه الــيــوم (الــهــتــاشــي)

* *

فــغــدا يــخــفــى ويــبــدو ثــم يــطــويــهِ الــتّــلاشــي

صــار أســمــار الــعــشــايــا وأحــاديــث الــمــمــاشــي

* * *

أولاد عرفجة الغبشي

قيلَ عنهم: تمرَّدوا وأطاعوا
وكأمثالهم، أضاعوا وضاعوا

قيلَ: جاؤوا مِنْ صخرتينِ بوادٍ
قيلَ: شبُّوا كما تطول التِّلاعُ

قيل: هم إخوةٌ، وقيلَ: رفاقٌ
قيلَ: هم جيرةٌ غذاهم رَضاعُ

ذو أصولٍ، أعلى المزايا لديهمْ
سلُّ سيفٍ أحدَّ منه الذراعُ

*

قيلَ: كانوا إذا أجالوا سيوفاً
في رُبا (صعدةٍ) أضاءت (رداعُ)

وإذا أولموا بـ (صعفانَ)[1] ليلاً
كان لِلَّيلِ في الخليج التماعُ

قيلَ: كانوا كواكباً فاستحالوا
وادياً للشموسِ فيه انزراعُ

فترى الأرض حيث حلُّوا سماءً
ولهم مثلُها سناً واتساعُ

---

(1) صعدة، رداع، صعفان: مناطق يمنية متباعدة.

ولهم نسبةٌ إلى كل برقٍ
وعلى نيَّةِ الرِّياحِ اطِّلاعُ

* * *

قيلَ: إن الصخور كانت رطاباً
في صباهم وللرَّوابي شراعُ

رضعوا في الصِّبا حليبَ الثُّريا
وارتَعَوْا قامة الرُّبا حين جاعوا

قال راوٍ: هم أربعون، وثانٍ
قال: هم تسعةٌ وعمٌّ شجاعُ

فانبرى ثالثٌ: تعُدَّانِ ماذا؟
هم أُلوفٌ كما تمور القلاعُ

هل تكيلانِهم؟ نعمْ هم لدينا
نصفُ صاعٍ وقلْ إذا شئتَ: صاعُ

ربما تَشبرانِهم ذات يومٍ
ربما أوَّل القياس ابتداعُ[1]

* * *

قال بعض المحلِّلين: أطلُّوا
فجأةً في الدجى فهزُّوا وراعوا

قبل أن يظهروا أتى الوصفُ عنهم
فرآهم، قبل العيانِ السَّماعُ

(1) أول القياس ابتداع: إشارة إلى الذين رأوا القياس بدعة حين ارتآه (أبو حنيفة).

وأضــافَ: اغْـتَـلَـوْا قـلـيـلاً وأغـفـوْا
هــل أقــول اشــتـروْا حـمـاسـاً وبـاعـوا؟

حــيـن ذاك الـتـقـوْا بـزغـبِ الأمــانـي
مـثـلـمـا يـلـتـقـي الـنـدى والـشُّـعـاعُ

قــال مـسـتـبـصـرٌ: أَتَـوْا فـي زمـانٍ
لـلـنـقـيـضـيْـنِ فـي يـديْـهِ اجـتـمـاعُ

فـلـهـم كـالـزمـانِ قـحـطٌ وخـصـبٌ
وطـفـورٌ كـمـوجـةٍ وارتـجـاعُ

ولـهـم مـثـلُ ركـبـتـيْـهِ انـحـدارٌ
ولـهُـمْ مـثـلُ حـاجِـبـيْـهِ ارتـفـاعُ

عـن حـكـايـاتـهـم أشـاعـوا كـثـيـراً
واسـتـزاد الـصـدى إلـى مـا أشـاعـوا

* * *

قَـصَّ عـنـهـم (مـؤرخٌ) كـيـف جـاؤوا
قـال ثـانٍ: مـضـوْا وجـاء الـصـراعُ

مـا تَـراهـم تـدافـعـوا ثـم قـرُّوا
وامـتـطـى الآن نـفـسـهُ الانـدفـاعُ؟

حـيـنـمـا أقـبـلـوا تـغـنَّـى الـتـلاقـي
فـلـمـاذا لا يـكـفـهِـرُّ الـوداعُ؟

شـوَّهـتْـهـم صـحـيـفـةٌ كـالأعـادي
وأعـادت صـحـيـفـةٌ مـا أذاعـوا

قيلَ: جاؤوا النزاع لمَّا تبدَّوْا
قيلَ: مِنْ قبلهم أفاق النزاعُ

قيلَ: جاؤوا البقاعَ كي يحرقوها
قيلَ: جاءت إلى الحريق البقاعُ

قيلَ: نابوا عن الغبار فهبُّوا
ثم ناب الغبارُ عنهم فماعوا

عجزوا حين حاولوا أن يطيروا
وأرادوا أن يهبطوا فاستطاعوا

ثم قالوا: تزوَّجوا (بنتَ آوى)
وأطالت حفلَ الزِّفافِ السِّباعُ

وتبنَّى الحيادَ هذا وهذا
واتَّقى ما انطوى عليه القناعُ

قيلَ: هذا، وقد يقال سواهُ
كلُّ ماضٍ للقادمينَ مُشاعُ

❁❁❁

أسمار أُمِّ ميمون

مارس 1982م

كـــانـــت بـــكـــلِّ عـــشـــيَّـــة تـــروي
خَـبَـرَ الـطـرابـيـشِ[1] الـتـي تَـهْـوي
عـــشـــرون طـــربـــوشـــاً هـــنـــاك هـــوَتْ
وهـــنـــا ارتـــمـــى ذو الـــشـــاربِ الـــمَـــلْـــوي

❊ ❊

مِـــنَّـــا افـــتـــقـــدْنـــا ســـبـــعـــةً وفـــتَـــىَ
نُـــخـــنـــا، وكـــان نُـــواحـــنـــا يـــكـــوي
نـــفـــنـــى تـــآويـــهـــاً وتُـــشـــعـــلـــنـــا
(أَمَـــةُ الـــجـــلـــيـــلِ) وزوجـــةُ (الـــحـــروي)
ويـــضـــجُّ (مـــســـعـــودٌ) فـــيـــرعـــبُـــنـــا
فـــمُـــه الـــعـــريـــض وصـــوتـــه الـــنِّـــشـــوي
كـــانـــت (لـــمـــيـــسُ) تـــصـــيـــح : وا ولـــدي
و(ابـــن الـــشـــريـــف) يـــصـــيـــح : وا صِـــنْـــوي
وأبـــي يـــقـــول لـــكـــل مـــكـــتـــرثٍ :
قَـــدَرُ الـــشـــجـــاع الـــقـــتـــلُ يـــا (خُـــوْي)

---

(1) الطرابيش: إشارة إلى العسكرية التركية.

وغــــرابــــة الأطــــوار لازمــــةٌ
لـلـحـرب، مِـنْ تـكـويـنِـهـا الـعـضـوي
فــي الــلّـيــلــةِ الأخــرى بــدا قــمــرٌ
زاهٍ إلــى (الأروام)[1] يــســتــهــوي
فـتـكـبّـدوا تـسـعـيـنَ واقـتـنـصـوا
مِـنَّـا (ابـنَ عـيـسـى) و(ابـنـة الـبَـذوي)

* * *

قــلــنــا انــتــهــيْــنــا وهــي مــا بــدأتْ
وأكـفُّـنـا مِـمَّـا بـهـا تَـخْـوي
مِــنْ خــلــف ذاك الــتَّــلِّ بــاغَــتَــنــا
جـيـشٌ، نـوانـا قـبـل أن نـنـوي
دخــل الــبــيــوتَ فــلــم يــجــد أحــداً
وغــدا بــهــا كــالــثــعــلــبِ الــمَــزْوي
جــئــنــا إلــيــهِ مِــنْ هــنــا وهــنــا
فــارتــدَّ فــوق دمــائِــهِ يَــغــوي
ويــفــرُّ مِــنْ عــرقــوبِــهِ وعــلــى
قـدَمـيْـه يـسـقـط نـصـفُـهُ الـعُـلْـوي
فــاخــتــارَ (عــزّت) مَــنْ يُــبــلِّــغُــنــا:
كُـفُّـوا عـن الـفـوضـى، خـذوا عـفـوي

* * *

(1) الأروام: كان اسم الأتراك عند أهل اليمن أيام الاحتلال كما كانوا يسمونهم (هماشلة) و(أرانيط).

فـي (الـشّـعْـبِ) أرْدَوا (مـرشـداً) وأخـي
واسـتـوحـدونـي فـانـثـنـوْا نـحـوي
نـاديـتُ: يـا أهـلَ الـحـمـى، فـعـدَتْ
كـلُّ الـقـرى كـالـعـاصـفِ الـشّـتْـوي
قـالـوا: أريـنـا أيـن مـكـمـنُـهـم
فـحـمـلـتُ فـأسـي، واحـتـذَوْا حَـذْوي
وفـرحـتُ حـيـن رأوْا بـنـي وطـنـي
وامـتـدَّ فـوق عـيـونِـهـم زهـوي
مـنـهـم قـتـلـنـا تـسـعـةً، قـتـلـوا
عـشـريـن مِـنَّـا . . آهِ وا شَـجْـوي
أحـسـسْـت كـلَّ مـمـزَّقٍ جـسـدي
ورأيـتُ كـلَّ مـعـفَّـرٍ شِـلْـوي

* * *

كـانـت بـلا نـارٍ بـنـادقُـنـا
ومـدافـعُ (ابـنِ الـهَـمْـشَـلـي) تَـذْوي
والـفـردُ مـنـهـم حـجـمُ أربـعـةٍ
مِـنَّـا، ونـحـن كـزرعِـنـا نـذْوي
يـوم اسـتـبـى الـخـيَّـال (عـافـيـةً)
صـاحـتْ، فـلـبَّـى (أحـمـد الـصُّـلْـوي)
وهـنـاك جـاءت كـلُّ رابـيـةٍ
بـرمـاحِـهـا، كـالـمـاطـر الـغُـذْوي[1]

(1) الغذوي: مطر الصباح المصحوب بالعواصف والرعد.

واشـــــتـــــدَّ ذاك الـــــيـــــومُ، لا فـــــرسٌ
يـــنـــجـــي ولا مِـــنْ مـــهـــربٍ يـــؤوي

فـــي ذلـــك الـــيـــومِ ارتـــدى دمَـــهُ
عـــمِّـــي، وضـــاع (مـــحـــمَّـــدُ الـــغُـــزْوي)

هـــدرتْ بـــ(قـــاعِ الـــبَـــونِ) مـــعـــركـــةٌ
قـــالـــت لـــغـــازي الـــدّارِ: ذقْ غَـــزْوي

كُـــنَّـــا نـــصـــيـــرُ بـــعـــنـــفِ قـــوَّتِـــهِ
أقـــوى، ويـــعـــيـــا كـــيـــف يـــســـتـــقـــوي

* * *

يـــومَ (الـــمـــقـــاطـــرةُ) اغـــتـــلـــتْ غـــضـــبـــاً
قـــالـــت لـ(عـــصـــمـــت): هـــل تـــرى صـــحـــوي؟

هـــطـــلـــتْ عـــلـــيـــهِ الـــنـــارَ قـــلـــعـــتُـــهـــا
فـــانـــدكَّ مـــثـــلَ الـــطـــحـــلـــبِ الـــمَـــشْـــوي

وهـــنـــا ســـمـــعْـــنـــا الأرضَ تـــخـــبـــرنـــا:
إنـــي أكَـــلـــتُ مَـــنِ ابـــتـــغـــوْا حَـــشْـــوي

* * *

آبـــاؤكـــم كـــانـــوا أعـــزَّ عـــلـــى
ذهـــبِ (الـــمُـــعِـــزِّ) وكُـــلُّ مـــا يُـــغْـــوي

مـــاذا أقـــصُّ الـــيـــومَ؟ كـــم ســـقـــطـــوا
والـــمـــوتُ لا يـــغـــفـــو ولا يـــثـــوي

كـــان الـــصـــبـــاحُ كـــأنـــفِ أُمـــســـيـــةٍ
كـــان الـــدجـــى كـــالـــمـــلـــعـــبِ الـــجَـــوِّي

والآن هــــل ألــــقـــى مـــعــــازفَـــهُ
زمـــنُ الأســـى كـــي يـــبـــتـــدي شـــدوي
وتـــنـــحـــنـــحَـــتْ كـــي تـــبـــتـــدي خَـــبـــراً
فـــبـــكـــتْ، فـــغـــاص أمـــرُّ مـــا تـــحـــوي
حـــدثَ الـــذي . والـــدمـــعُ يـــســـبـــقُـــهـــا
ويـــقـــولُ عـــنـــهـــا غـــيـــرَ مـــا تـــطـــوي

❂❂❂

من حماسيّات (يعرب الغازاتي)

30 مارس 1982م

نحن أحفاد عنترةْ ... نحن أولادُ حيدرَةْ[1]

كلُّنا نسلُ خالدٍ ... والسيوفِ المشهَّرَةْ

يعربيُّون، إنما ... أمُّنا اليومَ (لندرَةْ)

أمراءٌ، وفوقَنا ... عينُ (ريجنْ) مُؤَمَّرَةْ

وسكاكينُنا على ... أعينِ الشعبِ مُخبِرَةْ

نحن للمعتدي يدٌ ... وعلى الشعبِ مجزرَةْ

* * *

كلُّنا سادةُ الرماحْ ... والفتوحِ المعطَّرَةْ

كلُّ ثقبٍ لَنا بِهِ ... خِبرةُ (الدِّيكِ) بالذُّرَةْ

في الملاهي لنا الأَمامْ ... في الحروب المؤخَّرَةْ

حين (صهيونُ) يعتدي ... يصبحُ الكلُّ مقبرَةْ

نحن في اللَّهْوِ أقويا ... ءُ وفي الحربِ مسخرَةْ

إننا أجبنُ الورى ... عندما الحرب مُسْعَرَةْ

نحنُ أبطالُ يعربٍ ... عندما نلعب (الكرَةْ)

ونمورٌ على الظُّبا ... وعلى (الصَّقرِ) قُبَّرَةْ

* * *

نحن في الهزلِ وثبةٌ ... نحن في الجدِّ قهقرَةْ

---

(١) حيدرة: أحد ألقاب علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه.

ليس فينا تقدُّميٌّ سوى الفخْذِ والشَّرَةْ
ذاك حلوٌ مؤنَّثٌ تلك أُنثى مُذكَّرَةْ
تلك أصبى مِنَ ابْنِها ذاك أشهى مِنَ (المرَةْ)
نشتري الناسَ جملةً ننهشُ اللَّحمَ جمهرَةْ
نجعل الحسنَ سِلْعَةً والكفاءاتِ سمسرَةْ
(مونتُ كازلو) خيولُنا وسراديبُ (أنقرَةْ)
الغدا في (سويسرا) والعشا في (أدنْبرَةْ)
آخرُ الليلِ مرقصٌ أوّل الصبح (تَذْكرَةْ)

* * *

سيفُنا (الشِّيكُ) وحدَهُ والسياساتُ حَمْيَرَةْ
نبذلُ (القدس) منحةً نرتدي سوقَ (أسمرَةْ)
ولكي ندَّعي، لنا في الإذاعاتِ زمجرَةْ
نكتري ألفَ كاتبٍ نصفَ مليونِ حُنجرَةْ
هكذا أُمَّةُ العُلا مِنْ عُلاها مُطَهَّرَةْ

◎◎◎

تحوُّلات
(يزيد بن مُفرِّغ الحِمْيَري)

تاريخية بطل القصيدة

1 ـ ولد حوالى عام 640م، كان أجرأ شعراء صدر الإسلام رغم ضعف شوكته القبلية؛ لأنه كان ينتمي إلى غمار اليمنيين، لهذا كان يسمي نفسه في شعره بالرجل اليماني دون تحديد قبيلة بعينها، على عكس سواه من أمثال معاصره (أعشى همدان).

2 ـ كان على جرأته طيب الحضور، وعلى شدة حبه كان شديد البغض والخوف، تنازعه فتيان قريش لحسن عشرته، وتحاموه لحدّة بادرته ولميله إلى الحرية

3 ـ اختاره (عبّاد بن زياد) صاحباً إلى ولايته في (سجستان) على محبة وتوجُّس، وعندما شاهد الريح تلعب بلحية (عبّاد) غلب عليه المزاج الشعري فقال في ذلك المنظر:

الا ليت اللحى كانت حشيشاً   فنعلفها خيول المسلمينا

وكانت أول شرارة عداوة انطوى عليها تجاهل (عبّاد) لحقوق الشاعر من الصلة، فاستدان من التجار للإنفاق على جاريته (أراكة) وعلى غلامه (برد) وكان يحبهما أشد حب كما كانا يحبانه.

4 ـ ألب (عبّاد) على الشاعر الدائنين، فأمر ببيع سلاحه وفرسه وأثاث بيته ثم سجنه فيما تبقى حتى اضطره إلى بيع الجارية والغلام من التاجر (الأرّجاني).

5 ـ لجأ (ابن المفرغ) إلى (يزيد بن معاوية) بدمشق كما تمادى هناك في هجو آل زياد، فطلبه (عبد الله بن زياد) والي العراق، فاستجاب الخليفة يزيد شارطاً ألا يلحق به من العذاب ما يؤدي إلى تلفه، وهناك هجا الشاعر البيتين (السفياني) و(الزيادي) فابتدع له (ابن زياد) أشنع عقوبة إذ سقاه نبيذاً مخلوطاً بالمسهل وربطه إلى خنزير وكلب وطاف به شوارع البصرة، وبعد سجن أيام أرسله إلى أخيه(عبّاد) آمراً أن يمحو

الشاعر باظافره كلَّ ما كتب في هجائهم على الجدران إلى أن وصل إلى (سجستان).

6 ـ بعد سجنه هناك غضب له الشعب فافرج عنه وفي طريقه إلى الشام كان ينشد بغلته المسمّاة (عدس) هذا الشعر:

(عَدَسْ) ما لعبّادٍ عليك إمارةٌ أمنتِ، وهذا تحملين طليقُ

7 ـ اعنف هجائيات (يزيد بن مفرغ) هي تلك النونية التي استهدف بها الزياديين والسفيانيين إذ شهّر باستلحاق (معاوية) (زياد بن سمية) اخاً من السّفاح كما يقول:

ألا أبلغ معاويةَ بنَ صَخْرٍ
مغلغلةً من الرجل اليماني

أتغضبُ أن يقالَ: أبوكَ عفٌّ
وترضى أن يقالَ: أبوكَ زاني

وأُقسمُ أن رَحْمَكَ مِنْ زيادٍ
كرخمِ الفيلِ من ولدِ الأتانِ

وأشهدُ أنها ولدتْ (زياداً)
و(صخرٌ) من سميَّةَ غيرُ دانِ

* * *

وعلى غرار هذه المقطوعة الشهيرة انبنت هذه القصيدة مؤرّخة البطل نفسياً وتحوُّلياً:

لماذا ناب عن سيفي لساني؟
ألي سيفٌ؟ أفي كفِّي بَناني؟

أصيحُ الآن: هل في القلب صوتٌ
بحجمِ الحقدِ، أقوى مِنْ جَناني؟

أصيح، لكي أُدمِّرَ أيَّ سجنٍ
لينفثَ جذوةً بعضُ اختزاني:

«ألا لـيـت الـلّـحـى كـانـت حـشـيـشـاً
فـأعـلـفُـهـا» تـنـاويـرَ اضـطـغـانـي)[1]

* * *

أعــنــدي غــيــرُ هــذا الــحــرفِ يــنــوي
كــمــا أنــوي، يــعــانــي مــا أُعــانــي؟

أريــدُ أقــومُ، أعــيــا بــانــخــذالــي
أُريــدُ الــبَــوحَ، يــعــيــا تُــرْجُــمــانــي

فــأخــتــلــقُ الــمــنــى وأخــاف مــنــهــا
وأشــجــى، ثــمَّ أخــشــى مــا شــجــانــي

لأنَّ مــكــانَ قــلــبــي غــيــرُ قــلــبــي
لأن سَــبِــيَّ أجــدادي سَــبــانــي

لأنــي لا أعــي مــا نــوعُ ضــعــفــي
عــلــى عــلــمــي بــنــوعِ مَــنِ ابــتــلانــي

* * *

ألــي كــفّــانِ؟ يــبــدو، كــنــتُ يــومــاً
فــصــرتُ بــلا يــديْــنِ، بــلا أمــانــي

لأن (الــبــصــرةَ) انــتــعــلَــتْ جــبــيــنــي
وأعــطــتْ ذيــلَ (خــنــزيــرٍ) عِــنــانــي

ســقــتْــنــي الــسُّــمَّ واجــتــرَّتْ وثــاقــي
وأرخَــتْ فــوق نــهــدَيْــهــا احــتــقــانــي

---

(1) تعديل بسيط على النص المثبت في المقدمة: ألا ليت اللحى... إلخ

فـكـنـت أرى الـشـوارعَ تـقـتـفـيـنـي
وتـسـبـقُـنـي إلـى الـسـجـنِ الـمـبـانـي

وأسـمـع زفَّـةً. هـل ذاك عـرسـي؟
أدَفْـنـي أم سـقـوطُ مَـنِ ازدرانـي؟

أتـمـشـي فـي جَـنـازتِـهـا (قـريـشٌ)
وتـزعـمُ أنـهـا قـصـدَتْ هـوانـي؟

ألـي فـي ظـلِّ دولـتِـهـا صَـيـانٌ
فـتـحـلـمُ أنـهـا امـتـهـنَـتْ صَـيـانـي؟

أأخـزانـي الـخـلـيـفـةُ أم تـدنَّـى
لـكـي يـفـنـى وأعـتـنـقُ الـتَّـفـانـي؟

أكـان الـصـمـتُ أجْـدى يـا قـوافـي؟
أأرضـى حـكْـمَ أولادِ الـزَّوانـي؟

أتـعـزفُـنـي سـيـوفٌ مِـنْ حـديـدٍ
ولا أسـتَـلُّ سـيـفـاً مِـنْ أغـانـي؟

وهـذا الـشـعـرُ آخـرُ مـا تـبـقَّـى
مِـنَ الأحـبـابِ فـي زمـنِ الـتَّـشـانـي

* * *

بـدت جَـلْـوى هِـنـاتُ (بـنـي زيـادٍ)
وأدمَـوْا دونـهـا الـمُـقَـلَ الـرَّوانـي

فـأغـرتْـنـي الـقـصـيـدةُ بـالـتَّـحـدِّي
وأغـراهـا بـهـم أخـفـى الـمـعـانـي

تـغـاضـى الـعـارفـون وثُـرْتُ وحـدي
كـفـانـي هـتـكُ مـا حـجـبـوا، كـفـانـي

عـن الـخـيـل امـتـطـوْا دفءَ الـجـواري
غـدا الـفـرسـانُ أفـراسَ الـقـنـانـي

فـتـى (مـرجـانـةٍ)[1] أضـحـى أمـيـراً
دعُـوا جـرَّ الـذيـولِ عـلـى الـغـوانـي[2]

* * *

إذا لـم تـغـضـبـوا مـثـلـي لـهـذا
سـيـتـلـو أوّلَ الـمـكـروهِ ثـانـي

لأنَّ الـشَّـرَّ أخـصـبُ مِـنْ لِـحـاكـم
لأن الـعـجـزَ أوّلُـهُ الـتَّـوانـي

فـهـذا الـعـوسـجُ الـمـلـعـونُ يـنـمـو
بـأعـيـنـكـم وتـنـتـحـرُ الـمَـجـانـي

* *

أقـلـتُ الآن شـيـئـاً؟ هـل أصـاخـوا؟
أمـاتَ الـنـاسُ أم أودى بـيـانـي؟

أذا صـوتـي أنـا أم لـونُ بُـغـضـي؟
أفـي جِـلْـدي سـوى الـرَّجُـلِ الـيـمـانـي؟

---

(1) فتى مرجانة: هو اللقب التعييبي لعبد الله بن زياد.

(2) إشارة إلى قول ابن أبي ربيعة:

كـتـب الـقـتـل والـقـتـال عـلـيـنـا
وعـلـى الـغـانـيـات جـرُّ الـذيـول

أُنـــادي: يـــا (يـــزيـــدُ) إخـــال (بُـــرْداً)
يـنـاديـنـي، فـأهـتـفُ: مَـنْ دعـانـي؟

أكـنـتُ أنـا الـمـلـبِّـي والـمـنـادي؟
وأيـن أنـا؟ أفـتـش. . لا أرانـي

* *

وأبـحـث عـن يـدي شـجـرَ الـعـشـايـا
وعـن وجـهـي الـزَّوايـا والأوانـي!

وعـن جـسـدي أُنـقِّـبُ لا أُلاقـي
سـوى مِـزقِ الـقـمـيـصِ الأصـفـهـانـي

أهـذا الـسـقـفُ، يـا جـدرانُ رأسـي؟
أهـذا الـمـشـجـبُ الـمـحـنـي كـيـانـي؟

يـقـالُ: الـقـبـرُ أحـنـى مُـسـتـقَـرٌ
فـكـيـف لـبـسـتُ قـبـراً غـيـرَ حـانـي؟

لأنـي مـتُّ آنـاً بـعـد آنٍ
أوَدُّ الـيـومَ قـتـلاً غـيـرَ آنـي

أحـاول أن أُغـيِّـرَ أيَّ شـيءٍ
أمـامَ الـقـهـرِ أمـتـحـنُ امـتـحـانـي

أُريـد ولادةً أُخـرى لـمـوتٍ
لـه عـبـقٌ ولـونٌ أرْجـوانـي

وهـل أقـوى وخـيـلُ (بـنـي زيـادٍ)
عـلـى صـدري، وعُـكّـازي حـصـانـي؟

وكــــلُّ بــــنــــي أبـــي مـــثـــلُ الأعـــادي
فـــتـــبّـــاً لـــلأقـــاصـــي والأدانـــي

* * *

«ألا أبــلــغ مــعــاويــةَ بــنَ صــخــرٍ»
أتــيــتَ مُــزامــنــاً ومــضــى زمــانــي

(زيــادٌ) مــنــك نــدعــوهُ (ابــنَ حــربٍ)
وقــد نــدعــو (سُــمَــيَّــةَ أمَّ هــانــي)[1]

ويــا (عــبَّــادُ) أبــحَــرَ (ذو نــواسٍ)
وأبــحــرْنــا عــلــى الــرَّمــلِ الــدُّخــانــي

قــصــدْنــا شــاطــئــاً مــن غــيــر بــحــرٍ
عــن الأمــواج خــوَّضْــنــا الــمــوانــي

فــمــاذا أدَّعــي؟ أُفــرغــتُ حــتــى
مِــنَ اسْــمــي يــا (مــفــرِّغ) مــنْ نَــمــانــي؟

أتــدعــونــي، عــلــى الــمــعــتــاد يــا ابْــنــي؟
هــضــمــتَ هــزيــمــتــي، قــلْ: يــا جــبَــانــي

أتَــلْــمــحــنــي (مُــراديَّ) الــمــحــيَّــا؟
أتــدري الــشــمــسُ أنــي (كــوكــبــانــي)[2]؟

---

(1) سُمية: هي أم زياد من أبي سفيان سفاحاً، أم هاني ابنة عبد المطلب كان النبي يفرش لها رداءه عند زيارتها إياه.. وفي العبارة تهكم بمعاوية لخروجه بهذا الاستلحاق عن الشرع.

(2) مرادي، كوكباني: نسبة إلى منطقتي مراد وكوكبان في اليمن.

أبــوكَ أضــاعَ، يــاأَبَــتــي حِــمــاهُ
وأنــتَ و(حِــمْــيَــرٌ) ضــيَّــعْــتُــمــانــي

لــمــاذا لــم تــجــالــدْ أنــت مــثــلــي؟
أنــا اســتــوطــنــتُ فــي الــمــنــفــى سِــنــانــي

يــدلُّ عــلــيــكَ، يــا ولــدي جــبــيــنٌ
مــعــيــنــيٌّ وصــوتٌ زعــفــرانــي

ورثــتَ مــلامــحــي وفــمــي ورمــحــي
لــمــاذا: لــم تــرثْ عَــنِّــي طِــعــانــي؟

(ســجــســتــانُ) الــتــي شــرختْــكَ. نــصــفــاً
مُــراديّــاً ونــصــفــاً (مَــرْزُبــانــي)[1]

فــصــرتَ مُــرقَّــعــاً مــن ذا وهــذا
أشــدَّ تــمــزُّقــاً مــن طــيــلــســانــي

مــتــى أنــســاكَ عــبَّــادٌ (أزالاً)؟
أمــا ألــهــتْــكَ غــانــيــةٌ وغــانــي؟

لــقــد كــانــتْ (أراكــةُ) عــرشَ قــلــبــي
بــمــغــتــرَبــي، و(بُــرْدٌ) صــولــجــانــي

فــبــعــتُــهــمــا بــرغــمــي، ويــح نــفــســي
وويــلٌ لــلــغــريــمِ (الأَرَّجــانــي)

* * *

أبــي . . . ، أيــن اخــتــفــى؟ أرجــوك مــهــلاً
أمــا هــذا أبــي؟ مَــنْ ذا لَــحــانــي؟

---

(1) مرزباني: نسبة إلى المرازبة وهم أقارب كسرى أو قادة جيشه.

أنــا حــاورتُ شــيــطــانــاً، ولــكــن
هــنــا الــشــيــطــان مِــنْ أحــفــاد (مــانــي)[1]

ومَــنْ شــافــهــتُ؟ ســيــفــاً يــغــرُبــيّــاً
كــأنَّ لــســانَــهُ رمــحٌ (عُــمــانــي)

نــعــم، هــذا أبــي مِــنِّــي تَــبــدَّى
فــأورقَ مــن جــذوري كــلُّ فــانــي

* * *

(عَــدَسْ) لــم تــحــمــلــي مــنــي طــلــيــقــاً
زمــانُ الــغــدرِ مــهــمــومٌ بــشــانــي

وصــلــتُ هــنــا، أكُــلُّ الأرض ســجــنــي
ومــســحــبُ جــثَّــتــي بــعــد انــســجــانــي؟

فــأيَّــةُ بــقــعــةٍ تــدعــى بــلادي
وخــيــطٌ مــن دمــي أضــحــى مــكــانــي؟

* * *

ســأخــلــقُ مــوطــنــاً يــمــتــدُّ مــنــي
ويَــدخــلُــنــي، يــجــدِّدُ عــنــفــوانــي

أعــادتْ صــيــغــتــي تــلــك الــدَّواهــي
عــلــيــهــا غــضــبــتــي ولــهــا امــتــنــانــي

فــكــيــف يُــعــيــدُنــي عِــنــبــاً نــضــيــراً
نــبــيــذٌ قــد تــخــثَّــرَ فــي دِنــانــي؟

* *

---

(1) ماني: فيلسوف فارسي يؤمن بإلهيْن للنور والظلام.

أُحِسُّ، الليلةَ الآفاقَ أزهى
أتوهمني أمِ الوهمُ ارتداني؟

أحرباويَّةٌ حتى الليالي؟
ألِلأشباحِ جلدٌ أفعواني؟

تُرى، ماذا اعترى صورَ المرائي؟
أراها غيرَها.. ماذا اعتراني؟

أتى الوقت المحالُ، أمِ استعارتْ
سوى ميقاتِها هذي الثواني؟

لهذا الحلْمَ وجهٌ (يحصبيٌّ)
لذاك الطيفِ إكليلٌ جُماني

عجيبٌ لمحُ ذاك البرقِ، يبدو
يمانيّاً. أيكذبُني عَياني؟

له أطيابُ هاتيكَ الرَّوابي
له إيماضُ هاتيكَ المغاني

على عينيهِ أطيافٌ كحزني
أناملُهُ كأحلامي قواني

* * *

أهذا البرقُ روحي طارَ منّي
إلى وطني، ومِنْ عيني أتاني؟

أراني الآن رابيةً تُغنّي:
«ألا وا ليلَ دانَ الليلُ داني»[1]

---

(1) لازمة غنائية في أكثر الأغنيات اليمنية: ألاوا ليل دان الليل داني.

يــغـــازلُ نـــاظــري هـــجــسُ الـــمـــراعـــي
ويــلــبــسُ قــامــتــي شـجـوُ (الــشُّــوانــي)

أَتَـــذْكِـــرُ (الـــشَّـــعــيـــدةُ) لـــو رأتـــنـــي
بـــأنـــي طِـــفـــلُـــهـــا مـــهـــمـــا دهـــانـــي؟

أظـــنُّ عـــيـــونَـــهـــا عـــنِّـــي ســتُـــغـــضـــي
وأضـــلـــعَـــهـــا تـــتـــوقُ إلـــى احـــتـــضـــانـــي

ســـتـــهـــمـــسُ: فـــيـــه رائـــحـــتـــي وهـــذا
عـــلـــى شـــفـــتـــيـــه خَـــطٌّ مـــن لِـــبـــانـــي

لـــــه جـــــلـــــدٌ تُـــــرابـــــيٌّ وجـــــلـــــدٌ
مُـــدمًّـــىً فـــوق عـــظـــمٍ خـــيـــزرانـــي

فـــأدعـــو: يـــا (مـــذيـــخـــرةُ)[1] ارقـــبـــيـــنـــي
إلـــيـــكِ الـــبـــارقُ الـــصـــيـــفـــي هـــدانـــي

إلـــيـــكِ عـــبـــرتُ كـــلَّ ركـــامِ عـــصـــري
وبـــالـــمـــســـتـــقـــبـــلِ اخـــتـــزتُ اقـــتـــرانـــي

* * *

ســـتـــســـأل: مَـــنْ أنـــا؟مِـــنْ أيِّ دَوحٍ
(يـــريـــمـــيٌّ) أبـــي، خـــالـــي مَـــدانـــي

إلـــى كـــل الأُنـــاسِ أَمُـــتُّ، إنـــي
(بـــكـــيـــلـــيٌّ)، (حُـــدَيْـــديٌّ)، (خُـــبـــانـــي)[2]

---

(1) مذيخرة مركز في المنطقة الوسطى وكانت عاصمة لـ(علي بن الفضل الحميري) في القرن التاسع الميلادي.

(2) إشارة إلى وحدة الحس الوطني بين المناطق اليمنية المتباعدة.

مـرايـا الـشـمـس، هـل تـجـديـنَ وجـهـي
كـمـا يـهـوى صِـبـاكِ الأقـحـوانـي؟

(يـزيـدُ) الـيـومَ، غـيـرُ (يـزيـدَ) أمـسِ
أتـى الـفـادي مِـنَ الـقـلـقِ الأنـانـي

فَـهـزّي أعـظـمـي سـيـفـاً، لـواءً
ودَمِّـيـنـي، يـزغـرد مـهـرجـانـي

***

للشَّوقِ زمانٌ آخر

فبراير 1981م

هنا تدخل الشمسُ مِنْ كلِّ ثقبٍ
وتحتَ أديمي ليالي الشِّتا

ويلبسُني عُرْيُ هذا الجدارِ
كما يلبسُ الميِّتُ الأموتا

وينهشُني صوتُ أُمِّي العقيمُ
ويوهمُني أنَّهُ رَبَّتا

وكان يُفتِّتُ بعضي ببعضٍ
ويُطعمُني بعضَ ما فتَّتا

ويزقو كعصفورةٍ في الوثاقِ
ترى حولَها خنجراً مُصْلتا

ويسألني البردُ والخوفُ عن
نهاري، فأرجو بأن يسكتا

لأنَّ بقلبي زماناً يلوحُ
وينأى، ويدنو لكي يُفْلتا

وخَبْتاً مِنَ الشوقِ تطهو النجومُ
لأشباحِهِ وجهَ مَنْ أخْبتا

وصمتاً يصوِّتُ من داخلي
وأستفسرُ القفرَ: مَنْ صوَّتا

أحسُّ دويّاً، تجاوبْتَ أنتَ
أصحتُ وأذنايَ لي أصغتا؟

لذا الصوتِ شمٌّ بلا اسْم، لهُ
صدًى يُذهلُ النعتَ أن يَنعتا

له نكهةٌ كغموضِ المصيرِ
كتلٌ على المنحنى نكّتا

كدربٍ نوى يسبقُ العابرينَ
تنادى، ورجلاهُ ما لبَّتا

كمشمشةٍ بكّتتْ عِرْقَها
أرادت، وأغفى الذي بكّتا

* * *

إلى الصمتِ أرتدُّ، أنحلُّ فيهِ
ولا يأذنُ الصمتُ أن أصمتا

فأُصغي هناكَ إلى جنّتينِ
أُحِسُّهما داخلي غنّتا

إلى هاتفٍ، كَسُرَى نجمتيْنِ
على حُلْمِ زيتونةٍ رفّتا

وأدخلُ حينَ تنامُ الغصونُ
إلى الجذعِ، أشتفُّ ما بيَّتا

إذا صرتَ باباً، أتنسى الجذورَ؟
ألا تذكرُ الصخرةُ المنحتا

سأنجرُ من عنتِ العاصفاتِ
برغمي، لكي أحرسَ الأعنتا

وأمسي خفيراً لبيتِ هناك
وللطيرِ كنتُ هنا أبيُتا

* * *

ويا (قاتُ)، مَنْ أوَّلُ القاطفينَ؟
سدَىً خضرتي واسْمُ مَنْ قوَّتا

أخافُ يكونُ الجنينُ الذي
سيحبو، كجدٍّ الذي أسنتا[1]

ألِـ(القاتِ) حسٌّ بأهلِ الحمى
على مَن حنا وبمن أشمتا؟

هنا أدخلُ الرِّيحَ من إبطها
وأوصي المهبَّاتِ أن تخفُتا

أتى سيِّئُ الصيتِ فلتحذروهُ
أتى يبتغي الأعنفَ الأصيَتا

فأيَّ مباغتةٍ تحشدون؟
تنحَّوْا، أرى برقَهُ أبغتا

لقد أزغبتْ بنتُ (عشتارَ) فيهِ
وأُختا (سهيلٍ) بهِ أومَتا

(1) أسنت: عانى سنوات الجوع وهي هنا بمعنى سنوات قحطه.

نسيتُ الكتابَ، اهدئي يا رياحُ
أُريد الكتابَ، الكتاب، الكتا.

ستتلو الندى، تكتبُ الياسمينَ
وتبدي الذي رامَ أن يَكْبِتا

* * *

أتسري؟ إلى أيِّ مستقبَلَيْنِ؟
أقُدَّاميَ اثنانِ؟ وا ويلتا

وأخشى تكون الرِّياحُ اثنتيْنِ
كريحيْنِ قبلَهما ولَّتا

فتحتَ مطلاًّ على كلِّ غيبِ
وأغلقتَ مِنْ خلفِكَ المُلْفتا

* * *

زماني رحيلٌ إلى وعدِ شعرِ
سيأتي، ولهوٌ بشعرٍ أتى

وهزءٌ بمن سوف يعتو غداً
لأني تعلَّمْت مِمَّنْ عتا

توحَّدتُ بالعالَم المستحيل
لأجتاز ذاتي ومَنْ ذَيَّتا

هناك يرى الحبُّ ماذا يُحبُّ
ولا يملك المقتُ أن يمقُتا

زماني حنينٌ ليومٍ مضى
لمجنَى غدٍ قبل أن يَنْبُتا

لِـطـيـفٍ مِـنَ الأمـسِ يـرتـدُّ طـفـلاً
لِـحُـلْـمٍ مـن الـيـومِ يـبـدو فـتـى

لـمـحـبـوبـةٍ وعـدت أن تـجـيءَ
وجـاءت لِـمـامـاً، ولـكـنْ مـتـى؟

أحـبَّـتـكَ شِـيـنـاً وعـيـنـاً وراءً
وأحـبـبْـتَ بـاءً ونـونـاً وتـا. . .

* * *

أمـا يـرسـمُ الـقـلـبُ تـاريـخَـهُ؟
مـرايـاهُ تـمـحـو الـذي أثـبـتـا

فـلا تـبـتـدي الـجـمـعـةُ الـسـبـتَ فـيـهِ
لأن الـخـمـيـسَ بـهِ أسـبـتـا

كـمِ الـسـاعـةُ الآن؟ فـاتـت عـصـورٌ
وعـادت، ولا مـرَّ مَـن فـوَّتـا

أمـا كـتـكـتـتْ سـاعـةٌ فـي الـجـدارِ
جـدارٌ بـلا سـاعـةٍ كـتـكـتـا؟

أَلِـلـشّـوقِ وقـتٌ سـوى شـوقِـهِ
وأغـبـى مـن الـوقـتِ مـن أقَّـتـا

أأَصـغَـى لـهـذا الـمـغـنّـي سـواهُ؟
فـمـن ذا تـغـنّـى؟ ومَـن أنـصـتـا؟

* * *

زَمَكِيَّة

أكتوبر 1982م

المكان الآنَ، والآنَ المكانْ

والذي كان غداً، بالأمسِ كانْ

والذي يأتي، أتى مستقبَلاً

قبل أن يزَّوَّجَ الشوقَ الأوانْ

قبل أن تتلو الشظايا عهدَها

قبل أن يستكتبَ الرُّمحَ الطعانْ

ألغتِ الأفعالُ فعليَّاتِها

شكَّلتْ أسماءها، عنها لجانْ

الزَّمانُ انحلَّ أبحاراً، دماً

البيوتُ استوطنتْ ريحَ الزمانْ

المراعي للثواني لحيةٌ

الثَّواني للمصلَّى لحيتانْ

* * *

الدَّمُ المُدْيةُ، والذبحُ المُدى

والنجاةُ القتلُ، والموتُ الأمانْ

التَّردِّي للتَّردِّي زفَّةٌ

والتوابيتُ نجومُ المهرجانْ

مـــوكـــبُ الأعـــراسِ مـــوتٌ أبـــيـــضٌ
والـــنـعـوشُ الـــخُـرْسُ عـرسٌ مِـنْ دخـانْ

* * *

حـــســـنـــاً، جـــاءت فـــؤوسٌ رطـــبـــةٌ
هـــطـلـــتْ أيـــدِ سـلـيـبـاتُ الـبَـنـانْ

الـــذبـــابُ الـــورقـــي تـــاجٌ عـــلـــى
قـــرنِ (واشـــنـطـنْ) وفَـخْـذُ (الـخـيـزرانْ)

الـــغـــريـــبُ الـــدَّارُ، والـــدارُ عـــصـــاً
فـــي يـــد الـــنـــافـــي وإبْـطِ الـقَـهْـرمـانْ

أصـبـحَ الـعـكـسـانِ عـكـسـاً واحـداً
جـــاوز الـتـخـلـيـطُ شـرطَ الاقـتـرانْ

الـــمـــتـــى أيـــن؟ ومـــاذا هـــاهُـــنـــا؟
وعـــظـــام الـــمـــنـحـنـى كـــانـت فـلانْ؟

الأســـامـــي والـــمـــوامـــي والـــحـــصـــى
كـــلُّـــهـــا رقـــمٌ، ثـــلاثٌ أو ثـــمـــانْ

الـــمـــنـــايـــا كـــالأمـــانـــي كُـــلُّـــهـــا
أضـــحـــتِ اسْـــمـــاً واحـــداً (أُمَّ الـــجـــبـــانْ)

ســـيـــدُ الأســـيـــادِ هـــذا الـــرُّعـــبُ فـــي
كـــفِّـــهِ كـــلُّ مـــكـــانِ صـــولـــجـــانْ

❁❁❁

حوار
فوق أرض الزَّلازل

ديسمبر 1982م

مَـنْ عـلَّـمـهـا الـرَّقْـص الـنَّـاري؟
هـل رنَّـحـهـا الـعـشـقُ الـضـاري؟
فـغـلَـتْ مِـنْ كـلِّ جـوانـحِـهـا
ودوَتْ: ضِـجّـي يـا أوتـاري
وهَـمَـتْ قُـبَـلاً صـخـريَـاتٍ
مـا أقـسـى الـعـشـقَ الأحـجـاري
وامـتـدَّتْ أحـضـانـاً أخـرى
مِـنْ أشـداقِ الـطـيـشِ الـواري
كـيـف ارتـجـلَـتْ أعـتـى طـرَبٍ
اخـتـارتْ، أو قـيـلَ اخـتـاري؟
فـانـثـالـتْ قـصـفـاً تـحـتـيّـاً
وانـهـلَّـتْ كـالـسـيـفِ الـعـاري
وتـلـتْ مـزمـورَ الـمـوتِ كـمـا
يـتـزيَّـا الأُمّـي بـالـقـاري

* * *

أمْ العُزفِ الجاري خرجتْ
عن سلطانِ العُزفِ الجاري

هل ملَّتْ حملَ مناكبِها
فتنادت: أوشكَ إبحاري؟

ماذا يا (مِذْحجُ) هيَّجَها؟
فلتتْ من قبضةِ إصراري

لا الصبحُ تجلّى نيَّتَها
لا أفشاها النجمُ السّاري

هل جاشتْ تبحثُ عن شعبٍ
أطرى، أو عن رعبٍ طاري؟

هل للأرض الكسلى يا ابْني
أوطارٌ تشبهُ أوطاري؟

أوَلَمْ تسمعْ أنشودتَها؟
شاهدتُ حطامي وغباري

قالت لي ما لا أفهمُهُ
عصفَتْ بالمَزْري والزّاري

جاءت مِنْ خلفِ مدى ظنّي
مِنْ خلفِ مرامي أنظاري

* * *

هل قالتْ: هاكَ خطوراتي
فلتعلمْ مِنْ أخطاري؟

لم تتركْ لي وقتاً أُصغي
أو أُبدي بعضَ اسْتفساري

نفثَتْ سِرِّيَّتَها الغضبى
مِنْ قعرِ أرومةِ أسراري

وأظنّي قلتُ لها: اتَّئدي
أو قَرِّي، أو لا تنهاري

لا أدري ماذا قلتُ لها
قالتْ: طلَّقتُ اسْتقراري

ركضَت مِنْ تحتي، من فوقي
مِنْ قدّامي، مِنْ أغواري

مِنْ بين خلايا جمجمتي
مِنْ تحتِ منابتِ أظفاري

حدْسٌ (أذجولوجي) علَّتُها
قال المُقْري: أمرُ الباري

ما جدوى هذا أو هذا
أو ذاك الوصفِ الإخباري

لا شيخُ المسجدِ أوقفَها
لا ألجمَها الـ(مستز لاري)

حتى (رِخْتَرْ[1]) يبدو أغبى
مِنْ ذيَّاكَ العِجْلِ (الذّاري)

* * *

(1) رختر: مقياس درجات الزلازل.

أَبَتي، أضَعُفتَ ولا تدري؟
هربتْ مِنْ حولي أقطاري

وأعزُّ ما آمَنيَ اضطُرَتْ
أن تُمسي خوفاً إجباري

أتُراها أبقتْ لي أثَراً
مَنْ كانت تُدعى آثاري؟

مِنْ خلفِ (الصَيح) لـ(أضرعةٍ)
حُفَري وشظايا حُفَّاري

* * *

أتَشُمُّ هنالكَ أوديتي؟
أتُصيخُ هناك لمزماري؟

أتشاهدُني وأنا أتلو
في قلبِ التربةِ أسفاري؟

يظما المحراثُ فأسقيهِ
عَرَقي وأغنِّي أثواري

أذكرتَ هنالكَ أبْنِيَتي
تحكي للأنجمِ أسماري؟

وتحيِّي الضيفَ بريحاني
وتلاقي الرِّيحَ بإعصاري

* * *

جذَّرتُ الصخرَ على صخرٍ
وهناكَ دُفِنتُ بأطماري

أضـحَـتْ، يـا طـفـلـي مـقـبـرتـي
مَـنْ كـنـتُ أُسـمِّـيـهـا داري

(أوجـارُ الـثـعـلـبِ) تـحـرسُـهُ
فـلـمـاذا خـانـتْ أوجـاري؟

أوكـارُ الـطـيـرِ تُـحـصِّـنُـهُ
وأنـا أكـلـتْـنـي أوكـاري

هـل قـالـت: مَـنْـهـى تـدمـيـري
كـشـفٌ عـن أوّلِ إعـمـاري؟

أتُـرانـي، يـا ولـدي قـمـحـاً
مِـنْ دفـنـي يـربـو إثـمـاري

الـمـوتُ الـفـوْتُ، أتـحـسـبُـنـي
غـيَّـرتُ بـمـوتـي أطـواري؟

هـل أنـتَ الأصـدقُ؟ هـل أرمـي
بـالـتُّـهـمـةِ رؤيـةَ أبـصـاري؟

أنـكـرتُ أمـوراً سـابـقـةً
يـومـاً وسـخـرتُ بـإنـكـاري

* * *

أرجـو، يـا ابـنـي أن تـمـنـحَـنـي
مـعـيـاراً يُـلـغـي مـعـيـاري

أصـبـحـتُ أعـي أنـي غـيـري
هـل فـأرُ الـسَّـدِّ سـوى فـاري[1]؟

---

(1) الفأر: إشارة إلى الأسطورة التي حكت أن فأراً تسبب في هدم سد مأرب.

رجــــفـــــاتُ الأرض، كـــــعــــــادتِـــــهـــــا
دفــــــعَــــــتْ مـــــجــــــراكَ وتـــــيَّـــــاري

الـــــسِّـــــرُّ الـــــنـــــاري فـــــي دمِـــــهـــــا
أذكـــــى فـــــيـــــنـــــا الـــــسِّـــــرَّ الـــــنـَّـــــاري

⊛⊛⊛

الهارب إلى صوته

مارس 1983م

كان يبكي، وليس يدري لماذا
ويغنّي، ولا يُحسُّ التذاذا

وينادي: يا ذاكَ. يصغي لهذا
وهو ذاك الذي ينادي، وهذا

لا يعي من دعا ولا من يُلبّي
كان في صوتِهِ يلاقي ملاذا

مِنْ سراديبِهِ، إلى البوحِ يرقى
يمتطي صوتَهُ ويهمي رذاذا

* * *

ينتمي، يدخلُ الشجيراتِ نَشْغاً
وإلى قلبِهِ يلمُّ الجُذاذا

يقرأ الأرضَ من لغاتِ المراعي
وإلى حزنِها يُطيلُ النّفاذا

وعن المنحنى، عن السفح يحكي
وسوساتٍ، منها الجنونُ استعاذا

وإلى أغربِ القراراتِ يرنو
ويناغي كالطفل: (دادا، حباذا)

أيَّ هـجـسٍ عـن الـمـغـاراتِ يـروي؟
قـيـلَ: يـهـذي، وقـيـلَ عـنـه: تـهـاذى

قـيـلَ: أضـحـى شـيـخَ الـمـجـانـيـن طـرّاً
قـيـلَ: دانـى بـدءَ الـصـبـا، قـيـلَ: حـاذى.

قـيـلَ: لـم يـتَّـخـذْ لـشـيءٍ قـراراً
قـيـلَ: يـبـدو تـجـاوزَ الاتِّـخـاذا

* * *

كـان يـدعـو الـرُّبـا: (سُـعـاداً)، (لـمـيـسـاً)
ويُـسـمّـي الـحـقـول (زيـداً)، (مـعـاذا)

ويُـسـمّـي الـغـبـارَ أطـفـالَ بـؤسٍ
زادَهـم عـاصـفُ الـمـتـاهِ انـشـحـاذا

كـان يـرضـى انـتـبـاذهُ ويُـغـنّـي
لـلـمـنـابـيـذِ وهـو أقـسـى انـتـبـاذا

❁❁❁

رسالة إلى صديق في قبره

فبراير 1983م

هـاهُـنـا عـنـدي غـريـبـاتُ الـعـوادي
عـنـدك الإنـصـاتُ والـهـجـسُ الـرّمـادي

كـيـف أروي يـا صـديـقـي؟ هـل تـرى
أنـنـي أزجـي إلـى الـمـوتـى كـسـادي؟

هـاهُـنـا مـسـراكَ يـلـغـي وحـشـتـي
وصـدى نـجـواك يَـغْـلـي فـي اعـتـقـادي

مِـنْ هـنـا أشـتـفُّ مـاذا تـنـتـوي
أسـأل الـقـبـرَ: أيُـنـسـيـكَ افـتـقـادي؟

إنـنـي يـا ابْـنَ أبـي مـتَّـحـدٌ
بـثـرى مـثـواكَ . . هـل تـرضـى اتِّـحـادي؟

أيـن أنـتَ الآن؟ هـا أنـت مـعـي
نـمـضـغُ (الـسّـوطـي)[1] وأقـوالَ (الـرّوادي)

ونـرى سِـرّيَّـةَ الآتـي كـمـا
تـقـرأ الـبـرقَ نـبـوءاتُ الـبـوادي

نـبـحـثُ (الإكـلـيـلَ، زُرَيـا، رنـدلـى)
نـقـتـفـي كـل رحـيـلٍ سـنـدبـادي

---

(1) السوطي: نوع من القات الرخيص والرّوادي: جمع راديو بالعامية.

نــغــتــذي شِــعــرَ (الــشَّــحــاري) تــارةً
تــارةً نــحــســو خــطــابــاتِ (الــرَّبــادي)

* * *

يــا ابــنَ أرضــي لــم تــغــبْ عــن صــدرِهــا
بــل تــحــولْــتَ جــذوراً لامــتــدادي

بــيــتُــكَ الــشــانــي ذراعٌ مِــنْ دمــي
وأنــا بــيــتــي دمُ الــطــيــفِ الــقَــتــادي[1]

عــنــدكَ الــنــومُ الــطــفــولــي، وأنــا
لــي زغــاريــدُ الــصــواريــخ الــشَّــوادي

لِــنــشــيــثِ الــصــمــتِ تــصــغــي، وأنــا
فــي زحــامِ الــنّــارِ أُصــغــي لاتِّــقــادي

أدَّعــي الــحــشــدَ أمــامَ الــمــعــتــدي
ثــمَّ يــعــدو فــوق أنــقــاضِ احــتــشــادي

وبــرغــمــي يــصــبــحُ الــغــازي أخــي
بــعــدمــا أضــحــى أخــي أعــدى الأعــادي

كــيــف أمــحــو كــلَّ هــذا؟ دُلَّــنــي
لا تــقــلْ، أرجــوكَ: دعــنــي وانــفــرادي

* * *

(1) القتادي: نسبة إلى شوك القتاد الذي ضرب العرب بقوته الأمثال، فقالوا عن الوصول إلى الصعب أو المستحيل: دون ذلك خرط القتاد. والبيت يشير إلى الطيف بأنه جارح كالشوك القتادي ومجروح لشدة اجتياز المرحلة.

يـا صـديـقـي أنـت أدنـى مِـنْ فـمـي
فـلـمـاذا أنـتَ أنـأى مِـنْ مُـرادي؟

أجـتـدي رأيـاً سـديـداً، لا تـقـلْ:
مـثـلـمـا مِـتُّ أنـا أودى سـدادي

* * *

مِـنْ أسـاريـرِ الـحِـمـى سـرتَ إلـى
قـلـبِـهِ كـي تـنـجـلـي يـومَ اسـودادي

أنـتَ فـي الـبـعـدِ قـريـبٌ، وأنـا
فـي غـيـابِ الـقـربِ مـثـلـي فـي ابـتـعـادي

أنـتَ فـي شـبـريـنِ مِـنْ وادٍ، أنـا
خـلـفَ حـتـفـي هـائـمٌ فـي غـيـر وادي

يـا صـديـقـي لَـبِّـنـي أو نـادِنـي
لـم يـعـدْ لـي مَـنْ أُلـبِّـي أو أُنـادي

كـنـتَ تـأبـى الـصـمـتَ، بـل سـمَّـيْـتَـهُ
غـيـرَ مـجـدٍ. فـهـلِ الإفـصـاحُ جـادي؟

آخـرُ الأخـبـارِ: قـالـتْ زحـلـةٌ
أغـصـنـت نـار الـتـحـدّي فـي زنـادي

أخـذتْ (بـيـروتُ) رقـمَ الـقـبـرِ مِـنْ
(صـفـدٍ) قـالـت: عـلـى هـذا اعـتـمـادي

قـال (حـاوي) وهـو يـردي نـفـسـهُ:
يـا رفـاقـي هـذه أخـرى جـيـادي

شاعرٌ ثانٍ تحدّى قائلاً:
الدَّم اليومَ حروفي ومدادي

قلتَ لي يوماً كهذا، إنما
كنتَ توصيني بتثقيفِ اجتهادي

ذلكَ الوُدُّ الذي أوليْتَني
مثلُهُ عندي. فمن أولي وِدادي؟

موطني ينأى ويدنو غيرُهُ
زمناً كان هنا حامٍ وفادي

لا انثنى الماضي ولا الآتي دنا
مَنْ تُرى بينَهما أُعطي قيادي؟

قال لي ذاك: ارتضى إخلادَهُ
قال لي هذا: أرى الآن اتِّئادي

هل تُرى أرتدُّ، أو أمضي إلى...؟
أين أمضي وإلى أين ارتدادي؟

* * *

يا صديقي أسفرَ اليومُ الذي
كان يخفى، وتراهُ نصفَ بادي

كنتَ تُنبي عن حشا الغيبِ كما
كان ينبي ذلكَ (القِسُّ الإيادي)

ربما تبغي جديداً، حجمُهُ
ندَّ عن وصفي كما أعيا ازدرادي

بعد أن متَّ، مضى الموتُ الذي
كان عادِيّاً ووافى غير عادي

صارَ سوقاً، عملةً، مأدبةً
مكتباً، مسعًىً يسمّى بالحيادي

في التراثيّات دكتوراً، وفي
غرف التعذيبِ نفسيّاً ريادي

ويسمّى فترةً ضيفَ الحمى
فترةً يدعى الخبيرَ الاقتصادي

يدخلُ القهوةَ مِنْ فنجانِها
مِن غُصُونِ (القاتِ) يغشى كلَّ صادي

يحرسُ الأثرى، يُباكي مَنْ بكى
يرتدي أجفانَ (عيسى) وهو (سادي)

* * *

يا صديقي لا تقلْ: زعزغتَني
قمْ وقلْ: يا قبرُ فلتصبِخْ جوادي

ذلك الموتُ الذي لاقيتَهُ
ماتَ يوماً وابتدا القتلُ الإبادي

ومدى الرُّعبِ الذي تذكرُهُ
عدَّدَ الأشواطَ، غالى في التَّمادي

ذلك السَّهلُ الذي تعرفُهُ
باتَ سجناً لِضفَّةُ سجنٌ ونادي

مـجـلـسُ الـشـعـبِ ارتـقـتْ جـدرانُـهُ
قـال لـلـجـيـرانِ: ضـيـقـوا مِـنْ عـنـادي

فـأجـابـوا: مـا كـهـذا يـبـتـنـي
بـيـتَـهُ، بـل يـبـتـنـي أقـوى الـمـبـادي

* *

ربّـمـا تـسـألُـنـي عـن (مـأربِ)
وانـبـعـاثِ (الـسَّـدِّ) و(الـشـيـكِ الـزيـادي)

ذكـريـاتُ (الـسَّـدِّ) آلـتْ طـبـخـةً
ثـم عـادت نـاقـةً مِـنْ غـيـرِ حـادي

كـلُّ مـشـروعٍ عـلـى عـادتِـهِ
عـنـده الـتـأجـيـلُ كـ(الـقـاتِ) اعـتـيـادي

و(أبـو هـادي[1]) أتـدري لـم يـعـدْ
أعـزبـاً، قـد زوَّجـوهُ (أُمَّ هـادي)

فـارتـقـبْ ذرِّيَّـةً مـيـمـونـةً
قـبـل أن تـسـتـلـطـفَ الـعـرس الـحـدادي

قـل لـمـن أغـرى انـتـقـادي: بـعـدمـا
نـزلَ الـقـبـرَ عـلا فـوق انـتـقـادي

*

---

(1) أبو هادي: كنية للفقر صارت له اسماً ويقال إنه إشارة إلى رجل كان يسميه الناس في صنعاء (أبا هادي) وكان على شدة فقره يحاول الاتصال بالأغنياء ويتنبل في حكاياته وحركاته مثلهم وكان أعزبَ طول عمره، و(أم هادي) في آخر البيت إشارة إلى التزاوج بين فقيرين أحدهما يكابد شدة الفقر وثانيهما يكابد الغنى الفقير.

يــا صــديــقــي مــا الــذي أحــكــي، ســدَىً
تــســتــزيــدُ الــبــوحَ. مــا جــدوى ازديــادي؟
شــاخــتِ الأمــســيــةُ الــمــلــيــونُ فــي
ريــشِ صــوتــي وانــحــنــى ظــهــرُ ســهــادي
والــســكــاكــيــنُ الــشــتــائــيّــاتُ كــم
قــلــنَ لــي: يــا نــحــسُ جــمَّــرْتَ ابــتــرادي
الــشــظــايــا تــحــتَ جــلــدي، والــكــرى
خــنــجــرٌ بــيــن وِســادي واتّــســادي
أنــتَ عــنــدَ الــقــبــرِ ســاهٍ، وأنــا
أحــمــلُ الأجــداث طُــرّاً فــي فــؤادي
أتُــرانــي لــم أجــرِّبْ جــيّــداً
صــادروا خــطــوي وآفــاقَ ارتــيــادي
مِــنْ نــفــايــاتِ عــطــايــاهــم يــدي
وجــبــيــنــي، وبــأيــديــهــم عَــتــادي
أنــتَ غــافٍ بــيــنَ نــومــيْــنِ، أنــا
بــيــن نــابَــيْ حــيَّــةٍ، وحــشِ رقــادي
مــتَّ يــومــاً يــاصــديــقــي، وأنــا
كــلَّ يــومٍ والــرَّدى شُــرْبــي وزادي
أنــتَ فــي قــبــرٍ وحــيــدٍ هــادئٍ
أنــا فــي قــبــريْــنِ. جــلــدي وبــلادي
إنــمــا مــا زالــتِ الأرضُ عــلــى
عــهــدِهــا، والــشــمــسُ مــا زالــتْ تــغــادي


الناشيء



كائنات الشوق الآخر


الناشيء

غير ما في القلوب

1985م

أقولُ ماذا يا ضُحى، يا غُروبْ؟
في القلبِ شوقٌ غيرُ ما في القُلوبْ

في القلبِ غيرُ البُغضِ غيرُ الهَوى
فكيفَ أحكي يا ضجيجَ الدُّروبْ؟

ويا ثياباً ماشياتٍ على
مشاجبٍ تَفْتَرُّ فيها النُّدوبْ

ويا رصيفاً يحفرُ الصَّبرُ في
لوحيْهِ تاريخَ الأسى والشُّحوبْ

ويا قصوراً يرتديها الخَنا
وترتدي وجهَ النَّبيِّ الكَذوبْ

ويا جُذوعاً لا يُنادي بها
إلا ثقوبٌ طالباتٌ ثُقوبْ

يا باعةَ التَّجميلِ هذي الحُلَى
تهدي إلى ما تحتَها مِنْ عُيوبْ

* * *

أقولُ ماذا يا نسيمَ الصَّبا؟
أقولُ ماذا يا رياحَ الجَنوبْ؟

الحرفُ يحسو قيئَهُ في فمي
والصَّمتُ أقسى مِنْ حسابِ الذُّنوبْ

وهذهِ الأحلامُ تُغْوي كما
تَرواغُ الأعمى عجوزٌ لَعوبْ

فعلِّميني الحزقَ يا كهربا
أو علِّميني يا رياحَ الهُبوبْ

أو مُدَّني يا برقُ أُفقاً سِوى
هذا وبحراً غيرَ ذاكَ الغَضُوبْ

أو حاولي يا سُحْبُ أن تُطفئي
قلبي عسى عن قلبِهِ أنْ يتَوبْ

* * *

مَنْ أغسقَ الأيّامَ يا ريحُ؟ هَلْ
تدري الثُّريَّا أيَّ مسرَىً تجوبْ؟

كلُّ المَدَى أيدٍ ذُبابيَّةٌ
صفايحٌ مكسوَّةٌ بالقطوبْ

حوائطٌ تغدو وتَسْري كَما
تأتي على ريحِ الجفافِ الشُّهوبْ

وقُبَّراتٌ حُوَّمٌ تجتدي
سنابلاً يحوينَ غيرَ الحُبوبْ

يا كُلَّ منقارٍ تناسَ الطَّوى
لا تزعجِ القحطَ الأكولَ الشَّروبْ

تقولُ ماذا؟ علَّ قلبَ الثَّرى
أظمى إلى غيرِ السَّحابِ السَّكوبْ

هَلْ في الرُّبا يا شمسُ غيرُ الرُّبا؟
هَلْ للكُوى معنىً خبيءُ الجيوبْ؟

والسَّفحُ هَلْ فيهِ سِواهُ؟ وهَلْ
في الوردِ غيرُ اللَّونِ غيرُ الطُّيوبْ؟

والشَّمسُ هَلْ في طيِّها غيرُها
فترحلُ الأولى وأُخرى تَؤوبْ؟

* * *

يا شمسُ هَلْ يَدري الضُّحى والدُّجى
مَنْ علَّمَ المنشودَ فنَّ الهُروبْ؟

كُلٌّ لهُ مأساتُهُ، لا أرى
فرقاً ولكنَّ المآسي ضُروبْ

هَلْ يسمعُ الإسفلتُ أوجاعَهُ
أو هَلْ يَرى سِرَّ الزِّحام الدَّؤوبْ

وهل يُحِسُّ (المرسديسُ) الذي
يُزجي لأضنى اللَّحمِ أقوى النُّيوبْ؟

هَلْ للمواني أمنياتٌ تَرى
تلكَ الوجوهَ الباديات اللُّغوبْ؟

هل تنتوي الشُّطآنُ، تَسْعى إلى
مراكبِ العانينَ وقتَ الرُّكوبْ؟

لِـكُـلِّ طـافٍ بـاطـنٌ راسـبٌ
سيرسبُ الطَّافي ويطفو الرُّسُوبْ

* * *

يا كلَّ آتٍ ما أتى مرَّةً
خُذني وأرضِعْني جديدَ الوثوبْ

واختَرْ طريقاً ما رآهُ الذي
عن كلِّ مدعوٍّ وداعٍ يَنوبْ

في القلبِ شيءٌ ما لَهُ سابقٌ
وفيهِ أخفى مِنْ نوايا الغُيوبْ

فيه أمانٍ غيرُ كلِّ المُنى
فيه شعوبٌ غيرُ هذي الشُّعوبْ

لِمْ لا يذوبُ القلبُ مما بهِ؟
كم ذابَ، لكِنْ فيهِ ما لا يذوبْ

رصاصةٌ تُعنى بإسكاتِهِ
ما أسكتَتْ ما فيهِ حتى الحُروبْ

يهتزُّ للنّيرانِ تجتاحُهُ
مُرَدِّداً: كُلُّ كريمٍ طَروبْ

●●●

كائناتُ الشَّوقِ الآخر

لـمـاذا الـمَـقْـطَـفُ الـدَّانـي بـعـيـدٌ عـن يـدِ الـعـانـي؟
لـــمـــاذا الـــزَّهـــرُ آنـــيٌّ ولـيـسَ الـشَّـوكُ بـالآنـي؟
لـــمـــاذا يَـقْـــدِرُ الأعـــتـــى ويَـعْـيـا الـمُـرهـفُ الـحـانـي؟
أيـسـتـسـقـي الـدَّمَ الـصَّـادي نـــدَىً أم خـــنـــجـــراً قـــانـــي؟
أيـخـشـى الـرُّعـبُ رِجْـلـيْـهِ أيـــحـــذرُ كـــفَّـــهُ الـــجـــانـــي

* *

ألا يـسـتـفـسـرُ الـمـصـبـا حُ: كـيـفَ دخـيـلـةُ الـرَّانـي؟
ومـا مـعـنـى أسـى الـشَّـاكـي؟ وكـيـفَ مـخـافـةُ الـهـانـي؟
وهـل يَـشْـتَـوطـنُ الـمَـبْـنـى حـشـاهُ أم يـدَ الـبـانـي؟
أيـدري الـشُّـوقُ والـعَـجَـلا تُ مَـنْ ذا يـحـمـلُ الـثَّـانـي؟
ومَـنْ أهـدى إلـى الأجـدى خُـطى الـمُـضـنـى أم الـضَّـانـي؟
وهـل سَـجَّـادةُ الأفـعـى نـقـيـضُ الـمـرقـدِ الـزَّانـي؟
وكـيـفَ يـوَسْـوِسُ الـمُـفـنـي؟ ومـاذا يـحـلـمُ الـفـانـي؟

* * *

أَأَسْـتَـفْـتـيـكِ يـا أشـجـا رُ؟ فـوقـي غـيـرُ أغـصـانـي
كـومـضِ الآلِ إيـراقـي كـلـغـوِ الـسُّـكْـرِ إعـلانـي
وكـالـحـدَبـاتِ أثـدائـي وكـالـلَّـطـقـاتِ ألـوانـي
أتـسـتـفـتـي أرومـاتـي مـتـى يُـطْـلِـعْـنَ أفـنـانـي؟

أريـــدُ مـــدَىً إضــــافـيّـــاً ثـرَىً مِـنْ صُـنـعِ إتـقـانـي
وتـــاريــخـــاً خُـــرافـيّـــاً أُعـــلّـقُ فـيـهِ قُـمْـصـانـي
أيـــمـكــنُ كـــلُّ مــرفــوضٍ وهـــذا الـشَّـوقُ إمـكـانـي
أيـا بـسـتـانُ هـل تُـصـغـي؟ لـمَـنْ، والقَـحـطُ سُـلطـانـي؟
ألـيـسَ الـمـوتُ كـالـلأَمـو تِ والـمـشـدودُ كـالـوانـي
تُـرى مَـنْ أنـتَ كـي أُفـضـي إلـيـكَ بـكُـلِّ وجـدانـي؟
ألـسـتَ بـيـوتَ أحـبـابـي؟ ولـكِـنْ أيـنَ سُـكّـانـي؟
أَتـذْكُـرُهُـمْ؟ هُـنـا كـانـوا عـنـاقـيـدي وَريـحـانـي
عـلـى أحـضـانِـهِـم أصـبـو ويَـسْـتَـصـبـونَ أحـضـانـي
لـمـاذا جِـئـتَ تُـشْـجـيـنـي؟ أأنـتَ رسـولُ نَـيْـسـانـي؟
أتُـنـكـرُ نـكْـهـتـي؟ كـلاًّ تـلـوحُ كـبـعـضِ عـيـدانـي

* * *

تُـرى هَـلْ يَـنْـمَـحـي وَضْـعـي إذا أعـلـنْـتُ كِـتـمـانـي؟
لـمـاذا يَـغْـتَـدي طَـيـري وأثـوي خـلـفَ حِـيـطـانـي؟
ألا يـا لـيـتَـنـي نـهـرٌ وكـلُّ الأرضِ بُـسْـتـانـي

* * *

أأسـتـبـكـيـكَ يـا مَـقـهـى؟ بـقـلـبـي غـيـرُ أحـزانـي
لأنَّ مَـشـاجِـبـاً أُخـرى لَـبِـسْـنَ بـطـونَ أجـفـانـي
وأنـكـى مـا أعـي أنّـي أنـوءُ بـحَـمـلِ بُـنـيـانـي
وأنّـي، بـعـدمـا ولّـى بـنـو عُـثـمـانَ عُـثْـمـانـي

* * *

أمـامـي ظـهـرُ أيّـامـي وَخـلـفـي وجـهُ سـجّـانـي

أمِـنْ تـحـتـي أرى بـرقـاً يُـريـنـي أنـفَ بُـركـانـي؟
أيـا بـيْـتـاً هُـنـا فـي الـقـلْـبِ كـيـفَ أبُـثُّ تَـخـنـانـي؟
إليكَ أُصيخُ، هَلْ تحكي؟ أضَعْتُ هُناكَ تِبْيانـي
أقولُ، يقولُ عَنّي السَّقْفُ غيرَ لغُاتِ أركانـي
لأنَّ أبـاكَ (عـنـسـيٌّ) وخـالَ الأمِّ (بـاذانـي)[1]
أتـذكُـرُ، كُـنـتَ بُـنَـيّـاً ولـونُ الـبـابِ رُمّـانـي
وكـانَ الـسُّـورُ (قـاتِـيّـاً) ومَـرأى الـصَّـحـنِ مَـزجـانـي
وكُـنـتَ تُـشـيـرُ بـ(الـكـاذي) وبـ(الـوَرْسِ الـغُـويـدانـي)[2]
وكُـنـتَ مـؤزَّراً بـالـطِّـيْـبِ كـالـفـجـرِ الـحُـزَيـرانـي
وبـالأحـبـابِ مَـعـمـوراً وكُـنـتَ أحـبَّ جـيـرانـي
تَـنِـثُّ الـشَّـدوَ (سـعْـدِيّـاً) وأحـيـانـاً (قُـمْـنـدانـي)[3]
أمِـنْ قَـلـبـي إلـى سَـمـعـي تَـمُـدُّ غـرامَ ألـحـانـي؟
أمِـنْ صَـدري عـلـى صَـدري تَـلُـمُّ فـلـولَ أزمـانـي؟
هـل اسْـتَـوقـذتَ أعـراقـي أم اسـتَـنْـفَـرتَ جُـدرانـي؟
أحِـسُّ تـهـدُّمـي يـهـفـو إلـى نـزغـاتِ شـيـطـانـي

(1) عنسي: نسبة إلى (الأسود العنسي) الذي اصطرع مع (باذان) قائد الحملة الفارسية على اليمن، بعد أن أقرّه النبي والياً عليها.

(2) الكاذي: نبات زكي الرائحة. والوَرْس: من شجر البهارات تستخلص منه صبغة صفراء للثياب ووجوه النساء وكان أجود أنواعه في اليمن. الغوايداني: نسبة إلى شِعْب غويدان.

(3) سعدياً: نسبة إلى مطرب في مطلع القرن العشرين اسمه: سعد عبدالله، الذي أشاعت الحكايات الشعبية الأعاجيب عن حسن غنائه. قمنداني: نسبة إلى المطرب الشاعر اللحجي القمندان الشهير بشعره الغنائي وغنائه الشعري.

أشمُّ عبيرَ تاريخي وأسمعُ نبضَ عُمراني
فلا طَيفي (نجاشيٌّ) ولا طَيْري (سُليماني)[1]
أطعتُ زمانَ إسكاتي أأعصي الآنَ عصياني

* * *

أأدنو منكَ يا مَرسى؟ شؤوني لسْنَ مِنْ شاني
أتقرؤني؟ أما تبدو فُصولي عكسَ عنواني؟
لأنَّ البحرَ غيرُ البحـ ـرِ، في قدميْهِ أشجاني
فلا كفَّايَ مِنْ أهلي ولا الأمواجُ خِلاَّني
بحُكمِ الوضعِ والعادا تِ، ألقاها وتلقاني
بِوُدّي أن أُحيلَ البحـ ـرَ وشماً تحتَ أرداني
وأرحلُ تاركاً خلفي لأُمِّ الرَّملِ أدراني

* *

ألا يا كائناتِ الشَّو قِ أينَ ترينَ شُطآني؟
أُناديكُنَّ: مَنْ لبَّى؟ ومَنْ يا صمتُ ناداني؟
وهَلْ هذا الذي أجْترُّ كالأنقاضِ جُثماني؟
أيا هذا لِمَنْ تَهذي؟ أهذي صخرَ إذعاني
أما استَنطقتَ أشباحاً؟ بَلِ استَنطقنَ إمعاني
أتسألُ طالِباً رَدّاً؟ أليسَ الحلْمُ إنساني؟
أما للموجِ طوفانٌ وهذا الهجْسُ طوفاني

---

(1) نجاشي: نسبة إلى غزو (النجاشي) ملك الحبشة لليمن في القرن الثالث الميلادي.
ولا طيري سليماني: إشارة إلى العفريت الطائر المسمى (آصف) الذي أمره الملك سليمان بحمل ملكة سبأ إلى عاصمته.

حروب
(وادي عوف)

1985م

مـثـلـمـا تـخـبـطُ الـرِّيـاحَ الـرِّيـاحُ
أدبـروا، أقـبـلـوا، أصـاحـوا، وصـاحـوا

مـثـلـمـا تـكـمـنُ الأفـاعـي تَـخَـفَّـوْا
وكـمـا تُـحـرَقُ الـمـحـاطـيـبُ لاحـوا

وكـمـا يـبـردُ الـنُّـحـاسُ ويَـحْـمـى
أشـهـروا، أغـمـدوا، أغـذُّوا، أراحـوا

مَـنَـعـوا كُـلَّ راتـعٍ، كـلَّ راعٍ
أيـنَ نَـرْعـى؟ قـالـوا: الـمَـوامـي فـسـاحُ

كـيـف نـرعـى رَمْـلاً؟ هُـنـا سـوفَ نَـرْعـى
تـحـتَ هـذي الـرِّمـاحِ تـغـلـي رمـاحُ

عـنـدنـا مـثـلُـهـا وأيـدٍ طـوالٌ
ورؤوسٌ يـئِـجُّ فـيـهـا الـنِّـطـاحُ

* * *

ذاكَ وادٍ لـنـبـتـةِ (الـرَّنْـدِ)، فـيـهِ
ألـفُ نـابٍ، ولـلـحـصـاةِ نُـبـاحُ

كُـلُّ حُـرٍّ فـي مـرتـعِ (الـشـيـخِ عـوفٍ)
غـيـرُ حُـرٍّ، وكـلُّ ظِـلْـفٍ مُـبـاحُ!

فـيـهِ لا تـحـمـلُ الـفـتـى رُكـبـتـاهُ
فـيـهِ لا يـصـحـبُ الـغُـرابَ الـجَـنـاحُ

كُـلُّ هـذا احـتـكـارُ (عـوفٍ)، ولِـمْ لا؟
هَـلْ عـلـى أشـمـخِ الـجـبـالِ اقـتـراحُ؟

شَـمَّـخُـوهُ، فـلا سِـوى الـحـربِ حـتـى
تـمـتـطـي لـحـمَـهـا إلـيـهِ الـبـطـاحُ

سـوف تَـغـدون، والأسـنَّـةُ مـغـدَى
وتَـروحـونَ، والـمـواضـي مـراحُ

* *

يـا زُهـيـرُ ابـتـدرتَ، بـل قـال عـنَّـا:
صـحَّ غـيـرُ الـصَّـحـيـحِ، جَـدَّ الـمُـزاحُ

مـا تـرونـا، نـمـوتُ مـوتـاً مَـشُـوبـاً!
كـيـفَ نـخـشـى إنْ هـبَّ مـوتٌ صُـراحُ؟

يـا صِـحـابـي مـا لـلـرِّجـالِ مَـشَـمٌّ
فـإذا مـا أذكَـتْـهُـمُ الـحـربُ فـاحـوا

مـا الـذي تـرتَـئـيـهِ يـا قـيـسُ؟ عـنـدي
أنْ نـعـي غـايـةً يـراهـا الـكِـفـاحُ

حـكـمـةُ الـحـربِ أنْ تَـهُـدَّ لـتـبـنـي
لـيـسَ غـايـاتُـهـا أصـابـوا، أطـاحـوا

كـــم أرَقْـــنـــا مِـــنْـــهُـــمْ ومِـــنَّـــا أراقـــوا
لا اســتــرحْــنــا ولا الــخـصـومُ اســتــراحــوا

فــي مــدى الــحــربِ نــرتــديــهــا جِــراحــاً
فــي سِــوى الــحــربِ تــرتــديــنــا الــجــراحُ

⊛⊛⊛

فنقلةُ النَّارِ والغُموض

يناير 1986م

يا (خورَمَكْسَرَ)، يا (المُعلاَّ) لغةُ الجدالِ اليومَ أعلى
أتكونُ أمثلَ حُجَّةٍ بِسوى القذائفِ غيرِ مُثلى؟
فرأيتُما جدَلَ الرَّصا صِ أحرَّ برهنةً وأجلى
حسناً، ولكن ما الذي خطَّ انفجارَكُما وأمْلى؟
ماذا، كفجرِ اليوم لا ح؟ وما الذي، كالأمسِ ولَّى؟
اليوم يتلو القصفُ والْـ أخبارُ بعد اليومِ تُتْلى
كي يَرتقي جَدَلُ النِّضا لِ عليهِ أن يُصْلي ويَصْلى

* * *

فيمَ التَّصَاعقُ يا (مَعا شِقُ)؟، لا أرى للأصلِ أصلا
سَئِمَ السُّكوتُ سكوتَهُ وهَلِ الضَّجيجُ الآن مَلاَّ؟
لِمَ لا تُجيبُ؟ لأنني تلٌّ يجرُّ إليهِ تلاً
ماذا، أتَركضُ يا حَريـ ـقُ وتزحفُ الأخبارُ كَسْلى؟
أشَكا (ينايرُ) بَردَهُ فأتى هُنا يُشْوى ويُغْلى؟
لا القتلُ أفضلُ، يا غمو ضُ ولا السَّلامةُ منهُ فُضلى
يا (دارَ سعدٍ) لفتةً (يُسْعَدْ صباحُكِ يا المُهلاَّ)
فوقي رواب مِنْ متى مِمَّ الذي، مِنْ هَلْ وهَلاَّ؟
أأقولُ قبلَ تساؤلي أهلاً، وكيفَ الحالُ، أمْ لا؟

مـــاذا تَـشُـــمُّ؟ تَـكَـهُّـنــاً وإشـاعـةً تَـتْـبَـتُ خَـجْـلـى
قِـصـصـاً كـمـسـحـوقِ الـمـحـا رقِ لا تَـــدِلُّ ولا تُـــفَـــلَّـــى
حـلَّـتْ مـكـانَ الـلُّـحـيـةِ الْـ ـعُـلـيـا، بـوَجْـهِ الـقـولِ سُـفْـلـى

* * *

مَـنْ دقَّ طـبـلَ الـحـربِ؟ جـا ءتْ فـجـأةً، ريـحـاً وطَـبْـلا
لا أعـلَـنَـتْ عَـنْ بَـدْئِـهـا لا أنـفُ غـايـتِـهـا أطَـلاً
مـــاذا تـــلاحِـــظُـــهُ هُـــنـــا كَ؟ تَـحَـوُّلاً مـا زالَ طِـفْـلا
أتُـــراهُ حَـــشْـــمـــاً؟ ربُـــمَّـــا بَـدْءُ الـربـيـعِ يَـنِـتُّ بَـقْـلا

* * *

يـا (شـيـخُ عُـثـمـانَ) اسـتَـجِـبْ مـاذا تَـرى؟ أرجـوكَ مَـهْـلا
(صـنـعـاءُ) مُـفْـعَـمَـةٌ بـمـا أجَّجْتَ، كـيـفَ تكونُ أخْلى؟
وصـداكَ قـــهـــوةُ (لاعـــةٍ) قـاتُ (الـحـدَيْـدةِ) و(الـمُـصـلَّـى)
أنـا لـسـتُ مـذيـاعَ الـخـلـيـ ـجِ أرقِّـعُ الـبـالـي بـأبْـلـى
أغـبـى الـكـلامِ هـو الـذي يُـبْـدي أوانَ الـجِـدِّ هَـزْلا
مِـنْ أيـنَ أخـبـرُ والـلُّـهِـيْـ ـبُ أمَدُّ مِنْ نَـخْـلِ (الـمُـكـلا)
مِـنْ مـهـرجـانِ الـنّـارِ تَـصْـ ـعـدُ ثـورةٌ أبْـهَـى وأمْـلَـى

* * *

لِـمْ لا أُسـائِـلُ (صِـيـرةً)؟ سَـتَـزيـدُ، مِـنْ لـكـنْ وإلاَّ
وتَـرى الـطُّـفـورَ تـوسُّـطـاً وتَـرى الـنـهـايـةَ مُـسْـتَـهـلاً
وتـقـولُ: مـا سـمَّـيـتَـهُ روعـاً، أنـا أدعـوهُ حَـفْـلا
أتَـرى طـلاوةَ صـوتِـهـا يـا بـحـرُ، أم رؤيـاكَ أطْـلـى؟
عـنـهـا أعـي سِـفْـراً بـعَـيْـ ـنَـيْـهـا، بـزنـدَيْـهـا مُـحـلَّـى

* * *

يــا (جــولــدْمــورُ) إجــابــةً ما زالـتِ اللّـحْـظاتُ حُبْـلـى
أَسَمِعتَ (بي بي سي)؟ وهَلْ هـذا سِوى بُـوقٍ تـسـلَّـى؟
هـذا (البعوضُ) وَشَى إليـ ـهِ وذلـكَ (الـزُّنـبـورُ) أدْلـى
أولـئـكَ الـغـازونَ ولَّـوْا والـتّـآمـرُ مـا تَـوَلَّـى
كـانـوا تـمـاسيحاً هُـنـا وهُـنـاكَ يَـرْتَـحِـلـون قَـمْـلا
قُـلْ عـن هُـنـا: مـاذا اعـتـرا هُ؟ ومـا الـذي بـالأهـلِ حـلاَّ؟
الـسَّـاعـةُ الـخـمـسونَ مِـثْـ ـلُ السَّاعةِ العشرينَ وَجْلى
مـاذا تَـرى يـبـدو غـداً؟ بَـدْءُ الصُّعودِ، سُقوطُ قتلى
لـلـعـلـمِ أسألُ، والـجـوا بُ يـحُـولُ أسـئـلـةً وجَـهْـلا
أرجـو الـوصـولَ وألـتـقـي بِـسِـوى الـذي أرجـوهُ وَصْـلا

* * *

أألـوذُ بـالـتـاريـخِ، أَنْـ ـسى ما روى عـقـلاً ونَـقْـلا
أبـدو (عـلـي مَـقْـلـى) بـدو نِ إمـامـةٍ وبـدونِ مَـقْـلـى[1]
لا نـالـنـي خـيـرُ الـتَـطَـرُّ فِ، لا اعـتـدالـي نـالَ عَـدْلا

* * *

قُـولـي (كِـرَيْـتـرُ) مـا هـنـا الـقـصـفُ، أم عـيـنـاك أحلى؟
تَـزهـو بـكـفَّـيْـكِ الـخُـمـو شُ كشاربِ القَمرِ المُدلَّى
جـاؤوا لـقـتـلـي، هـل أُعِـدُّ لـهـم ريـاحـيـنـاً وفُـلاًّ؟
هُـمْ بـعـضُ أهـلـي، فـلْـيَكُـنْ هـيـهـاتَ أرضى الـغـدرَ أهْـلا

(1) علي مقلى: أحد أئمة القرن الثامن عشر الميلادي في اليمن، عرف بالبلاهة وعدم معرفة النواحي التي يحكمها؛ فخلعه أهل الرأي في اليوم الثاني من حكمه فصار شعبياً رمزاً للغباء والتيه.

تــأبــى حَــمــامُ الــيــومِ، أن تــلـقـى صـقـورَ الـنَّـارِ عَـزْلا
مــاذا أُسَــمِّــي مــا جـرى، حَـرْفـاً، ولـكـن صـارَ فِـعـلا
الــفــاتــحــو بــاب الــرَّدى لا يَــمــلِــكــونَ الآن قَــفْــلا
أَضَــعُــفْــتَ أم أنَّ الأســى أقــوى يَــداً وأحــدُّ نَــصْــلا؟
أنــســيــتَ صَــقــلـي، يـا عـرا كَ الـقـحـطِ أم أُنْـهِـكْـتُ صَـقْـلا؟

* * *

مَـنْ شـبَّ يـا (عـدنُ) الـلَّـظـى؟ قـالـوا: أمـوتُ، فـقـلـتُ: كـلاَّ
ولأنَّــنــي بــنــتُ الــصَّــرا عِ، فــلــســتُ أُمّــاً لــلأذِلاَّ
مــا كــان مــقــلُــوّاً مِــنَ الــ ـغـازي، مِـن الأهـلـيـنَ أقْـلـى
صــمَّــمــتُ أن لا أنــحــنــي أن لا أُحــيــلَ الــخــمــرَ خَــلاَّ
مــاذا أُضــيــف إلــى الــزَّمــانِ إذا عــكــســتُ الــبــعــدَ قَــبْــلا
جــاؤوا إلــيَّ وجــئــتُــهُــمْ نــاريَّــةَ الــعــزَمــاتِ عَــجْــلـى
جــادوا بــإرعــادِ الــمَــنــو نِ وجُــدتُ إرداءً وبَــذْلا

* * *

أأقــولُ: يــا (ســبــئــيــةٌ) لــو كــانَ ذاكَ الــجــودُ بُــخــلا
لــبَّــيْــتُ مــوطــنــيَ الــذي كُــتــب اســمُــهُ وَرْداً ونَــخْــلا
ومــنِ الــمُــقــاتِــلُ والــمُــقــا تَـلُ؟ مَـنْ رأى لـلـنَّـارِ عَـقْـلا؟
(ردفــــانُ) نـــادى أن أذودَ وأن أُحــيــلَ الــصَّــعــبَ سَــهْــلا
فــحــمــلــتُ رأســي فــي يــدي كــي لا تــصــيــرَ الــكَــفُّ رِجْــلا
والــيــومَ أنْــزِفُ كــي أَخِــفَّ وكـــي أرِقَّ أَمُـــدُّ ظِـــلاَّ
مــا خِــلــتُــهُــنَّ كــوارثــي أَنْــضَــجْــنَــنــي عَــرْكــاً وفَــتْــلا
لا أَرْتَــئــي مــا تــرتَــئِــيــ ـنَ، غداً أخوضُ الشَّوطَ جَذْلى

هـذا الـغـبـارُ عـلـى عـيـو نـي ثـورةٌ حـمـراءُ كَـحْـلـى
هـذي الـخـرائـبُ زيـنـةٌ بـمـعـاصـمِ الـبَـطـلاتِ أَوْلـى
هـذي الـرُّفـاتُ سـتـسـتـطـيـلُ رُبـاً، ويـغـدو الـقـبـرُ حـقْـلا
تـأتـيـن أُخـرى غَـضَّـةً وأجِـدُّ مـضـمـونـاً وشَـكْـلا
أرَّخـتُ مِـنْ يـومـي غـدي انـظـرْ، أمـا أنـهَـيتُ فَـصْـلا؟
عـن مـا يـكـونُ تُـخـبِّـرِيـنَ هَـلِ الـذي كـان اضـمَـحَـلاًّ؟

* *

يـا هـذه خـلِّـي الـجـنـونَ، جـنـونُ غـيـري مـا تـخـلَّـى
أدمـنـتِ أَكْـلَ بـنـيـكِ، يـا حَـمْـقـى، لأنَّ الـنَّـصـرَ أغـلـى
مَـنْ لا تُـحـاربُ لا تُـرى فَـرْحـى ولا تـبـدو كـثَـكْـلـى
قـالـت وقـلـتُ، فـلا اخـتـفـى سِـرٌّ ولا سِـرٌّ تـجـلَّـى

۞ ۞ ۞

تنويه

* خورْ مكْسَر، المعلا، معاشق، الشيخ عثمان، صيرة، جولدمور، كريتر، ردفان، دار سعد: أسماء أماكن في عدن وضواحيها، وبعضها مناطق ذات دلالة كردفان وهي في الشطر الجنوبي من اليمن.
* صنعاء، لاعه، الحديدة، المصلى: أسماء أماكن في شمال الوطن وكل هذه أسماء في الشطرين متسقة في بناء القصيدة.

مهرجان الحصى

1985م

مـاذا يُـسِـرُّ لـسـفـحِ الـرَّبـوةِ الـحـجَـرُ
كـأنَّ كُـلَّ حـصـاةٍ هـاهُـنـا خَـبَـرُ

هـاتـيـكَ تَـعـطِـسُ تـاريـخـاً وفَـنْـقَـلَـةً
وتـلـكَ تـلـعـنُ مَـن جـاؤوا ومَـنْ غَـبـروا

ومَـنْ عـلـى صـهـواتِ الـمُـنـحـنـى طَـلَـعـوا
ومَـنْ عـلـى شـهـقـاتِ الـرَّبـوةِ انـحـدروا

هَـلْ تـجـرحـيـنَ شـذا الـتـاريـخِ؟ أيُّ شـذاً
هـذا الـصَّـفـا (حِـمْـيـرٌ) ذاك الـصَّـفـا (مُـضـرُ)

هـاتـيـكَ تـسـألُ أخـتـيْـهـا وجـارَتَـهـا:
مـتـى سـيـطـلـعُ مِـنْ تـحـتِ الـثَّـرى الـمـطـرُ

مـاذا تـقـولـيـنَ؟ سُـحْـبُ الـيـومِ ظـامـئـةٌ
يَـنْـشُـدْنَ فـي الـرِّيـحِ مَـنْ عـنـهُـنَّ يـنـهـمـرُ

وذي تَـئِـنُّ، تـرى هـذي مَـلاحَـتَـهـا
كـمـا يـرى وجـهَـهُ فـي الـشـاطـئِ الـقـمَـرُ

* * *

- يـا عـمَّـتي خطٌّ لَـمْـسُ الـفـجـرِ فـي عُـنُـقـي
شـيـئـاً يـتـرجِـمُـهُ لـلـنَّـجـمـةِ الـسَّـهَـرُ

هــذي كــعــيــنٍ رمــاهــا جــفــنُــهــا ومــضــى
وذي كــقــلــبٍ جــفــاهُ خــلــفَــهُ الــسَّــفَــرُ

هــذي كــجــيــدٍ تــقــوَّى بــعــدَ حــامِــلِــهِ
وذي كــخــدٌ تــمــنَّــى لــونَــهُ الــسَّــحَــرُ

لــكُــلٍّ واحــدةٍ شــكــلٌ وتــمــتــمــةٌ
لــكــنْ يــوحِّــدُهُــنَّ الــعــجــزُ والــضَّــجَــرُ

طــويــلــةُ الــنَّــابِ أُنــثــى صــوتُــهــا لَــزِجٌ
كــســيــرةُ الــسَّــاقِ يــبــدو أنَّــهــا ذَكَــرُ

مــلــفــوتــةُ الــجــيــدِ ولــهــى ذاتُ غــطــرســةٍ
لــعــلَّ عُــشَّــاقــهــا فــي بــابِــهــا انــتــحــروا

أظــنُّــهــا أُخْــت (عَــمْــروٍ)، أَمَّ (ذي يَــزَنِ)
تــلــوحُ (ســهــمــيَّــةً)، هــل جــدُّهــا (زُفَــرُ)

كَــحْــلــى الأخــاديــدِ كــانــت نِــصــفَ شــاعــرةٍ
مــشــقــوقــةُ الــظــهــر كــانــت شــوقَ مَــنْ شــعــروا

جَــمْــريَّــةُ الأنــفِ والــنَّــابــيْــنِ عَــلْــقَــمَــةٌ
قــمــحــيَّــةُ الــوجــهِ مــمَّــا ســوَّقَ الــخــزَرُ

نــرديَّــةُ الــكــفِّ (مــيــســونٌ) يــلاحُــقُــهــا
عــرشُ (ابــنِ هــنــدٍ)، يُــمــنِّــيــهــا وتــحــتــقِــرُ[1]

---

(1) ميسون: هي بنت (بحدل الكلبي) من قبائل اليمن أكرهت أبويًا على الزواج من (معاوية)، وكانت دائمة الحنين إلى حياة البساطة في الخدر، مفضّلة إياه على قصر معاوية كما في قولها:

تُهامِسُ الآن: ما ولّى (معاويةٌ)
ولا (يزيدٌ) ولا ثارَ الأُلى ثأروا

يا (بَخدليَّةُ) هل تطوينَ ما كتبوا؟
وما الذي كتبوهُ؟ هل لهم أثرُ؟

تَنفينَ ما ابتكروا من حكمةٍ وعُلاً
تدري (سُميَّةُ) كم أمثالَها ابتكروا[1]

يا (بحدليَّةُ) نامي، تلكَ مَعرفتي
يا (سيفُ) ألهتْكَ عمَّا خلفَها الصورُ

* * *

يا الحصى، أيُّ سرٍّ! كلُّ واحدةٍ
فيها كتابٌ غريبُ الفنِّ مختَصَرُ

لِهذه بُحَّةٌ في قلبِها شجَنٌ
لأختِها غُنَّةٌ في صَدرِها وتَرُ

وتلكَ ورديَّةُ الأشواقِ هامسةٌ
وتلكَ خفَّاقةٌ في نبضِها خَفَرُ

ولبس عباءة وتقرُّ عيني
أحبُّ إليَّ من لبس الشفوفِ
وبيت تخفق الأرواح فيه
أحب إليَّ من قصر منيفِ
وكلب ينبح الطرّاق دوني
أحبَّ إليَّ من قطٍّ أليفِ
وخرق من بني عمي نحيف
أحب إليَّ من عجل عليفِ

(1) سمية: جارية حسناء ولدت (زياد) سفاحاً من (أبي سفيان) فاستلحقه (معاوية) أخاً.

وذي تَـفِـحُّ كـأفـعـى، تـلـكَ فـي فـمِـهـا
طـيـنٌ ورغـبـتُـهـا فـي الـبـوحِ تـسـتـعِـرُ

وتـيـكَ تـجـرحُ لَـهْـفـى: أنـتِ عـاشـقـةٌ
غـيـري، فـتـبـكـي وتـعـيـا كـيـفَ تـعـتـذرُ

هـاتـيـكَ تُـخـبـرُ صـخـراً: أنَّ عـمَّـتَـهـا
بـأُمِّـهـا عـنـدَ ذاكَ الـكـهـفِ تـأتِـمـرُ

وبـيـن صُـغْـرى وكُـبـرى يـغـتـلـي جَـدَلٌ
وبـيـن كـسْـلـى وعَـجْـلـى يـعـنُـفُ الـهـذَرُ

وبـيـن حَـبْـلـى وجَـوْعـى يـلـتـظـي غـضـبٌ
وبـيـن وسـطـى ودُنـيـا يـطـفـحُ الـشَّـرَرُ

وبـيـن وسـطـى ووسـطـى حـربُ أقـنـعـةٍ
وبـيـن نَـهْـدا وَمَـسْـحـا يـضـحَـكُ الـسَّـمَـرُ

* * *

يـا (فـجَّ عَـطَّـانَ) أنْـصِـتْ، لـلـحـصـى لـغـةٌ
غـيـرُ الـلُّـغـاتِ؛ أمـا فـي قـلـبـهِ وطَـرُ؟

مـاذا يـقـولُ؟ أتـدري مـا أقـولُ أنـا؟
أنـا (الـثـريَّـا) ولـكـن لـيـسَ لـي (عُـمُـرُ)

كُـلٌّ لـهُ عـشـقُـهُ الـثـانـي وقـصّـتـهُ
والـكـلُّ يـهـفـو إلـى عـشـقٍ لـهُ خَـطَـرُ

يـا تـلَّ (ثَـقْـبـانَ) مـا أبـديـتَ خـافـيـةً
قـلـبـي كَـوَجْـهـي، فـمـاذا عـنـكَ أدَّخِـرُ؟

في جبهتي من (عليِّ الفضلِ) عَشرُ حصَىً
ومن تجاعيدِ (أروى) في يدي حُفَرُ
أنَّاتُ (بكرٍ) غصونٌ فوقَ جُمْجُمَتي
حَنينُ (عبدِ يغوثٍ) في دمي سَقَرُ[1]
في سُرَّتي من (الميسِ) جذرُ مشمشةٍ
ومِنْ (لَمى) عِنَبٌ في القلب ينعصِرُ
أما تنسَّمْتَ (وضّاحاً) سفرجلةً؟
هناكَ غصنٌ لهُ من (روضةَ) الحورُ
وما الذي فيك مِنْ (باذانَ)؟ أين غفا؟
لعلَّهُ ذلك اليَنْبوتُ والصَّبِرُ
ها أنتَ تنصَبُّ تاريخاً لهُ عبقٌ
ثانٍ يعاكسُ ما خطُّوا وما نَشروا
وهل أقولُ: تعشَّوْا وانتَشَوْا ومشَوْا
وألحفوا الأرضَ مِنْ أطرافِ ما أتَزَرُوا
أو أدَّعي أنَّ (عبدَ الدَّارِ) بالَ هُنا
وأن (آلَ ثمودٍ) هاهُنا عقروا
و(آلَ سعدٍ) سَبَوْا تسعينَ جاريةً
و(آل عَمْرٍو) صباحَ الجُمعةِ اعتمروا
وأنَّهم ذو بيانٍ والورى عَجَمٌ
وأنَّهم أهلُ فتحٍ والورى غَجَرُ

(1) بكر: الشاعر بكر بن مرداس الصنعاني، وعبد يغوث: الشاعر اليمني الجاهلي المعروف.

وأنَّــهـم عَـطَـسـوا فـي مُـنـتـهـى رجَـبٍ
وأنَّـهـم سَـعـلـوا يـومَ ابـتـدا صَـفَـرُ

* *

مـاذا دهـاكَ؟ أتـخـشـى أم سـكـتَّ أسَـىً؟
غـداً سـتـحـكـي، ومـاذا الآنَ تـنـتـظـرُ؟

من كُنتَ تدعى قديماً (عروةً)، (حسناً)؟
هـل صـمـتُـكَ الآن يـا ذاكَ الـفـتـى قـدرُ؟

لـعـلَّ سِـرَّكَ لا يـقـوى عـلـيـهِ فـمٌ
سـكـتَّ أنـتَ وقـالَ الـقـلـبُ والـنـظَـرُ

يـا ذلـكَ الـحـجـرُ الـمُـغْـمـى لـديـكَ هـوَىً
مـا لـونُـهُ؟ هـل رأى مِـنْ نـوعِـهِ الـبَـشَـرُ؟

لـمنْ تـنـكَّـرْتَ فـي ثـوبِ الـصُّـخـورِ هُـنـا؟
غَـيَّـرتَ أم جـلـمـدَتْ أسـمـالَـكَ الـغِـيَـرُ؟

أجبْ كـمـا تـوجـزُ الـغـيـمـاتِ صـاعـقـةٌ
يـا سـيـدَ الـصـمـتِ تـدري كـيـفَ تـنـفـجـرُ

أمـا تـرى كُـلَّ سـفـحٍ مـدَّ مـسـمـعَـهُ
واحـتـكَّ شـوقـاً كـمـا تَـسْـتـعـلِـفُ الـبـقَـرُ

يـبـدو تـأهَّـبـتَ كـي تُـفـضـي مُـعـالَـنـةً
كـمـا تـأهَّـبَ كـي يَـتـأرَّجَ الـزَّهَـرُ

تـقـولُ أنـتَ: فـراغٌ مـا لَـهُ لـغـةٌ!
أمـا أعـادَ صـداكَ الـسـفـحُ والـشـجَـرُ؟

عـلـى مُـحَّـيـاكَ مِـنْ وجـهِ الـضُّـحـى مِـزَقٌ
وفـوقَ زَنْـدِيـكَ مِـنْ ظَـهْـرِ الـدجـى كِـسَـرُ

يـقـولُ عـنـكَ الـحَـصـى مـا لا يَـعـي أحـدٌ
ويـدَّعـي أنَّـكَ الأزمـانُ والـسِّـيَـرُ

قُـلْ مـا أسـرَّ إلـيـكَ الأمـسُ مِـنْ نـبـأ
لـكـي تَـرى مـا تـعـي أيـامُـكَ الأُخَـرُ

لِـمْ لا تـصـيـحُ كـمـذيـاعٍ، كـمـئـذنـةٍ؟
وهـلْ سـكـتُّـمْ لـكـي يـدَّفَّـقَ الـحـجَـرُ؟

⊛⊛⊛

يا صُبح

1984م

أتـيـتَ خـريـفـاً، كـمـا جـئـتَ صـيْـفْ
فـلـسـتَ مُـقـيـمـاً ولا أنـت ضَـيْـفْ

بـحـسْـبِ اعـتـيـادِكَ تـمـضـي، تـجـيءُ
وتُـدْعـى لـطـيـفـاً ولـسـتَ الـلُّـطَـيْـفْ

فـلا أنـتَ غَـيْـبٌ ولا مـوعـدٌ
ولا أنـتَ حُـلْـمٌ ولا أنـتَ طـيْـفْ

أتـبـدو جـديـداً وأنـتَ الـقـديـمُ
بـهـذا تُـضـيـف إلـى الـزَّيْـفِ زَيْـفْ

لـمـاذا تُـولِّـي لـكـي تَـنـثـنـي؟
أحـقـقْـتَ كـشْـفـاً فـتُـعـطـي كُـشَـيْـفْ

عـلـى حـالِـكَ الـيـومَ تـأتـي غـداً
كـمـا جـئـتَ مِـنْ ألـفِ عـصـرٍ ونَـيْـفْ

❊

فـيـا صـبـحُ غِـبْ سـنـةً أو شـهـوراً
لِـنـعـرفَ مـاذا سـيـجـري؟ وكـيـفْ ؟

وهـل أنـتَ شـاهـدْتـنـي يـا (سـعـيـدُ)؟
أشَـمَّـيـتِـنـي يـا (رشـا) يـا (حُـذَيْـفْ)؟

أمــــرُّ بـــكـــم كـــلَّ يـــوم ومـــا
تــمــرُّون بــي ســاعــةً أو نُــصَــيْــفْ

ســآتــي وقــد بِــعــتُــمــوا وأديَــيْــنِ
وزِدتُــم رصــيــفــاً أمــام الــرُّصَــيْــفْ

ألــم تُــعــلــنــوا ثــورةَ الــعــدلِ يــومــاً
وطــوَّرتــمــوا بــاسْــمِــهــا كــلَّ حَــيْــفْ

ســمــنْــتــمْ فــيــبَّــسْــتُــمــوا كــلَّ نــام
كــمــا تــحــتــسي خُــضْــرةَ الــزَّرعِ (هَــيْــفْ)[1]

دخــائــلُــكــم وجْــرُ ضَــبٍّ، عــلــى
جــذوعــكــمــو قــشــرةٌ مــن (جِــنَــيْــفْ)

＊＊

أكُــنــتــم حــصَــىً واســتــحــلــتــم نُــضــاراً؟
مِــنَ الــكــهــفِ جــئــتــم شــظــايــا كُــهَــيْــفْ

فــكــيــفَ تَــطَــوَّرتــمــوا مــن ثــمــودٍ؟
أمــا زلــتــمــوا نــســلَ (عــادٍ) و(خَــيْــفْ)

أطــيَّــارةُ الــيــومِ كــانــت عُــقــابــاً؟
وهــل كــان جَــدُّ الــصــورايــخِ سَــيْــفْ

❁❁❁

---

(1) هَيْف: ريح حارة تيبس الزروع والأشجار وتنشف المياه، وكانت شبه اعتيادية بدليل المثل العربي: «ذهبت هيف إلى دياناتها» أي إلى عاداتها ويسميها اليمنيون الريح الأحمر.

اجتماعٌ طارىء للحشرات

1984م

أعلنَتْ سلطانةُ (القملِ) اجتماعا
رؤساءُ (البَقِّ) لَبَّوْها سِراعا

وإليها أقبلَ الأقطابُ مِنْ
مملكاتِ (السُّلِّ) مَثْنى ورُباعا

جاء (شيخُ الدُّودِ) في حُرَّاسِهِ
زارداً بحراً ومُغتَمّاً شِراعا

ملكُ (الذُّبَّان) وافى نافشاً
تاجَهُ كي يملأ الجوَّ التماعا

طار سلطانُ (البراغيثِ) على
(نملةٍ) فازدادتِ الأرضُ اتِّساعا

(الزنابيرُ) توالَتْ مثلما
هدَّ مرحاضَيْنِ مرحاضٌ تداعى

* * *

شدّدوا كُلَّ الحراساتِ امنحوا
كلَّ (زنبورٍ) ثلاثينَ ذراعا

أحرقوا كلَّ كتابٍ في حشا
أُمِّهِ، نحُّوا عن المهدِ الرَّضاعا

أغـلـقـوا أبـوابَ أُمّ الـريـحِ، لا
تـأذنـوا لـلـصُّـبـحِ أن يُـبْـدي شُـعـاعـا

ادخـلـوا كـلَّ عـيـونِ الـشَّـعـبِ مِـنْ
سَـمـعِـهِ، كـونـوا رُوَاهُ والـسَّـمـاعـا

سـيِّـدي، مـاذا تـرى؟ أخـطـرُهـمْ
لَـبِـسـوا الأحـجـارَ وامـتـدُّوا بِـقـاعـا

كـسَّـروا الأحـجـارَ.. فـتَّـشْـنـا الـحـصـى
واقـتـضـمْـنـا جـبـلاً عـنـهـم أشـاعـا

وتـنـاهـشْـنـا عـظـامَ الـمُـنـحـنـى
وقـتـلْـنـا زوجـةَ الـصَّـخـرِ اقـتـلاعـا

ربـمـا ذابـوا، أشِـمـمْـتُـم حـمـرةً؟
كُـلُّـهـا الألـوانُ مـنْـشْـنـا خِـداعـا

هـل قـنـصْـتُـم كُـلَّ واعٍ؟ قـيـلَ لـي
وانـجـلـى أنّـا قـنـصْـنـا مَـنْ تـواعـى

مـا الـذي تـمَّ؟ قـتـلْـنـا مِـئـةً
واحـتـجـزْنـا الأهـلَ واحـتـزْنـا الـمـتـاعـا

حـسـنٌ، لـكـن لـنـا تـجـربـةٌ
إنَّ بـدءَ الـصَّـرْعِ يـسـتـدعـي الـصِّـراعـا

وإذنْ، هـذا الـذي نـعـمـلُـهُ
مـثـلـمـا يـسـتـنـبـحُ الـكـلـبُ الـسِّـبـاعـا

الـمـهـمُّ الآن، أغـفَـوْا أو نَـأَوْا،
قُـلْ: غـدوْا أخـفـى كُـمـونـاً وانـزراعـا

لا تخفْ، سوف نُلاقي مَدْخلاً
في مخابيهم ولو كانت قِلاعا

بعد وقتٍ نـدَّعي دعوتَهم
ونؤاخيهم، على الكُرْهِ اصطناعا

وبذا نرقى إلى أرقاهُمُ
ومِنَ الأعلى نرى الأدنى اتِّضاعا

فَنُنَحِّي جانباً أحمسَهم
ثم نُرضي منهمُ الأرخى طِباعا

قتلوا هذا الرَّدى تجربةً
فتلمَّسْ مِيتةً أذكى اختراعا

لا أرى أنفعَ مِنْ أن أشتري
قادةً منهم، ستبتاعُ المُباعا

سوفَ يستغنون عمَّنْ تَشتري
ثمَّ ينقادونَ للأقوى امتناعا

* *

دَعْ هُناكَ الآنَ واسْتَغوِزْ هنا
وهنا أقوى على السِّرِّ اطِّلاعا

لا نرى صَدْعاً يشي عن قعرِهِ
ويرى فينا، إلى القعرِ انصداعا

السُّكوتُ الغامضُ الـ ُمُلقى هنا
حرَّضَ السَّمعَ وأعيا الاستماعا

مَـنْ تـرى نـمـنـحُ مِـنْ أعـوانِـنـا؟
نُـتـخـمُ الأسـعـى ونُـغْـري مَـنْ تَـسـاعـى

نـبـدأ الـمُـؤتـمـرَ الـيـومَ، غـداً
قـد أذَعْـنـا الـيـومَ.. كـذَّبْ مَـنْ أذاعـا

ربـمـا بـعـد غـدٍ أنـجـى، نـعـمْ
نـدخـلُ الـقـاعـةَ صَـفّـاً، بـل تِـبـاعـا

* * *

وأتـى بـعـدَ غـدٍ فـابـتـدأوا
جـلـسـةً أربـتْ عـلـى الـسّـقـفِ ارتـفـاعـا

وبـذاكَ الـمُـلـتـقـى دوّى الـصّـدى
وانـحـنـى الـتـاريـخُ يـومَـيْـنِ ارتـيـاعـا

قـرّروا فـي الـجـلـسـةِ الأولـى بـأنْ
يَـصِـلـوا مـا مـاتَ بـالأمـسِ انـقـطـاعـا

أنْ يَـشـيـدوا الـلّـيـلَ إيـوانـاً، وأنْ
يَـنْـجُـروا الأيـامَ بـابـاً و(صُـواعـا)

وارتـأوْا أن لا تـدورَ الأرضُ، أنْ
تـلـبـسَ الـشّـمـسُ إزاراً وقـنـاعـا

أنْ يُـعـيـروا (الأطـلـسـي) كـوفـيّـةً
أن يـزيـدوا قـامـةَ (الـتّـمْـسـاحِ) بـاعـا

أن يُـحـيـلـوا الـغـيـمَ قـاعـاً صـفـصـفـاً
كـي يـمـوتَ الـبـرقُ جـوعـاً والـتـيـاعـا

أن يبيعوا العصرَ كي يَسْتَرجعوا
زمناً مِنْ قبلِ أن يلْقَوْهُ ضاعا

قرَّروا في الجلسةِ الوسطى بأنْ
يطْبُخوا اللَّيلَ ويعطوه الجياعا

زوَّجوا سلطانةَ القملِ (الدَّبى)
للبعوضاتِ اكتروْا زوجاً مُشاعا

شكَّلوا بين الأفاعي لجنةً
أسكتوا بينَ الصَّراصيرِ النِّزاعا

أصدروا عفواً عن القتلى، كما
كلَّفوا الأشجارَ بالنَّوم اضطجاعا

قرَّروا أن يمنعوا الأمواتَ مِنْ
أن يشُبوا في حشا الأرضِ اندفاعا

فأدانوا (أمَّ أوديب) كما
حدَّدوا كَفَّارةَ (النَّمْرودِ) صاعا

وأضافوا (ربذاتٍ) أربعاً[1]
لـ(أبي ذرٍّ) لينسى الابتداعا

قرَّروا في الجلسةِ الأُخرى، بأنْ
يَشتروا الأعصى ويخشوْا مَنْ أطاعا

رأَّسوا فأراً وثعباناً على
فأرةٍ شاعت على الأهلِ انخلاعا

(1) ربذات: جمع ربذة وهي منفى (أبي ذر الغفاري).

وأقــالــوا عــنــكــبــوتــاً، وانْــتَــقَــوْا
لاشــتــمــامِ الــحــبــرِ مــقِــراضــاً شُــجــاعــا

ألــزمــوا الــرِّيــح تــهــبُّ الــقَــهْــقَــرى
أوقــفــوا الأنــهــارَ، أضــنَــوْهــا انــصــيــاعــا

ولأمْــنِ الــبــحــرِ مِــنْ تــلــغــيــمِــهِ
قــرَّروا أن يــســتــحــيــلَ الــبــحــرُ قــاعــا

قــال فــأرٌ: نــبــتــنــيــهِ مَــخْــفــراً
قــال بَــقٌّ: فُــنــدقــاً يــوحــي انــطــبــاعــا

وتــبــنَّــتْ عــقــربٌ مــا ارْتَــأيــا
ورأتْ فــي ذا وفــي ذاك انــتــفــاعــا

*

وأقــامــوا بــعــدَ هــذا حــفــلــةً
أنــفــدوا فــيــهــا دمَ الــلَّــيــلِ اجــتــراعــا

وأقــرُّوا أنْ يُــســمُّــوا مَــنْ نــأى
عــن وصــايــاهُــمْ (يَــعــوقــاً) أو (سُــواعــا)[1]

وبــإعــلانِ الــبــيــانِ اقــتــنــعــوا
غــيــرَ أنَّ الــصَّــمــتَ لــم يُــبــدِ اقــتــنــاعــا

وبــهــذا اخــتــتــمــوا أعــمــالَــهــمْ
وابْــتَــدَتْ سُــلــطــانــةُ الــقــمــلِ الــوداعــا

❁❁❁

---

(1) يعوق وسواع اسما صنمين.

هذا العدم

1985م

صباحٌ ويزحفُ بَدْءُ المسا
مساءٌ وتعدو جبالُ الأسى

وتهمي السَّوافي حصىً أشعثاً
دماً أزرقاً، رَمَداً أملسا

فلا اللَّيلُ يعرفُ شوقَ النُّجومِ
ولا اليومُ يدري متى أَشْمسا

تنامُ الصَّبيحاتُ عندَ البزوغِ
وتنسى العشيَّاتُ أن تَنْعَسا

فلا الصَّبحُ صبحٌ ولا اللَّيلُ ليلٌ،
ترى ذاكَ أشقى وذا أَتْعسا

ولا ذاكَ بدءٌ ولا ذا خِتامٌ
ولا ذاكَ أضحى ولا ذا غسا

* * *

غبارٌ يولِّي غبارٌ يلي
دخانٌ جرى ودخانٌ رسا

وأرغفةٌ تأكلُ الآكلينَ
وأشربةٌ تحتسي مَنْ حسا

لأن الأفـاعـي تـبـيـعُ الـحـبـوب
لأنَّ الـفـحـيـحَ ارتـدى الأكـؤسـا

وجـذَّتْ قـذائـفُـهُـمْ كـلَّ غـرْسٍ
مِـنَ الـجـذرِ واحـتـلَّـتِ الـمَـغْـرسـا

لـقـد أسـكـنـوا الـقـتـلَ كُـلَّ الـبـقـاعِ
لـكـي يُـسْـكِـنـوا فـوقَـهـا الأنـفُـسـا

ولا الـرَّيـبُ يـرتـابُ فـيـمـا يـرى
ولا الـحـدْسُ يـرنـو لـكـي يـحـدُسـا

ولا عـنـدَ مَـنْ قـيـلَ عـنـهـا عـيـونٌ
رؤىً تـهـتـكُ الـيـأس كـي يـيـأسـا

وتِـلْـكَ (الـكـراتُ) الـتـي يَـمـشـطـونَ
لـمـاذا يُـسـمُّـونَـهـا أرؤسـا؟

ولا نَـبْـأةٌ عـن هـنـا أو هـنـا
ولا فـي قـلـوبِ الـثَّـوانـي عـسـى

ولا رجـلٌ فـي جـلـودِ الـرِّجـالِ
ولا مَـرْأةٌ فـي جـلـودِ الـنِّـسـا

زحـامٌ عـلـيـهِ كِـسـاءٌ يـلـوحُ
كـسـاءٌ ومـا فـيـهِ غـيـرُ الـكِـسـا

* * *

فـلـلـرِّيـحِ أن تـرتـدي أوْجُـهـاً
ولـلـرَّمـلِ أنْ يُـحـسِـنَ الـمَـلْـبَـسـا

ويـجـتـرُّ كـشـبـانَـهُ خـلـفَـهُ
وبـاسْـمِ الـحَـصـى يـرأسُ الـمَـجْـلِـسـا

* * *

ومـا يـمـنـعُ الـمـوتَ أنْ يـسـتـمـيـتَ
ومـا يـمـنـعُ الـحُـزنَ أنْ يـخـرسـا

وأنْ يـدخـلَ الـسُّـوسُ نَـسْـغَ الـكـرومِ
وأن يـسـمُـلَ الـعـوسـجُ الـنَّـرْجِـسـا

ولا ذاكَ يـدري لـمـاذا اسْـتَـلانَ
ولا ذاكَ يَـذْري لـمـاذا قَـسـا!

لِـحُـرِّيَّـةِ الـقـحـطِ كـلُّ الـضَّـجـيـجِ
ولا يـمـلـكُ الـبـرقُ أنْ يَـهْـمِـسـا

وكـلُّ الـتَّـزاويـقِ والـتَّـشـلـيـاتِ
مُـنَـىً أعْـنَـسـتْ وهـوَىً أعـنـسـا

وتـلـك الـعـمـاراتُ بـؤسٌ كـتـيـمٌ
بـدا فـي تـنـكُّـرِهِ أبْـأَسـا

* * *

إلـى أيـنَ يـا عَـدَمـاً لا يـكـلُّ
ويـا مُـفْـلِـسـاً يـرتـجـي مُـفْـلِـسـا؟

ويـا قـابـضَ الـرِّيـحِ ركْـبٌ يـدِيـنِ
سِـوى قـبـضـتـيْـكَ لـكـي تَـلْـمـسـا

ويـا بـارقـاً يَـهْـجـسُ الـغـيـبُ فـيـهِ
ألا تـدخُـلُ الـمَـخْـلَ كـي يَـهْـجُـسـا؟

فصلٌ
مِنْ تاريخِ الصُّبح

1986م

كيفَ جاءَ الصَّباحُ؟ مِنْ أيِّ مَنْحى؟
هل درى أين بات أو كيفَ أضْحى؟

رُبَّما قالَ: هل أنا جئتُ حقّاً؟
ولماذا؟ وكيفَ سُمِّيتُ صُبْحا؟

رُبَّما قالَ: ما فرحتُ، وقالوا:
كُلَّما جئتَ، جاءتِ الأرضُ فَرْحى

* * *

هَلْ شَكا أنَّ نِصفَهُ ماتَ رَمْياً
في صِباهُ، ونصفَهُ ماتَ ذَبْحا؟

وعلى رغمِ كسرِهِ وهو غصنٌ
أنبتَتْ كلُّ كسرةٍ منهُ رُمْحا

علَّهُ أخبرَ العصافيرَ صَمتاً
وأجادَتْ إجابةً غيرَ فُصْحى

عندما اجتازَ ربوةً صاحَ (دَوحٌ)
للكَناري وللشَّحاريرِ: مَرْحى

قيلَ عنهُ: إنَّ العصافيرَ غنَّتْ
قبلَهُ.. مَنْ إلى المناقيرِ أوْحى؟

رُبَّـمـا قـالَ: مـاتَ مـلـيـونُ صُـبـحٍ
وأتـى كـي يـمـوتَ بَـذْلاً وكَـدْحـا

وانـمـحَـتْ قـبـلَ وقـتِـهِ ألـفُ أرضٍ
وادَّعـى أنَّ هـذِهِ سـوفَ تُـمْـحـى

قـال: كَـمْ عـاقَـرتْ دمـاً، وهْـيَ عَـطْشـى
وارتـدَتْ صـدرَ كـاعـبٍ، وهْـي مَـسْـحـا

وارتـأتْ أنـهـا أضـافـتْ جَـمـالاً
وهْـي أضْـفـتْ عـلـى الـشـنـاعـاتِ قُـبـحـا

هـل درى أنْ رَتْـقَـهـا جـرَّ فَـتْـقـاً
وهْـي مِـنْ فَـتْـقِـهـا إلـى الـيـومِ جَـرْحـى؟

* * *

مـا لـهُ لا يُـبـيـنُ؟ قـالَ كـثـيـراً
مـا الـذي قـالَ؟ أهْـوَ يُـثْـنـي ويَـلْـحـى؟

وإلـى مَـنْ هَـفـا وأعـرضَ عَـنْ مَـنْ؟
وعـلـى مَـنْ بـغَـضْـبـةِ الـلُّـومِ أنْـحـى؟

أيَّ بُـشْـرى أسَـرَّ؟ أَلْـمَـحَ شـيـئـاً
ولأمْـرٍ طـوى عـلـى الـسِّـرِّ كَـشْـحـا

أيَّ شـيءٍ سـمِـعْـتَ يـا نـخْـلُ عـنـهُ؟
قـالَ: كـلُّ الـلُّـغـاتِ ومْـضـاً ونَـفْـحـا

قـالَ: هـذا الـزَّمـانُ لا لـيـلَ فـيـهِ
وهْـو يَـطْـوي الـنـهـارَ جُـنْـحـاً فـجُـنْـحـا

قالَ: في قلبِهِ قلوبٌ ستأتي
خلفَ عينَيْهِ أعينٌ غيرُ قَرْحى

* * *

وانتمى، قال: جَدُّهُ دارَ عَصْراً
وانحنى فاستحالَ سُوراً وصَرْحا

ودعاهُ صباحَ أيامِ عادٍ
قبلَ (عادٍ) أتى على الرَّملِ سبْحا

كان قبلَ الخِتانِ (ديكاً) وأمسى
(فرخةً) بعدما تزوَّجَ (سَمْحا)

وتلا جَدَّهُ أبوهُ ولكنْ
شَكَّ فيما يرى، فخافَ وشَحَّا

وبوعدٍ أعطى (الشُّها) مقلتَيْهِ
واستماحَ السَّرابَ خُبزاً ومِلْحا

وأبو أُمِّهِ كما قالَ - أَقْعى
في ظهورِ التِّلال، فامتدَّ سَفْحا

وحكى: أنَّ عمَّهُ كانَ يوماً
قائداً، قبلَ أنْ يقومَ تنحَّى

وروى: أنَّ خالَهُ ذَيْذَبانٌ
مزَّقَ الأُمسياتِ غَلْقاً وفَتْحا

كان يستنبحُ الحَصى ويُرَقِّي
صخرةً، تُرضعُ المجرَّاتِ نَبْحا

كــان يــســتــأصــلُ الــكــرومَ ويُــنْــبــي
أنّــهُ ســوفَ يــزرعُ الــبــحــرَ قَــمْــحــا

أُمّــهُ، وحــدَهــا أدارتْ شُــعــوبــاً
وتــخــلّــتْ مــعــروقــةَ الــجــيــدِ كَــشْــحــا

عــنــدمــا اســتــنــوقــتْ جِــمــالُ بــنــيــهــا
غَــرَبــتْ كــي تُــطــلَّ تــيــنــاً وطَــلْــحــا[1]

* * *

خــطٌّ فــصــلاً، مــا خــطُّــه أيُّ صــبــحِ
لا تــعــاطــى هــجْــواً ولا ذابَ مَــدْحــا

قــصَّ عــن أهــلِــهِ، وأوشــكَ يــحــكــي
عــن مــشــاريــعــهِ، فــأضْــرَبَ صَــفْــحــا

مــا الــذي قــالَ، يــا جــبــاهَ الــرَّوابــي؟
قــالَ شــيــئــاً، حــســبــتُــهُ كــان مَــزْحــا

خِــلــتُــهُ قــالَ: ســوفَ يَــمــضــي ويــأتــي
عــنــهُ ثــانٍ أجــدُّ أُفْــقــاً وأضــحــى

ســرّهُ أنَّ نَــسْــلَــهُ ســيُــضَــحّــي
راضــيــاً فــوقَ مــا أحــبَّ وضــحّــى

قــالَ هــذا، ولــم يــقــلْــهُ، ولــكــن
قــرأتــهُ الــرّيــاحُ هَــجْــســاً ولَــمْــحــا

واحــتــوتْــهُ قــصــيــدةُ الــنّــهــرِ نــبــضــاً
وانــحــنــى الــمُــنــحــنــى يــؤلّــف شَــرْحــا

---

(1) الطلح: هو شجر الموز.

القصيدةُ الوطَن

أكتوبر 1983م

رغـمَ احـتـجـابِـكِ يـا قـصـيـدةُ أَرتـجـي
أن تُـشـرِقـي وإلـيـكِ مـنّـي أَلـتـجـي!

أنـهـدُّ فـيـكِ لـكـي تـكـونـي بُـنْـيتـي
ولـديـكِ أنـسـى لَـهْـجتـي كـي تَـلْـهـجي

أبـحـرتُ مـن جَـذَني إلـيـكِ لـتُـبْـحِـري
وسـبـقْـتُ مـيـعـادي لـكـي تـتـبـرَّجـي

كـي تُـبْـدعـي مـنّـي سـوايَ لأنّـنـي
رغـمَ اسْـميَ الـحَـرَكي (مُـثَـنّـى الـعَـرْفَـجي)

ولـذاكَ جـئـتُ إلـى وضـوحِـكِ بـعـدَمـا
مَـيَّـزْتُ وجـهَ حـقـيـقـتـي مِـنْ بَـهْـرجـي

* * *

بـسـتـانُ وجـهـكِ يـا قـصـيـدةُ دَلَّـنـي
أَتُـمـانـعـيـنَ الآنَ أن تَـتـأرّجـي

إنّـي اهـتـديـتُ إلـى خـبـائِـكِ فـافـتـحـي
لـي مُـدْخَـلاً، أو حـاولـي أن تَـخْـرجـي

هُـذّي سـيـاجَـكِ فـهـوَ زيـفُ تـوهُّـم
يـأبـى الـجـمـوحُ عـلَـيـكِ أن تـتـسـيَّـجـي

شَبَقُ الصِّبا يحمرُّ في شفتيْكِ، في
ساقيْكِ يصْهُلُ كالحصانِ اليَعْوَجي

ما أورقتْ فيكِ الشَّراراتُ التي
لا تنطفي، إلاَّ لكي تَتَأجَّجي

إنَّ الطفُورَ خيارُ قلبِكِ قبلَ أنْ
تستجملي مسعاكِ أو تستسْمِجي

تخشيْنَ من غسقِ الظروفِ.. خُرافَةٌ
ما اخلَوْلَكَتْ إلاَّ لكي تتوهَّجي

قمَمُ الهزائِمِ بالظروفِ تَحَجَّجُوا
أَضَعُفْتِ بالعَذْوى لكي تَتَحجَّجي؟!

أنتِ الظروفُ جميعُها، فتزنَّري
بالأُمسياتِ وبالصَّباحِ تَدَمْلَجي

كالصَّيفِ أذْكي مقلتيْكِ وأمطري
كدُجى الخريفِ، وكالربيعِ تَعَسْلَجي[1]

* *

أيُخيفُكِ التهريجُ؟ هذا قَصْدُهُ
كي لا تخافي غرّدي أو هَرِّجي!

دُلِّي عليكِ بنارِ قلبِكِ كلِّهِ
لن يَسْقُطَ الإزعاجُ حتَّى تُزْعِجي

لن تُخرِقي غَسَقاً إذا لم تَخرَقي
لن تُنْضِجي طَبَقاً إذا لم تَنْضَجي

---

(1) تعسلجت الشجرة: طالت أغصانها وتمايلت.

أزعمتِ نومَ البَوْحِ فيكِ سياسَةً؟
إنَّ احتمالَ الصَّمتِ موتٌ سجْسجي[1]!

ما أنتِ يا بنتَ الأزقَّةِ والرُّبا
كالعابثاتِ، ولا هواكِ بَنَفْسجي

لا أنتِ عاشقةُ الهروبِ ولا أَنا
بسِوى التَّهرُّبِ والسكوتِ تَأَذْلَجي

أَتَرَيْنَني في بابِ خدرِكِ باحثاً
عن موطني؟ أرجوكِ لا تتفرَّجي

قولي لمُعتَسِفي طريقِكِ: هاهُنا
تصميمُ قافلتي، وهذا منهجي

تدرينَ مأساتي؟ نَفاني مَنْ هَجا
نَسبي ومن نفخَ الغرورَ المَذْحجي

من هجَّنوا نسبي لأنِّي (حائِكٌ)
مثل الألى سخروا لأني (عَزْبَجي)

والآنَ، حُوكِيني لأُصبحَ حائكاً
مَنْ سوفَ يَغْزِلُني إذا لم تَنْسُجي

لم يبقَ غيرُكِ يا قصيدةُ موئِلاً
وأخافُ مِنْ أَنْ تُنْجِدي أو تُخْلجي!

❂❂❂

---

(1) السَّجسج: الجو المعتدل.

حواريَّةُ الرَّصيف (ج)

1983م

يـمـضـي لـقـيـفٌ ويـلـيـهِ لـفـيـفْ
وأنـتَ ثـاوٍ هـاهُـنـا يـا رَصـيـفْ!

تـسـتـعـرضُ الأطـوارَ مُـسْـتَـنـكِـراً
ومُـبـديـاً صـبـرَ الـحـيـادِ الـحـصـيـفْ

تـسـتـقـرئ الأقـدامَ، هَـلْ أنـتَ مِـنْ
قـراءةِ الأوجـاعِ مُـضْـنَـىً أسـيـفْ؟

- أنـوءُ بـالـعـبءِ الـمُـضـافِ الـذي
يُـضـيـفُ يـومـيّـاً إلـيـهِ رَديـفْ

* * *

كـيـفَ تـرى الأحـزانَ مِـنْ تـحـتِـهـا
كـمـا يـرى بـالـسّـمـعِ قـلـبُ الـكـفـيـفْ؟

- أشـمُّ قـلـبَ الـشُّـوق مِـنْ سـاقِـهِ
أعـي لـنـيّـاتِ الـمـوانـي صـريـفْ

أُحِـسُّ مـا تَـطـوي كـوالـيـسُـهـم
يـلـوحُ لـي كـلُّ قـنـاعٍ خـفـيـفْ

أعـيـا، لـمـاذا تـلـكَ مَـلأى وذي
جَـوعـى، وذا فـخـمٌ وهـذا نـحـيـفْ؟

هــذي كــشــيــخٍ مــا لــه لِــحــيَــةٌ
هــذا كــأُنــثــى ذاتِ ذقــنٍ نــتــيــفْ

ذاكَ الــــذي يــــقــــتــــادُ ســيَّــارةً
مــثــلُ الــذي يَــشْــتــاقُ جــحــشــاً عــجــيــفْ

أتــلــو نــزيــفــاً ذاهــبــاً عــائــداً
إلــى مــتــى أتــلــو كــتــابــاً نــزيــفْ؟!

مِــنْ أيــنَ تــأتــي كــلُّ هــذي الــخُــطــى؟
مِــنْ أيــنَ يــعــلــو كــلُّ هــذا الــعــزيــفْ؟

* * *

مِــنْ حــيــث لا تــدري مــرايــا الــضُّــحــى
ولا تــجــاعــيــدُ الــمــســاءِ الــشــفــيــفْ

يُــشْــقــيــكَ رُعــبٌ نــابــغــيٌّ ومــا
شــبَّــبْــتَ يــومــاً بــسُــقــوطِ الــنَّــصــيــفْ[1]!

ـ عَــلــى ســريــرٍ مِــنْ دَمــي أرتــمــي
والــدَّمــعُ مــن قــلــبــي إلــيــهِ ذريــفْ

أنــوحُ صــمــتــاً، أُرهــفُ الــســمــعَ؛ لا
يُــحِــسُّ إنــصــاتــي لــخــفــقــي هــفــيــفْ

* * *

(1) إشارة إلى خوف النابغة جراء تغزله بزوجة الملك النعمان (المتجرّدة) حين وصفها بعد سقوط نصيفها في قوله:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه
فتناولته واتقتنا باليد

مــن طــيــنــةِ الــبــؤسِ وأحــجــارِهِ
نــشــأتَ لــلــعــانــيــنَ أوفــى حــلــيــفْ

تــريــدُ تــمــشــي مــثــلَــهــم ـ إنــنــي
أقــوى عــلــى حَــمْــلِ الــزِّحــامِ الــكــثــيــفْ

كــلُّ الــذي فــوقــي شــبــيــهــي، فــلــو
أصــبــحــتُ ذا رجــلــيــنِ مــاذا أُضــيــفْ؟!

أودُّ أنّــــي فــــوقَ (لَــــخــــج) نــــدىً
أو أنــنــي نَــهْــرٌ بــبــيــتِ (الــذُّفــيــفْ)

أريــــدُ وضــــعــــاً ثــــانــــيــــاً، إنَّــــمــــا
رأســي إلــى عــرقــوبِ رجــلــي كــتــيــفْ

* * *

مــن ذا تُــنــادي هــاهُــنــا؟ هــل دَنــا
مِــنْ خــلــفِ هــذا الــجَــدبِ فــصــلٌ وَريــفْ؟

ـ ألا تــرى أولــئــكَ الــشُّــقْــرَ كــم
أَدْمَــوْا جَــنَــى صَــيــفٍ وأَضْــمَــوْا خــريــف!

لأنّــهــم يــحــوونَ أعــتــى الــقــوى
ويــمــلــكُ الــعــجــزَ الــضــمــيــرُ الــعــفــيــفْ!

* * *

هــل تــكــرهُ الأغــرابَ؟ ـ فــتِّــشْ مــعــي
أقــدامَــهــم، عــن لــونِ وجــهــي الألــيــفْ

كــانــوا فُــرادى فَــنَــمَــوْا، كــم أتــتْ
أعــتــى ريــاحٍ مــن نــســيــمٍ لــطــيــفْ

هـاتـيـكَ صـهـيـونـيَّـةٌ زوجُـهـا
ـ كـمـا تُـسـمِّـيـه ـ كـ(إدواردِ) هِـيْـفْ

أزواجُ (نـيـكـا) تـسـعـةٌ، أخـتُـهـا
لـهـا إلـى الـعـشـريـنَ كـلـبٌ وَصِـيـفْ[1]

يـمـشـون مـثـلَ الـنَّـاسِ، لـكـنْ أرى
قـلـوبَـهـم فـي كـلِّ قـلـبٍ (كـنـيـفْ)

تـقـيَّـأ الـدُّولارُ فـيـهـم لِـكَـي
يُـعـاكـسـوا كـلَّ مـرامٍ شـريـفْ

يُـزدونَ أنـقـى الـنّـاسِ كـي يـأمَـنُـوا
وكـي يـجـودوا يـقـتـلـونَ الـرَّغـيـفْ

يَـبـنـونَ مـسـتـشـفَـىً لـكـي يـفـتَـحـوا
مـلـيـونَ قـبـرٍ.. أيُّ غـزوٍ طـريـفْ؟!

جـاؤوا يُـضَـحُّـونَ بـأهـلِ الـحِـمـى
وهُـمْ ضـحـايـا كـلِّ قـصـرٍ مُـنـيـفْ

* *

هـل جُـرْمُـهـم يُـعـزَى لأسـيـادِهِـمْ؟
ـ تـقـبَّـلـوا تـكـلـيـفَـهُـمْ. يـا سـخِـيـفْ

هـم قـرَّروا، أسـيـادُهـم دبَّـروا
لـلـعُـنْـفِ طـابـوراً خـبـيـراً عَـنـيـفْ

عـدوانُ (بـيـجـنْ)، قـلـبُ (ريـجـنْ)؛ كـمـا
أنَّ هـوى (الـمـنـصـورِ) شِـدْقـا (سَـدِيـفْ)[2]

---

(1) الوصيف والوصيفة: اللذان يقومان بالخدمات الخاصة للسيد أو السيدة.

(2) سديف: شاعر من موالي (المنصور) كان يقول ما في ضمير سيده، وحين استضاف =

هـل أدْمَـنَ الـشـعـبُ الـعِـدا أو سَـهـا
عنهم فأمسى الضيفَ، وهْوَ المضِيفْ؟

ـ قُلْ ظنَّهم جاؤوا لتطويرِهِ
فما تبدَّى خائفاً أو مُخِيفْ

ألا تراهم طوَّروا؟ ـ طوَّروا
لكنْ سوى المُجْدي وغيرَ النَّظيفْ

قد كنتَ ثوراً حارِثاً ناطِحاً
وحينَ جاؤوا صِرتَ كبشاً عليفْ

تظنُّهم رَقَّوْكَ، لكنْ إلى
أدنى. أتدعوهُ سُقوطاً ظريفْ

* *

اليومَ نفطُ (الجوفِ) ناداهُمُ
ـ وهل دعاهُمْ أمسِ مِلْحُ (الصليفْ)؟!

جاؤوا بلا داعٍ، بلا دعوةٍ
هُمُ المُنادَى والمُنادي اللَّهيفْ!

= (المنصور) من تبقى من (بني أمية) أنشد سديف:

2لا يغرّنك ما ترى من خضوع
إن تحت الضلوع داءً دويّا
فضعِ السوط وارفعِ السيف حتى
لا ترى فوق ظهرها أمويّا

فقال الأمويون: قتلتنا يا سديف. فأباد المنصور كل ضيوفه الأمويين في وليمة شهيرة قائلاً: يا سديف ما عدوت ما في نفسي، وأجزل له العطاء.

أَنسَوْا رؤى (صنعا) بساتينَها
نَفَوْا عن الرِّيفِ الشَّذا والرَّفيفْ
حلُّوا محلَّ الأرضِ، طالُوا، خَصَوْا
في كُلِّ برْقٍ شَهواتِ الوكيفْ
تَأَسْمَتَتْ كلُّ المَجاني هُنا
أضحَى (وُنَيْتاً) ريمُ (وادي ثقيفْ)
لأنَّهم، كي يُفرخُوا أَوطَنوا
فحيحَ أيديهم مكانَ الحفيفْ

هَلْ هذه يا صاحبي حَالةٌ
لها نقيضٌ؟ ـ ليسَ حدسي رهيفْ
أخافُ أن يَزقَوْا إلى أنْ يَرَوْا
إنزالَ قرصِ الشمسِ جُهداً طفيفْ

* * *

لكنْ، لماذا يُبطِئُ المُرتَجى؟
ـ لأنَّ عكسَ الشوقِ يأتي زهيفْ
الدَّهرُ أدْوالٌ، أتَدري متى
سيَضْعُفُ الأقوى ليقْوى الضَّعِيفْ؟
أنتَ الذي ردَّدْتَ: بعدَ الشِّتا
صيفٌ، ولكنْ كيفَ أشْتى المَصيفْ؟!

* *

الآنَ، قُلْ لي أنتَ: ماذا يلي
هذا؟ ـ ألا تدري بأنّي رصيفْ؟!

زمانٌ للصَّمت

عام 1984م

يـا صـلـيـلَ الـحـصـى وهـجـس الـمـراعـي
كـيـفَ أشـكـو؟ صـمـتـي كـغـابِ الأفـاعـي

يـا تـنـاجـي الـغـصـونِ، مـن ذا أنـاجـي؟
كـيـف مـن مـدفـنِ الـسـكـوتِ انـتـزاعـي؟

الـعـصـافـيـرُ حُـرَّةٌ، فـلـمـاذا
تـخـنـقُ الـغـصَّـةُ الـجـنـاحَ الـشـعـاعـي؟

أنـتـوي أن أنـوحَ، يـعـصـي نـواحـي
كـيـف لا أسـتـطـيـعُ مـا فـي اسـتـطـاعـي؟

الـبـكـاءُ الـذي أنـاديـهِ يـأبـى
وبـرغـمـي أبـكـي بـلا أيِّ داعـي

هـل أُغـنِّـي تـفـكُّـراً أيَّ خـفـق؟
إنـنـي الآنَ مـنـشـدي واسـتـمـاعـي

يـا روابـي أريـدُ أفـضـي وأعـيـا
كـيـف أفـضـي؟ ومَـنْ أبـثُّ اصـطـراعـي؟

*

يـا بـقـاعـاً بـقـاعُـهـنَّ كـيـانـي
بـتُّ أخـشـى ألاّ تـكـنَّ بِـقـاعـي

يـا الـتـي رغـم قـلـبِـهـا ضـيَّـعـتْـنـي
هـل أرجُـي أن تـتـركـي لـي ضـيـاعـي

قـد تـعـوَّدتُ روعـةَ الـتـيـهِ وحـدي
كـلُّ خـوفـي عـلـيـكِ مـن أن تُـراعـي

* * *

يـا قُـضـاعـيَّـةَ الـرُّبـا، أيـن يـلـقـى
عـنـكِ مـأوَىَ هـذا الـلـعـيـنُ الـقُـضـاعـي؟

نـكـهـتـي، يـا (الـمـيسُ) مـن دُخْـنِ (مـيـدي)
معجمي، يا (الميس) (لَحْجي)، (سنَاعي)

هـل تـريـديـن أن تـرَيْ نـصـفَ وجـهـي
(يـافـعـيّـاً)، ونـصـفَ وجـهـي (يـفـاعـي)؟

ـ إنَّ (حـيـفـانَ) غـيـرَ (عـطَّـانَ) يـا ابْـنـي
بـل أرى (الـمـعـبري) نـقـيـضَ (الـشُّـبـاعـي)

كـلُّ بـيـت هـنـا، هـنـاك بـيـوتٌ
والـتـلاقـي تَـجَـمُّـعٌ لا اجـتـمـاعـي

والـذي مـا لَـهُ قـبـيـلٌ تـراهُ
(مَـطَـريّـاً) يـومـاً ويـومـيْـنِ (لاعـي)

بـيـن هـذي وتـلـك يُـذكـي حـروبـاً
بـيـن هـذا وذا خـبـيـثَ الـمـسـاعـي

*

غـيْـري يـا أمـومـةَ الـعـقـمِ هـذا
ضـاجـعـي الـشـمـسَ والـنـدى يـا لُـكـاعِ

يـا عـجـوزي تـزوَّجـي طـفـلَ طـفـلـي
كـي تُـجـيـدي ـ رَضـاعَـهُ وارتـضـاعـي

* * *

صـمـتَـكَ الآنَ ـ أمـرُ مـولاةِ قـلـبـي
إنـمـا سـامـحـي إذا لـم تُـطـاعـي

ربـمـا لـو سـمـعْـتِ مـنـي تـبـدَّى
خـيـرُ مـا تـطـمـعـينَ فـيـه طِـمـاعـي

شـرعـةُ الـقـلـبِ، كـالـيـنـابـيـعِ يُـفْـضـي
لـيـس هـذا كـمـا تـريْـنَ اشـتـراعـي

ـ حـسـنٌ، إنـمـا تـفـجَّـرُ سـكـوتـاً
مـن بـهـذا أوصـى ـ (عـديُّ الـرِّقـاعـي)[1]

مـن تـشـهَّـى إسـكـاتَ ذاك الـمـغـنـي
حـين غـنَّـى: (ومـا حـمـلـتُ يـراعـي. .)[2]

يـا عـصـافـيـرُ، هـل عـلـيـكـنَّ حـظـرٌ؟
هـل بـأعـشـاشِـكـنَّ قـهـرٌ جـمـاعـي؟

هـل عـلـى بـوحِـكُـنَّ أيُّ رقـيـبٍ؟
هـل عـلـيـكـنَّ بـالـوشـايـاتِ سـاعـي؟

(1) عدي بن زيد الرقاعي: شاعر أموي.

(2) وما حملت يراعي: نصف شطر من بيت الزبيري:

ومـا حـمـلـت يـراعـي صـارمـاً بـيـدي
إلا لـيـخـلـق أجـيـالاً وأوطـانـا

هـل لـديـكـنَّ حـرفُ جـرٍّ ونـصـبٍ؟
هـل بـأوزانِـكـنَّ فـعـلٌ رُبـاعـي؟

مـا الـذي عـنـدكـنَّ يـا بـعـضَ أهـلـي؟
هـل لـتـغـريـدِكـنَّ مـغـزَىً قِـراعـي؟

هـل سـألـتـنَّ مـثـلَ قـلـبـي (رمـاعـاً)
كـيـف أجـنـى لـغـيـرِ كـفٌ (الـرّمـاعـي)؟

ولـمـاذا. مـا لِـلـحـمـامـاتِ حـامٍ
ولأمـنِ الـبـعـوضِ حـامٍ وراعـي؟

* * *

إنَّ هـذا الـزمـانَ لـلـصـمـتِ فـاسـكـتْ
ـ آهِ، حـتـى الـطـيـورُ تـهـوى انـقـمـاعـي

ربـمـا كـان هـمُّـهـا غـيـرَ هـمِّـي
إنـمـا لـوعـةُ الـغـصـونِ الـتـيـاعـي

صـمـتَـك الآن ـ مـا ابـتـلـعـتُ سـكـوتـي
لا، ولا أتـقـنَ الـسُّـكـوتُ ابـتـلاعـي

يـا هـسـيـسَ الـنـبـاتِ والـطَّـلُّ قـل لـي
أيـن أرمـي عـنـي هـسـيـس طـبـاعـي؟

فـي اقـتـداري ألاَّ أفـوحَ لـوَ انّـي
يـا ضـجـيـجَ الـفـراغِ نـبـتٌ صـنـاعـي

هـل أنـادي يـا مُـنـحـنـى؟ كـيـف أحـكـي؟
يـا شـجـيـراتُ هـل لـديـكـنَّ واعـي؟

(دِعــبِــلِــيُّ) الــجــمــوحِ أنــتَ، وعــنــدي
كــلُّ عــادٍ عــلــى الــتــعــدِّي (خُــزاعــي)

* *

يــا دجــى هــل تُــصــيــخُ؟ ـ أنــمــاعُ قــبــحــاً
وأزيــــزاً ولا أحــــسُّ انــــمــــيــــاعــــي

إنــهــم يــلــبــســونَ عــنــي قــمــيــصــي
ويــغــوصــونَ كــالــمُــدى فــي نُــخــاعــي

غــيــرَ هــذا مــاذا رأيــتَ؟ ـ لــســانــي
تــحــتَ أقــدامِــهــم، جــحــيــمٌ قــنــاعــي

* *

أنــت يــا فــجــرُ هــل تــرى؟ ـ مَــنْ تــنــادي؟
أيَّ فــجــر؟ تــنــاوُمــي كــانــدلاعــي!

لــلــشــوانــي عــلــى انــتــبــاهــي فــحــيــحٌ
ولــنــومــي خــوارُ ثــورٍ (سُــبــاعــي)

* *

يــا هــبــوب الــرِّيــاحِ مِــمَّ تــعــانــي؟
ـ مــن تَــلَــوِّي سَــيْــرِي وتــيــهِ ارتــجــاعــي

فــوقَ هــذا الــمــضــيــقِ هــشَّــمْــتُ وجــهــي
تــحــتَ هــذا الــكــثــيــبِ غــاصــتْ ذراعــي

أرتــمــي كــي أقــومَ، أرمــي حــطــامــي
وأُوالــي هــذا الــرَّمــادَ (الإذاعــي)

إنــمــا لــســتَ عــائــلــيّــاً تُــحــابــي
(شــرجــبــيــاً) عــلــى حــســابِ (الــيــنــاعــي)

بــل تــحــيِّــي (الــحــدا) بــريــحــان (صــنــعــا)
و(الــمــكــلاَّ) بــطــيــبِ (نــجــدِ الــجُــمــاعــي)

* *

أنــتَ يــا بــحــرُ مــا الــذي تــبــتــغــيــهِ؟
ـ غَــيــرَ مــائــي، قــرارةً غــيــرَ قــاعــي

أتــمــنَّــى أنــي حــديــقــةُ كَــرْمٍ
فــي (الــحــشــا) أو حــقــولُ قــمــح (رَداعــي)

تــتــمــنَّــى الــســهــولُ لــو كــنَّ بــحــراً
كــيــف تــهــوى لــو كــنــتَ ســهــلاً زراعــي؟

أيُّ شــيءٍ عــن وضــعِــهِ الــيــومَ راضٍ
فــتــرانــي مــســتــخــذيــاً لاتِّــضــاعــي

*

يــا ضــحــى مــا الــذي تــريــدُ؟ مَــداراً
غــيــرَ هــذا، أمــدُّ فــيــه اتِّــســاعــي

أشــتــهــي تــســقــطُ الــنــجــومُ رُجــومــاً
يــنــمــحــي عــالــمُ الــلَّــظــى والــتَّــداعــي

تــبــلــعُ الأرضُ كــلَّ هــذا لــيــرقــى
عــكــسُ هــذا، عــســى تــنــامُ الــنَّــواعــي

فــجــأةً يــا قــرارةَ الأرضِ قــومــي
وافــتــحــي فــي حــشــاكِ أخــفــى الأواعــي

هـكـذا يـا ضـحـى تـخـطُّ وتـمـحـو

ـ وعـلـى الأرض والـبـروق اتِّـبـاعـي

هـل سـيـبـقـى لـرهـبـةِ الـصـمـتِ وقـتٌ؟

الـبـكـاراتُ فـي انـتـظـارِ افـتـراعـي

❂ ❂ ❂

سكرانُ وشرطي مُلْتَحٍ

1984م

وقعتَ يا أحمر العينينِ تحتَ يدي
ـ شكراً أخا اللُطفِ يبدو كنتَ مفتقِدي

قفْ حيثُ أنتَ. مساءُ الخيرِ، طبت منىً
إمكانُ سيّارةٍ ما كان في خلَدي

من أين أقبلتَ هذا الحينَ تحملُني؟
لن أفقدَ الحظَّ طولَ العمرِ يا نكدي

ـ أحرقتُ نفطاً كثيراً طالباً أحداً
سكرانَ لولاكَ يا ملعونُ لم أجدِ

وشتْ بكَ الحمرةُ النشوى ورائحةٌ
ـ ما أسعدَ الوردَ لو لاقى كمنتقدي

عمَّا تفتِّشُ في جيبي وخاصرتي؟
ـ ابلغْ سؤالَكَ واركبْ لِصْقَ مُقتعدي

من بيتِ مَنْ جئت؟ ـ من ظهري إلى قدمي
ما زلتَ سكرانَ ـ لا تسرغ، أطِلْ أمدي

نـاقـشـتُـمُ جـيِّـداً، مـن كـان أحـمـسـكُـمْ؟
ـ (طـه) وأثـقـفُـنـا (الـحـدّادُ) و(الـعـمـدي)

تـرى (الـكـمـيـتَ) خـزاعـيّـاً أبـاً وهـوىً؟
أم أنـــتَ مـــن رأي (غـــازي) أنـــه أســـدي

اخرس ـ نجومُ الدجى يضحكنَ لي، أترى؟
كـــأنـــهـــنَّ كـــؤوسٌ مـــن دمِ الـــبـــرَدِ؟

لـــديـــكَ ســـيّـــارةٌ أخـــرى، أتـــتـــرُكُ لـــي
هـذي إلـى الـصـبـحِ؟ مـتْ يـا وغـدُ بـالـحـسـدِ

ـ يـا هـذه الـلَّـيـلـةُ امـتـدِّي ويـا طـرقـي
أرجـــوكِ طـــولـــي ويـــا ســـيَّـــارةُ اتَّـــئـــدي

هـذا (هُـتـيـلُ الـمـخـا) هـذا (سـبـا) وهـنـا
بـدءُ (الـزبـيـري) وهـذا مـعـرضُ (الـهـجـدي)

هـذي الـبـيـوتُ حـبـيـبـاتـي، نـوافـذُهـا
رُنُـــوُّ قـــلـــبـــي إلـــى أيـــامِـــهـــا الـــجـــدِدِ

إنـــزلْ وصـــلْـــنـــا ـ بِـــوُدِّي أن أظـــلَّ هـــنـــا
أحـسـو الـنـجـوم وأشـوي الـلَّـيـلَ فـي كـبـدي

فـوراً أُعـشِّـيـك لـيـلاً سـاخـنـاً دسـمـاً!
ـ نَـحِّ الـمـسـدَّس عـنـي، لـم يُـقِـمْ أَوَدي

أَوْصـلْـتُـكَ الـبـيـتَ ـ لـكـنْ كـيـف جـاءَ هـنـا
بـيـتـي، وزاد اتِّـسـاعـاً وهـو كـالـوتـدِ؟

تقول بيتي، أهذا القفرُ حارتَنا؟
يا هذه الغابةُ الصخريّةُ ابتعدي

لعلَّهُ بيتُكَ الثاني - وأنتَ بِهِ
ضيفٌ، ولكنْ يلاقيني كمزدردي

أوَصلْتَ سكرانَ - هل تُمسي عصاي بلا
أهْنا عشاءٍ فيمسي الغبنُ مُتَّسِدي

أدخِلْهُ نُلْقِ عليهِ الآنَ أسئلةً
- جادت ليالي بني وُدّي ومعتقدي

اجلسْ، لماذا تحيِّينا؟ - عرفْتُكُمُ
هذا (سعيدُ) وهذا (أكرمُ الجَندي)

هذا (حسينُ) زميلي، كان والدُهُ
ضخمَ العمامةِ، (بحريَّ النهى)، (زُبَدي)[1]

(نعمانُ) في حملةِ (العرقوبِ) كان معي
(علوانُ) كان يُوالي وحدَهُ مددي

كنّا تلاميذَ أقسام فَعَسْكَرَنا
أيلولُ تحت سناهُ الأخضرِ الغردِ

وكانتِ الثورةُ الحمراء تُنشِدُنا
عليكمُ يا بني أيلولَ معتمدي

(1) بحري: نسبة إلى كتاب (البحر الزخّار) في الفقه الهدوي وزبدي: نسبة إلى كتاب (الزُبد) في الفقه الشافعي.

ـ ما زلتَ تجترُّ ذكراها؟ ـ وأُنشِدُها:
(يا دارَ ميَّةَ بالعلياءِ فالسَّندِ)

* *

وجدتُ في جيبِهِ هذا الكتاب ـ أرى
(مستقبلَ النفطِ) لغوَ الزُّورِ والفَنَدِ

وهل كتبتَ سوى هذا؟ ـ محاولةً
عن (صلح دعَّانَ)[1]، كرَّاساً عن (العَنَدي)[2]

قالوا: تزوَّجتَ خمساً ـ ألفُ كارثةٍ
تُشقي ثلاثين جلفاً (مريمُ الصَّيَدي)

يقالُ: حاربتَ في (ردفانَ) في (خَرَضٍ)
ـ وقال: من لم يحاربْ إنني (قَعَدي)

والآنَ سكرانُ؟ لِتْرٍ، بين أربعةٍ
هل عندكم نصفُ لترٍ ينطفي سَهَدي

نسقيكَ تسعينَ سوطاً ـ ما سمعْت به
سوطاً، أنوعاً من (الويسكي) أمِ البلدي؟

كالأسود الإنجليزي، هل سمعتَ به؟
ـ كلاً، لعلِّي عرفتُ (الأصفرَ الكندي)

تحشو مِداداً وخمراً، فاسقِّ خطرٌ
ـ هذا الكتابُ دليلي، أنت مستندي

---

(1) صلح دعَّان: وقع صلح دعان بين القيادة اليمنية والوالي التركي في دعان وعرف الصلح منسوباً إلى المكان الذي وقع فيه سنة 1911م.

(2) العندي: الشاعر أبو بكر العندي شاعر الزريعيين حكام عدن في القرن الثالث عشر الميلادي.

أنزِلْهُ زنزانةً والصبحَ تجلدُهُ
ـ كم جلدةً؟ ـ قلتُ: لا تبخلْ على أحدِ

* * *

يا أحمدُ، اللَّيلةُ اشتدَّتْ أواخرُها
فقلْ لها اتَّقدي فوقي أوِ ابتردي
دخلتَ قارورةً أخرى، ستألفُها
واسكرْ كما شئتَ سكرَ الفارسِ النَّجِدِ
تريدُ جلداً إضافيّاً لسوطِهِمُ؟
ـ نعمْ وجسماً إضافيّاً إلى جسدي
يا أحمدُ اصبرْ بلا ضيقٍ ـ صدقتَ، بلا
شكوى، ويا قسوةَ الزنزانةِ اجتهدي
شُدِّي ضلوعي فما لاقيتُ غانيةً
سواكِ قولي: أذبْ خَضْري وكُلْ غَيدي
لا تبعدي، أنتِ جزءٌ من ثرى وطني
مني؛ فهيَّا بهذا المغرمِ اتَّحدي
إليكِ عشقي بلونِ البنِّ فابتهجي
لا بدَّ، يا زوجةَ الإسمنتِ أن تلدي

* *

عرفتَ يا أحمدُ السَّكرانُ، كيف ترى؟
شيئاً سوى الكأسِ، غيرَ (المَقْيَلِ) الرَّغِدِ
لا، بل عرفتَ بلاداً كنتَ تجهلُها
وأنتَ منها وفيها ـ غيَّبُوا رَشَدي

*

مــن ذا تــحــاورُ، يــا هــذا الــســجــينُ؟ ـ أنــا
هــل فيــك شــخــصــانِ؟ ـ أجيــالٌ مــن الــكــمــدِ

يــا جــارَ زنــزانــتــي كــنْ صــامــتــاً أبــداً
وكــيــف يــصــمــتُ فــردٌ غــيــرُ مــنــفــردِ

هَــذيــتُ يــومــاً وشــجُّــوا بــالــنــعــال فــمــي
ونــصــفَ رأســي وقــالــوا: أخــرجــوا عُــقَــدي

تــعــالَ نــغــشَ الــمــصــلَّــى كــي نــغــالــطَــهــم
مــا اسْمُ ابنِ أمّي؟ ـ أُسمَّى (أحمد القفدي)

كــم دفَّــعــوكَ ألــوفــاً؟ ـ مــا دفــعــتُ لــهــم
ـ اســمــعْ عــلــى الــخــمــســةِ الآلافِ لا تــزدِ

هــم يــنــهــبــونَ فــلــوســاً لا عــدادَ لــهــا
ويــجــلــدونَ كــمــا شــاؤوا بــلا عــددِ

ـ فــلــيــجــلــدوا لــن يــروا ألــفــاً ولا مــئــةً
لــوِ الــغــبــارُ نــقــودي والــحــصــى (نَــقَــدي)[1]

صــبُّــوا عــلــيَّ عــصــاهــم فــاعــتــمــدتُ عــلــى
جلْدي، عــلــى مــا تــنــاســى الرُّعــبُ من جَــلَــدي

* * *

ذكــرتُ مــن أنــتَ، غــبْ في الــهــمــسِ مــحــترســاً
يــا صــدفــةَ الــعــمــرِ جــاري (أســعــدُ الــقــلــدي)

---

(1) النقد: صنف من الأغنام يتصف بقصر القوائم.

لاقَـوْكَ سَـكْـرانَ مـثـلـي؟ ـ بـل أتـوْا وأنـا
فـي صـحـنِ مـدرسـتـي أصـحـى مـن (الـرّأدِ)

أنـكـرتُ وجـهَـكَ ـ مـرَّت بـي هـنـا سـنـةٌ
ونـصـفُ أخـرى، وبـرقُ الـوعـدِ لـم يَـعُـدِ

لـعـلَّ قـلـبَ الـضـحـى يـنـوي مـفـاجـأةً
هـنـا الـضـحـى والـدجـى حـبـلانِ مـن مـسـدِ

مـتـى اسـتـعـادَ زمـانُ الـجـلْـدِ سـيـرتَـهُ؟
ـ مـن (يـوم عـمـرانَ) أو مـن (لـيـلـة الـحـمِـدي)

مـا لـلـبـدايـةِ بـدءٌ كـي تـلـوحَ لـهـا
نـهـايـةٌ ذاتُ بـدءٍ غـيـرِ مـنـعـقـدِ

مـهَّـدْتُ لـلـذاهـب الآتـي فـكـيـف جـرى؟
ـ قـدَّمـتَ الاثـنـيـن، يـا هـذا عـلـى الأحـدِ

* * *

يـا أحـمـدُ انـظـرْ بـعـيـداً، هـل تـرى طـرفـاً؟
يـا أسـعـدُ انـظـرْ عـمـيـقـاً غـيـرَ مـبـتـعـدِ

ألـي غـدٌ؟ ـ مـرَّ بـي عـشـرونَ ألـفَ غـدٍ،
مـن أجـلِ يـأتـي الـذي تـدعـوهُ أنـتَ غـدي!

أكـابـدُ الـيـومَ مـا عـانـاهُ أمـسِ أبـي
أخـشـى يـلاقـي الـذي لاقـيـتُـهُ ولـدي

يـا صـاحـبـي ذاك تـكـويـنُ الـنـقـيـضِ يُـرى
فـي غـيـرِ مـرآهُ يُـخـفـي دفـقَـهُ الأبـدي

حكايةُ طالِب

1985م

مصروفُه في كلِّ يومٍ وفيز
أبوهُ إمّا سارقٌ أو أميز

أو عنده أمٌّ كـ(مرجانةٍ)
في بيتِها كلَّ مساء وزيز

عليهِ من تغنيجِها مسحةٌ
ومن هدايا زائريها عبيز

في كلِّ يومٍ يكتسي حلَّةً
أخرى، فيبدو دميةً من حريز

حقيبةً تخطو كجاسوسةٍ
ترومُ أن تُغوي نقيّاً شهيز

تأتي به سيّارةٌ وحدَهُ
تعيدُهُ أخرى عليها خفيز

يجيءُ ظهراً أو ضحىً مثلما
يأتي إلى حفلِ البلاطِ السفيز

يظلُّ مطْويّاً مدى الوقتِ لا
يثيرُهُ شيءٌ ولا يستثيز

يـجـيـبُ إيـمـاءً، يـنـادي كـمـا
يـمـازحُ الـصـمـتُ الـزُّجـاجَ الـكـسـيـرْ

* * *

يـا لـيـتَ شـعـري مـا اسْـمُـهُ عـلَّـهُ
(سـمـيـرةٌ) لـكـنْ يُـنـادى (سـمـيـرْ)

يـلـوحُ فـي الـعـشـريـنَ يـبـديـهِ فـي
بـدايـةِ الـعـشـرِ الـغـبـاءُ الـنـضـيـرْ

تـحـديـقُـهُ مـثـلُ طـحـيـنِ الـحـصـى
وخـطـوُهُ يـحـكـي عـجـيـنَ الـشـعـيـرْ

يـبـالـغُ الأسـتـاذُ (رشـوانُ) فـي
تـدلـيـلِـهِ، يـرعـاهُ كـابْـنِ الـمـديـرْ

يـدعـوهُ (طـه) (أجـدعَ الـكـلِّ)، بـل
يـدعـوهُ (مـرسـي) عـبـقـريّـاً خـطـيـرْ

عـلـيـهِ مـن ذَيْـنِ وذا هـالـةٌ
تـحـيـطُـهُ عـن أمـرِ والٍ كـبـيـرْ

و(مـصـطـفـى) يُـغـنـى بـإنـجـاحِـهِ
فـيـسـتـحـقُّ الـسـبـقَ وهـو الأخـيـرْ

يـجـتـازُ صـفّـاً بـعـد صـفٍّ ومـا
عـانـى طـريـقـاً أو أرادَ الـمـسـيـرْ

وبـعـد عـامٍ سـوف يـرقـى إلـى
كُـلِّـيَّـةٍ أعـلـى ويُـدْعـى الـجـديـرْ

ويـــصــــبـــحُ الـــدكـــتـــورَ، فـــي دارِهِ
دكـــتـــورةٌ مـــن أيِّ مـــلـــهَـــىً أجـــيـــز

ونـــحـــن فـــي الـــتـــجـــهـــيـــلِ نـــذوي كـــمـــا
يـــضـــيـــعُ فـــي قـــيـــظِ الـــرمـــالِ الـــغـــديـــز

* *

ـ رقَّـــوْهُ يـــا (يـــحـــيـــى)، كـــمـــا رسَّـــبُـــوا
(عـــدنـــانَ) إذ ســـمَّـــى زُهَـــيـــراً جَـــريـــز

تـــحـــتـــاج يـــا (نـــعـــمـــانُ) كـــي تـــرتـــقـــي
عـــمّـــاً طُـــفـــيـــلـــيّـــاً وصـــدراً وثـــيـــز

ـ مـــن قـــال إنّـــي أبـــتـــغـــي رفـــعـــةً
كـــهـــذِهِ. هـــذا طـــمـــوح حـــقـــيـــز

رقَّـــوه يـــا (مُـــلْـــهـــي)، نـــعـــمْ حـــظُّـــهُ
أحـــظُّـــهُ أم أســـتـــاذاتُ الـــحـــمـــيـــز؟

مـــا شـــأنُـــهُ يـــا (صـــقـــرُ) تـــشـــقـــى بـــه
ـ أشـــمُّـــهُ عـــنـــوانَ آتٍ مـــريـــز

هـــذا الـــذي مـــن صـــفِّـــنـــا، كـــم تـــرى
لـــه بـــ(صـــنـــعـــا) أو ســـواهـــا نـــظـــيـــز

قـــلْ: أيـــن أهـــلُ الـــبـــيـــتِ يـــا بـــيـــتَـــنـــا
ولا تـــقـــل لـــلـــفـــأرِ: أيـــن الـــضـــمـــيـــز؟

* * *

يـــا (قـــيـــسُ) رقَّـــوْهُ، كـــمـــا رفَّـــعـــوا
مـــن قـــســـمِـــنـــا كـــلَّ كـــســـولٍ غـــريـــز

ورسَّبوا (نصراً) لنسيانِهِ

(أمَّ النبي). هذا امتحانٌ عسيرْ

وسهَّلوهُ كيف شاؤوا لمن

لاقوهُ عوناً أو رأوهُ عشيرْ

* *

يا (زيدُ) اسكُتْ بيننا من يشي

ـ دَغهُ، أما أنكرتَ هذا النكيرْ

أخافُ أستاذاً أرى وجهَهُ

ولا أرى فيه الوجوهَ الكثيرْ

في الليلِ يسطو هادئاً، في الضحى

يجترُّ ساقاً كَمَبالِ البعيرْ

وتحتَ إبطَيْهِ ككراسةٍ

ولفَّةٌ فيها جهازٌ صغيرْ

هذا الذي قال إلهُ القوى

أنالَ إسرائيلَ ربّاً قديرْ

عرفتُهُ يا (صقرُ)؟ ـ كان اسْمُهُ

(وصفي) وهذا العامَ يُدْعى (منيرْ)

والآن أضحى مستشاراً ولا

يدري، سوى الشيطانِ ماذا يشيرْ

وفوق هذا عنده ناهدٌ

كأنها قارورةٌ من أثيرْ

عن وخيِهِ رقَّوا (سميراً)، أما
إرادةُ التجهيلِ جهلُ المصيرْ؟

*

(سمير) منْ يا (مقطري)؟ خِلْتُهُ
سليلَ بيتٍ مخبرٍ أو خبيرْ

تراهما سِيَّانِ يا صاحبي
وراء كلِّ ألفِ سرٌ مثيرْ

ووالدا هذا؟ حكتْ عمَّتي:
أن أباهُ ماتَ شهماً فقيرْ

إذنْ له أمٌّ، كما لاحَ لي
طريقُ عرشِ المالِ خبثُ السريرْ

تجري التقاريرُ الفظيعاتُ من
صالونِها، وهو الفظيعُ القريرْ

*

ماذا سيأتي بعدَ ذا؟ هل له
بَعْدٌ؟ وهل عمرُ المآسي قصيرْ؟

هذا نذيرٌ، بل بشيرٌ، أصِخْ
بشيرُ مَنْ؟ ماذا يقولُ البشيرْ؟

۞۞۞

الحقيقي

1985م

يجيءُ بلا وقتٍ، وبالوقتِ يلتقي
أيغدو أيَسْري؟ أيَّ وقتيهِ يتَّقي؟
يقاوي سُراهُ، أم يداري غُدُوَّهُ؟
إلى قصده يجري، ومجراه زئبقي

* * *

يقولُ الحصى: مَن ذلك الطالعُ الذي
تقول خُطاهُ للمراعي: تعملقي؟
ينادي الأخاديدَ التي ملَّها الثوى:
هناك طريقٌ فاسبقيني أوِ الحقي
تَهِسُّ الرّوابي: من أتى؟ إنه الذي
إلى فجرِ عينيْهِ تَنادى تَحرُّقي
يمرُّ ويُفضي للشجيراتِ مثلما
يقولُ الشذا للريحِ: لُمّي تفرُّقي
وتهمسُ عنهُ لثغةُ الحُلْم مثلما
إلى الطَّلِّ يُومي الوردُ: قَبْلَ تفتُّقي
تَشِعُّ بعينيْهِ بكارةُ حبِّهِ
ويُغري شموخُ القلبِ فيهِ تعلُّقي

* * *

أكــاد أُسَــمِّــيــهِ ويــنــبــو عــنِ اسْــمِــهِ
يــلــوح كـ(صَغْديٍّ) ويحكي كَـ(مغبقي)

يُـصَـوْصِـي كـ(هـنـديٍّ) يـؤدِّي شـعـيـرةً
يـغـيـمُ كـ(غـانـيٍّ) ويـصحـو كـ(جِلِّـقـي)

عــلــيــه جــبــيــنٌ مــثــلُ فــعــلِ مــضــارعٍ
عـلـيـه قـمـيـصٌ كـالـهـجـاءِ (الـفـرزدقـي)

ومِــن حُــبِّــهِ قــالــوا: تــزوَّجَ أمَّــهُ
أأدعــوه مــنــذُ الآن (أوديــبَ) مــشــرقــي

بــوُدِّي أســمِّــيــهِ، وأعــيــا لأنــهُ
يـجـافـي تـقـالـيـدي، فـأطـوي تَـحَـذْلُـقـي

تــلاويــنُ مــرآةٌ تــروغُ أمــامَــهُ
إذا اخــتــارَ ورديّــاً تــلــقَّــاهُ فُــسْــتُــقــي

وإن شــام (بــكــريّــاً) تــحــوَّلَ (تَــغْــلِــبــاً)
وإن شــمَّ (صــوفــيّــاً) دنــا مــنــهُ (بَــيْــهــقــي)

* * *

ـ أتـخـتـار لـي هـذي الـمـرايـا وجـوهَـهـا
وتـبـتـزُّ وجـهـي.. غـيـرُ هـذا تـألُّـقـي

لـمـاذا أرى والـوقـتُ يـلـبـسُ رؤيـتـي؟
وأبـحـثُ عـن نـطـقـي، ويَـهْـذي بـمـنـطـقـي

أيـا مَنْ تَـسـمَّـى الـوقـتَ، مِنْ أيـن جئـتـنـي؟
وهــل أنــتَ إلاّ دفــقــةٌ مــن تــدفُّــقــي؟

وهل كنتَ في نسغي قُبيلَ تفتُّحي؟
وهل أنتَ مِن بعدِ التفتُّحِ مُغلقي؟

صعدتُ بلا وقتٍ وقلبي على يدي
كتابٌ، وهذا وجهُكَ الآن رَوْنقي

لأني حقيقيٌّ فأنتَ مُغايري
لأني زمانٌ أنت صنعي ومَأزِقي

إذن لستَ مني، إنما منكَ أقتني
مَشَمّاً لإبراقي ولوناً لبَيْرقي

قميصاً غداةَ العيدِ يكشفُ جِدَّتي
قناعاً يواري عن جفوني تمزُّقي

على أيِّ حالٍ جئتُ أختطُّ وُجْهتي
فيا هذه الأرضُ استقرّي أوِ اقلقي

محوتُ وصايا (العم)، قولي لـ(عمَّتي)
(على غيرِنا يا أمَّ عَمْرٍو تشدَّقي)

ومِنْ غيرِ تاريخِ الأبوَّةِ وابنِها
أتيتُ فلِيْني يا ذرا أو تَبَنْدَقي[1]

تعرَّيتُ للأمطارِ والنارِ والمُدى
وهذا التعرّي، يا متاريسُ خَنْدقي

أمامي طريقٌ لا يؤدّي، وهاهُنا
طريقٌ أراهُ لا يُريني تحقُّقي

---

(1) تبندقي: أي احملي البندقية.

وهـذا طـريـقٌ مـا لـه أيُّ نـكـهـةٍ
وهـذا لـه شَـمٌّ ولـكـنْ تـخـلُّـقـي

وهـذا لـه وجـهٌ عـن الـجـيـدِ مُـبْـعَـدٌ
وهـذا طـفـيـلـيٌّ مُـحـيَّـاهُ (غَـلْـفـقـي)

وهـذا كَـسـيـفٍ (عـولـقـيٌّ) يـلـوحُ لـي
وهـذا كَـسـيـفٍ يـدَّعـي شـكـلَ (عـولـقـي)

وهـذا طـريـق مِـن طـريـقـيْـنِ، هـل أرى
طـريـقـاً لـه قـلـبٌ يـنـادي تـطـرُّقـي؟

* *

أأنـشـقُّ بـيـن الـسـهـلِ والـصـعـبِ يا خـطـى؟
أتـجـتـازُ شـبـراً واحـداً يـا تـشـقُّـقـي؟

أرى ألـفَ نـهـجٍ، سـوف أخـتـارُ واحـداً
لأنـي وحـيـدٌ؛ فـانـتـخـبْ يـا تـشـوُّقـي

ومِـن أيـن يـا شـتَّـى الـمـمـرّاتِ يـبـتـدي؟
أجـيـبـيـهِ يـا شـتَّـى الأعـاصـيـرِ واصْـدُقـي

أتـوصـيـنَـهُ يـجـري عـلـى جَـرْيِ وقـتِـهِ؟
لـقـد جـاء عـكـسَ الـوقـتِ، كُـفّـي وأطْـرِقـي

أيـفـنـى ربـيـعٌ فـي مـدى شـوطِ سـاعـةٍ
لـيُـدْعـى زمـانَ الـقـحـطِ، ريَّـانَ زنـبـقـي

لـقـد جـاء هـذا يـا لـيـالـي لِـتُـشْـمـسـي
ويـا أرضُ كـي تـرمـي الـسُّـعـالَ وتـعـشـقـي

أليسَ له وجهٌ وجيدٌ وموقفٌ
كنسغِ الدَّوالي؟ سوف يُدْعى تسلُّقي

ولو جاء قبلَ اليومِ سمَّاهُ (عاصمٌ)
كفوراً، وأمسى عند (توماس) هَرْطقي

ولو شاهَدتْ صنعا فرادةَ وجهِهِ
لَسَمَّتْهُ (روميّاً) ولو كان (مَفْحقي)

ولو مرَّ من (تكساس) قالت بأنه:
(لُمُمبا) وقالتْ (مونتكرلو): تَزَنْدُقي

يريدُ لكي يحيا غباءً مُطَوَّراً
ووجهاً تجاريّاً ووجهاً تملُّقي

* * *

أيسقطُ بين البدءِ والبدءِ؟ يبتغي
وُثوباً على حشدِ النقيضَيْنِ يرتقي

يرومُ ابتداعَ المستحيلِ فتنثني
إليهِ غَشاثاتُ الزمانِ (الخَوَرْنَقي)

أيصبحُ وقتاً ثالثاً، أين يلتجي؟
إلى غيرِ وقتٍ، أيَّ موتيهِ ينتقي؟

أيرضى الذي يلقى؟ وهل عنه مرجعٌ؟
أيُفني شقاءَ الظِّلِّ أم أصلَهُ الشقي

وهل جاء يمحو الوقتَ أو فيهِ ينمحي؟
وهل جاء يطوي الجَذْبَ أو منه يستقي؟

أيرجو الذي يخشى ويخشى الذي رجا؟
فيلقى الذي يُرْدي كذاكَ الذي يقي

أجاء يوشّي باسمِهِ وجهَ عكسِهِ؟
لماذا أتى؟ هذا السؤال الذي بقي(*)

❁❁❁

(*) وردت في القصيدة أسماء منسوبة إلى أماكن وكائنات وأشياء يمكن توضيح نسبتها:
معبقي: منسوب إلى معبق، وهي من مناطق تعز.
صعْدي: نسبة إلى صعدة التي تقع شمال اليمن.
غلفقي: نسبة إلى غلفق وهو الطحلب الكثيف.
عولقي: نسبة إلى العوالق في الشطر الجنوبي من اليمن.
مفحقي: نسبة إلى مفحق مركز منطقة الحيمة من لواء صنعاء.
خورنقي: نسبة إلى قصر (النعمان بن المنذر) المعروف بالخورنق والذي نشأت عنه حكاية (سنمّار) الشهيرة.

آخرُ الصَّمت

1986م

مثلما ينقل السَّأمْ مقلتيْهِ إلى القَدَمْ
يصبغُ الليلُ ريشَهُ يرتخي، يلبسُ الورَمْ
داخلاً فيه، خارجاً بادئاً كل ما اختتمْ
راقعاً وجْهَ حارسٍ بتلابيبِ متَّهمْ
راقماً كُلَّ ما محا ماحياً كُلَّ ما رقَمْ

* * *

يُنذرُ الصحْوَ: لا تقفْ يزجر السُّهد: لا تنمْ
يا كرى طلِّقِ الرؤى يا سُهادُ اعشقِ الألَمْ
ما حكى السقفُ يا كُوى؟ كيف أشواقُهُ؟ وكمْ؟
يا مقاهي مَنِ ادَّعى؟ يا دواوينُ مَنْ زعمْ؟
يا ممرّاتُ مَن مشى؟ يا دكاكينُ مَن جثمْ
هل صَبتْ أيُّ حارةٍ؟ أيَّ مصباحٍ اقتحمْ؟
أيُّ بابٍ لجارهِ مدَّ حضناً أوِ ابْتسمْ؟
عنتريٌّ على المنى حاتميٌّ بلا كَرَمْ
سبئيٌّ وما سبا هاشميٌّ وما هشَمْ(*)

(*) سبأ وهاشم: روي أن سبأ حمل هذا اللقب الذي صار اسماً لكثرة ما سبأ أزقّة الخمر للضيوف، وهاشم بن عبد مناف كان اسمه عُمَرَ وفي سنة =

القناديلُ تحتَهُ مثلُ، ترتدي نَعَمْ
شهوةُ البرقِ فوقَهُ كلسانٍ بدون فمْ
الرؤى في عيونِهِ حُفَرٌ من لظَىً ودمْ

＊＊

تبتدي كلُّ نجمةٍ فيه منْ آخرِ العَدَمْ
تنحني تحضنُ الثَّرى عالَماً ما له علَمْ
تدخل البدْءَ مثلما يبحثُ الحبرُ عن قلمْ
فترى وجهَ حُلْمِها مثلَ نقشيْنِ مِن (إرمْ)
-هذه نجمةٌ لها جرأةُ الرِّيح والحِممْ
تقرنُ الغورَ بالرُّبا و(جهيمَانَ) بالحرَمْ
تلك أدهى وإن شكتْ عشقَ جيرانِ (ذي سلَمْ)
تلك أقوى وإن علتْ وَجْهَها طاعةُ الخدمْ
تلك تبدو جديدةً هل لها إخوة وعَمّ؟
كيف تنوي ولا ترى قلبَها أعينُ الظُّلَمْ

＊＊

لم تعد تلك أنجمي يا (سُها) ما الذي نَجَمْ؟
غيَّرتْ نهجَها السما، أيُّ طيشٍ بها ألَمّ!
ما الذي ثَمَّ؟ هاجسٌ خطُّ حرفيْنِ وانكتمْ

= قحط أكثر من إقامة الولائم للناس الجائعين فقال فيه أحد الشعراء:

عمر الذي هشم الثريد لقومِهِ
ورجال مكة مسنتون جياعُ

فصار اسمه هاشماً لكثرة ما هشم الثريد، وعرف بلقبه هاشم حتى حل محل اسمه عمر.

خاطرٌ مرَّ مِنْ هنا شامَ برقيْنِ فانقسمْ
مثلما يُعشبُ الأسى يشربُ القهوةَ الندمْ
كجيوشِ هزيمةٍ يُنصتُ الشارعُ الأصمّ
تحمل الرِّيحَ كالعصا قشَّةٌ أصبحتْ هَرَمْ
تحتذي نأمةَ الحصى تكتسي كلَّ مزدَحمْ
ترتعي همسها كما ترتعي صوفَها الغَنَمْ
يخرج اللون مِنْ، إلى غيرِ لونٍ ولا مَشَمّ
يُفْقِدُ الهمُّ قلبَهُ قبل أن يعرفَ الأهمّ

* * *

أيُّ صوتٍ له شذاً أيُّ صمتٍ له حِكَمْ؟
أيُّ بَذءٍ له مداً يطلبُ الأبعدَ الأتمّ؟
الفَراداتُ غربةٌ كيف تنصبُّ في الأعمّ
هل تقومُ السهولُ أو تنحني قامةُ القِممْ؟
لا السؤالُ استراحَ، لا أفصحَ الرَّدُّ، لا وجمْ
تحتسي كلُّ لحظةٍ صَمتَها، يبدأ النغَمْ

⊛⊛⊛

أمسيّات في فندق

أمِنْ بعدِ عشرينَ ولَّتْ وخَمْسْ
تشُمُّ لبشراكَ خطواً وهَمْسْ

وعن كفُّها تَنْقُرُ البابَ أنتَ
وفي هَجْسِ أُذْنيْكَ تزدادُ غَمْسْ

وترقبُ مطلعَها في نجومٍ
تلهَّى بها الجوُّ قَضْماً وطَمْسْ

وفي كتبٍ أعشبَ الصمتُ فيها
وأشبعَها السُّوسُ نخراً وعَمْسْ

وحيداً تقاسي انتظارَ الصباح
وتُتْعِبُ، لا شيءَ حَدْساً ولَمْسْ

ويأتي الصباحُ الذي مرَّ أمسِ
ويدنو المساءُ الذي عاد أمْسْ

* * *

صباحَ العشيّاتِ يا شبهَ قصرٍ
مساءَ الصَّبيحاتِ يا شبهَ رَمْسْ

لياليكَ عُزجُ الثواني، ضُحاكَ
ينوءُ بصخرٍ يُسمِّيهِ شَمْسْ

❂❂❂

المقبوض عليه ثانياً

يونية 1984م

أتقولُ لي: غلطانُ؟ لستَ بمربِكي
مِنْ كَم تركتَ؟ أتستثيرُ تشكُّكي؟
هذا اسمُكَ الحَرَكي كما سجَّلتَهُ
ما عدتُ أعرفُهُ، نسيتُ تحرُّكي
هذا هوَ اسْمُكَ ما انمحى، فتَّشتُمُ
سنةً عن المرحوم (عيسى الدُّهلكي)
انظرْ إليها. تلكَ ليستْ صورتي
هذا غلامٌ دون قامةِ (نيزكي[*])
قل لي، أتذكرُ هاهُنا زنزانةً؟
كانت على وَجَعي تقومُ وتتَّكي
إن قمتُ أدمى سقفَ رأسي سقفُها
وإذا بركْتُ بها أقضَّتْ مَبْركي
الأخْشنُ المقرورُ منها مُدْنِفي
والأمْلسُ الحرَّانُ كان مُدَلِّكي
وعصاك تطبخُني لها، تومي: كُلي
هذا اللعينَ ومثلَه، كي تَسْمَكي

* *

(*) النيزك: الرمح القصير أو الحربة، أو عضو الذكورة من جهة الاستعارة.

أتظنُّني زاولتُ غيرَ وظيفتي
أينوبُ سَجْني عنكَ، إنَّكَ مُضحكي

كانت تلفُّكَ يوم ذاك عباءةٌ
وعليكَ كوفيةٌ وجوخٌ ليلكي

وعليَّ فوق نزيفِ جلْدي ما اسْمُهُ
ثوبي، وكان على الجراح مُشوِّكي

أيامَ كنتَ تشدُّني وتسوطُني
وإليكَ منكَ، إلى جنابِكَ أشتكي

وأحاورُ الإنسانَ فيكَ، وما هنا
أحدٌ سوى مُستهلكي أو مُهلكي

إن قُلتُ رفقاً، قُلتَ هَيَّا يا يدي،
هُذي قوى هذا المُكبَّلِ واسفُكي

حتى اهتديتَ إلى مدى ذاتيَّتي
أوغلتَ بحثاً في أرومةِ مسلكي

فعرفتَ قِلَّةَ خِبرتي وثقافتي
وملكتَ سرَّ تحوُّلي وتفبرُكي

وأردتَ أسرارَ الرِّفاقِ فزدْتُ ما
لا علمَ لي، فصرختَ: أنتَ مُدَرْبِكي

قل ما رأيتَ وما سمعتَ ولا تزدْ
ـ داخلتُ أنفسهم. أطلتُ تحكُّكي

* * *

مِـنْ ذلـك الـيـومِ ابـتـدأتَ تُـصـيـخُ لـي
وأنـا ابـتـدأتُ عـلـى يـديْـكَ تـنـسُّـكـي

وبُـعَـيْـدَ أيـامٍ إلـيـك دعـوتَـنـي
ألِـمَـقـتـلـي؟ ألِـمَـخـرجـي مِـنْ مـضـنـكـي؟

لا فـرقَ يـا هـذي الـمـنـيَّـةُ، نَـتِّـفـي
مـا أبـقـتِ الأولـى ويـا أُخـرى الْـعَـكـي

حـتـى وصـلـتُ إلـيـكَ، زدتَ جـهـامـةً
كـي تـسـتـزيـد عـلـى الـحـريـق تَـمَـعُّـكـي (*)

وهـنـالـكَ اسـتـرأيْـتَ (فـكـتـورَ) الـذي
يـعـلـوك، واسـتـفـسـرتَ شـيـخـاً (كـرنـكـي)

ومـؤذِّنـاً يُـزدي عـلـى إفْـكِ الـزِّنـا
ويـرى الـزنـازنَ، لـم يـقـلْ لا تـأفـكـي

* * *

وظـلـلـتُ أخـدسُ، مـا هـنـا يـا خـطَّـةً
أَضْـنـتْ جـنـونَ الـحَـبْـكِ لا تـتـحـبَّـكـي

وسـألـتَـنـي: أتـركـتَ طـيـشَـكَ كـلَّـهُ
ـ صـدُقْ تـركـتُ وقـلـتُ: يـا نـفـسُ اتـركـي

وأضـفـتَ: دعْ عـنـك الـقـراءةَ واسـتـرِحْ
ـ شـكـراً لـنـصـحِـكَ فَـهْـي سـرُّ تـلـبُّـكـي

فـهـمـسـتَ لـي: سـتـكـونُ يـومـاً نـافـعـاً
خـذ هـذه الآلافَ، كـن وَغْـداً ذكـي

(*) التمعك: التمرغ من وجع على مكان يزيد الوجع.

أأنــا مــنــحــتُــكَ؟ قــبــل عَــشــرٍ هــاهُــنــا
ورأيــتَ إذعــانــي وصــدقَ تــبــرُّكــي

وأعــدتَ لــي تــفــصــيــلَ مــا لــقَّــنــتــنــي
وســمــعــتَ مــنــي، يــا فــلانُ تــفــذلُــكــي

فــخــرجــتُ مِــنْ أنــيــابِ غــولِــك قَــشَّــةً
أجــتــرُّ خــاتــمــتــي وبــدءَ تــأمــركــي

أنــشــقُّ، ألــبــسُ قــاتــلاً يــعــتــمُّ بــي،
أغــشــى قــتــيــلاً يــســتــفــزُّ تــمــحُّــكــي

لا الــقــاتــلُ ارتــاحــتْ لــه نــفــسٌ، ولا
هــجــعَ الــقــتــيــلُ.. فــأيــن غــايــةُ مَــعْــركــي؟

* * *

أقــبــلــتَ نــحــوي مِــنْ هــنــاكَ، فــهــل هــنــا
ثــانٍ هــنــاك؟ ومَــن يُــحِــسُّ (تَــنَــهْــنُــكــي)(*)

يــا دربُ قــل شــيــئــاً، أجــبْ يــا غــيــمُ، يــا
لــغــةَ الــســكــوتِ تــهــاجــسي أو سَــكْــسِــكــي

يــا حــرتــكــاتِ (الــمــرســديــسِ) تــعــطَّــلــي
يــا سُــرَّةَ الأرضِ الــدفــيــنــةِ حَــرْتِــكــي

كــيــف الــتــويْــتُ، دخــلــتُ أدغــالاً بــلا
حــدٍّ، تــشــابُــكــهــا أضــافَ تــشــبُّــكــي

(*) (تنهنكي) هي: كلمة منحوتة من مفردات البيت التي تكررت فيه: هناك، هنا، هناك.

لاقيتُ كلَّ مُقرَّبٍ ومُسلَّطٍ
بوُجَيْهِ قوَّادٍ وكفُّ برمكي

أغدقتُ كي أبتزَّ أكثرَ فارتضوا
عَبثي وزكَّوْني، وما فيهم زكي

* * *

مَنْ ذا هَداك؟ إليكَ منكَ تسكُّعي
ما انفكَّ، زَنْدُكَ مِنْ خناقي مُمْسكي

فخلصتُ منكَ إلى الترحُلِ صائحاً:
يا أمَّ أروى: جمْهري أو مَيْلِكي!

(يا دار عاتكةَ(*) التي) قتلتْ أبي
قولي لمن أحببتُ: لا تَتَعَيْتكي

ما دام عندي مبلغٌ يا وُجهتي
فـ(تأفرقي) و(تلندني) و(تبلجكي)

وهتفتُ: يا تلكَ المصادفةُ اصنعي
حَظِّي، ويا تلك المهارةُ كنِّكي

يا صفقةَ الأفيونِ لا تتعثَّري
يا صفقةَ الأفلامِ لا تتوعَّكي

(*) (يا دار عاتكة) إشارة إلى قول الأحوص:

يا دار عاتكة التي أتعزّلُ
حذر العدا، وبك الفؤاد موكّلُ

وقد استشهد به (ابن المقفع) مشيراً إلى دار النار بعد أن أعلن إسلامه فكان ذلك سبب إعدامه.

حُلْ يا رمادُ مجوهراتٍ في يدي
وبسحر نعلي يا رمالُ تَفَرْنكي

أأنا هدمتُكَ وابتنيتُكَ ثانياً؟
وعَمَرْتَ هدمي مِن حطام تفُكُّكي

الأرضُ تُخْصِبُها الندوب، أما أنا
بعضُ الترابِ، فهادِمي كـ(مُدَمِّكي)(*)

أبعامِ سبعينَ انتميتَ؟ وبعدَهُ
أتُخمتُمُ جيبي فذابَ تمسُّكي

ما كنتَ مِنْ ذاك التحرُّكِ تنتوي؟
الآن سلني عن همومِ (تورُّكي)(**)

ما كنتُ ثوريّاً صحيحاً إنما
حاربتُ فيكم يوم ذاك تصعلُكي

*

اليوم لا أَهْذي بإفلاطونَ، لا
أدري المعرّي (جعفري) أو (مزدكي)

ولذاك أنزلُ كلَّ قُطرٍ، أكتري
(شرتونَ) أشري ما يريدُ تهتُّكي

ويقال إنّي، رغم باريسيّتي
وتأمركي ما زلت (يحيى الشربكي)

(*) المدمك: مؤسس مداميك البناء.

(**) التورك: إنامة الوركين على القدمين كما في جلوس التشهّد في الصلاة.

أتُحِسُّني مازلت كِنديّاً؟ نعم
البنكنوتُ (مُؤوْرِبي) و(مؤَنْتكي)

أعيادةُ التجميلِ ما أجدتْ ولا
هذي الخواتمُ، لا دهانُ مفرّكي؟

قد صرتُ (سابستا) وكنتُ (مُحمَّداً)
ودُعِيتُ (ماترلا) وكنْتُ (البهْنكي)

أصبحتُ قاروناً أجبْ كم تشتهي
مني؟ فألفُ الألفِ ليس بمُنهكي

لي في (الزبيري) (فِلّتانِ) ومنزلٌ
بمدينة (الإسكانِ)، لستَ بمُدْركي!

* * *

خطّطتَ من أيامِ سجنِكَ للغنى
بل كنتَ أنتَ، وما دريتَ مُتَكْتِكي

والآن لا أقوى عليكَ، فما ترى؟
هل أنت في هذي التجارةِ مُشْرِكي؟

لكنني لم أنتهِشْ أحداً ولا
احتزتُ أسلحةً أقول لها: افتكي

ماذا؟ أتسخرُ يافلانُ؟ ألستَ مِنْ
إبداعِ سوطي من صياغةِ مَسْبَكي؟

لِمْ لا تُجرِّبُ صوغَ نفسِكَ مثلما
جَوْهَرتني أيّامَ كنتَ مُحلِّكي

إنـي سـقـطـتُ عـلـى يـديْـكَ لأرتـقـي
فـهـبـطـتُ أدنـى مِـنْ نـعـال مُـبـتَّـكـي

قـد كـنـتُ ذا ثـمـنٍ ومُـذ مـلَّـكْـتـنـي
فُـرَصـاً وأبـنـيـةً أجَـدْنَ تـمـلُّـكـي

نَـكـأَتْ جـراحـي ثـروتـي، وقُـبَـيْـلَـهـا
لـم يُـبـقِ فـيـهـا الـجَـلْـدُ حِـسَّـاً يَـنْـتـكـي

* * *

أتـقـول لـي: مـاذا فـعـلـتُ بـحـنـكـتـي؟
زمـنُ الـزنَّـابـرِ والـبـعـوضِ مُـحـنِّـكـي

أوَ هـذه كـلُّ الـحـكـايـةِ؟ ربـمـا
رسـبـتْ مـراراتٌ أبَـتْ أن تَـنْـحـكـي

❁ ❁ ❁

ليليّات قيس اليماني

1985م

في البدء إشارة إلى مفردات سوف ترد في القصيدة:

أولاً غيل الشُلالة: نهر ينبع من منطقة (الشُلالة) في المنطقة الوسطى من اليمن ويرحل عنها بعيداً فيسقي الشعاب والرمال النائية، فضرب به اليمنيون المثل للذي ينفع البعداء ولا ينتفع به القرباء، فيقولون: فلان مثل غيل الشلالة يسقي غير أهله، ويضرب المثل للفرد وللجماعة.

ثانياً براش: جبل بالقرب من صنعاء أبدى أقوى دفاع عنها ضد الحصار الرجعي عام 1967م.

ثالثاً البشائر: قصر الإمام البدر بصنعاء. وصالة: أحد قصور الإمام أحمد بتعز.

رابعاً وا ليل داني، وا ليل بالة: لازمتان غنائيتان في أغاني اليمن.

خامساً الشُوالة: كيس من الخيش كالغرارة، اشتق اليمنيون تسميته من شيله على ظهور الحمالين فصار عربياً فصيحاً لاشتقاق تسميته من عمله كبعض الآلات مثل المحراث والمنقاش والمنشار.

سادساً الهُبالة: الغنيمة التي ينالها الغانم عن طريق اهتبال الفرصة الجيدة.

أيستقي ولا يلقى ثُمالةْ
أكلُّ بلادِهِ (غيل الشُلالةْ)؟

يبيتُ يُشيرُ: ما هذا وماذا؟
وكيف تَعَمْلقتْ هذي السَّفالةْ؟

ومَن ذا أسكنَ الكثبانَ دُوراً
وعلَّمَها الرياسةَ والعَمالةْ؟

ومن سمَّى شفيقاً (بازلوني)
وألبس (بزبرا) (سلوى شُبالَةْ)؟

لماذا ترتدي (حلوانَ) (روما)؟
و(واشنطنْ) لمنْ لبستْ (صَلالَةْ)؟

أما اتخذتْ قِناعاً وجهَ (نجدٍ)
لتقتل (مذحجاً) بيدَيْ (تُبالَةْ)

أزالتْ (لَندنُ) الأولى وجاءتْ
بأخرى غَيرَ قابلةِ الإزالَةْ؟

تقامرُ بالعروشِ وبالمباغي
تديرُ البابويَّةَ والبِقالَةْ

تؤدِّي عُمْرَةً في كلِّ يوم
وتنصبُ لحيةَ المفتي حُبالَةْ

تُرئِّسُ نائباً يبدو جديداً
وتكتبُ للرئيسِ الاستقالَةْ

فيُمسي الحبُّ أروغَ مِنْ ثُعالٍ
ويغدو القتلُ أشبقَ مِنْ ثُعالَةْ

* * *

تُسالُ بكلِّ ناحيةٍ دماءٌ
ولا أحدٌ يشاهدُها مُسالَةْ

أكلُّ عيونِ هذا الوقتِ أضحتْ
فصوصاً تحتَ أرمدةٍ مُهالَةْ؟

أيبغي الشعب نصراً مُستحيلاً
ولا تلقى الخيانات استحالَة

لماذا مَن يناشدُ أيَّ عدلٍ
يكابدُ قتلَهُ باسْمِ العدالة؟

يُحدِّقُ. والرُّؤى غاباتُ أيدٍ
وأذقانٍ، كما تَحْمي الذُّبالة

وفوق الأرؤسِ العُلْيا رؤوسٌ
وللأذيالِ أذيالٌ مُشالة

وهذي المكتباتُ تبيعُ تِبْناً
تهندمُهُ البهارجُ والصَّقالة

يُسائلُ: كيف ذاك وكيف هذا
كأنَّ عليهِ كلَّ النّاسِ عالَة

يفكِّرُ كيف يقلعُ كلَّ سوءٍ
ويسألُ مرَّتينِ: بأيِّ آلَة؟

فيحلمُ أنّه يُمْلي كتاباً
يُفسِّرُ كيف علْمَنَةُ الجهالة!

يُعرِّي كلَّ أوكارِ الأفاعي
ومَن زرعوا نيوباً للنَّذالَة

ويسكنُ إصبعاً مِنْ كفٍّ وهمٍ
عليهِ مِنْ دخانِ الشوقِ هالَة

يسافرُ من كتابٍ غيرِ مُجْدٍ
إلى ثانٍ يُفتِّشُ عن عُلالَةْ

* *

بِوُدِّي يا (أبا زيدِ الهلالي)
لَوَ انَّ مدينتي (أمُّ الهِلالَةْ)

لَوَ انَّ (بَراشَ) في كفِّي زنادٌ
ألَقِّنُهُ الفصاحةَ والجزالَةْ

يجوعُ ويحتمي بالحبرِ، يلهو
بمن ورثوا الشَّراهةَ والنَّبالَةْ

بمن خرقوا (البشائرَ) واقتنوْهُ
وشادوا بعدَ (صالةَ) ألفَ صالَةْ

يُغنِّي للدُّجى: (وا لَيْلَ داني)
يُغنِّى للضُّحى: (وا لَيْلَ بالَةْ)

ألا يا بارقاً يوماً سيهمي
أتدري كيف أزبَدَتِ الضَّحالَةْ؟

يُؤرِّخُ كلَّ سجنٍ ماتَ فيهِ
ووافقَ أن يموتَ بلا كفالَةْ

يُفصِّلُ حُكْمَ مَنْ كانوا مُلوكاً
ومَنْ أضحَوْا ملوكاً بالوكالَةْ

* * *

لكلِّ رزيئةٍ، يا قيسُ جَدٌّ
وأمٌّ حيَّةٌ ولها سُلالَةْ

لكلِّ معاكسٍ، ياقيسُ عَكْسٌ
تخيَّلْ كي ترى البشرى المُخالَةْ

يَسُلُّ الحرفَ، يُشعلُ مقلتيْهِ
يُحمِّرُ قِصَّةً، يشوي مقالَةْ

يُنضِّجُ خاطراً، يُنهي عموداً
ويتَّهمُ الجريدةَ بالعَمالَةْ

يهدُّ قصيدةً، يبني سواها
يدوسُ فمَ التقاليدِ المُذالَةْ

أترتابُ الرَّقابةَ في رموزي
وتحسبُ عجمةَ الهندي إمالَةْ

أتفهمُ في الكتابةِ يا (كمالٌ)؟
وأنتَ طلعتَ مِن فخذَيْ (كمالَةْ)

فمن أين ابتنى في (الخطِّ) قصراً
وفي (القاعِ) اشترى بيتَيْ (قَلالَةْ)

أيعلو زوجُ تلك على جبيني؟
أهذا حُلُمُ نومٍ أم ضلالَةْ؟

يُبندِقُ كلَّ عنوانٍ ويُذكي
بزَنْديْهِ المهارةَ والبسالَةْ

يجوسُ قرارةَ الأكواخِ، يرقى
إلى أذقانِ أصحابِ الجلالَةْ

* * *

أتــصــبــو أنــتَ يــا جَــدْي (جَــمــالاً)
وتــفــنــى فــي الــصِّــبــا أخــتــي جــمــالَــةْ

و(نـاجـي) كـيـف أمـسـى (الـلُّـوزَدَ نـاجـي)؟
وكــان أرثَّ مــن جــوفِ الــشُّــوالَــةْ!

ويــا هــذا الــزِّحــامُ، أأنــتَ شــيءٌ
ســوى حُــزَمٍ مــن الــخِــرَقِ الــمُــجالَــةْ؟

لــمــاذا تــطــبــخُ الــسّــاعــاتِ قــشّــاً
وأَسْــتَــنْــشــي هــنــا عَــبــقَ الــحُــثــالَــةْ

يــغــادرُ عــالــمــاً يــنــجَــرُ مَــيْــتــاً
ويــدخــلُ عــالَــمــاً أطــرى أصــالَــةْ

يُــسمّــي هــجــعــةَ الأحــجــارِ هــجــسـاً
ويــدعــو الــنــومَ فــلــســفــةَ الــمــلالَــةْ

هــنــا الأشــجــارُ والــوادي رفــاقــي
وبــيــنــي والــرُّبــا صــلــةُ الــزَّمــالَــةْ

مَــنِ الآتــونَ؟ هــل ســبــقــوا مــجــيــئــي؟
أَعُــمْــرُ هــنــاءتــي هــذي الــعُــجــالَــةْ؟

أكــنــتُ أســيــرُ خــلــفــاً أم أمــامــاً؟
تــشــابــهــتِ الــخــســارةُ والــهُــبــالَــةْ

يــعــودُ إلــى عــثــورٍ، لا ارتــضــاهُ
ولا حــانــتْ لــعــثــرتِــهِ إقــالَــةْ

لِتضييعِ البريدِ يذوبُ حِبْراً
ويكتبُ كلَّ خاطرةٍ رسالَةْ

يُطيلُ عباءةَ الأشواقِ حتى
تُعَثِّرَها، فيختصرُ الإطالَةْ

إلى ذاكَ الذي. أزجي قبوراً
إلى ذاكَ الذي. أهدي حوالَةْ

يُؤمِّرُ (عامراً) ويزيح (عَمْراً)
يُرقِّي (فاضلاً)، يُقْصي (فَضالَةْ)

يخطُّ وُرَيْقَةً، يمحو ثلاثاً
يقاتلُ فوق جبهتِهِ البطالَةْ

ينادي: يا أعادي الناسِ أضحتْ
مقاصرُكم أشفَّ مِنَ الغُلالَةْ

* * *

أما كلَّيْتَ؟ أغفى كلُّ بيتٍ
أتغفو قيسُ؟ كَلِّي يا كلالَةْ

يرى حُلْماً، يهامسُ كيف يدنو
يعي ذكرى كرائحةِ المَبالَةْ

أينتخلُ البلاغةَ كلَّ ليلٍ
ويصبحُ ما انتقى غيرَ النُّخالَةْ

ـ سأحرثُ تربةً أُخْرى وأرمي
ورائي: قالةً تجترُّ قالةْ

*

يَحِنُّ إلى سوى الغِزلانِ، يمضي
إلى تغييرِ مِرْآةِ (الغزالَةْ)

يريدُ غداً بلا أمسٍ ويهوى
عروساً ما لها أمٌّ وخالَةْ

إلى الآتي، هناكَ لهُ بلادٌ
ستبزغُ ذاتَ يومٍ، لا محالَةْ

لماذا لا تشعُّ كما أُرَجِّي؟
أليس الدهر حالاً بعد حالَةْ

يشمُّ لوغدِها قلباً شموخاً
ووجهاً مثلَ طُهْرِ البرتقالَةْ

يراها وهي أخفى عنهُ لكنْ
وعودُ الخيرِ غامضةُ الدَّلالَةْ

❁❁❁

مصطفى

1986م

فليقصفوا، لستَ مقَصَفْ وَلْيَعْنُفوا، أنتَ أعنَفْ

ولْيَخْشُدوا، أنتَ تدري أنَّ المخيفينَ أخوَفْ

أغنى، ولكنَّ أشقى أوهى، ولكنَّ أجلَفْ

أبدى ولكنَّ أخفى أخزى ولكنَّ أصْلَفْ

لهم حديدٌ ونارٌ وهُم مِنَ القَشِّ أضعَفْ

يخشَوْنَ إمكانَ موتٍ وأنت للموتِ آألَفْ

وبالخطوراتِ أغرى وبالقراراتِ أشغَفْ

لأنهم لهواهمُ وأنت بالنّاسِ أكلَفْ

لذا تُلاقي جيوشاً مِنَ الخُواءِ المزخرَفْ

يجزّئونَ المُجزّا يصنِّفون المُصنَّفْ

يكشُفونَ عليهم حراسةً، أنتَ أكثَفْ

* * *

كفُجاْةِ الغيبِ تهمي وكالبراكينِ تزحَفْ

تنثالُ عيداً، ربيعاً تمتدُّ مشتًى ومَصْيَفْ

نسغاً إلى كلِّ جذرٍ نبضاً إلى كلِّ مِغْزَفْ

ما قال عنك انتظارٌ: هذا انثنى أو تَحرَّفْ

ما قال نجمٌ: تراخى، ما قال فجرٌ: تخلَّفْ

تُسابِقُ الوقتَ، يعيا ... وأنتَ لا تتوقَّفْ
فتسحبُ الشمسَ ذيلاً ... وتلبسُ اللَّيلَ مِعْطَفْ
أخرجتَ من قال: غالي ... ومن يقولُ: تطرَّفْ
إنَّ التوسُّطَ موتٌ ... أقسى، وسمَّوْهُ ألطفْ
لأنهم بالتَّلَهي ... أرضى وللزَّيْفِ أوصَفْ
وعندكَ الجبنُ جُبْنٌ ... ما فيهِ أجفى وأظْرَفْ
وعندكَ العارُ أزرى ... وجهاً، إذا لاحَ أطْرَفْ

* *

يا (مصطفى)، أيُّ سرٌ ... تحت القميصِ المنتَّفْ
هل أنتَ أرهفُ لمحاً ... لأن عُودَكَ أنحَفْ؟
أأنتَ أخصبُ قلباً ... لأن بيتَكَ أعْجَفْ؟
هل أنتَ أرغدُ حُلْماً ... لأنَّ مَخْياكَ أشظَفْ؟
لِمْ أنتَ بالكلِّ أحفى ... من كلِّ أذكى وأثقَفْ؟
من كلِّ نبضٍ تُغنِّي ... يبكون (مِنْ سِبِّ أهيَفْ)[1]
إلى المدى أنتَ أهْدى ... وبالسراديبِ أعْرَفْ
وبالخَياراتِ أدرى ... وللغراباتِ أكْشَفْ
وبالمهمَّاتِ أمضى ... وللمُلمَّاتِ أحصَفْ
فلا وراءك ملهَىً ... ولا أمامَكَ مَصْرَفْ
فلا مِنَ البُعدِ تأسى ... ولا على القُرْبِ تأسَفْ
لأنَّ همَّكَ أعلى ... لأنَّ قصدَكَ أشْرَفْ

(1) مطلع أغنية يمنية: «من سب أهيف مبرقع والعبيد اثنين».

لأنَّ صدرَك أملى	لأنَّ جيبَكَ أنظَفْ

*

قد يكسرونَكَ، لكنْ	تقومُ أقوى وأرهَفْ
وهل صعدْتَ جَنِيّاً	إلا لتُرْمَى وتُقْطَفْ
قد يقتلونَكَ، تأتي	مِنْ آخر القتلِ أعْصَفْ
لأنَّ جذرَكَ أنمى	لأنَّ مجراكَ أرْيَفْ
لأنَّ موتَكَ أحيا	من عمرِ مليونِ مُتْرَفْ
فلْيقذفوكَ جميعاً	فأنتَ وحدَكَ أقْذَفْ
سيتلَفونَ ويزكو	فيك الذي ليس يَتْلَفْ
لأنَّكَ الكلُّ فرداً	كيفيَّةٌ لا تُكَيَّفْ

يا (مصطفى)، يا كتاباً	من كلِّ قلبٍ تألَّفْ
ويا زماناً سيأتي	يمحو الزَّمانَ المُزَيَّفْ

* * *

الآتية

1985م

مِنْ آخرِ المَرْسى تهادتْ أُغْنِيةْ
تجتازُ أوديةً وتحملُ أوديَةْ

كسريرةٍ، ما شمَّ فاها كاهنٌ
كصبيحةٍ، ما شاهدتْها الأهْويةْ

كحديقةٍ، لا تحتويها بُقعةٌ
كحقيقةٍ، أعيتْ فنونَ التَّغطيةْ

كفُجاءةٍ كانتْ تَهِمُّ وتنثني
كجليَّةٍ تُبْدي غموضَ الأُحجيَةْ

تمشي على الأنغامِ حافيةً، كما
يمشي الربيعُ إلى الرياضِ المُشْتيَةْ

تُعلي ذوائبَها وتلبسُ صوتَها
وتَرِفُّ أُمنيةً وتُرْضِعُ أُمنيةْ

تَنْصَبُّ أحلاماً وتُعشِبُ أغْنُياً
وتَرِفُّ هازجةً وتعبقُ موحيةْ

وتنوسُ هاجسةً، فيورقُ حولَها
صبحٌ بدائيٌّ وريّا مُبْديَةْ

تشدو ملايينًا من الأصواتِ في
صوتٍ، كلا صوتٍ وتخطُرُ مُصغيَةْ

ولُغاتُها شتّى المعاني.. هذهِ
تَشْؤو مؤدّاها وتلكَ مُؤدِّيَةْ

هاتيكَ أفصحُ مِنْ أساريرِ الضُّحى
هذي أشفُّ، وتستعيرُ التَّوريَةْ

* * *

هل تلكَ أُغنيةٌ؟ وكَمْ أفواهُها؟
كَمْ في جوانِحِها قلوباً مُعطيَةْ؟

تحكي المراعي للمراعي همسَها
تبدو الرّوابي للرّوابي مُغريَةْ

تَزوي الثّواني للثّواني سِرَّها
تتناخبُ الحاراتُ كأسَ التَّهنيةْ

مِنْ أينَ تَغشى كلَّ بيتٍ يا تُرى؟
مِنْ كُلِّ بابٍ غيرِ بابِ التَّلهيَةْ

مِنْ كُلِّ بارقةٍ تجيءُ مُزيحةً
عن كُلِّ خافيةٍ ركامَ الأغطيَةْ

تطأُ المُغنّينَ الذينَ قلوبُهم
كثيابِهِمْ، ووجوهُهُمْ كالأقفيَةْ

تمحو مواضعةً وتدخلُ بِدعَةً
تجتثُّ أسماءً وتغرسُ تَسْميَةْ

تـصـلُ الـتَّـوهُّـجَ بـالـتَّـوهُّـجِ تـنـهـمـي
فَـرحـاً، وتـولِـمُ فـي حـنـايـا الأقـبـيَـةْ

تَـنْـأى، فـتـشـمـسُ تـحـتَ آبـاطِ الـرُّبـا،
تـدنـو، فـتـقـمـرُ في سـقـوفِ الأخـبـيـةْ

تـمـتـدُّ أنـهـاراً، تَـمُـرُّ تـفـكُّـراً
وتـغـيـمُ رانـيـةً وتـصـحـو مُـغْـضـيَـةْ

بـيـدٍ تُـركِّـبُ لـلـغـصـونِ مـعـاطِـسـاً
بـيـدٍ تُـفـصِّـلُ لـلـعـواصـفِ أَرْدِيَـةْ

*

مـاذا سـيـدعـوهـا الـتـآمـرُ؟ طـفـرةً
خـطـراً، مُـبـاغـتـةً. سـيـخـشـى الـتَّـغـريَـةْ

ويـرى نـقـاوتَـهـا فـيُـبْـدي عِـشـقَـهُ
عـبـثـاً، لـيـقـتُـلَـهـا بـدعـوى الـتَّـنـقـيـةْ

ويـقـولُ: عـارضـةٌ سـتَـصـبـو مُـدَّةً
وتـمـوتُ بـاكـيـةً صِـبـاهـا، مُـبـكـيَـةْ

يـومٌ، وتُـحـيـي حـفـلـتـيْـنِ وتَـرتـخـي
شـهـرٌ وتُـصـبـحُ مـن بـنـاتِ الأنـديَـةْ

ويـقـولُ ثـانـيـةً: غـريـبٌ أمـرُهـا
عَـرضَـتْ كـتـسـلـيـةٍ ولـيـسـتْ تَـسـلـيَـةْ

مَـنْ ذا تـغـنَّـاهـا؟ أغـنَّـتْ نَـفْـسـهـا؟
وُلِـدَتْ بـلا أبـويْـنِ هـذي الـمُـضـنـيَـةْ!

مَــنْ ذا دعــاهــا؟ هَــلْ أجــابَــتْ دعــوةً؟
أهــي الإجــابــةُ واحــتــمــالُ الأدْعــيَــةْ؟

عَـزَفَـتْ لُـكـلِّ الـنَّـاسِ.. كـيـفَ تَـمـكَّـنَـتْ؟
ومـتـى رأتْ مَـنْ يَـسْـتـحـقُّ الـتَّـضـحـيَـةْ؟

كـيـفَ اخـتَـفَـتْ عَـنْ كُـلِّ مُـقـلـةِ راصـدٍ
وتـسـلَّـقَـتْ جُـدرانَ كُـلِّ الأبْـنـيَـةْ؟

مِـنْ أيـنَ جـاءتْ؟ لا كَـهـانـاتُ الـرُّبـا
أوشَـتْ بِـهـا، لا الـرِّيـحُ عـنـهـا مُـفـشـيَـةْ

سـتـظـلُّ تَـجْـهَـدُ كـي تُـعـلِّـبَ مَـدَّهـا
وتـظـلُّ تـكـبـرُ، لا تَـعـيـهـا الأوْعـيَـةْ

حـسـنـاً... تُـغـنِّـي عَـكْـسَـهـا مِـنْ شَـكْـلِـهـا
جَـرِّبْ، لـقـد أنْـهَـتْ زمـانَ الـتَّـغـمِـيَـةْ

سـتـظـلُّ تـسـألُ كـيـفَ جـاءتْ. إنَّـهـا
جـاءت إلـى الأشـواقِ أسْـخـى تَـلْـبـيَـةْ

حَـمَـلـتْ لـواءَ الـمُـسـتـحـيـلِ وأسْـفَـرَتْ
أضْـحَـتْ لـواءً فـي يـدَيْـهـا الألْـويَـةْ

وَصَـلَـتْ بـلا خـبـرٍ، كـأوَّلِ ضَـحْـوةٍ
مِـنْ جـبـهـةِ الآتـي وأوَّلِ أُمْـسِـيَـةْ

❁❁❁


الناشيء


رواغ
المصابيح


الناشيء

يا شعر

1989م

مُــــذْ أَربـــعـــيــــنَ وأَرْبَـــعْ تَــقُــولُ صَــمْــتــي وأَســمَــعْ
أقــولُ نــبــضَــكَ تُــضْــغــي عــنِّــي، أُنــاجــي وتــسجَــعْ
تُــفــشــي الَّــذي لــســتُ أُبْــدي أُبْـــدي الَّـــذي فَــيــكَ مُـــودَعْ

* * *

أَهْـــذي وتـــهـــذي، نُـــداري ومـــضـــاً يُـــمَـــنِّـــي ويـــخْـــدَعْ
نــبــكــي، نُــغَــنِّــي ونــنــســى ـ مَـــنْ ذا يُـــغـــنِّـــي ويَـــدمَـــعْ؟
كـــأنَّ فـــيـــنـــا ســـوانـــا أحـــنُّ مـــنّـــا وأوْجَـــعْ
مـــاذا تـــريـــدُ وأبـــغـــي؟ ـ ســرّاً عَــلــى الــبَــوْحِ أَمــنَــعْ
نــحــتــاجُ بــعــضَ هــجــوعٍ هــلِ الــمــصــابــيــحُ تَــهــجَــعْ؟
سَــلْــهــا جــمــعــيــاً، أتــدري لــمــنْ تــعــانــي لِــتــصــدَعْ
قــالــتْ: تــضــيءُ وتُــغــضــي عَـــمَّـــنْ تـــضـــرُّ وتـــنـــفَـــعْ
هـــلْ أشـــبـــهـــتْـــنـــا؟ كـــلانـــا نـــضـــيـــعُ فـــي إثْـــرِ أَضْـــيَـــعْ

* * *

قــلْ لــي: إلــى كــمْ نــســاري فــيــنــا الــحــريــقَ الــمُــوَقَّــعْ؟
نــظــمــا ونــرجــو، يُــلــبِّــي غــيــرُ الــذي فــيــهِ نــطــمــعْ
تُـــدْنـــي أمـــانـــيـــكَ أَحْـــسُـــو أشُـــقُّ صـــدْري فَـــتَـــرْضَـــعْ
تُـــطـــلُّ مِـــنْ قـــلـــبِ قـــلـــبـــي مِـــنْ غـــورِ عـــيـــنـــيْـــكَ أطـــلَـــعْ
نـــصـــبـــو إلـــى الـــفَـــنِّ، نـــلـــقـــى بـــنـــا الـــمـــراراتِ أولَـــعْ

في مقطعينِ نغنّي نبكي بعشرينَ مَقْطَعْ
ولا نُسلّي بهذا ولا بذيّاكَ نَفجَعْ!

* * *

يا شعرُ مِنْ أين جئنا؟ ـ قل أنتَ: مِنْ أينَ نرجَعْ؟
ألا تلاحظُ أنّا ننصبُّ مِنْ غيرِ منبَعْ
نأتي الّذي ليسَ يأتي نلقى الذي قِيلَ ودِّعْ
وراءَ وهمٍ رقيعٍ نجترُّ طَيفاً مُرَقَّعْ
لِمْ لا نُنَضِّجُ فينا.. بدءاً أجلَّ وأنصَعْ؟
شمساً، مِنَ الشمسِ أصْبَى أرضاً، مِنَ الأرضِ أوسَعْ
أمَا ابتدأنا؟ نَوينا والآنَ منّا سنشرَعْ
فلنحترقْ علَّ برقاً مِنَ الرّمادِ سيَلمَعْ

ooo

زائر الأغوار

1989م

مَــنْ ذا، كــالإيــهــامِ الــمُــتْــبِــي؟
مــنَ ذا يُــصــبِــيــهِ؟ ومَــنْ يُــضْــبِــي؟

يُــفْــشــي كــتــنــهُّــدِ عــاشــقــةٍ
يــســتــغــلــقُ كــالــسِّــرِّ الــحَــزْبِــي

يــطــفــو مِــنْ لــثــغــتِــهِ خــبــرٌ
ويُــوشــوشُ كــالــفــرحِ الــعُــشْــبِــي

يــعــتــمُّ بــعــيــنَــيْ كــاهــنــةٍ
يُــومــي كــالــخَــفَــقــانِ الــقــلْــبِــي

أأقــولُ، ويــســكــتُ ثــانــيــةً
كــنــبِــيٍّ يــهــمــسُ: يــا ربِّــي

* * *

شــرقــيُّ الــسِّــحْــنــةِ، مــلــفــوفٌ
بــغــمــوضِ الــبــحَّــاثِ الــغــربِــي

يــســتَــغْــبِــي الــنــجــمُ ســذاجــتَــهُ
ويــرى الأغْــبــى لا يَــسْــتَــغْــبِــي

يــســتــكــنِــهُ فــي الــتِّــبْــنِ الــمُــلْــقَــى
وجــهَ الــجــابــي ويــدَ الــمَــجْــبِــي

مِـنْ سـاقِ الـنَّـبـتـةِ يَـشـتَـمْـلـي
مـكـنـونَ الـتـاريـخِ الـشَّـعْـبـي

مِـنْ كـلِّ حـصـاةٍ يـسـتـقـصـي
مَـرمـى (فـيـضـي) مَـغـزى (فِـلْـبـي)[1]

يَـتْـلُـو الأغـوارَ كـمـا يـتـلُـو
جـاسـوسٌ مـنـشـوراً حِـزْبـي

ويـمـدُّ قـنـاديـلاً أسْـنـى
ويـشـيـرُ إلـى الـرُّمْـدِ: انْـصَـبِّـي

ويـفـتِّـشُ عَـنْ سـوقٍ يُـغْـنـي
عَـنْ هـذا الـمـحـتـكـرِ الـمُـرْبـي

مَـنْ هـذا الـمـلـغـزُ يـا أهـلـي
بـل هـذا الـمُـعـجـزُ يـا صَـحْـبـي؟

يَـغْـشـانـي مِـنْ رأسـي حـتَّـى
لا أدري قـدَمـي مِـنْ جـنـبـي

يـا رَكْـبَ الأنـجـمِ مَـنْ هـذا؟
ـ جـوَّالٌ أهـدى مِـنْ رَكْـبـي

يـسـتـجـوبُـنـي، فـتـضـيـعُ يَـدي
إنْ قـلـتُ لـهـا: عـنِّـي لَـبِّـي

* * *

(1) فيضي: أحمد فيضي، من آخر الولاة الأتراك في اليمن.
فلبي: هو الذي عرف (بالحاج عبد الله فيلبي) وكان مستشار البلاط السعودي من حكومة بريطانيا في الثلاثينيات أيام حرب تهامة بين السعوديين واليمنيين واشتهر بتعدُّد الاتجاهات والقدرة على تمويه قصده.

(سـيـزيـفُ) أرى هـذا يـدعـو:
يـا صـخـرَةُ سِـيْـلـي أو دِبِّـي
يـحـكـي: مـاذا سـيـلـي هـذا
يـا ذاكَ الإيـمـاضُ الـسُّـلْـبـي
وَرِثَ (الـلَّـنْـبـي) غـازٍ أدنـى
وجـهـاً مِـنْ عـرقـوبِ (الـلَّـنْـبـي)[1]
يُـبْـدي مـا يـسـتـهـوي فَـلَـكـي
ويُـرَنِّـحُ مِـنْ حـولـي قُـطْـبـي
حـيـنـاً أنـظـرُهُ مِـنْ عَـكْـسـي
وأوانـاً نـجـمـاً مِـنْ سِـرْبـي

* * *

مَـنْ ذا يـا ريـحُ؟ ألامـسُـهُ
يـنـأى ويـلـوِّحُ مِـنْ قُـرْبـي
يـكـسـوهُ قـمـيـصٌ قَـمْـحِـيٌّ
ورداءٌ كـ(الـقـاتِ الإبِّـي)[2]
أأسـمِّـيـهِ سـلـمـى؟ يـخـبُـو
ظـنّـي، فـأسـمِّـيـهِ (وَهْـبـي)
وأُذَكِّـرُهُ وأُأَنِّـثُـهُ
يـلـهـو بـي هـذا: مـا ذنـبـي!

---

(1) اللنبي: كان المندوب السامي البريطاني في مصر أثناء الحرب العالمية الأولى وهو الذي قاد الحملة على فلسطين منهياً الحكم العثماني فيها.

(2) القات الإبِّي: نسبة إلى لواء إبّ الشهير باللواء الأخضر.

مـــا إنْ ألـــحـــظُـــهُ (وَهْـــطـــيّـــاً)[1]
حَـــتَّـــى يـــتـــراءى لـــي (دربـــي)[2]

وأمـــيـــراً أُمـــويّـــاً حـــيـــنـــاً
أحـــيـــانـــاً صُـــعْـــلـــوكَـــاً ضَـــبّـــي

خـــلـــفـــي يـــنـــصَـــبُّ ويـــســـبـــقُـــنـــي
ويـــنـــادي: يـــا نَـــغْـــســـى هُـــبِّـــي

ويـــتـــرجـــمُ مِـــنْ إبـــطـــي لـــفـــمـــي
رعـــبـــاً يـــســـلـــخُـــنـــي مِـــنْ رُعْـــبـــي

ويـــمـــرُّ يـــفـــتّـــشُ عـــن ريـــحٍ
أخـــرى، لا تـــخـــرجُ مِـــنْ صُـــلْـــبـــي

أخـــكـــي: مِـــنْ أيـــنَ أتـــى؟ مـــاذا؟
هـــلْ أصـــغـــى ســـمـــعـــي أو هُـــدْبـــي؟

ســـاءلـــتُ هُـــنـــا داراً، قـــالـــتْ:
مـــا اســـتـــنـــبـــحَ مـــقـــدمُـــهُ كَـــلْـــبـــي

أهـــدى ذا الـــسَّـــفْـــرَ وأوصـــانـــي:
يـــا تـــلـــكَ عـــلـــى هـــذا انْـــكَـــبِّـــي

وَحَـــكَـــتْ مـــشـــمـــشـــةٌ: أَرْغَـــدَنـــي
مِـــنْ جـــمـــجـــمـــتـــي حـــتَّـــى كـــعـــبـــي

---

(1) وهطياً: نسبة إلى قرية الوهط في محافظة لحج.
(2) دربي: نسبة إلى قرية الدُّرب بلواء ذمار وهي موصوفة بجودة قمحها وعدسها ومواشيها.

وأجـــابَ الـــوادي: حَـــيّـــانـــي
فـــأعـــادتْ خـــطـــرتُـــهُ خِـــضْـــبـــي

وأضـــافَ: أتـــى مِـــنْ بـــعـــدِ غـــدِ
كـــالـــزائـــرِ يـــســـألُ: مـــا خَـــطْـــبـــي؟

مـــن ذا يـــا بـــرقُ؟ يـــقـــولُ: يـــرى
لـــمـــحـــي، فـــمـــتـــى سَـــيَـــرَى سَـــكْـــبـــي؟!

يـــعـــزو إجـــدابَ الأرضِ إلـــى
كَـــسَـــلـــي.. فـــلـــمـــنْ أشـــكـــو جـــدبـــي؟

ويـــســـائـــلُ عـــن بـــرقِ أقـــوى
عـــن سُـــحْـــبٍ أصـــدقَ مـــن سُـــحْـــبـــي

عـــنْ والـــدتـــي الأولـــى وأبـــي
عَـــنْ أخـــتـــي الـــصـــغـــرى عـــنْ تِـــرْبـــي

عَـــنْ آخـــرِ بـــســـتـــانٍ يَـــزْكُـــو
فـــيـــهِ الـــصَّـــفْـــصـــافُ (الأورُبِّـــي)

يـــغـــلـــي هـــذا مـــثـــلـــي، ألَـــهُ
أشـــواقٌ أحـــرَقُ مِـــنْ حُـــبِّـــي؟

ألَفـــصَّـــلُ يـــا هـــذا خَـــبَـــري؟
حَـــسْـــبـــي ومـــضُ الـــمَـــغْـــنـــى حَـــسْـــبـــي

هَـــلْ تـــبـــحـــثُ عـــنْ مـــاءٍ؟ إنّـــي
مِـــنْ ألْـــفِ أبـــحـــثُ عَـــنْ صُـــلْـــبـــي

مَــــنْ ذا تـــــدعـــــوهُ؟ أُخَـــــمِّـــــنُـــــهُ
سَــبــئــيّــاً أضــحــى لا يَــسْــبــي
هــل تَــمــلــكُ عــنــهُ تــوضــيــحــاً؟
ـ مــا قَــتْــلُ الــمــعــنــى مِــنْ دأبــي

●●●

قبل صحو الرَّماد

1989م

لــلــوقْــتِ أشــواكٌ وبَــعْــضُ الــغُــصــونْ
وأظْــهُــرٌ تَــمْــشــي أمــامَ الــبــطُــونْ

لــه شــعــابٌ مــنْ غــمــوضِ الــمُــنَــى
ومَــنْ ســراديــبِ الــنَّــوايــا فُــنــونْ

ووســوســاتٌ مِــثْــلُ طَــحْــنِ الــحَــصَــى
وســكــتــةٌ تَــحْــكــي ســقــوفَ الــسُّــجــونْ

وصُــفْــرةٌ تــســعُــلُ فــي كُــمُّــهــا
وزُرقــةٌ مــثــلُ رُنُــوِّ الــمَــنــونْ

* * *

لــه نــشــيــتٌ واحــتــمــالٌ كــمــا
يــســتــعــجــلُ الــقــحــطُ الــغــمــامَ الــهَــتُــونْ

وشــهــوةٌ أغــبــى مــنَ الــمــشــتــهــي
وحــكــمــةٌ فــوقَ طــفــورِ الــجــنــونْ

مِــنْ بــعــضِــهِ يــنــأى إلــى بــعــضِــهِ
كــالــشُّــبــهــةِ الــحَــيْــرى أمــامَ الــظُّــنــونْ

يــزقــو ويــخــبــو كــالــرَّصــاصِ الَّــذي
يــجــوسُ، حــتَّــى يــرقــدَ الــمــخــبــرونْ

يُحصي المرايا والرُّؤى مثلما
يحصي المُرابي عائداتِ الدُّيونْ

ترى المصابيحُ الذي يَرتئي
والرِّيحُ تطوي ما يَرى أَنْ تصُونْ

عليهِ عُنْقٌ كعصا حَارسٍ
وفوقَهُ رأسٌ كأغْتى الحُصُونْ

وأوجهٌ ليسَ لها أعيُنٌ
وتحتَ إبطَيْهِ رُباً مِنْ عيونْ

يرى الثَّواني مِنْ قفاها، كما
يستقرئُ المُلْهَى جُيُوب الزَّبونْ

لهُ يدٌ تندى وأخرى، كَما
يُخيفُ وحشٌ صِبيةً يلعبونْ

* * *

يَبْدو سُكونيّاً ولكنْ لهُ
تحرُّكٌ لا يبتدي مِنْ سُكُونْ

إلى عصاهُ يمتطي أنفَهُ
مِنْ منحنى ساقيْهِ يُبدي القرونْ

وَينبري مِنْ ذيلِهِ مسرِعاً
وينثَني مِنْ ركبتيْهِ حَرونْ

يَهِمُّ يُرخي عقدَ سروالِهِ
تُثْني يديْهِ غابةٌ مِنْ ذقُونْ

يَـــوَدُّ يَـــرْمـــي بـــعـــضَـــهُ عَـــنْـــهُ أو
يـنـسـلُّ مِـنْ أشـراخِ تـلـكَ الـغـضـونْ

هـــلْ كـــانَ هـــذا واشـــتَـــهـــى غَـــيْـــرَهُ
أمْ بـــعـــدَ مـــا كـــانَ نـــوى أنْ يَـــكُـــونْ؟

يـــريـــدُ أنْ يُـــحـــرَقَ كـــي يـــبـــتـــدي
مـــغـــايـــرٌ، مـــا فـــيـــهِ فـــوْقٌ ودُونْ

لا يـــمـــنـــحُ الـــلّـــصَّ مُـــسُـــوحـــاً ولا
يُـــعـــيـــرُ أثـــوابَ الأمـــيـــنِ الـــخـــؤُونْ

* * *

الـــصـــبـــحُ فـــيـــهِ مـــا يـــراهُ الـــورى
والـــلّـــيـــلُ فـــيـــهِ نـــفـــسُ مـــا يـــعـــهَـــدُونْ

لـــلـــكـــأسِ والـــسّـــاقـــي شـــذا الـــمُـــجْـــتـــنـــى
فـــيـــهِ، ولـــلـــبـــذلِ الـــربـــيـــعـــي فُـــتُـــونْ

والـــنّـــاسُ لـــلـــنّـــاسِ، كـــعـــاداتِـــهـــمْ
كَـــأنَّ كـــلَّ الأرضِ بـــيـــتٌ حَـــنُـــونْ

وَكُـــلُّ ذي شـــأنٍ لَـــهُ شـــأنُـــهُ
وطـــوعُ أيـــدي الـــكـــلِّ كـــلُّ الـــشُّـــؤونْ

الـــهـــمـــسُ لـــلـــمـــرعـــى، وبـــوحُ الـــهـــوَى
لـــكُـــلِّ قـــلـــبٍ، والـــحـــكـــايـــا شـــجـــونْ

* * *

يـا سُـهـدُ مـاذا قـال نَـجْـمُ الـسُّـرَى؟
ويـا كـرى هـلْ عـدتَ مِـلْـكَ الـجُـفُـونْ؟

يـا قـلـبُ هـل قُـلـتَ الَّـذي يـنـبـغـي؟
أمْ قـلـتَ، واسـتـهـونْـتَ مـا لا يَـهُـونْ؟

●●●

رواغ المصابيح

1987م

الــقــنــاديــلُ، يــا دُجــى مــنــكَ أدجــى
الــمــنــايــا أمْ شــرطــةُ الــلَّــيــلِ أنــجــى؟

ربــمــا كــنــتَ تــســألُ الآنَ مِــثْــلــي
و أنــا أجــتــدي بــإبــطَــيْــكَ مَــخْــجَــى[1]

* * *

الــقــنــاديــلُ لا تُــري الــشــعــبَ نــهــجــاً
وَتُــري قــاهــريــهِ عــشــريــنَ نَــهْــجَــا

هــلْ تــعــي يــا دجــى لــمــاذا تُــحــابــي؟
ذاكَ تُــعــمــيــهِ، ذاكَ تُــعــطــيــهِ وَهْــجــا

مَــنْ تُــداجــي؟ تُــمْــســي لــبــعــضٍ سِــراجــاً
ولــبــعــضٍ إلــى الــســراديــبِ سَــرْجــا

ولــبــعــضٍ أداةَ خــلــعٍ وحــزقٍ
ولــبــعــضٍ تُــضــيءُ رقــصــاً وصَــنْــجــا

* * *

أيُّــهــا الــنَّــابِــغــيُّ، قُــلْ أيَّ شــيءٍ
هــزَّ شِــدقــيْــكَ، مَــجَّــكَ الــصــمــتُ مَــجَّــا[2]

---

(1) المجحى: الساتر من التراب والأحجار.

(2) النابغي: هو الليل المخيف الطويل، وقد انتسب شعرياً إلى (النابغة الذبياني) لكثرة وصفه الليل بالخوف والإبطاء في السُّرى.

قـيـلَ: نـصـفُ الـقـتـالِ هـرجٌ، أراهُ
صـارَ كُـلاً، أخـفـى بـنـانـاً وهَـزجـا[1]

وأخـيـراً نـطـقـتَ، بـلْ قـلـتَ عـنّـي:
ويـحَ طـفـلِ الـضـيـاعِ، مـاذا تـهـجّـى؟

* * *

هـلْ سـألـتَ الـمـلـثّـمـيـنَ: إلـى كـمْ؟
مَـنْ هـداهـمُ إلـى الـحـواري وأزجَـى؟

هـاهُـنـا أهـرقُـوا، هُـنـاكَ اسْـتَـقـادُوا
وَهُـنـا خـلّـفُـوا أنـيـنـاً وشَـجّـا

يـدخـلـونَ الـبـيـوتَ مِـنْ كـلّ ثُـقـبٍ
يـسـألـونَ الـدُّخـانَ: مِـنْ أيـنَ عَـجّـا؟

يـسـلـبـونَ الـسـكـونَ طـعـمَ كـراهُ
يُـرهـقـونَ الـحـصـارَ فـتـلاً ونَـسْـجـا

ويَـنُـوشُـونَ عُـشَّ كُـلِّ هَـزارٍ
وَعَـلـى (الـدِّيـكِ) يَـهْـدمُـونَ (الـمَـدَجّـا)[2]

* * *

إنّـهـم مِـنْ بـنـي الـبـلادِ، ولـكـنْ
يُـشـبـهـونَ الـغـزاةَ سَـلْـبـاً وزَجّـا

---

(1) هرج: تضمين روح المقولة الشعبية (الهرج نصف القتال).

(2) المَدَجُّ: هو مبات الدجاج ولعلها تسمية يمنية إلا أنها فصحى قياساً على ممرّ وهو وكان المرور ومسال وهو مجرى السيل.

قيلَ: هذا الطَّويلُ ربَّتُهُ (روما)
قيلَ: ذاكَ البطينُ بالأمسِ حَجَّا

قيلَ: هذا الفتى القصيرُ، يُوالي
أُمسياتٍ في بيتِ شقراءَ غَنْجا

ذاكَ يزهُو ويتَّقي أنْ يلاقي
بعض مَنْ لَقَّبوهُ بالأمسِ (خُرْجا)

ذاكَ يُبدي فصاحةَ السَّوطِ ليلاً
وهو في الصبحِ ينطقُ (العِجْلَ) عِلْجا

ذاكَ يُرْغي: لا تَفْقَهُوا أيَّ عِلْمٍ
مَنْ عَصى أمرَناَ أطاعَ (الفِرِنْجا)

أتراهمْ مُدجَّجينَ سُكارى
يُنهكونَ الجراحَ فتحاً ورَتْجا؟

يذبحونَ الرَّجاءَ في كلِّ قلبٍ
وينوبونَ عَنْ بزوغِ المُرَجَّى

كي يُسمَّى زعيمُهُمْ كلَّ شيءٍ
ويُسمَّى جحيمُهمْ خيرَ مَلْجا

*

كيفَ تغشى يا ليلُ كُلَّ زُقاقٍ
لا تَرى مَنْ طغى ولا كيفَ لَجّا؟

وإلى كَمْ تَسْري بطيئاً وَتَأتي؟
لا أفاقَ الثَّرى ولا الغيمُ ثَجَّا!

تـحـتَ عـيـنـيْـكَ يـقـتـلـونَ وتُـغـضـي
هـلْ نـقـيـضُ الـحِـجـى بعـيـنـيْـكَ أحْـجَـى؟

فـي عـيـونِ الـنُّـجُـوم شـيءٌ كـبـوْحـي
الـتـشـاكـي، أمْ حـرقـةُ الـكـبْـتِ أشـجَـى؟

أنـتَ سـاهٍ، أنـا أريـدُ وأعْـيـا
يـا دُجـى، أيُّـنـا الـحـريـقُ الـمُـسـجَّـى؟

هـل تَـرى الـلَّـيـلـةَ الـتـي سـوفَ تـأتـي؟
أهْـي صـيـفـيَّـةُ الأسـاريـرِ دَعْـجـا؟

ـ الـرَّوابـي أدرى بِـشَـمِّ الـسَّـوافـي
وبـرصـدِ الـسَّـمـاءِ بُـرْجـاً فـبُـرْجـا

* * *

قـيـلَ يـا أرضُ لا تـدوريـنَ، قـالـتْ:
صـرتُ أنـجـرُّ، كـالـسِّـيـاسـاتِ عَـرْجـا

يـسـمـعُ الـحـكْـمُ أيَّ صـوتِ هـجـاءٍ
طـمْـئـنـيْـهِ، يـداهُ أبـذَى وأهْـجَـى

صَـنِّـفـيْـهِ، تـلـقـيْـهِ سـوْطـاً وطـبْـلاً
فـشـريـهِ، تَـرَيْـهِ بَـطْـنـاً وفَـرْجـا

ولـمـاذا أخـرجْـتَـنـي مِـنْ سـكـوتـي
وبـقـلـبـي أحـدثـتَ شَـرْخـاً ورجَّـا؟

كـي تـمـيـدي وتـركـضـي كـالـصـبـايـا
كـي تـهـزّي الـمـروج مَـزْجـاً فـمـزْجـا

كَـيْ تـقـصِّـي مـاذا جـرى، وتَـقُـولـي
أيَّ شـيءٍ فـي قـاعـةِ الـصَّـمْـتِ ضَـجَّـا

ألـهـذا أقـلـقْـتِـنـي؟ مَـنْ تُـسـمَّـى؟
ـ بـعـضَ أرضٍ أُدعـى (حُـفـاشـاً) و(لَـحْـجـا)

جـئـتُ كـي تـشـعـري بـنـهـدَيْـكِ يـومـاً
هـل أنـا لا أُحِـسُّ؟ مَـا زِلْـتَ فَـجَّـا

قـلـتُ مـا تَـعـلـمِـيـنَ كـي تَـطْـعَـمِـيـهِ
لا أنـا أهْـوَجٌ ولا أنـتِ هَـوْجـا

كـغـمـوضِ اعـتـرافِ عـيـنـيْـكِ حُـبِّـي
فـأجـيـدي بـيـن الـغـمـوضَـيْـنِ مَـزْجـا

* *

يـا الـنُّـجـومُ الـتـي عـلـيـهـا أُشـوِّي
أمْـنـيـاتـي، مـتـى سـيـبـلـغْـنَ نُـضْـجـا؟

يـا حـنـيـنَ الـدُّجـى إلـى كَـمْ سـتـغـفـو؟
أيُّ فـعـلٍ لِـعُـقْـدةِ الـحـالِ أوجَـى[1]؟

راوغـتْ أعـيـنُ الـمـصـابـيـحِ، خـوفـاً
أو رجـاءً، وهـل رأتْ مَـنْ يُـرجَّـى؟

❁❁❁

(1) أوجى: أكثر قطعاً.

حالة

1988م

لـهـمُ الـسـلاحُ ومـا لـنـا ... حـتَّـى مـنـاقـيـرٌ وريـشْ
نـهـوي بـأوَّلِ طـلـقـةٍ ... تـخـتـارُ، أو أُخـرى تـطـيشْ
أوْ نـنـحـنـي بـعـصـاً كَـمـا ... تـنـهـدُّ أعـوادُ الـحـشـيشْ
يـمـضـي الَّـذي نـرجُـو ويـأْ ... تـي غـيـرُ مـا فـيـنـا يـجـيشْ
مـن قـيـلَ عـنـهُ مـاردٌ ... شـرِسٌ غَـدا عِـهْـنـاً نـفـيشْ
عـاش الَّـذي قـلـنـا يـمـو ... تُ ومـاتَ مَـنْ قُـلـنـا يـعـيشْ!

۞ ۞ ۞

استنطاق

1987م

لِماذا طريقُ المهدِ واللَّحْدِ واحدُ؟
لِماذا الَّذي يأتي إلى البدءِ عائدُ؟

لِماذا يظلُّ البدءُ يبدأُ دائماً؟
لأنَّ التَّناهي كالبداياتِ جاهدُ

لِماذا تُرابُ الأرضِ عالٍ وهابطٌ؟
لأنَّ مَسودَ التَّحتِ كالفوقِ سائدُ

و هلْ أنتَ يا نهرَ الدَّقائقِ ذائِبٌ
على الطِّينِ؟ أو هلْ أنتَ كالطِّينِ جامِدُ؟

وهل أنتَ مثلُ النّاسِ لا تبلغُ الذي
تُريدُ، ولا ترضى الذي أنتَ واجدُ؟

إلى كمْ سَتجري؟ كَمْ أشبتَ (ابنَ دايةٍ)[1]
أأنتَ (أبو دايٍ) وما لَكَ صائدُ؟

خوافيكَ جَدّاتُ الشدائدِ، كالدُّجى
تتابعنَ حتَّى ما بهنَّ شدائدُ

أكنتَ صبيّاً قبلَ أنْ يُنبتَ الثرى؟
وبعدَ مشيبِ الأرضِ هل أنت راشدُ؟

---

(1) ابن داية: من أسماء جنس الغراب.

لماذا تَرِقُّ الريحُ عند الضحى، ولا
تحولُ غصوناً في الربيعِ الجلامدُ؟

وهذي التواريخُ التي تعطشُ البلى
أليس لها كالغزوِ حادٍ وقائدُ؟

وإلاَّ فكيفَ الخَلْفُ يُصبحُ وُجْهَةً
ووجهاً له وجهانِ. آتٍ وبائدُ

* *

لماذا يعودُ الميْتُ طفلاً بلا صِباً
وتلبسُ أجفانَ الشُّهُودِ المشاهدُ؟

فلا الأمسُ قبلَ اليوم، لا اليومُ بعدَهُ
ولكنْ جرتْ بالتسمياتِ العوائدُ

هل الليلُ يا أوضاعُ يختارُ وضعَهُ
ولا تنتقي رؤيا السُّباتِ المراقدُ؟

أرؤياكَ يا (كانونُ) مثلُكَ جَهْمةٌ؟
ولكِنْ لِماذا الشَّوقُ يا صيفُ باردُ؟

ألستَ ترى الفصليْنِ كيفَ تشابها؟
فهذا على هذا منَ الغشِّ حاقدُ

أبينَ الثواني والثواني تصارعٌ؟
أفيهنَّ منقودُ السجايا وناقدُ؟

أهذا استجدَّ الآنَ، أَمْ كانَ جارياً
وما قيلَ عنهُ؟ ما لِجارِ قواعدُ

أبـيـنَ الـروابـي والـروابـي مـطـامـعٌ
أفـيـهِـنَّ مـعـبـودٌ ومـنـهـنَّ عـابـدُ؟

لـمـاذا الـبـيـوتُ الـغـائـراتُ يـلـفُّـهـا
ركـودٌ ومـا أوجـاعُـهـنَّ رواكـدُ؟

لأنَّ قـصـوراً تـحـجـبُ الـشّـمْـسَ دونَـهـا
فـلا تـعـرفُ الأضـواءُ مـاذا تُـكـابِـدُ

لِـمَ الـكـاسـحـاتُ الـبـحـرِ فـي الـبـحـرِ حُـرَّةٌ
وفـي الـبـرِّ لا أحـرارُ إلاَّ الـمـسـاجـدُ؟

لأنَّ الـخـلـيـجَ ابـنَ الـخـلـيـجِ اسـتـضـافـهـا
لـكـي يـرتـخـي.. لا يـنـتـخـي فـيـهِ مـاردُ

لـكـي لا تـشـمَّ الـريـحُ أسـرارَ فـدفـدٍ
ولا تـمـتـطـي ركـضَ الـرِّيـاحِ الـفـدافـدُ

لـكـي يـسـتـعـيـدَ الـشـيـخُ (حـمـدُونُ) جـدَّهُ
ويُـحـيـي أبـاهُ فـي ابـنِـهِ الـشـيـخُ حـامـدُ

* * *

أيـا بـحـرُ كـانَ الـمـاءُ مـوردَ ظـامِـئٍ
فـلِـمْ أنـتَ ظـمـآنٌ عـلـى الـرَّمـلِ واردُ؟

لأنَّ بـيـوتَ (الـزنـكِ) تـجـتـازُ طـورهـا
فـتـنـبـو بـمـنْ تُـدعـى الـرؤوسُ الـوسـائـدُ

لـمـاذا الَّـذي أهـلُ الـحـمـى يـرفـضـونَـهُ
يـقـوِّي يـديْـهِ الـطـامـعـونَ الأبـاعـدُ؟

علـى ظـهـرهِ يـأتـونَ مِـنْ كـلِّ مـوقـعٍ
ويُـذكـونَ عَـنـه ريـحَـهُ، وهـوَ خـامـدُ

ومـنْ ذا يـهـمُّ الأمـرَ يـا هـمُّ، يـا الَّـذي
تَـسمَّى الحِمى؟ هـلْ كـلُّ حـامٍ مـحايـدُ؟

فَـمـا بـالُ مَـنْ نـامـوا كـأهـل (خـزيـمـةٍ)[1]
يَـقـولـون: إنَّـا، كـي تـنـامـوا فـراقـدُ

مـخـالـبُـنـا ـ كـي لا تـجـولـوا ـ جـوائـلٌ
حِـرَاسَـاتُـنـا مـنْـكُـم عَـلَـيكـم سـواهـدُ

فـصِـيـحُـوا إذا شـئـتُـم سُـكـوتـاً وأغـلـقُـوا
عـلـيـكُـم، وكـالأحـلامِ فـي الـنَّـوم جـاهِـدوا

وهـبـنـا لَـكُـم حُـرِّيَـةَ الـصـمـتِ والـكـرى
حـنـانـاً عـلـيـكـمْ، فـاحـذروا أنْ تـعـانِـدوا

* * *

ولِـمْ لا يـمـوتُ الـمـوت كـالـنَّـاسِ؟ مـا الَّـذي
سـيـعـمـلُ إنْ بـادَ الـورى وَهْـوَ خـالـدُ؟

الِـلْـمـوتِ أولادٌ وعـمٌّ وإخـوةٌ؟
ـ وأمٌّ بـسـنِّ الـعـشـق زرقـاءُ نـاهـدُ

وهـذي الـلـيـالـي الـمـقـشـعِرَّاتُ هـل لـهـا
بـنـاتٌ؟ وهـل لـلـيـأسِ أمٌّ ووالـدُ؟

لـمـاذا لأجـيـالِ الـعـوادي عـشـائـرٌ
ومـا لـلـمُـنـى عـنـهـنَّ مِـنـهُـنَّ ذائـدُ؟

---

(1) خزيمة: مقبرة مدينة صنعاء القديمة.

أمـا لـلّـتـي تُـدعـى (الـسـعـيـدةَ) سـاعـدٌ؟
أحـقٌّ جـنـاحـاهـا (بـكـيـلٌ) و(حـاشـدُ)[1]؟

أ(حـيـدانُ) يـدري أنـهُ غـيـرُ حـائـدِ؟
هـلِ (الجـوفُ) بـالجـوفِ (ابـن كـهلانَ) جـائـدُ؟

لـمـاذا الـصـمـيـمـيّاتُ تـغـفـو عـلـى الـمُدَى
وتـحـتـلُّ أكـتـافَ الـجُـهُـودِ الـزَّوائـدُ؟

إلـى أيّ حـيـنٍ يُـنـكـرُ الـقـلـبُ قـلـبَـهُ؟
مـتـى سـوفَ تـدري مـا تـقـولُ الـجـرائـدُ؟

مـتـى تـعـرفُ الأمـطـارُ أعـطـشَ بـقـعَـةٍ
وتَـسـعـى إلـى مـن يـشـتـهـيـهَـا الـمـوائـدُ؟

* * *

أقـول لـمـاذا والـجـدارُ يـقـول لـي:
لـمـاذا ويـبـدو قـائـمـاً وهـو قـاعـدُ

مـتـى تـنـمـحـي يـا شـاتـيَ الـوجـه والـحـشـا؟
إلـى أن يـذرَّ الـصـيـفُ تـفـنـى الـهـداهـدُ

ومـاذا تُـرجِّـي يـا الـذي بـيْـتُـهُ أنـا؟
ومـثـواكَ مـنـكـودٌ وثـاويـكَ نـاكـدُ

إذا أنـتَ ضـيَّـعـتَ الـذي أنـتَ واجـدٌ
فَـهَـيـهَـاتَ أَنْ تَـلـقَـى الَّـذي أنـتَ فـاقـدُ

---

(1) بكيل وحاشد: أقوى قبائل اليمن حربياً وتَسمَّيا بالجناحين يمنيًا.

تَـجَـدَّدْ كـقـلـبِ الـنـهـرِ يـاسَـيِّـدَ الأسـى
سـتـرتـادُ عـهـداً غـيـرَ مـا أنـتَ عـاهـدُ

لـهـذا الـتـمـادي آخـرٌ بـعـد آخـرٍ
ألـيـس لـهُ بـدءان.. أصـلٌ ووافـدُ؟

◎◎◎

ذات ليلة

1988م

باتتِ الريحُ تلوكُ النافذة
بعضُها مِنْ جلْدِ بعضٍ لائذة

ليس تدري ما الذي يأخذُهَا
لا ترى مِنْ أيِّ شيءٍ آخِذَة

تفلُذُ الأغصانُ تجري فِلَذاً
لا تَعي. مفلوذةٌ أَمْ فالذةْ؟

ترتمي ممَّا بها موقوذةً
وإلى المجهولِ تسري واقذة

تنبري مِنْ ظَهرِهَا مشحوذةً
وتُداري ركبتَيْهَا شاحذة

أينَ تبغي؟ علَّهَا منبوذةٌ
وتقوّتْ فاستحالتْ نابذة

عَلَّهَا تُضني السُّرى باحثةً
في الكُوى عَنْ حانذٍ أوحانذة

من يُؤاويها؟ تُنَادي وَخدَهَا
والمآوي بالتَّواري عائِذة

❁❁❁

تحقيق..
إلى الموتى والأجنّة

1988م

يـا مـنْ تُـدعـى الـقـرنَ الـعـشـريـنْ
الـلَّـيـلُ دمٌ والـيـومُ طَـعـيـنْ

هـلْ فـيـكَ عـسـى ومـتـى وإلـى؟
الـوقـتُ يـحـيـنُ ولـيـس يـحـيـنْ

الـسـاعـةُ تـسـأَلُ أوَّلـهَـا
عـن آخـرِهَـا، والـردُ كـمِـيـنْ

لـلـظُّـلـمـة أجـبـنـةٌ شـتَّـى
والـصُّـبْـحُ يُـطـلُّ بـدُون جـبـيـنْ

* * *

أمـصـابـيـحُ الأغـسـاقِ تَـرَى
عـيـنـيّـاً، أم تَـرْنـو تـخـمِـيـنْ؟

أرأتْ كـ(الـسَّـهْـرِ) مـلايـيـنـاً
مِـنْ وزنِ (ابـن الـسُّـكَـيـتِ) مِـئـيـنْ[1]؟

---

(1) السُّهر هو (السهر وردي) الشهيد نتيجة حكمته ومن قبله (ابن السكيت) الذي وقع ضحية صراحته الفكرية وكان الاثنان من أصرح أهل الرأي.

والشمسُ أشامتْ كمْ دُفنوا؟
وكمِ الآتينَ إلى التدفينْ؟

هلْ أنتَ خَليٌّ فوقَ أسٍ
أَمْ أنتَ حزينٌ فوقَ حزينْ؟

ولماذا هذي الأرضُ غدتْ
سِجناً يجري والكلُّ سجينْ؟

ولماذا العوسجُ لا يفنى
ويموتُ النرجسُ والنِّسرينْ؟

ولِمِ الأبواقُ هنا وهنا
كتراعفِ مليونَيْ عرنينْ؟

ولما لا يمكنُ منشودٌ
وسوى المنشود لهُ التمكينْ؟

أصِباً ما يجري أم خرَفٌ؟
أبَلغتَ التسع أم التسعينْ؟

أم عَدُّ التقويماتِ كما
يُحصي الشُهب الطفلُ المسكينْ؟

* * *

في قلبكَ يا هذا شيءٌ
لا يدعوهُ القاموسُ أنينْ

لا ينظرُهُ الصاحي نبضاً
لا يسمعُه السكرانُ رنينْ

شــيءٌ كــتــذكُّــرِ مــخــمــورِ
كــبــيــانٍ لــيــس لــهُ تــبــيــيــنْ

كــعــجــوزٍ فــي فــمــهِ شــوقٌ
ويــقــولُ الــقــافَ قُــبــيــلَ الــشّــيــنْ

ســنــواتُــكَ حــزقٌ أو غــرقٌ
وإذا اعــتــدلــتْ فــاقــتْ تــشــريــنْ

لــلــحــربِ الأُولــى والأُخــرى
أطــفــالٌ فــي سِــنِّ الــتّــســنــيــنْ

مَــن ذا تــدْعُــوهُ (تــنَــيــنــاً)
أمــســى (فــاراً) ذاكَ (الــتِّــنِّــيــنْ)

* *

أتــظُــنُّ (قِــيــزنــادا) (زابــاً)؟
أخــرى أم (إيــرلــنــدا) (حِــطّــيــنْ)؟

هــل تُــدنــي (تــتــشــرَ)؟ مِــنْ (أروى)
أتــرى (ريــجــنْ) كــ (صــلاحِ الــدِّيــنْ)؟

هــلْ مــنْ تــمــتــدُّ مــديــنــتُــهُ
يــدنــو مِــمَّــنْ ســبــقَ الــتَّــمــديــنْ؟

يَــبْــدُو مــقــيــاسُــكَ آلــيّــاً
لا يــدري الــحُــسْــنَ مِــنَ الــتَّــحــســيــنْ

* * *

لِــمَ أنــتَ ســخــيٌّ شــكــلــيّــاً؟
وبــمــا خــلــفَ الأشــكــالِ ضــنــيــنْ؟

هـل بـيـنَ لـغـاكَ ومـعـنـاهـا
سـورٌ أعـلـى مِـن (سـورِ الـصِّـيـنْ)؟

الأرضُ الـيـومَ لـظَـىً ألـظـى
فَـيـضـانُ حـديـدٍ فـوقَ عـجـيـنْ

أهـدافٌ يـسـكـتُ قـاصـفُـهَـا
وتُـجـيـدُ قـنـابـلُـهُ الـتَّـلـقـيـنْ

غـازٌ مـحـظـورٌ دولـيّـاً
ولـهُ الـفـوضـى ولـهُ الـتَّـقـنِـيـنْ

لـهَـبٌ يـسـتـدعـي (ذا قـارٍ)
وحـريـقٌ يـسـتـعـدي (صِـفِّـيـنْ)

ومَـنِ الأزكـى هـذا أوْ ذا؟
لـلـقـبـحِ هُـنَـا وهُـنَـا تَـزيـيـنْ

طـلـقـاتٌ تـتـلـو مَـزمُـوراً
حـجـرٌ يـتـلـو: (طـهَ) و(الـتِّـيـنْ)

(طـروادةُ) (صـيـدا) أو (أكْـرا)
لا الـحـصـنُ يـذودُ ولا الـتَّـحـصـيـنْ

والـقـتـلُ الـسِّـرِّي يـومـيّـاً
كـتـعـاطـي (الـقـاتِ) أوِ الـتَّـدخِـيـنْ

روتـيـنـيّـاً يـمـضـي يـأتـي
وطـوارئـهُ فَـوْقَ الـرُّوتـيـنْ

يسري لَيلاً، يغدُو صُبحاً
يسطو خمساً، يعدو خمسين

ويعودُ مِنَ (الدَّهنا) حيناً
أحياناً يأتي مِن (يَبْرينْ)

أحياناً من (شرقِ الأقصى)
أحياناً من (غربي برلينْ)

ويصلّي الجُمعةَ في (طَنطا)
ويزورُ السبتَ (الأَرجنتينْ)

يحسُو (الويسكي) في (هُولندا)
و(الزَّخلاوي) في (بيتِ الدِّينْ)

يتغدَّى في (صِبْيا) نجماً
يتعشَّى قمراً في (ذِيْبينْ)

ريحيٌّ ليس لهُ وطَنٌ
ولهُ في كُلِّ حِمىً توطينْ

قدماهُ في ساقَيْ (رضوى)
ويداه في إبْطَيْ (صِنِّينْ)

وعَلَيْهِ أوسمةٌ ولهُ
في كُلِّ مناسبةٍ تَثْمِينْ

ولحضرتِهِ في لا وقتٍ
وقتٌ للعزلِ وللتَّعيينْ

ولـــــهُ أنـــــيـــــابٌ يُـــــبـــــدِيـــــهـــــا
ولـــــهُ أنـــــيـــــابٌ لـــــلـــــتـــــخـــــزيـــــنْ
وأنـــــامـــــلُـــــهُ سِـــــتّـــــاً سِـــــتّـــــاً
وحـــــلاقـــــمُـــــهُ فـــــوقَ الـــــسِّـــــتّـــــيـــــنْ
يُـــــزْدي بـــــالـــــيُـــــمـــــنـــــى والـــــيُـــــسْـــــرَى
يـــــرمـــــي بـــــالـــــجـــــوعِ وبـــــالـــــتَّـــــســـــمـــــيـــــنْ
وَيُـــــتَـــــوِّجُ هـــــذا أو هـــــذا
ويـــــســـــوقُ الـــــشَّـــــعْـــــب إلـــــيـــــهِ قَـــــطِـــــيـــــنْ[1]
ولِـــــمَ الـــــجـــــانـــــي أهـــــنـــــا عـــــيـــــشـــــاً
ومـــــعـــــاشُ الـــــمـــــجْـــــنـــــي مِـــــن (غِـــــسْـــــلـــــيـــــنْ)[2]؟
وزحـــــامُ الـــــشـــــارِعِ والـــــمَـــــقْـــــهَـــــى
طَـــــيـــــنٌ مـــــا فِـــــيـــــهِ نـــــســـــغُ الـــــطِّـــــيـــــنْ
لا مـــــعـــــنـــــى الـــــنـــــظـــــرةِ وِدِّيٌّ
لا فـــــي قـــــلـــــبِ الـــــتَّـــــصـــــويـــــتِ حَـــــنـــــيـــــنْ
ومـــــصـــــافـــــحـــــةُ الأيـــــدي الأيـــــدي
كـــــعـــــجـــــوزٍ تـــــســـــتـــــهـــــوي (عِـــــنِّـــــيـــــنْ)
وعـــــنـــــاقُ الـــــراحـــــلِ والآتـــــي
سِـــــكِّـــــيـــــنٌ لا تـــــبـــــدو سِـــــكِّـــــيـــــنْ

---

(1) قطين: خدّام القصر.

(2) الغسلين: هو على حدّ تعبير القرآن طعام الخاطئين في جهنم.

ومؤامرةُ النَّدواتِ كما
يحتاجُ النَّعشُ إلى تكفينْ
ريحُ التَّبريدِ تُجمِّعُها
وتفرِّقُها ريحُ التَّسخينْ

* * *

لُغةٌ كالصَّمتِ بلا صَمْتٍ
وعواءٌ يُفسِدُهُ التَّلحينْ
للدالِ مُدَىً، للميمِ يدٌ
فبِما يحكي ويشيرُ (السِّينْ)؟
أيَرى لا يسألُ غامضةً
مَن أبطنَها؟ ولِمَ التبطينْ؟
أشباهٌ ليس لَها وجهٌ
وقرينٌ مشبوهٌ بقرينْ
حَتَّى ما سمَّوهُ علَماً
أَضحَى لأمينِ السِّرِّ أمينْ
لا الهمُّ يقودُ مُهمَّتَهُ
لا غيرُ الهمِّ بِذاكَ قَمِينْ
لا الصَّحوُ يحرِّكهُ شوقٌ
لا النَّومُ يسكِّنهُ التَّسكينْ
لا ميلادٌ يُعطي فرَحاً
لا موتٌ يستبكي تأبِينْ

فَهُنالِكَ، قِرُّوا يا موتَى
وهُناك، البث يا كُلَّ جَنينْ

ما للآتي مهدٌ يحنو
لا يلقى الهدْأةَ أيُّ دفينْ

مَن مات نَجا، وَدهَى الأنجَى
منْ لم يولدْ ضَمِنَ التَّأمينْ

* * *

هذا، يا أنتُم تحقيقٌ
وافاكُم مِنْ سبأٍ بيقينْ

يا مَنْ تُدْعى حُبَّاً فتِّش
عَنْ أزمانٍ في لا تَزْمِينْ

عن إنسانٍ لا ظرفَ لَهُ
لا آتيهِ باليوم رَهينْ

عن أرضٍ أخرَى ما خَطَرتْ
بخَيالاتِ القرْنِ العِشرينْ

***

حزبيَّة ومخبرون

1989م

لا تَخافي منهم، ولَكنْ أفيقي
صارَ منهم مَن كان يُدعى صدِيقي

ولماذا أخافُ؟ أصبحَ منهُم
زوجُ أُخْتي وعَمَّتِي وشقيقي

وَغَدا مِنْ فَريقِهِمْ نصفُ أُمّي
والذي كانَ كُلُّهُ مِن فَرِيقِي

أنتِ محسودةٌ لديكِ اكتِفَاءٌ
قَلْ كفاني أنّي أَغَص بِريقي

* * *

خنقُوا خَطَّ هاتفي مِن حَشاهُ
وتَقَصَّوْا زَفِيرَهُ وشَهِيقي

أين بيت الذي يناديك؟ قلبي،
لا يُسمَّى مُعلَّقي أو عليقي

خَمَّنُوا مَا يقول نَهْدي لنَهدي
كيفَ يُفضي تشوُّقي لِمُشيقي

* * *

ينعقونَ انْ رأَوْا بكفِّي كِتاباً
ويقولونَ لي أَغَصُّ نعيقي

ويـشـمّـون كـالـكـلابِ ممـرِّي
ولـهـم مـثـلُـهـا فُـضـولٌ سَـلـيـقـي

* * *

حـاولـي فَـهْـمَـهُـم بـرقَّـةِ أخـتٍ
ـ بـل أُذيـق الـلَّـظَـى الـمَـريـرَ مُـذيـقـي

حَـبِّـذي بـعـضَ مـا يـرونَ، تـغـابَـيْ،
فـالـتَّـغـابـي يُـرضِـي الـغَـبـاء الـحـقـيـقـي

ـ قُـلـتُ يـومـاً أحـبُّ شِـعـرَ (الـمَـعَـرِّي)
بـلَّـغـوا بـي، أَنَّ (الـمَـعَـرِّي) عَـشِـيـقـي

وبـأنّـي أزورُهُ كـلَّ يـوم
ولـه ورشـةٌ جـوارَ (الـعـريـقـي)

وبـأنّـي فـي غُـرفَـتـي أتـخَـفَّـى
تـحـتَ دعـوى تـشـاغُـلـي أو صَـقـيـقـي

فـيـظـنُّـونـنـي أنـاطـق شـيـئـاً
ويـجـيـئـون لا يـرون نـطـيـقـي

واعـتـيـادي قـبـل الـعـصـافـيـر أصـحـو
ومـسـاءً يُـمـسـي الـكـتـاب لـصـيـقـي

وبـأنّـي أأبـى الـزواجَ وأدعُـو
خـيـرَ أشـيـادِ إخـوتـي مِـنْ رفِـيـقـي

والـلَّـواتـي يـزرْنـنـي (أم زيـد)
و(مـنـى الـمـعـفـري) و(سـلـوى الـعـذيـقـي)

مـا سـمـعـنـا، يـقـلـن: هـذا وسـيـمٌ
ذا أنـيـقٌ، أو ذاك غـيـرُ أنـيـقِ

قَلتُ يَوماً: كَانَ (امرؤ القيسِ)، صاحت
عمَّتي: كيفَ تمدحين طَليقي[1]؟

باسْمِ (قيسٍ) تَهذين كُلَّ مساءٍ
فوقَ ناري ستخبزينَ دقيقي

إنَّ مَا تغسلينَ رجليْكِ فيهِ
ليس ماءً. هذا نزيفُ حَريقي

* * *

ـ مَن تُحبِّينَ يا ابنةَ الحزْب؟ أَهْوى
قَمَراً عاشِقاً وغصناً عقِيقي

قَدْ تقولينَ لا تطيقينَ لَغْواً
من لُغَاهُم.. تعلَّمي أَنْ تُطيقي

المجاراةُ لا التَّحدِّي ـ لماذا؟
كيفَ أقوَى إنْ لَمْ أُغَالِبْ مُعيقي؟

مَن أؤاخي لَوْ ذُبتُ لُطفاً لقالُوا
إنَّ سُمِّي مُخبَّأٌ في رحيقي

لوْ تحوّلتُ فرخةً ثعلبوني
لو تضفدعتُ خبَّروا عَنْ نقيقي

(1) طليقي: تسمي المرأة اليمنية الزوج الذي طلقها (طليقها) بدلاً من مطلِّقها.

لـــو رأونـــي أُمـــسِـــي حِـــمـــاراً لـــنــادَوْا
خُــبــراءَ يــتــرجِــمُــونَ نــهــيــقــي

إنَّـــهـــمْ يـــقـــبـــضـــونَ تـــســـعـــيـــنَ ألـــفـــاً
وأُلـــوفـــاً أُخْـــرَى. ـ ولـــو، لا تـــضـــيـــقـــي

رغـــم أنـــفِ الَّـــذي رَمَـــاهُـــم حِـــيـــالـــي
مـــا ثـــنـــوْنِـــي ولـــنْ يـــســـدّوُا طـــريـــقـــي

قـــالـــتِ الـــلُّـــجَّـــةُ الـــتِـــي أركـــبـــتـــنـــي
أخـــطـــرَ الـــعَـــومِ: لـــنْ يـــمـــوتَ غـــريـــقـــي

قُـــلـــتُ: إنِّـــي أتـــيـــت أُوجِـــد شَـــيـــئـــاً
وأُسَـــقِّـــي بَـــرْقـــي وأُظـــمـــي بـــريـــقـــي

ولـــيـــكـــنْ بـــيـــتُـــنـــا بِـــمَـــا فـــيـــهِ مـــنـــهُـــم
لا تـــكـــنْ أنـــت بـــعـــضَـــهُـــمْ يـــا رفـــيـــقـــي

❂ ❂ ❂

فلان ابن أبيه

1988م

يـظـلُّ يُـغـنـي وهـوَ أبـكـى مِـنَ الـبُـكـا
ومـا قـيـلَ: أشـكـى أيَّ عـزفٍ ولا أشـتـكـى

كـأنَّ لـهُ عـشـريـنَ قـلـبـاً يـهـزُّهـا
كـمـا تـمـسـحُ الـرِّيـحُ الـشُّـروقَ الـمُـمَـسَّـكـا

يُـحِـسُّ الأسـى أكـسـى إذا كـانَ صـامـتـاً
ويـبـدو لـهُ أعـرى مِـنَ الـسَّـطْـحِ إنْ حَـكَـى

يـذوبُ غـنـاءً يـهـتـكُ الـسِّـرَّ كـي يُـرَى
ويـأبـى أسـاهُ أن يـطـيـعَ الـتَّـهـتُّـكـا

لأن دمـوعَ الـنـاسِ أضـحـتْ ألـيـفَـةً
يُغنِّي لغيرِ الدَّمعِ، كي يخلعَ(الوِكا)[1]

* *

يُـقـلِّـبُ عـنْ عـيـنـيْ (جُـهـيـمـان) حـائـلاً
وعـنْ (عـروةِ بـن الـوَرْدِ) يـنـبـشُ (فـيـلـكـا)[2]

---

(1) الوكا: خيط كانت تشد به أفواه قِرَب المياه بعد ملئها.

(2) فيلكا: واحة في الدهناء أو في بادية الشام قال عنها عروة بن الورد:

أرضـعـتـنـي نـمـور فـيـلـك ظـشـطـريـ
ـهـا، فـلا شـبَّ مـن غـذتـه الـنِّـيـاقُ

ويـنـسـجُ مِـن أطـيـافِ صِـفِّـيـنَ (مـالـكـاً)
ومِـن سرَّة (الـفـسـطـاط) يـسـتـلُّ (شـريـكـا)[1]

يـعـيـدُ الأُلـى لـمْ يـعـهـدوا فـي عـهـودهـمْ
عـصـاً دولـروهـا أو جـبـيـنـاً تـفـرنـكـا

لِـهـذا يـغـنِّـي واجـداً كُـلَّ حُـفـرةٍ
بـهـا ثـائـرٌ قـدْ صـارتِ الآن مـسـبـكـا

إذا اصـطـرعـتْ فـيـهِ الـنـقـائـضُ قـادَهـا
لِـتـرْقـى وألْـفـتـهُ لِـحـالـيْـهِ أمـلـكـا

فـمـا اخْـتـلـطـتْ فـيـهِ الـكـواكـبُ والـحـصَـى
ولا اشـتـبـهـتْ فـيـهِ (لَـوَنَـا) بـ(لـرنَـكـا)

ولا خـالَ يـومـاً كـلَّ بـيـضـاءَ بَـيـضَـةً
ولا ظـنَّ لـيـلاً كـلَّ خـضـراءَ (لـيـلـكـا)

يـمـدُّ الـضـحَـى مِـنْ وهـجـهِ، يـنـظـر الـدُّجَـى
لإحـراقـهِ أدعَـى إذا كـانَ أحـلـكـا

* * *

رأى مَـرَّةً ثـكـلَـى مـحـا الـقـتـلُ زوجَـهـا
فـزوّجَـهـا بـرقـاً يَـرَى الـقـتـلَ مُـضـحـكـا

ويـومـاً رأى شـيـخـاً يُـقَـاوي مُـعَـسـكَـراً
فـحـوّلـهُ تـلاً، ثـنَـى الـقَـصـفَ مُـنـهَـكـا

(1) مالكا: هو مالك بن الأشتر قائد جيش علي في حرب صفين. وشريك: هو شريك المرادي الذي خطط مدينتي (الفسطاط) و(حمص).

ومـرَّ بِـحُـبْـلَـى قـال: هـاتـيـهِ حـامِـلاً
لِـرجـلَـيْـه مِـن رجـلَـيْـهِ مـهـداً ومـسْـلـكـا

وقـال لأخـرى: أنـضـجـي فـيـكِ ركـضَـةً
فـلا يـسـتـهـلُّ الـشـوطَ إلاَّ مُـحـنَّـكـا

فـقـالـت: غـدا كـالـديـكِ يـنـقـرُ صـائـحـاً
تُـرى مـلَّ نُـضـجـاً؟ بـل لأمـرٍ تـديَّـكـا

ووافـى أبـاً قـد كـانَ يُـلَـفِّـقُ (زيـنـبـاً)
بـ(سلمى) وقالَ: الحُبُّ يدعوكَ مُشركا[1]

أتـحـيـي (أبـا الـخـطَّـابِ) مَـن كـانَ قـلـبُـهُ
لـنـوقِ الـحـجـازيّـاتِ مـرعًـى ومـبـركـا[2]

فـقـالَ: اوصِـنـي، قـال: انـقـلـبْ أنـتَ زوجـةً
ورقّـغ بـ(سـامـوزا) (حُـسـيـنـاً) لـيـسـمَـكـا

* * *

وعـادَ يُـغـنِّـي خـابـزاً ثـلـثَ صـوتِـهِ
طـريـقـاً وثـلـثَـيْـهِ قـصـيـداً مُـحـكَّـكـا

يـزفُّ إلـى وجـهِ (الـمُـزَلْـبـي) تـحـيـةً
بـشـوشـاً ويـشـتـمُ الـنـضـارَ الـمُـشَـبَّـكـا

ويـسـتـفـسـر الـسَّـمَّـاكَ: كـيْـفَ تَـصِـيـدُهُ
وتـبـتـاعُ فُـولاً بـالَّـذي بـعـتَ (ديـرَكـا)

---

(1) مُشرك: كان الشعراء العذريون يسمون من يحب امرأتين (مُشركاً) ومن يتفرد بحب واحدة يسمى موحّداً، وهذا مصطلح فني لغوي.

(2) أبا الخطّاب: كنية عمر بن أبي ربيعة.

تـرى ذلـك الـسَّـهـرانَ يُـمـسـي عَـلَـى الـطَّـوى
ويــحــرس بُــسْــتَــانــاً وقــصــراً مُــبــنَّــكــا

فـيشـتَـفُّ مـا خـلـفَ الـمـصـابيـحِ والـكُـوَى
كَــمــا يــقــرأُ الأبــراجَ راعٍ تــفــيْــلــكــا

ويـنـصـبُّ فـي جُـمـهـورِ(غـزّة) يـنـتَـمِـي
إلـيـهَـا، ويـجـتـثُّ الـدخـيـلَ الـمُـمَـلَّـكـا

* * *

وفــي غــمــرةِ الــعــدوَى تــظــاهــرَ وحــدَهُ
وَهَـاجَ كَـمَـنْ يـرمِـي بـ(تَـيْـوانَ) (دهـلـكـا)[1]

فــمــسَّــاهُ شــرطــيٌّ وثــانٍ وثــالــثٌ
أحـالـوا الـيـقـيـنـيَّـاتِ فـيـهِ تـشـكُّـكـا

وقــال: ضــحــايــا يــسـلَـخـون ضـحـيَّـةً
تُــرَى أيُّــنــا يــا ســوطُ لــلــسِّــرِّ أدركــا

وغــاص يُــغــنِّــي فــي شــوارعِ قــلــبِــهِ
كَـمَـا يـفـحـصُ الـطـفـلُ الـكـتـابَ الـمُـفَـكَّـكـا

وقــال لـقـبـرٍ: هـل تَـرَى الـمـوتَ واحـداً؟
أمُــزْدي أخــي أزْدَى (ثــمــوداً) ومَــزْدكــا؟

---

(1) تيوان: عاصمة الصين الوطنية.

دهلك: جزيرة في البحر الأحمر نفي إليها عمر بن أبي ربيعة ومنها يقول:

هــيــهــات مــن أمــة الــوهــاب مــنــزلُــنــا
إذا حــلــلــنــا بــســيــف الــبــحــر مــن (عــدن)

واحــتــل أهــلــوك أجــيــاداً فــلــيــس لــنــا
إلا الــتــذكــر أو شــيء مــن الــحــزنِ

أمـا لاحَ مـوتُ الـيـومِ جـيـلاً مُـعـاصـراً؟
ـ ولـكـنْ عـلـى أشـبـاحِ أسـلافـهِ اتَّـكـا

لأنّ أبـا نـفـطٍ، عَـلـى كـلِّ مـديـنةٍ
وقـارورةٍ فـي أيِّ وكـرٍ تَـبـرْمَـكـا

إذَنْ لـسـت مـثـوى الـصّـمـتِ بـل بـيـتُ ثـائـرٍ
تـنـكَّـرَ كـي لا يـعـلـمُـوا كـيـفَ تَـكْـتَـكـا

وقـال: افْـتِـنـي يـا قـبـرُ، قـال: اتّـقـدْ هـوى
فـمـن لـم يـمـت لـلـشَّـعـبِ مـاتَ تـأمـرُكـا

ومـرَّ يُـغـنّـي مـخـبـراً كُـلَّ بـقـعـةٍ
هُـنَـا عـالـمٌ مِـن قـعـرِ سـاقـيْـكِ أَوْشَـكـا

يـحـثُّ الـرُّبَـا: كـي لا تَـمُـوتـي تـفـتُّـتـاً
عـلـى الـرَّمـلِ مـوتـي كـالـسَّـواقـي تـحـرُّكـا

فـقـالـت: تـعـلَّـم أنـتَ حُـسْـنَ تـمـسُّـكـي
بـأرْضـي وأحـسـنْ بـالـسـلاحِ الـتَّـمَـسُّـكـا

وأَلْـفُ كـتـابـاً عَـن جـبـيـنـي لـتـرتـقـي
ولَـحْـنْ سُـفُـوحـي كـي تُـنـيـرَ الـتَّـصـعلُـكـا

لأنَّ الـغِـنـى والـجُـبْـنَ مـثـنَـىً كـواحـدٍ
إذا أقـدرَتـهُ فـرصـةٌ بـات أسْـفَـكـا

* * *

وفـي الـسُّـوقِ لاقَـى الـشَّـعـبَ يُـخـصِـي نـقـودهُ
مـراراً وكـان الـسـعـرُ أغـلَـى وأفـتـكَـا

فـقـال: تـرون الـسـوق أغـلَـى، بـرغـمـهِ
سـيـرخـص لـو كُـنـتـم لـمـا فـيـهِ أتـركـا

أجـابـوا: أصـبـتَ الـرَّأي صِـرنـا بـضـاعَـةً
فَـمِـنْ أيِّ سـوقٍ نـشْـتَـري الـصـبـرَ والـذَّكـا؟

ومَـرَّ يـغـنِّـي يـغـزلُ الـضـوءَ والـنـدَى
ويـرجُـو بُـيُـوتـاتِ الـصَّـفـيـحِ الـتَّـبـرُّكـا

فـقـيـلَ: مـلاكٌ جـاءَ مِـنْ آخـرِ الـسَّـمـا
وقـيـل: مِـن الـشَّـيـطَـان لَـكـنْ تـأمْـلَـكـا

وقـيـلَ: لـه مِـنْ جـمـرَةِ الـبـرقِ جـبـهـةٌ
وصـوتٌ بـعـنـقـودِ الـثـريَّـا تـمـسـوَكـا

مـن الـنـاسِ إلا أنـهُ مـا انـثـنَـى ولا
رأى الـقـهـقـرى أنـجـى ولا الـوثـبَ أهـلَـكـا

ولا قـال أنـهـي، إنـمـا ظَـلَّ يـبـتـدي
ويـزكـو، لأنَّ الـشـعـبَ فـي قـلْـبـهِ زَكـا

⊛ ⊛ ⊛

بيت في آخر الليل

1986م

كما يدُقُّ الشَّوقُ بابَ السؤالْ
يجولُ في بالِ الجدارِ احتِمالْ

يُلاحظُ الوقتَ غريبَ المَدَى
ولِلسَّوَاري عَنْ سُرَاهَا اشتِغالْ

نوافذُ الجيران ملفوتةٌ
وهذه الأشجارُ عُوجُ الظِّلالْ

يصيحُ: صمتاً كلُّ شيءٍ لهُ
دخائلٌ مثلُ احتدامِ القتالْ

بينَ الكرَى والسُّهدِ أُطروحَةٌ
بين الممرَّاتِ الغوافي سجالْ

حتَّى الحُطامُ المرتمي، رُبَّما
يُسرُّ فنّاً مِنْ جَديدِ النِّضالْ

إخالُهُ يدعو أيا قامتي
قومي، ويُومي: يا حنيني تعالْ

لِمْ لا يبوحُ الليلُ عنْ غورهِ
هل للأماسي كالصَّبايا دَلالْ؟

* * *

للرِّيحِ طعْمُ في حُلوقِ الحَصَى
وللحَواري بالنُّجومِ اكتِحالْ

هذي الشَّبابيكُ لَهَا صَبْوَةٌ
إلى وِصالِ غَيْرِ ذاكَ الوِصالْ

تلكَ القناديلُ وإنْ راوغَتْ
لَهَا غُمُوضٌ واضِحُ الانفِعالْ

ماذا اغْتَراني؟ لا أنَا عامِرٌ
ولسْتُ قفراً.. ما اسْمُ هذا المَآلْ؟

يُعبِّرُ الأحْلامَ، تبدُو لَهُ
ذَواتِ أنيابٍ وأيْدٍ طِوالْ

لها أُنُوفٌ مِثلُ رِيشِ (القطَا)
وأعيُنٌ مثلُ مدبِّ النِّمالْ

أقدامُها مثلُ صَدَى أنَّةٍ
أكتافُها مثلُ جُسُومِ البِغالْ

* * *

يُحِسّ رأسيْنِ على جيدِهِ
وحيث كان الحلق، حَلَّ القِذالْ

يلفُّ زنديْهِ على صدرِهِ
يُصغي كمسلولٍ يُقاوي السُّعالْ

تلوذ ساقاهُ بأضلاعِهِ
يَهرُّ في إبطيْهِ وكرُ اغتيالْ

أمــطــار هــذا الــوقــت ضــوئــيَــةٌ
يــا ســقــفُ هــذا وابــلٌ أم وبــالْ؟

يــا آخــرَ الــلَّــيــلــةِ.. هــلْ هــذِهِ
بــدايــةٌ ثــانــيــةٌ أَمْ زَوالْ؟!

عَــلَــيــكَ وَجْــهٌ مَــا رأتْ مــثْــلَــهُ
أمُّ الــثُّــريــا أو جــدودُ الــهِــلالْ

أَذاكَ بــرقٌ يــحــتَــســي نَــجــمَــةً
يــا ســقْــفُ، أم فــي مُــقْــلــتــيَّ اختِلالْ؟

يُــكــذِّبُ الــســقــفُ الــكُــوَى، يــغْــتَــلــي
بــيــنَ الــزَّوايــا والــزَّوايــا جِــدالْ

تــصــبــو الــحَــشــايــا مــثــلَــمــا يــنــبــري
سَــيْــلٌ يُــلَــوِّي ركــبــتَــيْــهِ الــمَــســالْ

* * *

يــا ركــنُ مَــن أعــطــى الــزَّوايــا فَــمــاً؟
مَــن عــلَّــمَ الأحــجــارَ قــالــتْ وقــالْ؟

هــذي الــحــشــايــا كــبــنــاتِ الــهَــوَى
هــذي الــمــرايــا غــرَّهُــنَّ الــصَّــقــالْ

هــذي الأوانــي أعــلــنَــتْ أنَّــهــا
تــريــدُ مِــنْ أَشْــكــالِــهــا الارتــحــالْ

لِــكُــلِّ رَفٍّ نــزوةٌ طــفــلــةٌ
ولــهــفــةٌ أضــبــى إلــى الانــتــقــالْ

حتَّى الغسيلُ الممتطي مَنْكِبي
يَحمرُّ، يُذكي شهوةَ في الجِبالْ

فوقي كَركضِ الجنِّ، تحتي صدَىً
كفرحَةِ الأطيارِ بالاخضلالْ

هذا الذي، يا ركنُ سمَّيتُهُ
بيتي أنا، أضحى لهُ بيتُ خالْ[1]

يا سقفُ هَذا الغيثُ لمَّا هَمى
أقامَ كلُّ البيتِ شِبهَ احتِفالْ

تحوَّلت طوباتُهُ أغصُناً
تشكَّلَتْ كُلُّ حصاةٍ غَزالْ

هل خالَ غيثاً؟ واهمٌ.. إنَّهُ
نجمٌ عجوزٌ آخرَ اللَّيلِ بالْ

ما لاحَ في ذا البيت؟ ماذا انمحَى؟
لديْهِ سرٌّ مستحيلُ المنالْ

مِن تحتِ رجليْهِ علَتْ غيمَةٌ
فاخضوضرتْ عيناهُ كالبرتقالْ

* *

قل غيرُ ما شاهدتَ يجري ولوْ
ترَى بطونَ السهلِ تعلُو الجِبالْ

---

(1) بيت خال: هو في الكناية الصنعانية بيت العشق ويميزونه على الخال الذي هو أخو الأم بتنكيره (بيت خال).

مــا الــوقــتُ؟ كــمْ أوصــيْــتــنــي لا أرى
ألا تـــشــمُّ الآنَ ريـــحَ اشــتــعــالْ؟

تـــحـــلُّ أمُّ الـــفـــجْـــرِ أزرارَهَـــا
كـمـا يُـحـنّـي الـبَـرْقُ عِـشْـقَ الـتّـلالْ

كـــمـــا يُـــلاقـــي أمَّـــهُ نـــازحٌ
أمَـاتَـه الـمـذيـاعُ، تَـضْـحُـو (أزالْ)[1]

تـرمـي الـثَّـوانـي جـمـرَ أجـفَـانِـهـا
كـمـنْ يـرَى قـبـلَ الأوانِ الـمُـحـالْ

يُـقـلِّـبُ الـذُّهـلـيـزُ أوراقَـهُ
كـرأسـمـالـيٍّ بـلا رأس مـالْ

يـقـول: لـو أنـي ذرعـتُ الـدُّجـى
لَـوْ لـي (صُـواعٌ) كـي أكـيـلَ الـرِّمـالْ

لـو كُـنـتُ حـيـث الـسـقـفُ والـسـقـفُ لـو
كـان أنـا.. كُـنـتُ إلـه الـرِّيـالْ

***

يـا رُكْـنُ لا أدري هُـنَـا مِـنْ هُـنَـا
خَـلْـفـي كـقـدّامـي، يـمـيـنـي شِـمَـالْ

وأنـتَ كـيـفَ الـحـالُ يـا صـاحـبـي؟
لـم يـبـقَ عِـنـدي مـا أُسـمِّـيـهِ حـالْ

هـل تـلـكَ مـا يـدعُـونَ حـتـمـيَّـةً؟
كـم كـنـتُ أخْـشَـى كُـلَّ غَـيـنٍ ودالْ

(1) أزال: هو الاسم القديم أو الاسم الثاني لمدينة صنعاء.

مـا طـولُ هـذا الـبـيـتِ؟ كـمْ عَـرضُـهُ؟
تـربَّـعَـتْ قـاعـاتُـهُ واسْـتَـطـالْ

عـنـاسـةُ الـتَّـاريـخ فـي طـيـنِـهِ
تـزوَّجَـتْ فـوراً جـمـيـعَ الـرِّجـالْ

عَـلَـى نـقـيـضَـيْـهِ ارتَـقَـى كُـلُّـهُ
مِـنْ عِـمَّـةِ الأَعْـلَـى إلـى ذي الـسُّـفـالْ

* * *

أَكُـلُّ أحـشـاءِ الـثَّـرى أسْـفَـرتْ
تـريـدُ مـن أوضـارهَـا الاغـتـسـالْ؟

أذاكَ بَـدءٌ مـا لـهُ أوَّلٌ؟
أمْ هـذِهِ شـيـخُـوخَـةُ الاعـتـدالْ؟

مِـن خـارجِ الـتـقـويـمِ جـاء الـذي
مـا شـمَّ ريّـاهُ خـيـالُ الـخـيـالْ

◉◉◉

المهمَّة

1988م

الصَّمتُ أخونُ شيءٍ في الفترةِ المُدلهِمَّةْ
أيَّامَ تجري الطواري كالمُخْولات المُعِمَّةْ[1]
وحينَ لا صوتَ إلاَّ للخِسَّةِ المُطلخِمَّةْ

*

هُنالِكَ الشِّعرُ أهْدَى إلى صميمِ المُلِمَّةْ
إلى حشا أيِّ ضوْءٍ فيهِ الغَواشي المُصِمَّةْ
إلى النُّجومِ اللَّواتي تعمَى إزاء المُغِمَّةْ
مِنْ مطلعِ البدءِ يرنُو إلى قرارِ التَّتِمَّةْ
مِنْ وقدةِ الشوقِ يرقَى كالنجمَةِ المُستحِمَّةْ
فيمنحُ الوقتَ طعْماً والنَّاس ريحاً مُشِمَّةْ

*

ما دامَ في القَلْبِ همٌّ فللقوافي مُهِمَّةْ
تجيءُ مِنْ كُلِّ نبضٍ تَثُورُ قَبْلَ المُطِمَّةْ
لكلِ صُبْحٍ تُغنِّي تحمي الغصونَ المُكِمَّةْ
تأتَمُّ بالشَّعْبِ حتَّى يُرى إمامَ الأئمَّةْ
إليهِ منهَى النواهي لقبضَتيْهِ الأزِمَّةْ

---

(1) المخولات المُعمَّة: شهرة الأخوال والأعمام بأصالة النَّسب وشرف الحسب.

قُرّاء النجوم

1989م

ما الَّذي أخبرُوا؟ وماذا أضافُوا؟
بشَّروا تارَةً وحيناً أخافُوا

سمعوا ضجَّةً وشاموا[1] حشوداً
ما دروْا أهْوَ مأتمٌ أم زِفافُ؟

أنصَتُوا والقلوبُ تَغزِفُ خَفْقاً
حدَّقُوا والعيونُ فيها انخِطافُ

أوغلوا في النُّجُومِ حدساً ولمْساً
هالهُمْ عاصِفٌ وراعَ انْجرافُ

خلفَ هذا السَّنَا رُباً مِن صَفيحٍ
خلفَ ذاكَ الضَّبابِ أيدٍ لطافُ

شاقَ مَا لا يرونَ لَمْحَ رُؤاهُمْ
واعتراهُمْ مِمَّا يرونَ ارتجافُ

زعمُوا (الدَّلْوَ) صارَ بشراً وقالوا:
مسبحُ (الحوتِ) غاص فيهِ الجَفافُ

لاحظوا (الزُّهرةَ) التَّي ألمستهمُ
وجْنتيْها لها نيوبٌ رهافُ

(1) شاموا: نظروا من بعيد.

وإلى (العَقْربِ) استدلُّوا بأفعى
ذاتِ ريشٍ لَها عليها التِفافُ

* * *

هلْ رأوْا أرؤس الظروفِ اللّواتي
فوقنَا أينَعتْ وحانَ القِطافُ؟

أين منهى العشرِ العجافِ؟ قريبٌ
إنَّما قد تليهِ خمسٌ عِجافُ

قيل فيهنَّ يحتسي كُلُّ نسرٍ
ركبتَيْهِ وتقشعِرُّ الضِّفافُ

ثم تأتي تِسْعٌ سِمَانٌ ولكَن
بين (سعدَيْن) حوْلَهُنَّ اختِلافُ[1]

هلْ لـ(عنسٍ) بينَ (السِّماكيْن) نونٌ
مثلَما يكسرُ المُضافَ المُضافُ؟

هل ستُمسي المسدَّساتُ غصوناً
ويُغنِّي للغارفِ الاغترافُ؟

ما الَّذي أخبروا عنْ (الثورِ)؟ قالوا:
حاذِرُوهُ.. وحول قرنيْهِ طافُوا

وعنِ (الجديِ) صار تيساً عجوزاً
عافهُم مُذْ رأوهُ شيخاً وعافُوا

(1) سَعديْن: نجم (سعد السعود) بشير الخير، ونجم (سعد الذابح) نذير الشؤم وقد جاء التطير والتشاؤم من صفتيهما.

هل تجلَّوْا (بناتِ نَعْشٍ) كعاباً؟
أخبروا: عندَهُنَّ يخلُو العَفافُ

وأضافُوا: رأوْا (عطاردَ) سِفْراً
باتَ يَتْلو ما في حَشاهُ الغِلافُ

كانَ يقتادُهمْ منَ السِّينِ رَاءٌ
ويليهِ حاءٌ نَأى عَنْهُ قافُ

اتَّئدْ يا سُرى، هُنا شِبْهُ ومضٍ
وانتبهْ يا دُجى. هُناكَ هُتافُ

هلْ تَدانَى (المرِّيخُ) منَّا قليلاً؟
هلْ حدا (المُشْتَرِي) إلينا انعِطافُ؟

«أيُّها المُنكِحُ الثُريَّا سُهَيْلاً»
أيُّ نَجمٍ لهُ بِأُخْرى انشغافُ[1]؟

تلكَ كانتْ، والعشقُ كانَ لديها
مثلما كانَ للرِّماحِ الثِّقافُ

يا صحابي، نجومُ هذي العَشايا
ناكساتٌ كما تدِبُ الخِرافُ

غائماتٌ وما على الأُفْقِ غيمٌ
كَاسِفَاتٌ وما اعتراها انكسافُ

(1) أيها المنكح الثريا. إشارة إلى بيت لعمر بن أبي ربيعة:
أيها المنكح الثريا سهيلاً
عمرك الله كيف يلتقيانِ

يــا تُــرى أيُّــهــا مــســيــخــاتُ أرضٍ
ذاكَ (قــيــسٌ) ذا (عــامــرٌ) ذا (مَــنــافُ)[1]

قــيــلَ: كــانُــوا إنْ حــارَبُــوا أيَّ بــاغٍ
لا يُــصــافــي حــيّــاً. رأوْا أنْ يُــصــافُــوا

ويُــقــالُ: انــتــمــوْا إلــى الــشَّــعــبِ صُــبــحــاً
ومــســاءً عــن مــنْــهَــجِ الــشَّــعــبِ حــافُــوا

ويــقــولــون: بــعــضُــهُــم شِــبْــهُ بــعــضٍ
مــثــلَــمــا يُــشْــبِــهُ الــزُّعــافَ الــزُّعــافُ

وهــل الــمــسْــخُ كُــنْ فَــكــانَ؟ تــأدَّبْ
إنَّــمــا أَمْــرُهُ كــمــا قِــيْــلَ - كــافُ

هــل أسَــى ذي الــنُّــجــومِ أعــقــابُ إثْــمٍ؟
يــنــمــحــي بــالــعــقــوبــةِ الاقــتــرافُ

خــالَــهــا (الــشــنــفــرَى) كــؤوس سُــلافٍ
يــوم كــانــتْ تــمــوجُ فــيــهــا الــسُّــلافُ

مِــن شِــعــافِ الــجــبــالِ كــانَ يــراهــا
يــومَ كــانــت لــكــلِّ رعــنٍ شِــعــافُ

الــمــداراتُ أخــطــأتْ أمْ أخــلَّــتْ
نــهــجَــهَــا، أم أدارهــا الاعــتــســافُ؟

---

(1) أيها مسيخات أرض: إشارة إلى المسألة الفرضية الفقهية التي ترى أن بعض الأشرار من الناس مسخوا نجوماً عقاباً لما اقترفوا من مظالم.

أم رُقي الثرى إليْها تَفاعَى
فرقى في عُرُوقِها الانتِزافُ

شاهَدُوا الأنجم الوضيئاتِ بادتْ
وخلا للمقنَّعاتِ المطافُ

فوقَنا دونها مِنَ الشَّكِّ سقْفٌ
وعليهَا مِنَ الشظايا لِحافُ

مَنْ بِنا أقلقَ المجرَّاتِ بحثاً؟
هذَّنا، يا مَقاذفُ الانقذافُ

أكَّدُوا ما رأوا كَهذي اللَّيالي
منذُ شبوا حَتّى على (القرنِ) نافُوا

كيف تَفنى أقْوى السَّواري، وتَلْهُو
في مداراتِها نجومٌ ضِعافُ؟

ما لها في كتابِنا اسْمٌ وبُرجٌ
لا، ولا بينَها هُناكَ ائتِلافُ

ألأهلِ السَّما، وهم مِنْ ضياءٍ
كبني الأرْضِ جَيئةٌ وانصرافُ؟

فأجابوا: قلنا لـ(كيوانَ) هذا
فَلَوى نِصْفَ حاجبيْهِ انحِرافُ

وانزَوَى بينَ ظهرِهِ وحَشاهُ
مثلما يُوهِنُ القصيدَ الزِّحافُ

وسألنا (السُّها) فرداً عُطاساً
ورَمَى أنفَهُ إلينا الرُّعافُ

مثلنا تمرض النُّجومُ؟ أجابوا:
قيل أدْنَى ما تَشتَكي الانخسافُ

ولها كالوَرَى هوَىً وقلوبٌ
فَلمَاذا لا تَرتَجي وتَخافُ؟

هل لها مثلُنا بطُونٌ وأيدٍ
ولأَشياخِهَا ذقونٌ كِثافُ؟

رُبَّما عندهَا بطونٌ خَوافٍ
وأكفٌّ مخبَّآتٌ نظافُ

نحن قُرّاءُ قلبِها، ما عنانا
وصفُ أَشكالِها ولا الاتِّصافُ

* * *

هل أرتكم حَظَّ (الجُرافِ) و(مورٍ)؟
أين (مُورٌ)؟ قالت: وأينَ (الجُرافُ)؟

علَّ هذينِ بعضُ مرآةِ أُمِّي
أسِمانٌ رُباهُما أم نِحافُ؟

ما عَرَفْتُم عَنها، فهلاً اعْتَرفتُم؟
ليس يمحُو القصورَ مِنَّا اعتِرافُ

أهْي تدري ما سوفَ يَأتي؟ لديكم
عينُ حَدْسٍ وفي سَناها اكتِشافُ

كــي تَــرَوْا مــا يــلــي، تــبــارَوْا إلــيــهِ
فَــهــو أبــطَــا والــتــائِـقُــونَ خِــفــافُ

مــا لَــكَــمْ والــنُّــجــوم. لــلأرضِ فــيــكــم
أعــيــنٌ، لــلــشــمــوسِ فــيــهَــا اصــطــيــافُ

❁ ❁ ❁

استدراك: وردت في القصيدة ثلاثة أسماء مكانية في اليمن: عنس، الجراف، مَور.

المنتمي إليه

1988م

يُـحـبُّ الـنَّـاسَ كُـلَّ الـنَّـا ... سِ حـبَّ الأهـلِ والـجِـيـرَةْ
يـسمِّي الـحبَّ قـلـبَ الـقـلـ ... ـبِ يـعطي البغضَ تَـفْسِيرَهْ
يـشـمُّ تـبـسُّـمَ الـزَّاري ... ومـغـزى كُـلِّ تـكـشـيـرةْ
ويـعـيـي كـلَّ خِـبْـيـرٍ ... ويُـلـهـي كُـلَّ خِـبْـيـرةْ
ويـغـضـبُ أنْ يَـرَى الإنـسـا ... نَ مَـحْـكُـومـاً بـتـشْـعِـيـرَةْ
بـأوضـاعٍ كـسـكِّـيـرٍ ... يـمـزُّ بـلـحـمِ سِـكِّـيـرةْ
ويـسـألُ (ظُـبـرَ خِـيـرةَ) لِـمْ ... غَـدا ظُـبْـراً بِـلا خِـيـرةْ؟
و(هـمـدانـاً) بـلا هَـمٍّ ... و(غـمـدانـاً) بِـلا ديـرَةْ
ولِـمْ أضـحـى (وزيـرُ الـزِّيـ ... ـرِ) بـابَ حـكـومـةِ الـزِّيـرةْ؟
بـكـفَّـيْـهِ مُـدَىً تـعـوي ... وَفـي شـفـتـيْـهِ تـكـبـيـرَةْ
لـهُ أُمِّـيَّـةٌ تـبـدُو ... مِـن الـمـذيَـاعِ نـحـريـرَةْ
لأنَّ كـيـانَـهُ ورقٌ ... مِـن الـدُّولاَرِ والـلِّـيـرَةْ
لـمـاذا كـلُّـهـم هـذا؟ ... أروحُ الـعـصـرِ غِـرِّيـرةْ؟
يـسـائـلُ وهـو يـدري مـا ... نـوايـا كُـلِّ تـأشـيـرةْ
نُـصـولُ حِـمـاهُ تـحـمِـلُـهُ ... ويـحـمـلُ وحـدَهُ نِـيـرَةْ
وتَـسْـكُـنُـهُ بـيـوتُ الـشَّـعْـ ... ـبِ مِـن (صَـبـيـا) إلـى (صِـيـرةْ)
ويـسـكـنُ كِـسـرتَـيْـنِ أدقَّ ... مِـنْ قـارورةِ الـبِـيْـرةْ

لـهـذا فـي الـجـهـازِ لـهُ مَـلَـفٌّ سـيِّـئُ الـسِّـيـرةْ
يُـنـادَى عـنـدهـم كـلـبـاً وحـيـنـاً جـروَ خـنـزيـرةْ
لأن بـكـفِّـه سِـفْـراً وفـي عـيـنـيْـه تـبـشـيـرةْ
ولا خـالٌ لَـهُ فـي الـقَـصْـرِ لا أخـتٌ (سِـكِـرْتـيِـرةْ)
ولا ذخـرٌ هُـنـاكَ ولا لَـهُ أمـرٌ ولا مِـيـرةْ
لأن قِـيـادَهُ فـي كـفٌ نَـفْـسٍ غَـيـرِ شـرِّيـرَةْ

◎◎◎

العصر
الثاني في هذا العصر

1987م

عــثَــتْ وولَّــتْ كَــهــذا الــوقــتِ أوقــاتُ
جـاءت كـأشـيـادِهـا، مـاتَـتْ كَـمـا مـاتُـوا

كـانـت لَـهُـم مِـثْـلَـمـا كـانُـوا لـهـا فـمـضَـتْ
كـمـا مَـضَـوْا، لا هُـنـا أضْـحَـتْ ولا بـاتُـوا

فـكـيـفَ أغـربَ هـذا الـوقـتُ.. مـاتَ ومـا
ولَّـى وأسـيـادُهُ مـاتُـوا ومـا فـاتُـوا؟

فـي كُـلِّ قـصـرٍ لـعـيـنَـيْـهِ وأعـيـنِـهِـمْ
يـمـوجُ عـرسٌ وأعـيـادٌ وعـاداتُ

* * *

لا الـموتُ يـمحـو لـكي يـرقى النـقيـضُ، ولا
لأيِّ حـيٍّ مِـنَ الـتـمـويـتِ إفـلاتُ

عـن مـا سَـيأتِـي، أتـى الـماضـي ومـا اعـتذرَتْ
إلا (سـفـيـنـةُ نـوحٍ)[1] والـمُـرُوءاتُ

عـن يـوم(حِـطّـيـنَ) جـاءَ الـطـيـنُ يـجـرفُـهُ
إلـى (فِـلـسْـطِـيـنَ) طَـيّـانٌ وزَفّـاتُ

---

(1) سفينة نوح: رمز النجاة من الطوفان كما في الكتب السماوية.

حتَّى المَنايا اللَّواتي خاضَ عنترةٌ
رَجَعنَ أضبَى، لهنَّ الآن (مَوضاتُ)

ماذا تطوَّر غيرُ المُسْخِ يا زَمَني؟
مَن قال هذا؟ سكوتُ الكُلِّ إسكاتُ

إن كانَ مَن زوَّرُوا أنيابَهم قُبَلاً
يعطونَ حُبّاً. فما هُنَّ العداواتُ؟

* * *

مَن أنت يا ذاكَ؟ مَنْ لو شمَّ مِن (كندا)
(صنعا) لأورقَ (فيه) البُنُّ و(القاتُ)

وراءَ سِرْبِ القوافي صاعدٌ جَبَلاً
وفي البُحُورِ (الخليليّاتِ) حوّاتُ

حتماً، إلى أيّ إرهابٍ ستنسِبُهُ
فأنتَ، يا خالقَ الإرهابِ نَعّاتُ؟

يا طفلَ حَزبَينِ تبدُو زوجَ ثالثةٍ
لها بإبْطَيكَ خالاتٌ وعَمّاتُ

ألا ترى القتلَ يُدمي كُلَّ ثانِيَةٍ
كما تؤدِّى على الدَّربِ التَّحيّاتُ؟!

لا شيءَ يُسمعُ أُذنيهِ ولا فَمَهُ
ولا خُرافاتُك العَجلى خُرافاتُ

مَن أنتَ يا ذاكَ؟ شطرٌ مِنْ مُعلَّقَةٍ
وما اسْمُ بيتيكَ؟ حَمّالٌ وزيّاتُ

أَسَكِتْ قوافِيكَ، حاوِرْني مُرامِزةً
ـ لهنَّ ياصاحبي مثلي مُهمّاتُ

لو كنتَ أرشقَ من أنّاتِ ساقيةٍ
كفتكَ عَنْ جَمْرةِ القلبِ الإشاراتُ

(سيزيفُ) ناءَ بصخرٍ واحدٍ وأنا
صخْرِي جدارٌ حديديٌّ وغاباتُ

(السِّندبادُ) امْتَطَى ظهرَ البُحُورِ. . أنا
تأتي وتمضي على صَدري المُحيطاتُ

فهل توازي ملايينُ الرموزِ قوَىَ
الأرضُ في قبضتيْها والسَّماواتُ؟

* * *

ـ أرى عليك (حِزاماً). . صُنعَ والدتي
ـ لَكُنَّ عقمُ الحَشايا قرمطِيَّاتُ

لأن أمَّكَ أنبوبٌ صرختَ أسَىَ
لِيَ الرئاساتُ قينَاتٌ وزوجاتُ

لا أنتَ أغلى ولا هُنَّ الأجدُّ صِباً
أزرى بناتِ الهوى هُنَّ الرّئاساتُ

ما كلُّ ما تبتغيهِ تشتريهِ، ولا
تقْوَى على كلِّ ما تخشاه قُوّاتُ

لا تنخدعْ، لستَ يا عصرَ النُّجومِ سوى
بنكٍ إلى حلقِهِ تنصَبُّ قاراتُ

* * *

إذا تـــداعَـــتْ بـــلادٌ أنـــتَ ذو مـــهَـــلٍ
وإنْ تـــوهَّـــجَ شَـــغْـــبٌ أنـــتَ بـــغْـــاتُ

فـكَـمْ تُـصلّـي بَـ(بَـاكـسـتـانَ) مِـنْ جُـمَـعٍ
وأنـتَ فـي(الـقـدسِ) و(الـسَّـمُـوعِ) سَـبّـاتُ

فـي (نـيـكـرجـوا) رصـاصـيٌّ هـوَىً ويـداً
فـــي (أمِّ درمـــانَ) ســـبَّـــاكٌ وفـــتّـــاتُ

في (الكرخِ) سعدون، في(طُوس) ابنُ فاطمةٍ
وإنْ وجـــدت (كـــويـــتـــيّـــاً) فـــكـــوّاتُ

لأن قـــلـــبَـــكَ ذُو بَـــوّابـــتَـــيْـــنِ، لَـــهُ
فـي الـقـصـرِ قَـصْـران. غَـلاَّمٌ وبَـنَّـاتُ

الآدمـــيَّـــةُ فـــي كـــفَّـــيْـــكَ مِـــخْـــبـــرةٌ
وأنـــتَ فـــي قـــبـــضَـــةِ الآلاتِ آلاتُ

لأنَّ بـيـتَـكَ مُـبـيـضُّ الـسَّـوادِ، فـمـن
أقْـصـى حـنـايـاكَ تـنـهـلُّ الـزّرافـاتُ

كُـلُّ الـرؤوسِ الَّـتـي تَـطْـغَـى هُـنـا وهُـنـا
لـهـنَّ مِـنْ غـابـةِ (الـدولارِ) نَـحّـاتُ

يُـعـلـي عـلـى كـلِّ شـعـبٍ باسْـمِـهِ شَـبَـحاً
لـــه مِـــنَ الـــوَحْـــلِ أذيـــالٌ وهـــالاتُ

هـذي الـمـجـنـزرةُ الـحُـبْـلَـى مـؤمَّـرةٌ
وذلـك الـمـدفـعُ الـمـكـبـوتُ كـبّـاتُ

هل بيتُكَ الأرضُ؟ كُلُّ الأرضِ يا شَجَني
وكلُّ بيتٍ مِنَ الأجداثِ أبياتُ

للأرضِ بيتاً وقَبْراً أخلَصتْ مِقتي
فمِن جَناها الأعادي والحبيباتُ

مِن أجلِ مَنْ تصطفي تهوَى مُعاكِسَهُ
للقلب قلبانِ. عَشّاقٌ ومَقّاتُ!

أُغلوطةٌ تِلكَ؟ بل هَذا يقومُ بذا
إنَّ التجاوزَ وصّالٌ وبتّاتُ

* * *

تقولُ ماذا؟ وعصرُ المُخبرينَ علَى
بابِ التَّوابيتِ طبّاخٌ وتَوّاتُ

والهدنةُ النَّحسُ حربٌ نصفُ قائمةٍ
بأمرِ مَنْ تخدع الحبرَ العباراتُ؟

هذي الغرابةُ عيناها كَسُرَّتِها
مِنَ المَسامير، لا هاكُمْ ولا هاتُوا

تَرَى ملاستَها في ظلِّ قامتِها
كما تُحدِّقُ في المرآةِ مرآةُ

وما لها سرُّ موجودٍ ولا عدم
ولا تنازَعَها نفيٌ وإثباتُ

لأنَّها انسربَتْ مِنْ كلِّ نافذةٍ
وما درى أيُّ بابٍ رجعةَ (النّاتو)

علـى الـجـبـاهِ الـعـوالـي وقـعُ أرجُـلِـهـا
ومـا لِـتـوقـيـعِـهـا فـي الـسـمـعِ أصـواتُ

لأنّـهـا الـيـومَ تُـبْـدي وجـهَ عـاشِـقَـةٍ
مـثـلَ الـحـنـانِ الـذِي يُـبْـديـهِ إشْـمـاتُ

مَـنْ ذا يـراهـا ويـذري مـا يَـرَى، ولـهـا
تـحـتَ الـتّـنـكُّـرِ إبـحـارٌ وإخـبـاتُ؟

كـانـت تـجـيءُ كـتـمْـسَـاحٍ عـلـى (حَـمَـلٍ)
والـيـومَ يـرقـصُ فـيـهـا (الـذئـبُ) و(الـشّـاةُ)

فـيـشـربُ الـقـتـلُ والـمـقـتـولُ نـخـبَ هـوَىً
لـلـقـتـل بـالـحـبِّ، قَـبـل الـوقـتِ مـيـقـاتُ

فـهـلْ سـيُـمـسـي حـصـانُ الأمـسِ طـائـرةً
لأنَّ أصـلَ (حَـمـامِ) الـيـومِ (حـيَّـاتُ)؟

هـذي الـتـغـايـيـرُ تـشـكـيـلُ الـشـكـولِ إلـى
أُخـرَى، وتـذيـيـتُ مـا تَـفْـنَـى بِـهِ الـذّاتُ

يـا دُورَهُـم، يـا بـيـوتَ الـشَّـعـبِ، يـا وطـنـي
هـلْ هـذه الـخِـرقُ الـرّخْـواتُ رايـاتُ؟

ويـا تـمـادي رُبـا الإسـمـنـتِ قـلْ لـهـمُـو:
مـسـتـعـمـرُ الـيـومِ نَـبّـاشٌ وسَـمّـاتُ

فـي كـلِّ مـنـبـتٍ عـنـقـودٍ وسـنـبـلـةٍ
تـعـلـو بـيـوتٌ، ومـا فـيـهـنَّ بَـيّـاتُ

* * *

هـذا الـتَّـصـحُّـرُ يـسـتـغـشـي الـرؤوس، فـمـا
لـهـنَّ نـبـضٌ. وهـل لـلـنـقـعِ إنْـبـاتُ؟

مِـن أيـن يـومِـضُ بـرقٌ والـغـمـامُ حـصَـىً
ومـوعـدُ الـسـنـواتِ الـصُّـفْـرِ إسْـنـاتُ؟[1]

مـا أنـجـبـتْ غـيـرَ (عـبـدالـنـاصـر) امـرأةٌ
ولا اقـتـفَـى (الـحـسـنَ الـبَـصْـرِيَّ) قَـنَـاتُ

هـل أمَّـةُ الـفـردِ أعـطـتْ قـهـرَهـا سـبـبـاً
فـألَّـهـتْ فـوقَـهـا الـسَّـوطَ الـعَـمـالاتُ؟

قـالـوا: (زمـانٌ رديءٌ) بـاسْـمِ مَـنْ شـمـخَـتْ
وعـسـكـرتْ حـولَـهـا الـمـوتَ الـرّداءاتُ؟

لـو لـم تـكـونـوا لَـمـا كـانـت، إذا احـتـشـدَتْ
أقـوَى الـرّداءاتِ. قـل: أيـن الإجـاداتُ؟

هـذا الـرَّمـادُ الَّـذي يـنـسـاقُ مـنـتـفـخـاً
شـتَّـانَ. فـي الجمعِ، فـي التجميعِ أشتاتُ

قـالـوا: لـكـلِّ زمـانٍ آيـةٌ. صـدقُـوا
هـذي الـشَّـظـايـا لـهـذا الـعـصـرِ آيـاتُ

* * *

كـيـفَ اقـشـعـرَّيـتَ يـا قـلـبَ الـتُّـرابِ؟ مـتـى
تـحـكـي؟ أمـا أزغـبـتْ فـيـكَ الـبـدايـاتُ؟

فـي هَـجـسِ عـيـنـيْـكَ مـاضـي كُـلِّ آتـيـةٍ
قُـلـهـا. أمـا أيـنـعـتْ فـيـكَ الـروايـاتُ؟

---

(1) الإسنات: الدخول في سنة أو سنوات جدب.

هـلْ يـركـضُ الـشـوقُ كـي يـلقـى الـسـؤالُ فـمـاً
وكـــي تــلــوحَ لــوجــهِ الــبــدءِ غــايــاتُ؟

يـا (سـيـبـويـهِ)[1] انـزوتْ فـي الـقـلـب صـامـتـةً
مـلـيـونُ (حـتَّـى). أصـمْـتُ الـقـلـب إنـصـاتُ؟

۞ ۞ ۞

(1) سيبويه. روي أنه قال: سأموت وفي نفسي شيء من (حتى)

زوجة البلد

1989م

قيل: كانت بلا ولَدْ ... زوجُها وابنُها البلَدْ
بُرتُقاليَّةُ الرُّؤى ... زعفرانِيَّةُ الخَلَدْ
وحقيقيَّةُ المُنَى ... وخُرافيَّةُ الجَلَدْ
قلبُها كلُّ شارعٍ ... كلُّ بيتٍ، بلا عَدَدْ
كل مقهىً لها هوًى ... كُلُّ سِجنٍ لها كَمَدْ
عندَها كُلُّ بقعةٍ ... ياسِمينِيَّةُ الجسَدْ
كُلُّ عرقوبِ نعجةٍ ... عُنُقٌ أبلجُ الغيَدْ
كُلُّ غصنٍ مدينةٌ ... أمَّمَتْ صنعةَ الرَّغَدْ

* * *

تُرضِعُ الزَّهرَ والحَصَى ... تعشقُ اللَّيلَ والرَّأدْ
تنفخُ السّاثرَ القُوى ... وتُغنّي لِمَنْ قعَدْ
وتُداني الَّذي دَنا ... وتُنادي الذِي ابتَعَدْ
تَسْلَخُ السّاعدَ الذي ... يجتدي غيرَهَ المَدَدْ
أهلُها كُلُّ واحدٍ ... وهي تبدو بلا أحدْ
وحدَها تحملُ الرُّبا ... و(صحارَى بني أسَدْ)
وكجَدّاتِ أُمِّها ... تُحسِنُ النَّفثَ في العُقَدْ

وتُـــداوي (شـــــهــــارةً) بـرُقَـى كـاهِـنِ (الـجَـنَـدْ)[1]
تـــســـرد الـــرَّمــلَ قِـصَّـــةً تـمـنَـحُ الـصَّـخْـرَ مـعـتـقَـدْ
تـكـتـبُ الـعـشـقَ مِـثْـلَـمـا يـكـتـبُ الـشـاطـئَ الـزَّبَـدْ
تَـمْـخَـضُ الأمـس كـي تـرى مِـنْ رُبَـا الـيـومِ بـعـدَ غـدْ
حــولـهــا مِـنْ حـنـيـنـهـا أنـــجـــمٌ تـــقـــرأُ الأبَـــدْ
فــوقــهــا مِـنْ عـظـامِـهـا جُـبَّـــةٌ تُـشْـبِــهُ الـبَـرَدْ
وعَـــلَـــى نـصـفِ رأسِـهـا نــصـفُ تَـلٍّ مِـنَ الـرَّمَـدْ
قَـلـبُـهـا كـالـكـتـابِ فـي كَـفِّـهـا يُـرشِـدُ الـرَّشَـدْ

* * *

أيُّ مـــجـــنـــىً درى عـــلـــى أيّ أســرارِهــا انـــعــقَـــدْ؟
أيُّ بـــرقٍ وشـــى بـــهـــا تَـــحْـــتَ أردانِـهـا اتَّـقَـدْ؟

* * *

أيـــن يـــا مـبـتـدا صَـبَـتْ؟ ومَـــتَـــى صـدرُهــا نَـهَـدْ؟
صـغـتُ مِـنْ حـكـمـتـي لَـهـا رُقْـيـةً تـمـنـعُ الـحـسَـدْ
أتـــرى عـــنـــفـــوانَـــهـــا مِـنْ جـديـدٍ إلـى أجَـدّ
بــادَ مــن بَـغْـدَ بـعـدِهـا وهـــي فـــي أوّلِ الأمَـــدْ

⊛⊛⊛

---

(1) شهارة: أحدى مدائن شمال الشمال اليمني. والجند: إحدى مناطق جنوب الشمال.

أشواق

1988م

يــا رِيــحُ فــي زنــديْـكِ عَـزفُ رفــاقــي
أيـنَ الـتـقـيـتِ بـهـم؟ وكـيـفَ أُلاقـي؟

مِـنْ أيـنَ جـئـتِ الآنَ؟ نـثَّ غـمـوضُـهـا
شـيـئـاً، وقـالـتْ مـثـلَـهُ أشـواقـي

لـو تُـفـصـحـيـنَ، وخـلـتُـهـا قـالـتْ غـداً
أوْ قَـهْـقَـهـتْ كِـبْـراً مِـنَ اسْـتِـنـطـاقـي

ووقـفْـتُ أرقـبُـهـا غـداً فـتـراكـضـتْ
أُخْـرَى لـهـا رعـدٌ بـلا إبـراقِ

ولـهـا أنـوفٌ كـالـرُّبـا وحـوافـرٌ
ولـهـا عـيـونٌ مـا لـهـنَّ مـآقِ

هـل تِـلـكَ عَـمَّـتُـهـا؟ تـلـوح غـريـبـةً
فـلـهـا فـمٌ خـافِ وشـبـهُ تـراقِ

* * *

لـمَ لا أسـائـلـهـا، فـلـيـس تـطـلُّـبـي
سـرّاً، ولا سِـرِّيَّـةً أوراقـي

ولـعـلَّـهـا مـثـلـي تُـريـدُ أحـبَّـةً
مـن نـوعِـهـا وتُـحِـسُّ مـثـلَ فِـراقـي

ولعلَّها مغلولةٌ مِثلي، ولا
أدري لِشُغْلي باحتمالِ وثاقي

* * *

يا بعد نصفِ اللَّيل، ليتك زورقي
اخرسْ.. لماذا لا تقولُ نِياقي؟

أرجوك لا تسخرْ، جرحت بداوتي
هل أنت يا آبْنَ الرَّقْمتينِ رُواقي؟[1]

ما دمت تعرف (برجسونَ) و(مزدكاً)
لا أنت مِن طُرُقي ولا طُرّاقي

لا فُضَّ فوك، أما الصوابَ تقول لي:
لا أنت مِن غسقي ولا إغساقي

لمّا اتهمْتُك بالتَّمَغْرُبِ واهماً
أوهمْتني، يا صاح باستشراقي

ما قلت لي؟ أرأيتَ صحبي؟ مَن أرى؟
لبسَتْ قرون الكهربا آماقي

مثلي، بما يدعونَها حُرِّيَّتي
وتطوُّري. زادوا مِنَ استرقاقي

* * *

يا صبحُ أين رأيت آخرَ مرّةٍ
صحبي؟ طواهم مَنْ طوى إشراقي

(1) يا ابْنَ الرقمتين: صحراء شرقي مكة كانت شهيرة بكثرة الظباء وفيها قيلت أجمل الأشعار. رواقي: نسبة إلى فلسفة الرُّواقيين اليونان ولهم مذهب معروف.

كــانــوا أحــبّــائــي أزورُ بــيــوتَــهــم
فــنــأوْا، وفــي أجــفــانِــهــم أحــداقــي

صِـفْ مـا وَهـبـتُ. . بـكـلِّ شـيءٍ أزمـةٌ
إلا الـنـفـاقُ. . أتـسـتـزيـد نِـفـاقـي؟

أشْـبـهـتَ مَـنْ أبـغـي، أشـمُّ بـمـنـكِـبـي
وإذا نـظـرتُ أرى بـكـعـبِـيَ سـاقـي

لا أجـتـدي مـنـك الـسَّـنـا، مـا دامَ لـي
شـوقٌ فَـسَـوْفَ يُـضـيـئُـنـي إحـراقـي

* * *

يـا رازِقـيّ[1] (الـسِّـرّ) هـل تـشـكُـو الـظَّـمـا؟
أشـكُـو إلـى مَـنْ عـنـدَهُ أرزاقـي

هـل أنـتَ تـرقُـبُ آتـيـاً أو عـائـداً؟
مـا صـرتُ جـاسـوسـاً. . أبَـتْ أخْـلاقـي

أأذوقُ عـنـقـوداً؟ تـنـاولْ، إنَّـمـا
قـبـلَ الـتَّـذَوُّقِ لا تُـشِـذْ بـمـذاقـي

قـل: لا تَـذُقـنـي، قـلـتَ مـالا أنـتَـوي
مـا الـمـنـعُ مِـنْ حـقِّـي ولا اسْـتِـحْـقـاقـي

أحـسـنـتَ، دُورُ الـمـنـع تـسـقـيـنـي دمـي
وتـقـول: قَـبِّـلْـنـي عـلـى إغْـداقـي

* * *

(1) الرازقي: أحد أصناف العنب الجيد اشتهرت به منطقة (السِّرّ) في بني حشيش شمال العاصمة صنعاء.

يـا رازِقـي، أتـقـولُ لـي: مـا اسْـمُ الَّـذي
سـمّـاكَ؟ تـهـوى الـغـوص فـي أعـمـاقـي

ركِـبَ الـنـبـيُّ إلـى الـسَّـمـاءِ بُـراقَـهُ
لِـمَ لا أحـثُّ إلـى الـجـذورِ بُـراقـي؟

دعـنـي لـكـم أنـسـابُـكـمْ، نـسـبـي إلـى
إشـراقِ أثـدائـي عـلـى أنـسـاقـي

مـا اسْـمُ الـروابـي تـلـك يـا ألـقَ الـضـحـى؟
مـجـلـى عـيـونـي، فـرحـةُ اسـتـنـشـاقـي

أتـلاحـظُ (الـكـاذي) يـمـدُّ عـبـيـرَهُ
وإخـالُـهُ يـحـكـي: دَنـا مُـشْـتـاقـي

يـا غـيـمـةَ (الـمـحـويـتِ) حـان تـورُّدي
لَـمَـحَـتْ وقـالـتْ: مـا ابـتـدا إيـراقـي

لـي يـا ضُـحَـى (الـمـحـويـت) فـيـكَ قـصـيـدةٌ
- أخـشـى عـلـى شـفـتـيْـكَ مِـنْ سُـراقـي

سـرقـوكَ حـتَّـى أنـتَ يـا هـذا الـضُّـحَـى
- ومَـشَـوْا عـلـيـهـم مـئـزَري ونـطـاقـي

* * *

عـنـد (الـطـويـلـةِ) مـسـمـعٌ، قـل يـا أخـي
عِـنـدَ الـقـصِـيـرَةِ لا أريـدُ زُواقـي

مـا لـي مِـنَ اسْـمـي مـا يـدلُّ ولا أرَى
وُضَـاعـةَ الأسـمـاءِ مِـنْ حُـذّاقـي

أتـريـد سـمـعـي أم فـمـي؟ لـو أشـتـكـي
قـالـوا: خـرجـتُ الـيـومَ عـن أطـواقـي

هـا أنـتِ أرشـقُ، والـتَـفـتُّ مـخـافـةً
مـن أنْ يـكـذِّبَ حـجـمُـهـا اسـتـرشـاقـي

كـتـبـوا كـتـابَـكِ يـا (حـبـابـةُ) فـاهـنـئـي:
ـ قـبـلَ الـزَّواجِ تـلـوْا كـتـابَ طـلاقـي

مـيـلـي إلـى الـعُـرسِ الَّـذي لا يـنـتـهـي
أدركـتُ مـا تـعـنـي فـدع إقـلاقـي

إن تـهـدئـي تَـنْـمَـيْ، وإن تـتـدفَّـقـي
فـكـحـاجـةِ الـطُّـوفـانِ لـلإغْـراقِ

* * *

مـا بـالُ ذا الـتَّـلِّ الـوقـور يـفـوحُ لـي
أيـقـولُ: نـابـتْ عَـنْ فَـمـي أغـبـاقـي

أأقـولُ مَـن تُـدعـى، أجـابَ أنـا الَّـذي
كـانـتْ صـخـوري أدرُعـي وعـتـاقـي

يـدعـونـنـي (ظـهـر الـحـمـارِ)، ومـا اعـتـلَـوْا
ظَـهْـري ولا اسـتـمـعَ الـسـمـيـعُ نُـهـاقـي

دقَّـتْ جُـنـوبـي يـا ابـنَ أُمِّـي، إنَّـمـا
أعـراقُـهـا فـي الـقـعـرِ غـيـرُ دِقـاقِ

أتَـرَى جِـبـاهـي ذُبـنَ مـثـلَ الـمـلـحِ أمْ
جـافـيْـنَـنـي أمْ غِـبـنَ فـي أعـنـاقـي؟

يـا عـمُّ لا تـقـنـط، سـتُـنـبـت أَرؤُسـاً
أَغـلَـى، وأخـرجُ مِـنْ مـدارِ مَـحـاقـي

يـا (بـيـت بَـوْس)[1] أكـنـتَ خـدّاً أمْ فَـمـاً؟
غَـفِـلَ الـمُـسَـمِّـي أن يـذوقَ عِـنـاقـي

قـيـل: (الـمـسـمِّـي كـادَ يـخـلـقُ) نـادراً
مـا (بَـوْسُ) مـخـلـوقـي ولا خـلاّقـي

ولِـمَـنْ تُـسـفـسـطُ؟ إنَّـنـي فـي مِـقْـوَلـي
حـرٌّ وحـرٌّ أنـتَ فـي اسـتـحـمـاقـي

لا أشـتـهـي الإعـتـاقَ مِـنْ أسـرِ الـهَـوَى
وأريـدُ مِـنْ غـيـر الـهـوى إعـتـاقـي

هَـمَّـتـكَ تـسـمـيـتـي فـجـئـتَ مُـسـائِـلاً
فـوشَـى بـوجـهِ مَـهـمَّـتـي إطـراقـي

أمـنـجِّـمٌ يـا أنـت أم بـحَّـاثـةٌ؟
تـلـك الـطـبـاقُ الـسـبـعُ لـسـنَ طـبـاقـي

أرأيـتَ لـي أهـلاً أقـاتـلُ عـنـهُـمُ
وجَـعَ الـسُّـكـوتِ لأنَّـهُـم إنـطـاقـي

هـم نـفـسُ أهْـلـي، كـيـف جـئـتَ مُـعـابـثـاً
بـاسْـمـي؛ فـخـلـتُـكَ تـنـتـوي إحـنـاقـي

أزهـقـتَـنـي بـالـتَّـسـمـيـاتِ وفـجـأةً
أخـرجـتَـنـي مِـنّـي ومِـنْ إزْهـاقـي

---

(1) بيت بوس: قرية من ضواحي صنعاء وقد ورد في القصيدة غير معرب بالإضافة ونصب المنادى لأن هذا في الأسماء المكانية المعروفة أوقع في النفس.

مِـنْ أيـنَ جـئـتَ وأيـنَ تـذهـبُ؟ هـكَـذا
أنـسـاقُ، يـقـتـادُ الـحـنـيـنُ مـسـاقـي

*

أأقـولُ يـا شـفـقَ الـغُـرُوبِ رأيـتَـهُـمْ؟
سـتـجـيـبُـنـي مـسـتَـغـطِـيـاً إشْـفـاقـي

هـا أنـتَ دامِ دون أيّـةِ طـاقـةٍ
فـإلـى سـؤالـي يـنـثـنـي إطـلاقـي

أمُـسـائـلٌ عَـنْ سـرِّ كُـلِّ خـبـيـئـةٍ؟
إمّـا شـقـيٌّ أنْـتَ أو مُـتـشـاقِ

* *

يـا (تـكـسُ) أضـنـانـي الـمـسـيرُ أأمـتـطي؟
مـا مـهـنـتـي؟ أتـخـافُ مِـنْ إرهـاقـي

أمـري إلـى الإسـفـلـت أو قـلَـقِ الـحـصَـى
وإلـى الـمـرورِ، وأمـرُهُ سـوّاقـي

هـذا الـطـريـقُ مـجـرّحٌ مـثـلـي، ولـو
يـشـكـو لـشـقَّـتْ صَـدرَهُ أبـواقـي

لِـمَ لا تُـعـاطِـفُـهُ؟ لأنّـي فـوقَـهُ
أشْـقـى وفَـوْقـي رُكّـبـي وسِـبـاقـي

الـفـوقُ مـثـلُ الـتَّـحْـتِ، أَجْـري لا أرى
مـا نـوعُ أتـحـاتـي؟ وكَـمْ أفـواقـي؟

أنـهـيـتُ يـا (تـكـسُ) الـتَّـحـدُّثَ، وابـتـدتْ
بـيـنـي وبـيـنـي حـادثـاتُ شـقـاقـي

قلبي (يمانِيٌّ) وقلبا قلبِهِ
ذيَاك (قُمِّيٌّ) وذاكَ (عِراقي)

يا (باب موسى) عِمْ صباحاً، قل دُجَى
مَنْ ذا يُحَيِّيني على إملاقي؟
أيُّ المَواسي كنتَ مِنْ أبوابِهِ؟
لا (موسوِيّاً) كنتَ، لا (إسْحاقي)
فمنِ الَّذي سمّاكَ؟ فُتّاحٌ مَضَوْا
وأتت فتوحٌ أحكمتْ إغلاقي
قالوا: تزوَّجتِ (اللُّحيَّةُ) (معبقاً)
لو أنَّها (وزِقٌ)؟ أتتْ أسواقي
يا صاحبي أخفقتُ فيما أبتَغي
وعليَّ ألا أرتَضي إخفاقي

* *

ماذا أقولُ؟ حَكَى هُناكَ وَها هُنَا
ما لا يبوحُ تسامرٌ وتَساقِ
يا موطنَ الأحبابِ كنتُ وكنتَ لي
فإذا ذهبتَ فأيُّ شيءٍ باقِ
في القلبِ وعدٌ منكَ كيف أبثُّهُ
يا خوفَ إحجامي وشوقَ لِحاقي
وأظنُّهُ أصغى إليَّ وقال لي:
بعدَ الغيابِ تَكاثرتْ عُشّاقي

بُشِّرْتُ أنَّكَ قادمٌ فتضاحكتْ
أمّي وجارتُنا، فكنْ مصداقي

لم يبقَ لي غيرُ انتظارِكَ طالعاً
أو نازلاً مِنْ أيِّ نجمٍ راقِ

أو فاجِئاً مِنْ خلفِ وهمِ تَصوُّري
أو بازغاً كالقمحِ مِنْ أعْراقي

أو عاصفاً أو سارباً أو كاسِحاً
كالسَّيْلِ لا يثْنِيهِ سورٌ واقِ

أو سابِحاً أو راكِباً طيَّارةً
أو ماشِياً كالعاشقِ الأفّاقِ

أو آتياً مِنْ آخِرِ الآتي على
كتفَيْكَ منهُ حَدائقٌ وسواقِ

مِنْ أيِّ ناحيةٍ بأيَّةِ هيئةٍ
أقْبِلْ، وقلْ: بعدَ الفِراقِ تَلاقِ

❁ ❁ ❁

إلى جانب هذا انبثت عدة أسماء مكانية في اليمن كمنطقة المحويت، كـ(الطويلة) عاصمة كوكبان، وحبابة مدينة في شبام، قرية (بيت بَوْس) من ضواحي صنعاء، كـ(باب موسى) وهو سوق شعبي بتعز، كـ(اللحية) في إقليم تهامة، كـ(معبق) منطقة من لواء تعز، كـ(ظهر الحمار) أحد تلال جبل (نُقُم) المطل على صنعاء، كـ(نبات الكاذي) الذي يتهاداه الناس لطيب روائحه وغرابتها.

المقياس

1987م

يـا ذَوي الـتِّـيـجـانِ، يـا أهـلَ الـرئـاسـةْ
الـمـلايـيـنُ لـكـمْ، تَـفـنَـى حـمـاسـةْ

والأمـانـي بـحـمـاكـمْ تـحـتـمـي
وإلـيـكـمْ تـنـتـمـي أُمُّ الـقـداسـةْ

وجـمـوعُ الـشـعـبِ لاقـتْ فـيـكـمُ
قـادةَ الـنَّـصـرِ وأبـطـالَ الـسـيـاسـةْ

كـانَ هـذا مـا روى إعـلامُـكُـمْ
هـل تـرى هـذا الـجـمـاهـيـرُ الـمُـداسـةْ؟

جـرِّبُـوا فـي الـشَّـعْـبِ شـعـبـيَّـتَـكُـمْ
واخـرجـوا يـومـاً بـلا أقْـوَى حـراسـةْ

إنَّ هـذا خـيـرُ مـقـيـاسٍ لـكُـمْ
وعَـلـيـهِ صـحَّـةُ الـدَّعْـوَى مُـقـاسـةْ

جَـرِّبُـوا كـي تَـسْـتَـبِـيـنُـوا مـرَّةً
أيـنَ حُـكْـمُ الـشَّـعْـبِ مِـنْ سوقِ الـنـخـاسـةْ؟

غـايـةُ الـتـغـيـيـرِ أَنْ تَـسْـتَـبْـدلُـوا
مَـكْـتَـبـاً، أو (مـاسـةً) أُخْـرَى بـمـاسـةْ

أن تُصافوا مَنْ يُعادي شَغْبكُمْ
مثلَ راجي الطُّهْرِ في عينِ النَّجاسَةْ

أن تبيعُوا مَوطِناً كي تشتروا
صبغَةً غربيَّةً ذاتَ نفاسةْ

* *

كم تملَّسْتم، فهَلْ أجْدَتْكُمُ
عندَ (واشنطنْ) تفانينُ الملاسةْ؟

كيفَ تحميكُمْ غُزاةٌ أنتمُ
عندهمْ أهوَنُ مِنْ كيسِ الكُناسةْ

عجباً، تحكونَ مَنْ يُخرقْنَ في
كُلِّ (ماخُورٍ) لتزويرِ العناسَةْ

في السياساتِ انغمستُم إنما
حوَّلتْكُم طُحلباً أُولى انغماسَةْ

كيفَ متّمْ بينَ ذيّاكَ وذا
هل ورثتمْ كلبِ (شَوْكانَ) و(راسَةْ)[1]

---

(1) شوكان وراسة: قريتان متجاورتان من منطقتي (عنس) و(الحدا) في المناطق الوسطى من اليمن، ويحكى أنه كان هناك كلب يسمى شيمر، يستبطئ حصول الغداء في قرية (شوكان) فيذهب إلى قرية (راسة) ويصلها بعد فوات الغداء، فيستبطئ العشاء في (راسة) فيرحل إلى (شوكان) ولا يدركه ظل على هذا أياماً إلى أن وجدوه ميّتاً بين القريتين من الجوع، فاشتق اليمنيون منه مثلاً لمن يفشل في تحقيق أمر ولا ينجح في تحقيق غيره لتسرعه أو لسوء تقديره للمسافة: فلان مثل كلب (شوكان) و(راسة).

إنَّكـمْ أغـدَى عـلـى أنـفـسِـكُـم
مـن عِـداكـم، مـن شـيـاطـينِ الـشَّـراسـةْ

لا يـقـيـكـم قـتـلُ مَـنْ (شـقَّ الـعَـصـا)
لا، ولا وصـفُ الـتَّـحَـدِّي بـالـخَـسـاسَـةْ

بـيـدي ألـمَـسُ مـا تـخـشـونَـهُ
صـدِّقُـوا هـذا الـتـعـيـس ابـنَ الـتـعـاسـةْ

عـنـدكـم أجـهـزةٌ، أسـلـحـةٌ
عـنـده قـلـبٌ وشـيءٌ مِـنْ فَـراسَـةْ

فـانـبـذوا تـحـذيـرهُ إنْ شـئـتُـمُ
أو أعـيـروا بـعـضَـهُ بـعـض الـدِّراسـةْ

أو أذيـبُـوهُ، فـهـذا مـا أتَـى
حـضـرةَ الأسـيـادِ مِـنْ بـابِ الـكـيـاسَـةْ

جـاءَكُـمْ مِـنْ كُـلِّ بـيـتٍ تـاركـاً
لـلـمُـداجِـيـنَ أسـالـيـبِ الـسَّـلاسـةْ

❁❁❁

رابع الصبح

1988م

كانَ منهمْ، لَهُمْ يُغنّي ويخطُبْ
وإلى مَنْ يَهمُّه الأَمرُ يكتُبْ

لا يقولُ الذي يقال، يوافي
بالفُجاءاتِ مِنْ وراءِ التحسُّبْ

وينادي: يا صعبُ أدري لماذا
أنتَ صعبٌ. فكيفَ يا سهلُ تصعُبْ؟

يا تواريخَ (يحصبٍ) أيُّ سِفْرٍ
يخبر اليومَ: أينَ أطفالُ (يحصُبْ)

يا قناديلُ هل لَكُنَّ التهابٌ
كاشفٌ أمْ تظاهرٌ بالتلهُّبْ؟

* * *

يسألُ الشمسَ ما حنينُ الروابي؟
يسأل المرجَ كيفَ يصبُو ويشحُبْ؟

ما دهى الرملَ كيفَ ينساحُ ركضاً؟
والينابيعَ، هل تَرَى كيفَ تنضُبْ؟

إنَّ مَنْ أوثبوا جلودَ الصَّحارى
نَزَعُوا مِنْ حشا المياهِ التَّوثُّبْ

كان عصرُ الطغاةِ يُعطي ويُردي
جاءَ عصرُ الغزاةِ يُردي ويسلُب

ما دعوهُ تقدُّماً، أنراهُ،
يا صحابي تأرجحاً أمْ تذبذُبْ؟

طينةٌ ترتخي بجرّةِ ماءٍ
وصخوراً في غمرةِ الماءِ تصلُب

* *

كان منهم يرى ويُصغي إليهم
كصبيٍّ يعي دروس التأدُّبْ

في الأسامي يغوصُ خلف المُسمَّى
أين يثوي؟ ويستشيرُ التَّلَقُّبْ

يقرأُ القلب حينَ يصعدُ وجهاً
يصحَبُ الوجْهَ حين في القلبِ يرسُبْ

وإلى أغمضِ الحوادثِ يُومي
فيُحِسُّونَها تخفُّ وتَرْطُبْ

مثلَهم يحرثُ التراب ولكِنْ
صوتُه مِنْ سريرةِ الوردِ يحلُب

ويُغنّي عندي ثُمالةُ قلبٍ
أيُّ وادٍ فيه بقايا تحدُّبْ؟

مثلَهم يأكل (العصيدَ) ويجري
بينهم كالغدير في الكلِّ يسكُبْ

مثلَهم ينظرُ النجومَ، ولكن
يتجلّى ما لا يرونَ ويثقُبْ

ويشمُّ الرياحَ مثلَ سواهُ
ويحيّي ريحاً منَ الرّيح تهرُبْ

ويناجي غمامَةً ما رأوها
ويراها مِنْ هاجسِ البرقِ تقرُبْ

* *

ينظر النبتةَ الصغيرةَ قلباً
فيه سهلٌ سيستطيلُ ويرحُبْ

ويُسمِّي الرُّبا نشير جباهٍ
عَرقَ الجُهدِ نَثُّها في التَّصبُّبْ

يسمعُ (الدّمنةَ) الَّتي شاخَ فيها
جدُّ (عادٍ) يشِبُّ فيها التَّشَبُّبْ:

خلف هذا الَّذي يلوح سواهُ
انظرُوا ما أشفَّ نسجَ التَّأسُلُبْ

وادخلوا الشيخَ مِنَ بنانِ يديْهِ
وادخلوا القُسَّ مِن مسوحِ التَّرَهُّبْ

الأمور التي تسبِّب أخرى
تسبقُ الناتجاتِ عنها التَّسبُّبْ

فيقولون: كيفَ يدري ونعيا
ليس كـ (ابن الفقيهِ) يقضي ويحسُبْ

إنــهُ يــفــتــحُ الــثَّــرى والــثُّــريّــا
مــثــلــمَــا يــكــســرُ الــحــروفَ ويــنــصُــبْ

وهــو يــرقــى مــنــهُــم ويــهــمــي إلــيــهــمْ
ولــهُــم يــمــتــطــي شــعــاب الــتَّــشَــعُّــبْ

يــبــصــق الــلافــتــاتِ حــيــن تُــرائــي
فــتــغــنّــي بــحــســنِــهــا وهــي تــنــدُب

وتُــحــاكــي مــذيــاع (ســعــد) و(قــيــسٍ)
فُــتــوالــي كــالــنــاعــقــيــن وتــشــجُــبْ

ولــذا يــدخــلُ الــجــذورَ ســؤولاً:
أيُّ شــيءٍ هــنــاك يــدنــوُ ويــعــزُبْ؟

يــنــثــنــي عــن أرومــةِ الــتّــيــنِ، يــروي
وإلــى صــفــرةِ الــبــســاتــيــنِ يــنــسُــبْ

وعــنِ الــصَّــيــفِ كــيــف أَغْــرِسُ قــلــبــي
عِــنَــبــاً والــخــريــفُ يُــبــديــهِ (عُــثْــرُبْ)[1]

ويــبــثُّ الَّــذي تــكــنُّ الــدّوالــي
وعــنِ الــخــوخِ يــســتــعــيــدُ الــتَّــعــتُّــبْ

* * *

يــعــلــن الــبــدءَ وهــو فــي الــسِّــرِّ نــبــضٌ
مــثــلــمــا يــعــلــنُ الــربــيــعُ الــتَّــأهُّــبْ

---

(1) العثرب: نبات طفيلي لا يصلح للمرعى ولا الاحتطاب تزيل أوراقه ضرس الأسنان بعد الفاكهة ويلف بأغصانه (القوّاتون) حزم (القات) ليحتفظ بطراوتها ساعات كما جرّب اليمنيون، وباسم العثرب تلقب أشخاص معروفون اليوم.

عندما تصبح العيون قلوباً
مِن حنينٍ ترى حضور التغيُّبْ

مُقلَتاهُ وحاجِباهُ وفُوهُ
كالعناوينِ في كتابِ التقلُّبْ

فإذا قالَ أعجبَ الكلَّ قولاً
وإذا لمْ يقلْ أثارَ التَّعَجُّبْ

وينادُونَهُ إلى كُلِّ مُرٍّ
وإذا أولموا ينادُونَ جُندُبْ[1]

قلْ لذاكَ الذي أبى أن يُداجي:
إن عندي لكلِ داءٍ تَطبُّبْ

من تُقاوي وَكُلُّهُمْ منكَ أقوَى؟
طالما أثمر الغلاب التَّغلُّبْ

اجتنب، كالكثير هذا. لماذا؟
لا استراحُوا ولا اطمأنَّ التجنُّبْ

ربَّما ألَّبوا عليك الدواهي
فليكُنْ، لا عدمت هذا التَّألُّبْ

هلْ لديهمْ سوى جهازِ التَّحرّي
واغتيالِ النجومِ، إلاّ التسيُّبْ

* * *

(1) جندب: في البيت من قول أبي دهبل الجُمحي:
ومتى تكون كريهة أُدعى لها
ومتى يحاسُ الحوس يدعى جُندبُ

أنتَ يا صاحِبي غريبُ النَّواحي
ـ ما تربَّتْ غرابتي في التغرُّبْ

واضحٌ عنك ما تعصَّبتَ يوماً
ـ ولهذا أغفلْتُ أهل التَّعصُّبْ

كانَ فوضى فمذهبوهُ. تبيَّنْ
هلْ لهمْ أيُّ مذهبٍ أو تمذهُب؟

ما أراكَ اكتسبت غير المَنايا
ـ هُنَّ إلْفي وراثةً أو تكسب

أتُراني نزحتُ عنهنَّ حيناً
بل يحاولْنَ هُنَّ عنك التَّحجُّبْ

المنايا هُنَّ المنايا، عوارٍ
أو كواسٍ مزوَّقاتُ التَّنقُّبْ

وسواءٌ هاجمْنَ دون عيونٍ
أو تعاقبْنَ مِن عيونِ التَّعقُّبْ

جرَّب البعضُ ما تخوضُ وتابوا
ـ عادةُ الطيب غيرُ جلبِ التَّطيُّبْ

كيف تستنبحُ العِدا وتُغنّي؟
ـ أيُّ صوتٍ ولا وجوم التَّهيُّبْ

أتظنُّ السُّكوتَ يحمِلُ وصفاً؟
أيُسمَّى تعادياً أم تحبُّبْ؟

أتــرانــي دنــوتُ مــنــكَ قــلــيــلاً
ـ لــلأمــانــي قُــربــى تــفــوق الــتَّــقــرُّبْ

* * *

كــان كــالــبــحــرِ لا يــنــامُ ولــكــنْ
كــان عــكــسَ الــبــحــورِ يــحــنُــو ويَــغــذُبْ

يــتــهــادى جــداولاً وقُــطُــوفــاً
ويُــري شــارِبــيــه مــغــزى الــتَّــشــرُّبْ

نــصــفُــهُ مِــنْ نــواظــرِ الــكُــلِّ يــرنُــو
نــصــفُــهُ فــي جــوانــحِ الــكُــلِّ يــغــرُبْ

صــارَ بــيــتَ الــبــيــوت، مــقــهَــى الــمــقــاهــي
رُبَّــمــا يــمــنــعــونَ فــيــهِ الــتَّــحــزُّبْ

أو يــقــولــون لــســتَ فــرداً ولــكــنْ
عــالــمٌ مِــن خــطــورَةٍ فــي تَــهــذُّبْ

فــلْــيــقُــولُــوا، فــمــا تــنــكَّــبَ هَــوْلاً
أو رأى الــهــولَ يــنْــثَــنــي بــالــتَّــنــكُّــبْ

إن نــأى الــمــســتــحــيــلُ عــن قــبــضــتــيْــهِ
فــإلــى بــابِــهِ يــحــثُّ الــتَّــطــلُّــبْ

رابــعُ الــصُّــبْــحِ والــدُّجــى والــتَّــمــادي
قــلْــبُــهُ ثــالــثُ الأسَــى والــتَّــرقُّــبْ

يــحــمــلُ الــعــصــرَ فــي يــديْــه كــتــابــاً
وعــلــيــه فــطــريَّــةُ الــشَّــيــخِ (يــعــرُبْ)

◎◎◎

مرآة السَّوافي

1989م

كـي تـرتـوي تـعـطَّـشـي وفـيـك عـنـكِ فـتِّـشـي

عـن ذاتـكِ الأقْـوَى وعَـنْ كُـلِّ شـذاً بـهـا يـشـي

عـن فـكـرةٍ فُـلْـيَّـةٍ وعـن خـيـالٍ مِـشْـمِـشـي

وعـن كـتـابٍ قَـبْـلَ أنْ تـؤلِّـفـيـهِ وشـوشـي

وجـوِّدي نـسـيـجَـهُ مِـن قـبـلِ أنْ تـزركـشـي

ومِـنْ غـلافِـهِ إلـى غـلافِـهِ تـجـيَّـشـي

ألـغِـي دمـاغَـكِ الَّـذي بـتـمـرتـيْـن يـنـتَـشـي

وبـالـقـبـورِ يـنـتـخـي وبـالـفـراغِ يـحـتـشـي

فـيُـركـبُ الأعـمـى الَّـذي فـيـهِ قـذالُ الأغـمـشِ

ويـنـصـب الـجَـحْـشَ عـلـى ظـهـر الـجـواد الأبـرشِ

لأنـه الـجـحـشُ الَّـذي يـريـدُ أنْ تَـجـنْـحَـشـي

مَـنْ يُـبـتـلـي يُـعـدي ومَـنْ يـرشُـو فـسـوفَ يـرتـشـي

* * *

يـا تـلـكَ تـوشـكـيـن مِـن ذكـرَى الـبِـلـى أن تُـجـهـشـي

لا بـأس أن تـصـوَّفـي بـدونِ أن تَـدَرْوَشـي

أتـنـفُـشِـيـن أقْـبـراً تـرجـوكِ ألاّ تـنـفُـشـي

لا تـخـدشـي سُـكُـونَـهـا قـالـتْ: سُـدَاً أن تُـخـدشـي

وَلْـتَـتَـنْـبُـشِـي مـنـابِـعـاً قـال انـتـظـارُهـا انـبـشـي

هـل صـاح عـادٌ: هـنـدمَـي ولادتـي ونـقُـشـي؟

مَـن (رسـتـمـوكِ) مـثـلُ مَـن نـادوْكِ أنْ تـنـيـجـشـي

مـن (قـحـطـنـوك) مـثـلُ مَـن أغـروْكِ أن تـقـزيـشـي

(سـوا سـوا) الـكـلُّ كَـمـا أوصتكِ (بنتُ المقْدشي)[1]

الـمـقـطـري كـالـمـعـمـري والـبـاجِـلـي كـالـمـحـبـشـي

إلـى تـلاقـيـكِ ارحَـلـي ومِـن نَـواكِ اسْـتـوحِـشـي

ومـازجـي عـرس الـلُّـقـا وقـبِّـلـي وجَـمِّـشـي

يـا هـذهِ كـي تُـضْـبـحـي تـأهَّـبـي مِـنَ الـعَـشـي

وكـالـنُّـجـوم حـدِّقـي واسْـري إلـى أن تُـغـبـشـي

كـي تُـدهـشـي وجـهَ الـضُّـحَـى إيّـاكِ أن تَـنـدهِـشـي

كـي تُـذهِـلـيـهِ وردي خُـدودَهُ ونـمِّـشـي

لا تُـنـعِـشـي أزهـى ضُـحَـىَ مِـن قـبـلِ أنْ تـنـتـعـشـي

تـخـشَـيْـنَ مـاذا؟ أوغِـلـي فـي الـهـولِ كـي لا تـخـتَـشـي

طُـولـي فـمـنْ تـخـشَـيْـنُـهُ يـمـتـدُّ كـي تـنـكـمـشـي

كـي لا تـخـافـي بـاطـشـاً بـضَـعـفِ نَـفْـسِـكِ ابـطـشـي

كـي تـكـبـري عـلـى الـرَّدى بـوكْـرِهِ تَـحَـرَّشـي

* * *

تـأبـيْـنَ أنْ تُـضـرِّسـي مَـن عـضَّ أو أنْ تَـخـمـشـي

---

(1) سوا سوا: إشارة إلى قول الشاعرة الشعبية غزال المقدشية:

سـوا سـوا يـا عـبـاد الـلـه مـتـسـاويـة

مـا حـد ولـد حـرّ والـثـانـي ولـد جـاريـة

هــــذا رقـــيٌّ إنَّـــمـــا صــونـيـلـكِ مِـن أن تُـنـهَـشـي
فـمـن يـــراك نــعــجــة يــخــاف أن تــكــيْــبــشــي
كُــفّــي الــوحــوشَ قــبــلَ أنْ يــحــيــنَ أنْ تــوحَّــشِــي
هــنــاكَ عِــيْــشــي طَــلْــقَــةً وعــايــشــي وعــيِّــشــي
وبــالــيــمــام رحِّــبــي ولــلــحَــمــامِ فــرِّشــي
رُدّي لــكــل جــانــحٍ ريــاشَــهُ وريِّــشــي
وكــالــرَّبــيــع أورِقــي وغــرِّدي وعــشْــشــي
وكــالــغــمــامِ أغــدقــي وكــالــكــرومِ عــرِّشــي

※

عــلــى الــعــواصــفِ اشــمُــخي ولــلــنَّــســيــمِ ارتــعــشــي
وأرْخــيــكِ بــالــشَّــذَا وبــالــبــروقِ رقِّــشــي

۞ ۞ ۞

في حضرة العيد

1988م

يقولُون: جئتَ فماذا جرَى؟
وماذا تجلَّى؟ وماذا اعتَرى؟

أتَذري لماذا تبولُ عليكَ
قصورُ الإذاعاتِ و(الأوبَرا)؟

تراكَ الأغاني جديدَ الشُّروقِ
فأيَّ جديدٍ مفيدٍ تَرى؟

تزيدُ البيوتُ، السجونُ، القبورُ
فهل زاد شِبراً أديمُ الثَّرَى؟

وهذي البهارجُ هَلْ بينَها
وبين المسرّاتِ أدنَى العُرَى؟

أليس المآسي بأظلافِهِنَّ
وسمنَ الأساطيرَ والأشهُرا؟

فتلك صبت يومَ طوفانِ نوحِ
وذي أذبلَتْ في الصِّبا حِمْيرا

وهذي شوت (كربلا)، بنتُها
على (الزنج) صبَّت لظَىً أغبرا

ومَنْ أصبحتْ (أورشليمَ) ارتدت
سواها وكان اسْمُها (خيبرا)

* * *

أشبنَ الدهورَ وما شبنَ. كيف
نضوجُ الوبالِ الّذِي أدهَرا؟

رُمينَ هُنا وهُنا بالغزاةِ
وجرَّحنَ بالشُّرَّدِ المَهْجَرا

تغايرْنَ مثلَ فصولِ السنينَ
وأشبهنَ في الزُّرقةِ الأبحرا

فهذي دخانيَّةٌ، أختُها
جَليديَّةٌ تلبسُ الأسمرا

وتلك اسمُها النفط، هذي الجفافُ
وتيكَ اسْمُها السّيخُ والكُنتَرا

وأخرى بلا اسْمٍ وأخرى بلا
صفاتٍ، وموصوفةٌ لا تُرى

فيا عيد أين هلالُ الشُّعوبِ؟
لماذا انطفا قبلَ أنْ يُقمِرا؟

أخِلتَ زمانَ الغزاةِ انقضى؟
فهذا الهشيمُ الَّذي أثمرا

برغمي حسا الاطلسيُّ الخليجَ
ولصَّتْ عيونُ المَها (بربرا)؟

وهــذي الــقــنــاديــلُ هــل تــســتــبــيــكَ
ألــيــس دجــاهــا عــلَــيــهــا افــتَــرى؟

أتــســألُــهــا عــن ســهــادِ الــرَّصــاصِ؟
ومِــن أيــنَ يــشــري؟ وكــيــفَ انــبــرَى؟

ولا تــــدْريــــهِ رُعــــاةُ الــــنُّــــجــــومِ
لــــمــــأتــــاهُ مِــــن حــــيــــثُ لا يُــــدْرى

لــقــد كــانَ (غــارُ حِــرا) مــأمَــنــاً
فــأمــســى الــرَّدَى يــنــبــري مِــنْ (حِــرا)

وهــــذي الإضــــاءاتُ لا تــــهــــتــــدي
وتَــهــدي الــمُــســدَّس والــخــنــجــرا

*

فــيــا عــيــدُ مــنْ عــبــأ الــضــوء مــوتــاً
ودس بــــآبــــاطِــــهِ الــــعَــــسْــــكَــــرا؟

وعــــلَّــــمَــــهُ أنْ يــــحــــيــــلَ الــــمُــــرور
نــــدَىً أســــوداً وحــــصَــــىً أحــــمــــرا

ولِــمْ يــكــنــسِ الــقــتــلُ أضــنَــى الــبــيــوتِ؟
أمِــــنــــهــــا يــــســــمَّــــنُ رَمْــــل الــــعــــرا؟

أيُــــفــــتــــيــــك هــــذا الــــسَّــــنــــا كــــمْ رأى
يــقــيــنَ الــضَّــحــايــا وفــيــهــا امــتَــرى؟

أمــا تــجــتــلــي كُــلَّ بــرقٍ يــفــرُّ
مِــن الــرَّعــد مِــنْ قــبــلِ أنْ يُــمــطِــرا؟

إذا لم تُشاهِدْ ظلامَ الضيا
زريّاً، فأيُّكما المُزدرى؟

هلِ الأرضُ غيرُ الّتي زُرتَ أمسِ؟
أطارت بحورٌ وماجتْ ذُرا؟

أتسمعُ أبواقَ هذا وذاك
تزفُّ على الرِّيحِ قيْءَ الهُرا؟

أما كان للرِّيحِ كلُّ الفَضا
فمنْ ذا احتواها ومَن ذا اكترى؟

أنا ضيفُكَ الآنَ ماذا دهاكَ
وأنسى مُحَيّاكَ خصبَ القِرى؟

تريدُ أهنّي بكَ العالَمَيْنَ
وأرجو لك الشُّكْرَ والسُّكَّرا

وأحدو إلى كُلِّ ملهَى خطاكَ
وأسترقصُ اللَّيْلَ والسُّمَّرا

وهل أنت تعرفُ ماذا حملت
فيدري المُغنّي بما بَشَّرا؟

يرى السُّوقُ طالعَكَ (المشتَري)
فكم باعَ لحماً؟ وماذا اشتَرَى؟

دَعَوْا ذاكَ نَجْمي، ولكنْ مَتَى؟
ـ أمَنْ كان يدري طَوَى ما دَرَى؟

وهل أنت غيرُكَ في كلِّ عامٍ
أبدَّلْتَ في السَّيرِ أو في السُّرى

تُـــرى جـئـــت أم عُـــدتَ؟ قـــد أنـــتـــحـــي
أمـــامـــاً وأنـــتـــهِـــجُ الـــقَـــهْـــقـــرَى

تُـــحـــنّـــي بـــمـــاءِ الـــحـــديـــثِ الـــقـــديـــم
وتَـــرقَـــعُ بـــالـــمـــقـــبـــلِ الـــمُـــدبِـــرا

لـــمـــاذا تـــعـــودُ ولا يـــنـــثَـــنـــي
إلـــى الـــعُـــمْـــر أمـــواتُ هـــذا الـــوَرَى؟

فـــيـــرجـــعُ (أخـــيـــلُ) يـــحـــثُّ الـــخـــيـــولَ
إلـــى قـــلـــبِ (يـــافـــا) و(إنـــكـــلـــتِـــرا)[1]

فـــقـــد أفـــرَخَ الـــرُّومُ عـــشـــريـــنَ رومـــاً
وقـــد تُـــفـــرخ الـــكـــثـــرةُ الأكـــثـــرا

ويـــرتـــدُّ (عـــمـــرو بـــن مـــعـــدي) يـــذود
(ضـــبـــاعَ الـــفَـــلا) عـــن (لـــيـــوثِ الـــشَّـــرَى)[2]

يـــصـــيـــح أرى (نـــخـــعـــاً) مَـــثـــلـــمـــا
عـــهـــدتُ ولا ألـــمـــحُ (الأشـــتَـــرا)[3]

ويـــجـــري عـــلـــى إثـــرهِ (ذو الـــقُـــرُوحِ)
بـــمـــكـــنـــونِ رحـــلـــتِـــهِ مُـــخـــبِـــرا[4]

إلـــى الـــقـــبـــرِ مِـــن ســـجـــنِ (رُومـــا) خـــرجـــتُ
ظـــفـــرتُ بـــمـــوتـــيْـــن مِـــنْ قَـــيْـــصـــرا

---

(1) أخيل: بطل إغريقي كان يذود الروم عن وطنه.

(2) عمرو بن معدي: من أشهر فرسان اليمن في العصر النبوي والراشدي.

(3) الأشتر النخعي: قائد حرب صفّين تحت إمرة الإمام علي ضد مُعاوية.

(4) ذو القروح: لقب امرئ القيس لتقرح جلده.

فهل ذاكَ (دمُّونُ)، يا صاحبي؟
أنشكو إليه لكي نُعذرا؟

ويشدو: قفا نبكِ. تسعى البيوتُ
إليهِ وتستنفرُ الأقبُرا

فينساحُ (عبدُ يغوثَ) يعبُّ
نشيدَ الرَّواعي سناً أخضرا[1]

ويستخبر (القاتَ) عن دارِهِ
وعن حال أغنامِهِ (الصعترا)[2]

ويصدعُ في (حضرموتَ) الرّدا
ويحتزُّ في (حجَّةَ) المِئزَرا

أيغريكَ يا عيدُ ركضُ القصيدِ
وأن يتبعَ الشّاعِرُ الأشْعَرا؟

وهل تستجيدُ إذا غاب (قُسٌّ)
أتى (باقِلٌ) يركبُ المِنبرا؟

لماذا ترى وجه هذا الزَّمانِ
كما يقرأُ الأعمشُ الدَّفترا؟

(1) عبد بن يغوث الحارثي، أسرته قبيلة تيم الرباب مكان دائم الحنين إلى مرابع اليمن ونشيد رعاتها كما في قصيدته اليائية الشهيرة: ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا إلخ.

(2) الصعتر نبات زكي الرائحة وانتشاره دليل رخاء الموسم لأن هذا النبت من أجود المراعي ومن البهارات.

أيُـعـيـيـكَ عـصـرٌ يـقـولـون أنـتَ
مـخـضـتَ لأيّـامِـهِ الأغْـصُـرا؟

أتـأمـلُ أنْ يـنـثـنـي ذاتَ يـوم
(عـكـاظُ) وعـشّـاقُ (وادي الـقُـرى)؟

فـيـصـبـو (نـزارٌ) إلـى (عَـزَّةٍ)
ويُـصـبـي (وفـا وجـديَ) (الـشـنـفـرى)

ويـمـتـدُّ سـوقٌ بـلا أزمـةٍ
ويـأتـي الـصَّـعـيـدَ الَّـذي أصْـحـرا

فـتـلـقـى الـعـصـورَ الَّـتـي جُـبْـتَـهـا
ومـا شِـمـت حـولـيْـكَ مـسـتـعـمِـرا

ألا تـحـلـمُ الـلـيـلَ كـالـكـادحـيـن
وتـلـقـى ضُـحَـىً عـكـس رُؤيـا الـكَـرَى؟

سـكـتَّ لـمـاذا؟ لـسُـقْـم الـكـلام
أوَ انَّ الـسـؤال عـلـيـك اجـتَـرا؟

لـعـلـمـي بـأنَّ الـخـطـيـر الـمُـخـيـف
يـحـثُّ عـلـى نـفـسِـهِ الأخْـطَـرا

❁ ❁ ❁

صحفي
ووجه من التاريخ

1987م

كـيـف انـبـثـقْـتَ؟ أذاهـبٌ أم جـائـي؟
هـذي الـفـجـاءةُ فـوقَ وهـمِ الـرائـي

مِـن جـذرِ أيَّـةِ كـرمـةٍ أورقـتَ لـي
أشـرقـتَ لـي مِـنْ أيِّ نـجـمِ نـاءِ؟

أضـنـيـتُ بَـحـثـاً عـنـك كُـلَّ دقـيـقـةٍ
وكـخـطـرة الـذِّكـرى أضـأتَ إزائـي

أحـمـلـتَ تـسـعـةَ أعـصـرٍ وسـبـقـتَـنـي؟
هـا أنـتَ قُـدّامـي وكـنـتَ ورائـي

ألأنَّـنـا أفـنـى مِـن الـمـوْتـى هُـنـا
لاقـيـتَـنـي أحـيـا مِـنَ الأحـيـاءِ؟

مِـنْ أيـن جـئـتَ؟ ولِـمْ سـكـتَّ؟ لأنَّـنـي
مـا جـئـتُ بـل أنـتَ اخـتـرعـت لـقـائـي

هـذا سـنـا عـيـنـيْـك يـحـرقُ جـبـهـتـي
ـ أتـريـدُ يـا هـذا الـفـتَـى إطْـفـائـي؟

* *

أهلاً حَلَلْتَ، أتلك أوّلُ زورةٍ؟
شرَّفتَنا يا أكرمَ النُّزلاءِ

ماذا تلاحظُ؟ خذشتينِ بمئزري
وأُحِسُّ في ألفي غرابةَ يائي

قدَّتْ إزارَك بقَّتانِ وقملةٌ
ضيفُ العزيزِ أحقُّ بالإغراءِ

أأقول أين نزلتَ؟ هذا مَطْلَعي
تلك الرَّوابي جُبَّتي ورِدائي

انظرْ هناك ترى السَّماء عِمامتي
وعيونَ أطفال الشُّعوبِ سمائي

أرأيت أقطاب الوزارةِ؟ أينَ مِنْ
دُورِ الحكومةِ ربوةُ الحُكَماءِ؟

قصرُ الثقافةِ زُرتَهُ؟ أمَدارُها
قصرٌ يُرى أمْ داخلَ الأعضاءِ؟

قل لي، عن الأوضاعِ رأيَكَ واضحاً
- مِن أيِّ وضعٍ غيَّرتْ آرائي!

* * *

مَنْ أنتَ يا هذا الذي حاصرتني؟
- مندوبُ تغطيةٍ أراكَ غِطائي

مَاذا تُغطِّي؟ فَوقَ جلدِكَ غابةٌ
لكنَّني أعْرَى من الصَّحْراءِ

أسعى لتغطيةِ البنوكِ وأنثني
أُحصي قروشي، لا تفي بعشائي

وأمدُّ بالأخبارِ أخرَى لا يشي
خاءٌ بفجرِ نُبوءتي ومَسائي

أأتيتُ كي أُبديك من أقصى الحَشا؟
أم جئتَ أنتَ مُحَاولاً إبدائي؟

هل أنت جيميُّ الوظيفةِ؟ بل أنا
من عكسِ مَنْ تعني، لأنّي حائي

فلِما خنقت بِمنخرَيْكَ تنفُّسي
ودخلت إبطي مِنْ شقوقِ حذائي؟

ومضغتَ رائحةَ (الحزامِ) ولونَهُ
وركبتَ ثرثرتي إلى إصْغائي

ومن الجبينِ إلى المبالِ قرأتَ ما
تحت الغِلافِ، مُفسِّراً أجزائي

ما بالُ قربي منك صار تقرُّباً
أأنا زقاقيٌّ وأنتَ علائي؟

أوَ ما تملَّيتَ الحواري كلَّها؟
يومِضنَ في عينيَّ مِنْ أحْشائي

أتريدُ أُحيي منكَ موتَ جريدتي
وأزفُّ معجزةً إلى قُرّائي؟

سأقول ما (العنقاءُ)؟ لَغْوُ خُرافةٍ
أمسيتُ أطبخُ بيضةَ (العَنقاءِ)

بيني وبينك أُلفةٌ غيبيَّةٌ
ومحبةٌ محفوفةٌ بتناءِ

في ذُروَة التاريخ شِمتُكَ شاعِراً
وأشمُّ فيكَ اليومَ وجهَ روائي

في (العسجد المسبوك)[1] لُحتَ مؤرِّخاً
«السَّيف عندك أصدقُ الأنباءِ»

ناديتُ في (صفةِ الجزيرة)[2] شاكياً
«يا إخوتي ريقُ الحبيب دَوائي»

* *

مَنْ خِلْتَني؟ (بَكْرَ بنِ مرداس)[3] ومَنْ
بكرٌ؟ تسمَّى الشّاعر الصنعائي

---

(1) العسجد المسبوك: كتاب في تاريخ اليمن السياسي للخزرجي في القرن الـ 14م.

(2) صفة جزيرة العرب: كتاب في أوصاف أمكنة جزيرة العرب وتواريخها وأهلها في القرن الـ 10م.

(3) بكر بن مرداس: شاعر صنعائي في القرن الـ 18 من أسير شعره:

يا إخوتي إن الطبيب الذي
ترجون أن يشفيني مُسقمي
وما ألا جُهداً ولكنَّهُ
عن علم ما بي من سقامِ عمي
والحب لا يشفى بآيارج
ولا بترياق ولا محجمِ
إلاّ بلثم الحِبِّ أو ضمِّهِ
ومصِّ ريقين فماً مِن فمِ

مـا شـأنُـهُ فـي الـكـوكـبِ الـنّـائـي؟ وهـل
(مـوسـى بـن يـحـيـى) مـا يـزالُ هـوائـي[1]؟

أزعـمْـتـنـي (الـحـسـنَ بـن هَـانـئ) حـزنُـهُ
حُـزنـي ومـا صـهـبـاؤه صـهْـبـائـي

أنَمى إلـى (الرّازي) الـمجـالـسُ فـازعَـوَى[2]؟
هـذا (أرسـطـيٌّ) وذا (خَـنـسـائـي)

وهـلِ (الـمـؤيـدُ) فـي الـمَـجـالـسِ نـائـحٌ؟
مـا كـانَ (رشـديّـاً) ولا (سـيـنـائـي)

أيـفـجِّـرُ (ابـنُ الـمـرتـضـى)[3] بـحـراً إلـى
هـذا؟ أعَـصْـرُ الـقـاذفـاتِ شـتـائـي؟

صـوَّرْتـنـي ضَـيـفـاً، وطـيـفـاً خِـلـتَـنـي
يـا صـاحـبـي ثـنَّـيـتَ غـيـر ثُـنـائـي

ألـديـكَ أسـئـلـةٌ لـهُـنَّ مـخَـالـبٌ؟
ـ ألـديـكَ أجـوبـةٌ كـقـلـب فـدائـي؟

أخْـشَـى تَـرانـي، يـا فـلانُ مُـخـرِّبـاً
مـاذا تُـخـرِّبُ؟ أيـنَ أيـنَ بـنـائـي؟

---

(1) موسى بن يحيى بهران: من شعراء القرن الـ 16م وأكثر أشعاره أناشيد غرامية تنشد إلى اليوم من مثل قوله:

بـدت كـالـبـدرِ تُـوّج بـالـثـريـا . . إلـخ

(2) الرازي: مؤلف كتاب حول العقل والنبوة تكاثرت عليه الردود في حياته وبعد موته وأشهر الكتب التي نالته كتاب (المجالس المؤيدية)

(3) ابن المرتضى: أهم علماء القرن الرابع عشر في الفقه والفكر ومن أشهر كتبه الفقهية (البحر الزخّار).

هل أنتَ مِن شفق (الزُّواحي)[1] جمرةٌ؟
ـ من وردتيهِ، ونسغُهُ مِنْ مائي

أترى (مذيخَرةً)[2] نبتُّ أم (مسْوَراً)؟
ـ ذا (سيبويْهيٌّ) وذاك (كِسائي)

* * *

الآنَ أستسميكَ؟ أدري أنّني
فردٌ، أتدري أنتَ كمْ أسمائي؟

لا شيءَ يستدعي السؤالَ عَنِ اسْمِهِ
ما لم يكن جزءاً مِنَ الأشياءِ

يبدو لظنّي كنتَ تُدعى (حاتماً)
يبدو، ولكنْ غيرُ ذاكَ الطّائي

هل كنت ذا لقبٍ؟ أما لكَ كنيةٌ؟
ـ أوَما وشتْ بحقيقتي سيمائي؟

أأقول (شَبْوِيٌّ)؟ ستهمسُ ربّما
وتقولُ: يبدُو لو أقول (ثلائي)

---

(1) الزواحي: عامر الزواحي من قرية (زواح حراز) كان من مفكري القرن الـ10م وكان أستاذ علي محمد الصليحي مؤسس حكم المذهب الإسماعيلي في اليمن الذي استمر أكثر من قرنين

(2) مذيخرة: عاصمة علي بن الفضل، و(مسور) عاصمة ابن حوشب في القرن الـ9م انشق ابن الفضل عنْ ابن حوشب رغم واحدية المذهب لاختلافهما في تفسير ظواهره.

مـا أثـقـلُ الأعـبـاءِ عـنـدَك يـا أبـي؟
ـ أن لا أنـوءَ بـأثـقـلِ الأعـبـاءِ

مـغـنًـى وجـودي أنْ أُعـانـي تـاركـاً
أثـراً يـشـعُ وأنْ أُحـس عَـنـائـي

هـل عـصـرُنـا غـيـرُ الـعـصـورِ؟ ـ ظـنـنْـتَـهُ
كُـلُّ الـزَّمـانِ مُـخـاتـلٌ ومُـرائـي

مـا قـلـتَ لـي مـنْ أنـت يـا شـيـخَ الـنُّـهـى
أيُّ الـلـغـاتِ أدلُّ مِـن إيـمـائـي؟

حـسـنـاً حـصـدتُ الآن أنـضـجَ مـوسِـم
مـا اسْـمُ الَّـذي أغْـنَـى فَـمـي وإنـائـي؟

أأقـولُ نـجـمٌ والـنـجـومُ جـمـيـعُـهـا
عـيـنـاهُ وهـو إضـاءةُ الأضْـواءِ؟

هـل أحـفـرُ الـعـنـوانَ؟ هـذي رحـلـةٌ
فـي (سـنـدبـادِ) الـبـرِّ والأجْـواءِ

ذا لا يُـؤذِّي، سـوفَ أزعـمُ أنَّـنـي
شـافـهـتُ شـيـخَ الـمـذهـبِ (الأحْـسـائـي)

أسـريـتَ بـي يـا شـوقُ فـي ذاكَ الَّـذي
أصـبـحـتُ فـيـهِ ومـا انـتـهـى إسْـرائـي

مـا اسـمُ الَّـذي حـاورتُ؟ قُـلْ يـا وجـهَـهُ
أأنـا اكـتـشـفـتُـكَ أمْ كـشـفـتُ غَـبـائـي؟

۞۞۞

بطاقة إلى عيد أوّل العام

يناير 1989م

أيـا فـصـلَ عـدوَى الـسَّـلامْ أصـافَـى الـخِـصـامُ الـخِـصـامْ؟
أعــدوى ضـرام الـوَغَـى كـعـدوى انـطـفـاءِ الـضِّـرامْ؟
أذاكَ الـتَّـعـادي، تَـرى هـو الأصـلُ، أم ذا الـوئـامْ؟
أجِـبْ يـا مُـنـادى، ولـو بـسـخـريَّـةِ الابـتـسـامْ

* * *

آآخـى الـرَّصـاصُ الـكـرى؟ ـ مـتـى كـان يـهـوى الـمَـنـامْ؟
أيُـمـسـي لـهـيـبُ الـقُـوى غُـصُـونـاً تـغـنِّـي الـغَـمـامْ؟
أصـامَـتْ حـلـوقُ الـلَّـظـى؟ ـ وهـل تـسـتـلِـذُّ الـصـيـامْ؟
وهَـلْ كُـلُّ تـرسـانـةٍ خَـبـتْ واسـتـحـالـتْ رُغـامْ؟
فـيـزْكُـو الـصِّـبـا فـي الـثَّـرى وفـي الـجـوِّ يـصـبـو الـيَـمـامْ
وتـصـفـو الـثَّـوانـي، فَـلا يـخـافُ الأنـامُ الأنَـامْ
وهـل يـسـتـحـيـلُ الـوَرَى مـلائـكَـةً أو حَـمـامْ؟
أتَـفْـنَـى الـسَّـجـايـا الَّـتـي تـنـاسـلْـنَ مِـنْ قـبـلِ سـامْ؟
ألـيـس الـصـواريـخُ، مِـنْ سـلالاتِ ذاكَ الـحُـسـامْ؟

* * *

أيـا عـامُ هـلْ يـنـمـحـي بـشـهـريْـنِ مـلـيـونُ عـامْ؟
تُـرَى كُـلُّ فـوضَـى انـتَـهَـتْ فـكـمْ عـمـرُ فـوضَـى الـنِّـظـامْ؟

* * *

لِـمـاذا الـتَّـقَـصِّـي، أَلا تـمـرُّ مـرور الـكِـرامْ؟
لأنّـي هـوىً يـنـتَـمـي إلـى قـلـبِ مَـوْجِ الـزِّحـامْ
ومَـنْ أنـتَ؟ دعْ مَـنْ أَنـا وسَـلْ لـونَ هـذَا (الـحـزامْ)؟
سـؤالـي حـنـينُ الـحـشـا وبـعـضُ الـسُّـؤالِ اتِّـهـامْ
هـل الـنَّـثُّ عـيـبُ الـنَّـدى؟ أصـمـتُ الـقـبـورِ احـتِـشـامْ؟
أمـا لـغـمـوض الأَسـى بـأخـفَـى الـمَـعـانـي غَـرامْ؟
لـمـاذا الْـتـوَيْـنـا؟ الْـتـفِـتْ إلـى مـوضـع الاهـتـمـامْ
عـلـى أي حـالٍ جـرت أمـورٌ وراءَ الأكـامْ
وقـالـوا: وفـاقٌ جـرى وعـمَّ الـنُّـفـورَ انـسـجـامْ
وقـالـوا شـدا نـخْـبُـهُـم وأبـكـى الـمُـدامُ الـمُـدامْ
ومـا قـيـل كَـمْ أرخَـصُـوا شُـغُـوبـاً وأغـلَـوْا طَـعـامْ

سـمـعـتُ هُـنـاكَ الـصَّـدَى ولـمـلـمـتُ بـعـض الـحُـطـامْ
وسـافـرتُ مـن قَـصْـرِ ذا إلـى قـصـرِ ذاكَ الـهُـمـامْ
ومـن كـوخِ نـجـل الـطَّـوى إلـى مـكـتـبِ ابـنِ الـحَـرامْ
ومـن قِـمَّـةٍ مِـن دمٍ إلـى قـمَّـةٍ مـن عِـظـامْ
ومِـن عـرسِ هـذا الـغُـثـا إلـى عـيـدِ ذاكَ الـرُّكـامْ
أُلاقـي سُـقُـوطـاً يـلـي سـقـوطـاً يُـسـمَّـى قِـيـامْ
وقـيـلَ انـتـهَـى مـا ابـتَـدا وشـاخَ الـزَّمـانُ الـغـلامْ
ورنَّ الـتـزامٌ بـلا سُـؤَالٍ عـن الالـتِـزامْ
ودب مـسـاءُ الـمُـنـى يـجُـرُّ صـبـاحَ الـكَـلامْ

وفـــي كـــلِّ لـــيـــلٍ ســـنـــاً   وفـــي كـــلِّ صُـــبـــحٍ ظَـــلامْ
وبـيـن الـضُّـحَـى والـدُّجـى   زَمَــانــانِ مِــنْ لا انــتِــظــامْ
فـــآنٌ هـــو الـــمُـــرتَـــجـــى   وآنٌ خـــلافُ الـــمـــرامْ
ويـــومٌ يـــرى خـــلـــفَـــهُ   ويـــومٌ يَـــرُودُ الأمـــامْ

*

أيـــا عـــامُ مـــا اســـمُ الَّـــذي   أتـــى؟ مـــا أزاح الـــلِّـــثـــامْ
أشـــمُّ ابـــتـــداءَ يـــشـــي   بـــبـــدءَيْـــنِ بـــعـــدَ الـــخِـــتـــامْ

* * *

عليق (وفيقة)

1987م

مِنْ مقلتيْهِ تنجلي وبكلِّ مرأىً يجتليها
وكأنّها غيرُ الّتي في كُلِّ جارحةٍ يَعيها
حيناً يراها تقتَفيـ ـهِ يراه حِيناً يقتفيها
تُصبيهِ مثلَ حَدِيقَةٍ تدنو وتُقصي مُجتنيها
ماذا تَظُنُّ بقصدِهِ؟ أيُحبها أم يشْتَهِيها؟؟
ما ردُّها لو أنَّني أدنو قليلاً أختَويها
وأقول: هاكِ محبتي عريانةً، لا تجبهيها
يا (وفقُ) زخرفةُ النِّفا قِ مهارةٌ لا أدَّعيها

في قلبِهِ، وإليه يَبـ ـلغُها وطَوراً يحتسيها
تُنهي بلاغةَ سِرِّها فِيهِ، ومِنها يبتديها

ماذا يثاقفُها؟ وكيْـ ـف؟ وأيُّ نجوى ترتَضِيها؟
أيُّ الصِّفاتِ تروقُها؟ أيُّ المذاهِبِ تنتقِيها؟
أيقولُ: أَفْدِيها كما قالوا، وأفدي مُفْتَدِيها؟
يبغي لها لُغَةً كَعيْـ ـنَيْها كَبُشْرَى تنتويها
❊
خُضْ يا (عَليقُ) أجدَّ تجْـ ـربةٍ عسى أنْ تجتبيها
قلْ لا تقيسيها بأوْ لى، قبلَ حكمِكِ جرِّبيها

أَتَشُكُّ في مَنْ جاءَ يَمْـ ... نَحُها ويبدو مجتديها؟

كم راوغتْها باسْمِها ... كتبٌ، وكانت تزدريها

وتردُّ أبوال الشِفا ... هِ إلى حناجر حالبيها

وتذب مَن يُردُونَ عمَّـ ... تها على كَتِفَيْ أخيها

ما اسْتَجْمَلَتْ ألقَ الخَوَى ... ما استكْرهتْ إلاَّ الكَرِيها

*

أجلى الحقائقِ عندها ... حبٌّ تَراهُ ويرتَئِيها

وتَصُوغُهُ ليصوغَها ... ويهدُّها كي يبتنِيها

هاتِيكَ مِنْ شَغَفي بها ... أصبحتُ أعشقُ ما يليها

فأرى الكواكب فوقها ... يُرضعنَ مِن فمها بنيها

وأرى غبارَ خريفِها ... متنزِّهاً يُغْري النَّزيها

وأرى الطيورَ قصائداً ... منها إلى مَنْ يصطفيها

أروائحُ (الكاذي) تَشي ... بمرورِها؟ أم ترتديها؟!

*

يا ديكَ حارتها أتسْـ ... ـمعُ حُلْمَها أَمْ حالميها؟

أيُّ الرؤى تغْشَى كرا ... ها؟ أيُّ سُهْدٍ يَعْتَريها؟

هَلْ في قميصِ رُقادِها ... مَنْ تكتسيهِ ويكتسيها؟

هَلْ طلَّقَتْ (سعدَ السعو ... دِ)[1] لأنَّ (أسْعدَ) يستبيها؟

أتشُمُّ صبحاً تبتغيْـ ... ـهِ أَمْ صباحاً يَبْتَغيها؟!

بحشاكَ مِنْ أسرارِها ... ما لا تَرَى، فمتَى تُريها؟

---

(١) سعد السعود: هو نجم التفاؤل.

قَلْ: خلف صوتِكَ هِزَّةٌ تدعوكِ أَنْ تستبدهيها
أبقالبِ (وفقةَ) جذوةٌ تطْفُو وأخرَى تقتنيها؟
لا تنتهِرِزني، إنَّني مِنْ مُرتجِيكَ ومُرتجيها
ولأنَّني أحببْتُها أحببتُ كلَّ النَّاسِ فيها

قبَّلتُ نيَّتَها يديْـ ـنِ وَوَجْهَها قلباً وجيها
وخطبتُ طِفلةَ طفلِها فغدوتُ أخطَب مِنْ أبيها
مِنْ آخرِ العشقِ ابتدأْ تُ فَبتُّ أوَّلَ عاشِقِيها
وإلى عرائسِ حُزنِها مزَّقتُ برقُعَها الشَّويها
ودخلْتُ حُرقَتَها الَّتي تَهْدي وتُنضِجُ مُضْطَليها
عاقرتُ طعم التِّيه فيـ ـها واستحبتُ أن أتيها
تستفهِينَ تطرُّفي؟ بل خفتُ لائمكِ السَّفيها
مِنْ طبعِ كُلِّ نبيهةٍ أَنْ تحضِنَ العشقَ النَّبيها
نجلُ المُغامَرةِ ابنُها وأبو الخطورةِ مِن ذَوِيها
ما وزنُها ما لمْ تَرَ مَنْ تتَّقيهِ ويتَّقيها
أسمِعتَ (وفْقةَ) يا (عَليْـ ـقُ)؟ ـ ألستُ أخنَى مُنطقيها؟
كانَتْ تقولُ ومِسمعي مُغْمىً بضجَّةِ مُسمعيها
والآن معجَمُ قلبِها قلبي، دمي مِنْ قارئيها

أُوَّاهُ كَمْ شبهْتُها ومَتَى وجدْتُ لَها شَبِيها؟
أوَلَيْس فقهُ غَرامِها أعيا المنجِّمَ والفقيها

حقيقة حال

1987م

تسكتُ الّليلةُ العجوزُ وتُرْغي
كانقلابٍ ينْوي القيامَ ويُلْغي

أيَّ أمرٍ تبغي؟ تشمُّ أُمُوراً
لا تراها، ولا ترى كيف تبغي

بعضُ إنصاتِها يراوغُ بعضاً
فَتُناغي حِيناً وحِيناً تُنَغِّي

مِنْ وراءِ الوجومِ تهذي ويبدو
أنّ شيئاً يهْذي لَها وهي تُصْغي

إيهِ تلكَ الكَتومُ قولي لِماذا
لا تَنامينَ؟ كيفَ والنارُ تَشْغي؟

سوف أَغْشَى الوغى الكمِينةَ فيها
أخبِريني، يا تلك من أينَ أُوغِني؟

خِلْتُ أنّي ولغتُ فيكِ قليلاً
فدعيني أشمُّ آثارَ وَلْغي

كُلُّهم أغلَقوا بوجهي، خذيني
لا تقولي، كما يقولون (فُرْغي)[1]

لا تقولي طَفرتُ أو رمتُ بغياً
لا أرى طافراً ولا مَنْ يُبغي

امنحيني قوىً على الشرِّ. تدري
القُوى تنفخُ الجَبانَ وتُطْغي؟

ما تطلَّبتُ مدفَعاً كي تخافي
إن توغَّلتُ فيكِ مِنْ شرٍّ نَزْغي

قَدْ تُلاقي الَّذي أواريه لَذْغاً
وتَرَى لادغي وتَسْمَعُ لَذْغي

أنتَ عَنّي تُحِسُّ ما ليسَ عندي
وتُسمِّي صفيرَ أُذنيكَ مَضْغي

تلتظي هذهِ النجومُ بقلبي
وتراها عِقْدي وألوانَ صَبْغي

بلْ وتدعُو (بناتِ نعشٍ) قِذالي
و(سُهيلاً) فَمي و(كِيْوانَ) صِدْغي

* * *

القناديلُ تطبخُ الطِّينَ تحتِي؟
ونُجومي تُجيدُ سَلْخي ودبغي

(1) فرغي: كلمة ازدراء وتعال على العاطل الذي يشغل فراغه بما لا يعنيه. وهي مفردة شعبية تشبه التصغير في الفصحى وصلتها بالفصحى من حيث الفراغ إذ يوصف الخالي من الهم فارغ القلب.

أضـلُـعـي كـاسُـهـا وتِـبـغُ رؤاهـا
والـحَـصـى والـغـبـارُ كـأسـي وتِـبـغـي

أيـنَ تـثـوي حـقـيـقـةُ الـحـالِ؟ قـولـي
كُـلُّ شـكـلٍ زريـبـةٌ لا تُـثـغّـي؟

مـا الَّـذي تـاـثـغـيـنَ؟ هَـلْ ذاكَ ردٌّ
يـا أخـا (سـيـبـويْـهِ) دَغـنـي ولَـثـغـي

أيـن فـارقـتُ يـا سُـرى نِـصْـف ظَـهْـري
أيـن ضـيَّـعْـتُ عَـظـم سـاقـي ورِسْـغـي؟

صـرتُ صـمـغـيـةَ الـحَـشـا والـحَـواشـي
والـثَّـوانـي مَـمْـطُـوطَـةٌ مـثـلُ صـمْـغـي

يـا الـذيـن اكـتـفـوْا بـدمـغ الـلَّـيـالـي
لـيـتَـكُـم تُـحـسِـنُـونَ تـلـفـيـقَ دَمْـغـي

هـل أنـا نـابـغـيَّـةٌ؟ ذاك جَـدِّي
مَـن يُـريـنـي نـبـوغَـهُ كـي يُـنَـبْـغـي!

آن لـي أَنْ أُعـيـدَ صـوغَ قُـواكـم
حَـسـنـاً بَـعـدمـا تُـعـيـدونَ صـوغـي

❂ ❂ ❂

قَتَلَةٌ وثُوّار

1988م

توحّشوا وأطلِقُوا ... هيهاتَ أنْ يُفرَّقُوا
جاؤوا كأفواجِ الضُّحَى ... وكالضُّحى تَنَسقُوا
الكمُّ كيفٌ واحدٌ ... والكلُّ فردٌ مُطْلَقُ
لأنَّها الأرضُ الَّتي ... تراعدتْ فأبرَقُوا
تراكَضَت فجاجُها ... يتلو العميقَ الأعمقُ
تفور تحتَ خطوِكُم ... وفوقكُم تُحلِّقُ

أضفَّةٌ هاتيكَ أمْ ... نهرٌ يعي مَنْ يُحرِقُ؟
يشمُّ ما تطوونَهُ ... بقلبِهِ ويرمقُ
أغزَّةٌ تنظّروا ... آياتِها وأطرِقُوا
تَرمُوَن. لا تخشى، فهَلْ ... ما تُطلقون فستُقُ؟
كُلُّ مخيَّم عَلَى ... موجِ اللَّهيبِ زَوْرَقُ
وكَلُّ مرجٍ ثائرٌ ... وكُلُّ صخرٍ خندقُ
وكَلُّ نَبتَةٍ يدٌ ... وكلُّ نجمٍ بيْرقُ
التَّلُّ يهفُو تائقاً ... والسَّهلُ منهُ أشوقُ
والمُنحَنَى يعدُو كما ... يعدُو الجوادُ الأبلَقُ
مواكبٌ في موكبٍ ... لا سُبقٌ لا لُحَّقُ

الـــعُــــزَّلُ الـــعــــاتُـــون مِـــنْ أعـــتَـــى الـــغُـــزاةِ أحـــذقُ

مـــا بـــالُ مـــنْ دفــنــتُــمــو قـــامُـــوا كَـــأنْ لَـــمْ يُـــخــنَـقُـــوا

ومـــن هَـــدمــتُـــم فـــوقَـــهـــم بـــيـــوتَـــهُـــم لَـــمْ يُـــزْهَـــقُـــوا

أجـــاءَ مِـــنْـــهُـــمْ مـــثْـــلُـــهُـــم أم الـــحِـــمـــامُ أرفـــقُ؟

هـــل شـــمـــتُـــمُ مـــنْ يـــتَّـــقـــي نـــيـــرانَـــكـــم أو يـــفـــرَقُ

فـــشـــقِّـــقُـــوا رصـــاصـــكُـــمْ فـــيـــهـــم فَـــلَـــنْ يـــشَّـــقَّـــقُـــوا

لأنَّـــهُـــم مِـــنْ نـــارِكـــم أَقـــوى ومـــنـــكُـــم أَصـــعـــقُ

*

لا بـــأس أن تُـــمـــزِّقـــوا غـــيـــظـــاً، فـــلـــن يـــمـــزَّقُـــوا

لأنَّـــهُـــم تَـــفـــجَّـــرُوا كـــالـــسَّـــيـــل كـــي يـــدَّفَّـــقـــوا

ولـــلـــحَـــريـــقِ أسْـــفَـــرُوا كـــي يـــنـــضُـــجُـــوا ويـــسـمُـــقُـــوا

قُـــلـــتُـــم ســـتـــســـحَـــقُـــونَـــهـــم كـــيـــف أبَـــوْا أن يُـــســـحـــقُـــوا؟

أحـــجـــارُهـــم غـــيـــرُ الَّـــتـــي إذا ارتَـــمـــتْ تُـــطَـــقْـــطِـــقُ

أمـــا تَـــروْنَـــهـــا عـــلَـــى أكـــفِّـــهِـــم تُـــحـــمـــلـــقُ

وكـــالأكـــفِّ تَـــنْـــتَـــوي وكـــالـــقـــلـــوبِ تـــخـــفِـــقُ

وكـــالـــشـــتـــاء تـــنـــهـــمـــي ـ وكـــالـــرَّبـــيـــع تـــعـــبـــقُ

لـــلـــثـــغِـــهـــا بـــلاغـــةٌ كـــأهـــلِـــهـــا ومـــنـــطِـــقُ

تـــكـــرُّ مِـــنْ بـــنـــانِـــهِـــم كـــمـــا يـــكـــرُّ الـــفـــيـــلَـــقُ

أهـــدى مـــنَ الـــقَـــطـــا إلـــى أهـــدافِـــهـــا وأسْـــبـــقُ

زُرْقُ الـــنُّـــيـــوبِ رشـــقُـــهـــا مِـــن الـــمَـــنـــايـــا أَرشَـــقُ

مـــاذا تَـــرَوْنَ؟ خَـــبِّـــروا (شــامــيــرَ) كــيــفَ أَحَــدَقُــوا
كــيــفَ تَــلــتْ أَحْــجــارُهــم أمْــرَ الــحِــمَــى وَطَــبَّــقُــوا
كــيــفَ تــعــمــلَــقَ الــحَــصَــى لأنَّــهُــم تــعــمــلَــقُــوا
فــي الــمــســتــحــيــلِ أوغَــلُــوا بِــبُــعْــدِهِ تــعــلَّــقُــوا
الــضِّــفَّــةُ الآنَ غــدتْ تــلْــهُــو بِــمَــن تَــفــوَّقُــوا
لأَنَّــهــا فــاقَــتْ بِــلا دَعْــوى، وهُــمْ تَــشَــدَّقُــوا
الــخــارقــون هَــلْ دَرَوْا بــأنَّــهُــم تَــخَــرَّقُــوا؟
وأَنَّــهــم مــن الأُلَــى يُــضــايِــقُــونَ أضــيَــقُ
وأنَّــهُــم قَــتْــلَــى، وإنْ أَخْــفَــوْا وإنْ تــبــنــدقُــوا
قــالــت قِــطــاعُ غَــزَةٍ: أَنَــا هُــنــا فــأخــفــقُــوا
فــكــذَّبُــوا مــا شــاهَــدوا وصــدَّقُــوا مــا اســتــزوقُــوا
وعــزَّزوا كــي يُــفــزِعُــوا فــأيَّ بــيــتٍ أقْــلَــقُــوا؟
الــقــوَّةُ الأطــغَــى عَــلَــى أقــوى الــطُّــغــاةِ أوبــقُ
لأنَّ بــاب الــسِّــرِّ فــي وجــهِ الــغــرورِ مُــغــلَــقُ

* * *

الــثَّــائِــرُونَ وَرَّدُوا وَغْــدَ الــحِــمَــى وزَنْــبــقُــوا
وصــدَّقُــوا لأنَّــهُ مِــنْ كُــلِّ وغــدٍ أصــدَقُ
ثــارُوا، غَــضِــبــتُــم. مــا الَّــذي حَــقَّــقــتُــمــوا وحَــقَّــقُــوا؟
أزهَــبــتُــمُــوا وقــاوَمُــوا أخْــمَــدتُــمُــوا تَــأَلَّــقُــوا
أمــطــرتُــمُــوا كــي يَــنــبــتُــوا وأمــطــرُوا كــي تَــغــرَقُــوا
جُــذتــم لــظَــىً لــتــســلِــبُــوا هَــمَــوْا دمــاً كــي يُــغْــدِقُــوا

لِـكَـي يُـروُّوا تُـربَـةً ... مِـن قـلـبـهـا تـرقْـرَقـوا
لأنَّـهُـم مِـنْ عـشـقِـهـا ... لـلـموتِ عـنـهـا أَعْـشَـقُ
عـلـى اسْـمِـهـا تَـبـزغَـمُـوا ... وبـاسْـمِـهـا تـفـتَّـقُـوا
وفـوقَـهـا تـعـنـقَـدُوا ... وتـحـتَـهـا تـعـتَّـقُـوا
وأغـصـنـتْ أجـيـالُـهُـم ... مـنـهـا وفِـيـهـا أعـرقُـوا
مـن الـتَّـواريـخِ أَتَـوْا ... مِـنَ الـجـذورِ أَوْرَقُـوا
مِـنْـهُـم إلـيْـهـم أَقْـبـلُـوا ... مـن حـيـثُ غـابُـوا أشـرَقُـوا

**

يـا مَـنْ سـرَقْـتُـم مـوطـنـاً ... لَـقَـد أبـى أن تَـسْـرِقُـوا
قـولـوا لِـمـن رَمَـوْا بِـكُـم ... أحـجـارَهُ أن يـأرقُـوا
قـولـوا لَـقَـد آنَ لـهـم ... عـلـيـكُـمُ أن يُـشـفـقُـوا
وأصـدِقُـوا أَخْـبـارَكُـم ... كـيـف انـمـحـى مـا لـفَّـقُـوا

❂❂❂

وصول

1988م

بِوُدّي أَنْ أَفِرَّ الآن مِنّي
وأدخُلَ نزوةً في رأسِ جِنِّي

وأسبحُ فوقَ ومضٍ لا يُسمَّى
ولا يلقَى الملقَّب والمُكنِّي

يحنُّ إلى مطافٍ غَيْرِ طافٍ
ويومي: يا نُجومُ إليهِ حِنِّي

فأُوغِلُ في صميمِ الومضِ أخفَى
كنسغِ الأرضِ عن زَمَني وَعنِّي

وكالبذرِ الدَّفينِ أنثُّ وجْدي
لوجْدي. لا أنوحُ ولا أُغنِّي

بكلِّ قرارةٍ أَنْسلُّ دَفْقاً
ربيعيّاً يُوَشِّي أو يُحنِّي

وأَفْنَى كي يغرِّدَ كُلُّ زاكٍ
وينقرض الَّذي يبقى لِيُفْني

أحولُ قصيدةً لَمَّا أقلْها
وخفقُ الصمتِ قافيتي ووزني

*

هُنا في لا هُنا أمتدُّ جسْراً
إلى الوَطنِ الَّذي فوقَ التَّمنِّي

ومِن ماهِيَّةٍ أُخْرى أُوافي
فأختارُ الَّذِي أمْحُو وأبني

وأطْوي لحدَ ذاكِرتي وَرائي
فلا أهذي بـ: كنتُ ولا كأنّي..

لأنّي صرتُ غيرَ أنا، وعَصْري
سِوَى عَصْري، وفنّي غيرُ فَنّي

أليسَ حِمى حنيني لا يُضاهَى
بمقياسِ التَّيقُّنِ والتَّظنِّي

له لغةٌ سوى قاموسِ (رُوما)
سوى (المُغْني) الّذي ما كانَ يُغنِي[1]

فليسَ عليه مرميٌّ ورام
ولا كذِبُ التَّرقِّي والتَّدنِّي

ولا فيه تَسَنِّي أيِّ ظرفٍ
لراكِبِهِ ولا حِيَلُ التَّسَنِّي

ولا لغوُ المُداجي والمُداجَى
ولا صفةُ الطُّفُورِ ولا التَّأنِّي

(1) المُغني: كتاب (مغني اللبيب) لابن هشام وهو أوسع كتاب في النحو ولغة القبائل، ولكنه لا يسعف الباحث فيه.

ولـــيـــسَ عـــلـــيـــهِ أبـــواقٌ تـــدوِّي
ولا ورقٌ بـــأمِّ الـــحـــبـــرِ يـــزْنـــي

* * *

إلـــيـــكَ وصـلـتُ يـــا أنـــقـــى وأهـــنـــا
بـــلا زغـــرودةٍ وبـــلا مُـــهَـــنِّـــي

حـمـلـتُ بـراءةَ الـعُـشْـبِ الـمُـنـدَّى
وجـئـتُ مـخـلِّـفـاً لـلـفـأر سِـجْـنـي

لـــمـــاذا لا تُـــصـــدِّقُ مَـــنْ تـــراهُ؟
أتـأسـفُ أمْ تـخـافُ عـلـيـكَ أَجْـنـي؟

أَتـخـشَـى وخـلَ أحـذيـةِ الـسُّـكـارَى
وتـنـسِـبُـهُ إلـى عَـرَقـي وَعـجْـنـي

لـقـد كـانـوا هـنـاكَ قَـذَى طـريـقـي
أنـابـيـبَ الـفـحـيـحِ إلـى مَـكَـنِّـي

أُلاقـي جُـبـنَـهـمُ مِـنْ غـيـرِ بـحـثٍ
ولا يـلـقَـوْن بـعـدَ الـبـحـثِ جُـبْـنـي

أتـحـسـبُ أن هـاتـيـكَ الأفـاعـي
ستـتـبعُـنـي. تـخـون هُـنـا وتُـخـنِـي؟

بـعـيـدٌ أنـت عـن فـمـهـا، وأمَّـا
أَنـا مـا جـئـتُ أنْـشُـدُ صـفـوَ أَمْـنـي

فـمـا وصَـتْ (لـمـيـسُ) بـي مُـجـيـراً
ولا قـالـت: أخـافُ عـلـيـكَ يـا ابْـنـي!

ولا بـاهَـتْ كـتـلـكَ: نَـجـا عِـيـالـي
لأنـي صـنـتُ تِـبْـري تَـحْـتَ تِـبـنـي

(لـمـيـسُ) اقْـنَـيْ بـنـيـكِ، صـهِ (ثُـريّـا)
فَـأمُّ الـبـيـضِ تـعـرِفُ كـيـف تَـقْـنـي

لـهـذا قـلـتُ: يـا مـجـهـولُ خـذنـي
وسُـنّـي الـسَّـيـف يـا أخـطـارُ سُـنّـي

أأسـتـجـديـكَ تـحـصِـيـنـاً وحِـضْـنـاً
وقـد كـانَ الـسُّـعـارُ هُـنـاك حِـضْـنـي

لـنـا فـوقَ الـتَّـحَـدِّي والـتـوقّـي
هـمـومٌ لا تَـراهـا الـرِّيـحُ تُـخْـنـي

لـمـاذا تَـسـتـزيـدُ مِـنْ اخـتِـبـارِي؟
أمـا أهـرقـتُ بـيـنَ يـديْـكَ دَنّـي؟

أحـتّـى أنـتَ تـهـجـسُ أنَّ خَـلْـفـي
يـداً، أو أنَّ أمـراً تـحـتَ ضِـبْـنـي[1]

أُفَـصِّـلُ مـذ نـويـتُ، عـزمـتُ أخـفـى
وأشـجـى مِـنْ زَوايـا كـهـفِ حُـزنـي

فَـمـا أخـبـرتُ صـبـحـاً عَـنْ مَـرامـي
ولا تـمـتَـمْـتُ لـلـمـصـبـاحِ إنّـي.

(1) ضبني: الضبن طرف الإبط من جهة الصدر.

ولا نــاديــتُ: يــا قــلــقِــي أقــلْــنــي
ويــا عُــكَّــازَ تَــشْــويِــفــي أعِــنِّــي

فــلــمْ أعــهَــدْ إلــى عــمِّــي بــأُمِّــي
ولا بــأبــي إلــى صِــهْــري وخِــدْنــي

ولا اســتــودعــتُ مــكــتــبــتــي صــديــقــاً
ولا ودَّعــتُ نــافــذتــي ورُكْــنــي

ولا تــلــكَ الَّــتــي قــالَــت: أطــعْــنــي
وخــذ كُــوزَيْــنِ مِــنْ عَــســلــي وســمْــنــي

أراكَ مــســافــراً؟ فــأجــبــتُ: كــلاَّ
ومــا كــانــتْ وأخــتَــيْــهــا مِــجــنِّــي[1]

ســريــتُ إلــيــكِ تــحــتَ قــمــيــصِ غَــيْــمٍ
وحــيــداً لا أعِــنُّ ولا أُعَــنِّــي

تــصــوَّرْ، مــا اصــطَــحَــبــتُ ولا كِــتــابــاً
ســوى تــعــلــيــقــةٍ عَــلِــقَــتْ بِــذِهْــنــي

ولا أزجَــى فَــمــسّــي مِــنْ مــوجِ صــدْري
ســوى وطَــرٍ إلــى إنــصــاتِ أُذْنــي

*

(1) إشارة عكسية إلى قول عمر بن أبي ربيعة:

وكــان مــجــنِّــي دون مــن كــنــت أتــقــي
ثــلاث شــخــوصٍ. كــاعــبــان ومــعــصــرُ

والمجنُّ في الأصل الدرع وبالاستعارة الستار الواقي من العيون وغيرها

فَلَمْ أفعلْ سِوَى تقليبِ أَمْري
وزجري أذنَ أذني لا تَطِنِّي

وإلجامي خَيالاً، قال: لوني
نبيذيٌّ، وطيفاً قال: بُنِّي

وهمسي للعواصفِ: لا تنامي
ويا تلكَ الرُّبا: لا تطمئِنِّي

ويا جَرس الخطورةِ لا تُجَمْجِمْ
فإنْ أغفَى فيا أجداثُ رِنِّي

فَقَالتْ لي العشيَّةُ: لا تخفْهم
عَلَى مَسْراكَ قَدْ أسبلتُ جَفْني

وأَلبستُ القناديلَ السَّواهي
قميصاً مستطيلاً مِنْ دُجُنِّي

إذا استسماكَ حرّاسُ المواني
فأسكِتْ (عامراً) وارطنْ كـ(سِدْني)

وكالبرقِ ارتحلتُ بِلا جَوازٍ
بلا مِنْ أينَ أَنْتَ، بلا تَجَنِّي

ولم أَرْكُضْ كـ(عنترةَ بنِ عبس)
ولا كالغُصْنِ مَجنونَ التَّثنِّي

لأنِّي جئتُ مِنْ عشرينَ قرناً
وما أشْفَتْ على السِّتِّينَ سِنِّي

* *

أتــخــتَــلِكِ يــا بــســيــطَــةُ قــرنُ ثــورٍ[1]؟
قــرونُ الــدَّهــرِ فــوقــي أيــنَ قَــرْنــي؟

فــقــالــت: يــا ســحــابُ أريــدُ غــيــري
أجــابــتْــهــا ومــاءَ غــيــرِ مُــزْنــي

لِــمــا تــبــغــيــنَ أرضــاً مــنــكِ أفــضَــى
ألا تــدري لِــمَــا يــا بــعــض قُــطْــنــي

لــمــن ظَــهــرِي؟ وحِــصَّــةُ مــنْ جــبــيــنــي؟
لــمــن صــدري؟ لــمــنْ قَــدَمــي وبــطْــنــي؟

ومَــنْ أَزْواجُ أزْواجــي؟ أتــدري؟
ومَــنْ هُــمْ ســادَتــي؟ مَــنْ أهــلُ عِــهْــنــي؟

أمــا قــالــت لــجــدِّكَ أمُّ أُمِّــي:
هُــنــا جَــســدي وذا ســهــلــي وحَــزْنــي!

أُســائــلُــهــا وتــســألُــنــي وأجــري
أُدانــي كُــلَّ بُــعــدٍ مــنــكَ يُــدْنــي

فــأحــيــانــاً أســابــقُ نَــبــض قــلــبــي
وأحــيــانــاً أنــوءُ بِــحَــمــلِ مَــتْــنــي

فــأرجــو رحــلــتــي: لا تَــســتَــطــيــلــي
وأدعــو قــامَــتــي: لا تَــزجِــحــنَّــي

* * *

(1) من الخرافات الشعبية أن الأرض مركّبة على قرن ثور يحفظ انبساطها من التمايل وعندما ينطح الثور بقرنه تقوم القيامة.

تــأكّــدْ. مــا رأى شَـبـحـي غُـرَابٌ
ولا لَـمَـس الـذُّبـابُ غـبـارَ ذقـنـي

ولا خـالَـتْ ديـوكُ الـفَـجـرِ وجـهـي
ولا اسـتـرقَ الـنـسـيـمُ أريـجَ لـحـنـي

ولا نَـبـحـتْ خـطـايَ (بـنـو كـلـيـبِ)
ولا اشـتـمَّـتْ قـمـيـصـي (آلُ حـسـنـي)

مـرقـتُ عَـلَـى تـخـلُّـفِ أهـلِ خـلـفـي
فَـبـرّأنـي مُـحِـقّـاً أو أدِنّـي

بـلـغـتُ حِـمـاكَ مِـنْ شَـوْقـي إلـيـهِ
كـأنّـي كـنـتُ أحـمـلُـهُ بِـرِذنـي

فـخـذْ بـيـدي، لـعـلّـي الآنَ أدري
وتَـدْري أنـتَ كـيـف غـبـنـتُ غَـبْـنـي

وقُـلْ لـي: عِـمْ صَـبـاحـاً أوْ مَـسـاءً
وأفـعِـمْ بـالـبـشـاشَـةِ جـوفَ صـحْـنـي

أَجِـبْـنـي كَـيْـف شـئـتَ. هـلِ الْـتـقَـيـنـا
أكـنـتُ أنـا الـمُـمَـنَّـى والـمُـمَـنِّـي

أمـا لـوَّحـتَ لـي وَهَـديـتَ سـيْـري
فـأتـعـبـتُ الـمَـدَى ودفـنـتُ دَفْـنـي!

خـلـعـتُ عَـلَـى الـطَّـريـقِ إلـيـكَ أصْـلـي
وأغـلـقَ بـائـعُ الأنْـسـابِ رَهْـنـي

تُــرى أَرتــدُّ؟ كــلاَّ ســوف أمْــضــي
و أنــتَ مَــعــي رضــيــعُ يــدي وحِــضْــنــي

تــبــنَّــيــتَ اغْــتِــرابــي، عــدتَ طِــفْــلــي
تَــجــاوزْنَــا الأبــوَّةَ والــتَّــبــنِّــي

قُــبــيْــلَ الآنَ كُــنَّــا اثــنــيْــنِ شَــكْــلاً
فــصِــرنــا الآنَ كُــلًّا، لا يُــثــنَّــي

❁❁❁

حرّاس الخليج

أغسطس 1987م

مَـــنْ ذا يـــهـــمُّ الأمـــرُ يـــا أمـــرُ
لا هـــاهُــنَـــا (زيـــدٌ) ولا (عَـــمْـــرُو)؟

مـــا هـــاهُـــنَـــا يـــا كـــلَّ قـــاذفـــةٍ
إلا الـــشُّـــكُـــوتُ الأبـــلـــهُ الـــمُـــرُّ

مَـــنْ ذا يـــردُّ الـــكـــاسِـــحـــاتِ؟ ومَـــنْ
فـــوقَ الـــخـــلـــيـــجِ الأصـــفـــرِ اخـــمَـــرُّوا؟

جـــاؤوا فـــلا هـــزَّ (الـــعَـــرارُ) يـــدا
هُ، ولا درى مـــا لـــونُـــهُ الـــتَّـــمْـــرُ

لا اْهـــتـــجْـــتَ يـــا (بـــيـــتَ الـــحُـــسَـــيـــنِ) ولا
عـــكَّـــرْتَ نـــومَ الـــلَّـــحـــدِ يـــا (شَـــمْـــرُ)

* * *

أَهُـــنـــا (دُبـــيْ) أم (وِلْـــزُ) يـــا ســـفـــنـــاً
تَـــزمَـــدُّ إرهـــابـــاً وتَـــقْـــمَـــرُّ

وتـــصـــيـــحُ: صَـــهْـــيِـــنْ يـــا أخـــا (مُـــضَـــرٍ)
مَـــنْ أنـــتَ؟ أيـــن خـــيـــولُـــكَ الـــضُّـــمْـــرُ

يـــا (الأحـــمـــدي) هـــل أنـــتَ أنـــتَ؟ هُـــنـــا
(تَـــكْـــســـاسُ).. أيـــنَ الأوجُـــهُ الـــسُّـــمْـــرُ؟

كـيـفَ الـتـقَـى (وِلْـيَـمْ) و(عَـلْـقَـمَـةٌ)؟
ومـتَـى تـصـافَـى الـثـلـجُ والـجَـمْـرُ؟

يـا زامـرَ (الـجَـهْـرا) أتـطـربُـهـا؟
لـلـبـارجـاتِ الـطـبـلُ والـزَّمْـرُ!

الـبـحـرُ يـا نَـفَـاطُ مُـتَّـقـدٌ
غـامـرٌ وإلاّ اجـتـاحَـكَ الـغَـمْـرُ

حُـرَّاسُـكَ اشْـقَـرُوا مَـتَـى انـقَـرَضَـتْ
(عـبـسٌ)؟ وأيْـنَ تـغـيَّـبـتْ (نِـمْـرُ)؟

أتَـرى (كـلابَ الـحـوأبِ) اشْـتَـبـهَـتْ
أم أُلـجِـمَـتْ عَـنْ نـبـحِ مَـنْ مـرُّوا[1]؟!

* * *

أتـقـول ذا يَـهْـذِي كـمُـغْـتَـبِـقٍ؟
مـا عـادَ يُـسـكـرُ جـارَكَ الـخَـمْـرُ

أتـريـدَ أطـمـرُ غَـيْـرَتـي وَفَـمـي
يـا جـيـفـةً أوشـى بـهـا الـطِّـمْـرُ

أغْـدى الـعِـدا تـرجـو حـراسـتَـهُ
مَـنْ ذا يـهـمُّ الأمـرُ يـا أمـرُ

---

(1) كلاب الحوأب: الحوأب مكان بين يثرب والعراق وقد روي أن الرسول ﷺ قال لزوجاته وفيهنّ عائشة: أيّتكنّ تنبحها كلاب الحوأب. وعندما خرجت لحرب الإمام علي في العراق سمعت نباح كلاب فتوقفت تنوي الرجوع ذاكرةً قول الرسول؛ غير أن طلحة والزبير أحضرا لها شاهدين نفيا أن ذلك المكان هو الحوأب وسمّياه باسم آخر، وبعد هزيمة عائشة ندمت على مرورها بعد ذلك النباح الذي أنذرها.

على قارعة الاختتام

مارس 1987م

قلتَ لي: صارت حلوقُ الموتِ أبلَغ
فليكُنْ.. مازالتِ الأَحْضانُ تدفَغ

يستزيدُ المهدُ واللَّحدُ، فلا
يشبعُ المُعْطَى ولا المُعْطي سَيشبعْ

كُلُّها الأرضُ قبورٌ، وترى
كَلَّ دربٍ مُترعاً والسجنَ مُترَعْ

قيل هذا قبلَ تاريخ الثَّرى
ما تقول الآنَ والتاريخُ أضلَعْ؟

* * *

أين يَجْري السُّوقُ؟ يعدو بعضُهُ
فوَق بعضٍ، والبيوتُ الغُبْرُ تتبعْ

كُلُّ ممشىً هاربٌ مِنْ خطوِهِ
وإلى جنبيْهِ مِنْ جنبيْه يفزَعْ

حسنٌ أنْ يثأرَ الممشى علَى
صبرِهِ، أنْ يلبسَ المقْهَى ويخلَعْ

أنْ يطيرَ التَّلُّ بالتَّلِّ وأن
تعجنَ الرِّيحُ بـ(نجرانَ) (مُصوَّعْ)

أن يُــمــيــطَ الــرَّمــلُ عــنــهُ عُــزيَــهُ
أن يُغنِّي الصَّخْرُ كالملهى ويسمع

أن تُــرى كــلُّ حــصــاةٍ قُــبــلــةً
أنْ تُساوي بيضةُ (الوَرْقاءِ) مخدَعْ

أن يــحــولَ (الــمُــشــتَــري) قــاعــاً وأنْ
ينزلَ (المرّيخُ) بستاناً ومصنَعْ(1)

أن يــوشّــي (جِــبْــلــةً) جــمــرُ الــسُّــهــا
أَنْ يحلّى بالثريّا (جيدُ أسلع)(2)

أن يــمــرَّ الــحُــبُّ ســكــرانَ الــصِّــبــا
عارياً يصفعُ مَنْ يلقَى ويُصفَعْ

أن يُــشــظّــي غــرفَ الــنَّــومِ الــلُّــقــا
ثم يمشي مِنْ وضوحِ الصَّيفِ أشيَعْ

أن يــقــومَ الــمُــنــحَــنَــى نَــخْــلاً، وأنْ
يصعدَ المَرعَى من (الينبوتِ) أفرَعْ(3)

أن تــقــولَ الأرضُ لــلأرضِ: إهْــربــي
وانــقــلِــبْ يــا بــحــرُ أثــداءَ ورُضَّــعْ

أيَّ آتٍ تــبــتَــغــي يــا صــاحِــبــي؟
ـ فَرَحاً مِنْ كُلِّ هذي الأرضِ أوسَعْ

---

(1) المشتري والمرّيخ: نجمان.

(2) جبلة: مدينة في المناطق الوسطى من شمال اليمن. وأسلع: أشهر سوق في تهامة سابقاً.

(3) الينبوت: شجر طويل شائك.

بـعـد مـا يَـدْعُـونَـهُ الـيـومَ الَّـذي
سـوفَ يُـدْعـى الـيـومُ لـلأيَّـامِ مَـطْـمَـعْ

ولَـهـا كـالـنَّـاسِ مـشـروعٌ يُـرى
ولَـهـا فـي سِـرِّهـا مـا سـوفَ يُـشْـرَعْ

تـعـبـتْ قـافـلـةُ الأعـوام، لا
رحَّـبَ الـصـبـحُ ولا الـمِـصْـبـاحُ ودَّعْ

أصـبـح الـتـقـتـيـلُ أطـغَـى سُـرعَـةً
ـ لا تـخَـف. ديـمـومـةُ الـمـيـلادِ أسـرَعْ

تَـفـقِـدُ الأمُّ فـتـىً يُـذهـلُـهـا
عـن فـتَـىً فـي جـوفِـهـا الـمـوّارِ أتْـسـعْ[1]

قـل لـهـا: كُـفِّـي سـتُـردي ثـانـيـاً
ـ كـلُّ أمٍّ بـأجـدِّ الـبـذلِ أولَـعْ

تـسـرحُ الأغـنـامُ والـذُّؤبـانُ فـي
كـلِّ شِـعْـبٍ، وَهْـي تـغـشـى كـلَّ مـرتَـعْ

شـجـنُ الـتـأبـيـنِ فـي بـيـتَـيْـنِ، فـي
خـمـسـةٍ والـعـرسُ فـي عـشـريـنَ مـربـعْ

زفَّـةُ الـعُـرسِ كـحـفـلِ الـدَّفـنِ، لا
ذاك يـسـتـبـكـي ولا هـاتـيـكَ تـنـفَـعْ

كـلُّـهـا الـضَّـجَّـات مـذيـاعـيَّـةٌ
كـيـف تـدري أيُّـهـا أنـبـا وأوْقَـعْ؟

---

(1) أتْسَع: بلغ الجنين شهره التاسع.

هـل تَـرى الـتـقـتـيـلَ مـثـلَ الـمَـوتِ؟ ـ لا
بـل أرى أجْـداهُـمـا مـا كـانَ أفـظَـعْ

فَـغُـمـوضُ الـقَـلـبِ أغْـرَى بـالَّـذي
هَـو أَخْـفَـى مِـنْ أسَـى الـقَـلـبِ وأَفْـجَـعْ

يـولَـدُ الـمَـقْـتُـولُ مِـنْ إغـمـائِـهِ
فـي سـواهُ، تـصـبـحُ الـعـيـنـانِ أربـعْ

يـسـقـط الـغـيـثُ لـيَـرْقَـى حِـنْـطَـةً
وكُـرُومـاً فَـيُـرى أسْـنَـى وأرفَـعْ

ذلـك الـطَّـودُ الـمـعُـلَّـى، ربَّـمـا
كـان صـخْـراً غـائـصـاً فـي حـصـنِ (تُـبَّـعْ)

أعْـجَـزَ الآتـونَ، مِـنْ أشْـلائِـهـم
مُـدْيَـةَ الـغـدرِ وأعـيـوْا كـلَّ مِـدفَـعْ

* * *

قـلـت لـي: لا يـعـرفُ الـرُّغْـبُ الـكـرى
فـلْـيـكـنْ، مـا زالـتِ الأذيـاكُ تـصـقَـعْ

وتـهـب الـرِّيـحُ أفـواجـاً عـلـى
رُغـمِ مَـنْ يـأذنُ بـالـسَّـيـر ويـمـنَـعْ

ويـدورُ الـفَـلَـكُ الـجـاري، بـلا
أيِّ تـصـريـحِ فـيـجـتَـثُّ ويـزرَعْ

وبـلا وعـدٍ، بـلا تَـذْكِـرةٍ
تـرحـلُ الـغـيـمـةُ تـسـقـي كُـلَّ مـوضِـعْ

مــا يــزالُ الــلَّــيْــلُ يــســرِي مَــثْــلَــمــا
كــان يَــسْــري، مــا يــزالُ الــفــجــرُ يــطْــلُــعْ

وتَــــرى الأشــــجــــارُ مِــــن أيــــنَ أتَــــى
وإلَــى أيْــنَ عَــلــى الــشَّــوْكِ تَــســكَّــعْ

والــعــصــافــيــرُ عَــلــى عــادَتِــهــا
تــجــتــنــي مِــنْ مُــعــجــمِ الــضَّــوءِ وتَــسْــجَــعْ

و تُــــصــــابــــي كُــــلَّ شُــــبَّــــاكِ هَــــوَىً
بــالــعــيــونِ الــخُــضْــرِ والــسُّــودِ مــرصَّــعْ

مــا تــزالُ الأرضُ حُــبْــلــى بــحــشَــاً
فــي حَــشــاهــا، مــا يــزالُ الــبــرقُ يَــلْــمَــعْ

ذلــك الــطَّــافــي ســيــطْــفُــو غــيــرُهُ
ويــظــلُّ الــغــائــرُ الــمــنــشُــودُ أروعْ

مــات مَــنْ يُــرجــى، بــمــن تــخــدعُــنــي؟
ـ لــم يــمــتْ كــلُّ الــوَرى يــا طــفــلَ (مــوزَعْ)[1]

غــيــرُنــا يــاصــاحــبــي يــبــدُو لَــهُ
أنَّــه أذْكــى خِــداعــاً وهــو يُــخــدَعْ

مــا يــزالُ الــوردُ يــحــمــرُّ، ومــا
زال يــنــهَــلُّ الــنَّــدى أطــرى وأنــصــعْ

---

(1) موزع: منطقة بين جنوب الشمال وشمال الجنوب من اليمن ولها شهرة بشجاعة الرجال وجودة الزراعة.

كـيـفَ يَـذوي ثُـمّ يَـغْـلـي خُـمـرةً؟
ـ ربَّـمـا كـانَ غَـنـاءُ الـوردِ أوجَـعْ

هـل سـيـذوي الـقـحـطُ كـي أنـدى أنـا؟
ـ بـعـدمـا تـصـبـحُ تـحـتَ الـقـحـطِ أيـنَـعْ

مـا خـبـتْ نـاريّـةُ الأشـواقِ، مـا
أصـبـحَ الإنـسـانُ دُكّـانـاً ومـضـجَـعْ

هـل سـيـنـسـى الـضـعـفَ مَـنْ خـاف الـقُـوى
يـسـتـحـيـلُ الـجـبـنُ عـنـد الـضِّـيـقِ أشـجـعْ

ربَّـمـا امـتـدَّ الَّـذي جـاءَ، لـكـي
يـنـضـجَ الـمـأمـولُ أو يـخـتـارَ مـنـبـعْ

قـد يَـتـيـهُ الـبـادئ الـغِـرُّ، ولا
يـسـتـبـيـنُ الـمـنـتـهـي مِـنْ أيـنَ يـرجِـعْ

ذاكَ مـا يـحـلـو عـلـيـهِ صـمـتُـنـا
عـلَّـهُ يـخـتـتِـمُ الـمـوّالَ أبـدَعْ

⊛⊛⊛

علامات بزوغ المحجوب

1988م

لأنَّ إلـيـكَ الـقـضـيَّـةْ ومـنـتـهـى الـمُـنَـى الآدمـيَّـةْ
تـغـاوي مـسـوخـاً، لَـهـا ألـوف الـعـيـونِ الـذَّكـيَّـةْ
وأيــدٍ بـــروقــيَّــةٌ وأوردةٌ مــدفَــعِــيَّــةْ
لـذا تُـسـكـتُ الـنَّـارَ عَـنـكَ بـإيـمـاءةٍ مَـغْـنَـويَّـةْ
بـسِـرِّيَّـةِ الـورد فـي جـيـوبِ الـرِّيـاحِ الـرَّخـيَّـةْ
بـأوطـارِ دنـيـاً تَـلُـوحُ سِـوَى هـذِه الـدنـيـويَّـةْ

* * *

تُـطِـلُّ عَـلَـى غـفـلَـةٍ مِـنَ الـشَّـمـسِ شـمـساً فـتـيَّـةْ
تَـرَى كُـلَّ عَـيـنٍ ولا تـراكَ سِـوَى الأريـحـيَّـةْ
كـحُـلْـمِ الـكَـرَى تـنـمـحـي تُـرى كـالـسـمـاءِ الـجـلـيَّـةْ
لأنـك مَـهْـوى الـهَـوَى ومـجـنـى الـوعـودِ الـهـنِـيَّـةْ
وذكـرى شـبـابِ الـعـجـوزِ وحـلـمُ الـفـتَـى والـصَّـبـيَّـةْ
وشـوقُ الـذَّوالـي إلـى شـفـاهِ الـكُـؤوسِ الـظَّـمـيَّـةْ
تـذوبُ لـكـي تـبـتَـدي فـتـكْـبُـر فـيـكَ الـبَـقـيَّـةْ
وتـنـأى لِـكَـي تـدَّنـي عـلامـاتُـك الـمـبـدئـيَّـةْ

* * *

أتـمَّـتْ شـروطُ الـخـروجِ؟ أجـبْ يـا اكـتـمـالَ الـرزيَّـةْ

أمـا انـحـلَّـتِ الأرضُ عَـنْ تـقـالـيـدِها الـمَـوْسِـمـيَّـةْ؟
ألـيـس الـمـصـابـيـحُ عـن ضَـحـايـا الأَمـاسـي عـمـيَّـةْ؟
تُـسـمَّـي الـنـفـاقَ الـولا وسـلـب الأمـانـي، عَـطِـيَّـةْ
إلـى الـعـيـنِ تَـرْمـي الـسَّـنـا وفـي الـقـلـبِ تَـطْـوي الـشَّـظِـيَّـةْ
فـلا الـصـبـحُ صـبـحٌ، ولا لأيِّ مـسـاءٍ هُـويَّـةْ
ولا لـونَ لِـلَّـونِ لا لـعـنـف الأسـى مـأسـويَّـةْ
ولا قـتـلُ نـصـفِ الـمَـلا سِـوَى خـطـرةٍ جـانـبـيَّـةْ
غـدَتْ كُـلُّ حُـرِّيَّـةٍ عـلـى الأَرْض أشْـقَـى سـبِـيـةْ
لأن الـرُّواغَ ارتَـضَـى فـأرْضَـى بـغـيـرِ الـرِّضِـيَّـةْ

أمـا ذا دلـيـلٌ عـلـى تـدلُّـي رؤاكَ الـبـهِـيَّـةْ!
وإشْـراقِ عـيـنَـيْـكَ مِـنْ وراءِ الـسُّـدُودِ الـعـتـيَّـةْ
وإفـصـاحِ كـفَّـيْـكَ عَـنْ سـكـوتِ الـمـعـانـي الـعَـلـيَّـةْ
تـبـيَّـنْ وسَـلْ مـا تَـرَى قـنـاديـلَـكَ الـمَـغْـرِفـيَّـةْ
عـلـى أيِّ نَـسْـهُـرِ تـدلُّ بـقـايـا الـضِّـفـافِ الـزَّرِيَّـةْ
إلـى كَـمْ تـمـدُّ الـمُـنَـى إلـيـكَ الـقـلـوبُ الـشـجـيَّـةْ؟
كـعـانٍ بِـسُـكْـرِ الـكَـرَى يُـلاقـي كُـنُـوزاً خَـبـيَّـةْ
لـقـد آن أنْ تـنـجـلـي مِـنَ الـجُـبَّـةِ الـسـنـدسِـيَّـةْ
تـفـي عِـدَّةَ أسـمـحـتْ وكـانَـتْ شَـرُوداً أبـيَّـةْ
تُـعـرِّي (أبـا مُـرَّةٍ) مِـنَ الـبـزَّةِ الـعَـسْـكَـرِيَّـةْ[1]

(1) أبا مُرَّة: كنية إبليس.

تُـقِـيـمُ الـقِـيـامـاتِ مِـنْ ... تـضـاريـسِـهـا الـدَّاخـلـيَّـةْ
مِـنَ الآنَ لـلـمُـشْـتَـهَـى ... صِـبـاً لـلـتَّـصـابـي شَـهِـيَّـةْ
هَـوامِـيـكَ إنْ أَقْـلَـعَـتْ ... هَـتـونٌ، تَـلـتْـهَـا سـخِـيَّـةْ
تـجـودُ بـقـاعَ الـحِـمَـى ... لـتـرْقَـى طَـروبـاً شـذِيَّـةْ
لَـهـا عـشـق إنْـسـانَـةٍ ... وذاكـرَةٌ كـوكَـبـيَّـةْ
لـخَـضْـبـائِـهـا أغـيُـنٌ ... لـتُـربـتِـهـا (ألـمـعِـيَّـةْ)[1]
لأغْـشَـابِـهـا كـالـصِّـبـا ... غـرورٌ بـريءُ الـطَّـوِيَّـةْ

*

تُـغنِّـي عَـلَـيـهـا الـضُّـحـى ... وتُـضْـبـي الـنُّـجـومَ الـسَّـنـيَّـةْ
وتُـمْـلـي ـ كَـمـا أَخْـبـروا ـ ... عَـلـى كُـلِّ شِـبـرٍ وصِـيَّـةْ
لـكـي يُـسـفـر الـمُـنْـطَـوي ... لـكـي تُـفـصِـحَ الأَعْـجَـمِـيَّـةْ
ويَـهْـديـكَ هـجـسُ الـثـرى ... إلـى الـحـكـمـة الـسـرمـديَّـةْ
فـتـتـلـوه مِـنْ بَـدئِـهِ ... إلـى آخـرِ الـمـسـرحـيَّـةْ
هـنـا تـنـبـري راكـضـاً ... هـنـاك تـطـيـلُ الـرويَّـةْ
لـجـدَّيْـكَ تُـمـسـي أبـاً ... لـسـبـطَـيْـكَ أُمّـاً حـفـيـةْ[2]
تُـنـاجـي الـسـواقـي كـمـا ... تـحـيّـي الـفـتـاةُ الـحـيـيَّـةْ
وحـيـنـاً كَـلَـمْـسِ الـنَّـدَى ... نـهـودَ الـكُـرُومِ الـجـنـيَّـةْ
تـرى كُـلَّ غُـصـنٍ كِـتـابـاً ... وكُـلَّ حـصـاةٍ نـبـيَّـةْ
تُـحِـسُّ هَـسـيـس الـكَـلا ... مُـجـادَلـةَ فـلـسـفِـيَّـةْ

---

(1) ألمعية: الألمعية هي ثقابة النظر وصدق الظن.

(2) سبطَيْك: ولديْ بنتك لأن الأسباط أولاد بنت الرجل والأحفاد أولاد أولاده.

بشيخوخةِ المُنْحَنَى تُناغي صِبا الأبجديَّةْ
توشّي المَمَرّاتِ مِنْ خيالاتِكَ الزّنبقيَّةْ
تُواري (الخفاش) الّذي لهُ كُلُّ صُبحٍ عَشِيَّةْ
تقُولُ لأعتى القُوى: قِفي لنْ تَكُوني قَويَّه
ولا سلطةُ المنتضي يديْكِ ستمسي عَصِيَّةْ
فأنْتِ لَهُ تارةً وأُخْرَى عَلَيهِ بليَّه
كذا منْ يحب الوَرَى يُعَادي الصفاتِ الدنيَّة

*

أمليونُ عُمرٍ لديْكِ أمليونُ نفسٍ زكيَّةْ؟
تخوض الوغى مثلما تؤدّي جواب التحيَّةْ
وتغشى الضواري بلا نُيوبِ بلا بندقيَّةْ
لأنّكَ أقوى حشاً على (الليلةِ النابغيَّةْ)
وأصفى لذات الصفا وأعدى لغير الصفيَّةْ
تُحامي ولا تحتمي تلبّي نداءَ الحميَّةْ
وفي النار تهمي ندَىً وتذرو الطيوب النديَّةْ
فحادي أزيزِ الرَّدى إليك كمعطي الهديَّةْ
لأن الذي يتّقي يعيش ذبيحَ التقيَّةْ
تضحّي ولا تكتفي ولا تنكفي كالضحيَّةْ
فتعلو بهذا على غرورِ الجباهِ الدَّعيَّةْ
مِنَ الموتِ تَمْضي إليهِ أهذّبتَ أُمَّ المنيَّةْ؟
أمِ الأرضُ أفضتْ إليكَ بسرِّ قُواها الخفيَّةْ؟
أمِ الموتُ أهْدَى إلى أجدُّ المَرامي القَصِيَّةْ؟

إلى الرِّيح يحكِي الشَّذَا ... خُرافاتِكَ الواقِعيَّة
فيشْتَفُّ شيْبُ الرُّبا ... غموض رُباكَ الطَّريَّةْ

أغانِيكَ غيبيَّةٌ ... وريَّاكَ مستَقْبليَّةْ
أكنتَ انتِظاراً أتى ... أهذي هي المهدويَّةْ؟
أأنتَ الَّذي علَّلوا ... بِهِ كلَّ نفسٍ شقيَّةْ؟
أتبدو الذي ميَّزوا؟ ... أراك جديد المزيَّةْ
توحُّدُ فيك الجموعَ ... وتعتمُ بالمثنويَّةْ
أأنت بديل الَّذي ... أتى، أمْ سُيولٌ أتيَّةْ[1]؟
أجئتَ اعتِراضاً عَلَى ... رُواغِ الظُّرُوفِ الغبيَّةْ
على كبرياءِ العَصا ... عَلَى شِرْعةِ الفوضَويَّةْ
بشيراً بِما ينبغي ... وتبغي القلوب النَّقيَّةْ
بكفَّيْكَ زيتُونَةٌ ... وسِفرٌ يرى كُلَّ نِيةْ
وأرضٌ ربيعيَّةٌ ... وَبَحرٌ كظهْرِ المَطِيَّةْ
ومحبرةٌ ناهدٌ ... وقيثارَةٌ عبقَريَّةْ
فَمِنْ أيِّ إيماضةٍ ... طَلَعتَ وضيءَ السَّجيَّةْ؟
كمعجزةٍ مِنْ هُدَىً ... كأسطورةٍ شاعِريَّةْ
كمشروعِ قَلْبٍ لَهُ ... على قلبِهِ الأسْبقِيَّةْ
كَبدءٍ مِنَ المُنْتَهى ... ومِنْ قَبلِ بدْءِ البريَّةْ

۞ ۞ ۞

(١) السيول الأتية: التي تأتي على ما في طريقها وتجترف ما حولها

تخاييل

1988م

أَسكتِ الهاجساتِ فيك قليلا
واسترخ منك ضحوةً أو أصيلا
كُلَّ آنٍ تغلي وحيداً، كآتٍ
مِنْ رحيلٍ ومستهِلٌ رحيلا
حاسياً ما يعي مرورَ الثَّواني
مستنيلاً حنينَها أو مُنيلا
تَنْشدُ المستحيلَ تلقاه حُلماً
هل تُغنِّي كي تملكَ المسْتَحِيلا؟
ولماذا تحيلُ دمعَكَ صوتاً؟
كان صوتاً في القلب يخشى المسيلا

للمراعي تصغي وتحكي؛ فتبدو
والمراعي (بثينةً) و(جميلا)
تعرف الطيرُ أنَّ للأرضِ سِرّاً
ولذا تُنبتُ الكَلا والنَّخِيلا
تُلفتُ الذكرياتِ شَوْقاً، لِماذا!
هل تحبُّ (النبيذَ) كَرْماً ظليلا؟

أَوَما كانَ في العناقيدِ أصْبى؟
هل تراهُ في الكأسِ شَيْخاً ضَئِيلا؟

لست ترضى أن يصبحَ الشَّوقُ ذِكْرَى
فتُسمِّي العطورَ زهراً قتيلا

هَلْ ستدعو تحوُّلَ القمحِ ذبحاً
حين يحتاجُ مخبزاً وأكِيلا؟

كان أنقَى بدونِ خَبْزٍ وأكلٍ
هَلْ رأيتَ النَّدَى يحولُ غَسِيلا؟

*

كَمْ إلَى كَمْ تَغُوصُ فِيكَ وتَطْفُو
باحثاً عَنْكَ جائلاً ومُجِيلا؟

مُسْتَعِيداً أصالةَ الأصلِ منهُ
آبياً ظِلَّه عَلَيهِ دَلِيلا

مازجاً فيكَ سائِلاً ومُجيباً
طالباً منكَ فيكَ عَنْكَ بديلا

خارجاً منك، مُدخلاً فيك أشْقَى
كي تُوافي على الدَّخيلِ دَخِيلا

طامعاً أن تظَلَّ فيك غريباً
لا يُصافي فيكَ النُّزولُ النَّزِيلا

يدخلُ اليوم فيكَ يطبخُ لَيْلاً
يَخرجُ اللَّيلُ مِنْكَ يوماً كَحِيلا

كـــلُّ هـــذا أدعـــى لـــعَـــزفِ احـــتـــراقـــي
قـــبـــل أَنْ أَدخُـــلَ الـــســـكـــوتَ الـــطَّـــويـــلا

* * *

كـــلَّ آنٍ تُـــمـــيـــلُ فـــيـــكَ الـــقَـــوافـــي
فَـــمـــتـــى ســـوفَ تَـــرتَـــوي كَـــيْ تَـــمِـــيـــلا؟

أتـــرانـــي مُـــوظَّـــفـــاً عـــنـــدَ قَـــلْـــبـــي
فـــتـــظُـــنَّ الـــصـــواب أَنْ أســـتَـــقِـــيـــلا!

فـــاقـــداتُ (الـــهَـــدِيـــلِ) يـــبـــكـــيـــن فـــرداً
أنـــتَ تـــبـــكـــي فـــي كُـــلِّ آنٍ هَـــدِيـــلا[1]

لـــي خـــلـــيـــلٌ فـــي كـــلِّ مـــثـــوَىَ ومـــهـــوَىَ
مـــذْ تَـــخَـــيَّـــرتُ كُـــلَّ قـــلـــبٍ خَـــلـــيـــلا

❁❁❁

(1) الهديل: جاء في الأساطير العربية أن أبا الحمائم كان يسمى الهديل وأنه مات في سفينة نوح فتوارثت أجيال الحمائم النوح عليه وتسمَّت بنات الهديل لكثرة نوحهن عليه. وإلى هذا نوّه أبو العلاء المعري في داليته الشهيرة:

يـــا بـــنـــات الـــهـــديـــل أســـعـــدْنَ أو عِـــدْ
نَ. جـــمـــيـــل الـــعـــزاءِ لـــلإســـعـــادِ
أيـــه لـــلّـــهِ دَرُّكُـــنَّ فـــأنـــتُـــنْ
الـــلـــواتـــي تُـــحـــسِـــنَّ حـــفـــظَ الـــودادِ

غير أن بعض المعاصرين يخلط بين الهديل (أبي الحمائم) وبين الصوت فيعتبر الهديل أنه الصوت وهذا غير صحيح، فأصوات الحمائم تسمى: تهدار وبغام وتحنان وصداح وليس هديلا

شُبّاك على كَهانة الرِّيح

1987م

أكنتَ الدُّجى والآن يدعونك الضُّحى؟
تُرى أينَ أودعتَ العكاكيزَ واللُّحَى؟

كأشياخ يأْجوجٍ سريتَ وبعدما
أشبتَ غرابيب الرُّؤى جئتَ مُصبحا

وكانتْ لك الأوجاعُ مسرىً ومهجعاً
فهل ترتديها الآنَ ريشاً مُمذرحا[1]؟

تأَهَّبتَ، تبدو غير منْ كنتَهُ، فهل
تبدَّيتَ، مِمَّا كنتَ أصبى وأملَحا؟

أيُبديكَ تبديلُ الجلابيبِ ثانياً
وما أثبتَ الثَّاني ولا الأوَّلُ انمحى؟

أليس الضُّحى غيري؟ وهل أنت غيرُهُ؟
وأيُّكما الثاني مِنَ الأوَّلِ انتحى؟

أما كلُّ إصباحٍ إلى اللَّيلِ ينتمي؟
أمَن أرَّخوا (قيساً) أضاعوا (الملوَّحا)؟

إذا قلتَ وافى منك ما بالُهُ انثنى
إليك. أدَوْراتُ المواقيتِ كالرَّحى؟

---

(1) ممدرحا: مكوناً من المادة والروح.

يخالكما الرَّائي (جحاً) رابعاً، أتى
فمن منكما المسمارُ؟ من منكُما جُحا؟

تطاولتَ ليلاً للخفافيشِ مسرَباً
تحوَّلْتَ صُبحاً للخفافيشِ مسرحا

تكشَّفتَ أغبى مِنْ شُروقِي وعتمتي
- سماعي يرى للصوتِ عشرِينَ ملمحا

وهلْ ينظرُ المصغي ملامح صوتِه؟
أما آن دَوْري كي أقولَ وتشرحا؟

خفافيشُ هَذا الوقتِ، يا ابْني هي الَّتي
تصوغُ لها الأوقاتِ. أَدجى وأوضَحا

وتحتلُّ أدراج القُلُوبِ ولا تَعي
فتستعملُ الأجفانَ ملهًى ومسْبحا

تُحيل الشظايا حولها نصف أعينٍ
وترخي عليها الشمسُ شعراً مسرَّحا

لَها في الضُّحَى ليلٌ موشًى وفي الدُّجَى
صباحٌ كسُورِ السِّجنِ أصحو وما صحا

أليس الضحى المجلوبُ أدفنَ للضُّحى؟
أليس الدجى المصنوع لليلِ أذبحا؟

ألا تجتلي تلك القناديلُ، تزدهي
كما يشتهي عِيُّ اللِّسانِ التبجُّحا؟

وتــرنــو كــأمِّــيٌ تــوظَّــف كــاتــبــاً
تُــنــقِّــحُ فــي وجــهــي كــتــابــاً مــنــقَّــحــا

أَلــســتَ تــراهــا فــي حُــلاهــا كــمــومــسٍ
تــجــاريَّــة الإيــمــاضِ تــغــري لــتــربــحــا؟

تــعــاف الــبــيــوتَ الــواطــيــاتِ لأنــهــا
أعــفُّ يــداً مــن أن تَــلِــص لــتــمــنــحــا

إلــى كــلِّ جــلاّدٍ تــمــدُّ شــفــاهَــهــا
فــيــوحــي إلــيــهــا أن تَــعــضَّ وتــلــفــحــا

وتَــهْــدي كــلابــاً طــوَّرتْ مِــنْ نُــبــاحِــهــا
وآخــتْ بــدائــيِّــيــنَ أدنــى وأنــبــحــا

عــلــى الــشــعــب عــيــنــاهــا وفــحــمــةُ قــلــبِــهــا
تــحــابــي عــلــى الــسفّــاحِ مَــنْ كــان أســفــحــا

تُــريــك نــهــاراً أصــفــراً، تــنــهــشُ الــدُّجــى
فــيــســري كــزنــجــيٌ يــدبُ مــجــرَّحــا

وتُــبــدي لــك الــتــلــفــازَ شــيــئــاً كــأنَّــهُ
رمــادٌ تــشــاكــى أو ضــريــحٌ تــنــحــنــحــا

فــطــنــتُ لــمــاذا أنــت تــجــري مــقــوّســاً
ومــا بــال بــســتــان الــمــجــرّاتِ صــوَّحــا

أُحِــســكَ مــحــنــيّــاً. أأنــتَ تــحــسُّــنــي؟
أنــوءُ بــأثــقــالــي وحِــيــداً مُــقــرَّحــا

ألــيــس الَّــذي تَــطــهُــوهُ أتــراحُ قــلــبِــهِ
يُــصــافــي الَّــذي يــلــقــاهُ أشْجَــى وأتْــرحــا؟

تَــرَى كــلَّ وقــتٍ صــنــعــةً بــل بــضــاعــةً
وأخــشــى عــلــيــهِ أن يــبــورَ فــيُــمــســحــا

وألــمــحُ مِــنْ تَــحْــتِ الــتــزاويــقِ والــحُــلــى
عــجِــيــنــاً بــأنــيــابِ الأفَــاعــي مُــلــقَّــحــا

وهــذي الــنَّــوادي والــدَّكــاكــيــنُ والــكُــوَى
كــمــغــصُــوصــةٍ سكْــرَى تُــغَــنِّــي مُــوشَّــحــا

فــقــد يــلــمــعُ الــتــمــويــهُ فــي أيِّ مَــنْــظَــرٍ
ولــكــن يُــرى فــي الــنَّــاسِ أزرى وأكــلَــحــا

ألَــيــس نــظــيــفُ الــكَــفِّ كــالــزَّهــرِ مــا بــهِ
سِــواهُ. خــبــيــثَ الــكَــفِّ يُــطْــلــى لــيــمــرحــا؟

أمــا هــان مــنْ لا يــقــبــلُ الــبــيــعَ؟ ـ راضــهُ
مــحــبُّــوهُ حــتَّــى صــارَ لــلــبــيــعِ أصــلَــحَــا

رأوْا وجْــهــهُ تَــحْــتَ الــشُّــحُــوبِ فــركَّــبُــوا
لَــهُ فــي مــكــانِ الــوجــهِ بــابــاً مــصــفَّــحــا

لأنَّ اعــتــيــادَ الــســوءِ ســهــلٌ وأهــلُــهُ
كــثــيــرٌ، تــرى الأنــقَــى أقــلَّ وأرجــحــا

إذا قِــسْــتَ بــالأمــوالِ والــمــنــصــبِ الــوَرَى
فــســوفَ تــرى الأغْــلَــى أحــطَّ وأنــجَــحــا

تُريدُ مداراً غيرَ هذا. وهل أرى
مداراً فأدعوه كسيحاً فأُكْسحا؟

خوى كُلُّ شيءٍ مِنْ مُسمَّاهُ، لا الَّذي
تَسمَّى الدُّجى أغفَى ولا الصبحَ أصبحا

لَقَد كنتُ مشكوّاً كوقتٍ، أملتَني
إلى حزبِكَ المَشْبوهِ عُضواً مُرشَّحا

وثوَّرَني كَونُ الخيانات ترتقي
وتبتاعُ مِنْ سُوقِ النِّفاقِ التَّمدُّحا

لهذا اتَّفقْنا بعد طول تجادلٍ
وصَلنا إلى الغورِ الَّذي جاشَ أضْرحا

ألمْ يبقَ سرٌّ فيكَ أرجو منالَهُ؟
ـ تعرَّى الَّذي تبغي له الفضحَ أفضَحا

❊

أقُلنا الضَّروريَّ الَّذي قالَنا؟ ـ إذا
أنمناهُ فينا لحظةً هبَّ أفدَحا

عَلينا إذا قُلنا جَرحنا لِنشْتَفي
ونُشفي ـ أجلُّ القولِ ما كان أجْرحا

على وجهِ أمِّ الريحِ ننشقُّ شُرفةً
تشمُّ كهاناتٍ مِنَ الريح أرْوَحا

أطلْنا تَشاكِينا وطوَّلَ غيرُنا
وكان الغموضُ الراعفُ الصَّمتَ أفْصَحا

أكــانَ زمــانٌ عــكــسُ هــذا؟ ـ هَــل الَّــذي
لـحـاهُ قَـدِيـمـاً شـامَ أو شـمَّ مَـن لَـحـا[1]؟

سـتَـدْعُـوهُ تـاريـخـاً وأدعـوه مَـدْفَـنـاً
يُـقـلِّـبُ سـاقَـيْـه لـجـنـبـيْـهِ مـطـرَحـا

زمـانُ الـتَّـقـاوِيـمِ الَّـتـي تـكـتُـبـونَـهـا
مـكـانٌ دَحـاهُ الـحـبـرُ واحـتـلَّ مـا دَحـا

وهـذي الأسـامـي حِـقـبـةٌ، أشْـهُـرٌ، غَـدٌ
ـ كـكـل مُـسـمًّـىً ـ تَـرتَـجـي أنْ تُـصـحَّـحـا[2]

أتـدري كِـلانـا دائـبٌ نَـحْـو غـايـةٍ
تُـرى أيُّـنـا أهـدى إلـيـهـا وأكـدَحـا؟

إلـيـكَ يـدي، نـرمـي بِـنـا كُـلَّ بـقـعـةٍ
ونـنـهـدُّ حـفـراً عـن صِـبـاهـا لـتـفـرَحـا

مِـنَ الـبـدْءِ نَـأْتـي أو إلـى الـبـدءِ نـنـثـنـي
نَـحـولُ نـجُـومـاً تـنـظـرُ الأَرْضَ أفْـسَـحـا

كِـتـابـاً كـعـشـقِ الـضَّـوءِ يـقـرأُ نـفـسَـهُ
ويُـغـصِـنُ أعـيـاداً ويَـهْـمـي تـفـتُّـحـا

❂❂❂

(1) شامَ: نظر المكان أو الإنسان من بعيد.

(2) حقبة: الحقبة ثمانون عاما.

نموذج
رجالي.. في قصة امرأة

1989م

تـمَّـتْ مـواصـفـةُ الـبـطـلْ مِـنْ كـلِّ وجـهٍ فـاكـتـمـلْ
فَـطِـنُ الـتـقـصِّـي ذاهـلٌ عـنـه وديـعٌ كـالـحَـمَـلْ
لَـبِـقُ الـحِـوارِ تـشُـمُّ مِـنَ أقـوالِـهِ مـا لَـمْ يُـقَـلْ
وتـخـال تَـحْـتَ هُـدوئِـهِ شـيـئـاً كـألـسـنَـةِ الـشُّـعَـلْ
يـعـلـو عـلـى نـزقِ الـصِّـبـا وعـلـى الـوقـارِ الـمُـفْـتَـعَـلْ

* * *

لاقـتْـهُ طـالـبـةٌ عَـلَـى خـجَـلٍ، فـحـيَّـاهُ الـخَـجَـلْ
هـمـسَـتْ: جـمـالُ الـمـنـتـهى مِـنْ حُـسـنِ وجـهِ الـمُـسـتـهَـلّ
وَمَـشَـتْ. أأَصْـحُـو، نـلـتُ مِـنْ أحْـلَـى فـمٍ مـا لَـمْ يُـنَـلْ؟
وهَـفـا يـصـافـحُ كـاتِـبـاً بـيـديـه (ديـوانُ الـهَـبَـلْ)
طُـوبَـى ظـفـرتَ بِـنَـيْـلِـهِ حـاصَـلْـتُـهُ حـتَّـى حَـصَـلْ
الـمـنـعُ أمـهـرُ نـاشِـرٍ فـتِّـش، ولـكـن لا تَـسَـلْ
وأشـاقَـهُ شـيـخٌ لَـهُ كـتـبٌ حَـوَتْ أهـلَ الـنِّـحَـلْ
حـيَّـاهُ.. مـالَ كـأنَّـه عَـمَّـنْ يُـحَـيِّـيـهِ اشْـتَـغَـلْ
أأخـفْـتُـهُ؟ يـا لَـلأسَـى أمْ ذاكَ مِـنْ طِـيـنِ الـوَجَـلْ؟
مـا قـيـل خـافَ أَبـي ولا فـي غـيـرِ مـقـبـرهِ اعْـتَـزَلْ

وهُنا أدارتْ غُصْنَهُ نظراتُ بائعةِ البصلْ
في غورِ عينَيْها ضحىً ساهٍ كإيماضِ الطَّفَلْ[1]
ماذا تملَّى ناظري؟ وبأي خدَّيْنِ اكتحلْ؟
واستعجلَتْهُ حديقةٌ نَفَثَتْ لَهُ أمراً جللْ
مطرُ الأوانِ يُميتُ إنْ ولَّى ويقتلُ إن هطَلْ
قذَفَ البيوت ببعضِها أرَمَى بقصرٍ معتقلْ؟

* * *

لا تزوِ عنّي، أبتغي بأبي وأزواجي بدَلْ
أفقدتَ بيتاً؟ منزلي ماذا، وأين، متى، وهلْ
أوْمَتْ سفرجلةٌ إلَى عينَيْهِ. حدَّقَ وابتَهَلْ
وكأنَّها قالتْ لَهُ مَلَّيتُ بستاني ومَلّ
خُذْني إلى الوادي، إلَى سربيْنِ مِنْ طَيرِ الحَجَلْ
سألتْهُ مشمشةٌ: متى وافى؟ ومِنْ أينَ ارتَحلْ؟
ما بالُهُ ذاوٍ؟ أمِنْ عشرين يوماً ما أكَلْ؟

* * *

وأَشارَ شبَّاكٌ إلى خَدَّيْهِ، كالطِّفْلِ انفعَلْ
ورَنا إلى خطواتِهِ بابٌ فمرَّ على مَهَلْ
يطأُ الرَّصيفَ مفكِّراً فيهِ كَمنْ يَرْقَى الجَبلْ
يُصْغي يُسائِلُ صامِتاً: مَنْ ذا يرى؟ ومَنِ انتَقلْ
ماذا اضمحَلَّ؟ وما الَّذي في صُلبِ والدهِ اكتَهلْ؟
يطْوي الجريدَةَ قائِلاً بي عَنْ تَفاهَتِها كَسلْ

(1) الطَّفَل: لحظات غروب الشمس.

ويُحِسُّ أيَّةَ دَمْعَةٍ دمهُ مِنَ القلبِ انهَملْ
ويرى ذبولَ شُجَيرةٍ يرمي يَديْهِ بالشَّلَلْ
يتلُو الملامحَ مِثلَ مَنْ يتلُو كتاباً مختَزَلْ
ويساجلُ الشمسَ الخُطى ويُهازِجُ الطيرَ الزَّجَلْ
تُحتلُّ كُلُّ بِلادِهِ مِنْ قلبِهِ أزعَى مَحَلّ

*

قَلِقُ الغُمُوضِ كأنَّهُ خبرُ انقلابٍ مرتَجَلْ
كمنجِّمٍ يُفضي بِهِ (سعدُ السعودِ) إلى (زُحَلْ)[1]
عالي الجبينِ يَزينُهُ أنفٌ وشيءٌ مِن حَوَلْ
وكَأنَّ تحتَ جُفُونِهِ ألَق المُحالِ المحتَمَلْ
يبدو كمشروعٍ إلى أجَلٍ، أتى قبلَ الأجَلْ
هَلْ أعجلتْهُ قضيَّةٌ كبرى، فَهَبَّ على عَجَلْ؟
هذا المُلبِّي ليس مِنْ زَمنِ التَخابُلِ والخَبلْ
ما سرُّ قوَّتِهِ؟ وفي أيِّ البراكِينِ اغتَسلْ؟
لِمَ لا أُخمِّنُ سِنَّهُ؟ عشرينَ، أعلَى، بل أقَلّ
كَهْلُ الدِّرايةِ والنُّهَى في عُنفُوانِ المقتبلْ
سبق التخرُّجَ، كَمْ فتَىً حلَفُ التخرُّجُ ما دخَلْ

* * *

يقوَى عَلَى حَمْلِ الَّذي يُفْني، يخفُّ بِما حَملْ
يَرْقَى إذا ساءلْتَهُ بمنِ احتَفَى؟ لِمَنْ احتفَلْ؟
أأتَى يُغنِّي أمْ أتَى يَبْكي ويسْتَبكي الطَّلَلْ؟

---

(1) سعد السعود وزحل: نجمان متباعدا المدار.

لِمَ لا يغشُّ كغيرهِ ... جِدَّ الكوارث بالهزَلْ؟
ويُعيدُ معنى حِكْمَةٍ ... في كَثرةِ القَولِ الزَّلَلْ

* * *

في صوتِهِ ضوءٌ وفي ... عينيْهِ شَمْسٌ مِنْ أمَلْ
لِخُطاهُ لَحْنُ قَصِيدةٍ ... خضراءَ مِنْ (بَحْرِ الرَّمَلْ)
غَرِدُ الشَّبيبَةِ، وجهُهُ ... مرقَى خيالاتِ القُبَلْ
ولِزيمُ همٌ في اللَّظَى ... غنًّى وفي الثَّلجِ اشتَعَلْ
ووحيدُ أرملةٍ لَها ... أذكَى أساليبَ الغَزَلْ
ولأمِّهِ أمسى أباً ... ولجيلِهِ أعلَى مثَلْ
يَصْبُو إلى الأجدَى بلا ... مَلَلٍ، بلا قتلِ المَلَلْ
يَرْعى الصَّداقَةَ صادِقاً ... يهوى النَّقاوَةَ والعَمَلْ
ومِن التَّجَادلِ يبتَغي ... وجهَ الحقيقةِ لا الجَدَلْ
في كلِّ مكتبةٍ يُرى ... يَبْتاع أحدثَ ما نَزَلْ
يَبْغي الكتاب مُعاصِراً ... ويحبُّ أشْعارَ الأُوَلْ
يحسُو التفلسُفَ كالنَّدَى ... وفَمَ القصائدِ كالعَسَلْ
ويعبُّ كلَّ سياسةٍ ... كُتُباً ويبصِقُها دُوَلْ
ويقول: أيُّ مؤلِّفٍ ... أطرى التعسُّفَ والخَطَلْ؟
أو صاح: لا مُتَطرِّفٌ ... يبقى وعاشَ مَنِ اعتَدَلْ
نَظَريَّةُ الحكمِ الَّتي ... كُتِبتْ، سِوَى حكم الحِيَلْ
أوَما لكُلِّ مسلَّطٍ ... مَنْ يرقُصُونَ إذا قَتَلْ؟
ويطبِّلُونَ إذا هَذَى ... ويصفِّقون إذا سَعَلْ

بطلُ الظُّروفِ إذا سخا عَجَنَ المَكينةَ بالجَمَلْ
ولكلِّ أمرٍ عكسُهُ ولكلِّ ظاهرةٍ عِلَلْ

هذا الفتى يمشي كَما يَمشي ربيعٌ مِنْ مُقَلْ
يُنبي يفسِّر ما اختَفَى يهدي إلى مثوَى الخَلَلْ
ويرَى المكاتِب ترتئي بعيونِ رأسٍ مُنْتَحَلْ
يروي تواريخَ الضُّحَى والشُّهْبِ مِنْ بدءِ الأزَلْ
يبكي عَلَى منظومةٍ غربَتْ ومِنْ تالٍ أطَلّ
ويقول: ما بالُ الَّذي يأتي يُحبِّبُ ما أفَلْ
ويُضيف: يا طوفانُ هَلْ يخشَى الغَريقُ مِنَ البلَلْ؟
وبكلِّ حرفٍ مَرَّ مِنْ شَفَتَيْه سِفْرٌ منتَخَلْ

ماذا أُسَمِّيهِ؟ وهَلْ رضْوانُ أَوْ حسنٌ أدَلّ؟
ليكونَ أمراً واقعاً أدعوه بِشْراً أو جذَلْ
يا تسمياتُ أحسهُ مِنْ كلِّ تسميةٍ أجَلّ
مَنْ أنتَ؟ لستُ منجِّماً لا اسْمي أجاب ولا سأَلْ
حَسَنٌ تبيّنتُ اسْمَهُ (محوُ الوجودِ المبتَذَلْ)
والآن أنهي قصَّتي قلبي بعينيهِ اتَّصَلْ

❂ ❂ ❂

ذات الجرَّتين

ديسمبر 1986م

هُـنـا وهُـنـا مِـرْآتـهـا، أيـنَ مـرآهـا؟
أهـذا تـجـلِّـيـهـا عَـلَـى شـوقِ مـجـلاهـا؟

هُـنـالـكَ إيـمـاضٌ يـحـاكـي ابـتـسـامَـهـا
ويُـدْعـى مـحـيَّـاهُ رسـولَ مـحـيَّـاهـا

* * *

أيـا ذا الـمُـضـاهـي وَجْـهَـهـا، أيـن وجـهُـهـا؟
عـرفـنـا الـمُـضـاهـى قـبلَ عِـرْفـانِ مَـنْ ضـاهَـى

لِـمـاذا تُـزَجِّـي وَمْـضَـهـا عـن جـبـيـنِـهـا
وعـن فَـجْـرِهـا الـريَّـانِ تـبـعـثُ ريَّـاهـا؟

ألـيـسـتْ هـي الـمـنـشـودةُ الـبُـغـيـةُ الـتـي
إلـيـهـا يـبـاري الـقـلـبُ عـيـنـيْـهِ تـيَّـاهـا؟

لِأنـفـاسِـهـا طـعـمُ الـخـطـورة، لاسْـمِـهـا
ذكـورةُ أنـثـى، غَـلْـمـنَ الـقـدُّ أُنـثـاهـا

أمَـدُّ مِـنَ الـتـاريـخِ قـامَـةُ حُـلْـمِـهـا
وأغـمـضُ مِـنْ لـمـحِ الأسـاطـيـرِ مَـرْمـاهـا

وأنـضـرُ مِـنْ وهـجِ الـدِّمـاءِ عـلـى الـحَـصَـى
تـهـاتُـفُ نـهـدَيْـهـا وتـرقـيـصُ مَـجْـراهـا

هُنا عِطْرُ مَسْراها، فأينَ الَّتي سرتْ
أما هذهِ الأزهارُ أخبارُ مَسْراها؟

أيا آسُ، يا ريحانُ، مَنْ مرَّ مِنْ هُنا؟
- صنوبرةٌ مثلُ الهَزارَيْنِ عيناها

على ورقِ الكاذِي[1] حفيفُ قميصِها
طريٌّ كأحلامِ الفتاةِ ونجواها

ومِلءُ كؤوسِ الوردِ لونُ نِطاقِها
أحالتْ، ولا تدري غصُوناً وأمْواها

* * *

أصغِ يا رفيقي، إنَّني أسمعُ الرُّبا
- وهل أخبرَتْ عيسى وأفضتْ إلى طهَ؟

- سمعتُ أبي عن جَدِّهِ: أنَّ للرُّبَا
عيوناً بأغوارِ الحَنايا وأفواها

أَما اغتسلَتْ في ذا الغَديرِ؟ إخالُهُ
يُغمغِمُ: ما أشْذَى شَذاها وأنقاها؟

كرائحةِ (العُنْصِيفِ)[2] تَطْوِي بإبطِها
وصيَّةَ عرَّافٍ إلى الكهفِ أضْباها

ونَقَّشَ خدَّيْها بلونِ يَمامَةٍ
وأغصانِ زيتونٍ فأورَقَ خدَّاها

---

(1) الكاذي: شجرٌ طيِّب الرائحة، يتخذ اليمنيون رؤوس أغصانه زينة ويتهادونه في المناسبات السارة.

(2) العنصيف: نبات خريفي طيب الرائحة، ولعله نبت خاص باليمن.

علـى وجـهِ ذاكَ الـسَّـفـحِ مـنـهـا حِـكـايَـةٌ
يـقـوم يـؤدِّيـهـا، ويـعـيـا فَـيـنـسـاهـا

ويـسـتـلـفـتُ الـتَّـلَّ الـمُـحـاذي أنـيـنُـهُ
كـمـا يُـشـرِكُ الأوَّاهُ فـي الـشـجـوِ أوَّاهـا

وفـي بـالِ هـذا الـرَّوضِ عَـنـهـا قـصـائـدٌ
رواهـا إلـيـهـا الـطَّـلُّ والـطِّـيـبُ غَـنَّـاهـا

وعُـشٌّ يُـصَـوْصـي: مـا أجـلَّ الَّـتـي غَـدَتْ
وغُـصـنٌ يـنـاجـي: يـا نـدى مـا أُحـيـلاهـا

وتـلـك أسـامِـيـهـا. هُـنـاك وهـاهُـنـا
تُـنـادي بـلـمـحِ الـلَّـونِ: أيـنَ مُـسـمَّـاهـا

أمـا كـانَ يـدعـوهـا (سُـهـيـلٌ) (سُـهـيـلـةً)
وتُـلـبـسُـهـا أُمُّ الـثُّـريَّـا ثُـريَّـاهـا؟

ألـيـس الـخُـزامـى والـدَّوالـي إزارَهـا؟
ألـيـستْ نـجـومُ الـصـيـفِ أحـداقَ مَـغـنـاهـا؟

أمـا هـذِهِ الآفـاقُ بـسـتـانُ حُـسـنِـهـا؟
وإيَّـاه كـانـت.. كـيـف يـبـدو كـإيَّـاهـا؟

تُـسـائـلُ عـنـهـا كـلُّ جـمـرةٍ ومـضـةٍ
مـتـى شـاهَـدتْـهـا أو رأتْ مَـنْ رأى فـاهـا؟!

وأيُّ أصـيـلٍ حـيـنَ ودَّع ضَـمَّـهـا؟
وأيُّ نـسـيـمِ آخـرَ الـلـيـلِ حـيَّـاهـا؟

متى قَبَّلتْها الشمسُ آخرَ قُبلةٍ
وحنَّتْ بيسراها يديْها ويُمناها؟

وقالت: تجلَّتْ مِنْ بعيدٍ قوامَها
بدونِ دليلٍ مِنْ تأرُّجِ مشواها

* * *

وما غايةُ التَّسآل عنها؟ أما لها
فمٌ في تناديهِ حقيقةُ مَعناها؟

وماذا يرى اللاَّهونَ عنها سوى اسْمِها
وترقيعِ طرفيْها بأطرافِ ذكراها؟

لها خبرٌ في الصَّمتِ مَنْ ذا ينثُّهُ
سوى صبحِها الذَّواي وصفرةِ مَمْساها

تهمُّ الثَّواني أَنْ تقولَ فتنطَوي
فتُبدي الَّذي تَطْوي غرابةُ فَحْواها

* * *

أشارَ أصيلٌ: حيث شعَّتْ تغيَّبتْ
وأبقتْ لَها منها قِياساً وأشباها

وقال ضحَىً: لم تَأْتِ مِنْ يومِ أغرَبتْ
لكي تشْتَري مِنْ سوقِ بيَّاعِها الجاها

وأخبر صبحٌ: أوغَلتْ في جذورِها
لتأتي قُبيْلَ الصَّيفِ مِنْ غيرِ مأتاها

وقــال حَـشـاهـا: فـيـه تـاهَـتْ، ووجْـهُـهـا
حـنـيـنـاً إلـيـهـا تـاهَ فـيـهـا لـيـلـقـاهـا

ومـاذا أشـارَ الـسِّـرُّ؟ قـال: يـشـمُّـهـا
ويـهـمـسُ: مـا أدنـاهُ مـنـهـا وأنـآهـا

◉◉◉

سيؤون
تورق من قلب الصاعقة

إبريل 1989م

أمِـنْ حـرائِـقِ الـحِـمَـى إلـى قـتـيـلـةٍ بـمـا
أمِـنْ لَـظَـى الأرضِ إلـى إغـراقِ وابـلِ الـسَّـمـا
عـظـائِـمُ الأحـداثِ لا تـخـتـارُ إلاَّ الأعـظَـمـا

* * *

سَيؤون[1] ما أَغرَى (الحَيا)[2] فـانـصَـبَّ فـيـكِ مُـغـرَمـا
مُـعـانِـقـاً، مـقـبِّـلاً فـي كـلِّ عُـضـوٍ مَـبـسَـمـا
يُـعـطـي يـديْـكِ قـلـبَـهُ كـأسـاً ويـحـتـلُّ الـفَـمـا
هـل طـاشَ مِـن سُـكْـرِ الـهَـوَى فَـمـا وَعَـى كـيـفَ انْـهـمَـى؟
ولا دَرَى مَـنْ ذا رمـى بـهِ، ولا كـيـفَ ارتَـمَـى
ولا إلـى أيـنَ ولا مِـن أيـنَ. يـغـدُو كـيـفَـمـا.
مُـشَـعَّـبـاً، مـشـعَّـبـاً، مُـحـمْـحِـمـاً، مُـدمـدِمـا
مُـلـمـلِـمـاً أشـتـاتَـهُ مـشـتِّـتـاً مـا لـمـلَـمـا
لَـهُ ثـلاثـونَ فـمـاً وأربـعـونَ مِـعـصَـمـا
وألـفُ ثـديٍ سـاكـبٍ حـدائـقـاً وأنـجُـمـا

---

(1) سيؤون: إحدى مدائن محافظة حضرموت في الشطر الجنوبي من اليمن، وكانت أشد بقاع المنطقة تضرراً من كارثة الأمطار والسيول التي هطلت آخر شتاء 1989م.
(2) الحيا: من أسماء الغيث الذي يحيي الأرض.

بـالـغَـورِ يـطـوي الـمُـنـحَـنَـى يـلـوي الـثـلالَ الـجُـثَّـمـا
يـلـهـو بـكـلِّ صَـخْـرةٍ لـهـوَ الـصَـبـايـا بـالـدُّمَـى
يُـصـبـي الـمـنـابـتَ الَّـتـي تـحـتَ الـشُّـحـوب نُـوَّمـا

＊ ＊

مِـنْ كـلِّ فـجٍّ أقـبـلَـتْ فـيـهِ الـجِـبـالُ عُـوَّمـا
والـرَّاعـداتُ رُكَّـضـاً والـمـبـرقـاتُ حُـوَّمـا
كـمـعـتـدٍ يـطْـوي عـلـى ضـلـوعِـه مـتـيَّـمـا
يـغْـشَـى (الـمـكـلاَّ) أغـبـراً يـعـلُـو (شِـبـامَ) أسـحَـمـا
أجـاء يُـحـيـي، أمْ أتَـى يـرمـي الـبـيـوتَ أعـظُـمـا؟
كـان غَـمـامـاً راحـلاً مـا بـالُـهُ تـحـضـرَمـا؟
أبـاعِـثـاً خـصـوبـةً أم نـاشـراً تـيـتُّـمـا؟
مِـنْ حـسـنِـهِ فـي الأرضِ، أن يُـفـوْضـي الـمـنـظَّـمـا
أن يـكـسـرَ الـمُـعْـوَجَّ، أن يُـعـوِّجَ الـمُـقَـوَّمـا
فَـكُـلُّ وسـمـيٍّ إذا عـتـا أجـاد الـمـوْسِـمـا[1]
مِـنْ أيـنَ أقـدَمَ الـرُّبـا وكـالـمـحـيـطِ أقـدَمـا؟
وردَّ عـاداً يـبـتَـغـي (تـيـمـا) ويـغـزو(جُـرهُـمـا)
يـلـقـى الـنَّـخِـيـلَ دارعـاً والـزنـجـبـيـلَ مُـغـلَـمـا[2]
يـمـرُّ بـالـحِـنَّـا كَـمَـنْ يُـقـلِّـمُ الـمُـقـلَّـمـا
ألا يُـحِـسُّ؟ هَـلْ جَـرَى مـخـيَّـراً أو مُـرْغَـمـا؟

---

(1) الوسمي: هو مطر آخر الشتاء وأول الربيع ويسميه اليمنيون (الربعي) لأنه نادر الحدوث ولأنه رابع مطر منتصف الربيع والصيف والخريف.

(2) مُغلَما: هو المحارب المكشوف الرأس والصدر وهو عكس الدارع الذي يلبس درعاً للقتال.

وأنَّ عُـنـفَ سـيْـلِـهِ أردى هُـنـا وأيَّـمـا
وأنَّ لِـيـنَـهُ قـسـا وبـالـنُّـعـومـةِ احـتَـمَـى
وأنَّ فـي دويِّـهِ سـرّاً صـمـوتـاً مُـفـعَـمـا
أشـمُّـهُ حـقـيـقـةً أجُـسُّـهُ تَـوهُّـمـا
يُـمـيـتُـنـي تَـقَـحُّـمـاً أُمِـيـتُـهُ تَـفَـهُّـمـا
يـقـول: ذُبْ مـسـتـسْـلِـمـاً أقـولُ: بـل مُـشْـتَـلِـهِـمـا
إذا اتَّـسـمـتَ بـالـقُّـوى فـإنَّ لـي تـوسُّـمـا
تـبـكـي ضَـجِـيـجـاً مـثـلَـمـا أبـكـي أنـا تـرَنُّـمـا
ألا تـجـيـبُـنـي؟ مَـتَـى كـان الـتَّـعـالـي أحـزَمـا؟
بـعـضُ الـتَّـغـابـي كـالـغَـبـا بـعـضُ الـتَّـعـامـي كـالـعَـمَـى
لِـصـوتِـهِ مِـنَ الـلُّـغَـى تـسـعـونَ صـوتـاً مُـبـهَـمـا
يـتـلـو هُـنـا مُـسـتَـغْـرِبـاً وهـاهُـنـا مـتـرجِـمـا
يـقـولُ مـا يـدري الـثَّـرَى ويُـعـجِـزُ الـتَّـكـلُّـمـا
تـخـطُّ مُـفـرداتُـهُ فـي كـلِّ سـفـحٍ مُـعـجَـمـا
تـروي الـمَـراعـي بـعـدَهُ تـاريـخَـهُ مُـنـمْـنَـمـا
مـاذا يـقـولُ صـوْتُـهُ؟ وهـل يـقـولُ؟ رُبَّـمـا
أُحِـسُّـنـي فـيـهِ صـدَىً ومِـعـزَفـاً مُـحـطَّـمـا
وشـارِعـاً مُـقـوَّضـاً ومـعـمـلاً مُـهَـدَّمـا
ألـسـتُ بـعـض (شـبـوةٍ) و(شـبـوةٌ) بـعـضُ الـحِـمَـى
كُـلُّ الـبِـقـاعِ مـسـكَـنـي لا أسـكُـنُ الـمُـرقَّـمـا

* *

(سيؤونُ) يا غسيلةً لها نقاءُ (مَرْيما)
مَنْ ذا أصاب مَغْنَماً وما اقتضاهُ مَغرَما
ما هالَ هولٌ نافعٌ ولا دَهَى ما علَّما
مآتمُ (السودانِ)، هل أهدت إليكِ مأتَما؟
كي تورقي مِن الحَشا (تيناً) وتهمي (عَندَما)[1]
كي تَركبي سيلَ الرُّبا في كلّ فصلٍ مُلجَما
لأنَّ غيثَ وقتِنا فوضى غريبُ المُنْتَمى
في الصَّيفِ يشتو، في الشِّتا يصطافُ.. مَن يدري لِما؟

* * *

قيلَ: «قتيلُ الما ولا قتيلُ حُرقةِ الظَّما»[2]
يا قيلَ، أصبحنا نرى كليْهما جهنَّما
القحط يدفنُ (الكلا) والسَّيل يشرب الدِّما
اليوم يقتاد الرَّدى مَنْ كان يحدو الأنعُما

---

(1) عَنْدما: العندم زهر شديد الحُمرة تُشبّه به قطرات الدم.
(2) قتيل الما: تضمين مثل يمني، نصّه الحرفي هكذا: (قتيل الما ولا قتيل الظمأ).
استدراك:
المكلا: إحدى مدائن حضرموت.
شبام: أحد حصونه.
شبوة: أشهر مناطقه بغزارة الأمطار.
النخيل والزنجبيل والحنّاء: من أشهر زراعة حضرموت.


الناشيء


جوابُ
العصور


الناشيء

إلى أين؟

أبريل 1991م

أمــا زلــتَ؟ شــابــتْ عِـيــالُ الــعــيــالْ
وأنـــتَ تـــلاحـــقُ وعـــدَ الـــمِـــطـــالْ

فــلا أمــكــنَ الــمــمــكِــنُ الـمُـشْـتَـهـى
إلــيــكَ ولا الــمــســتــحــيــلُ اسْــتَـحــالْ

* *

تــبــيــتُ عــلــى بــابِ ســيــنٍ وراءٍ
وتـــغـــدو عـــلـــى بـــابِ واوٍ ودالْ

وكــالــفــجــرِ فــوقَ أخـضِـرارِ الــمــروجِ
تُــســمِّــي قــوافــيــكَ (ريًّــا) (نَــوالْ)

فــيــخْــطــزنَ مــثــلَ ربــاً مــن كــرومٍ
كــعــشــقِ أمــالَ الــصِّــبــا واســتــمــالْ

ويــخــتــرنَ نــهــجــاً ويــلــبــسنَ مــنْ
شــفــافِــيَّــةِ الــغــيــبِ عــقــداً وشــالْ

وأنـــتَ تـــرى مـــنـــذ أمـــسِ غـــداً
وتــلــمِــسُ بــالــكــفِّ مــالا يُــخــالْ

وتــلــهــثُ خــلــفَ الــذي مــا ابــتــدا
وراء الـــذي جـــاوزَ الاكـــتـــمـــالْ

تُـنَـقِّـبُ عـنْ طـيـفِ عـادِ تـشـمُّ
صـدى كـلِّ مـئـذنـةٍ عـن (بـلالْ)

وتـروي عـن الـرمـلِ مـسـرى (قـصـيـر)
ومـا جـدعُـهُ الأنـفَ؟ «مـا لـلـجِـمـالْ. . »[1]

تُـنـقّـي الـمـنـاسِـبَ والـنّـاسـبـيـنَ
فـتـلـقـى الـحـقـيـقـةَ كـالانـتـحـالْ

تُـجـيـبُ (الـحـدا) أيَّ ركـب حـدث
و(خـولانُ) مَـنْ ذا دعـاهُ (الـطِّـيـالْ)

ومَـنْ حـلَّ قـبـلَ (زَبـيـدِ) زبـيـداً
ومَـنْ قـالَ (عَـمْـران) ضـاهـت (كُـهـالْ)

تـفـوتُ الـذي عَـقَـلَ الـسـيـرَ فـيـكَ
تـلاقـي الـذي لا يَـحـلُّ الـعـقـالْ

وعـن ذا وذاك تـمـيـلُ قـلـيـلاً
وتـنـهـي رحـيـلاً بـبـدء ارتـحـالْ

أيُـقْـمِـرُ أيُّ مـسـاءٍ ومـا
أتـى مِـنْ أواخـر سُـقْـمِ الـهـلالْ؟

---

(1) ما للجمال: إشارة إلى قصة المستشار قصير الذي جدع أنفه قصد التمويه واستثارتهم والذي حمّل الجمال بالمقاتلين في شكل بضائع فعرف الذي شمّ المكيدة حمولة الجمال فقال راجزاً:

مـا لـلـجـمـال مَـشْـيـهـا وئـيـدا؟
أجـنـدلاً يـحـمـلـن أم حـديـدا
أم الـرجـال جـثّـمـاً قـعـودا؟

تحمَّلتَ ستِّينَ لهفي وجئتَ
كطفلٍ يسابقهُ الاكتهالْ

ألستَ شقيقَ الرَّوابي التي
كساها النَّدى وازْتعاها الهُزالْ

كلانا كنبتِ ربيعِ الرِّمالِ
نرفُّ ارتجالاً ونذوي ارتجالْ

لماذا أتيتَ؟ لأنِّي أتيتُ
وتعليلُ هذا أمضُّ اعتلالْ

لأنَّ بقلبي بلاداً تجولُ
ومنها إليها أُعنِّي المجالْ

أفيها تُفتِّشُ عنها وعنكَ؟
لأطلالِ (ميسونَ) يبكي (طلالْ)!

يقولونَ: أدمنتَ جَوْبَ العصور
ورافقتَ أخطارَ أعلى الجبالْ

نعم كان ذاك وهذا وكان
شرابي وقوتي غباراً و(آلْ)[1]

وكنتُ أموتُ غراماً وجوعاً
وأدعو المماتَيْنِ أعلى مِثالْ

وأسْتَنْطِقُ الرِّيح ماذا رأتْ
وأَسْتَخْبِرُ السَّيْلَ مِنْ أينَ سالْ

---

(١) آل الآل هو السراب الذي يموج في القفار كالماء وليس بماء

ويسألني البرقُ: مَن أنتَ؟ هلْ
قرأتَ كتابَ انتظارِ الغِلالْ؟

ومَنْ ذا رمى بِكَ قلبَ الزّحامِ
وأطفأ في مقلتيْكَ (الذُّبالْ)؟

وكنتُ أُدنْدِنُ كالمبحِرينَ
وأكسو الأسى جُبَّةَ (الاعتِزالْ)

أُشاكي الرُّبا، وأُفدّي غديراً
يَحِنُّ ويُعطي سواه الزُّلالْ

فتهمسُ لي تينةٌ: هل أريكَ
فقيهاً يلقّيكَ بنتَ الحَلالْ؟

وكنتُ أُمنطقُ (بيعَ الحرامِ)
وباب الذي (يوُجبُ الاغتِسَالْ)

أُداجي الصِّحابَ فأدعو (حُسيناً)
(جريراً)، وأدعو (مُثنّى) (الجَلالْ)[1]

و(شيخ البخاري) يُنادي بِنا:
إلى الفقهِ.. ما الشّعرُ إلا الضَّلالْ!

وكانتْ تُسَلِّفُني الخَابِزَاتُ
ريالَيْنِ، حتى ألاقي الرِّيالْ

(1) الجلال: هو الحسن بن أحمد الجلال من علماء القرن الثامن عشر في اليمن. كان حجة في فقه رواية الأحاديث، ومن أشهر كتبه (ضوء النهار).

وكــنــتُ مــعَ الــبــدوِ أحــدو هــنــاكَ
أُغــنّــي مــعَ الــحــامــلاتِ الــسّــلالْ
أَشُــبُّ الــقــصــيــدةَ فــي (حــالــمِــيــنَ)
فــتُــمــســي بــوارِقُــهــا فــي (عُــبــالْ)

يــقــولــونَ: تُــضْــنــي (لــمــاذا) بــ(كــيــف)؟
لأنَّ سُــؤالــي جَــوابُ الــســؤالْ
يــقــولــونَ: إنْ قــلــتَ أشــمــغــتَ، إنْ
ســكــتَّ فــفــي الــبــالِ عِــشْــرونَ بــالْ
أهــذي ذنــوبٌ أُجــازى بــهــا؟
لأنّــك أدنــيْــتَ بُــعــدَ الــمُــحــالْ
أتَــمْــنَــحُ كُــلَّ صــمــوتٍ فــمــاً
إذا بــاحَ أســقــى الــرّيــاح الــصُّــيــالْ
يــقــولــونَ. هــذا الــتــظــى ثــورةً
ومــن عَــيْــبِــهِ أنَّــهُ مــا يَــزالْ!
أمــا تَــلْــكَ دَعْــوى غــبِــيٍّ نَــوَى
ومِــن قــبــلِ أنْ يــشْــتَــهِــلَّ اشــتَــقَــالْ
تــنــقُّ الــدَّجــاجُ الــتــي لا تــبــيــضُ
لــتــهــدي إلــيــهــا (ذوات الــحــجــال)[1]

---

(1) ذوات الحجال: كناية عن النساء المحجلات والحجال سوار في أسفل الساق.

تـــثــــورُ وحـــيـــداً. . رفـــاقـــي أُلُـــوفٌ
رضــعْـنــا صــغــاراً حــلـيـبَ الـنِّـضــالْ

أَمــا قــالَ: إنــطــاقُ عُـشٍّ (الــقــطــا)
قــتــالٌ، وإســكــاتُ (بــومٍ) قِــتــالْ؟

* *

تَــحــامــى قَــصــائِــدَكَ الــنَّــاقِــدونَ
وأيُّ يـــدٍ تـــلـــمِـــسُ الاشْـــتِـــعـــالْ

أَلــيــسَ (الــدَّكــاتــيــرُ) يَــخْــشَــوْنَ مَــنْ
يَــقُــولُ الــذي يَــنْــبــغــي أنْ يُــقــالْ

لــــهُـــمْ أنْ يَـــصـــونُـــوا دِمـــاءَ الـــدَّواةِ
ولـــلـــشَّـــغـــبِ أنْ لا يـــراهُـــمْ رِجـــالْ

بِــذا صُــنْــتَ فَــنَّــكَ مِــنْــهُــمْ، كَــمــا
يَــصُــونُ الــجَــمِــيــلَــةَ عُــنْــفُ الــجَــمــالْ

عــلــيــنــا أُمــورٌ نَــضَــتْــنــا لــهــا
أتُــلــهــي عــنِ الــفِــعْــلِ بــالافْــتِــعَــالْ؟

أمـــانـــيـــكَ تَـــبْـــدُو كـــمـــالـــيَّـــةً
أَتَـــســكَـــرُ والـــخُـــبــزُ أعــصــى مَــنــالْ؟

تــريــدُ الــصَّــدى قَــبــل قــرعِ الــطَّــريــقِ
دلـــيـــلَ الإِرادات ومـــضُ الـــخَـــيـــالْ

❁❁❁

جَوّابُ العُصُور

ديسمبر 1989م

مـا الـذي تـبـتـاعُ يـا (زيـد الـوصـابـي)؟
هـل هـنـا سـوقٌ سـوى هـذا الـمـرابـي؟

يـدخـلُ الـسُّـوقـانِ سُـوقـاً، يَـمـتَـطـي
(بـابُ مـوسـى) ركـبـتـيْ (سـوق الـجـنـابـي)

ورقُ الـعُـمْـلاتِ يَـغْـدو مـثـلـمـا
تـهـربُ الـحـيَّـاتُ مِـنْ ضِـيـقِ الـمـخـابـي

يَـسـقُـطُ الـمُـغْـرى عـلـى الـمُـغْـري كـمـا
يَـسـتـحـمُّ الـطـيـنُ فـي الـطـيـنِ الـمُـذابِ

لا أرى (الـشـرشـفَ) و(الـعِـقْـدَ) عـلـى
قـامـةِ (الـعُـسْـبـانِ) مـدعـاةَ اعـتـجـابـي[1]

هـكـذا قُـلْ، إنَّـمـا لا تَـقْـتَـرِحْ
عـنْ هُـدى الـتَّـمـيـيـزِ أنْ أُبْـدي مـتـابـي

سـوف تـلـقـى سبَّـهُـم، يـا لـيـتـهـم
أحـسـنـوا أُحْـدُوثَـةً، حـتـى سِـبـابـي

---

(1) العسبان: مفردها عسيب وهو خباء خنجر الرجل في اليمن وعمان، وهو مثبَت في الحزام ويجمع اليمنيون عسيب على عُسُوب، والأصح عسبان أو عُسُب على وزن كثبان وكتب. والشرشف والعقد من ملابس النساء وزينتهن في اليمن.

كلَّ يومٍ لا ترى ما ترتضي
ثمَّ تُغضي آبياً أو غيرَ آبي

* *

ذاك يا أُمّي يناجي ثانياً
وَهْوَ يمشي وحدَهُ، يُدعى اكتئابي

لا تَأَلَّفُ امرأةً نظرتُهُ
مثلَهمْ يبدو نبيّاً أو دُعابي

ها أنا أسْمعتُ حيَّيْنِ فلو
صحتُ، هل يستوقفُ السوقَ اصطخابي؟

قل لماذا جئتَ يا زيدُ إلى
هذه الأنقاضِ؟ أجْترُّ خرابي

ألريالاتُ التي تملكُها
لا تفي قرصاً وإبريقاً (رُصابي)[1]

عُدَّها، عَدَّيتُها الآنَ هنا
عند هذا السوق مَن يُحصي رَغابي؟

أُغلِنُ الحرب عليهِ في الذي
كان أحنى منه كسّرْتُ جِرابي

كنتُ في عصرِ البراءات بلا
درهمٍ أهنا طعامي وشرابي

في متاه (الشّنفرى) أذهَلَني
عن نداءِ الجوفِ دفْعي وانجِذابي

---

(1) رصابي نوع من الألبان منسوب إلى بلدة رصابة.

قـلـتُ: يـا صـحـرا خـذي جُـمْـجُـمـتـي
فـأجـابـتْ: هـاكَ لـيـلـي وذئـابـي

تـحـت بـنـدِ الـفـتـح أرضـعـتُ الـمُـنـى
أرْخَـتِ الـرّيـحُ يـديـهـا لاخـتِـلابـي

صِـرتُ عـنـد (الـيـعـفُـري) مـنـتـدَبـاً
لـلـمـهـمّـاتِ الـتـي فـوقَ انـتـدابـي

هِـمْـتُ فـي أيـام (فـيـضـي) مُـفْـلـسـاً
وبـفـلـسٍ أشـتـري مـلءَ وِطـابـي

جـئـتُ هـذا الـعـصـرَ أحـدو جـثّـتـي
لا رأى لـونـي ولا شَـمَّ مـلابـي[1]

* * *

أيـنَ يـا أرضُ الـذي تـطـويـنَـهُ
تـحـت نـهـديْـكِ؟ أشَـمَّـيـتَ اضـطـرابـي؟

فـي ثـمـانـيـنـات هـذا الـقـرنِ لا
أنـضـجَـتْ شـمـسـي ولا جـادتْ سـحـابـي

إن تـكـن بـعـضَ حـنـيـنـي فـاحـتـمـلْ
سـاعـةً عـن سـاعـدي بـعـض قِـبـابـي

مـا الـذي يـا زيـدُ قـالـت؟ أوثـقَـتْ
سِـرَّهـا الـبـاكـي إلـى قَـفْـرِ انـتـحـابـي

أشـتـهـي الآن غـداءً مـوجـزاً
حُـزْمَـةً صُـغْـرى مـن (الـقـاتِ الـرّحـابـي)

(1) ملابي: الملاب أطيب الروائح أو إنه روائح الورود والرياحين خاصة.

بَعْض تبغٍ ومقيلاً لا أرى
فيه وجهاً بين وجهي وصِحابي

هل لديك الآن ما يكفي؟ ولا
نصفُ ما يكفي ولا كفُّ لُعابي؟

استَدِنْ مِنْ (مرتضى). لاحظتُهُ
لامني حينَ تقاضاني (الحَبابي)

قيلَ بالأمسِ: قَضَيْتَ (المقْطَري)
بالذي أقرضني (يحيى المذابي)

جَرِّبِ اليومَ (هُدَى). عندي لها
خَمْسةٌ أُخرى ومخْطَوطُ (العِنابي)

قلتُ: زِيدي خَمْسةً، قَالتْ أبي
كانَ أيام (الصُّلَيْحيِّينَ) جابي

قلتُ هلْ هذا تراثي؟ ضحكَتْ
وأضافَتْ وتراثي واكتسابي

يا (وصابي) والذي يحتلُّني
وجهُهُ مِنْ داخلِي يُرْخي حِجابي

كُلَّما مَرَّيْتُ قالوا: بِنتُ مَنْ
مَنْ أبوها؟ عنبسيٌّ، بل شَوابي

يا طَريقَ البيتِ، هذا اسمي هُدَى
مَنْ هَدى، يا بِنْتَ شَغْسانَ الرَّبابي؟

أنـتَ يـا زيـدُ الـذي أشـكـيـتَـهـا
بـل شَـكَـتْ مـأسـاةَ أخـتـي واغـترابـي

* * *

ذاكَ بـنـكٌ، كُـلُّ بـنـكٍ قـالَ لـي:
فـي أكُـفِّ الـمـصـرفِ الـدَّولـي رِقـابـي
رِبـحُ دَيْـنـي وحْـدَهُ يَـرْبُـو عـلـى
دِيَـتـي. مـنْ ذا سَـيـبـتـاعُ اسْـتـلابـي؟
كَـمْ تُـريـد الـيـومَ، يـا زيـدُ اَقـتـصـدْ
عُـشْـرُ ألـفٍ بـعـضُ مـا يُـطـفـي الـتـهـابـي
بِـعْ كـتـابـاً، خَـمـسـةً.. مَـنْ يـشـتـري
أضْـحَـتِ الـبـيـضـةُ أغـلـى مِـنْ كـتـابـي
خُـطَّ عـنـوانـاً وعِـدْ (قـطـبـاً) بـه
مِـنْ يُـحـبُّ الـشَّـعـب يـأبـى أنْ يُـحـابـي
مـثـلَ (كُـتَّـابِ الـزوايـا) قُـلْ وكُـلْ
لـزوايـاهـم جِـفـانٌ كـالـجـوابـي
كـلُّـهـمْ مـتـربَـةٌ مـثـلـي، سـوى
أنـنـي مـتـربـةٌ غـيـرُ تـرابـي
إنـنـي أُبْـدِعُ مِـنِّـي عـالَـمـاً
لا تُـلاقـي فـيـهِ مـحـبـوّاً وحـابـي
لـيـس فـيـهِ أيُّ مـحـكـومٍ، ولا
أيُّ حـكـمٍ عـسـكـريٍّ أو نـيـابـي

* * *

انــتــبــهْ يــا زيــدُ، قــفْ، ســيّــارةٌ
الــمــنــايــا والــمُــنــى أخــلــى كَــعــابــي

خُــنــتــنــي يــا زيــدُ كــم أضــعــفْــتَــنــي
مُــذْ تــخــيَّــرتَ مِــنَ الــمــهــدِ اضْــطِــحــابــي

اصْــعَــدِ الــســيّــارةَ أقــعُــدْ هــاهُــنــا
لا تَــخَــفْ، مــا أنــت مــوضــوعَ ارتــيــابــي

أيَّ زيــدٍ يــا فــتــى تــدعــو؟ مــتــى؟
لا تــســل أنــت، أجــبْ.. هــذا جــوابــي

أنــت زيــدٌ فــمــن الــثــانــي؟ أنــا
أنــت تــدعــو أنــت. دع عــنــك الــتــغــابــي

رامَ إنــســانٌ قــمــيــصــي مُــشْــعِــداً
فــانــتــضــى إنــســانَ قــلــبــي مِــنْ إهــابــي

أكــمــا الــطــفــل يُــنــاغــي نَــفْــسَــهُ
كــنــتَ تــحــكــي؟ كــالــصِّــبــا وهــمُ الــتَّــصــابــي

لا تــخــفْ، مَــنْ زيــدٌ الــثــانــي؟ أفــذ
ضــدَّ هــذا الــمــخــتــفــي حــكــمٌ غِــيــابــي

أيَّ زيــد كُــنْــتَ مِــنْ أصــحــابِــهِ؟
أو حــكَــوْا عــنــهُ؟ تــكــلَّــمْ يــا انــقــلابــي

أيَّ زيــدٍ أخــبــروا عــنــهُ، ولــو
قــبــل عــشــرٍ؟ لــيــتَ إلــمــاحــي شــهــابــي

يــا أخــي، أذْكُــرُ زيــداً ثــالــثــاً
فــاســتــمـعْ صِـدْقـي وفَـكِّـرْ فـي كِـذابـي

جــاء فــي (الأحــزابِ) مــن أخــبــارهِ
خـيـرُ تـوضـيـحٍ وتـلـمـيـحٍ خـطـابـي[1]

كــان حــزبــيّــاً، صــدقــتَ الآن، قــل
أيــن ألــقــاهُ؟ فــقــد أعــيــا طِــلابــي

هــاك ألــفــيْــنِ وحــدِّدْ بــيــتَــهُ
مِـن ربـا الـتـاريـخ فـي أعـلـى الـرَّوابـي

فــي (فُــتــوحِ الــشَّــامِ) يــثــوي قــائــلاً:
رَدَّ لــي أزكــى أبٍ أصــلَ انــتِــســابــي[2]

إنَّــهُ مِــنْ (شــام هــمــدانَ) ومــا
فــي رُبــاهُ صــعــبــةٌ تَــثْــنــي ركــابــي

حَــســنــاً نــوَّرْتَــنــي، فــاذهــبْ وكــنْ
ألــفَ مــجــنــونٍ، فــقــد هِــدَّأْتَ مــا بــي

مــا الــذي أعــثــرنــي الــيــومَ عــلــى
ذلــك الــعــاتــي؟ تــبــدّى فــي ارتــقــابــي

(1) الأحزاب: إشارة إلى خبر زيد بن حارثة الذي كان يدعى (زيد بن محمد) فنهى الله عن هذه النسبة في سورة الأحزاب في آيات طويلة تقص زواج النبي بزوجة زيد عن أمر الله: (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً).

(2) فتوح الشام: كتاب من تأليف المؤرخ الواقدي وفيه خبر استشهاد زيد بن حارثة في معركة مُؤتة.

مِـن زِحـامِ الـمُـشْـتَـرى والـمُـشْـتَـري
جـاءنـي مـنِّـي ومِـنْ فـوقِ احـتـسـابـي

قـلـتُ يـا زيـدُ إلـيـهِ، شـاهـراً
قـلـبَ قـلـبـي، رامـيـاً خـلـفـي قـرابـي

قُـرْبَـهُ أزْكَـبـنـي، أزْكَـبـتُـهُ
مـنـكِـبَ الـتـاريـخِ، واخـتـارَ انـتـخـابـي

عـلَّـهُ الـيـومَ يُـمَـسّـي حِـمْـيَـراً
أو يُـبـغّـي سـبـأً: مَـن أنـت سـابـي؟

أو عـلـى (عـمـرو بـن مَـعْـدٍ) يـعـتـدي
فـيـلاقـيـهِ بـسـيـفٍ غـيـر نـابِ

أو يـحـثُّ (الأشـتـرَ): الآن اعـتـرفْ
أنـت زيـدٌ يـا أخـا الـجُـرْدِ الـكـوابـي[1]

ربَّـمـا يـسـطـو عـلـى (مـوسـى الـرِّضـا)
أو إلـى الإعـدامِ يـقـتـادُ (غُـرابـي)

أو عَـلـى (الـصـابـي) يُـوَشّـي تـهـمـةً
أنـت زيـدٌ فـي سَـجِـلِّ الـحـزبِ صـابـي[2]

وسـيـعـزو كُـلَّـمـا يـعـتـادُهُ
مـن حـمـاقـاتٍ إلـى مـرمـى صـوابـي

* * *

(1) الأشتر: ينتسب إلى نَخَع من اليمن، وكان قائد حرب (صفين) للإمام علي الذي كانت رسائله إلى الأشتر تنطوي على أعظم نظريات الحكم الصحيح.

(2) الصابي: هو أبو إسحاق الصابي من كُتَّاب القرن العاشر الميلادي.

ولعلّي واهمٌ أحسبُهُ
ينبش التاريخ عن خصمِ سرابي

هل ذرعتَ الدهرَ عَنْهُ يا أنا
وهو في مكتبِهِ يطهو عِقابي؟

يومَ لاقاني دَنا مُسْتَنْطِقاً
لونَ نبعي، وإلى أينَ انصبابي

قد ألاقيهِ غداً أو بَعْدَهُ
مستعيراً مذهبي، وجهَ ذهابي

واقفاً بين ضميري وفمي
قائلاً ما لم يَقُلْ ريقي لنابي

علَّهُ في دارِهِ الآن على
حضن أختينِ كشيطانِ غُرابي

يحتسي من كفِّ باريسيَّةٍ
أو فِلِبِّينيَّةٍ أو بنت (فابي)

علَّهُ في السِّجنِ يشوي كاتباً
أو يعشِّي كَلبَهُ أيَّ نقابي

أو بذاك الرُّكنِ يُحصي دخلَهُ:
ذا حساب المرتجى، هذا حسابي

كيف أُعطي نصفَ كَسْبي آمري
وهو ما كانَ قسيمي في عذابي

باسْمِ أمن الأمرِ، أحوي ثروتي
باسم ماذا، ينهبُ الأمرُ انتهابي؟

لستَ يا زيد الوصابي كُفْؤَهُ
بل أُقاويهِ لكي يقوى غِلابي

ابتعدْ عنهُ قليلاً، نصفُهُ
ظَهرُ بُعْدي، نصفُهُ وجه اقترابي

لا أغطِّي عَنْهُ وجْهي، إن يَكُنْ
غَسَقيّاً، فأنا لستُ ضبابي

لا أعادي شَخْصَهُ بَلْ وصْفَهُ
فهو من أرضي كأشواكِ شِعابي

* * *

كيفَ زَاد الشَّوكُ يا أرضُ على
حجمهِ؟ غذّتهُ مِنْ لحمي هضابي

علَّميني. قل لِمَنْ لا تجتني
من نباتي سوف يُجنيكَ احتطابي

من أرى؟ مَنْ قلتُ غرَّزتُ به
لستُ أخشى ذلِكَ الوجهَ الذُّبابي

إنني مِنْ قلبِهِ أقرؤهُ
وهْو يتلو عن فمي صمتَ عتابي

كم أصابتكَ قواهُ؟ قل وكم
علَّمتْني كَيْفَ أجتازُ مُصابي

قيلَ عنه، قال من أمَّنتُ مِن
جانبي أَنْبَحْتُ حولَيْهِ كِلابي

فـلـيـكُـنْ، يَـبْـتَـزُّ عـنّـي قِـشْـرَتـي
أيـنَ مـن أيـدي ضـواريـهِ لُـبـابـي؟

لـسـتَ تـدري مَـكْـرَهُ.. أحـمـلُـهُ
مـثـلـمـا أحـمـلُ تـبـغـي وثِـقـابـي

إنـهُ يـقـدرُ أنْ يـنـزعَـنـي
مـن مَـبـاتـي، ولـه عـلـمُ إيـابـي

إنَّـهُ يَـعـرِفُ زُوّاري، وكَـمْ
طـوبُ بـيـتـي، ومـتـى أُغـلِـقُ بـابـي

عِـنْـدَهُ كُـلُّ بـيـوتِ الـنّـاسِ، بَـلْ
عـنَـدهُ عـنـوانُ قـبـري مِـنْ شـبـابـي

لا أُمـاري أنَّـهُ أقـوى، فـمـا
بـالُـهُ يـخـشـى وقـوفـي وانـسـيـابـي

إنَّـهُ والٍ بـلا شَـعـبـيَّـةٍ
وأنـا داعِـيـةٌ غـيـرُ مُـجـابِ

فـلـمـاذا يـتَّـقـي صَـوتـي، كَـمـا
يـتَّـقـي صَـمْـتـي وإمـكـانَ انـسـرابـي؟

ألأنّـي عِـفْـتُ رأسـي مـالـئـاً
مـن رؤوسِ الـفـيـلـقِ الـتُّـركـي جِـرابـي

أو لأنّـي حـيـنَ مـادَتْ (صِـيـرَةٌ)
مِـن عُـبـابِ الـبَـحْـرِ أطْـلَـقْـتُ عُـبـابـي[1]

---

(1) صيرة: قلعة في (عدن) قاومت الاحتلال البريطاني في غزوته الأولى بقيادة (هنس) عام 1839م.

أو لأنّ الــخــائــريــنَ انــســحــبــوا
يــومَ (نَــجْــرانَ) وقــاتَــلــتُ انــسِــحــابــي

لا تَــخَــفْ يــا زيــدُ شــيــئــاً، ومــتــى
خِــفْــتُ، أو قِــيــلَ رَأى الــهــولُ اجــتــنــابــي

جُــبْــتُ عــصــراً بــعــد عــصــرٍ وأنــا
أنــتَ، مــا زلــتُ أنــا ذاكَ الــوصــابــي

❁ ❁ ❁

منزغ الشياطين

1991م

كـمـا يـنـفـشُ الـبـولـيـسُ مـقـصـورةَ الـبِـغـا
تـكـبُّ الـنـدى والـعـشـبَ طـاحـونـةُ الـوغـى

كـمـا يـطـبـخُ الـبـحـرُ الـمـدمّـى شـطـوطَـهُ
تُـشـوِّي حـراشـيـفُ الـوجـوهِ الـتـمـرُّغـا

كـمـا وحَّـدَ اثـنـيـنِ الـذي كـان ثـالـثـاً
أقـامَ الـذي ألـغـى وقـامَ الـذي الـتـغـى

كـمـا ابْـيـضَّ جِـنّـا الـعُـرسِ لاح الـذي انـتـقـى
عـن الـلـونِ والـوجـهـيْـنِ لـوحـاً مُـصَـبَّـغـا

* *

أمَـنْ دَغْـدَغَ الأحـلامَ، شَـظَّـى عُـيـونَـهـا
وأصـبـحَ أحـلامـاً تـنـادي الـمُـدَغْـدِغـا؟

وهـل تـلـدغُ الـحـيَّـاتُ، إلاّ لأنّـهـا
تُـلاقـي ـ كـمـا لاقـتْ مِـنَ الـبَـدْءِ ـ مَـلْـدَغـا؟

لأنَّ بـنـي (قـايـيـنَ) أضـحَـوْا عـوالـمـاً
عـلـى الأرضِ أمـسـتْ لـلـشـيـاطـيـنَ مَـنْـزَغـا

فـلا هـاهُـنـا الـراعـي الـمـغـنّـي، ولا هـنـا
تـنـاجـي الـشَّـذا والـطَّـيـرِ، لا بَـحَّـةُ الـثُّـغـا

يشيخُ زمانُ الغازِ عِيّاً ويدَّعي
بأنَّ صباهُ الغضَّ ما زالَ ألثغا

يصوغُ مِن التنقيطِ (إلياذةً) بلا
حروفٍ، ليلقى (الدَّامِغاتِ) بأدْمَغا

لماذا ينافي آخرُ الشوقِ بدأَهُ؟
لأن الذي لا ينبغي عندَهُ انْبغى

تجيءُ على أعقابِها الرِّيحُ، ترتَدي
رمادَ مُحيطٍ جفَّ مِن طُولِ ما طَغى

فتَستَفرِغُ الحيَّ الفتى مِنْ أديمهِ
وتكسو عجوزيْنِ الأديمَ المُفرَّغا

وَتَغتَمُّ ساقَيْها وتَجتَرُّ وَجهَها
وتَرمي الذي أوشى بجِذْعِ الذي لَغا

ومَنْ ذا تُثَنِّي الرِّيحُ؟ هل غير واحدٍ؟
وكان هو اللاغي وسَمْعَ الذي صَغا

* * *

هناكَ صَدَى صَوتَين، من غيرِ لهجةٍ
أمِنْ غيرِ تلقينٍ هَذى كلُّ بَبَّغا؟

أأضحى الصَّدى المشقُوقُ صوتاً مُشَقَّقاً
بحلقِ الذي يوحي يَدُسُّ المُبلَّغا

فأيُّ مكانٍ ليس يصلحُ مسلخاً
وكل مكانٍ، رُبَّما باتَ مَدْبغا؟

لأن الـثَّـرى وارى الـبـراءاتِ لا الـكَـلا
يـفـوحُ، ولا يـزقـو صـهـيـلٌ ولا رُغـا

لـيـالـيـهِ أَعـلَـتْ سـوْأتـيـهـا بـيـارقـاً
أزاغَـتْ؟ أكـان الـرَّصْـدُ مِـن قـبـلُ أزْيَـغـا؟

وتـلـكَ الـدِّيـارُ الـغـائـصـاتُ إلـى الـلُّـحـى
بـأطـلالِـهـا، هـل تـبـتـغـي أيَّ مُـبـتَـغَـى؟

إلـى صـوتِـهـا مِـنْ مـوتِـهـا تُـدخـلُ اسْـمَـهـا
تُـسـائِـل هـل تـلـقـى لـهـذا مُـسـوِّغـا

إلى كَمْ؟ إلى كمْ يا لَظَى؟ خَمْخَمَ الصدى؟
إلـى أيـن يـا نـهـرَ الـشَّـظـايـا تَـبـغْـبـغـا؟

لأنَّ حـنـايـا والـذي مـن خـرائـبٍ
فـمـن مـا بـهِ أعـطـاكِ هـذا وأسْـبَـغـا

يـقـولـون مـزمـوراتُـهُ مِـنْ دَمِ الـثَّـرى
وإنـصـاتُـهُ فـي كـل غـصـنٍ تَـنـشَّـغـا

تـقـولُ بـأعـلـى الـصَّـمـتِ: هـل جـئْـتـي أنـا؟
أهـذا الـهَـبـا (سَـعْـدي) أتـلـكَ الـحـصـى (أغـا)؟

أهـذا الـحـطـامُ الـمـرتـمـي كـانَ قـامـتـي؟
أمـا كـنـتُ قَـبـلَ الـهـدمِ هـدمـاً مـصـمَّـغـا؟

أيُـجـدي بُـعـيْـدَ الـقـتـلِ عـلـمـي بـقـاتـلـي
وأن الـذي راوغـتُـهُ كـان أرْوَغـا؟

وهـذا الـذي فـيـهِ وَلَـغْـتُ، أخِـلـتُـنـي
سـأشـهـدُهُ مـنِّـي إلـى الـقـعـرِ أوْلـغـا؟

هناك صدَىً، غيرُ الذي انشقَّ ينتمي
إلى لغةٍ تمحو التَّواريخَ واللُّغى

يحسُّ نبوغَ الحزنِ، من كلِّ حفرةٍ
يُشيرُ: سيرقى آخرُ الدَّفْنِ أنبغا

وهذا الفُتاتُ المنطوي شَمَّهُ النَّدى
يُقاوي تلاشيهِ ويقوى ليبزُغا

❁❁❁

ليلة في صحبة الموت

مايو 1991م

ساعةً يا ردى أُتِمُّ القصيدَهْ
هاكَ قاتاً وجَرَّةً وجَريدَهْ

النبيذي هذا يُسمَّى (البُخاري)
ذا المثنّى من غرسِ (وادي عَبِيدَهْ)

كُلُّ غصنٍ لَهُ مَذاقٌ جديدٌ
كالمليحاتِ، كلُّ أخرى جديدَهْ

كلُّ قَيْلِيّةِ الثَّرى بينَ فِيْها
وشفاه الندى عهودٌ عَهِيدَهْ

أتُراها تدعوك ميساً وتُغْضي
مثلما تخطفُ المرايا الخريدَهْ[1]

عجبي كيف لان لمَّا تثنَّتْ
في يديْهِ غصونُ أشهى مكيدَهْ

كيف حالُ الذين قابلتَ قبلي؟
قيل: أعجلْتَ (سَعْد يحيى) و(عِيدَهْ)

كيف لستَ الذي قصفْتَ صِباها
وصباه.. إنَّ المنايا عَديدَهْ؟

(1) الخريدة: الحييّة الطويلة المكنونة التي لم تمسس.

تَـشْـبِـقُ الـقـتـلَ أو تـلـيـهِ، وآنـاً
تـمـتـطـي صـهـوةَ الـحـروبِ الـمـبـيـدَةْ

* * *

يـا مُـمـيـتـي مـن ذا يـمـيـت الـمـنـايـا
كـالـقـوى تـأكـلُ الأشـدُّ الـشَّـدِيـدَةْ؟

قـيـلَ عَـنْـهـا نـقَـادةٌ، أهْـيَ تُـدْعَـى
فـي ذويـهـا نَـقَّـادةً أو نَـقِـيـدَةْ؟[1]

أنـت تُـسْـمَـى مَـنـيَّـةً أو حِـمـامـاً؟
قـيـل: أنـثـى الـحَـديـدِ تُـدعَـى حَـدِيـدَةْ

لـو (زَيـدٌ) حـقـيـبـةٌ أو فـتـاةٌ
لـدعـاهُ أبـو الأسـ ـي زَبِـيـدَةْ

لـو حـكـى (سـيـبـويـهِ) عـن أمِّ (مـيـدي)
قـال: مـمـنـوعـة مـن الـصـرفِ مِـيـدَةْ

حِـيـنَ تُـغْـشَـى الـبـيـوتَ مـن أيـنَ تـأتـي؟
مـن ريـاحٍ كـمـا تـروعُ الـطَّـريـدَةْ

فـأرانـي حـيـنـاً بـروقـاً، وحـيـنـاً
أنـثـني غـيـمـةً خـطـاهـا وئـيـدَةْ

وأوانـاً أُحِـسُّـنـي فـيـضـانـاً
يَـمْـضَـغُ الـرَّمـلَ والـشـظـايـا الـبـديـدَةْ

---

(1) نقادة: إشارة إلى قول ابن النبيه:

والـمـوتُ نـقَّـادٌ عـلـى كَـفِّـهِ
جـواهـرُ يـخـتـارُ مـنـهـا الـجِـيـادْ

وعــلــى ســاعــديْــهِ ألــفــا دفــيــنِ
وعــلــى مــنــكــبــيْــهِ ألــفــا قَــعــيــدَةْ

قــلــبُــهُ شــرقُ ظــهــرِهِ وَهْــوَ غــربٌ
رأسُــهُ خــوذةُ الــرُّؤوسِ الــبــلــيــدَةْ

فــي (دِرامــا) الــخــلــيــجِ كــنــتَ (عُــطــيلاً)
يــدُهُ وخــدَهــا عــلــيــهِ الــشَّــهــيــدَةْ

كــنــتُ فــيــهــا بــلا ذراعــيْــنِ فــوقــي
قــوةٌ فــوقَ مــا أُريــدُ مــريــدَةْ

* * *

ولــمــاذا يــدعــوكَ شــيــخٌ فــتــأبــى
وتــلــبّــي، ومــا دَعَــتْــكَ الــولــيــدَةْ

يــوم كَــدّتْ (لَــمــى) لــتــشْــري طــحــيــنــاً
حُــلْــتَ بــيــن ابــنــهــا وبــيــن الــعَــصِــيــدَةْ

الــمُــنــى تــبــتــدي ويــنــهــي ســواهــا
والــمــآســي مــثــلُ الأمــاســي أبــيــدَةْ

قــل أتــى مــقــتــضــيــكَ حَــقّــيْــنِ مــهــلاً
لــم أقــل جــمــلــةً تُــســمّــى مُــفِــيــدَةْ

يــا صــديــقــي فــي الــقــلــبِ تــســعــونَ قــلــبــاً
وقــوافــي الــوداعِ، تَــدري عــنــيــدَةْ

انــتــظــرنــي أُفــضــي لــ(زيــدٍ) بــســرٍّ
بــبــقــايــا حــكــايــتــي لــ(ســعــيــدَةْ)

لــبــلادي بــهــمــســةٍ قــبــلُ تُــمــســي
وأنــا تــحــت أخــمــصــيْــهــا بَــعِــيــدَةْ

لا تــرى غــيــر فــوقِــهــا، كــلُّ دارٍ
عــامــروهــا الــغــواةُ لــيــسـتْ رشــيــدَةْ

* * *

عَــجِّــلــي الآن، هــاكِ صــيَّــادَ قــفْــرٍ
يــبــتــغــي ظــبــيــةً وتــبــغــيــهِ سِــيْــدَةْ[1]

فــي ثــوانٍ تَــجْــتَــثُّــنــي، لا عــروقــي
غــائــراتٌ ولا قــنــاتــي عــتــيــدَةْ

قــلــت: أخْــزِتِــنــي. تَــبَــقَّــتْ حــروفٌ
شــتُّــتْ مــقــصــورةً فــجــاءتْ مــديــدَةْ

كــلُّ فــعــلٍ (مــجــرَّدٍ) نــثَّ شــيــئــاً
زادَ شــوقــي إلــى اخــتــبــارِ (الــمــزيــدَةْ)[2]

مــســتــدرّاً بــراءةَ الــبــيــدِ مــنــهــا
فــي صــبــاهــا مــســتــنــشــداً (هــيــدَ هــيــدَةْ)[3]

لا تــضــقْ بــي، دنــوتُ مــن شــطِّ صــوتــي
والــمــعــانــي الــتــي أنــادي فــقــيــدَةْ

---

(1) سِيدة: السِّيدة الذئبة الكبيرة الشرسة، وتسمى الذئبة الذكر قياساً على الحيّة الذكر كناية عن عنفها وشدتها.

(2) المزيدة: الأفعال المجردة والأفعال المزيدة من مسائل الصرف في اللغة.

(3) هيد هيدة: لغة يخاطب بها أصحاب الإبل إبلهم عند جمعها للرواح أو عند اعتداء بعضها على بعض، وهيد خطاب واحد من الإبل وزيادة هيدة تقال عند ذود قافلة من الإبل.
وكان العرب يسمون صاحب الظهور الكثيرة من الإبل (أبا هيد وهيدة)، كناية عن كثرة رعيه وترحُّله وراء الإبل.

لستَ موتي الوحيدَ جرَّبتُ ألفاً
كلُّها ما رأتْ حياتي أكيدَةْ

قل لقبري: سأغتدي من قبورٍ
فوق أكتافِها القصورُ المشيدَةْ

قل: تريدُ الهروبَ.. مِتُّ مراراً
ونَجَتْ لي إرادتي والعقيدَةْ

كم مضتْ بي أغبى المنون المواضي
وانثنتْ بي أضبى المنايا المُعيدَةْ

المُعيداتُ، هل طرأنَ مَرَدّاً؟
ما علاماتُها الوجوهُ الرديدَةْ؟

هل سيُرجِعْنَ ما بَعَثْتُ، وكمْ لي
بَعَثاتٍ طريفةً وتليدَةْ؟

هل سيأوي الرَّدى هنا أيُّ لحدٍ
حين تَنْفَضُ مِنْ هناك اللَّحِيدَةْ؟

* * *

أيَّ شيءٍ يقولُ؟ هذا ثناني
عنه، يا عودتي تَسمَّيْ حَميدَةْ

يا مضيفَ الحتوفِ هبْ تلك منّي
زورةً واحتفل بأخرى مجيدَةْ

ولماذا احتزمْتَ؟ ما أنت قصدي
حسناً جئتَ كي تجيء القصيدَةْ

ثُوّار.. والذين كانوا

أحـيـن أنـضَـجَ هـذا الـعـصـرُ أَغـصـارا
قُـدْتُـمْ إلـيـهِ عـن الـثُّـوّارِ (أثـوارا)!

كـيـف انـتـخـبـتُـمْ لـهُ، إن رامَ تـنـقـيـةً
مَـن كـان يـحـتـاجُ حَـرّاثـاً وجَـزّارا!

أَبُـغـيـةُ الـشَّـعـبِ في الـتـغـيـيرِ أن تـضـعـوا
مـكـانَ أعـلـى رؤوسِ الـعـصـرِ أحـجـارا!

أو أن تُـولُّـوا عـصـافـيـرَ الـنُّـقـارِ عـلـى
هـذا الـذي قـلَّـبَ الـتـسـعـيـنَ أطـوارا!

وارتـادَ فـاعـتـصـرَ الأزمـانَ مـكـتـبـةً
واسـتـجـمـعَ الـشُّـهـبَ فـي كـفَّـيْـهِ مِـنـظـارا

وقـدَّس الـعَـرَقَ الـمـهـدورَ مـعـتـزمـاً
أن لا يُـبـقّـي بـظـهـرِ الأرضِ هـدَّارا

أعـنـدمـا أيـنـعَـتْ أجـنـى تـجـارُبِـهِ
وصَّـيـتُـمُ بـحـكـيـمِ الـحُـكْـمِ قُـصَّـارا!

إن كُـنـتـمُ بـعـض مـن ربّـى فـكـيـف يـرى
كـرومَ كـفَّـيْـهِ (يَـنـبـوتـاً) و(صَـبّـارا)[1]؟

* * *

(1) الينبوت: نوع من الأشجار الشائكة وكذلك الصُّبّار.

لأنـكـمْ غـيـرُ أكْـفـاءٍ لـثـورتـهِ
أجْـهـدتُـمُ فـيـهِ أنـيـابـاً وأظْـفـارا

تَـخْـشُـونَ أنـخـابَـهُ فـي كـلّ مـأدبـةٍ
وعـن نـواظـرِهِ تـطـوون أسـرارا

لأنـكـمْ مـا بـنـيـتُـمْ قـام بـاسْـمِـكـمُ
مـنَ يـهـدمُ الـدارَ يـنـفـي مَـنْ بـنـى الـدّارا

وكـلـمـا اخـتـار شـعـبٌ وجـهَ غـايـتِـهِ
أرْكـبـتُـمُ كـتـفـيْـهِ عـكـسَ مـا اخـتـارا

وافـقـتُـمُ الـيـومَ أن لا يـدَّعـي أحـدٌ
تـعـاكـسـاً بـيـن (بـاتـسـتـا) و(جـيـفـارا)

هـل مـن تـعـرّى لـنـار الـعـابـثـيـنَ كـمـنْ
أبـدى عـداوَتَـهُ لـلـشـعـبِ أو وارى؟

هـلِ اتّـفـقـتـمْ تـجـيـئـون الـشـعـوب مـعـاً
تُـزعِـمـونَ عـلـيـهـا الـكـلـبَ والـفـارا؟

عـلـى لِـحـاكُـم يـبـولُ الـعـارُ مـبـتـهـجـاً
إذ عـاشَ حـتـى رأى مـن يـعـشـقُ الـعـارا

❋ ❋ ❋

ألـيـس عِـلْـمِـيَّـةُ الـتَّـشـيـيـسِ عـنـدكـمُ
كـمـن يـتـوِّجُ بـالـمـخـمـورِ خـمَّـارا؟

هـل الـشـيـوعـي أتـى الـمـالـي كـمـا قـصـدتْ
مـحـنـيَّـةُ الـظَّـهـرِ والـشـديـنِ عـطّـارا[1]؟

(١) إشارة إلى القول الشعري القديم:

كلا النقيضينِ كالأنقاضِ فارتجلي
يا سرَّةَ الأرضِ زلزالاً وإعصارا

واستفتحي عالماً أنقى يرفُّ صِباً
ويثمرُ الثَّوراتِ الخضْرَ أبكارا

لن تمنعوا يا أساطينَ الوفاقِ غداً
من أن يثورَ وأن ينصبَّ أنهارا

مهما اقتدرتم، فما عَطَّلْتُمُ فلَكاً
ولا أحلتمْ محيّا الشمسِ دينارا

يا مَنْ هدمتم بناءً داس هادمَهُ
هلاَّ أضفتمْ إلى الإِعمارِ إعمارا؟

يا مَنْ تحرَّرتمُ من نضج تجربةٍ
هل تلك حُرِّيَّةٌ تحتاج أحرارا؟

ويا الذين دعوناكم على ثقةٍ
رفاقَنا نصفَ قرنٍ. أيُّنا انهارا؟

* * *

معاً بدأنا وردَّدْنا (الشِّعارَ) معاً:
يموت مَن خانَ أو والاهُ أو جارى

كنا كعِقدٍ ولكن لم يجدْ عُنُقاً
صرنا جناحيْ. ، لكن أَيُّنا طارا؟

= عجوز ترجِّي أن تعود صبيةً
وقد سقط الثديان واحدَوْدبَ الظهرُ
تجيء إلى العطّار يصلح حالَها
وهل يصلح العطّار ما أفسد الدهرُ

ثُرتمْ وثُرنا، فلمَّا نلتُمُ وطراً
هدأتُمُ، وسهرنا نحنُ ثوّارا

أردتمُ أن تناموا مُرتوين كما
شئنا نبيت عَطاشى نرضع النارا

* * *

حكمتمُ الشعب، نحن الشعب يحكمُنا
حُبّاً، ونُعليهِ فوقَ الأمر أمّارا

ولا نُداجيهِ كي يختار سلطتَنا
بل نبتغي أن يكون الشعبُ مختارا

تُمسون شبهَ سلاطينٍ، نبيت على
نصلِ الطوى، كي نلاقي الصبحَ أطهارا

أعن تقدُّمِكُمْ تُبْتم؟ نُطمئنُكم
بأنّكم ما قطعتُم فيه أشبارا

بل قيلَ لم تدخلوه أو رأى لكمُ
على الطريقِ إلى مجراهُ آثارا

ناموا، سنمضي بلا رُجْعى وسوف نرى
عنكُم. أتستغفرونَ اليومَ غفّارا؟

وعندما أصبحَ الشطرانِ عاصمةً
مشطورةً. هل رأت في الدُّورِ ديّارا؟

ختمتُمُ الشوطَ في بدء المسيرِ، وما
نزالُ نجتازُ مضماراً فمضمارا

نرمي بأشباحِنا الأخطارَ نلبسُها
ليلاً ونخلعُها في الصبحِ (أطمارا)[1]

نصيحُ: يا شوقُ رشّقنا ودُقَّ بنا
في كلِّ عرقٍ من التّمويتِ مِسْمارا

في كلِّ سجنٍ نغنّي في منازلنا
نستقبلُ المخبرينَ الجُوفَ زُوّارا

(أهلاً وسهلاً تشرّفنا) وكيف جرى
هذا التجافي؟ لماذا؟ ما الذي صارا؟

نسقيهِمُ أيَّ شيء غيرَ أدمعِنا
يسقونَنا في بريقِ الودِّ إنذارا!

مرّت ثمانون شهراً من تخرُّجِنا
معاً، أما زلتمُ، كالأمسِ أغمارا؟

تردِّدونَ الأناشيدَ التي منعوا
ولا تُكتّونَ للأستاذِ إكبارا

كُنّا نفضّلُ بشّاراً على (عُمَرٍ)
فتنسبونَ إلى (إنجلْزَ) بشّارا

كُنّا نُعاكِسُ بعضاً دونَ معرفةٍ
كنتمْ وكُنّا بذاكَ الوقتِ أغْرارا

أضحى (الغوندي) وزيراً و(ابنُ عائشةٍ)
محافظاً، وعيالُ (البُوشِ) تُجّارا

---

(1) الأطمار: الثياب الممزّقة.

تـزوّجَ الـشـيـخُ نـابُ الـذّيـنِ ثـامـنـةً
أنـتـمْ تـزوَّجـتـمـوا (صـنـعـا) و(عُـمّـارا)

زوَّجـتـمـوا (بـنـت سُـعْـدى) نـجـلَ (ذي يـزنٍ)
وزوَّجـوا أمَّـهـمْ عـشـريـنَ عَـهَّـارا

يَـسْـتَـقـرئـونَ خـفـايـانـا، دفـاتـرَنـا
سـرّاً، ونُـقـرئُـهُـمْ فـي الـجـهـرِ أسـفـارا

وقـد نُـصـادفُ فـي مـكـنـونِ أكـثَـرِهِـمْ
نـقـاوةً تـرتـدي شـوكـاً وأوضـارا

ولا نـقـاومُ سـمـسـاراً لـمـهـنـتِـهِ
بـل الـذي سـخَّـر ابـنَ الـشـعـبِ سِـمْـسـارا

وإن أجـادَ لـنـا الـخُـوَّانُ مـقـتـلـةً
مُـتْـنـا كـمـا داعـبَ الـتـهـويـمُ سُـمَّـارا[1]

وإن أعـدُّوا لـنـا جـاراً يـحـاصـرُنـا
قـلـنـا: كـبـرنـا، مـلأنـا الـبـيـتَ والـجـارا

وكـلـمـا أبـحـرتْ فـيـنـا عـيـونـهـمـو
أحـسَّـتِ الـبـحـرَ فـيـهـا صـار بـحَّـارا

* * *

يـا كـلَّ شـوطٍ تـطـاولْ، لـن نـقـول مـتـى
نـنـهـي، ولا كـم قـطـعْـنـا مـنـك أمـتـارا

---

(1) التهويم: أوّل النوم الذي يميل الرؤوس في الأسمار، وسمي تهويماً لتهويمه بالرؤوس.

تـمـتـدُّ نـمـتـدُّ، نُـضـبـي كـلَّ رابـيـةٍ
ونـدخـلُ الـمـنـحـنـى والـسـفـحَ أفـكـارا

نُـحـيـلُ كـلَّ حـصـاةٍ شـهـوةً وصـبـاً
نـعـبِّـئُ الـريـحَ أشـواقـاً وأشـعـارا

نَـنـصـبُ فـي كـلِّ تـلٍّ أعـيـنـاً ومُـنَـىً
نـخـضـرُّ أوديـةً، نـنـهـلُّ أمـطـارا

نـغـور فـي الـغـورِ كـي تـرقـى مـنـاكـبُـهُ
تـحـتـلُّـنـا الأرضُ أوطـانـاً وأوطـارا

نـجـيـشُ فـيـهـا قـلـوبـاً كـي تـقـلِّـبَـنـا
سـفـراً، وتـكـتـبَـنـا دوراً وأشـجـارا

تـزكـو بـنـا وبـهـا نـزكـو، تـصـوِّبُـنـا
لـلـغـيـم بـرقـاً ولـلأمـواجِ تـيّـارا

مِـنْ هـجـسِـنـا تـبـدأُ الـتـاريـخَ، نـبـدؤُهـا
نُـؤسْـطِـرُ الـسَّـفـحَ والـبـسـتـانَ والـغـارا

نـصـوغ لـلـعـدمِ الـمـوجـودِ خـاتـمـةً
نـأتـي مِـن الـغـائـبِ الـمـنـشـودِ أخـبـارا

وقـد يـمـزِّقـنـا غـدرُ الـرّصـاصِ هـنـا
أو هـاهُـنـا، فـنـروعُ الـقـتـلَ إصـرارا

لأنـنـا مـا وُلـدنـا كـي نـمـوتَ سُـدًى
بـل كـي نُـجـمِّـلَ بـعـد الـعـمـرِ أعـمـارا

نَضفرُّ كالخوخ، كي ننـدى جنًى وشذًا
كالبذرِ نُدفنُ، كي نمتدَّ إثمارا

لكي نعي أننا نحيا نموتُ كما
تفنى الأهلَّةُ كي تنسابَ أقمارا

مِن البكاراتِ نأتي رافعينَ على
جباهِنا الشعبَ أعلاماً وأقدارا

❁ ❁ ❁

ربيعيّة الشتاء

مايو، يولية 1990م

هذا الذي سمَّيتُهُ منزلي
كان انتظاراً قبلَ أن تدخلي

كان سؤالَ القلبِ عن قلبِهِ
يشتاقُ عن قلبيْهِ أن تَسْألي

أن ترجعي مثلَ الربيعِ الذي
يغيبُ في الأعوادِ كي ينجلي

أن تصبحي مثلَ نشيث النَّدَى
مثل نجومِ الصيفِ أن تُلْيلي

أن تُومئي واعدةً ليلةً
وليلةً تنسيْنَ كي تبتلي

كيما تنادي الأرضُ: أجنيتِ يا
حدائقي، أينعتَ يا سُنْبُلي

*

أَقَبْلَ سُكْرِ الوعدِ قالوا صَحَتْ؟
أيُّ هوَىً أرغى بها: عجِّلي؟

هذا زمانٌ مذهلٌ ذاهلٌ
عنه فمن حاولتِ أن تُذهلي؟

ذا جــمــرُ صــنــعــا خــفْــتُ إذ أحــرقــوا
فــيــه (بــخــورَ الــشَّــيــخِ) أن تَــشْــعُــلــي[1]

أن تــصــرخــي: هــل رامــنــي مــوئــلاً
مَــنْ غــاب عــن حــســبــانِــهِ مــوئــلــي

أظــنُّ مــا أســرعــتِ كــي تُــدهِــشــي
هــل قــالَ داعــي الــقــلــبِ أن تُــقْــبــلــي؟

أقــول مــاذا؟ صــاح مَــنْ لا أرى:
عــلــيــك مــن نــصــفــيْــكِ أن تَــرْحَــلــي

مــن مــكــتَــبِ الــتــأجــيــلِ قــالــوا: ثِــبــي
أُنــهــي كــتــاب الأمــسِ؟ لا أَجِّــلــي

لا تــحــمــلــي أيَّ كــتــابٍ ولا
دواةَ (جــيــفــارا) ولا (الــزِّركــلــي)

رحــلــتُ مــن ســاقــي إلــى سُــرَّتــي
مــن أعــرضــي أعــدو إلــى أطْــولــي

مــفــاصــلــي كــانــت طــريــقــي ومــا
درتْ حــصــاةٌ أنَّــهــا مِــفْــصَــلــي

أقْــرأتُ كــفِّــي الــبــرقَ حــتَّــى فــمــي
قــرأتُ كــفَّ الــمــشــمــشِ الــحَــوْمــلــي

---

(1) بخور الشيخ: نسبة إلى حي الشيخ عثمان من منطقة عدن.

هل مرَّ يا ابْني مِنْ هنا أو هنا
أيُّ جوادٍ جَدُّه (مَوْكَلي)[1]؟

هل خلتَ موّالاً كسربِ القطا
يزقو ويدعو يا رُبا مَوْلي

أسمعتُهُ (الجرَّاش) و(القَغْطَبي)
بكى على (بستانَ) و(الموصلي)

ومدَّ نحوي سلّةً لم يقل.
صلي بها مهواكِ أوْ وصْلي

ناديتُ: يا ذا الوردُ ضَمَّخ يدي
فقال: أهلي قطَّعوا أكْحُلي

وقال (قاعُ الوطْيةِ) استخبري
(عيشانَ) عن قمحي وعن خردلي[2]

*

ماذا ألاقي يا (ابنَ علوانَ)؟ قل
يا (عيدروسُ): احْمِلْ معي مُثْقِلي[3]

---

(1) موكلي: نسبة إلى منطقة موكل الشهيرة بأصالة الخيول، وإلى هذا نوّه البحتري في أصالة جواده حيث قال:

وافي الضلوع يشدُّ عقد حزامه
يوم اللقاء على مُعمّ مُخْوِلِ
أخوالُهُ للرستميين بفارس
وجدودُهُ للتُّبَّعين بموكلِ

(2) قاع الوطْية أكبر سهل زراعي بين مدينة ذمار وقرية عيشان

(3) ابن علوان: أشهر أولياء شمال اليمن المعروفون بالكرامات في المعتقد الشعبي، والعيدروس أشهر أولياء الجنوب بالكرامات إلى حد التأليه

أيّــي أنــا؟ بــيــنــي وبــيــنــي عــلــى
أيِّ الــشــظــايــا وجــهــي الــجــرْولــي[1]

ســألــتُ ذاتَ الــوَدْعِ مــا طــالــعــي؟
أَفْــضَــتْ بــردَّيْــنِ عــلــيَّ ولــي

لِأَيِّ أزواجــي جــنــى عِــشــرتــي
خُــذي ســواهــمْ قــبــلَ أن تَــحْــمــلــي

جِــمــالُ هــذي الــحِــقْــبــةِ اسْــتَــنْــوَقَــتْ
والآن يــا إنــســانــةُ اسْــتَــرْجِــلــي

وغَــيِّــري (يــحــيــى) بِــ(يَــفْــنَــى) وكــي
تُــبــدِّلــي عــن جــوفِــكِ اســتــبــدِلــي

واحــتــثَّــنــي مُــسْــتــقــبــلــي قــبــل أن
أعــدَّ رمّــانــي ولا حــنــظــلــي

قــولــي: أيــبــدو مــنــزلــي غــيــر مــا
عــهــدْتُــه مــن قــبــلِ أن تــنــزلــي

تــنــحــنــحــتْ مــثــلَ الــخــطــيــبِ الــذي
أنــســاهُ شــيءٌ صــوتَــهُ الــمــحــفــلــي

كــانَ كَــوجْــرِ الــضَّــبِّ ذا الــبــيــتُ لــو
أتــيــتِ قــبــلاً خــفــتُ أن تُــجْــفــلــي

والآن مِــنْ بــعــد الــتَّــصــابــي صَــبــا
وقــامَ بــعــد الــعُــرْي كــي يــحــتــلــي

---

(١) الجرولي: نسبة إلى جرول وهو الشاعر الحطيئة الذي هجا وجهه.

أحـضـانُـهُ امـتـدَّتْ وجـدرانُـهُ
سكرى على قاماتِها تَغْتَلي

لـكـل قـنـديـلٍ وكـأسٍ صِـبـاً
ولـلَّـيـالـي فـرحٌ مَـشْـتـلـي

وذكـريـاتٌ ضـاحـكـاتٌ كـمـا
حكى (الخُفَنْجي) عن (علي عَيْطَلي)[1]

قال (الشبيبي): نجمُكِ الثورُ يا
(قزنا)، وأبدى شكَّهُ (العَنْدَلي)

قال اجتلى هاءً ودالاً بلا
حاءٍ وواوٍ، فاقطعي أو صِلي

يُقالُ أخبرتِ الشَّذا أنني
رسولةٌ لم أنتخب مُرْسِلي

فقال: باسمي ضلَّلوني وبي
حيناً، وقالوا: باسْمِهم ضَلِّلي

* * *

يبدو لسمعي (هَبَليّاً) فهلْ
تُحِسُّني ألحاظُهُ (المَقْبلي)[2]

---

(1) الخفنجي: شاعر شعبي تفكُّهي في آخر القرن السادس عشر كان يتغزل بغلام اسمه الفني: علي عيطلي، وكان غزله لا يخلو من تندُّر وإضحاك.

(2) هبلياً: نسبة إلى الشاعر حسن بن جابر الهبل في القرن السابع عشر الميلادي وله هجاء فاحش موجّه إلى معاصره العلامة صالح بن مهدي المقبلي.

بـولـي عـلـى جـبـهـتِـهِ، فـأذنـي
وقـال: شُـدِّي لـحـيـتـي واتـفُـلـي

أراكِ غـيـري آخـر الـمـنـتـهـى
بـدءاً. ونـادى مِـنْ هـنـا بـسـمـلـي

قـل: أصـبـح الـشـطـرانِ بـي شـطـرةً
لا بـأس فـي جـرحـيْـكِ أن تَـزفُـلـي

*

هـل تـسـمـعـيـن الـزَّفَّـةَ الآن؟ لا
أصـمَّـنـي يـا (دانُ يـا بـلـبـلـي)[1]

تـسـعـونَ طـبّـالاً وطـبّـالـةً
شـهـراً وقـالـوا: مـثـلَـهُـمْ طـبِّـلـي

هـنـاك مـن يـأبـى: أقـيـلَ انـظـمـي
لـلـكـلِّ داراً أم بـهـا كـبْـلـي؟

أأنـتِ مـن غـنَّـيـتُ: «جـودي لـنـا
بـالـوصـلِ» هـل أبـكـي لـكـي تـبـخـلـي؟

ومـن يـنـادي كـالـشـعـاع اهـبـطـي
ومَـن يـفـادي عـن هـنـا حـوِّلـي؟

ومـن يـرى فـردِيَّـةَ الـجـمـعِ فـي
كـفَّـيْـكِ عـهـداً نـصـفَ مُـتـوَكِّـلـي؟

---

(1) يا دان يابلبلي: لازمتان غنائيتان في الغناء اليمني يجتلبهما المغني من خارج النص الشعري كوقفة تطريب حتى صارتا تقليداً غنائياً إلى اليوم.

وقائلٍ كم قيلَ ما دلّلوا
عنها، ولا قالوا لها: دَلِّلي

عشرين عاماً، سوف تأتي غداً
ما اسْمُ الذي كانَ بها مُخْتلي؟

وسائلٍ ماذا سيجري؟ لمنْ
جاءت؟ أيا خضراءُ لا تَأمُلي

فما أفادتْ علم شيءٍ سوى
ما ينبغي، يا أمُّ أن تجهلي

صوغي على كفَّيْكِ أخرى ترَيْ
صباكِ في مجلى صباها الجلي

هل ذاكَ، يا أولى الذي يحتفي
إذ جئتِ يخشى الآن أن تأفُلي؟

هناك من يسلوكِ من يجتوي
هنا الذي يدعوكِ يا معقلي

ويفرشُ الخدَّيْنِ كي تخطري
ويملأ الكأسيْنِ كي تَثْمَلي

كي تحلمي حلم النواسي، صحا
من سكرة (الكَرْخي) بِقُطْرُبُلي

وواقفٌ يفديكِ فهّامةٌ
ترقيْنَ مثلَ الشمسِ كي تعدلي

يجلو بعينيْكِ الرؤى تالياً
نصفَ كتابٍ كلُّهُ ما تُلي

مُعوِّذاً كفيْكِ أن تأخذي
وُرَيْقَةً من قبلِ أن تبذلي

* *

وقالتِ الرَّبْوات: أعطي فمي
ثديْكِ، أربو قبل أن توغلي

وقالتِ الأزهارُ: لا تعبري
فوقي فيلهو الشوكُ في مقتلي

وللمقاهي عنكِ صوتٌ لهُ
أيدٍ وصوتٌ فاقعٌ بُلْبُلي

وصائحٌ يدعوكِ أن تقفزي
وهامسٌ يوصيكِ أن تكسلي

محاذراً أن تأكلي الجمرَ عن
أنياب مقتاديكِ أو تُؤكلي

تدرينَ. كم قالوا ولم يفعلوا
قولي: تنحَّوْا جانباً. وافعلي

يرتاب هذا الحيُّ أن تنجزي
يودُّ ذاك الرَّبعُ أن تَمْطُلي

ذا يرتئي، تلك التي أهجعت
قلاقلي ما أقلقَتْ عُذَّلي

أشـمُّـهـا مـائـدتـي سـائـلاً:
متى انتهى من طبخِها مرجلي؟
وقال شادٍ: ما شدت مثلَها
أسمارُ أعراسي ولا مَقْيَلي
أنسى الدُّجى والصُّبحَ وقْتَيْهِما
صوتان.. عَوْديٌّ يلي كُعْدُلي[1]
كيف التقى نصفي بنصفي ضحىً
في نضجِ مكرِ العصرِ يا مأملي
وقال مُضْنٍ: يا العقيمُ التي
شاءت مواني (هِنْتُ) أن تحبلي
يا بنتَ أمِّ (الضَّمْدِ) قولي لنا:
أيُّ عليٍّ سوف يُخْصي علي
قولي: لماذا كنتِ أمشولةً
سخريَّةً من قبلِ أن تَمْثُلي
فقال هَجْسُ الأرضِ: منّي رقتْ
تُعيدُ تشكيلي. ألا شَكِّلي
من بعضِها انصبَّتْ إلى كُلِّها
أكلُّ وادٍ قال: ذي منهلي
شَغَلتِ أعراقَ الثواني، فهل
يرضي سُهيلاً عنه أن تُشْغَلي؟

(1) عودي: نسبة إلى الفنان علي العودي. كعدلي: نسبة إلى الفنانة أمل كعدل.

فــي طـعـم ريـقِ الـقـاتِ تَـخـمَـيْـنَ عـن
مـا قـال تُـفـشـيـنَ الـصّـدى الـمـخـمـلـي

تــســريــنَ فــي الـكــاذي فــتــدنــيــنَ مــن
عــيــنــيْــهِ وجــه الــبــارقِ الأحــولِ

تَــنْـديـنَ فـي «يـا ظـبـي صـنـعـا» هـوَىً
تَـشْـجـيـنَ فـي أنـفـاسِ «يـا صـيـدلـي»[1]

فـــي الـــحـــبـــرِ تـــحـــمـــرِّيـــن أنـــشـــودةً
فـي الـكـأسِ تَـبْـيـضِّـيـنَ كـي تُـشْـعـلـي

فـي الـجـمـعِ تـذكـيـنَ الـجـدالَ الـذي
يُـــمَـــيِّـــزُ الأبـــقـــى مِـــنَ الـــمـــرحـــلـــي

*

هـل أنـتِ مَـن تُـخـيـيـنَ كـي تَـعْـظُـمـي
أو أنـتِ مَـن تُـخـيـيـن كـي تَـقْـتُـلـي؟

هـــل خـــاتـــمـــي قـــانٍ؟ ألـــي خـــاتـــمٌ
يـكـفـي يـدي أن سَـلِـمـتْ أنـمـلـي؟

يــا صــاحــب الــصــاروخ قــلــبــي عــلــى
كِــفِّــي كــتــابٌ خــلــفَــهُ مــنــجــلــي

لا بـــدَّ مِـــن أن تُـــنْـــبِـــهـــي خـــامـــلاً
وكـــي يُـــرى لا بـــدَّ أن تَـــخْـــمُـــلـــي

(1) يا ظبي صنعا: أغنية شهيرة من شعر الآنسي غناها أكثر من مطرب وجاء عنوانها من القصيدة: يا ظبي صنعا بعسجد خدك المنقوش. يا صيدلي: نسبة إلى أغنية عازار حبيب الشهيرة.

لا بـدَّ مـن أن تـحـتـفـي بـالـتـي
وبـالـذي لا بـدَّ أن تَـحْـفَـلـي

مـن ذا سـيـعـطـيـكِ لـتـعـطـي؟ ومـنْ
قـال خـذي قـال الْـحَـسـي مِـغْـسـلـي

مـا دامَ ذاتُ الأمـرِ مـأمـورةً
بـهِ، دعـيـهِ قـبـل أن تُـعْـزَلـي

ـ مـنـي ابـتـدا نـهـجـي، ألا فَـلْـيـكُـنْ
صـعـبـاً ولا يـخـشـاكِ أن تَـسْـهُـلـي

*

يـا طـلـعـةً مـا أذبـلـتْ مـطـلـعـاً
تـقـدَّمـي هـيـهـاتَ أن تـذبُـلـي

ويـا ربـيـعـاً شـقَّ عـمـر الـشّـتـا
تـهـدَّلـي لـلـصـيـفِ واخْـضَـوْضـلـي

إن زيَّـنَ الإكـلـيـلُ مَـن قَـبْـلَـهُ
فـكـلِّـلـي مَـن بـعـدَهُ كـلِّـلـي

مـذ جـئـتِ جـاء الـبـدءُ مـن بـدئِـهِ
وعـاد مِـنْ آخـرِهِ أوَّلـي

واجـتـازَ ومـضـاً كـان مُـسْـتـدفـئـاً
بـه إلـى الـوهْـجِ الـذي يـصـطـلـي

فـأنـكـر الـتـاريـخُ تـاريـخَـهُ
لـمَّـا اسـتـبـان الأمـسُ مـسـتـقـبـلـي

لا رأســمــالــيّــاً أرى ذا الــفــتــى
ولا اشــتــراكــيّــاً ولا (هــيــغــلــي)

لا فــي (بــنــي عــبــد الــمَــدانِ) اسْــمُــهُ
لا مــن (بــنــي بــاذانَ) لا (عَــبْــهَــلــي)

وعــنــده زائــرةٌ مــثــلُــهُ.
تــزفُّ (عِــنّــيــنــاً) إلــى (الــمُــشْــكِــلِ)[1]

رُدّي عــلــى الــتــاريــخ يــا بــنــتــهُ
لا تــخــجــلــي يــؤذيــهِ أن تــخْــجَــلــي

قــالــوا: إلــى نــصــف الــطــريــقِ الــتــقَــوْا
ســجِّــلْ بــلاحــيْــفٍ وقــل: حَــلِّــلــي

زادوا عــلــى رأســي رؤوســاً فــهــلْ
تــزيــدنــي رِجْــلاً إلــى أرجُــلــي؟

ضـعْ نـصـفِـي الأعـلـى عـلـى الـركـنِ أو
حــوِّلْ أعــالــي قــامــتــي أســفــلــي

مــا اقــتــادَ تــغــيــيــرٌ خــطــايَ الــتــي
صــيَّــرنَ مــا لا يــنــطــلــي يــنــطــلــي

* * *

وأنــت يــا هــذا؟ يــقــالُ الــذي
ســوف يــلــي يــومــي أبــى أن يــلــي

(١) المشكل: هو الإنسان الذي يحمل آلة الذكورة والأنوثة معاً، وسُمِّيَ المشكل لإشكال جنسه وكمية ميراثه وتعيين حصته من الميراث والتسمية فقهية.

لا هـذه (سَـيَّـانُ) لا غـيـرُهـا
لا (العَبْدلي) ثانٍ ولا (العُبْدلي)

من غيَّرَ التشكيلَ عن شكلِهِ؟
قوّى على (الصُّلْوي) يد (المِقْوَلي)

فاستضحكتْ قائلةً: أَيُّنا
أرادَ هذا. قلتُ لا رأيَ لي

أمّا أنا ما جئتُ كهفي أنا
وأنتِ كهفٌ بالمنى تغتلي

تهوى سعاداً، ليديا، غادةً
وأختَ (هنري) وابنةَ (العَوْذَلي)

ـ كان ابنُ جدّي زوجَ عشرٍ إلى
أن طلَّقتْهُ (هَيْدبُ الحَوْقلي)

تبغي وتخشى نصفَ ما تبتغي
فتنثني مثلَ الشَّجيِّ الخلي

ترجو ولَيّاً نائياً خِيرةً
فاختارَ لقيانا مزارُ الولي

تمثالُ هذا هيكلي، أنتَ بي
كصورةٍ فيما اسْمُهُ هيكلي

أعطاكِ طنبوراً، أنا مصحفاً
فاعزفْ، ويا أُمَيَّتي رتِّلي

عـزفـتُ غـازلـتُ الـتـي والـتـي
حـتـى أتـتْ مَـن كـسَّـرتْ مِـغْـزلـي

فـالـتـمَّ بـحـرُ الـقـلـبِ فـي كـفُّـهـا
كـوبـاً بـنـهـدَيْ كـرمـةٍ يـمـتـلـي

إلـى رضـاعـي جـئـتِ مـنـي ومِـنْ
تَـخَـرُّجـي فـيـكِ ابـتـدا مـدخـلـي

كـي يـرتـدي عـيـنـيْـكِ مـعـنـى الـضـحـى
كـي تـبـتـدي الأنـهـارُ مِـنْ جـدولـي

أمـا تـسـاقـيْـنـا الـبـروقَ، الـمـدى
وآنَ أنْ أغـلـي وأنْ تـهـطـلـي

أن يـنـشـرَ (الـمـهـديُّ) مـنـكِ الـلـوا
أو يـركـضَ (الـدَّجّـالُ) مـن مـنـزلـي

❂❂❂

على باب المهديّ المنتظر

1990م

مَن يدعو هل زمني أَوْمضْ؟
نهضَ (الدجّالُ)، سُدَىً تنهضْ

روّضتُ الريحَ لأسبِقَهُ
وَغدا السّبّاقَ، فما روّضْ

أمِنَ اليوم اجتازَ الماضي
واحتاز الآتي أو أَجْهَضْ؟

نادتكَ (الكعبةُ) وانتظَرتْ
ودعَاكَ (الأقصى) بل حرّضْ

صحنا: يا مهدي يا وَتَراً
قلبيّاً، أنتَ له المنبَضْ

كم قيل: ستملأُها رَغَداً
فامتدَّ مِن الرَّمْضا الأرمضْ

* * *

عبثاً، أن تدعوَ يا ولدي
مرضوضاً مثلي أنْ أرتَضْ

مَنْ سمّى عصري ذهبيّاً؟
مَن ذهَّبَهُ؟ مَنْ ذا فضّضْ؟

مَـن يـعـطـي الـعـانـيـنَ (الـجـرضـا)
أمـلاً حـتـى أعـنـى، أجْـرضْ[1]؟

عِـذ وعـداً غـيـبـيّـاً يـدنـو
مـن قَـبْـضِ الـكـفْ ولا يُـقـبـضْ

كـم لاذَ مـهـيـضٌ بـالـمـهـدي
والـيـوم يـلاقـيـهِ أمـهَـضْ

يـكـفـي أن تَـمْـحَـضَـنـا نُـصْـحـاً
مـسـعـاكـم أصْـدقُ مَـنْ يـمـحَـضْ

يـا قـانـونَ الـتـعـويـضِ أفـقْ
لا رَدَّ الـحُـلْـمَ ولا عـوّضْ

وإلـى كـم يُـغـرِضُ مـن نـدعـو؟
مَـنْ لا نـدعـوهُ مـتـى أعـرضْ؟

مـا أقـسـى أن تـبـغـي أمـراً
وتـرى مـا لا تـبـغـي يُـفـرَضْ

مَـنْ والـى (الـدَّجّـالَ) الأطـغـى؟
مَـن ذا يُـثْـنـي الأقـوى الأبـغَـضْ؟

تـدري، حَـيَّـوْهُ فـانـتـفـخَـتْ
جـبَّـتُـهُ أشْـبَـقَ مـن (عَـزهَـضْ)[2]

---

(1) الجرضا: الناس المتعبون العطشى.

(2) عرهض: اسم ناقة لـ(يزيد المهلّبي) اشتهرت بالشبق إلى الجمال والرّجال، وصارت مثلاً لأشباهها من النياق ثم انتقلت بالاستعارة أو التشبيه إلى الأنثى =

غَـنَّـوْهُ، قـالـوا الـشـمـسُ بـهِ
أسْـنَـى، والأرضُ بـه أرْأضْ

مـخَـضَ الـفـلَـكُ الأزمـانَ لـهُ
فـتـجـلَّـى زُبـدَةَ مـا مـخَّـضْ

والـلَّـهُ لأمـرٍ قـيَّـضَـهُ
ذخـراً، فـتـعـالـى مـنْ قـيَّـضْ

مـثـلُ الـمـرحـاضِ إذاعـتُـهُ
مَـن قـال: الـحـمـدُ لـمـن مَـرْحَـضْ؟

* *

قـلْ: أغـضـى الـفـادي آنِـيَـاً
وتـوقَّـى الـرَّاجـي أو فـوَّضْ

واعـتـادَ الـشـارعُ مـا يـلـقـى
لا قـال: أمـرَّ ولا أحـمـضْ

فـتـوارى الـهـاجـي فـي فـمِـهِ
ورقـى مِـنْ فـمِـهِ مَـن قـرَّضْ

= الشبقة من الناس والحيوان، حتى اعتبر الفقهاء نعت المرأة المحصنة بها شبه قذف. وعلى هذا قول عمرو بن معدي كرب الزبيدي في زوجته التي استخلفها عن أبيه بعد موته وأرادت أن تضمد به زوجاً آخر هو مالك بن دخان الخولاني، وبهذا الصدد يقول:

ولـولا قـولـهـم أخـزى أبـاهُ
نـهـيـت الـعـرهـضـيَّـةَ بـالـحُـسـامِ

أتـضـمـد بـي نـبـوحـاً عـوَّدتـهُ
عـلـى غـشـيـانـهـا تـحـت الـظـلام

وفي هذا إشارة إلى نقل صفة تلك الناقة إلى المرأة وإلى أن زوجة عمرو استبدلت بالزوج الثاني كلباً.

جـــمـــهـــورُ الـــعـــيـــشِ كـــعـــادتِـــهِ
لا يـــبـــدي الـــرأي ولا يـــدحـــضْ

أبِـــذاكَ الـــشـــيـــطـــان احـــتـــفـــلـــوا
ورأوا تـــشـــريـــنَ بِـــهِ أَزيَـــضْ؟

فـــطـــغـــى وأرى الـــجـــبـــلَ الأعـــلـــى
كـــيـــف اقـــتـــضـــم الـــسَّـــهَـــلَ الأخـــفـــضْ

أعَـــلَـــى كُـــلِّ الأرضِ اســـتـــولـــى؟
لـــم يُـــبْـــقِ ســـريـــراً أو مـــربـــضْ

لا يـــلـــقـــى مـــوطِـــئَـــهُ قَـــدَمٌ
لا ابـــنُ (الـــجَـــيْـــدا) يـــجـــدُ الـــمـــركـــضْ[1]

كـــانـــت غـــامـــضـــةً قـــوَّتُـــهُ
والآن بـــدتْ أزرى أغـــمـــضْ

حـــيـــنـــاً كـــ(الإذْرِ) وآونـــةً
تـــطـــغـــى، كـــالـــفـــيـــضـــان الأفْـــيـــضْ

❊

هـــل صـــار الـــيـــومَ أمـــدَّ يـــداً
مِـــن طـــول الـــكـــون، وقُـــلْ أعـــرضْ؟

أأطـــاعَ الـــعـــالَـــمُ قـــبـــضـــتَـــهُ؟
بـــيـــديْـــه أمْـــســـى كـــالـــمـــقـــبـــضْ

---

(1) الجيداء: الظبية لطول جيدها وتنتقل هذه الصفة للاستعارة إلى طويلة العنق من النساء.

حتى (موسكو) قالوا: أضحتْ
مِنْ بستانِ (البيتِ الأبيضْ)

هل قام عياناً أو هَرفتْ
أخبارُ المقهى والمعرضْ؟

أمَسيخاً يبدو؟ لا يدري
السِّلْمُ أمِ الهيجا أَخْيضْ

أَلَهُ عينانِ؟ جوارحُهُ
مُقَلٌ شتَّى، لا تتبعَّضْ

لو نفَّض عصفورٌ بللاً
عنهُ، لدرى ماذا نفَّضْ

وهنا وهناك مسامِرُهُ
ينفضُ الليلُ ولا تَنفَضّ

فزَعٌ بملايينِ الأيدي
يستلُّ القلب، يُجيدُ العَضّ

أرَكينُ الرُّكنِ، كعاصمة
تنوي تنقضُّ ولا تَنْقَضّ

قالوا: لو صوَّب مِن (بَنَما)
لأصاب بـ(سينا) ما استعرضْ

*

ماذا قالوا عن مدَّتِهِ؟
قالوا: سيموتُ ولا يَمْرَضْ!

قــد يــحــكــمُ قــرنــاً أو ســنــة
أخــرى، يــســتــوفــي مــا أقــرضْ

ويــلــيــهِ أمــرٌ مــأمــورٌ
بــالــشــعــب، ولــلــجُــلَّــى أنــهــضْ

أحــرى بــالــقــمَّــةِ مَــنْ يــدري
مــاذا يُــخْــتــار؟ ومــا يُــرْفَــضْ

❂❂❂

تميمة
تبحث عن بني تميم

أغسطس 1990م

يــا مُـنـدًى، لـي واحـةٌ فـي (حَـوَلِـي)
قـل لـهـا: مـا الـذي؟ وكـيـف؟ وقـل لـي

لا تُـنَـفِّـضْ مِـنْ ريـحِ صـنـعـا جـنـاحـاً
فَـهْـي أحـفـى بـكـل طـيـبٍ مـحـلّـي

وإذا اسْـتَـنْـسَـبَـتْـكَ، قـل خـيـرُ قـاتـي
(يـافـعـيٌّ)، وأفـضـلُ الـبُـنِّ (فـضـلـي)[1]

وإذا اسـتـغـمـضـتْـكَ، قـل هـاكِ قـلـبـي
فـهـو جـنـسـيَّـتـي وكُـتْـبـي ورُسْـلـي

قـل لـمـنْ أنـجـبـتْـكَ عـنّـي غـلامـاً
فـي اكـتـهـالـي: خُـذي غُـلامـي وكـهـلـي

* * *

لـسـتَ ضـيـفـاً، ريِّـضْ جـنـاحـيْـكَ مِـنْـهـا
فـي ربـيـعٍ يـصـبـو وصـيـفٍ يُـدَلِّـي

واتَّـحِـدْ بـالـشَّـذا ورفـرفْ كـقـلـبـي
وتَـلَـقَّـطْ عـنـهـا الـتـفـاصـيـل مـثـلـي

---

(1) يافع: من المناطق الشهيرة بالقات الجيد. فضلي: نسبة إلى بني فضل بآنس؛ وهذا البن من أجود الأنواع في اليمن.

وإذا بادهتْكَ: لِمْ جئتَ عنّي
سائلاً؟ قل لها: لأنّكِ سُؤْلي

ولأنّي ضحيّةٌ فالضّحايا
أين كانت شغلُ ارتحالي وحِلّي

كلُّ قلبٍ في أيِّ أرضٍ جوازي
وبأدراجِ كلُّ قسمٍ سِجِلّي

أوَ تستكثرينَ هذا ارتياباً
في احتمالي. أرجوكِ أن تستقِلّي

هل تَشُمّينَ سخرةً ودَّعتني
ونداها يَرشُّ ريشي ويطْلي؟

قلتُ إذ ذاكَ: وشوِشي يا خوافي
باسْمِها، يا قوادمي لا تكلّي

ما أحَنَّ الذي رمى بكَ حزني
يومَ فصلُ العُرى حَدا فجر وصْلي

منْ تُسلّيهِ؟ ميلُهُ زئبقيٌّ
(شاهليٌّ) يوماً ويومينِ (جِبْلي)

عن (هدى)، عن (منى) بأنَّ هواهُ
سنويٌّ، وعن (سُميَّةَ) فَضْلي

كان نقلي موّالَهُ فوق جُهدي
وأراني هنا بدأتُ أُمَوْلي

فإذا قالت اقتربْ، فهي قالت:
الزوايا تخطُّ ما سوف أُمْلي

فارتعشْ يا هَزارُ بين يديها
كنبيٍّ ناداهُ سِرُّ التَّجَلِّي

وَتَلَقَّ المفاجآتِ صموتاً
لامحاً ما تكنُّ ممَّا ستُذْلي

مستزيداً مِنْ بوجهِا مستعيداً
مبدياً ما يثيرُ فيما يُسلِّي

* *

قلْ لها: هل رأيتِ في أيِّ يوم
مثلَ هذا الذي طَمى اليوم يَغْلي

يدفنُ السَّمعَ في الجنازيرِ يُخْشي
كلَّ سقفٍ في أخمصيْهِ ويُغلي

يحرقُ النومَ في العيونِ، ويطهو
في الشظايا مسرى النجوم ويَقْلي

هل سمعتِ الصَّباحَ مثلي ينادي
يا (حَوَلِّي) أراكَ أصبحتِ قَبْلي[1]

قال: بكَّرْتَ أنتَ. طبتَ مساءً
فرأى ما رأى وقال: لعلِّي

أيُّ ريحٍ من خِدْرِ أُمِّي رمتْني
وَنَفَتْني من انبِلاجي وطَلِّي؟

(1) حولِّي: أحد الأحياء الشعبية في الكويت، وقد ورد اسمه في مطلع القصيدة.

وهنا سوفَ تستهلُّ وتشكو
ضاعَ في آخرِ الصَّدى مُسْتَهَلِّي

بعد نصفِ الدجى أتوْا، ولخوفي
غاب خوفي وكنت أرهَبُ ظِلِّي

جاء مني، يا ذا الجناحينِ غيري
أو أنا جئتُ منهُ في بعضِ شكْلي

حُلْتُ دبَّابةً كإحدى اللَّواتي
جئن ليلاً يِقْلَعْنَ داري وأهلي

* *

قالتُ: لا بدَّ أن أراهم، تبدَّوْا
كابنِ عمّي، كزوجِ أختي، كبعلي

الأسامي طِبْقُ الأسامي. عليٌّ،
ناصرٌ، خَزْعَلٌ، سليمانُ، عَذلي

كلهم ينطقون (ماكو) كنُطقي
هل غُزاتي أنا، دمي ذوبُ نَصْلي؟

قِيلَ قِدْماً جارُ العزيز عزيزٌ
أيُّ أمرٍ أغرى العزيزَ بِذُلِّي؟

في يديْهِ مُدرَّعاتٌ، لماذا
لا يواري هذي البيوتَ ويُخْلي؟

ربما يبْتني حواريكِ أرقى
قل: يُوَشِّي بقملِهِ حُسْنَ قَمْلي

عــنــده تُــخــمــةٌ وجــوعٌ وعــنــدي
نَــسْــلُــهُ هــذه الــمــآســي ونــسْــلــي

قــلــت: يــا جــيــشَــهُ إذا كــان وضــعــي
فــاسـداً فَــلأُنْــزْ أنــا، لا تَــنْــزلــي

أيُّ شــعــبِ يــنــوبُ عــنــهُ ســواهُ
فــهــو طــيــفٌ مــن الــزمــانِ الــمُــولّــي

إن تُــرِد مــوردي فــسَــلْ هــل ســيــرضــى
دجــلــةٌ غَــمْــس إصــبــعــيْــهِ بــضــحــلــي[1]

إنْ تــكــن فــارســاً فــ(حــيــفــا) تــنــادي
لا يُــســمَّــى شــجــاعــةً طــخــنُ ســهْــلــي

ألأنّــي جِــمــامُ كــفَّــيْــنِ تــرمــي
بــخَــضَــمِّ الــحــديــدِ حــفــنَــةَ رمْــلــي

لا ألاقــيــكَ بــالــقــتــالِ فــهــذا
فــوق حــجــمــي ودون حــجــمِــكَ قــتــلــي

إنــمــا لــن أقــولَ: «لــلــبــيــتِ ربٌّ»
أنــا بــيــتــي ورب بــيــتــي وإبْــلــي

تــمــلــكُ الآن عــجــنَ أمــري، ولــكــنْ
ســوف يُــغْــيــيــكَ آخــرَ الأمــرِ أكْــلــي

* * *

(1) الضحل: الماء القليل في البئر أو البحر، وقد يستعار صفة للأفكار المنحطة.

هل تراني أفحمتُهُ؟ كنتِ أذكى
وَهْوَ أعتى، يعتو فلن تضمحِلّي

لم تُذبِّلْ منكِ الصواريخُ غصناً
لا أمالتْ هذا القوامَ (الهِرَقْلي)

كيف تذوي ريحانةٌ من تميمٍ
ذوَّبتْ كُلَّ ما يُذيبُ ويُضلي

فانحنتْ كي تشمَّ ريشي وقالت:
أهْو أزجاكَ لي فقلتُ: استدلِّي

تحت ريشي قصيدةٌ لم يقلْها
وشذاها يُغنيكِ عن أن تُفَلِّي

ولهذا عرفتُ روضَكِ وحدي
مثلَ عرفانِ زنجبيلي ونَخْلي

كمْ أشاعت هذي وذاك تخلّى
أو تخلَّتْ، حتى تلاشى التَّخلّي

إنه الآن مثلُ نسغِ غصوني
مِنْ قَراري يرقى ويدمى كَفُلِّي

* *

يا مُندَّى الجناحِ أسقيكَ ماذا؟
جفَّ مائي في نارِ خالي وخِلّي

قلْ لمن جئتَ عنهُ، أو فيكَ وافى
صارَ كلُّ الكويت زوجي وطفلي

ذاتَ ذاتــيَّــتــي أحِــسُّــكَ تــتــلــو
وجــهَــهُ فــي غــمــوضٍ لــحــظــي وكُــحْــلــي

كــان يُــدعــى (الــشُّــوَيــخَ)، (وِدّانَ) قــبــلاً
قــيــل: كــان الــمــطــارُ بــالأمــسِ (ذُهْــلــي)[1]

(1) ذُهل: من القبائل الشهيرة بجودة الأرض وشجاعة الناس.
سُحيم: هو الشاعر سحيم عبد بني الحسحاس وكانت له علاقة حميمة مع نساء أكثر القبائل، وكان يملك حاسة وصفية لنساء كل قبيلة حتى يصل إلى المناطق المحجوبة كقوله:

مــن كــل بــيــضــاء لــهــا كــشــعــبٌ
مــثــل ســنــام الــبــكــرة الــمــائــر

وكان إذا وصف خلوة مع امرأة أراد الحي معرفة من هي، وعندما اشتهر له من قصيدة هذان البيتان:

وبــتــنــا ورأســانــا عــلــى عــلــجــانــة
تــهــادى الــريــاح الــرمــل عــنــا تــهــاديــا

تــوسّــدنــي زنــداً وتــحــنــو بــمــعــصــم
عــلــيَّ وتــلــوي رجــلَــهــا مــن ورائــيــا

ونتيجة هذا التصوير الحسي في بني ذهل أرادوا أن يعرفوا من تلك المرأة فأوثقوه بحبل إلى نخلة، وأسقوه زقاً من الخمر واتفقوا على أن تمر عليه نساء الحي ومن هفا إليها وهفت إليه فهي التي خلا بها فخرجت النساء وما وصلت واحدة إلى مربطه إلا توقفت تحاول فك حبله حتى اجتمعت حوله ست عشرة امرأة تعاونَ على فك وثاقه برفق، فأخذ الرجال العجب إذ رأوا عطفهن عليه، فتلك تمسح الغبار عن شعره وتلك عن ثيابه المهلهلة. وتلك تطعمه الخبز والحليب والتمر ولما صاح أحد القوم صاحت أجرأ النساء: ألا تستحون يا بني ذهل تربطون هذا العبد الشاعر الدميم فيشهر دناءتكم في الناس بشعره الذي يجوب البدو والحضر. قيل عنه إنه كان أحظى الرجال عند جميع النساء لأنه على دمامته كان خفيف الظل حسن المعشر

وكان عمر بن الخطاب يستحلي مطلع قصيدته اليائية

تــذكــر عُــمــيــر إن تــجــهــزت غــازيــا
كــفــى الــشــيــب والإســلام لــلــمــرء نــاهــيــا

هاهُنا أوثقوا سُحَيْماً وقالوا:
أيُّ ذُهْلِيَّةٍ بها أنتَ مَبْلي؟

قال: عنّي اذهبوا، ويخطِرْنَ دوني
وانظروا أيَّهنَّ تحتزُّ حبلي

سوف تدرون يا أُتاتَ النواجي
هل أنا شغلهنَّ أو هُنَّ شُغلي؟

* *

أين دار (الفرزدقِ) الآن؟ أمست
نصفَ ديوانِ مستشارٍ مَظَلّي

مستشارونَ عسكريُّونَ أغبى
يوم غزو البلادِ مِنْ ظِلْفِ بغلِ[1]

أين كانت قواذفي ودفاعي
فجر يوم الخميسِ؟ كانت تُصلّي

لا تغالطْ قلْ: كان سُرَّاقُ وجهي
في مخابي الهوى يبيعونَ أصلي

= فكان عمر يقدم الإسلام على الشيب فيختل الوزن، فكان يقول:
ليت سحيماً قدم الإسلام على المشيب، ولما لاقاه ذات مرة سأله:
لماذا قدمت الشيب على الإسلام، قال: لأن الشيب أوعظ وأذكر بدنو الأجل فاستصوب عمر هذا.

(1) ظلف بغل: يقال إنه أغبى أظلاف المواشي بدليل أن الأبقار والأغنام والحمير تحس بأظلافها تململ الزلازل في بطن الأرض قبل انفجارها فيركضن هاربات إلا البغل فإن أظلافه لا تحس بالزلزال.

أيــن كــان الــذيــن يــشــرونَ عــنــهــم
أحــدثَ الــرّادعــاتِ، قــل: ضــاع بــذلــي؟

كــنــتُ أقــوى إذْ كــان ســيــفــي بــكــفّــي
وعــلــى ظــهــرِ (شَــذْقَــمٍ) كــان رَحْــلــي[1]

كــانــتِ الــشــمــس ســاعــتــي وردائــي
وقــمــيــصــي شــمــيــمَ ريــحــي وبــقــلــي

ألــبَــسَ الــنــفــطُ قــامــتــي غــيــرَ جــلــدي
فــامــتــطــى الــرَّأْسُــمــالُ رأســي ورِجْــلــي

أشــتــري (لَــرْنَــكــا) و(دلــهــي) و(رومــا)
أيــن مُــلــكُ الــرشــيــدِ مِــن رُبْــعِ دخْــلــي

ويُــريــنــي الــنِّــفــاقُ نُــبــلــي فــأنــســى
أنــنــي أشــتــري مِــنَ الــسُّــوقِ نُــبْــلــي

كــنــتِ تــعــطــيــنَ بــالــيــديْــن جُــزافــاً
ولأمــريْــنِ رحــتُ أُعــطــي بــنــعــلــي

كــيــف هــذا؟ أدوسُ كــلَّ رجــاءٍ
وأُمَــنِّــي ولا يــفــي غــيــرُ مَــطْــلــي

لــم أضَــعْ فــي مــكــانِــهِ أيَّ قــرشٍ
كــان جُــودي تــآمُــريــاً كــبُــخْــلــي

* * *

قــال خــوفــي: أريــحُ مــالــي، إذا بــي
لِــســمــانِ الــقــوى أُســمِّــنُ عِــجْــلــي

(1) شذْقمُ: من أسماء ذكور الإبل.

قل لمن يزعمُ النقودَ سلاحاً
ولساناً باتت جَبَاني ونذلي[1]

فاستباح القريبُ رَبْعي ولبِّي
كلُّ ناءٍ مِن أجلِهِ، لا لأجْلي

أيَّ الاثنين، يا أبا الرِّيش أخشى
الغريب المجيب أم خالَ نجلي؟

هزَّكَ الخوفُ. إنه آدمي
وضميرُ المُخيفِ وحشٌ عُتُلُّي

قعْدي موقفاً مِنَ الشعبِ يرقى
وعلى ذا وذاك منهُ أطلُّي

* * *

انتظرني إنّي أُودِّعُ قشّاً
كان شملي وأنتقي اليومَ شَملي

أخلعُ القاتلَ الذي يرتديني
والقتيلَ الذي ينوءُ بحملي

فليكنْ قاومي ومُوتي وقومي
واطعَمي كلَّ ما يُجِدُّ ويُبْلي

جرِّبي أخطر الحوادثِ عنفاً
كي تقولي: أجَذنَ حَدِّي وصَقْلي

(1) إشارة إلى قول الشاعر القديم في النقود:
فهي اللسان لمن أراد فصاحة
وهي السلاح لمن أراد قتالا

وادخـلـي الـيـوم مِـنْ غـدٍ واسـتـبـيـنـي
آخـرَ الأمـسِ مـن زمـانِ (الـفَـطَـحْـلـي)[1]

يـا صـديـقـي الـهَـزارُ سـل ذاك عـنـي
كـيـف أضـحـى جـنـونُـهُ عـقـلَ عـقـلـي

قـل لـه: قـالـتِ الـمـحـبـةُ أُكْـسـى
بـالـتَّـعـرِّي، أعـرى بـكـثـر الـتَّـحـلِّـي

خـذْ إلـيـه هـذي الـغـصـونَ، وقـالـت:
هُـنَّ بـعـضـي أوْدعـتُ فـيـهـنَّ كُـلِّـي

وهـنـا أُبْـتُ مـثـلَ سـربِ الـصـبـايـا
فـي ضـحـى الـعـيـدِ مُـنشـداً يـا (هِـزَلِّـي)[2]

حـسـنـاً كـان ذا، فـمـا بـعـدَ هـذا؟
كـيـف أولـي الـحـنـيـنَ مـا لـيـس تُـولـي؟

عـن (حَـوَلِّـي) عـرفـت مـا كـدتُ أدري
مـن يـريـنـي مـا زادَ عـلـمـي بـجـهـلـي؟

---

(1) الفطحلي: حيوان اشتهر في أيام نوح بالبدانة بعد الهزال، وتحكي الأساطير أن الأحجار كانت يوم ذاك رطاباً فأكل منها الفطحلي فطال عمره سبعة أضعاف جنسه لأنه أكل من تلك الأحجار. وإلى هذا أشار رؤبة بن العجاج في امتداح هشام بن عبد الملك:

يا ليتني عمرت عمر السَّحل … أيام نوح زمن الفطحلي

(2) يا هزلي: هذا هو افتتاح أغنيات صبايا العيد في المدن اليمنية إذ يبدأن بهذا الصوت بالتجاوب:

هِـزَلِّـي يـا هِـزَلِّـي … قـد قـالـت عِـسَـلِّـي
لا بـيـت الـبـلـيـلـي … خـذنـي لا تـخـلِّـي

وقد تضاف إلى هذا الافتتاح مقاطع تستحدثها الظروف.

مراسيم الليلة الخامسة

ماذا اعتراها فانبرت صاخِبةْ
وهي الصَّموتُ الصلبةُ الصالبةْ

كم أغضبتْ ناسيةً من شوَتْ؟
والآن تطفو وحدها غاضبةْ

أيُّ زمانٍ جرَّها خلفَهُ
وأيُّ عصرٍ خلفَها ساحِبةْ؟

أشباحُها تنشقُّ عن ظِلِّها
أدغالُها في ظلِّها ساربةْ

تحسو جرارَ السهدِ مقلوبةً
وتمتطي أكتافَها قالبةْ

*

ما بالُ هذي الليلةِ استبحرتْ[1]
كأنها من وضعِها هاربةْ

تدور في أسواقِ آباطِها
كمستغيثِ الغيمةِ الناضِبةْ

كأنَّها تبتاعُ أكذوبةً
تزيلُ عنها وصمةَ الكاذبَةْ

(1) استبحرت: استعارت صفة البحر أو أشبهته وذلك كقول العرب:
استنوق الجمل إذا حمل بعض صفات الناقة.

تصيحُ: إظلامي أصولُ الثرى
والضوءُ فيه حالةٌ غاربَةْ

ما زال رغم النِّفطِ والكهربا
أدجى حشاً من أمِّهِ الحاطِبَةْ

* * *

قررتُ أن أرفع سعر الكرى
وأن أنيمَ الأنجمَ الثاقِبةْ

أن تدفعَ الريحُ رسوماً على
مرورِها راحلةً آيبةْ

وأن تؤدِّي كلُّ إيماضةٍ
ضريبةً للطلقةِ الضاربَةْ

وأن تُراعي كلُّ كُلِّيَّةٍ
تَحَجُّبَ الأستاذِ والطَّالِبَةْ

وأن يجولَ المنحنى لابساً
عمامةً كالرَّبوةِ اللاهِبَةْ

وأن تمرَّ الساعةُ العشرُ مِنْ
وجه الضحى كالخالةِ العاتبَةْ

أن تخرجَ الأجداثُ تمشي غداً
وتنثني بعد غدٍ راكِبةْ

وأن يُسمَّى شاحكٌ كَشْحَةً
وأن يُسمَّى المعمرُ الخاربَةْ

* * *

تقول هذا ثم تصغي إلى
أنفاسِها الجوّالةِ اللائبةْ[1]

وترتخي سائلةً نفسها:
هل أنتِ مثلي هشّةٌ ناصِبةْ؟

هل كان يجري كلُّ ما شئتُهُ
لو لم تكن خزّانتي واهبةْ؟

لو لم تكن لي عصبةٌ تحتذي
جباهَهم كالغزوةِ الغاصبةْ

رقّعتُ بالعُمْلات أمري كمن
يُرقِّعُ الأمّيَّ بالكاتبةْ

هذي الدنانيرُ الزّواني لها
غوايةٌ طاعتُها واجِبةْ

تُمْري أكُفُّ السوقِ أمعاءَها
وتنحني أفواهُها شاربةْ

أنَبْتُها عني فكانت على
كلّ أموري، كاسْمِها نايبةْ

* *

والآن يا لَيّالُ ما قرّرتْ[2]؟
أن تطبخَ الصرّافَ والحاسبةْ

---

(1) اللائبة: العطشى التي تسعى بحثاً عن الماء.

(2) الليّال: راكب الليل، كبحار راكب البحر، وجمّال رفيق الجمال.

أن تـحـفـظ الأمـوالَ مِـن بـعـدِمـا
أمـسـت أواعـي دورِهـا سـاغِـبـةْ

ومـنـذ وقـتِ أصـبـحـت وحـدهـا
حـقـائـب الأتـبـاعِ والـحـاقـبـةْ

كـيـف تـراهـا بـعـد طـول الـسُّـرى؟
صـبـيَّـةً فـي كـهـلـةٍ راسـبـةْ

تـصـفـرُّ حـيـنـاً مـثـلَ مـغـلـوبـةٍ
وتـارةً تـحـمـرُّ كـالـغـالـبـةْ

شـرقـيَّـةٌ غـربـيَّـةٌ. أهْـي مـن
قُـدَّامـهـا أم خـلـفَـهـا واثـبـةْ؟

عـن الـجـهـاتِ الأربـعِ اسـتـحـدثـتْ
ريـحـاً كـإيـجـابـيَّـةٍ سـالـبـةْ

* *

ألـيـلـةٌ هـاتـيـكَ أم أعْـصُـرٌ؟
أظـنـهـا فـي مـثـلـهـا واقـبـةْ[1]

لِـشـكـلِـهـا زهـوُ امـبـراطـورةٍ
لـمـحـتـواهـا فـطـرةُ الـحـالـبـةْ

تـعـدُّ أهـداب مـنـاهـا تـرى
أحـلامَـهـا عـن طـيـفِـهـا راغـبـةْ

بـظـهـرِهـا مـن وجـهِـهـا تـحـتـمـي
كـمـا تـشـيـخ الـدولـةُ الـخـائـبـةْ

(1) واقبة: داخلة في مثلها. ويقال: وقب الليل إذا دخل لحظات ظلامه.

لا كـفُّـهـا الـيـمـنـى بـمـأمـونـةٍ
ولا الـيـدُ الـيـسـرى لـهـا صـاحـبـةْ

* *

تـقـول: لـو اخـتـرتُ كـفَّـيَّ مِـنْ
بـدايـتـي مـا سـاءتِ الـعـاقـبـةْ

أحـيـن أمـسـى خـطـئـي سُـلْـطَـةً
فـوقـي رأيـتُ الـفـكـرةَ الـصـائـبـةْ

لاقـيـتُ مِـنْ حـولـي سـنـاً شـاحـبـاً
جـانـسْـتُـهُ بـالأعـيـنِ الـشـاحـبـةْ

كـان بِـوُدِّي أن أُحـيـلَ الـذُّرا
غـمـائـمـاً وسِـمِـيَّـةً سـاكِـبـةْ

لا الـلـيـلُ أرضـى كـلَّ سـارٍ ولا
صـافـى الـضـحـى أجـواءَهُ قـاطـبـةْ

تـظـنُّ يـا لـيَّـالُ أخـبـارَهـا؟
ثـقـافـةً مـكـسـوبـةً كـاسـبـةْ

هـل بـالُـهـا عـمّـا بـه غـائـبٌ
أو أنّـهـا عـن بـالِـهـا غـائِـبـةْ؟

أفـلاكُـهـا مـا انـتـخـبـتْ غـيـرَهـا
لأنّـهـا كـانـتْ هـي الـنـاخِـبـةْ

والآن تـسـتـهـوي كـمـا تـنـثـنـي
إلـى صـبـاهـا الـمـومـسُ الـتـائِـبـةْ

تــقــول: يــا صــبــحُ اتَّــئــدْ ريــثــمــا
ألْــــقَــــنُ الــــبــــوَّاب والــــحــــاجِــــبــــةْ

ولا تــــقــــلْ شــــاهــــدْتَــــنــــي أمــــتــــطــــي
ولا إلــــــــى أيــــــــن أنــــــــا ذاهِــــــــبــــــــةْ

لأنَّ مَــــــنْ يــــــطــــــلــــــبُــــــنــــــي زوجــــــةً
يــــــريــــــد أن آتــــــيــــــهُ خــــــاطــــــبــــــةْ

لــكــي يُــســمَّــى زوجَ كــلِّ الــنــســا
ومــا اقــتــفــى فــي عــشــقِــهِ (والــبــةْ)[1]

عــرفــتَ يــا لــيّــالُ مَــنْ زوجُــهــا
لــعــلَّــهــا الــمــجــلــوبــةُ الــجــالــبــةْ

قــالــت: أرادتْ طــعــمَ تــذويــبــهِ
فــأصــبــحــتْ فــي كــفِّــه الــذائِــبــةْ

كــيــف أشــابــت كــلَّ زوجٍ ولــم
تَــشُــبْ خُــمَــيًّــا كــأسِــهــا شــائِــبــةْ؟

الآن تــحــكــي: مَــن أنــا هــاهُــنــا
أنــا الــعــروسُ الآن والــنــادِبــةْ

ومــا ســتــحــكــي بــعــدُ؟ مَــن مُــخــبــري؟
مــا ســرُّ هــذي الــلــعــبــةِ الــلاعــبــةْ؟

❁ ❁ ❁

(1) والبة: هو الشاعر والبة بن الحباب أستاذ المدرسة النواسية التي كانت ترى الغلمانية أنقى من الأنوثة.

الديار الوافدة إليها

أكتوبر 1989م

كما يقرأ الفجرُ الربيعَ المضمَّخا
تجيء ديارُ الحلمِ أسخى مِن السَّخا

يقال مِن (اللا أينَ) تستفتحُ المدى
كما تُرعِشُ الأنسامُ خِذْراً مُشرَّخا

كما تصعد الحبّاتُ من وطأة الرَّحى
رغيفاً، زكتْ في القحطِ كي تَبْسطَ الرَّخا

وأغربُ مِنْ أمِّ الأساطيرِ وثْبُها
إلى كلِّ بيتٍ فوق أبصارُ (ميمِ خا)[1]

بكلِّ مكانٍ تغزل الصخرَ أعيناً
وتهمي لتخضرَّ الصحارى وتَنْضَخا

توشّي بساتيناً، تطيلُ سنابلاً
تغنّي الرُّبا شعراً من الشِّعرِ أبْذَخا

وتتلو تواريخَ الهشائمِ مذ صبتْ
غصوناً وإذ صارت نثيراً مُشدَّخا

* * *

---

(1) ميم خا: مصطلح يمني للمخبرين أو المخابرات.

تحيّي حقولاً يسردُ الفرنُ عَرْفَها
وتُضبي هَزاراً للمراعي مؤرِّخا

وتهتفُ: يا ميمونُ ها أنت إنما
تخيَّرْتَ أن تخفى قليلاً وترضخا

يرى (البُقْعُ)[1] فيها وجهَهُ سربَ أنجم
وينسى (المخا)[2] في ضوئِها أنَّهُ المَخا

وتغضي لها (صنعا) كإشفاقِ طيِّعٍ
تلقّى خطاباً مِن أبيهِ موبِّخا

ويحسبها (هِزّان)[3] ليلةَ قدرِهِ
و(ميدي)[4] يُغنّي: تلك جادت لأشمخا

* * *

يقولُ أحُلْمٌ هبَّ ينفخُ روحَها
أأبقى غرورُ الطين للحُلْمِ مَنْفَخا

أأبقتْ نعالُ الجندِ قبل انبلاجِها
لعينِ امرئٍ مَرأىً لشكواهُ مَضْرَخا

سأخبرها ما دلَّها حلمُ حالمٍ
لأن الذي مات في عجزِهِ ارتخى

---

(1) البقع: منطقة في شمال اليمن.

(2) المخا: ميناء على البحر الأحمر.

(3) هزّان: جبل بضاحية مدينة ذمار بالمناطق الوسطى.

(4) ميدي: بلدة تهامية على شاطئ البحر الأحمر.

فكم سُلِّخَ الإنسانُ في كُلِّ بقعةٍ
ولا مَنْ رأى يوماً سليخاً ومَسْلخا

* *

أأنشرُ يا أمسي غسيلَك كلَّهُ
لديها، ولا تبخلْ بما كان أوسخا

سأشكرُها إذْ أقبلتْ في أوانِها
وسوف ترى وجهي بخلفي مُلَطَّخا

فتحنو كأمُّ ثم تُفصحُ أنها
تُسمِّي الذي يقوى على المسخِ أمسخا

وتسألُ: منْ ذا اليوم يدعوكَ شاطئاً
وقد صارَ هذا البحرُ كوزاً مُزَرْنَخا؟

أجاءت تزفُّ الطهر مِن بدءِ بدئِهِ
على الأرض أم تمحو الرُّكامَ المفخَّخا؟

يقولون تجري كالسواقي لتنتمي
إلى الأرضِ كي تبقى مِن الأرضِ أرسخا

ويحكون أن النسغَ يتلو جبينَها
كتاباً لتاريخ الكواليسِ أنْسخا

وأنَّ لها مِنْ سادةِ الجنِّ حارساً
يُسمى (هَبيداً)[1] وهي تدعوه كَرْبخا[2]

---

(1) هبيد: هو في الأساطير الشعرية الجني الذي كان يوحي إلى لبيد الشعر فقيل: (لولا هبيد لهلك لبيد).

(2) كربخ: هو الجني الذي كان يوحي إلى رؤبة بن العجاج الشعر وفيه يقول: =

وأنَّ لـهـا زوجـاً رأتْ فَـسْـخَ عـقـدِهِ
فـقـال: لـمـاذا تـفـسخـينَ الـمـفَـسَّـخـا؟

* *

عـلـى عـكـس مَـن جـاؤوا أتـتْ مـن أمـامِـهـا
فـمـا خـلـفَـهـا دهـرٌ صـبـا ثـم شـيَّـخـا

ولا فـي طـوايـاهـا رمـادُ أبـوَّةٍ
إذا لامـسـتْـهُ ريـشـةُ الـبـارقِ انـتـخـى

لأنَّ اسْـمـهـا مـا دار فـي بـالِ دفـتـرِ
ولا قـيـل كـم أعـطـى ولا كـيـف دوَّخـا

تـكـرُّ إلـى قُـدّامِـهـا مِـنْ قُـدومِـهـا
فـتـجـتـازُ فـي نـصـفِ الـدقـيـقـةِ فـرسـخـا

وكـي تـبـلـغَ الأفـكـارُ غـايـةَ نـضـجِـهـا
تـرى أن تـشـوِّيـهـا الـرؤوسُ وتـطـبـخـا

وكـالـصـبـحِ تـغـدو لا يـرى الـصـبـحُ بـيـنَـهـا
وبـيـن إراداتِ الـجـمـاهـيـرِ بـرزخـا

مُـحـبّـاتُـهـا بـالـقـلـبِ لا الـقـول كـالـتـي
دعـوْهـا اعـتـيـاداً بـالـعـلاقـاتِ والإخـا

فـلا قـبـلـهـا مـنـهـا ولا الـبـعْـدُ نـاسـبٌ
إلـى مـنـتـمـاهـا مـا تـتـالـى وأفـرخـا

= إنـي وكـل شـاعـر مـن الـبـشـر
شـيـطـانـه أنـثـى وشـيـطـانـي ذكـر
وقد استعير الاسمان لغير الشاعرين.

سباحةٌ
على ريشةِ البرق(*)

لـيـس لـي فـوق مـا أضـأتَ زيـادة
كـلُّ غـيـبٍ كـاشـفْـتَ أضـحـى شـهـادَة

وتـراءى الـذي رأيـتَ. لـمـاذا؟
مـا سـهـا الـمـوتُ أو أجـاب الـوسـادَة

ألـهـذا يـجـيءُ كـلُّ أوانٍ
فـاجـئـاً، وهْـو كـالـتـحـيَّـاتِ عـادَة

ولـمـاذا لا تـمـلـكُ الآن ردّاً
يـا وريـثَ الـبـيـان يـا ابـن الإجـادة؟

يـا الـذي دارتِ الـثـريّـا دواةً
فـي يـديـه، وألـهـمـتْـهُ الـنـضـادَة(1)

يـا الـعـشـيـقُ الـذي رأى مـهـدَ عـادٍ
غـادةً، فـي قـمـيـصِـهـا كـلُّ غـادَة

(*) ألقيت في الذكرى الخمسين لوفاة الزعيم الإصلاحي: أحمد عبد الوهاب الوريث

(1) الثريا: هي زوجة النجم سهيل اليماني، وهي موحية الشعر في الحكايا اليمنية القديمة.

هـــل أقــص الـــذي جــرى؟ أنـــت أدرى
فــلــيــكــن، ولأقــلْ حــكــايــا مُــعــادَهْ

بـعـدمـا غُـصـتَ فـي حـشـا الأرضِ أمسـت
بـــالـــربـــيـــعِ الـــذي بـــذرتَ جـــوادَهْ

لــو تـأنَّـيْـتَ شِـمْـتَ مـا خِـلْـتَ يـجـري
مـــودِعـــاً ســيِّـــدَ الأوانِ الـــسّـــيـــادَهْ(1)

كـنـتَ فـي مـقـلـتـيْ (شـبـاطَ) اشـتـيـاقـاً
فـــي مـــحـــيّـــا (آذار) ومـــض انـــتـــقـــادَهْ(2)

شـمـسُ (أيـلـولَ) كـنـتَ نـبـض سـنـاهـا
والـــكـــتـــاب الـــذي يـــقـــودُ الـــقـــيـــادَهْ

ثـــورةٌ تـــلـــو ثـــورةٍ بـــعـــد أخـــرى
والـــمُـــرجّـــى يـــلـــمُّ شـــعـــثَ الإرادَهْ

كـــنـــت فـــي هـــذه وتـــيـــك وتـــلـــكَ
شـــوقَ آتٍ وخـــيـــر مـــا فـــي الـــمُـــبـــادَهْ

هـــكـــذا دمـــتَ حـــاضـــراً مِـــن غـــيـــابِ
يـــا غـــيـــابـــاً لـــه حـــضـــورُ الـــفـــرادَهْ

يـا حـسـامـاً مِـنَ الـسـيـوف الـلّـواتـي
لُـــحْـــنَ بـــرقـــاً مـــن قـــبـــل بـــدءِ الـــحـــدادَهْ

(1) شمت: نظرت من بعيد.

(2) شباط: من عام 1948م وقع فيه الانقلاب الدستوري، وآذار من 1955م حدث فيه انقلاب على الإمام أحمد بقيادة أخيه عبدالله، وأيلول من 1962م قامت في الـ26 منه الثورة التي أسست النظام الجمهوري.

يـا أخـا (ذو الـفـقـارِ) جـرَّبْـتَ حـربـاً
قـبـل أن تَـغـرُكَ الـيـدَ الـمـسـتـجـادَةْ

يـا قـريـبـاً نـأى وحـال طـيـوفـاً
حُـلْـنَ فـي جـيـدِ كُـلِّ زاهٍ قـلادَةْ

آخـرُ الـشـوط يـسـتـهـلُّ ابـتـداءً
غـيـر مـا يـعـهـدونَ فـوق الـعـهـادَةْ

مِـن فـمِ الـطَّـحـنِ يـصـعـدُ الـحـبُّ خـبـزاً
كـيـف يـدمـى فـي الـوردِ نـسـغُ الـوِرادَةْ

هـل أجـاد الـتـنـاسـخُ الـشـكـلَ حـتـى
تـبـتـدي يـا (وريـثُ) عـمـر الإعـادَةْ

لـو تـنـقّـى الـذي سـتـغـدو عـلـيـهِ
وافـداً مـنـكَ، هـل سـتـرضـى الـوفـادَةْ؟

ذاك أرقـى مِـنْ تـربـةٍ، مَـنْ تـسـامـى
أهـبـطـتْـهُ مـنـهـا إلـيـهـا ازدرادَةْ

مـا أرى تـسـعـةً وعـشـريـنَ إلاّ
كـادِّكـارِ الـمـسـيـح (يـومَ الـعـمـادَةْ)[1]

والأمـرُّ الأمـرُّ فـقـدانُ غـصـنٍ
قـامـةَ الـدَّوْحِ قـبـل فَـقْـدِ الـمـلادَةْ

الـحـيـاةُ الـتـي عَـبـرْتَ كـحـلـم
ثـم طـالـت عـريـضـةً مـسـتـفـادَةْ

(1) التسعة والعشرون عاماً هي عمر الوريث.

عنك نابت رسولةً أنت منها
وَهْي منكَ التفاتةٌ وامتدادَةْ

* *

إنَّ مَنْ لا يُخيي منَ العمرِ دهراً
مِنْ معانٍ لا يستحقُّ الولادَةْ

خيرُ رُوّادِ كُلِّ قومٍ عظيمٌ
مات موتَ الندى لتبقى الرِّيادَةْ

إيهِ يا أحمدُ الوريثُ أتحكي
كيف صافى الجموحُ فيك الزَّهادَةْ؟

كنتَ تدعو إلى القنوتِ وتغري
باقتحامِ الردى وحرقِ الهوادَةْ

وترى الخانعينَ بعض قبورٍ
نصف يقظى والصمتُ حزمَ البلادَةْ

وعلى القاعدينَ تنصبُّ لوماً
وعلى الصاعدينَ تضفي الإشادَةْ

منشداً (حيَّ في الربوع شباباً
سُبَّقاً للعلا عن الحقِّ ذادَةْ)

بيدٍ تدفع (الإمامَ) أماماً
وبأخرى تريهِ عامَ الرَّمادَةْ[1]

(1) عام الرمادة: سنة مجاعة حدثت أيام عمر بن الخطاب وتسمت بعام الرمادة، وفي سنة جدب عام 1936م في اليمن حدث كذلك العام، فكان الوريث يكتب عن مشاركة =

سـائـلَـتـهُ أيـسـكـنُ الـشُّـحُ داراً
قـيـل عـنـهـا: دارُ ابـنِ شـيـخِ الـرفـادَةْ

***

كـنـبـيٍّ تَـتـلـو الـعـيـونَ قـلـوبـاً
تـلـمـح الـقـلـب نـاظـراً ذا سـدادَةْ

وتـخـوضُ الـجـدالَ صـفـواً وتـثـنـي
لَـغَـطـاً تـمـتـطـي هـواهُ الـلَّـدادَةْ

فـأوانـاً مـفـلـسِـفـاً كـابـنِ سـيـنـا
وأوانـاً مـحـدِّثـاً عـن قـتـادَةْ

(وسـمـاعـاً أهـلَ الـبـصـائـرِ) تـرقـى
بـالـمـصـلّـى وتـرتـقـي كـالـعـبـادَةْ[1]

كـنـتَ فـي كـلِّ مـا تـخـطُّ وتـمـلـي
سـيِّـداً فـي ضـمـيـرهِ الـشـعـبُ سـادَةْ

ولـذا صـنَّـفـوك غـيـر مـوالٍ
ولأهـلِ الـطُّـفـورِ سـهـلَ الـمـقـادَةْ

مَـنْ يـريـهـم لـلـنـابـغـيـنَ مـزاداً
بـيـنَـهُـمْ جـفـوةٌ رأوْهـا مـزادَةْ

***

يـا أبـا (الـحـكـمـة) الـبـتـولِ، بـقـلـبـي
نـفـثـةٌ لـيـس لـي عـلـيـهـا جـلادةْ[2]

= عمر بن الخطاب مواطنيه في التقشف والمجاعة منوهاً إلى نظام ذلك الحين وترفه.

(1) كانت عبارة (سماعاً عباد الله أهل البصائر) استهلال خطابات الوريث ودروسه.

(2) الحكمة: مجلة ثقافية رأس تحريرها الوريث عام 1939م العام الذي مات في منتهاه.

أتُــرانــي فــي جــانــحِ الــبــرقِ أســري
ريــشــةً مــن هــواكَ ذاتَ اتّــقــادَةْ

وعــلــى جــمــرتــي تــرى وجــهَ صــنــعــا
كــي تــؤدّي زيــارةً أو عــيــادَةْ[1]

خــذ حــريــقــي فــكــلُّ مــا فــي بــلادي
مِــنْ بــلادي حــتــى الأســى والــنــكــادَةْ

إنّــهــا مــا تــزالُ كــالأمــسِ تــغــدو
شــبــهَ صــيّــادةٍ وتــمــســي مُــصــادَةْ

أيــنــمــا ســافــرتْ تــلاهــا لــظــاهــا
لا هــنــا، لا هــنــاك تــلــقــى ابــتــرادَةْ

قــل لــدهــريّــةِ الــرحــيــلِ: أضــيــفــي
خــبــرة الــسُّــنــدبــادِ يــا ســنــدبــادَةْ

قــل لــهــا: أيــن كــان أحــفــادُ (أروى)
يــوم صــاغــتْ لــهــا الأقــالــيــمُ قــادَةْ

هــل أعــيــدُ الــذي عَــلِــمْــتَ وأدري
ربّــمــا نــســتــشــفُّ أشــقــى إفــادَةْ

خــلــتَ (يــحــيــى) عــلــى الــعــصــافــيــرِ صــقــراً
فــتــلاه مــن صــيّــرُوهُ جــرادَةْ

لــو تــرى الــيــومَ دُورَهــم صــحــتَ فــوراً
عِــمْ مــســاءً يــا فــقــرَ (دارِ الــسَّــعــادَةْ)[2]

---

(1) العيادة: عبارة خاصة بزيارة المريض فلا يقال زرت المريض وإنما عدته.

(2) دار السعادة: إحدى داريْ الإمام يحيى حميد الدين.

قُل لصنعا: ماذا تودّينَ؟ قولي
توشكُ اليومَ أن تفيدَ الودادَةْ

هل أقول: اقتضامُ أطراف ذاتي
شبهةُ السِّلْمِ أم غموضُ الإبادَةْ

أيُّ أزواج أُمِّي الآن عمّي؟
كم ستقضي يا ابْني ديونَ الحفادَةْ[1]

هل أعيدُ الذي يقول المغنِّي
عن تناجي (عزِّ الهدى) و(زبادَةْ)[2]؟

أو أغنِّي قَتْلَ (اليدومي) ينادي
وعلى بنتِهِ تنوحُ (القَعادَةْ)[3]

قلتُ جهراً: «سلمانُ أدرى بسعدٍ»
مثلاً من طرافةٍ وتلادَةْ[4]

---

(1) أزواج أمي: كان الصنعائيون يقولون عند ذهاب حاكم ومجيء غيره: من تزوج أمنا كان عمنا، كناية عن الرضا وعن عدم الفرق بين الذاهب والآتي.

(2) عز الهدى: من أبناء الطبقات العليا وقع في عشق (زبادة) إحدى بنات الطبقة الدنيا فقيلت في هذا العشق أغان شعبية كثيرة مثل هذا:

عز الهدى قالوا عِشقْ زبادة
اليوم بنت الصَّبِلْ بيتْ سادة

(3) القعادة: السرير الذي يسميه المصريون المرتبة والشاميون التخت واليمنيون القعادة

(4) سلمان أدرى بسعد: اشترك سعد وسلمان في قتل رجل وابنته يسمى اليدومي فاعترف سلمان بالجريمة وأنكر سعد وهو المباشر فقال الصنعائيون: (سلمان أدرى بسعد أحسن) أي إن شهادته حجّة، وصار هذا القول مثلاً على كل من يعرف أكثر من غيره.

وأبَتْ أن تزيدَ حرفاً. لماذا؟
طمعاً في نقاوةِ الاستزادةْ

* * *

سيّدي رمتَ للحمى أمسِ رغْداً
هل ترى اليوم للجميعِ الرَّغادةْ؟

كلُّ أمرٍ كما شهدتَ، ولكنْ
ألبسوا بنطلونَ (إبسنْ) عُبادةْ

جمهروا ضحوة الخميسِ وباتوا
ليلة السبتِ بعض خصيانِ (بادَةْ)[1]

هل يسمّي الفراغُ ما يرتديهِ
موضةً، حَسْب ما ادَّعوا أو ضِمادَةْ

ولماذا أبنتُ (أيلولَ) كادتْ
كلَّ زوجٍ أمِ اكتروها مُكادَةْ؟

ما بنوْا غير دُورِهم. من سيبني
كلَّ هذا الحمى قصوراً مُشادَةْ؟

(1) بادة: دار في سمرقند لبيع الخصيان الروميين الذين كان يغالي فيهم الملوك وأتباعهم لائتمانهم على مخالطة النساء وعلى هذا قيل: «خصيان بادة أحق بالسادة»

زفَّة الحرائق

1990م

شوقُ (واشنطنْ) إلى (بَنَما) يستحثُّ (الإدْزَ) والصَّمما
ويوصِّي ما سينقُذُها؟ كيف يجني ربحَ ما غَرِما؟
كيف يشويها على (وضَمٍ) ويذيبُ العظمَ والوضَما؟[1]
شمُّها أشهى، أيتركها وهو أضرى مخلباً وفما؟
وبأغلى اللحمِ ذو ولعٍ مذ غذَتْهُ أمُّهُ القَرَما[2]
موَّه السكِّينَ داخلَهُ مَن برى إحساسَهُ (جَلَما)[3]
فهو ذبَّاحانِ مفترقاً وهو مزَّاقٌ إذا التأما

* * *

(بَنَما): من أين يقضمُها؟ أيُّها ما غصَّ مقتضِما؟
هل (غرينادا) شبيهتها؟ عمَّهتْ أوصافُها الكلما
ما الذي يخفى عليه بها؟ حزمُها لو شدَّتِ الحُزَما
ربما تبدو مواجهةً غيرَها أو عكسَ ما زعما
هل قواهُ الراكضاتُ على صدرِها لم تدرِ ما كظما؟
مِن هنا، أو ثَمَّ يقصفُها غيرَ مبدٍ وجهَ مَن هجما
أو يماسيها مفاجأةً مُطعِماً ساحاتِها الحمما
كانساً فيها البيوتَ إلى حيثُ لا شعبٌ ولا زُعما

---

(1) وضم: الوضم قطع حديدية أو صخرية في القديم يُشوى عليها اللحم.
(2) القرم: الشهية الشديدة إلى اللحم خاصة.
(3) الجلم: هو المقص الكبير الذي يجتز أصواف الغنم وأوبار الإبل.

مِن يديْه التفّ معتكراً ... من حشاهُ انشقّ ملتهما
سوف يرمي الشهبَ عاويةً ... يحرقُ الأشجارَ مبتسما

* * *

وتمادى راسماً خططاً ... وبأقسى الفتكِ منسجما
راكباً أدغالَ هامتِهِ ... راكزاً عرقوبَهُ عَلَما
طالعاً من ساقِهِ عُنُقاً ... نازلاً من أنفِهِ قدما
داخلاً مِن حلقِهِ شبقاً ... خارجاً من ظهرِهِ سأما
لا مجيباً سائليهِ ولا ... سائلاً ماذا انتواهُ وما.
يأكلُ الأشداء لا شعرَتْ ... يدُهُ لا شمّ لا طَعِما
ذاهلاً عمّا طهاهُ وعنْ ... نيِّئٍ من لمسِهِ انهضما
ساحباً تاريخَهُ جثثاً ... ناصباً دولارِه صنما
تارة مستهوناً خطراً ... تارةً مستسمناً ورَما
دافناً أطفالَ كلِّ حمَىً ... باعثاً من دفنِها الرِّمما
قلبُهُ جنزيرُ كاسحةٍ ... وجههُ نفعيّةُ اللُّؤما
هجسُهُ ترسانةٌ، دمُه ... يُرضعُ الصاروخَ والقلما
كي يربّي العِلْمَ مفترساً ... كالمَواسي يُرهِفُ العُلَما
ولكي يُردي بلا سبب ... بالدمقراطيةِ التثما
مقلتاهُ نبضُ حاسبةٍ ... يخطف الشرقيْنَ لمحُهما
يدخلُ الظلماءَ مِنْ يدِها ... كي يقودَ الصبحَ متَّهما

* *

بيتُهُ مرمى قذيفتهِ ... والشظايا أهلُهُ الوُسَما
مِزَقُ الأنقاضِ زوجتُهُ ... والسكرتيراتُ والنُّدَما

كـلُّ صـاروخٍ لـه وطـنٌ (بَـنَـمـا) بـعضُ الـذي اغـتـنـمـا
كـيف يـغشـى الـنائيـاتِ؟ ومِنْ هـذه مـا جـاوز الـلَّـمـمـا[1]
وهْـي أدنـى مِـنْ يـديْـهِ إلـى فـمِـهِ، لِـمْ لا يـغـوصُ؟ لِـمـا؟
وإلـيـهـا اقـتـادَ، هـبَّ وكـم هـبَّ مـجّـانـاً ومـنـتـقـمـا
(بَـنَـما)، (واشنطنُ) اقتحمتْ ـ تلك في حلقي. مَن اقتحما؟
ومـتـى غـابـت؟ وهـل حـسَمَت غـيـرَ تـعـقـيـدِ الـذي انـحسـمـا؟
وحـضـورُ الـمـوتِ يُـفـقِـدُهُ رضْـدَه إذ مـاتَ مُـذْ قَـدِمـا
من أتتْ؟ نـفسُ الـتي انزرعَتْ أيُّـهـا الأخـرى؟ وأيُّـهـمـا؟

* * *

إنـهـا تُـضْـلـي هـنـا وهـنـا تـحـجـبُ الأضـواءَ والـظُّـلَـمـا
تـلـبـسُ الآفـاقَ تـخـلـعُـهـا كـالـمـواشي تـسلـخُ الـدِّيـمـا[2]
تـحـرقُ الـسـاعـاتِ دائـرةً حـولَـهـا تـسـتـنـشـقُ الـدَّسَـمـا
سـوف تُـفْـنـي كُـلَّ مـا لـمـست ـ غـيـرَ عـزمِ الـفـتْـيـةِ الـعُـظَـمـا
كـم أحـالـتْ تـلـك عـامـرةً عـدمـاً يـسـتـوطـنُ الـعَـدَمـا
سـل (هـروشـيـمـا) وصـنـوتَـهـا يـا صـديـقـي. مَـنْ أبـادهـمـا؟
لـو رآهـا سـدُّكـمْ لأبـى أن يـسـمّـي سـيـلـه الـعَـرِمـا
نـاوشـتْ (كـوبـا) لـتـأكـلَـهـا فـاسـتـجـاشـتْ هـمُّـهـا هِـمَـمـا
و(الـخـلـيـجُ) الـيـوم يـذكـرُهـا مـا الـذي ألـقت؟ وكـيـف طمـى؟
فـي (غـريـنـادا) هَـمَـتْ لـهـبـاً يـعـرفُ الـشـيـطـانُ كـيـفَ هَـمَـى
هـشَـمَـتْ فـي (لـيـبـيـا) قـمـراً يـحـتـذي مـولـى الـذي هـشـمـا

---

(1) اللمم: صغائر الذنوب.
(2) الدِّيم: السحائب الممطرة.

ولــهــا فــي (كــوريــا) خــبــرٌ قلت: هل أرويكَ؟ فاحتشما!

هــذه أخــبــار مَــشــبــعــةٍ تَــلْــهَــمُ الــغــربــانَ والــرَّخَــمــا
كــيــف عــنّــي الآن أدفــعُــهــا؟ هــل تــرى إيضاحَــهــا انْــبــهَــمــا؟
الــســمــاءُ الآن قــنــبــلــةٌ تــرتــعــي أرضــاً بــدونِ ســمــا
تــرتــمــي، تــرقــى، يــكــسُّرُهــا نــصــفُــهــا الأعــلــى بــمــا الــتــقــمــا
مــثــلُ بــحــرٍ قــام مــجــتــمــعــاً يــعــصــرُ الــغــيــمــاتِ فــانــقــســمــا
تــلــك لا تــروى وإن جــرعَــتْ بــالــتــهــام الــمــؤلــمِ الألــمــا
تــلــحــسُ الــمــمــســوح بــاذرةً فــي احــتــمــالِ الــصــيــحــةِ الــبــكَــمــا
وتــزفُّ الــمــوتَ تــعــجــمُــهُ تــنــتــحــي، تــســتــعــربُ الــعــجــمــا
مــا الــذي يــنــقــضُّ مــنــتــعــلاً عــالَــمــاً عــن نــفــسِــهِ انــفــصــمــا
كــابــنِ خــمــسٍ جــدُّ جــدَّتِــهِ فــيــهِ أصــبــى مــقــلــةً ولــمــى
يــمــتــطــي إن قــام لــحــيــتَــهُ يــرتــدي فــخــذيْــهِ إن جــثــمــا
يــلــعــنُ الأعــلامُ، مَــنْ غــدروا بــاسْــمِــهــا الأخــلاقَ والــذِّمــمــا
والألــى أثْــروا بــمــا حــرمــوا والــذيــن اســتــوهــبــوا الــنِّــعــمــا
وتــمــاثــيــلُ الألُــى ذهــبــوا ومــجــيءُ الــصَّــبــيــةِ الــحُــلــمــا
أغْــشَــمُ الآتــيــنَ مَــظْــلَــمَــةً مــن أطــاعــوا كــلَّ مَــنْ ظــلــمــا
كــلُّ تــنــظــيــمــاتِــهــم فــقــدتْ نــهــجَــهــا مــذ أصــبــحــتْ نُــظُــمــا

*

يــا طــواحــيــنَ الــحــريــقِ مــتــى يــهــجــعُ الــقــصــفُ الــذي بــشــمــا؟
الــرُّبــى تــنــبــو بــأظــهــرِهــا كــخــيــولِ تَــغــلِــكُ الــلُّــجــمــا
والــحــواري فــي اسْــمِــهــا غَــربــت بــلــدٌ مــن خَــصــرِهِ انــقــصــمــا

(بنما)، (واشنطنُ) امتشقتْ مِنْ قواها الأحدثَ النَّهِما
إنها بالقتلِ عالمةٌ إنما لا تعرفُ النَّدما
(فَتْنِمي) كفَّيْكِ تلك بنَتْ مِنْ شظايا هذه هَرَما
انظري كيف اعتلتْ ودنتْ تطحنُ الأوهادَ والقمما
هاهُنا تجتاحُ مُزْدَحَماً وهنا تجتثُّ مُزدحما
تمضغ الجدرانَ، تنفثُها خلفَها ترمي بها قُدُما
ليس تدري ما الذي حَطَمَتْ؟ ما الذي من عظمِها انحطما؟
ما الذي من تحتِها هدمت؟ ما الذي من فوقِها انهدما؟
هل رمت سوقيْنِ أم شبحاً؟ هل رمت جيشاً؟ وكيف رمى؟
هل شوت تسعين مدرسةً أم حَماماً لم تجد حَرما؟
ما تسمِّيهِ الذي رسمت؟ ما الذي من عكسِهِ ارتسما؟
أهي جاءت تستبيحُ دماً؟ قلْ وجاءتْ كي تصبَّ دما

مثلَ كسرِ الطفلِ صينِيةً كَسرَتْ كي تسمع النغما
(كيف تصبو دولةٌ نَصفٌ خيرُ نصفيْها الذي انصرما)[1]
ذئبةٌ ناريَّةٌ سترى أنها ما باغتتْ غنما
حاربتْ للحرب عبَّأني وطني كي أحرس الشَّمما
تبتغي داري وقُطرَ أبي وأنا أحمي أعزَّ حمى
لبَّتِ الشيطان في دمِها وأجبتُ البذلَ والقيما

---

(1) النصف: التي بلغت نصف عمرها، والبيت تحوير لبيت من الشعر القديم في زوجة في منتصف عمرها:

فإن أتوكَ وقالوا: إنها نَصَفٌ
فقل لهم: خيرُ نصفيْها الذي ذهبا

القوى في كفِّ زوبعةٍ غيرُها في قبضةِ الفُهما

* * *

قيل لي: غامرتَ، قال أبي: يغلبُ الأقوى منِ اعتزما
مِنْ دمي غَصَّتْ بأفسدِهِ وأنا خفَّيت مُختجما
قيل: مَنْ كانوا هنا عسساً عندها أضحوْا لها خُصما
هل تراها حاربت وطناً كي تقاضي خمسةً غُرَما؟
مرَّ (أتسوعٌ) وما لمحَتْ ما الذي ولّى وما نجما؟
وقتُها إسقاطُ حاميةٍ موقعٌ ما زالَ محتدما
خَثِلٌ حيٌّ لا وجومَ بهِ مِنْ حشا الحيِّ الذي وَجَما
مدفعٌ يهتاج أربعةً ورجيمٌ يسرد الرُّجُما
كلُّ آنٍ خلفَها مدَدٌ خلفَهُ ثانٍ إذا انثلما
إن أشابتْ ذا الحِمامَ وذا زفَّتِ الموتَ الذي اغتلما
أصبحَتْ حرباً يُشيْطِنُها ماردٌ يعتادُ ما اجترما
خِلتُها تلويحَ ذي بصرٍ رؤيةُ الغازي أشدُّ عمى

* * *

ليتني (عَوَجٌ) أحطُّ هنا (كَنِناً) يحميكِ أو (نُقُما)
من هما؟ أعتى الجبال على كلُّ عاتٍ ذاك دأبُهما
لو رآكِ الأطلسي وأنا قال: حُلْ يا (جورجُ) بينهما
مَنْ له قلبٌ فليس لهُ قدرةٌ ما أغرب الرُّحَما
مَنْ تُسمَّى؟ عيدُ معركتي أن ألاقي الآن ملتزما
ما تزال الأرضُ عامرةً بالرفاقِ الثُّقَّبِ الكُرما
ولماذا لا أشاهدُهم؟ أعظمُ الأخطارِ ما انكتما

كل لاتينيَّةٍ جمعتْ أمرها مِنْ أمرِنا أمَما

بعد هذي الحرب ثالثةٌ قل: ورابعةٌ وزذْ رقما
قيل لي. (واشنطنُ) اتَّحدتْ بالردى، شاخ اتِّحادهما
قد أراها في هجومِ غدٍ للردى الثاني غدتْ خَدَما
فهي أرمى بالحتوفِ إلى كُلِّ شعبٍ ثارَ أو حلُما
ما أنا الأولى بدفترِها لا (مَنَجُوا) آخرُ القُدما

*

أيُّ قطرٍ فيه ما اضطرمَتْ أو بعدوى نارِها اضطرما
فإذا ما داهمتْ فلها مَن دهى عنها ومن دهما

*

لو لها ماضٍ لشاهدَها تستحلُّ الأشهر الحُرما
والذي شاد (الخليلُ) ومَنْ طاف بالأركانِ واستلما
لو رآها المُغرقون لما شيَّدوا (الأهرامَ) أو (إرَما)
فهي تأتي اليوم قاتلةً ثم تأتي ضيف مَن سلما
تشبتُ الأولى إدانتَها ترتضي الأخرى بها حكَما
تكتري زوجاً كشكل فتىً زوجةً لا تملكُ الرَّحِما
سوف تلقاني أجدَّ قوىً وألاقيها أحرَّ ظما
لا انتهى غازي مقاومتي لا ولا عدوانُها اختُتما

* * *

قل لواشنطنْ: متى اقتدرتْ أمَّةٌ أن تبلعُ الأمما
إنها الأقوى بدون حِجىً ولها حُكمٌ بلا حُكَما
إن تبعْ باعتْ مُنىً بمنىً إن شرتْ تشري دُمىً بدُمى

إن رأتـهـا بـالـقـوى انـتـصـرتْ هــل رأت إنــسـانـي انـهـزمـا؟

شـــذّبـــتْ فـــوضـى زوائــدِهِ تـحـت نـارِ الـهـجـمـةِ انـتـظـمـا

والـــذي أدمـــتْ ثـــراه بـــهِ شـــمَّ جِـنًّــا أرضِـهِ فــنـمـا

إن أدارتْ فــيــه مـلـحـمـةً فـعـلـى إصـرارِهِ الـتـحـمـا

عـبـثـاً جـاءت فـمـا قـتـلـتْ غـيـر مـقـتـولٍ بـهـا اعـتـصـمـا

وانـثـنـتْ مـنـفـوخـةً وأنـا غـيـرُ مَـن ظـنّـتْ أنـا (بـنـمـا)

❂ ❂ ❂

آخر السُّؤال

1991م

اللَّيلُ ينحلُّ بَرْدا والطيفُ ينهَلُّ وَرْدا
وبين ذاك وهذا جمعٌ تلخَّصَ فردا
يمتصُّ حبرَ دجاهُ يضني شظاياهُ زَرْدا
يستقرئُ الطيفَ عنها يَهمي حواراً وسَرْدا

* * *

قالت: غدا الكلُّ جُوفاً مثلَ التوابيتِ جُرْدا
ترى الزمانَ عجوزاً غِرّاً يضاحكُ قِرْدا
لا فرقَ بالنار يلهو أو أن يلاعبَ نَرْدا
قالت ويُدني صباها يُصبي الذي فيه أرْدى
كالفجرِ جاءتْ توشّي حديقةً فيهِ غَرْدا
فينتشي كسؤالٍ مُضنىً توهَّجَ ردًّا
ويسمعُ الرّيحَ تشدو وَهْيَ منَ السُّكْرِ دَرْدا
يدعو النجومَ رفاقاً عُرباً وروماً وكُرْدا
تَحولُ فيهِ الشواني غِيداً يغازلنْ مُرْدا

◎◎◎

وريقة
من كشكول الرِّيح

نوفمبر 1990م

تنويه:

وردت أسماء أماكن كويتية وهي كما يلي بلا ترتيب: كاظمة، الجهرا، الأحمدي ـ أسماء مدائن، السليمانية، الشويخ، المرقاب، حولّي، النقرة ـ أحياء في مدينة الكويت. وغمدان: قصر أثري في اليمن.

قيل عن (صدّامَ): (بوشُ) اليومَ صَرَّخْ
قال (غربتشوفُ): (هلمث كولُ) وضَّخْ

تاهَ (بيكز)، ما الذي يعملُهُ
مُستَقَرُّ النفطِ يهتاجُ ويَرزَمَخْ

صَبَّحَتْهُ غزوةٌ ما نَفَثَتْ
عطسَةً واحدةً حتى ترنَّخْ

سقطَ الوقتُ كسيحاً فوقَهُ
وهو مِن قبلِ سقوطِ الوقتِ أكسخْ

لا الذي ماتَ هنا أغفى ولا
أصبح الغازي مِنَ المغزوِّ أنجَخْ

لا يعي الهاربُ هل يرمي به
مأمناً أو مَخْوَفاً أو أيَّ مطرخْ

يدخلُ السوقَ حشاهُ مثلما
يلبسُ المقتولُ جثمانَ المجرِّخ

فرَّتِ الكثبانُ منها والحصى
من حصاهُ لاذتِ البطحا بأبْطَخ

مات برميلٌ بأولى سكتةٍ
ونجا ثانٍ له قلبٌ مُصَفَّخ

* * *

فتحتْ كشكولَها الرِّيحُ: اكتبي
ما جرى، لا تنعتي أطْغَى وأصْفَخ

دوِّني السّاعاتِ، لا تَستكلحي
ربّما تلقيْنَ بعدَ الآن أكْلَخ

في فمي حادثةٌ آبيَّةٌ
ذقتُها. لا ماعَ وصفي، لا تبجَّخ

قال (جفري هاوُ): تبدو صفقةً
لَبسَتْ حادثةً أوهى وأوقخ

وقعتْ، فاتتْ؛ فماذا بعدها؟
لفحتْ جاراً: .أتاليها سيلْفَخ؟

قال (فهدٌ) تلك أدهى، واحتمى
بالذي يدري متى يُرخي ويكْبَخ

شبَّتِ الحادثةُ امتدَّتْ، غدتْ
أُمَّ أحداثٍ، لها ستّونَ منكخ

ولــهــا كـــ(ابــن سَــدوسٍ) عَــشْــرةٌ
وثــمــانــونَ فــتًــىً مِــنْ (آل أفْــلــحْ)[1]

* * *

قــيــل (تَــتْــشَــز) قــرأت طــالــعــهــا
قــبــل أن يــشــتــطَّ مــغــزاهــا وتَــشْــطَــحْ

قــال (مــيــتــيــران): مــاذا تــبــتــغــي؟
رأيَــنــا، أم تــرتــئــي فــيــنــا وَتُــنــصَــحْ؟

أيَّ شــيءٍ فــي الــخــلــيــج اســتــحــدثــتْ؟
مــا أطــاحــتْ فــيــهِ إلا بــالــمُــطَــوَّحْ

صــرّحــوا، قــامــوا، أشــاروا، وضّــحــوا
أمــراءُ الــقــبــحِ مــن مَــرْآهُ أقْــبــحْ

فــتــحــتْ (بــرلــيــنُ) طــرْفــاً ثــالــثــاً
ســكــتَ (الــعــتــريــفُ) و(الــتُّــنَّــيــنُ) صــيَّــحْ[2]

كــان بــالــعــيــنــيْــن وجــهــي نــاقــصــاً
زدْتُــهُ ثــالــثــةً فــاخــتــالَ أمْــلــحْ

---

(1) ابن سدوس: هو الحارث بن سدوس الشهير بكثرة الأولاد، وردُّ العرب كثرة أولاده إلى قوة فحولة عضوه التناسلي، وقيلت فيه أشعار شهيرة استشهد ببعضها النحاة لتأكيد الاسم بالاسم:

لــو شــاء ربــي كــان أيــر أبــيــكــمُ
أيــراً كــأيــر الــحــارث بــن ســدوس

ومثل ابن سدوس (آل أفلح) في الشهرة نفسها، و(المناكح) كناية عن كثرة أزواج المرأة.

(2) العتريف: هو الديك الذي يسبق فصيلته إلى اشتمام الفجر، وقد تطلق التسمية على سائر الديكة فتجمع (عتاريف).

وإلى الرِّيحِ أسرَّتْ خبراً
كذَّبتْهُ عينُها والسَّمعُ رَجَخ

قال (هافلْ) راوياً عن خمسةٍ
شاهدوا (لينينَ) يختطُّ ويشْرَخ

يقرأ السوقَ، يغنِّي، يحتسي
كأس (بوشْكينَ) وكالأطفالِ يمرخ

هل تجسَّستم عليهِ؟ سنةً
ننثني إن عاد، نغدو حين يسرَخ

لافترى في أمرِنا، لا قالَ: مِنْ
أين أنتم، كلَّ يومٍ كان أشْمخ

وعلى إرهافِ حذْيِهِ تشي
مقلتاهُ، إنه ما اعتادَ يجرخ

غير أنّا ما استبنّا بيتَهُ
لا أرانا، لا اهتديْنا كيف يجنخ

كيف ينسلُّ إلى مُنْعَطَفٍ
يحتويهِ، لا يرينا منه ملمَخ

أَلِحُبِّ الأرض يغفو تحتَها
وعليها ينحني، يجني ويفلخ

ما الذي يلبسُ؟ مثلي، إنمَّا
قلبُهُ أذكى، ومن عينيْهِ أطْمَخ

قلتُ: هل أخلجتَ؟ كُتْبي أخَلجتْ
وعليها استنبحوا ما ليس ينبخ

قـلـتُ: يـا عـمُّ أوصِـنـا، قـال: أمـا
كـثـرةُ الـتـغـلـيـفِ لـلأسـرارِ أفـضـخ!

* * *

مـا الـذي نـخـبـر عـنـه؟ إنَّـهُ
كـضـحـى نـيـسـانَ، بـل أبـهـى وأنـفـخ

عـنـدهـم عـنـهُ، سـوى مـا عـنـدنـا
صـدَّقـوا مـا قـيـل، لـمَّـا كـان أرْوخ

كـان ذاك الـوقـتُ فـي (كـاظـمـةٍ)
طـلـقـةً تـقـتـاد إعـصـاراً مـسـلَّـخ

يُـغـرقـونَ الآن (مـوسْـكـو) لـبـنـاً
(الـكـويـتُ) الآن فـي نـاريـنِ يـسْـبـخ

امـنـحـيـهِ يـا (تـمـيـمُ) نـجـدةً
مـثـلـمـا كـان، إذا اسـتـمـنـحـتِ يـمْـنَـخ

* * *

قـيـل (مـوسْـكـو) تـشـتـهـي مـرضـعـةً
مـن (أثـيـنـا) قـيـل بـالألـبـانِ تَـطْـفـخْ

قـيـل مـاتـت عـطـشـاً، قـيـل فـمـا
بـالُـهـا تَـسْـتَـخْـلِـبُ الـرمـل فـيـنْـضَـخْ

كـم تـظـنَّ الـوقـتَ يـا (مـيـخـا)؟ أرى
ضِـفَّـةً تـدنـو، وعـنـهـا الـنـهـر يـنْـزخ

ارتـوت (بـاريـسُ)، (نـيّـوركُ) ابـتـدتْ
كـأسَـهـا، (صـدَّامُ) فـي (الـمـرقـابِ) أصْـبـخْ

فـي (بـراغَ) الأزمـةُ الـسّـكـرى صـحَـتْ
(الـسـلـيـمـانـيـةُ) اعـتـمَّـتْ بـمـذبـحْ

فـي (بـروكْـسِـلْ) عـقـدوا مـؤتـمـراً
في (الشويخِ) الصَّمتُ من (سحْبانَ) أفْصَحْ

فـي (مـيـونِـخْ) لـلـثـواني دهـشـةٌ
فـوق (حـفـر الـبـاطـنِ) الـحـشـرُ الـمـجنَّـحْ

أعـلـنـتْ (بِـغْـبِـنْ): تـنـادت جُـثَـثٌ
فـي (حَـوَلّـي) أجـمـع الـحـيُّ الـمُـقـرَّحْ

مـن هـنـا نـسـري، وكـانـت تـرتـدي
دمَـهـا (الـجـهـرا) وتـحـت الـقـصـفِ تـجـمـحْ

أسـفـرتْ وقـفـتُـهـا الأولـى كـمـا
هـتـكـتْ (لـيـلـى) بـهـتـكِ (ابـنِ الـمـلـوَّحْ)[1]

قـال (غـمـدانُ): (الـكـويـتُ) ابـنُ أبـي
مـثـل طـفـلٍ تـحـت خـيـلِ الـنـارِ يـرزحْ

قـالـت (الـنـقـرةُ): يـا عـمُّ اطـمـئـنْ
هـا أنـا والـطـارئُ الـغـاشـي سـيـبـرحْ

---

(1) هتكت ليلى: كانت عادة العشاق الأوائل إذا التقوا أن يشق العاشق جيب قميصه إلى الحزام، فتشق المرأة برقعها، واذا زاد العاشق من شق ثوبه شقت المعشوقة مثله، وكان هذا يسمى بالتهاتك الذي أفصح عنه الشعر العربي من أمثال قول سحيم عبد بني الحسحاس:

إذا شُقَّ بُردٌ شُقَّ بالبُردِ بُرقُعٌ
دواليك حتى كلّنا غير لابسِ

يــا أبــنــتــي كــلُّ بــلادٍ تــلــتــظــي
فــي حــنــايــاهــا بــلادٌ ســوف تــفــرخ

*

عــربــبــتْ (عــمّــانُ)، قــال (الأحــمــدي):
خــنــجُــر ابــنِ الــعــمِّ لابــنِ الــعــمِّ أذبــخ

قــالــت الــريــحُ: كــأهــلِ الأرض يــا
(أحــمــدي) لا بــدَّ أن تــهــنــا وتــتــرخ

لــو لــ(وزســو) ربــعُ مــا تــمــلــكُــهُ
بــادرتــكَ الــصــبــحَ كــي تــبــتــاعَ مــشــلــخ

قــل: لــمــاذا جــانــبــتْ مــنــتــصــفــاً
نــحــو بــدء، صــار مــمّــا كــان أفــدخ

الــدِّيــمــقــراطــيّــةُ الــيــومَ بــلا
ثــورةٍ كــومــيــديــا مــن غــيــرِ مــســرخ

قــبــل عــشــريــنَ ابــتــدا مــا لــم يــكــن
أســنــح الــشــعــبُ الــذي مــا كــان يــســنــخ

مــا الــذي تــســألُ (واشــنــطــنْ)؟ أصــخْ
(الــكــويــت) الــيــومَ أم بــالأمــسِ أربــخ؟

حــســنــاً أرمــي إلــيــهِ قــوَّةً
أُعــلــنُ الــحــرب وأدعــو الــصــلــحَ أصــلــخ

قــالــتِ الــحــربُ: كــثــيــراً مــا انــثــنــتْ
أُهــبــتــي ســلْــمــاً، وبــعــضُ الــجِــدِّ أمــزخ

إنــنــي ذاتُ وجــوهٍ بــعــضُــهــا
عــكــسُ بــعــض، ولــذا أُهْــجــى وأُمــدخ

هل لديكِ اليوم وجهٌ؟ سكتتْ
قالتِ الريحُ: عروسُ الشرِّ ألقحَ

حاولت (روما) ترى الأمس غداً
قبل أن يبتهلَ (البابا) تنحنخ

ونهى (الأزهرُ) عن حلقِ اللِّحى
يومَ (نابليونُ) في بابيْهِ ينطخ

* *

هل خليجُ اليوم من هذا وذا؟
أَعَلى من ردَّ عن بابيْهِ يفتخ؟

دخلتْ قامتَهُ الريحُ التي
يشتهي، ما تشتهي تندى فيسفخ

ليس لِلتغيير نهجٌ واحدٌ
قيل: يستدعي ويستبقي ويمسخ

راضَهُ لِلدأبِ سبعونَ أباً
علَّمتْهُ ألفُ أمٍّ كيف يكدخ

كان قبل الشمسِ يستدفي به
وإلى عينيْهِ من إبطيْهِ يلمخ

عن خليجِ اليوم قل لي، إنهُ
من كتابِ الأرضِ فصلٌ لم يُنقَّخ

الخليج الأوّل انهدَّ، فهل
يحملُ الثاني علاماتِ المرشَّخ؟

❁❁❁

فتوى إلى غير مالك

تنويه:

قبل الدخول إلى هذه القصيدة تحسن رواية قصتها: بعد الفراغ منها بأسبوع من شهر ديسمبر 1948م، وددت أن يقطع رأسي وأمّلت في هذه القصيدة خيراً فبعثتها إلى الإمام أحمد من سجن القشلة بذمار، فأحدثت العكس، إذ انتدب (الإمام) عبد الرحمن بن أحمد حميد الدين إلى ذمار باسم مروره في طريقه إلى (زراجة) مركز الحدأ وفي صبيحة يوم وصل عامل ذمار (الهمداني) مصحوباً بابن حميد الدين عامل الحدأ إلى (القشلة) التي أنا سجين بها وحيداً، وأعرب ابن حميد الدين إلى عامل ذمار بأنه يريد أن يرى الأعمى الشاعر، فوافق عامل ذمار على هذا بأمر شريف، فقال ابن حميد الدين أنا أمر شريف من رأسي إلى قدمي سمعت هذا الحوار، وبعد لحظات حيّاني عبدالرحمن وأنست إليه إذ قال صحيح والله أعمى، تدري أن الإمام لا يعرف هذا وسأعرّفُهُ بما رأيت، ثم سألني كيف عرف الإمام أنك أعمى؟ وأراد تأكيد هذا؟ فقلت لا أدري قال بل تدري، ففهمت أنه قد رأى القصيدة التي رآها الإمام والذي يخبر أحد أبياتها بهذا بعد هذا تم نقلي إلى سجن صنعاء قبل زملائي بالسجن الآخر بأيام وقيل إنَّ (الحسن) هو الذي أراد النقل إلى صنعاء لكي يستبق إطلاقنا من الإمام بذمار لكي يطول سجني تحت نظره، وانطوى السجن وما تلاه من أيام وسنوات، وفي عام 1958م أعلنت السفارة المصرية بصنعاء أن القاهرة ستنشر أي كتاب أو أي ديوان يمني في مشروع الـ(ألف كتاب) فسلمت ديواني (من أرض بلقيس) للنشر، وبعد عام ونصف العام تزامن

رجوع الإمام أحمد من روما ودخول ديواني المطبعة، فاجتهد علي الجندي المكلف بتنفيذ طبع الديوان وتصحيحه باستبعاد القصيدة المشار إليها لأن أخباراً وردته أن الإمام رجع من روما متعطشاً إلى الدماء ليقتل بالظنة والشبهة على حد تعبير (الجندي) في رسالته إلى (لجنة الشعر) في (المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم)، فأصرت اللجنة على نشر كل حرف في ذلك الديوان الذي رضيت عنه، وظل (الجندي) خائفاً على صاحب القصيدة، فحكى ليوسف السباعي مدير المجلس قائلاً: تريد أن تقرأ للبردوني ديواناً آخر؟ فقال: نعم، فقال: وافق على استبعاد القصيدة الأولى التي بعنوان (فتوى إلى غير مالك)، فقال السباعي: أراها، وعندما رآها قال شيء فظيع ولا سيما هذه الأيام حيث الإمام يتّهم مصر بتحريك التمرد العسكري في اليمن، وبهذا غادرت الفتوى ـ القصيدة مكانها عام 1960م وفي عام 1962م استأذن يوسف السباعي صاحب (من أرض بلقيس) بإعادة طبع الديوان معيدين القصيدة المحذوفة لأن مبرر إبعادها قد زال بثورة سبتمبر، فوافقت على إعادة طبع الديوان مستثنياً إضافة القصيدة المحذوفة، لأن وجودها في طبعة ثانية نصف ضياع بعد هذا تركت القصيدة وشأنها، لأن موضوعها قد فات من جهتين موت الإمام، وغيابها عن الطبعة الأولى وفي عام 1966م لم أجدها مناسبة بين قصائد (في طريق الفجر) حتى لا تُستغل بعض أبياتها في ظروف الحرب، وفي عام 1970م لاحظت غربتها بين قصائد (مدينة الغد) فرأيت إهمالها برغم أنها كانت مطبوعة في الذاكرة كقصائد ذلك الحين، وهكذا توالت المجموعات الشعرية إلى عشر، وهذه القصيدة خارج الحساب لانتهاء زمنها وموضوعها، وفي السنتين الأخيرتين بدأت هذه القصيدة تنتشر إلى حد أن أحدهم أطلعني عليها وصحّحت له الأخطاء الخطية، فاستغرب قراءتي إياها حرفياً رغم طول المدة بين إنشائها في آخر الأربعينيات وظهورها في آخر الثمانينيات، ونتيجة

انتشارها الخطي على ذلك الشكل، رأيت أن ألحقها بهذا الديوان كما كتبت آخر عام 1948م:

إلى الإمام أحمد حميد الدين من طالب معرفة

ديسمبر 1948م

لـــن تـــرحـــم الـــثـــوّار والـــهـــتَّـــافـــا
هـــلاَّ رحـــمـــتَ الـــســـيـــفَ والـــسَّـــيَّـــافـــا؟

أوَمـــا عـــلـــى الـــمـــقـــدامِ يـــومَ الـــنـــصـــر أن
يـــرعـــى الـــشـــجـــاع ويـــرحـــمَ الـــخَـــوَّافـــا؟

أيـــكـــون مـــا أحـــرزتَـــهُ نـــصـــراً، إذا
قـــاتـــلـــتَ أجـــبُـــنَ أو قـــتـــلـــتَ ضـــعـــافـــا؟

أســـمـــعـــتَ عـــن شـــرف الـــعـــداوةِ، كـــي تـــرى
لـــخـــصـــمٌ تـــقـــطـــيـــع الـــرؤوسِ ضـــفـــافـــا؟

ســـأحـــثُّ أســـئـــلـــتـــي إلـــيـــك، وإنـــنـــي
أرمـــي بـــهـــنَّ وبـــي إلـــيـــكَ جـــزافـــا

هـــاك الـــقـــصـــيـــدةَ والـــمُـــقـــصِّـــدَ ســـلْـــهـــمـــا
إن تـــبـــتـــغِ، أو دعْـــهـــمـــا اســـتـــخـــفـــافـــا

* * *

ســـأظـــلُّ أســـأل (أحـــمـــداً) لا (مـــالـــكـــاً)
كـــيـــف اســـتـــطـــبـــت بـــأهـــلـــكَ الإجـــحـــافـــا؟

فـــدخـــلـــتَ (صـــنـــعـــا) فـــاتـــحـــاً، وقـــطـــوفُـــهـــا
أشـــهـــى إلـــى مـــن جـــاءهـــا مـــصـــطـــافـــا

هل قال قتلُ أبيك: ترقى بعدَهُ
تُفني وتسجنُ باسمِه الآلافا؟

أتركتَهُ بالأمس يلقى قتلَهُ
كي لا ترى للأمرِ فيك خلافا؟

أسرفتَ في التقتيلِ، يهزمُ نصرَهُ
من يستلذُّ القتلَ والإسرافا

حتى قطعتَ مع الرؤوس ذيولَها
هل سوف تقطعُ بعدها الأردافا؟

ماذا ستصنع حين تصعدُ أرؤساً
تلك التي لَما تزلْ أكتافا؟

* *

أضنى دمُ الأعناقِ سيفَكَ هل روى
كيف اقشعرَّ من النجيع وخافا؟

لو كنتَ لاستعطافِ أيِّ مُؤمِّلٍ
أهلاً، لذاب حسامُكَ استعطافا

أيُقال: عفَّ ابنُ الحديدِ عن الدِّما
وابنُ الأئمَةِ لا يُطيقُ عفافا

ويقال: أمسى (نافعٌ) مستخبراً
أأجعتَهُ كي يأكلَ الأضيافا[1]؟

* * *

(1) نافع: اسم سجن في حجّة.

أخجلتَ عهدَ أبيك والأسيادَ من
أسلافِهِ، وستُخرِجُ الأخلافا

لا يبلغُ الأشرافَ إلاّ من غدت
أعمالُهُ كجدودِهِ أشرافا

سل وَقْعَ رميتِكَ التي ما أخطأت
أهدافَها: كم أخطأتْ أهدافا؟

هل وافتِ المرمى الذي نفرتْ لهُ
أم ذلك المرمى إليها وافى؟

* * *

قالوا: ظهرتَ على العدا فاقعدْ وقل:
للريحِ عنك تُعمِّمُ الإرجافا

الآن لا حلمٌ هناك ولا هُنا
يرنو ولا طيفٌ يُرى طوَّافا

حاربتَ حتى ما تركتَ مُحارباً
وأمتَّ في أغمادِها الأسيافا

بلظى (الجرامِلِ) و(السريعِ) أحلتَ في
(بيتِ الفقيهِ) وجوهَهم أظلافا[1]

ورؤوسُ (نجرانَ) العواصِي أينعت
لّما رأتْكَ القاطفَ الخطّافا

(١) الجرامل: نوع من البنادق واحدها جرمل ألمانية الصنع السريع: صفة مدفع صارت اسماً من سرعة طلقاته وقد ذكره الإمام أحمد في إحدى قصائده الزرانقية بهذا الاسم.

والـيـوم أضـحـى (ابـنُ الـوزيـر) وحـزبُـهُ
خـبـراً عـلـى أردانِـهِ رغّـافـا

قـوَّلـتَـهُـم هـذا، فـقـالـوا: أحـسـنـوا
طَـرَبُ الـمُـلَـقِّـنِ يـخـدعُ الـعـزّافـا

* * *

أنـصـفـتَ نـفـسَـكَ خـالـقـاً. مـن يـبـتـغـي
لـضـمـيـرهِ مـن نـفـسِـكِ الإنـصـافـا

أحـدثـتَ مـا لا يـسـتـشـفُّ مـنـجِّـمٌ
لـتـرى غـداً مـا يـفـجـأُ الـعـرّافـا

قـال الـمـنـجّـمُ: مـا عـلـيـكَ خـطـورةٌ
فـعـلام تـخـشـى الـحُـلْـمَ والأطـيـافـا؟

أأقـول عـنـه: عـلـيـكَ خـصـمٌ مـنـكَ لا
يـغـفـو، ولـو صـافـيـتَـهُ مـا صـافـى

سـتـقـول: مـن هـذا الـلـعـيـنُ يـقـول مـا
أُخـفـي، أمـا سـرٌّ عـلـيـه تـخـافـى؟

لا يـسـتـحـقُّ الـذّكـر مـن ألـبـسـتَـهُ
صـفـةَ الـلـعـيـنِ ولا ارتـدى أوصـافـا

عـريـانُ إلا مـن قـمـيـص ولادِهِ
عـانٍ، وقـلـبُ الـشـعـرِ فـيـه مُـعـافـى

أعـمـى، و(زرقـاء الـيـمـامـةِ) حـيّـةٌ
فـيـه تـرى مـن (سـربـةَ) (الأحـقـافـا)[1]

(1) سربة: واد غربي ذمار شديد العمق تحيط به الجبال.
الأحقاف: بلاد حضرموت.

مـا قـال: إلا مـا اقـتـرفـتَ ومـا اجـتـلـى
مـن سـرِّهِ مـا يُـعـجـزُ الـكَـشّـافـا

مـا جـاء بـابَـكَ راجـيـاً، لـكـن أتـى
عـمـا سـيـأتـي سـائـلاً مـلـحـافـا

❁ ❁ ❁

عرّافة الكهف

1991م

يا آخرَ الليلِ، يا بدءَ الذي ياتي
هل سوف تصحو التي، أم تهجع اللاّتي؟

أسحَرْتَ في منكبيْ سهلٍ يُساكنُني
عظمي، أتُصغي إلى أسمارِ جذّاتي؟

رفقاً بلمسِ حصاهُ، إنها حُرَقي
وتلك أعشابُهُ الكحلى بُنيّاتي

أما بخدّيْك من أنفاْسِهِ قُبلٌ
كنبسِ أمي، تحاكي بدءَ لَثْغاتي؟

* * *

في غور عينيْكَ بدءٌ لا ابتداءَ لهُ
خذني أمُتْ فيه بحثاً عن براءاتي

عن ريش أولِ عصفورٍ هناك زقا
وشمِّ منقارُهُ مولاةَ مولاتي

عليك عِمَّةُ قنْاتِ تهشُّ بها
وفي ردائك ضاحٍ غيرُ قنّاتِ

هذا الهشيم الذي قيل اسْمُهُ شبحي
تدري لماذا يمنّيني بإنباتي؟

وبـانـبـلاجِ شـروقـي خـالـعـاً زمـنـي
وتـحـت إبـطـي كـتـابٌ عـن بـدايـاتـي

نـاديـتُ صـبـحـاً يـلـي صـبـحـاً هـنـا وهـنـا
ظـلّـت تُـلـبّـي نـداءاتـي نـداءاتـي

* *

يـا آخـر الـلّـيـل لـو نـاديـتُ مـقـبـرةً
قـالـت: هـنـاك انـتـبـذْ أقـلـقْـتَ أمـواتـي

لأنَّ بـيـتَ أحـبَّـائـي يُـقـوّلُـنـي
الـقـحـطُ يـمـتـدُّ مـن قـوتـي إلـى (قـاتـي)

هـذي يـدي أوشـكـتْ تـنـسـى طـريـقَ فـمـي
أصـيـحُ يـصـخـبُ شـيءٌ غـيـرُ أصـواتـي

ألـسـت يـا الـشـفـقُ الـثـانـي تُـحِـسُّ مـعـي
طـفـولـةَ ابـنِ الـنـدى، إحـدى حـبـيـبـاتـي

تـلـوح غـيـرَ الـذي بـالأمـس مـرَّ ومـا
قـال الـسَّـنـا: مـرَّ صـبـحٌ أو دُجَـىً شـاتـي

* * *

كـان الـمـكـان زمـانـيّـاً بـلا زمـن
قـال الـفـراغُ: هـنـا أهـلـي وأبـيـاتـي

مـن ذا هـنـا يـا (سـهـيـلٌ)؟ قـال: أيـن أنـا
مـن يـا ضـحـى؟ قـال: مـن ذا احـتـاز مـرآتـي؟

أمـا تـلـمَّـحـتَ حـيـنـاً مـا لـمـسـتُ أنـا؟
بـل ضـعـتُ بـيـن الـتـفـاتـاتـي ولـفـاتـي

هل أنت منك ستأتي؟ لو ملكتُ يدي
لكي أصوغَ قُبيلَ البدءِ ميقاتي

أحلى الشواني التي تحدوكَ حمرتُها
لها احمراري وللأخرى صباباتي

تُرى أيعييك مثلي حملُ جمجمتي؟
هل في طواياك نيّاتٌ كنيّاتي؟

يقال: بيتاكَ في إبطي دجىً وضحىً
بيتي الذي سوف أبني هادمٌ ذاتي

وأين تبني؟ وهل في الأرض زاويةٌ
إلاّ وأضْبى خباياها صديقاتي

*

ماذا تُغمغمُ كالنهر الجريح؟ متى
ستنفث الكبتَ؟ كي أجتازَ كُباتي

قل أيَّ شيءٍ، ولكن لا تقلْ كأبي:
دعني فلا ناقتي فيها ولا شاتي

هل في لسانِكَ أم في مسمعي حجرٌ
أم ترجم الصمتُ إنصاتي لإنصاتي؟

كم قيل: أفصحَ صبحٌ وانجلت شُبهٌ
يكفيكَ عصيانُ قلبي أمر إسكاتي

عرّافةُ الكهفِ قالت: لي مفاجأةٌ
قلتُ: أهبطي وخذيني الآن أو هاتي

علـى اسْـمِـهـا بـتُّ أطـهـو نـجـمـةً لـغـدي
مـاذا سـأفـعـلُ لـو أنـهـيـتُ مـأسـاتـي؟

الـيـوم يـا ابـنـي تُـوافـي كـلُّ ثـانـيـةٍ
بـعـكـس مـا بـشَّـرتْ قـلـبـي نـبـوءاتـي

قـبـل الـتـوقُّـعِ يـنـصـبُّ الـوقـوعُ، ولا
تُـحِـس أهـو رذاذٌ أم لـظَـىً عـاتـي؟

يـا أولَ الـصـبـحِ لـي عـنـد الـضـحـى خـبـرٌ
وأخـريـاتُ الـدجـى بـرهـانُ إثـبـاتـي

عـرَّافـةُ الـكـهـفِ قـالـت: كـلُّ آتـيـةٍ
تـمـضـي وتـأتـي ولا تـمـضـي خـرافـاتـي

كـالـبـحـر يـأتـي إلـيـه مـنـه مُـرتـحـلاً
فـيـه، كـذا تـحـمـلُ الـسَّـبّـاح مـوجـاتـي

والآن مـاذا؟ تـزوَّجْ أمَّ والـدتـي
جـدَّاتُ جـدّاتِـهـا الـخـمـسـونَ زوجـاتـي

والآن يـا يـومُ، هـا أنـت انـتـصـفْـتَ فـهـل
خـمَّـنـت مـمـا مـضـى، مـا مـطـلـعُ الآتـي؟

۞ ۞ ۞

اختطاف الشيخ عبد الكريم عبيد(*)

أغسطس 1989م

لـيـلٌ وسـربٌ مـن كـلابِ الـجـحـيـمْ
ظَـامٍ حـديـديُّ الـحـشـا والأديـمْ

يـشـوي تـجـاعـيـدَ الـلَّـيـالـي الـتـي
يـجـري عـلـيـهـا يـحـتـوي أو يُـضـيـمْ

أفَـظُّ مـن فـوضـى سـبـاعِ الـفـلا
وهـو يـبـاهـي بـالـنـظـامِ الـنَّـظـيـمْ

ومـن ذبـابِ الـصـيـفِ أظـمـى فـمـاً
إلـى دمِ الـجـرحـى وجَـرحِ الـسـلـيـمْ

لِـلـسَّـلـبِ أرأى مـن غـرابٍ، وعـن
ذي الـحـقِّ أعـمـى مـن ركـامِ الـسـديـمْ

* * *

يـكـفـي الـحـبـالـى الـوضـعَ مـن حـسـوهِ
كـلَّ جـنـيـنٍ قـبـل أكـلِ الـفـطـيـمْ

يُـعـتِّـقُ الأضـغـانَ فـيـه كـمـا
تـعـتِّـقُ الـدُّودَ الـعـظـامُ الـرَّمـيـمْ

(*) حدث اختطاف الشيخ عبد الكريم عبيد من جنوب لبنان بيد الكومندوز الإسرائيلي المحمول جواً ليلة 28 تموز 1989م.

هـذا الـقـطـيـعُ الـنـابـحُ الـنـارَ، يـا
(صـيـدا) يَـهـيـمُ الآن فـيـمَـا يـهـيـمْ؟

يـقـيـمُ فـي نـيَّـتِـهِ مـأتـمـاً
فـي أي بـيـت لا يـعـي مـا يـقـيـمْ

يـحـمـرُّ كـالـسَّـفُّـودِ يـسـودُّ، لا
يـنـامُ فـيـه الـمـعـتـدي لا يُـنـيـمْ[1]

يـقـاسـمُ الـلـيـلَ رؤاهُ، ولا
يـرضـى لـه فـي أي نُـعـمـى قـسـيـمْ

تـقـيَّـأتْـهُ خـطَّـة، مـثـلَـمـا
تـقـيَّـأ الـفـئـرانَ جـبٌّ وخـيـمْ

* * *

تـحـتـثُّـهُ يـا (صـورُ) طـيَّـارةٌ
كـجـدَّةِ الـشـيـطـانِ فـي شـكـلِ ريـمْ

تُـمَـوِّهُ الـتِّـنِّـيـنَ فـيـهـا، تُـرى
زرافـةً حـيـنـاً وحـيـنـاً ظـلـيـمْ

تـحـومُ، تـبـغـي (لـزنـكـا) تـارةً
وتـارةً تـرتـدُّ صـوبَ (الـقـصـيـمْ)

طـيـفُ دمِ الإنـسـانِ أنَّـى مـضـت
لـمـقـلـتـيْـهـا ويـديـهـا لـزيـمْ

(1) السَّفُّود: هي الحدائد التي يشوى عليها اللحم.

كــأنــهــا تــحــتَ مــهــمّــاتِــهــا
ســاقٌ دقــيــقٌ تــحــت جــســمٍ جــســيــمْ

* * *

تــرتــابُ مــن أيــن. أمــا حــدَّدوا
جــدرانَ بــيــتِ الــشــيــخِ عــبــدِ الــكــريــمْ؟
قُــدّامَــهُ مــئــذنــةٌ، خــلــفَــهُ
حــديــقــةٌ جــرحــى، ومــقــهَــىً قــديــمْ
ســفــرجــلــيٌّ، لــيــس ذا لــونَــهُ
مــقــوَّسٌ كــالــجــســرِ، ذا مــســتــقــيــمْ
كــلُّ مــكــانٍ مــشــبــهٌ جــارَهُ
أصــحُّ قــلــبــاً وهــو يــبــدو ســقــيــمْ

* * *

(عــزرا) أهــذا بــيــتُــهُ؟ مــثــلُــهُ
(مــوشــي) تــأكّــدْ. أكّــدتْ (أورشــلــيــمْ)
هــل أخــطــأتْ خــارطــتــي؛ أو أنــا؟
الــرّســمُ قُــدّامــي خــلافُ الــرّســيــمْ
(نــاحــومُ) أطــلــقْ نــصــفَ ضــوءٍ، سُــدَىً
ســيــخــتــفــي قــبــل الــهــبــوطِ الــغــريــمْ
وربــمــا تــحــرقُــهُ شــعــلــةٌ
أو يــحــرقُ الــشــيــخُ الــضــيــاءَ الــرجــيــمْ
لــه كــرامــاتٌ حــكَــوْا أنــهــا
تــحــوّلُ (الــنّــابُــلْــمَ) بــعــضَ الــهــشــيــمْ

دع عـنـك هـذا نـبـتـغـي خـطـفَـهُ
بـالـرِّفـقِ أو تـحـت الـعـذابِ الألـيـمْ

* *

يـا نـجـمُ هـذا بـيـتُـهُ أيـن مـن
هـذا الـمـصـلَّـى دارُ ذاك الـزعـيـمْ؟

هـذا كـ(دارِ الأرقـمِ) انـظـرْ أمَـا
عـنـوانُـهُ بـاسْـمِ الـعـزيـزِ الـرحـيـمْ؟

عـلـى مـحـيّـا بـابِـهِ هـمـزةٌ
وفـي قـذالِ الـسّـورِ (حـاءٌ وجـيـمْ)

*

هـل يـرشـد الـنـجـمُ الـكـلاب الـتـي
تـعـوَّدتْ أن تـهـتـدي بـالـشـمـيـمْ؟

مـن يـنـتـمـي مـنـكـم بـعـرقٍ إلـى
(قـطـميرِ) أهـلِ الـكـهـفِ حـامي الـرقـيـمْ[1]؟

لا خـيـر مـا فـي الـكـلـبِ فـيـكـم ولا
مـا فـي ابـن حـوّا مـن نـقـاءِ الـصَّـمـيـمْ

اسـكـتْ أنـا مـا قـلـتُ هـذا وشـي
بـقـبـحِـكُـمْ هـذا الـرداءُ الـوسـيـمْ

(1) قطمير: اسم كلب أهل الكهف وأصحاب الرقيم وله شهرة تاريخية بالوفاء في حراسة أصحابه مدة نومهم الذي زاد على ثلاث مئة سنة كما في سورة الكهف.

فهل أُسمّي عضَّ أنيابِكم
مكرَ السياسي أو دهاءَ الحليمْ؟

* *

يا تلُّ، بيتُ الشيخ هذا؟ أما
دلَّتْ عليه وشوشاتُ النسيمْ؟
له هنا أو هاهُنا منزلٌ
من طيبِ آياتِ الكتابِ الحكيمْ
خدّاهُ، ذا يصبي مشيب (السُّها)
هذا بمنديلِ الثُّريَّا لطيمْ
تريد قتل الشيخ يا ابن الخنا
هل مقتلُ الأزكى ينجّي الأثيمُ؟
تودُّ أن تدعى عظيماً، متى
عادى عظيمٌ أيَّ شيءٍ عظيمْ؟
وفجأةً لفَّ الدخانُ القُرى
وانصبَّ فوجٌ كالظلامِ البهيمْ
من أين جاؤوا مثلَ مستنقعٍ
يرمي بكفَّيهِ حشاهُ الكتيمْ؟
يراطنون الليلَ يحشونَهُ
لغواً كما يهجو القبيحُ الدَّميمْ

* * *

مــن بــلَّــغ الإظــلام أوجَ الــضــحــى؟
مــن ذا هــدى كــلَّ عُــتُــلٍّ زنــيــمْ؟

مـن دلَّـهـم؟ هـل مـثـلُ (كـعـبٍ) هـنـا؟
ومـن هـنـا مـن طـيـنـةِ (ابـنِ الـخـطـيـمْ)[1]؟

* *

كــوجــه إســرائــيــلَ هــذا الــدجــى
كــغــدرِهــا هــذا الــدُّخــانُ الــكــظــيــمْ

فــلا ســوى الأنــقــاضِ كــأسٌ لــهــا
ولا لــهــا غــيــرُ الأفــاعــي نــديــمْ

ولا ســوى الأطــفــالِ أشــهــى إلــى
حــلــوقِــهــا، هــذا لــديــهــا الــنــعــيــمْ

مــن دأبِــهــا قــتــلُ الــبــراءاتِ عــن
تــوارثٍ فــي طــبــعِــهــا مــســتــديــمْ

لأنــهــا أضــرى خــصــومِ الــتُّــقــى
كــان لــهــا كــلُّ نــبــيٍّ خــصــيــمْ

بــالــخــطــف أضــحــت دولــةً، قــل مــتــى
تــدوَّل الــســرحــانُ يــا (ابــن الــعــديــمْ)[2]؟

---

(1) كعب: كعب بن الأشرف الشاعر اليهودي. وابن الخطيم: الشاعر قيس بن الخطيم الخزرجي الذي عشق يهودية وكان يحرضه أهلها على إنشاد الشعر الذي تهاجى به قومه من الأوس والخزرج لكي تصرفهم الأحقاد القديمة عن الالتفاف حول الرسول محمد ﷺ.

(2) ابن العديم: أحد مؤرخي القرن الثالث عشر للميلاد. ومن أشهر كتبه: (بغية الطلب في تاريخ حلب).

مـن ذا سيثنيها؟ حماةُ الحمى
أدنى زنابيرِ الزمانِ السَّئيمْ

* *

يا (ابن عبيدِ) ما الذي ترتئي
فوق احتمال الأرض نصرُ اللئيمْ
كيف استباحوا بيتَكَ ابنَ الهدى
وأهدروا فيه جلالَ (الحطيمْ)
هل كنت إذ جاؤوا بلا أُهبة؟
من ذا ينامُ اليومَ أو يستنيمْ؟
وأين كان الغُرُّ أهلُ التُّقى
وسادةُ الرَّفْي السَّديدِ الفهيمْ؟
ما أهرقوا من واغِلٍ قطرةً
ماذا؟ أما في الحيِّ عينٌ تشيمْ[1]؟
لعلَّهم كانوا يخوضون في
مشطِ اللحى أو تركِها كالجميمْ[2]
أو في دمِ البقِّ وجلدِ الزّنا
أو حجبِ من يدعونَهنّ الحريمْ
ما بالُ من يُردي أخاه هنا
يُرى أمام الغزوِ جحشاً لجيمْ

(1) تشيم العين: تنظر من جانبيها. (2) الجميم: هو النبت المتكاثف.

مـــاذا؟ غــريــبٌ طــفــلُ شــتّــى الــقــوى
مــن كــثــرة الأحــضــان أغــبــى يــتــيــمْ

* *

هــل كــنــت تــخــشــى مــا جــرى؟ هــكــذا
يــلــقــى الأذى أهــلُ الــطــريــق الــقــويــمْ

قــيــل لــقــوم الــخــطــف أعــلــى الــعــلا
فــي الــعــلــم، هــل يــحــتــاج عــلــمَ الــعــلــيــمْ

هــل تــحــمــل الــحــدْأةُ دكــتــورةً
فــيــه، أأعــطــى الــذيــب مــلــكــاً فــخــيــمْ؟

دعــهــم يــروهُ وهــم نــصــرٍ، فــمــا
أنــت الــذي فــي الأســر تُــدعــى الــهــزيــمْ

يــا (شَــبــر) الــثــانــي دعــت (كــربــلا)
أخــرى (وشــمــرٌ) غــيــرُ ذاك الــشــتــيــمْ[1]

جــئــت الألــى جــاؤوك قــل صــائــحــاً:
يــا (خــيــبــر) الــثــانــي ســتــمــســي هــديــمْ

نــصــفُ نــبــيٍّ مــن ولــيٍّ أتــى
رقــى مِــنَ الــتــرخــيــم داعٍ رخــيــمْ[2]

ســتــخــطــفُ الــخــطــف عــلــى رُغــمــهِ
ورغــم مــن أزروا بــمــوســى الــكــلــيــمْ

---

(1) شبَّر: الاسم الثاني للإمام الحسين بن علي عليهما السلام.

(2) الترخيم: هو النداء الذي يحذف حرفاً أو حرفين من آخر اسم المنادى دلالة على التدليل والتودُّد أو للاكتفاء لمعرفة المنادى، مثل: يا مرو أي يا مروان.

ومَــنْ تــبــنَّــوْا (ســيْــبــنــوزا) ومــن
عــن وجــهِــهِ أعــطــوه وجــهــاً دمــيــمْ[1]

يــا شــيــخُ أنــت الــيــومَ أبــقــى هــنــا
يــا راحــلاً لــبــنــانُ فــيــهِ مــقــيــمْ

يــثــنــي، كــمــا تــدري وثــوبَ الــردى
يــقــتــاد مــن أعــلــى الــبــروجِ الــعــصــيــمْ

* * *

لــبــنــانُ لــلــحــريّــة ابــنٌ، لــهُ
مــنــه زمــانٌ غــيــرُ هــذا الــعــقــيــمْ

لأنــه يــخــتــارُ لا فــوقــهُ
فــرعــونُ، لا مــشــيــخــةٌ مــن تــمــيــمْ

لــو كــان يــعــلــوهُ نــظــامٌ كــمــا
يــعــلــو ســواه بــات قــشّــاً هــضــيــمْ

غــامــت، بــلا بــرق ديــارُ الــضــحــى
ووجــهُ لــبــنــانَ الــذي لا يــغــيــمْ

لأنــه ذو الأمــر فــي أمــره
فــهــو الــمُــرَجّــى والــرجــاءُ الــعــمــيــمْ

هــذا إلــى الــخــلــفِ انــثــنــى، ذا انــحــنــى
لــبــنــان عــن نــهــج الــفــدا لا يــريــمْ

أمــام إســرائــيــل أعــدى الــعــدا
لــلــسّــلــم عــن نــصــرِ صــديــقٌ حــمــيــمْ

---

(1) سبينوزا: فيلسوف شهير في القرن التاسع عشر، رفض التعصب اليهودي وتبنى فلسفة الأخلاق ونظرية المعرفة فرماه قومه اليهود بالإلحاد وخلعوه منهم باستثناء قلة من المستنيرين، وكان كثير الأعداء من الملّتين.

جلالة الفئران

يناير 1990م

أيُّها الكاتبُ من تعطي الكتابَةْ
مديةُ الجزّارِ في أيدي الرَّقابَةْ

تحسنُ القولَ لقضابينَ ما
حاولوا أنْ يُحسنوا حتى القِصابَةْ

تبعثُ البحثَ قويماً، ينثني
فاقدَ الساقيْنِ محروقَ الذُّؤابَةْ

دافعاً قُرَّاءَهُ أن يعرفوا
موضعَ التَّقْتِيلِ فيه والإصابَةْ

* * *

ذلك الفنُّ الذي تعمُرُهُ
مِن حنايا القلبِ تلقاهُ خرابَةْ

جئتَ مِن مطبعةٍ؟ قل صادقاً
جئتُ مِن مسبعةٍ. يا للغرابَةْ

سايِسوها ما لهمْ لبٌّ لذا
يحسبون الشَّعبَ معدومَ اللّبابَةْ

أين منكَ الصوتُ؟ دسّوا من فمي
غيرَ حلقي، حطَّموا تلك الرَّبابَةْ

أيــــن كــــفّـــاكَ؟ أتـــدري مـــا شـــووْا
إصــبــعــاً إلا وظــنّــوهــا كــبــابَــةْ؟
أيــــن خــــدّاكَ؟ نـــأى مـــاؤهـــمـــا
عــنــهــمــا، والــتــمُّ فــي قــلــبــي سـحــابَــةْ
أيــــن جــــنــبــاكَ؟ تــعــشَّــوْا واحــــداً
واحــداً أجــروا لــه غَــسْــلَ الــجــنــابَــةْ
كــــنــــتَ ذا رأسٍ نُــــجــومــيِّ الــمــدى
حــــوَّلــوهُ جــرَّةً نــصــفَ مُــذابَــةْ
أيــــن عــــيــنــاكَ؟ رمــوْا واحــــدةً
قــلــعــوا الأخــرى وردُّوهــا مــصــابَــةْ

* * *

ســـادةُ الــتــحــريــرِ مَــنْ حــمَّــلــهــمْ
مــهــنــةَ الــحــرفِ، وهــم أضــرى عــصــابَــةْ؟
قَــضَــمــونــي مِــنْ هــنــا مــن هــاهُــنــا
أيَّ فــئــرانٍ أرى؟ مـــن أيِّ غـــابَـــةْ؟
إنـــهـــم نــعــلُ الـــذي يـــعـــلـــوهُـــمُ
وعــلــى مَــنْ دونَــهــم أبــطــالُ (بــابَــةْ)[1]
قـــال أعـــلاهُـــم مـــقـــامـــاً: هـــشّـــمـــوا
أيَّ حـــرفٍ يـــحـــتـــوي أيَّ ثَـــقـــابَـــةْ

---

(1) بابة: المسرحية البدائية، كما أطلقوا هذه التسمية على كل مسرحية شعرية كتبها محمد بن دانيال الموصلي في مصر أول القرن الثالث عشر للميلاد.

وانحنى فوق الوريقات، كما
تفتحُ الحلوى حشاها للذُّبابَةْ

***

هذه الزاويةُ الأولى بها
نكهة أخرى، دعوا ذاتَ الذُّرابَةْ

تلك لا بأس، تُرى طيِّبةً
عند مَن تدرون ليست مستطابَةْ

قصةٌ ماذا حكت؟ غمغمةً
لافتٌ عنوانُها (قتلُ شهابَةْ)

***

انظروا أيَّ مقالٍ جاءنا؟
قال: إنّا دودةٌ تجترُّ (دابَةْ)

وبأنّا نشرب النِّفطَ دماً
ونبيع (الجوْفَ) كي نُشقي (رُصابَةْ)

وادّعى أن الروابي أصبحتْ
دورَنا من (دمنةٍ) حتى (ثَوابَةْ)[1]

بلِّغوا عنه، ولكن ما اسمُهُ؟
سوف يدري (القُحْطُمي) بيتَ الإنابةْ[2]

---

(1) دمنة خدير: في لواء تعز وثوابة: في أقصى الشمال اليمني، ويسمى أهلها ذو محمد وذو حسين أو أبناء ثوابه.

(2) القُحطمي: كان اسم سهل من ضواحي صنعاء أصبح الآن عامراً ومن أشهر عماراته مبنى جهاز الأمن الوطني. وبيت الإنابة هو بيت العقاب حتى يؤوب المتهم إلى رشده.

الـلـقـيـطـاتُ الـسّـيـاسـيّـاتُ كـم
عـلّـمـتـنـا خِـبـرةً ذاتَ إثـابَـةْ

فـسـبـقـنـا الـكـلـبَ فـي الـنـهـشِ عـسـى
أن تُـرى عَـيّـابـةُ الـوضـعِ الـمُـعـابَـةْ

شُـغـلُـنـا ولـيـغـضـبِ الـكـلُّ، فـمـا
بـيـن هـذا الـشُّـغـلِ والـشَّـعـبِ قـرابَـةْ

هـكـذا قـالـوا وحَـدّوا نـابَـهُـمْ
مـسـتـلـذّيـنَ عـلـى الـفَـنِّ الـكَـلابَـةْ[1]

هـذه الـصـفـحـةُ مـا أخـطـرَهـا
شـذّبـوا قـامـتَـهـا أخـفـى شِـذابَـةْ

أنـزلـتْ فـلـسـفـةَ الـحـكـمِ إلـى
شـارعِ الـجـوعـى وأعـداءِ الـرّتـابَـةْ

نـزّلـوا جـبـهـتَـهـا سـرّتَـهـا
وازرعـوا فـي صُـلْـبِـهـا عـقـمَ الـصّـلابَـةْ

* * *

وضـعُ هـذا الـسـيـن يُـذكـي أعـيـنـاً
زحـزحـوهُ وضـعـوا جـيـمَ الإجـابَـةْ

قـلـب ذاك الـدالِ يُـشـنـي وجـهـهُ
رمّـدوا فـي لَـمْـحِـهِ نـبـضَ الـنَّـجـابَـةْ

---

(1) الكلابة: نزعه محاكاة الكلاب كما يقول أبو الأعلى في كلبه شرشير:

تـعـلـمـت مـن شـرشـيـر بـعـض كـلابـةٍ
فـمـا عـرفـتْ مـنـي خُـتـالـةُ أخـتـلا

وأجـمـعـوا الـمـيـمَ تـروْا داخـلَـهُ
طـلِّـقـوا مِـنْ جَـدِّهِ زوجَ الـدُّعـابَـةْ

ذلـك الـواو احـذروا مِـن مـكـرِهِ
إنّـهُ كـالـموتِ غـيـبـيُّ الـمَـهـابَـةْ

شـارب الـشـيـنِ اصـبـغـوهُ زُرقـةً
وإلـى (بـا) قـرِّبـوا (نـون) الـنِّـيـابَـةْ

قـطِّـعـوا شـريـانَ بـاب الـمـبـتـدا
واقـتـلـوا فـي هـمـزة الـوصـل الـصَّـبـابَـةْ

حـجِّـروا رؤيـا نـبـيِّ الـحـرف فـي
حَـرْفِـهِ، واسـتـقـبلـوهُ كـالـصَّـحـابَـةْ

وَأسَـفـوا مـن غـلـطـةِ الـطَّـبـعِ لـهُ
وابـحـثـوا الأوراقَ مـبـديـنَ الـكـآبَـةْ

نـفَّـذوا أمـر الـذي أمَّـرَهـم
والـذي أرْكَـبـهـم ظـهـرَ الـنِّـقـابَـةْ

فـغـدوْا جـيـشـاً مـداديّـاً إلـى
فـيـلـق الـفـوضـى ولـلـغـازي مـثـابَـةْ

***

بين القلب والقلب

1990م

مـا لـونُ صـوتِ الـقـلـبِ حـيـن يـخـفـقُ؟
وهـل يـشـمُّ الـوردُ مـاذا يَـغـبِـقُ؟

حـروف نـجـوى الـقـلـب مـا سـتٌّ قـبـلـهُ
قـبـل الـذيـن إن حـكـوْا تَـحَـذْلَـقُـوا

لِـلْـيـا قـوامُ الـشـوقِ، لـلـمـيـم هـوَىَ
أصـبـى، لـوجـه الـنّـونِ وجـهٌ أنْـزقُ

الـسّـيـن بُـنِّـيٌّ، ولِـلْـبَـا حـمـرةُ
الـرّا كـمـا يـدعـو الـفَـراشَ الـزنـبـقُ

* * *

والـيـوم لـلـقـلـب لُـغَـىً فـوق الـتـي.
وأعـيـنٌ مـثـلَ (الـقـطـا) تُـشَـقْـشِـقُ

مـدائـنٌ مـن الـحـنـيـنِ يـمـتـري
أقـاطـنـوهـا الـجـنُّ أم تـسـوّقُـوا؟

كـأنّـمـا الـمـوتـى إلـيـه أطـفـلـوا
وغُـيَّـبُ الأصـلابِ فـيـه أشـرقـوا[1]

---

(1) أطفلوا: رجعوا إلى الطفولة.

طقوسُ هذا القلب أطفالٌ بلا
أهل، وأهلوهُ كرامٌ أمْلقوا

مواعدٌ تكادُ تفجأ المنى
وتنثني هذا بذاك يُمْذَقُ

* * *

حيناً يحولُ واحةً، وتارةً
جَوْعى على شريحةٍ تحلَّقوا

آناً فتَىً يلهو، عجوزاً ينكفي
يلمُّ أطيافَ الصِّبا وينشَقُ

ينوي كما يَفْتَرُّ طفلٌ حالمٌ
الصَّحْوُ في عينيْهِ فَرْخٌ موثَقُ

أو مثلَ رؤيا نائمين خُيِّلَتْ
لهم حريقاً حوله تَشَقَّقوا

دقَّاتُ قانيهِ، رؤى مخضرَّةٍ
أشواقُ خلاَّقينَ لمَّا يُخْلقوا

ديمومةُ الشوق الذي يذيبُهُ
في عين عينيْهِ هو التَّألُّقُ

يكنُّ هذا القلبُ عالماً كما
ينوحُ سربٌ ريشُهُ مُمَوْسَقُ

يشاهقُ الريحَ فتنسى حولَهُ
هبوبَها، وكيف كانت تَشْهَقُ

* * *

فـي ذلـك الـمـأوى يُـغـنّـي وحـدَهُ
ووحـدَهُ مـنـه عـلـيـهِ يـقـلـقُ

كـعـانـسٍ فـي يـومِ عـرسِ أخـتِـهـا
كـعـاشـقٍ لـم يـدرِ مـن ذا يـعـشـقُ

وبـيـنـهُ وبـيـنـهُ تـجـادلٌ
فـنـصـفُـهُ فِـقْـهٌ، ونـصـفٌ مـنـطـقُ

وبـيـن نـصـفـيْـهِ قـلـوبٌ تـمـتـطـي
إيـمـاضَـهـا، بـالـمـسـتـحـيـل تَـغْـلَـقُ

إن قـال نـصـفٌ مـا ارتـآه (مـالـكٌ)
أجـاب نـصـفٌ، جـوَّدَ (الـفـرزدقُ)

إذا اقـتـفـى (جـبـرانُ) هـذا، مـال ذا
إلـى الـذيـن قـبـلـه تـزنـدقـوا

إذا أخٌ صـاح الـفـسـادُ مـطـلـقٌ
لـبّـى أخٌ: وأيُّ شـيءٍ مُـطْـلَـقُ

إذا ارتـضـى (مـارِكْـسُ) هـذا، قـال ذا:
أجـاد (إخـوانَ الـصَّـفـا) وأغْـدقـوا

لـمَّـا اجـتـلَـوْا أنَّ الـولاةَ أفـسـدوا
مـا كـان أبـدوْا غـيـره وطـبَّـقـوا

أَلِّـفْـتَ فـي أخـلاقـهـم أطـروحـةً
فـيـهـا تـسـاوى الـخُـلْـقُ والـتَّـخَـلُّـقُ

وقلتَ مِنْ (زينونَ) كانوا نسخةً
أخرى، أعادوا نسخَها ونمَّقوا[1]

فدكتروكَ إذ رأيتَ ما رأوْا
ولو بعينيكَ رنوْتَ، عَوَّقوا

إذا بكى هذا (الحسينُ) قال ذا:
أعشى مِن (الأعشى) هو (المُحَلِّقُ)[2]

يا صاحبي حتَّى التواريخُ الألى
سقَّوْا غليلَ (كربلا) وما سُقوا

يستغرب الإغرابُ كيف أوغلوا
في البُعْدِ حتى أقْمَروا وأبْرَقوا

* * *

إن قال ذا: ما أحسنَتْ (ولاّدةٌ)
أشاد هذا بالألى تَعَشَّقوا[3]

أتزدري بنتُ الذين مَذْشَقوا
غرناطةً مِن بعد ما تَمَذْشَقوا؟

يقال: كانت كائنتيْن إن مشت
بل إنَّها مِنْ (نَفْرِتيتي) أرْشَقُ

---

(1) زينون: فيلسوف يوناني.

(2) الأعشى: هو الشاعر الجاهلي الذي استضافه أعرابي يسمّى المحلّق فامتدحه بقصيدة أشهرته بين العرب فأصهر إليه رؤساء العشائر كما في قصص العرب.

(3) ولادة: هي ابنة الخليفة المستكفي آخر خلفاء بني أمية في الأندلس، والتي عشقها ابن زيدون وقال فيها أحسن غرامياته مع أنه وزير في دولة آل جهور الذين أسقطوا والد معشوقته.

يُروى: أخافت (آل جَهْورٍ) بلا
سيف، ومن أسيافِهم لا تَفْرقُ

أسيافُها أمضى، ولكنَّ الأسى
أيام بَيْعِ الحِذْق منها أحْذَقُ

إذا ادَّعى ثوريةً هذا، دعا
ذاكَ (المماليكَ) ارقُصُوا وصفِّقوا

منِ امتطى منكم قِذالَ ثورةٍ
وأيُّكم بالثورتيْنِ استرْزَقوا؟

أما كتبتَ عن ولاةِ أمرِكُمْ؟
أحصيتَ كم تزوَّجوا وطلَّقوا

إذا شدا هذا أبي ضحّى هنا
ناداه ذا: نبكي الألى لم يُشنقوا

تمثالُ كلِّ ثائرٍ أهاجني
يسرُّهم أن تَهْرِقوا ما أهْرقوا

لا تهدروا وحلَ البنوكِ باسمهمْ
لأنهم من القلوبِ أنفقوا

وشاهَدوا ما بعد يومِ غيرهُمْ
فَقَرْمَطُوهم تارةً وهَرْطقوا

الناسُ أمثالُ الدجاجِ إن رأت
أختاً تبيض بَقْبَقَتْ وبَقْبقوا

أمــا يــزالــون عــلــى الــعــهــد إذا
تــطــوَّرَ الأجــدى تــقــوَى الــمــوبِــقُ

أنــحــن جــئــنــا قــبــلَ، بــعــدَ وقــتِــنــا
مــن بــكَّــروا مــثــل الــذيــن أغْــسَــقــوا

كــان (الــدُّمُــسْــتُــقُ) (الإمــام) وحــدهُ
والــيــوم قــالــوا: جَــمْــهَــرَ الــدُّمُــسْــتُــقُ[1]

* * *

الــيــومَ غــيــرُ الأمــس تــلــك سُــنَّــةٌ
قــالــوا: وكــالــقُــوّال عــنــهــم أخــفــقــوا

الــلَّــهُ فــردٌ والــنــبــيُّ واحــدٌ
والــحــاكــمُ (الــمــهــدي) أوِ (الــمــوفَّــقُ)

(لا غــمــد لــلــســيــفــيْــنِ) خــذْ دبّــابــةً
هــا أنــت يــا هــذا بــهــا مُــطَــوَّقُ

إن ذاك غــنّــى بــ (الــسُّــلــيْــكِ) صــاح ذا:
أفــتــى مِــن (الــقَــيْــنــي) (عــلــيُّ الــزَّيْــبــقُ)[2]

مــن صَــعْــلــكَ (الــشــطّــارَ)؟ قــيــل: كــلُّــهــمْ
بــلــونِ كــشــبــانِ الــفــلا تــأنَّــقــوا

ســلْ (عــروةَ بــن الــوردِ) مَــن أحــفــادُهُ
مَــن أدلــجــوا، وكــالــنــجــومِ حــلَّــقــوا؟

---

(1) الدمستق: قائد الجيش الرومي في القرن العاشر للميلاد.

(2) السليك: هو السليك بن السلكة أشعر الصعاليك وأشجعهم. القيني: هو أبو الطَّمَحان أطول الصعاليك عمراً وأثقبهم نظراً. علي الزيبق: من أبطال السِّيَر الشعبية.

واستأنسوا بالوحش وهوَ كاسرٌ
واستصحبوا العفريتَ وهو مُخْنَقُ

* * *

إن هشَّ هذا للغصون، قال ذا
خيرُ امتحانِ العُودِ حين يُحرقُ

أُحِسُّنا نخضرُّ باخضرارِها
وعندما تصفرُّ هل سنورقُ؟

يا صاحبي كالشمس ضوءُ حُجَّتي
ما الشمسُ؟ لَوْحٌ في الهوا مُعَلَّقُ

إن ذاك قال البِكرُ أشهى، ردَّ ذا:
للأربعينيَّات نُضجٌ أفسقُ

لكلِّ عِشرينيَّةٍ أحلى صِبَاً
لكل خمسينيَّةٍ مُعتَّقُ

هل أنت أدرى مِنْ شيوخ بابلِ؟
هضمتُ ما شمّوا وما تذوّقوا

* * *

كم أشبقتْك، يا فقيهُ أعينٌ
يُشبقْنَ مَن أشغالُهُ التشبُّقُ؟

يا منطقي ما كلُّ (زنّاريَّةٍ)
نطاقُها بحسنِها مُنَطَّقُ(1)

---

(1) زناريّة: هي بائعة الزنانير أو المجمّلة بالزنار. والزنّار من الحرير المزيّن، أما النطاق فهو حزام من شعر المواشي. والنطاق ما تنتطق به المرأة، أما الحزام فهو الخاص بالرجل ولا ترادف في هذه الأسماء.

قلْ للتي شقَّتْكَ عنها استرجعي
الأرضُ مما كنتِ فيه أضيقُ

كنتَ بلا ثانٍ، فجئتَ زائداً
على الذين ثقَّبوا وعمَّقوا

مِن حفرةٍ ترمي تسدُّ حفرةً
وأنت بين الحفرتيْن خَندقُ

* * *

يا خَفْقُ، هذا القلب وَهْوَ واحدٌ
خصمانِ. ذا موجٌ وهذا زورقُ

لو قال ذاك البحر سِرَّةُ الشرى
لقال ذا: بل جرحُهُ المرَقرَقُ

لو قال ذاك: انظر هنا (مُكيْرسٌ)
لقال هذا: بل هناك (المفرَقُ)

أليس غَربُ القلب مثلَ شرقهِ
في القلب غيرُ قلبه يا أحمقُ

ماذا ترى؟ أحسُّ كلَّ نبتةٍ
كانت يداً تُومي ووجهاً يعرقُ

هل هذه الأطلالُ كانت نسوةً؟
لا، بل رجالاً كالجِمالِ استنْوَقوا

أما (الكُموناتُ) افتتاحُ عصرِنا؟
بل استهلَّ العالمَ (الخوَرْنَقُ)

هل نصفُ هذا القلبِ عكسُ نصفِهِ؟
ذا بالورى أحفى وهذا أرْفَقُ

كلُّ بقاعِ الأرض في حنينِهِ
هذي عناقيدُ وتلك فُستقُ

بيوت أحبابٍ يفتِّق الندى
أهدابَها، فيفرحُ التفتُّقُ

لأنَّ هذا القلبَ رُغم حجمِهِ
بسيطةٌ للكلِّ عنها يأرَقُ

مستخبرٌ عما مضى، وهل مضى
عما سيتلوهُ؟ وهل سيلحقُ؟

عن الذين غرَّروا، هل غرَّروا؟
عن الذين حقَّقوا، هل حقَّقوا؟

عن الذين يلبسون غيرهمْ
فإن وهى بغيرهِ تلفَّقوا!

عن الربيع الطَّلق، أهْوَ واحدٌ
أم إنَّهُ في كلِّ روضٍ فَيْلَقُ؟

عن الشمال هل لجدٌ جدُّها
قُبيلَ عادٍ موكبٌ وبيرَقُ

عن الورى، مَن ذا وراء حشدِهمْ
إذا التقوْا؟ ومَن إذا تفرَّقوا؟

عن مُشعلي حربِ العدا إذا انتشوْا
فإن رأوْا في الصحوِ حاءَ أطْرقوا

وإن دعا يومُ الحمى تحجّروا
وإن أشارَ دِرْهَمٌ تدفَّقوا

* * *

أعن (أزالٍ) ما وقفتَ سائلاً؟
ناديتَ أحياءً عسى أن يُرزقُوا

كيف انثنى الحُجّاج؟ قالت لي: صهِ
ما كلُّ ساعٍ (شاهرٌ) أو (شَوْلَقُ)

وأمعن القلبُ يقلّب الألى
رقَوْا مِن الأبواب أو تسلَّقوا

يروي البطولاتِ التي أنفاسُها
كما يفوحُ الجوربُ الممزَّقُ

يُنهي السؤالَ بالسؤالِ، داخلاً
غياهباً، سراديباً لا تُطْرَق

مُكاشفاً مَنْ تحت كلِّ زينةٍ
مقابراً يزفُّها التزوُّقُ

ملابساً أوصى بها الذي مضى
لمن أتى وللذين نشَّقوا

كأنه مُوَكَّلٌ بما ثوى
خلف الحُلى وزوَّرَ التملُّقُ

يشمُّ ما سوف يلي هذا، كما
يُقرِمزُ المعنى الخيالُ الأبلَقُ

* * *

مستنبئاً عن الذين أخفقوا
هل أخفقوا لأنهم تفوَّقوا؟

عن الذينَ أُبْعِدوا لأنهم،
كما حكى الراوي أبَوْا أن يسرقوا

عن سيِّد الأمرِ الذي رأى بهم
غرابةً تُغْري وأخرى تَصْعَقُ

عن السما كيف ارتقى ازرقاقُها
وما تَرَقَّى البحرُ وَهْوَ أزرقُ

عن الذرا، هل تستحيلُ أنجماً؟
هل يستقيم المنحنى ويَسْمُقُ؟

عن الذين وحدهم توحَّدوا
قبل الطريق باسْمِهِ تطرَّقوا

عن الذين أكْوَتوا مِن هاهُنا
عن الذين مِن هناك أعرقوا

عن يعربٍ، هل اسمهُ من نُطْقِهِ؟
وهل روى الإغريقُ ماذا أغْرقوا[1]؟

عن التواريخ التي كانت لها
نقاوةٌ، وللحروف رَوْنَقُ

* * *

تساؤلٌ يرمي بنفسِهِ إلى
تساؤلٍ مِنْ مقلتيْهِ يأبَقُ

(1) يعرب: قيل إن اسم يعرب مشتق من نطقه العربي الفصيح.

يُراحلُ اليومِ إلى أن ينحني
يُساجلُ الليلَ السُّرى ويسْبِقُ

لأنَّ بدْءَ المبتدا ماذا يلي
فآخرُ المسعى السؤالُ الأعْتَقُ

هل اشتفى هذا وذا أو انطفا
بزقُ المنادى أم خبا التشوُّقُ؟

لأنَّ (كمْ) أرخى الحزامَ عن (متى)
مِنْ أين يستحكي ولا من ينطقُ؟

*

قلْ أين عرّافوكَ يا (الأشمور) قل
من ذا درى. هل غرَّبوا أو شرَّقوا[1]؟

وأين (هل) كان أخي قيل لهُ
هناك بستانٌ يليه فندقُ

يا (هل) على (مِنْ أين) يعبر الذي
أجْفَلْتَ عنه، أو ذووك أشفقوا

ومرَّ (مِنْ أين) يُحسُّ أنهُ
إجابةٌ، مِن السؤال ألْبقُ

يرى الزحامَ في الزحام ينطوي
سقفُ الغبارِ بالغبارِ يُخْنَقُ

*

---

(1) الأشمور: منطقة غربي شمال صنعاء.

يـــصـــيـــحُ: يـــا (مـــاذا) أريـــدُ نَـــبْـــأةً
تـــشـــي بـــأمـــرٍ، تـــفـــتـــري أو تـــصْـــدقُ

يَـسْـتَـنْـشِـدُ الـعـصـفـورَ، يـعـيـا، ينـثـني
يـلـقـى غـرابـاً شـايـخـاً لا يـنـعَـقُ

* *

صَـمْـتُ الـضـجـيـج هـاهُـنـا، وهـاهُـنـا
يـا ريـح قـولـي، يـا حـزانـى حـدِّقـوا

يـصـغـي، يـنـادي. لا يـظـن أنـهُ
نـادى، ولا أصـغـى الـسـمـيـعُ الـمُـرْهَـقُ

لأنَّ بـيـن الـصـوت والـمـصـغـي دمـاً
بـيـن الـقُـوى وبـيـنَـهُ تـشـدُّقُ

الـسـاعـةُ اصـفـرَّت عـلـى مُـغْـبـرِّهـا
لأنَّ وجـهَ الـوقـتِ بـابٌ مُـغْـلَـقُ

يـا قـلـبُ مَـن يُـفـتـي خـفـوقَـكَ الـذي
غـمـوضُـهُ أدرى بـمـاذا تـخـفُـقُ

◎◎◎

توابيت الهزيع الثالث

هناك رأوْهُ فوق (نقيل يسلِخْ)[1]
طريحاً مِن وراء الصمت يُفصِحْ

يكادُ يقومُ يحتضنُ المحيِّي
ويخترقُ الكوابحَ والمكبِّحْ

ويطلع كرمةً مِن كلِّ صخرٍ
تضاحكُها النسائمُ أو تؤرجِحْ

يقول ولا يقول، يشي ويُشجي
يصرِّح بالأهمِّ ولا يُصرِّحْ

*

ينثُّ تهاجسُ الأعشابِ عنهُ
ويخفقُ مثلَ أخيلةٍ تلوِّحْ

تُحدِّثُ عنه رابيةٌ نسيماً
مشمُّ الوردِ أزكى إذ يصوِّحْ

أريدُ أطيرُ أخْبرُ عنه مَنْ ذا
يريِّشُ قامتي أو مَنْ يجنِّحْ

أهذا المنحنى عنه يناجي
وسادتَهُ الكسيرةَ أم يُنَخْنِخْ؟

(1) نقيل يسلح: تلٌ تمر عليه السيارات المغادرة من صنعاء والوافدة إليها من المناطق الوسطى يبعد عن صنعاء 49 كيلو متراً.

تمدُّ إليه أمُّ الصبح كفّاً
لتقرأ كفَّهُ ويداً توشّخ

تسرّح فيه عينيها وتغضي
فيهتِفُ قلبُها في من تسرّخ

تغوصُ كناقدٍ يتلو كتاباً
ربيعيَّ المؤلِّفِ والمنقّخ

وتسألُ: يا أنا أأرى فلاناً
قتيلاً، لا تبتُّ ولا ترجّخ

ومَن هذانِ حوليهِ؟ أقتلى
ثلاثتُهم؟ لماذا؟ مَنْ يوضّخ؟

لهم أرَجٌ كأفراحِ الصبايا
وسرٌّ ربما يُعيي المشرّخ

* *

تكلَّمْ يا غموضُ، هنا رَموزُهُمْ
وعادوا قبل حَوقلةِ المُسبِّخ

لهم أيدٍ كأدغالِ البغايا
وجوهٌ مثلُ مزبلةٍ تُفَوّخ

توابيتٌ لها شبقٌ، تأنّى
بها النّجّار وانخدعَ المُصَفّخ

ضحايا غيرِهمْ يسطون عنهُ
فكيف يُحِسُّ مذبوح يذبِّخ؟

تُرى غطَّوْا ملامحَهُ ليخفى؟
فكيف إلى أكُفِّهِمُ يُلمَّخ؟

أظنُّوا الخنقَ لا تلطيخَ فيهِ
فمن يمحو الجريمةَ أو يُمسِّخ؟

فقال بلا فمٍ: أدراجُ قلبي
خوافٍ أيَّ أغلَقِها أفتِّخ

وحكَّ جبينهُ ودنا ليفضي
فهدَّج همسهُ الوجعُ المُبرِّخ

* * *

أيا (وِعْلانُ) قل: أمسوْا بصنعا
أمَنْ يمسي بصنعا ليس يُصبِحْ[1]

أتوْا مِنْ قبلِ أسبوعٍ أمامي
كحقلِ سفرجلٍ يُشذي ويُفرِخ

*

فقال صدىً أحطُّ القتلِ وجهاً
وكفّاً مقتلُ السِّربِ المروِّخ

أنادي يا (خِدارُ) يجيب عنها
نواحٌ صامتٌ وشجاً يُنوِّخ:[2]

أأشهدُ كلَّ أمسيةٍ طريحاً
بلا روحٍ، ولا أضعُ المُطَرِّخ؟

---

(1) وعلان: قرية بين نقيل يسلح وصنعاء

(2) خدار: قرية بين وعلان ونقيل يسلح.

أما انتهتِ الحروبُ تقول هذا
مؤامرةُ المزعَّمِ والمسَلَّخ؟

بغير يديهِ داعي السِّلم يُردي
ويدعو من أناب أجلَّ مُضلِخ

رأى الثوراتِ غلطةَ كلِّ شعبٍ
فنصَّبَ كَلَّ قتَّالٍ يصحِّخ

إذا سكتوا زَقا الإِسكاتُ عنهمْ
وإن نبحوا فقلْ أَمَرَ المُنَبِّخ

يصوغ المسرحيَّةَ كُلَّ يومٍ
ويبدو شاهداً وهو الممسرِخ

يرى اليومَ التعدُّدَ بدءَ شوطٍ
فهل سوقُ التَّفرُّدِ غيرُ مُزبِخ

ويدعو الانتخاب الحرَّ أرضى
ويعطي الأغلبية مَن يرشِّخ

أليس هو المثلِّثُ والمثنِّي
وملعبهُ المفشِّلُ والمنجِّخ

لهذا ينثني الأنقى هزيماً
ومتَّسِخُ اليدينِ عليهُ يفلخ

وأنت عليكَ أن ترضاه حُرّاً
وإلا لستَ حُرّاً أن تصيِّخ

لأن أبـا الـقـوى يـخـتـار حـكُـمـاً
يُـطَـبِّـقُ لا يـحـسِّـنُ أو يُـقَـبِّـحْ

* *

أخَـمِّـنُ بـعـد هـذا الـوقـتِ وقـتـاً
أرومُ قـيـادَهُ يـأبـى ويُـسـمِـحْ

تـعـلَّـلْ لـسـت وحـدك كـم تـلاقـي
قـريـحـاً لا يـكـفُّ يـدَ الـمـقـرِّحْ؟

ومَـنْ ذا يـقـتـدي بـالـعـجـز لِـمْ لا
أزحـزحُ مـنـه عـنـي مـا أزحـزِحْ؟

أعِـنِّـي أو أشـخ عـنـي أيـأبـى
كـسـيـحُ الـنـفـسِ إلا أن يـكـسِّـحْ

حـمـاقـةُ ذي الـقـوى أقـوى عـلـيـهِ
وأقْـتَـلُ لـلـتـبـجُّـحِ والـمُـبَـجِّـحْ

تـرى مـا فـي بـلادي فـي سـواهـا
أتـرضـى الـجـرحَ إن عَـظُـمَ الـمـجـرِّحْ؟

أيـجـدي الـشـعـبَ أنَّ لـه شـبـيـهـاً
وأنَّ هُـنـاكَ مـثـلُ (نـقـيـل يَـسْـلَـحْ)؟

❂❂❂

المحتربون

مارس 1991م

بــــلا أيِّ داعٍ أو بــــداعٍ تــــنـــاهــــشـــوا
فلا الـمْـيتُ فـي الـموتـى ولا الـحـيُّ عـائـشُ

لأن الــمُــدمّــى بـاحــثٌ عــنــه فــي الــدِّمــا
وكــلُّ قــتــيــلٍ عــنــه فــي الــرمــلِ رافــشُ[1]

إذا اعــتــلَّ مــاءُ الــجــســمِ واحــتــثَّ نــازفــاً
فــمــا قــيــمــةُ الــرامـي إذا انـقـضَّ خـامـشُ؟

* * *

كــمــالــيَّــةٌ حــربُ الــخــلــيــجِ وغــيــرُهــا
وحــــول الــــضــــروريّـــاتِ كـــاوٍ وكـــامـــشُ

هــنــا قــبــل تــســعٍ كــان إن شــعَّ (يــفــرسٌ)
نـضـا (السِّرُّ) (وادي ظـهـرَ) واغبرَّ (عـافِشُ)[2]

تــلــتــهــا حــروبٌ مــا لــغــا بــاســمِــهــا فــمٌ
ولا دقَّ مـــرشَ الـــكَـــرِّ والـــفَـــرِّ مـــارِشُ

أفــتَّــشْــتَ عــن وجــهٍ لــهــذا؟ لَــوَأنَّــهُ
كــمــا خــلــتَ ذو وجــهٍ لــمــا اهــتــمَّ فــاتِــشُ

* * *

(1) رافش: الحافر الرمل بالرفش.

(2) يفرس: من المناطق الوسطى باليمن، والسرّ ووادي ظهر وعافش من ضواحي العاصمة صنعاء.

أكلُّ ربيعٍ خالفَ النهجَ لا النَّدى
يُندِّي، ولا لمسُ النُّسيماتِ راعشُ

ولا تشتكي هذي البساتينُ عريَها
ولا تنتوي حملَ النهودِ العرائشُ

ألا تلحظُ التفّاحَ في الطين ينطوي
وتنزو كأسرابِ الجرادِ المشامشُ

وما بينَ أحزانِ المواسم والرُّبا
تشاكٍ، ولا بين المراعي وشاوِشُ

ولا للمسمّى النَّضرَ وجهٌ مِنَ الضّحى
ولا ظَهْرُ من تُدعى الهزيمةَ غاطشُ[1]

إذا ما نجا القتّالُ، حالَ قتيلُهُ
بباطنِهِ نعشاً يناديهِ ناعشُ

لأنَّ القوى بالضَّعفِ أغرى أذالها
مِراساً فأغيا طَيشَها منه طائشُ

لماذا الأنامُ اثنانِ في كلِّ بقعةٍ
على الأرضِ مبطوشٌ بهِ ثُمَّ باطِشُ؟

لأن الزمانَ اثنانِ.. حربٌ وهدنةٌ
وسرُّ الوفاقِ اثنان. ماحٍ وراقشُ[2]

وما هذهِ الأثداءُ إلا مشاجبٌ
ولا هذه الأذقانُ إلاّ حشائِشُ

---

(1) غاطش: المظلم الشديد السواد.

(2) راقش: الراقش والمرقش الكاتب الذي يحسن فن الخط.

وتـلـك الـتـي تـحـمـرُ تـصـفـرُ دورُ مَـنْ؟
تـحـاولُ أن تـنـفـضَّ عـنـهـا الـزَّراكِـشُ

* * *

نَـثـيـرُ الـحـصـى أمـسـى ضـجـيـعَ قـنـابـلٍ
ولا قـرَّ مـفـروشٌ ولا احـتـاز فـارِشُ

فـلا فـرق بـيـن الـحـربِ والـحُـبِّ لا الـلـقـا
يـسـلِّـي، كـمـا قـالـوا ولا الـبـعـدُ واحـشُ

لأن الـتـعـادي الـيَـوم حَـمَّـالُ أوجـهٍ
إذا نـام فـيـه فـاحـشٌ قـامَ فـاحِـشُ

إذا اصـفـرَّ مَـنْ رضَّـتْـهُ أنـيـابُ طـلـقـةٍ
تـحـنّـى الـذي مـا مـسَّ كـفَّـيْـهِ خـادِشُ

فـمـن ذا يُـسـمِّـي الأرضَ أنـثـىَ بـسـيـطـةً
ومـا فـوقَـهـا إلا الـجـيـوش الـجـوائـشُ؟

ضـجـيـجُ الـصـواريـخِ الـمـبـيـنـاتِ نـطـقُـهـمْ
وعـنـهـم تـغـنّـي الـقـاذفـاتُ الـعـواطِـشُ

إذا شـقَّ جـنـزيـرٌ فـمـاً شـقَّ مـدفـعٌ
فـمـاً، والـثـرى الـمـنـبـوشُ عـن فـيـهِ نـابشُ

وبـيـن الـرّوامـي والـرّوامـي تـنـابـحٌ
وبـيـن الـضَّـحـايـا والـضَّـحـايـا تـنـاقُـشُ

وبـيـن الـشـظـايـا والـمـنـايـا تـسـابـقٌ
وبـيـن الـثـوانـي والـثـوانـي تـنـاوشُ

لأن (الـسَّـلـوقـيّـاتِ) فـي كـلّ مُـعـتـدٍ
علـى عـهـدِهـا حُـمْـرُ الـمـآقـي هـوارِشُ(1)

أيـا نـاقـشـاً أخـبـارَ (كـهـلانَ) فـي الـصَّـفـا
قـوى الـعـصـر (بـالـنّـابَـلْـمِ) فـيـنـا نـواقـشُ

ويـا غـازُ كـلُّ الـسّـاحِ عـنـدك مـقـتـلٌ
وفـيـك إذا قـصَّـرْتَ عـامٍ وعـامـشُ(2)

مِن الـقـصـف حتى الـقـصفِ تـعدو خـرائبٌ
وتـسـتـاق أخـرى الـعـاصـفـاتُ الـنـوافـشُ

أهـذا الـرمـادُ الـمُـقْـشَـعِـرُّ كـتـائـبٌ
بـيـوتٌ، أذاك الـفـحـم (سُـعْـدى) و(طـارِشُ)؟

أهـذا الـحـصـى الـمـحـمـرُّ أطـفـالُ روضـةٍ؟
أهـذا الـرصـيـفُ الـرَّطـبُ (عـفـرا) و(داجِـشُ)

وهـذا الـدخـانُ الـمُـشْـرَئِـبُّ قـوافـلٌ
مِـن الـحـقـد يـرعـاهـا دَمُ الـرِّيـحِ (طـاهـشُ)(3)

وَمَـن ذلـك الـمـصـلـوبُ سـاقـاهُ (جُـدَّةٌ)
و(صـنـعـا) وأعـلـى مـنـكـبـيْـهِ (مـراكـشُ)؟

* * *

(1) السلوقيات: فصيلة من الكلاب التي آباؤها الثعالب.

(2) العامي: الذي يصيب العينين بالعمى. والعامش الذي يصيبهما بالعمش.

(3) طاهش: الطاهش في اللغة الفصحى المدونة هو الفاسد القدير على الفساد، وفي المحكية اليمنية وحش خرافي.

عـروق (الـذُّفَـنْـرى) يـا (أبِـقْـراطُ) أُحْـرِقَـتْ
وحـالـت سـمـومـاً، يـا(ابـن سـيـنـا) (الـجـوارشُ)

إذا آدمُ الـثـانـي رأى الـكـون مـدهـشـاً
فـمـن أيِّ شـيءٍ آدمُ الأَلْـفُ داهـشُ؟

تـرى أيَّ عـشٍّ، يـا رصـاصُ بـمـأمـنٍ؟
وأيُّ عـروشٍ لـلـرَّدى أنـت عـارشُ؟

ويـا زوجـةَ الـشـطـريْـنِ ذبـتِ عـلـى الـعـصـا
ومـا ذاب فـي تـجـمـيـشِ خـدَّيْـكِ جـامِـشُ

ويـا زاحـمـيـن الأرضَ والـجـوَّ بـالـقـوى
أمـا لـلـقـلـوب الآدمـيّـاتِ هـامـشُ؟

فـفـي أيِّ ركـنٍ يـهـدأ الـعـشـبُ والـنَّـدى؟
وفـي أيِّ غـصـنٍ تـطـمـئِـنُّ الـروائـشُ؟

وفـي أيِّ ثُـقـبٍ يُـجـهـشُ الـحـبُّ بـاكـيـاً؟
وهـل يُـسْـكِـتُ الـفـولاذَ والـطـيـنَ جـاهـشُ؟

ألا لا رأتْ يـومـاً كـكـانـونَ (دجـلـةٌ)
ولا أصـبـحـت يـومـاً تـطـيـرُ (الـدشـادشُ)

❂❂❂

القطاةُ والصقرُ العجوز

1991م

مَن أعادتْ إليكَ منكَ الرضيعا
مثلَ سرٍّ خفى وأضحى المُشيعا

أيَّ شيءٍ رأتكَ، ذكرى طيورٍ
وادياً كان قبلَ عامٍ ينيعا؟

ربما أطلعتْكَ منكَ نبيّاً
وغدتْ وحدها النصيرَ التَّبيعا

علّموني أعي وصايا (وكيعٍ)
أتُراني غداً سأُوصي (وكيعا)[1]

* * *

ما تخيَّلتَ أنَّ أضبى قطاةٍ
سوف تُضبي صقراً إلى الموتِ بيعا

---

(1) وكيع: إشارة إلى قول الإمام الشافعي:

شكوتُ إلى وكيعٍ سوء حفظي
فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال: اعلم بأن العلم نور
ونور الله لا يؤتى لعاصي

وعلى ساعديهِ سوف تُغنّي
ويغنّي لها شجيّاً مُطيعا

وعليها الطراوةُ البكرُ تطفو
وله لحيةٌ تَشُوكُ الضَّجيعا

مثلُ بنتِ ابنِهِ، وعنه أزاحت
نصف قرنٍ، فكيف نالَ المنيعا؟

بيدٍ وهّجتْ مَصِيفَ صباهُ
وبأخرى حنَّتْ هناك الصَّقيعا

لا أتتْهُ خديعةٌ، لا تَلَقّى
هذه الفُجْأةَ الألُوفَ خديعا

أيُّ إلفٍ من الغراباتِ هذا
فيه معنًى يثني السؤالَ صديعا؟

كيف لاقى حلاوةً ما ارتجاها
أهْي راعتْهُ؟ مَن درى كيف ريعا؟

أقنصَتْ فاقتُنِصتَ، جئتَ وجاءتْ
أهْي نادتْكَ أم أجابتْ سميعا؟

واضحٌ ما استزرْتَ حسناءَ يوماً
هل إلى هذه انتخبتَ الشفيعا؟

أتراني أصبتُ؟ كلا، لماذا؟
إنّ كُنْهَ الوضوحِ يُعيي الضليعا

* * *

أيَّ سـكـرين تـحـتـسـي؟ أيَّ أمٍّ
ضِـغـتَ فـيـهـا مـخـافـةً أنْ تَـضِـيـعـا؟

بـعـد سـتـيـنَ مـا نـسـيـتَ ارتـضـاعـاً
أحـلـيـبـاً طَـعِـمْـتَـهُ أم نـجـيـعـا؟

لـسـتَ تـدري كـانَ الـزمـانُ مـكـانـاً
يـشـتـهـي فـي قـمـيـصِـهـا أن يـمـيـعـا

* * *

طـفـلـةٌ أطْـفـلـتْـكَ، أَهْـي اسـتـطـاعـت
وحـدهـا أم أردتَ أن تـسـتـطـيـعـا؟

لـسـتَ تـدري، مـا زلـتَ سـكـرانَ تـنـأى
عـنـكَ، لـن تـسـتـفـيـقَ إلا صـريـعـا

هـل أحـالـت فـيـكَ الـشـتـاءَ ربـيـعـاً
ذا امـتـلاءٍ، أم أَلْـبَـسَـتْـكَ الـربـيـعـا؟

ربـمـا رقَّـعـتْ حـواشـي شـبـابـي
ثـم نـحَّـت ذاكَ الـقـمـيـصَ الـرقـيـعـا

وسـقـتْـنـي مـن غـصـنِـهـا فـإذا بـي
روضـةٌ تـحـتـوي الـغـصـونَ جـمـيـعـا

خِـلْـتُ غـرسـي يـمـيـدُ تـحـت جـنـاهُ
كـزمـانٍ يـلـغـي الـزمـانَ الـمُـجـيـعـا

لـلـعـصـافـيـرِ بـالـعـنـاقـيـد يُـومـي
ويـلاقـي إلـى الـدروبِ الـقـطـيـعـا

وإلى الجائعين يزجي حصاداً
وإلى العانساتِ عطراً مُذيعا

وإلى الثائرين عزماً بصيراً
وإلى القامعين مَخْقاً سريعا

وإلى اللاجئين منهم دياراً
من قلوبٍ، للرُّعبِ حَرْقاً فظيعا

وإلى كلِّ فاجرٍ ذي نقودٍ
تشتري المعدماتُ بؤساً شنيعا

وإلى ذي الطموح يُهدي كتاباً
بالعوافي يدنو يلفُّ الوجيعا

وإلى كلِّ نبتةٍ مدَّ نبضاً
مطراً هانئاً وسهلاً مريعا

أين ما كان واقعاً قبل يومٍ؟
غيَّر الوقعَ أمْ أجدَّ الوقيعا؟

قيل لاقت منْ تصطفي فأجادت
آيةُ الحسنِ أن يُجيد الصنيعا

* * *

منذ غذَّت هاتيك أعراقَ غرسي
صغتُ حتى الخراب فنّاً رفيعا

واكتشفتُ الدميمَ غيرَ دميمٍ
وخليعَ الأميرِ ليس خليعا

ودخـــلـــتُ الـــنَّـــهـــارَ أجـــلـــو مـــنـــاهُ
وقـــمـــيـــص الـــدُّجَـــى هـــزيـــعـــاً هـــزيـــعـــا

مـــن أفـــانـــيـــنـــهـــا ابـــتـــدأتُ انـــتـــصـــافـــي
فـــانـــثـــنـــى أوَّلـــي طـــلـــيـــقـــاً وديـــعـــا

كـــان سـِـرّي قـــصـــيـــدةً لـــم أقـــلْـــهـــا
قـــلـــتُـــهـــا الآن فـــابـــتـــدعـــتُ الـــبـــديـــعـــا

❁ ❁ ❁

لأنّك موطني

1991م

يــقــالُ عــيــونُــك الــنَّــعْــسـى   لأوَّلِ نـــجـــمـــةٍ مـــرســـى
لأمّ الــشــمــسِ مُــضْــطَــجَــعٌ   إلــيــهَ تــنــسُــبُ الــشَّــمْــسا
لــشــوق الــحــرف مــحــبــرةٌ   تــعــيــرُ الــمــأتــمَ الــعُــرسا
وعـــاصـــمـــةٌ لـــهـــا طـــربٌ   وكـــلُّ مـــديـــنـــةٍ خـــرْســـا
لأنَّـــكَ حـــســـب مـــا زعـــمـــوا   ســبــقــتَ الــرومَ والــفُــرْســا

**

أأنـــت أبـــو (ســـبـــرتـــاكـــو   س) أُمُّ شـــرارةِ (الأحـــســـا)
بـــريـــقُ حـــســـامِ (عـــنـــترةٍ)   وســرُّ فــصــاحــةِ (الــخــنــســا)
لـــهـــذا عـــنـــك يـــا وطـــنـــي   نـــعـــبُ الأخـــطـــرَ الأقـــســـى
إلـــيـــكَ ومـــنـــكَ غـــايـــتُـــنـــا   أقـــضـــراً كـــنـــتَ أم رمْـــســـا
أكـــنـــتَ عـــشـــيَّـــةَ الـــمـــاضـــي   أمِ الأمـــس الـــذي أمـــســـى
قـــلـــوبُ الـــقـــلـــبِ أنـــتَ ودعْ   أيُـــمْـــنـــاً كـــنـــت أم نَـــحْـــســـا
ومـــا الـــتـــاريـــخ؟ كـــيـــف هـــذى   وخـــطَّ حـــجـــاركَ الـــمُـــلْـــســـا؟
ووشّـــى دودَ مـــقـــبـــرةٍ   وعـــنـــهـــا اســـتـــقـــبـــلَ الـــدرْســـا
فـــســـمّـــى (أســـعـــد) الأســـبـــى   ولـــقَّـــبَ (مَـــذْحـــجـــاً) (عـــنْـــســـا)
ويـــروي مـــا روى سَـــلَـــفـــاً   ويـــنـــســـى أنـــه يـــنـــســـى

***

لأنَّــكَ مــوطــنــي أفــنــى حــريــقــاً فــيــك لا يــغــســى[1]

ولا أدعــو مــجــازفــةً ضــيــاعــي فــيــك أو أأســى

ألــسـتَ الــمـفــتــدى الأغــلــى بــلا ســبــئــيَّــةٍ قــعــســا؟

بــلا (ذُبــيــانَ) مُــنْــتَــســبــي وعــن (ذُبــيــانَ) ســلْ (عَــبْــســا)

لأنَّــكَ قــلــتَ لــي بَــشَــرٌ ودع مَــن صــنَّــفــوا الــجــنــســا

لأنَّــكَ بــيــتُ مــتَّــقَــدي أُجَــمِّــرُ بــاسْــمِــكَ الــحِــسَّــا

وأحــمــل أنــفــســاً شــتَّــى ألُــمُّ شَــتــاتَــهــا نــفــســا

* * *

أُحــبُّــكَ نــاقــداً خــطِــراً مــغــنّــي الــبــلــدة الــتّــغْــســى

عَــيــوفــاً مــا حــســا عــســلاً أتــى مِــن شُــبــهَــةِ الــمــحــســى

نــبــيّــاً إن رأى شَــبــحــاً رمــى بــ (سُــمــارةَ) (الــرَّسّــا)

وقــيــل اســتــلَّ (وائــلــةً) وقــيــل تــأبَّــطَ (الــكِــبْــســا)

وطــمَّ بــ (كــربــلا) (صــفَــداً) وبــ (الــمــهــديَّــةِ) (الــقــدســا)

ونــادى: يــا (مــذيــخــرةٌ) أتــنــســى الــشــعــلَــةُ الــقَــبْــسَــا؟

أيــأخــذ جــزيــةً مــلــكٌ ويــقــبــضُ بــاســمِــكَ الــمَــكْــســا[2]؟

ويــشــري(مــريــمــاً) بــ (لــمــى) كــمــا يــســتــبــدلُ الــلــبــســا[3]

---

(1) يغسى: ينطفئ ضوؤه.

(2) الجزية: ما يأخذ الحاكم من أموال أهل الذمة.

المكس: ضريبة التجارة المجلوبة. والجزية حلال للحاكم، أما المكس فمحرم، غير أن الإسماعيليين حرموا الجزية والمكس معاً، وأدانوا علي بن الفضل ملك مذيخرة باليمن على أخذ الجزية والمكس.

(3) مريم ولمى: إشارة إلى تعدد الزوجات الذي تغاضى عنه علي بن الفضل، وكان محرماً في المذهب الذي كان ينتمي إليه نظرياً لا تشريعاً.

رضعتَ الطُّهرَ يا وطني   فَدَعْ مَنْ يَغتَذي الرِّجْسا
أُحسُّكَ في شذا المرعى   غِناءً، في النَّدى هَجْسا
أضمُّكَ خضرةً كحلى   أشمُّك فكرةً لغسا
وشوقاً حادساً ومنىً   ووعداً يسبق الحدْسا
جمالاً لا يطيق فمي   أمام جلالِهِ النَّبْسا

* * *

أُحِبُّكَ هامةً صَلْعا   فتىً مِن صخرِهِ أجْسى
ومِنْ أجوائِهِ أصفى   ومن أجبالِهِ أرسى
يعي السرّا، يُرى أقوى   على البأسا مِنَ البأسا
وأهواك ابنةً وأباً   يرى ما لا يُرى لمسا
وكبرى تحسبُ الصغرى   تبيع سريرَها بخسا
أُحِبُّكَ ثائراً أبداً   غصوناً تنهمي أُنسا
عصافيراً وأوديةً   كتاباً غابةً مَيْسا
ومحراباً ومدرسةً   وبيتاً، ملعباً، حبسا
وجوَّاباً على أملٍ   وسوقاً يسكن الفِلْسا
وإنصاتاً وأغنيةً   وهمساً يحتسي الهمسا
ونافذةً ترى (حَسناً)   يغازل تحتها (حَسَّا)
أحبُّكَ غيرَ مُختَجِبٍ   لأنَّكَ عارياً أكسى
صريحاً ما ارتدى أحداً   ولا في غيره اندسّا

* * *

أتبغي عطرَ (هولندا)   أعنك تشكُّلُ العكسا؟
وهل (فُزويدُ) أيُّ فتىً   يجاري (موضةَ) (النمسا)

أُريـدُكَ تـلـبـسُ (الـكـاذي) وتـرعـى (الـخَـمْـطَ) و(الـوَزسا)

وتـسـري مِـن (جـعـارَ) إلـى دوالـي (صـعـدةٍ) خـمـسـا

أوانـاً راكـبـاً (جَـمَـلاً) وحـيـنـاً (نـاقـةً) وَغـسـا

وطـوراً حـافـيـاً يـصـبـو ويـربـو كـلـمـا جـسّـا

ألـيـس بـراءةُ الـمـزبـى تـنـقّـي الـبـذرَ والـغـرسـا

❁ ❁ ❁

رفاق
الليلة الأخرى

ديسمبر 1990م

أدلجوا يهَوْون ما تهوى
هذه الأمسيَّةُ السَّجْوى

أشبهتُهُم في الهوى وسمتْ
مثلَهُمْ عن ذلّةِ الشكوى

مثلُهُمْ يقتادُها وطنٌ
من وراءِ الرِّيحِ والأجْوا

فاستوى العكسانِ من بشَرٍ
وزمانٍ. جلَّ من سوَّى

* * *

إن أشارت بالسَّنا ائتلقوا
يوقدون الأفْقَ بالعدوى

وإذا ما غامتِ اقتبسوا
من بروقِ الغيمةِ الشدوا

تهتدي إن (أتْعزتْ) وإذا
جانبتْها تَخْبِطَ العشوا

إن سَــرَتْ كـــالــغـــاب (مُـــتْـــهِـــمـــةً)
ذكَّـــرتْـــهـــم ذلـــك (الـــغـــزوا)[1]

إن تــبـدّى (الــمَــهْــجَــمُ) اضـطَـرخـتْ
أيُّ يـــومِ مِـــن هـــنـــا دوّى[2]؟

إن بـــكـــت نـــجـــمـــاً هـــوى ثـــكـــلـــوا
مَـــن هـــوى مـــذ أنـــجـــبـــتْ (حـــوَّا)

وإذا حـــاذت بـــهـــم جـــبـــلاً
ساءلوا (عِيبالَ) عن (فدوى)[3]

وإذا طـــافـــت بـــهـــم (خَـــرَضـــاً)
قـــبَّـــلـــوا (دَبْـــوانَ) عـــن (عـــلـــوى)[4]

إن شـــكـــت صـــمـــتـــاً رأوْا ورووْا
حـــزنـــهـــا الـــمـــحـــروقَ والـــشـــجـــوى

إن أتـــت (حَـــزْوى) دعَـــوْا خـــبـــراً
عـــن (تـــمـــام الـــحـــجِّ) يـــا (حـــزوى)[5]

---

(1) أتعزت: قصدت مدينة تعز.. ومثلها أتهمت أي سافرت إلى (تهامة) التي وقع عليها الغزو السعودي عام 1934م.

(2) المهجم: وادٍ في أقصى تهامة قتل فيه (علي محمد الصليحي) مؤسس دولة الصليحيين في اليمن.

(3) عيبال: اسم جبل في فلسطين رددت ذكراه الشاعرة فدوى طوقان كمنبت حبّ، وبالأخص قصيدتها التي بعنوان (على سفح عيبال) في مجموعة (وحدي مع الأيام).

(4) دبوان وعلوى: من العشاق الذين لُخصت قصتهما حكاية كهذا القول اليمني: علوى ودبوان.. أخبار وأشجان.

(5) تمام الحج: إشارة إلى امرأة من (حزوى) لاقاها الشاعر ذو الرمة عند =

إن أرَتْهُمْ كرمةً سكروا
من بزوغ الأغصنِ الجلوى

مِن كؤوسٍ سوف تملؤها
تغتذي التَّقبيلَ والحشوا

يحملون البِيدَ، تحملهمْ
لحظةٌ غيبيَّةٌ نشوى

جاوزوا ظنَّ الظُّنونِ وما
غادروا (المخويتَ) و(الصُّلْوا)[1]

*

ما اسْمُ هذا النجمِ؟ أحسبُهُ
نجمةً علَّ اسْمها (سلوى)

تحتوي قلباً، لذا أَلِفتْ
أن تمنّي العاشقَ النِّضوا

تسرد الأزمانَ مُخصِبةً
كم سخَتْ، كم ألْوت اللأْوى

ساءلتْ مرعى ثمودَ متى
كذَّبتْ هاتيك بالطَّغوى؟

= انصرافه من الحج، استقاها فسقته، استسماها فقالت: اسمي (خرقاء) فقال فيها:

تمام الحج أن تقف المطايا
على (خرقاء) واضعة اللثامِ

فعرفت بهذا اللقب حتى غلب على اسمها.

(1) المحويت والصلو منطقتان في اليمن.

علَّ من، يا عمرو أنَّثها
ذكَّر (الميزانَ) و (الدَّلوا)

ما اسْمُ ذا المُخَمَّرْ؟ أزْعُمُهُ
بَدويّاً ينشدُ البدوا

يرتدي وجه (الشُّلَيْكِ) سوى
أنَّه ما جرَّب السَّطْوا

ذلك المغرورُ رأسُهُ
منزلٌ ما اختارَهُ عضوا

وبه يشدونَ، داخلَهُ
كلبةٌ تستنبحُ (الجِرْوا)

إن نوى التغييرَ مُشتبقاً
غيَّرَ (الطربوشَ) والفروا

كلُّ نجمٍ، يا (حسينُ) له
زوجةٌ مِن زوجِها أقوى

كيف يا (مسعودُ) ليلتُنا؟
مثلُنا جَوْعى بلا مأوى

علَّقتْنا يا (حَمُودُ) كما
علَّقوا اللهرَّةِ الشِّلْوا

لو تديرُ الشُّهْب أرغفةً
قُلْ: وأطباقاً من الحلوى

سوف تُدعى خيرَ خابزةٍ
ونُسمِّي خيرَ من قَهوى

قل لوِ (المفتاحُ) علَّمنا
كيف نطهو الفقهَ والنَّحوا[1]

مَن يعي فحوى النجومِ؟ على
وجهِها تسري بلا فحوى

كالحصى ما عندها خبرٌ
لا لها خفْقٌ ولا نجوى

إن طوى الأدجى إشارَتَهُ
نثَّ ما في قلبِهِ الأضوى

ذاك من يدعو، أُجيب كما
يستعيدُ الألْكَنُ الوأوا[2]

إن حكى، قال السُّعالُ: صهٍ
تَطْعَمُ الشيخوخةُ الرَّبْوا

* *

هل تشبُّ الحربُ يا (زُحَلٌ)؟
عند (سعدِ الذّابحِ) الفتوى

قيل: لا يُبدي نبوءتَهُ
قبل بدءِ الغارةِ الشَّغوا

---

(1) المفتاح: هو كتاب (مفتاح العلوم) في علم البلاغة للسكّاكي.
(2) الوأواء: الذي يتلجلج في نطق حرف الواو.

راقِبــواهــا طــالَــمــا انــتــبــهَــتْ
تــنــبــري مِــنْ قــبــل أن تُــنــوى

والــسُّــكــارى خــلــفَــهــا تَــبــعٌ
يــقــتــدي الــغــاوونَ بــالأغــوى

تــرتــئــي فــي الــكــيِّ عــافــيــةً
قــل: مــتــى فــي صــلــبِــهــا تُــكْــوى؟

تــنــطــوي عــطــشــى فــإن بــدأتْ
رشــفــةً لا تــرتــضــي الــصَّــحْــوا

كــم أتــتْ مــن نــبــتــةٍ صــرخَــتْ
تــرتــعُ الــمــخــضــرَّ و(الأحــوى)[1]

تــحــتــذي (صــيــدا) إلــى (رفَــحٍ)
تــرتــدي أكــتــافَــهــا (رَضْــوى)[2]

كــهــفُ (إســرائــيــلُ) أعــيــنُــهــا
(كَــمْــبُ ديــفــدْ) كــلــبُــهــا الأعــوى

* *

هــل أُســمَّــى يــا بــنــي (يــمــنٍ)
راويــاً عــن أمِّــكــم (أروى)[3]؟

---

(1) الأحوى: الحشائش المكسَّرة المخلوطة بالتراب.

(2) رضوى: جبال بين مكة والمدينة.

(3) راوياً عن أمكم أروى: إشارة إلى قول أروى بنت أحمد الصليحية (الحرب آخر سهمٍ في منزع الصبر، إذا ابتلَّ منها الإبهام لا يرتوي لها أوام).

مـــا لــقــت هـــولاً، ومِـــن عـــجَـــبٍ
أرضـــعَـــتْ أعـــقـــابَـــهـــا الـــتـــقـــوى

يـــا (مـــشـــتّـــى) مـــن نـــؤمُ؟ وهـــلْ
كـــاشـــفـــتْ أهـــواؤنـــا الـــمـــهـــوى؟

وإلـــى كـــم نـــكـــتـــســـي غـــســـقـــاً
يـــشـــتـــويـــنـــا، وهـــو لا يُـــشْـــوى؟

هـــل تـــركـــنـــا قـــبـــل صُـــحْـــبـــتِـــهِ
صـــحـــبـــةَ أرضـــتْـــكَ أو مـــثـــوى؟

لا أرى، يـــا (زيـــدُ) شـــقـــوتَـــنـــا
غِـــرّةً تُـــشْـــقـــي بـــنـــا الـــصـــفـــوا

إن خـــوى مِـــنّـــا الـــنـــهـــارُ، فـــهـــل
نَـــغْـــمـــرُ الأمـــســـيَّـــةَ الأخـــوى؟

يـــا رفـــاقـــي لـــســـتُ أمْـــســـيـــةً
كـــالأمـــاســـي، شـــئـــتـــكـــمْ لـــهـــوا

مـــا امـــتـــطـــيـــتُـــم مـــنـــكـــبـــي تَـــرفـــاً
لا ولا حُـــمّـــلـــتُـــكـــم ســـهـــوا

عـــنـــدكـــم أعـــلـــى الـــهـــمـــوم، أنـــا
لـــيـــلـــةٌ أخـــرى بـــلا دعـــوى

لا أرابـــي بـــالـــنـــعـــاس ولا
حِـــبـــرُكُـــمْ يـــســـتـــنـــطـــقُ الـــلَّـــغْـــوا

لا يـرى (الـفـسـتـانَ) مـرتـعـشـاً
مـادحـاً يـسـتـتـعِـبُ الـهـجـوا

لا يَـغـرُّ الـمُـسـتـعِـزُّ ولا
يـجـتـدي الأعـذارَ والـعـفـوا

سِـرُّنـا الأخـفـى قـدرتِ عـلـى
نَـشْـرِهِ مِـن قـبـل أن نُـطـوى

ـ كـلُّ (أيّـوبٍ) يـسـاهـرُنـي
يـجـتـنـي الـنُّـعـمـى مِـنَ الـبـلـوى

* * *

يـا رفـاقـي سـوف أُودعُـكـم
بـابَ تـلـك الـغـايـة الـقـصـوى

حـيـث لـلأشـواقِ وجـهُ ضـحـىً
ولأحـلامِ الـكـرى جـدوى

❁ ❁ ❁

أقاليم ذلك الجبين

هــــذا الأوانُ الأخـــطــبـــوطْ كــوجـومِ أقــبـيــةِ الــقــنــوطْ
كــمـحـنَّــطٍ لأمَ الــحــطــا مَ وقــام يــنــتــظــر الــحـنــوطْ
كــسـفــيــنــةٍ تــجــتــرُّ بــحــ ــراً أبــحــرتْ فــيــه الــشــطــوطْ
كــولــوغ فــيــران الــمــهــا مِــهِ فــي أنــابــيــبِ الــنُّــفــوطْ
لِــغــمــوضــهِ وكــرانِ فــي إبـــطــيْـــهِ آلافُ الأُبُـــوطْ
فــمُـــهُ كــبــابِ جــهــنَّــم ويــداهُ مِــنْ شــتــى الــخــيــوطْ

* *

يــا خــابــط الــفُــوضــى مــنِ الــ ــمخبوطُ فيك؟ مَنِ الخَبوطْ؟
فـــي أيِّــك الأغـــلــوطــةُ الــ ــكــبـرى؟ وأيُّــكــمــا الــغَــلــوطْ؟
يـــا كـــلَّ مـــغـــمـــوطٍ لـــمـــا ذا أنت بـعـضُ قـوى الـغَـمـوطْ؟
يا يا وأعيا. ما اسمُ من أدعـوه: قـل يـا عَـظْـرفـوطْ(1)
أتـــريـــدُ (أفـــلاطـــون) بـــل إيـمـاضـةً مِـنْ (مَـنْـفـلـوطْ)
تــروي لــك الــهــمــســاتُ عــن قــلــب (الــسُّــيــوطـي) عـن سيوطْ

*

يـــا ضـــجَّـــةً عـــصـــريَّـــةً كـــقـــتـــالِ أعـــرابٍ وقـــوطْ
ذا الــقــحــط يُــحــسَــبُ واحــداً وعــلــيــه تَــشْــتــبــكُ الــقُــحــوطْ

---

(1) عظرفوط: اسم تفكُّهي للنحاة لكل اسم على وزن (فعللون) فقالوا: إن عظرفوط شيخ جن قبيلة بجُيْلة.

يـعـوي كـغـولٍ (تَـنُـومـةٍ) ويـصُـرُّ كـالـنسـرِ الـلُّـقـوطْ
يـعـدو ويـنـزفُ وَهْـوَ لا يـدري أيـخـبـرُ أم يـغـوطْ
يـمـتـدُّ حـيـنـاً عـاريـاً حـيناً غـريـقـاً فـي الـمُـروطْ[1]
آنـاً كـنـوقِ (فـزارةٍ) آنـاً كـنـسـوةِ قـوم لـوطْ[2]
طـوراً يُـحَـلِّـق عـالـيـاً طـوراً عـلـى دَمِـهِ حَـطـوطْ
قـل تـارةً رهـطُ الـجـرا دِ وتـارةً جـثـثُ الـرهـوطْ
وبـمـقـتـضـى نـزواتِـهِ يـبـدو قَـبـوضـاً أو بَـسـوطْ
بـيـديْـه يـخـتـطُّ الـمـدى وبـرجـلِـهِ يـمـحـو الـخـطـوطْ
يُـدمـي بـقـرنـيْـه الـسَّـنـا ويـذيـلِـهِ الـنَّـووي يـسـوطْ
يـرقـى فَـيُـغْـدي الـمـرتـقـى مـا فـيـه مِـنْ طـيـنِ الـهـبـوطْ

* * *

عـيـنـاهُ مِـن أرق الـشُّـهـا قـدمـاهُ مـن وخـلِ الـشـبـوطْ
قَـلِـقُ الـجـبـيـنِ وقـلـبُـهُ فـي عـشـبِ سـرَّتِـهِ غَـطـوطْ

* * *

يـعـتَـمُ عـورتَـهُ ويـقـتـا دُ الـسـقـوطَ إلـى الـسـقـوطْ
فـيـمـرِّغ الأمـل الـذي بـعـرى تَـحَـوُّلِـهِ مـنـوطْ
لا يـسـتـدرُّ شـجـا الـمـرَثّـي لا الـتـفـاتـات الـغَـبـوطْ

---

(1) المروط: جمع مرط، وهي المآزر والأردية غير المخيطة، أو ثياب الحرير على الإطلاق.

(2) نوق فزارة: كانت موصوفة بالعقم لأن الفزاريين كانوا يميلون إليهن كما كن يفضلنهم على الذكور من الإبل، ومن هذا جاء المثل (مطلقة الفزاري ولا ناقته).

ويُـــعـــدُّ ولاَجـــاَ وخـــرّا جـــاَ وحـــلاّلاَ ربـــوطْ

يـــلـــهـــو وأوردةُ الـــشـــعـــو بِ عـلـيـه تـخـفـقُ كـالـقـروطْ
ويـحـوط أخـبـثَ مـا يـرى وعـلـيـه يـسـطـو مـا يـحـوطْ
يـحـيـا بـلا شـرط الـحـيـا ةِ كـمـا يـمـوتُ بـلا شـروطْ

❂ ❂ ❂

ابن ناقيةْ

1990م

لأنَّ لهُ بُغيةً راقيَةْ
تناديه: كنْ غيثَ إبْراقِيَةْ

لأني لمحتُ عذارى مُناكَ
وريّاكَ أوّلُ طُرّاقِيَةْ

فيهتفُ: يا كلَّ شوقِ الرحيلِ
إليها، ولا تلتمسْ واقِيَةْ

إليها، ويا نفسُ لا تحفِلي
بما أنتِ في وصلِها لاقِيَةْ

إلى كم أقاوي إليها الحنينَ
وأكتبُ للرّيحِ أوراقِيَه؟!

فيعدو على النّارِ، يبدو كمنْ
يُغسّلُ رجليْهِ في ساقِيَةْ

فتستغربُ النارُ: هذا احتذى
غروري، وهمَّ بإغراقِيَةْ

وقال: ادخليني لكي تُورقي
وتُذكي مشاريعَ إيراقِيَةْ

أما آخرُ الحرقِ بدءُ الرمادِ
فلوذي بأفلاكِ إشراقيةْ

أأُنشدُ فجر ربيعي هناك
وأبكي هنا فَقْدَ إحراقيةْ؟
لهذا الفتى وطَرٌ لا يشيخُ
وقلبٌ كأيام إغداقيةْ
بعينيْه ماضي غصوني، يُعيدُ
حطامي إلى نبضِ أعراقيةْ
أمِن ألفِ ألْفِ هداني إلى
صبايَ، وأعلنَ إطلاقيةْ؟
أكادُ أميسُ على ساعديْهِ
أُزاقي عصافيريَ الزّاقِيةْ
إليه انتهيتُ، ومني ابتدا
أأشواقُهُ بعضُ أشواقِيةْ؟
أساطيرُ تِهْيامِهِ مولدي
مِن الموتِ إعجازُ إنطاقِيةْ
أذا منبتي أم إليه انتمى؟
وعني يغنّي لآفاقِيةْ!
تذكّرتُهُ، كان يهوى الرباب
وكان اسمُ بكرتِهِ (ذاقِيةْ)

وكــــان يــــقـــولُ: أمـــوتُ قـــتــــالاً
وقــتـــلاً، لــتَـــسْــلَـــمَ أخـــلاقِـــيـــةْ

❊

يــمــرُّ فــيــرمــي الــطـريــقُ الــسـكــونَ
وتـــحــكــي الـــربـــا مَـــدَّ أعــنـــاقِـــيـــةْ
وتُــومــي الــثُّــريّــا: اغــتــصــبْ مَـقْـطَـفـي
ســـأدعـــوك: أجـــمـــلَ سُـــرَّاقِـــيـــةْ

❊

وكــانَ اســمُــهُ(الــعــنـبـري) فــي (الـعـديـنِ)
بـــ(ضــوران) يُــكْــنــى (أبــا حــاقِـــيـــةْ)
ويــدعــونَــهُ (الــخِــضْــرَ) فــي (دار سـعـدٍ)
فـــيـــهـــمـــس: جـــاوزتُ أطـــواقِــيـــةْ
أنـــا ابــنُ الــفــقــيــرةِ وابــنُ الــغــريــبِ
مِـــن الـــصـــخـــر أســـتـــلُّ أرزاقِـــيـــةْ
عـــلـــى الأهـــلِ أُشْـــفِـــقُ مِـــن ظَـــنِّـــهِـــمْ
بـــمـــثـــلـــي، وأعـــيـــا بـــإشـــفـــاقِـــيـــةْ

❊ ❊

وكـــانـــت تُـــهـــنّـــي الـــصَّـــبـــايـــا الـــتـــي
ســتــخــطــبــهــا لابــنــهـــا (مـــاقِـــيـــةْ)
ويـــخـــشـــيْـــن أن يـــكــتـــريـــهِ الـــخـــلـــيـــجُ
فـــيُـــثـــري، وتُـــغـــويـــه (بـــولاقِـــيـــةْ)

فـــحـــال كـــرومـــاً ووردا وقـــمـــحـــاً
وقـــال: اتَّـــحـــذتُ بـــعـــشَـــاقِـــيَـــةْ

تـــشـــبَّـــثَ حـــتـــى غـــدا مـــوطـــنـــاً
وقـــال: اتَّـــســـقْـــتُ بـــأنـــســـاقِـــيَـــةْ

❊ ❊ ❊

وقـــيـــل: تـــشـــكَّـــلَ فـــي كـــل غـــصـــنٍ
وقـــال: هـــنـــا سِـــفْـــرُ مـــصـــداقِـــيَـــةْ

وقـــيـــل: رقـــى وانـــتـــقـــى بـــغـــيـــةً
أشـــارتْ إلـــى قـــلـــبِـــهِ (نـــاقِـــيَـــةْ)

يـــراهـــا ألـــذَّ اكـــتـــشـــاف الـــحـــنـــيـــنِ
وأبـــقـــى مِـــن الـــحـــكـــمـــةِ الـــبـــاقِـــيَـــةْ

لـــهـــذا يُـــعـــنّـــي إلـــيـــهـــا الـــعَـــنـــا
ويُـــشـــقـــي الـــمـــغـــامـــرةَ الـــشـــاقِـــيَـــةْ

❂ ❂ ❂

قبل متى

1991م

قـيـل الألـى تـكـامـنـوا قـبـل مـتـى تـهـادنـوا
هـل غـبَّـرَتْ وجـوهَـهـم مـطَـالـةٌ وضـامِـنُ؟
أو جـاوزوا أزمـانَـهـم أو أنـهـم مـا زامـنـوا
ألآن عـن أسـبـوعـهـم يـنـوب يـومٌ ثـامـنُ
لأنّـهـم تـزوَّجـوا أمَّ الـلَّـواتـي لاعـنـوا[1]
وفـجـأةً تـآمـنـوا مِـنْ طـولِ مـا تـخـاونـوا

* * *

الـيـومَ يـحـكـونَ كـمـا تـثـاءبُ الـمـدافـنُ
لـكـي يـقـال: إنَّـهـم غـيـرُ الأُلـى تـلاسـنـوا

* * *

يـمـشـون مـثـلَ غـابـةٍ غـاصـت بـهـا الـبـرائـنُ
مـثـلُ الـحـصـى يـفـشـي الـذي يـخـشـى الـجـدارُ الـطَّـاعِـنُ
كـمـا يُـعـيـدُ الـصـمـتُ مـا قـال الـحـديـدُ الـسـاخـنُ

* * *

(1) لاعنوا: لاعن الزوج زوجته أي أنكر نسبة مولودها إليه وأصرت على صحة نسبته، فقضى الحاكم عليهما بأن يحلف الزوج أربع مرات بأنه من الصادقين، مضيفاً خامسة: أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، وتحلف الزوجة أربع مرات بأنه من الكاذبين، وتضيف خامسة: أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، ويتم فصل عقد الزواج إلى الأبد، وسبب هذه الملاعنة عدم الشهود.

كـأنَّ مـا ضـجّـوا، ولا عـجّـوا، ولا تَـشَـاحَـنـوا
لا أهَّـبـوا حـربـاً، ولا وَشَـتْ بـهـا الـمـداخـنُ
لا أحـرقـوا (حـمـيـدةً) حُـبـلـى لـتـشـلـى (فـاتـنُ)
كـأنَّـهـم مـا أحْـزنـوا شـعـبـاً، لـه تَـحَـازَنـوا
ولا انـتـوؤا، ولا عـلـى كـل جـوادٍ راهَـنُـوا

❊

أضـحـى كـرؤيـا نُـوَّمٍ مـا أضـمـروا، أو عـالـنـوا
ومـا اسـمُـهُ، تـعـايـشٌ ومـا اسـمـهُ، تـوازنُ

❊ ❊ ❊

قـيـلَ هـنـاكَ عـانـقـوا قـيـلَ هـنـا تَـحَـاضَـنـوا
قـل هـل تـخـاصـوْا، جـائـزٌ وجـائـزٌ، تـخـاتـنـوا
كـيـف تـهـانَـوْا، مـن درى لـعـلـهـم تـآبـنـوا
لا زغـردتْ (مـيـمـونـةٌ) ولا نَـعَـتْ (مـحـاسـنُ)

❊

قـيـل الـتـقـوْا عـلـى هـوًى قـيـل أدَّعَـوْا وداجَـنُـوا[1]
تـوافـقـوا بـدءاً، عـلـى مـن يـبـتـدي تـضـاغـنـوا
قـيـل مـحـوْا مـا أثـبـتـوا قـيـل وغـاص الـكـامِـنُ
قـل ربـمـا تـعـاقـلـوا لا فـرق، أو تَـمـاجَـنـوا
قـيـل نـفَـوْا واسـتـبـدلـوا قـيـلَ وكـانَ الـكـائِـنُ

❊

تـنـازلـوا بـغـيـرهـم لأنَّـهـم تـحـاصـنـوا

---

(1) داجنوا: خدعوا وغشُوا ونافقوا، وهذه الكلمة من الجوامع.

واصبحوا كَلّاً، ولو هانوا لما تهاونوا
هُمُ الكتابُ واسمُهُ والأهلُ والمساكِنُ
همُ المدارُ والفضا والبيْعُ والزبائنُ
كيف التقَوْا مِن بعد ما.. قل لي متى تباينوا؟

* * *

تظاهروا حتى انحنتْ ظهورهم تباطنوا
قُرونُ رأسٍ واحدٍ وصنَّفوا وقارنوا
يوم اغتَدوْا كي يطحنوا (برلينَ) هل تطاحنوا؟
معاً تعشَّوْا واحتسَوْا معاً هناك واطَنوا
أتوْا إليهم، مثلما لاقى الطحينَ العَاجِنُ
مَن قال ذاك عكسُ ذا هل تكذبُ المَعَادِنُ؟
تكاثروا واستكثروا فيسَّروا ويامنوا
وشرَّقوا وغرَّبوا واستلْيَنوا ولاينوا
وأفرقوا، فرافقوا (أفريقيا) وقاطنوا
ناءتْ بهم كما مشى بالتَّلِّ غصنٌ واهنُ
فاسوَدَّ بيتٌ أبيضٌ وابيَضَّ بيتٌ داكنُ
هل كان في انتظارهم ذاك الشحوبُ الراينُ[1]

* * *

تناصفوا في (القدسِ) في (كمبوديا) تغابنوا
وأهْنَدوا وأرْيَنوا فأصهروا وساكنوا
وأنجدوا، فاستعرَوا واخشوشنوا وخاشنوا

---

(1) الراين: الممتد على المكان الحسّاس، كرين الحزن على القلوب.

حـــيَّـــوْا رســـوم (خـــولـــةٍ) واســتــخــبــروا وعــايــنــوا

* * *

هـــنـــا ثـــغَـــتْ زرائـــبٌ هـــنـــا رغَـــتْ (مـــعـــاطِـــنُ)[1]

هـــنـــا امَّـــحَـــتْ أوثـــانـــهـــم وقـــام عـــنـــهـــا الـــواثِـــنُ

* *

وفـــي الـــرمـــال أبـــحـــروا كـــي تـــلـــحـــق الـــســفـــائِـــنُ

واســتــقــرأوا غــيــبَ الــفــلا فــبــاحــتِ الــقــرائِــنُ

واســتــحــلــبــوهــا فــارتــخــتْ كــمــا يــدرُّ الــحــاقــنُ

فــســمّــنــوا أشــبــاحــهــا وقــايــضُــوا وداينــوا

مـــن أيـــن يـــرقـــى نـــابــةٌ إذا تـــرقـــى الـــخـــامـــنُ

لـــلـــدّافـــنـــيـــن يـــا ثـــرى أفـــاقـــتِ الـــدَّفـــائِـــنُ

هـــل فـــيـــكَ أخـــفـــى؟ مـــا الـــذي يـــا غـــور أنـــت طـــابـــنُ؟

لـــمـــن أتَـــوْا فـــقـــهَ الـــلُّـــغـــى وإن حـــكـــوْا تـــلاحـــنـــوا

جـــاؤوا وفـــي جـــيـــوبـــهـــم لـــكـــلِ أمـــرِ وازنُ

* * *

فـــأرَّخـــوا (قـــضـــاعـــة) وكـــي يـــروقـــوا داهـــنـــوا

أرَوْا حـــفـــيـــدَ (مـــازنٍ) مِـــن أيـــن جـــاءَتْ (مـــازنُ)

ومَـــن أبـــو (تُـــبـــالـــةٍ) وكـــم غـــزت (هـــوازنُ)

وأســـمـــعـــوا (عـــنـــيْـــزةً) مـــا شـــمَّـــتِ (الـــكـــواهِـــنُ)

وكـــيـــف كـــانـــت تـــرتـــعـــي مـــثـــلَ (الـــظِّـــبـــا) (الـــمـــآذِنُ)

* * *

---

(1) المعاطن: مآوي الإبل وهي جمع معطن.

كـيـف رأوْا مـا لا يَـرى مـودَّعٌ أو ظـاعـنُ

لـهـم رؤًى إذا رنـت فـكـل نـاءٍ حـائِـنُ

لأنَّ كـلَّ بـقـعـةٍ لـهـم طـريـقٌ آمِـنُ

لـهـمْ هـنـاك قـارَةٌ لـهـا هـنـا مـدائِـنُ

ودارُ كـلِّ ثـروةٍ لـدُورِهِـمْ خـزائِـنُ

* * *

إلـى مـتـى، حـتـى يـلـي أقـوى، ويـجـري الآسِـنُ

كـمْ حـرَّكـوا وسـكَّـنـوا ومـا الـزَّمـانُ سَـاكِـنُ

مَـنْ يـشـرح الـمـتْـنَ الـذي يـدنـو ويـنـأى الـمـاتِـنُ

٭٭٭


رجعة
الحكيم ابن زائد


الناشيء

حَضّانُ المآتم

1994م

كـانَ يـبـدو، كـصـائـمٍ مـا تـعـشَّـى
الـمـلايـيـنُ فـيـهِ جَـوْعـى وعَـطْـشـى

أثَّـثَ الـقـلـب لـلـعُـراةِ، ويُـحْـكـى
أنَّـه مـا أذاقَ جـنـبـيْـهِ فَـرْشـا

بـيـن جـنـبـيْـهِ تـشـرئـبُّ الـشَّـظـايـا
أنـجُـمـاً مِـنْ دمٍ، صـبـاحـاً مُـغـشَّـى

كـلُّ مـثـوىً نـبـا بـهـا فـوعـاهـا
مـنـه قـلـبٌ أحـلَّـهـا فـيـهِ عَـرْشـا

فـي حـنـايـاهُ تـرتـعـي، ثـم تـصـبـو
وَهْـو ذاوٍ. يـكـاد يـنـحـلُ قَـشَّـا

كـلُّ (أفـغـانَ) فـيـهِ تـنـهـارُ، تـعـلـو
كـلُّ (صـيـدا) تـنـهـدُّ فـيـهِ لِـتَـنْـشـا

* *

أيَّ سِـرٍّ عـن كُـلِّ شـلـوٍ سـيُـبـدي
أيَّ أخـبـارهـا إلـى الـرِّيـحِ أفـشـى

إنَّـهُ يـحـمـلُ الـضَّـحـايـا، ويُـضـنـي
عـن خـبـيـئـاتِـهـا الـمـجـاهـلَ نـبـشـا

مــا الــذي بــاحَ لــلــسَّــوافــي؟ دعــاهــا
لا تــنــامــي، صُــبِّــي عــلــى الــوحــشِ وَحْــشــا

مــصــرعُ الــبــاطِــشــيــنَ مــا شــئــتِ مــنــهُ
مــقــتــلُ اثــنــيــن، بــل تُــزيــلــيــن بَــطْــشــا

هــل أجــابــتــهُ؟ هــل درى مَــنْ يُــبــاكــي؟
أهْــلَ صَــرْعــى (جِــنــيــنَ) أو أهــلَ (مُــوشــى)؟!

عـــنـــهُ ســـاهٍ، لاهٍ بـــكُـــلِّ صـــريـــعٍ
وعـــلـــى الـــمُـــنْـــظَـــرِيـــنَ أحـــنـــى وأخـــشـــى

ذاكَ أقـــوى فـــتـــىً، وأبـــكـــى إذا مـــا
أنَّ شــيــخٌ أو اشــتــكــى الــطــفــلُ خَــدشــا

أو تـــعـــاطـــى فـــنَّ الـــكـــتـــابـــةِ نـــاءٍ
عــن حِــمــاهــا، يُــدمــي الــوُرَيْــقــاتِ خــمــشــا

كـــلَّ آنٍ تَـــغـــشـــاهُ أخـــفـــى الـــمـــآســـي
وعـــلـــيـــهـــا يَـــقـــيـــسُ مـــا لـــيـــس يَـــغْـــشـــى

جـــارُهُ مـــن يَـــعـــولُ عَـــشْـــراً، رمـــاهُ
جـــارُهُ جُـــثَّـــةً عـــلـــى أيِّ مَـــمْـــشـــى

فـــامـــتـــطـــى مَـــنْ رمـــاهُ أصـــبـــى طـــرازٍ
وارتـــجـــى الـــمُـــرتـــمـــي ومـــا نـــالَ نَـــعْـــشـــا

واقـــتـــضـــى قـــاتـــلُ الـــفـــقـــيـــرِ أُلـــوفـــاً
والـــبـــواكـــي عـــلـــيـــهِ مـــا نِـــلْـــنَ قِـــرْشـــا

* * *

هكذا حُكْمُنا علينا ومِنَّا
في زمانٍ أعمى يُغَشِّيهِ أعشى

واللُّغى فيه باعَ وابتاعَ أردى
احتوى واستزادَ. رَشَّى، تَرشَّى

ما تلقَّى غيرَ (الكوميشان) درساً
فالتمشُهُ إن شئتَ في بابِ (كَمْشا)

ونرانا بالهجوِ نَرميهِ بحراً
مِثْلَ مَنْ يستلِذُّ في الحُلْمِ فَحشا

قالَ: ذاكَ النموذجُ الفردُ يؤذي
أوْبَشَ النَّاسِ، حينَ تَدعُوهُ وُبْشا

وإلى القاذفاتِ أوما: لماذا
كُنتِ أقسى، وكنتُ لَيْناً وهَشَّا؟

ليس مَنْ يدفِنُ البيوتَ الحزانى
مثلَ مَنْ يَنطوي على قتلِ (رَقْشا)[1]

مِنْ عظامي هذي الخراباتُ، تبدو
كشؤوني لهفى وغَرثى وعَمْشا

تلك تَشتَفُّ حُزنَ هاتيك، هذي
مِثلُ أُمِّيَّةٍ تُترجِمُ نَقْشا!

تلكَ محشوَّةٌ بِيُتْمِ الصَّبايا
ذي بأدمى القلوبِ والخوفِ أحشى

---

(1) رقشاء: صفة الحيَّة العنيفة.. حلَّت الصفة محل الاسم لدلالتها عليه.

ذلـــك الـــتَّـــلُّ كـــانَ أضـــلاعَ فـــوجٍ
الـــرَّدى فـــيـــهِ، لـــلـــرَّدى الـــغـــيـــرِ بـــشَّـــا

كـــلُّ قـــصـــفٍ مـــا هـــزَّ صـــنـــعـــاءَ فـــيـــهِ
كـــلُّ شَـــغْـــوى مـــا استـــطْـــلَـــعـــتْ مِـــنـــهُ رغـــشـــا

ذادَ حـــتـــى انـــطـــفـــائِـــهِ، قـــام تـــلاً
يـــعـــتـــلـــي الـــنـــاهـــشـــيـــن رجـــمـــاً ونَـــهْـــشـــا

قـــال: لـــو فـــي الـــتِّـــلالِ جـــذرُ قـــتـــالٍ
كـــجـــذوري، لأصـــبـــحَ الـــذِّئـــبُ كَـــبـــشـــا

قَـــصَّ هـــذا لـــلـــقـــاذفـــاتِ ونـــادى:
ارجِـــعـــي مِـــخْـــرَنـــاً، فـــؤوســـاً ورَفْـــشـــا

كـــلُّ بـــيـــتٍ رشَّـــيْـــتِ بـــالـــنَّـــارِ يَـــغْـــيـــا
كـــيـــفَ تَـــرْقَـــيْـــنَ، كـــي تـــصـــيـــري مَـــرَشَّـــا؟

الـــرُّفـــاتُ الـــتـــي قـــذفـــتِ يـــمـــيـــنـــاً
وشِـــمـــالاً كـــانَـــتْ ربـــيـــعـــاً مُـــوَشَّـــى

*

قـــال هـــذا، وغـــاص يـــبـــحـــثُ عـــنـــهُ
فـــيـــه يـــمـــشـــي، وســـائـــلاً مَـــنْ تـــمـــشَّـــى

نـــافـــشـــاً قـــلـــبـــهُ عـــلـــى الـــلَّـــيـــلِ (عِـــهْـــنـــاً)
يـــبـــتـــدي غَـــزْلَـــهُ فـــيـــرتَـــدُّ نَـــفْـــشـــا[1]

---

(1) عهنا: العهن هو القطن الطويل.

واجـتـلـى الـمُـبـتـدا فَـشَـمَّ كـتـابـاً
مَـدَّ أبـكـى الـفـصـولِ فـيـهِ وحَـشَّـى[1]

كـان يـذوي، كـي يـسـمُـنَ الـفـنُّ فـيـهِ
ويُـعـرِّي، كـي يَـظْـهَـرَ الـغِـشُّ غِـشَّـا

❁❁❁

(1) حَشَّى: يكتب الحواشي.

رجعة
الحكيم ابن زائد

1992م

مِنْ أيـنَ؟ مـن بـابِ الـذي مـا ابـتـدا
أَزْمَـعْـتُ أرمـي بـي دمـاً أو نَـدَى

بـدايـةً مِـنْ آخـر الـمُـنـتـهـى
شَـبـيـبـةً مِـنْ خـلـفِ شـيـبِ الـرَّدى

بـراءةً مـا وُلِـدَتْ تـربـةٌ
لـهـا، وتـنـوي الآنَ أنْ تُـولَـدا

كـسُـرَّةِ الـتُّـفَّـاحـةِ اخْـضَـوضَـرتْ
تـأهَّـبَـتْ مـن قـبـلِ أنْ تَـنْـهَـدا

* * *

طـلـعـتُ مـمَّـا كـانَ قـبـري الـذي
أمـسـى قـبـوراً نُـوَّمـاً سُـهَّـدا

أقـتـادُ جِـنّـاً مـن حـلـيـبِ الـسُّـهـا
يُـبـيِّـضـون (الـعَـنْـسِـيَ الأسْـوَدا)

أعـرى مِـن الـصـحـرا، فـإن عـضَّـهُـمْ
بَـرْدٌ، تـرى هـذا بـذاكَ ارتـدى

أهـفـو إلـى مَـنْ لَـسْـتُ أدري، وهـلْ
أُجـيـب صـوتـاً أو أُنـادي الـصَّـدى؟

أختارُ نَهجاً، ما مشتْ خوذةٌ
عليه، لا والٍ إليهِ اغتدى

يرى القُوى قبْضَ الرياحِ التي
شاخَتْ، وما زالَ اسْمُها أمردا

مِنْ حيثُ تُنهي تَبتدي، مثلما
تُحدِّدُ الأكذوبةُ المَوعدا

* * *

هلْ كُنتُ في عصرٍ بلا دولةٍ؟
فوضاهُ أرقى مِنْ نظامِ المُدى

كانَ يؤدِّي ما عليهِ بلا
أمرٍ، ويُضْبيهِ تمامُ الأدَا

ولا يُصلِّي، إنَّما يبتني
مِنْ قلبِهِ في قلبِهِ المَسجدا

كالأرضِ كُنَّا نستدرُّ السَّما
لكي ترى شُهْبَ الثَّرى صُعَّدا

كالدَّوحِ يُعطي الوحلَ أعراقَهُ
وهامُهُ يستحلبُ الفَرقدا

* * *

مائيَّةَ أصواتُ مأتاكَ يا
شوقاً إليهِ، منه فيه اهتدى

الآنَ، هذا عالَمٌ غيرُ ما
عهدتَهُ. أغشاهُ كي أغْهدا

يـا صـاحـبـي، مـا عَـنْـوَنَـتْ دهـشـةٌ
وجـهـاً ولا مَـنْ مـدَّ نـحـوي يـدا

كـي يـخـفـقـوا حـوْلَـيْـكَ، جَـسَّـمْ لـهـمْ
مـا يـفـجـأُ الأمـواتَ، مـا هـدَّدا

يـدرونَ مـثـلـي، أنَّ مَـنْ أودعـوا
تـحـت الـحَـصـى؛ أمْـسَـوْا حـصـىً رُكَّـدا

*

ذكـرتُ عـن (عـادٍ)، أفِـضْ: قـيـلَ لـي
فـي الـنَّـحـو ضـنـوا (مـا خـلا) (مـا عـدا)

يـدعـونَ (عـاداً) بـائـداً، مـا ثـنـتْ
(ذاتُ الـعـمـادِ) الـعـاصـفَ الأزبَـدا

عـن (ذي نـواسٍ) قُـلْ. ومَـن قـالَ لـي:
مَـنْ نَـصَّـرَ (الأخـدودَ) أو هـوَّدا

صِـفْ (أسْـعـدَ) الأغـنـى. أمـا شـاهـدوا
يـومـاً (سِـنـانـاً)، كـي يـروْا (أسـعـدا)

(يـا ذَيَـهِ) اسـمـعْ مِـنْ تـقـالـيـدنـا
كُـلَّ (عـسـيـبٍ)، وَهْـو مَـن قَـلَّـدا

لـبـدئـهِ قـبـلٌ، ومـن شـدَّهُ
عُـوداً؛ سِـوى مَـنْ شَـدَّهُ عَـسْـجَـدا

* * *

أيـنَ دلـيـلـي؟ مـا اسـمُـهُ؟ رُبَّـمـا
كـنـتُ أنـا الـمُـضْـغـي ومَـنْ ردَّدا

ألا فـتـىً يـسـألـنـي مَـنْ أنـا
فـقـد يـرانـي (الـشَّـيـخُ) مـسـتـورَدا

يـا قـلـبُ مـا أدنـاكَ مـنـهـمْ؟ ومـا
أخـفـاهُـمْ عـنـكَ، ومـا أبـعـدا؟

خـلـعـتُ قـبـراً كـنـتُ أحـتـلُّـهُ
فـاحـتـلَّـنـي. أمـشـي بـه مُـجـهـدا

أنـا (عـلـيٌّ) وأبـي (زايـدٌ)
ـ خـفِّـضْ لـنـا الأعـلـى، خُـذِ الأزيَـدا

أولادُ مَـنْ؟ سَـلْـنـا بـأسـمـائـنـا
إن كـنـتَ يـومـاً عـلَـمـاً مـفـردا

هـلْ حـلَّـتِ (الـسـبـعُ) هُـنـا أوْ هُـنـا؟
سَـلْ وردةً عـنـهُـنَّ، أو سَـلْ (هُـدى)[1]

أوْ مـا يُـسـمَّـى سـجـنُـهـنَّ الـذي
يـزوِّجُ الـقـوَّادةَ الأقْـودا

وكـانَ بـيـتُ (الـزُّوقـبـي) فـارتـقـى
لـلـمـركـزيِّ الآنَ، وارْقُـبْ غـدا

هـل جـادَ (حَـيـكـانَ) الـرَّبـيـعُ؟ أنَّـهُ
مُـخـرَّبٌ. . كـان اسـمُـهُ الـمُـفـسِـدا

(1) السَّبع: عند الحكيم ابن زائد هي السبع الأخيرة من مارس، فإذا أمطرَت دلت على رخاء العام، وإذا أمحلت كان عام البؤس. ومن أقاويله في هذا (أينما حَلّت السبع حلّيت).

(حـيـكـانُ) وادٍ فـي (الـجـهـازِ) اسـمُـهُ
هـذا، وخـطُّـوا تـحـتَـهُ مُـلْـحِـدا

وقـيـلَ: مـا زالَ بـأجـفـانِـهِـمْ
نـاراً، عـلـى أضـلاعِـهِـمْ جَـلْـمـدا

*

أ(قـاعُ صـنـعـا) ذاكَ؟ ذا مـعـرضٌ،
هـذا طـريـقٌ، هـاهُـنـا مُـنـتـدى

دُورُ الـذيـنَ قـبـلَ أن يُـخـتـنـوا
تـزوَّجـوا أُمَّ الـعَـصـا سـرْمـدا

وثَـمَّ سـجـنٌ ـ قـيـلَ ـ ذو مَـدخَـلٍ
فـقـطْ، بـهـذي الـمـيـزةِ اسـتـفـردا

و(مـعـهـدٌ) يـنـصَـبُ أُمْـيَّـةً
أخـرى، تُـسـاوي مَـنْ بـنـى الـمـعـهـدا

* *

مِـن هـاهُـنـا ازكَـبْ أيَّ (بـاص) إلـى
مـا شـئـتَ. لـسـتَ الآنَ مُـسْـتَـرشِـدا

أصـبـحـتَ تـتـلـو الأرض، لـكـن كـمـا
تَـسـتـجـوبُ الأُمُّ الـفـتـى الأدْرَدا

(عـبـاصـرُ) الـيـومَ عـلـيـهـا الـدُّجـى
صـبـغٌ كـحـيـلٌ، لا يـرى مَـنْ هـدى

أحـجـارُهـا الـيـومَ قـصـورٌ عـلـى
(صـنـعـا) تـوشّـي كِـبْـر مَـنْ شـيَّـدا

ما أنكرتني، قيلَ: عاد الذي
كانَ يبيعُ (الكازَ) و(الإثمدا)

وقيلَ: مرَّ (الخضرُ) مُسْتَخفياً
في (كاهنٍ) يدعونَهُ (مرعدا)

* * *

سكَعتُ جلدي في عظامي، إلى
وادٍ أرجْيهِ، ومنِّي اجتدى

يا عمُّ هذا (القاتُ).. هلْ ذُقتَهُ؟
كُنَّا شيوخاً قبلَ أنْ يوجَدا

لو كانَ، هلْ كُنتُمْ ستهوونَهُ؟
وربما نرمي به المذوَدا

لو في يدي ألفٌ لعاقرتُ مِنْ
أغصانِهِ الرَّيَّانَ والأمْلَدا

في الجدبِ يندى؟ من مبالِ الثَّرى
يُسقَى، وتَلقى غيرَهُ فَدْفدا

أ(مَنكَتٌ) هذا؟ أرى دُورَهُ
ولا أشمُّ الزرْعَ والحُصَّدا

يا (مَنكَتُ) اصفرَّ (سهيلٌ) وما
أعشَبْتَ.. من ذا أسْكَتَ (الهُدهدا)[1]؟

---

(1) الهدهد: طائر يُسمَّى يمنياً (البيبي) وهذه التسمية منتزعة من صوته (يب يب يب) وهذا الصوت بشير بهطول الأمطار في الغالب.

يــا مــنــكــثــيَّــاتُ ابــنــتــي (بــدرةٌ)
عــادت، وســمَّــوْا عَــوْدَهــا أحــمــدا[1]

قُــلــتُــنَّ عــنــهــا: مَــرَّغَــتْ لــحــيــتــي
و(مــا عــدا إذْ ذاكَ مــمــا بــدا)[2]

أمــا تــأكَّــدتُــنَّ مِــنْ ذبــحِــهــا؟
مَــنْ ذا نــفــى هــذا؟ ومَــنْ أكَّــدا؟

مَــنْ لا يُــرجَّــى وَهْــوَ حــيٌّ، فــمــا
مِــنْ حــقِّــه، إن مــاتَ أن يُــفــقَــدا

ذا (الــثــورُ) مِــنْ ثــوري. أَذُرِّيَّــةٌ
لــمــن تــعــاطــى ذبــحَ مــا اســتــولــدا؟

تــقُــلــنَ لــي هــذا. أقُــلــنــا أذَا
(ثــورٌ) رأى ثُــوَّارَهُ فــاقــتــدى؟

---

(1) يا منكثيات: من حكايات الحكيم أن ابنته (بدرة) هربت من قرية (منكث) مع عشيقها، فتردَّدت الإشاعة بهذا. فقال الحكيم هذا الشعر:

يــقــول عــلــي بــن زايــد
يــا ويــح قــلــبــه وعــيــنــه
بــالــلّــه يــا بــيــض مــنــكــث
كــثــر الــكــلام بــطُــلــبــنــه
حــلــفــت يــا رأس (بــدرة)
لا بــد مــا تــبــصــريــنــه

ووفى بقسمه فذبح ابنته. ومن الجائز أن القصة من وحي البيت، لأن أقاويله كانت تنشأ عن قصة أو توحي بنسخها.

(2) (ما عدا مما بدا): كلمة استيضاح لما حدث، أو استفهام عن نتيجة ما حدث.

سِـــواكَ أوصــى: مَـــنْ رأى اثــنــيـــن ذا
فـــي تـــلـــكَ أغـــضـــى، أوْ أهـــالَ الـــرّدا

صِـــرتُـــنَّ بـــعـــدي (مـــالـــكـــاً) ثـــانـــيـــاً!
ونـــرفـــضُ الـــتَّـــزويـــجَ إنْ قـــيَّـــدا

مَـــنْ عـــدَّدتْ مِـــنـــكُـــنَّ أزواجَـــهـــا؟
قُـــلْ: عـــدَّدَتْ زوجـــاتِ مـــنْ عـــدَّدا

كَـــمْ كـــانَ فـــي دارِ أبـــي (بـــدرةٍ)؟
جـــاوزتُ مَـــنْ ثَـــنَّـــى ومَـــنْ وَحَّـــدا

مـــاذا ســيُـــخـــبِـــزنَ؟ لـــقـــيـــنَ الـــذي
خَـــيْـــكـــمـــتـــمـــو مِـــنْ ثـــوْرِهِ أبـــلَـــدا

❊ ❊

أيـــا (بـــنـــي بـــدَّا) أمـــا عـــنـــدكُـــمْ
بـــيـــتـــي؟ أبـــاد الـــيـــومَ أم أنـــجـــدا؟!

مَـــنْ أنـــتَ يـــا. مـــن؟ جـــدُّ أجـــدادكـــمْ
يُـــقـــالُ: غـــابـــوا ســـيِّـــداً ســـيِّـــدا

مَـــنْ ذا دعـــا؟ مَـــنْ بـــرَدَتْ كَـــفُّـــهُ
ســـيُـــدفـــئُ (الـــتَّـــنُّـــورَ) والـــمـــرْقـــدا[1]

ومَـــنْ شـــدا صُـــبـــحـــاً لأثـــوارِهِ
قـــال: احـــمـــرارُ الـــقـــمـــحِ مـــاذا شـــدا؟

---

(1) مَنْ بردَت كفه أدفأ بيته: هذه خلاصة أقاويل الحكيم في الدعوة إلى التبكير بالعمل.

مَنْ قالَ: رهنُ المال لا بيعُهُ؟
جشمانُ ذا المُوصي غدا (موقِدا)

ورُبَّما صارَ ابنهُ (جرَّةً)
وابنُ ابنهِ في مركبٍ مِقْودا

هَلْ بادَ مَنْ كلُّ البيوتِ انتمتْ
إليهِ، وائتَمَّتْ بما أنْشَدا؟

ما زالَ حتى اليوم، ما قُلتُهُ
فِقهاً لكمْ، أوخبراً مُسْنَدا

ما قيلَ يوماً: كنتَ بيتاً ولا
بيتيْن. كنتَ الموطنَ المُفتدى

* * *

قالت (جَعارُ): كَمْ ظروفٍ دجَتْ
وما استبنَّاكَ بها المُرشدا

لو جِئتَ لمَّا أغْدَنَ (الَّلندني)
أطفأْتَهُ فوراً بما استوقدا

كانتْ قُواهُ قاذفاتٍ، كما
كانت رواسينا قُوَىً أجْلَدا

قيل: اشترى مِنْ أهلِنا (مُسعداً).
مَنْ باعكُمْ يومَ اشترى (مُسْعدا)؟

ما القولُ في من بالعدوِّ احتمى؟
كما يقودُ الأعمشُ الأرْمَدا

* *

قـــالَ (رداعٌ): قـــلـــتَ فـــي لـــيـــلـــةٍ
أمـــســـيـــتُ لِـــصّـــاً حـــالِـــفـــاً مُـــكْـــمـــدا[1]

بِـــمَـــنْ تـــغـــزَّلْـــتَ؟ بـــمـــنْ أنـــبـــتَـــتْ
لـــلأرضِ حُـــرَّاثـــاً ولـــي أكْـــبُـــدا

شـــبَّـــبْـــتُ عـــن (ولاَّدةٍ) بـــالَّـــتـــي
دامَـــتْ هـــي الأصـــبـــى، بـــلِ الأوْلَـــدا

فـــمـــن تـــغـــلُّ الـــقـــمـــحَ نـــاديـــتُـــهـــا
(غَـــيـــدا)، وأمُّ (الـــمـــشـــمـــشِ) الأغْـــيـــدا

مـــن تُـــقْـــمِـــرُ (الـــبـــيـــضـــا) (مَـــهـــاً)، مـــن هَـــمـــتْ
(دُخْـــنـــاً) (غـــزالاً) فـــاقَـــتِ الـــخُـــرَّدا

هـــل ســـنَّ قـــتـــلَ الأمِّ (قَـــخْـــمُ) الـــخَـــلا
إنْ طـــلَّـــقـــتْ فـــرداً لـــكـــي تُـــضْـــمِـــدا[2]؟

---

(1) قلت في ليلة: قيل إن الحكيم خرج من بيته يبحث عن حبوب لطعام العشاء ولما رجع خائباً اختبأ في زواية يسمع منها أقاويل زوجاته الثلاث. فقالت الأولى: ما حصل على قرض فذهب يسرق، وقالت الثانية: إنه تأخر بسبب اجتماع القرية لأداء القسم على الوفاء بالثأر، وقالت الثالثة: إحداهن أخبرتها بأنها رأت زوجها يتحدث مع فلانة، ولعلها قد واعدته فهو لديها؛ وفي اليوم التالي كان يغني على محراثه هكذا:

يـــقـــول عـــلـــي بـــن زايـــد
فـــي قـــلـــة الـــزرع الأخـــلاف
أمـــســـيـــت مـــن فـــقـــر لـــيـــلـــة
زانـــي وســـارق وحـــلاّف

(2) رجُلٌ شجاع سار مثلاً في ركوب الليل واصطحاب الذئاب، وقيل إنه قتل أُمَّهُ حين انفصلت عن والده لكي تتزوج رجُلاً قبل منها شرط أن تضمده بآخر، وكان جمع المرأة بين الزوجين شبه شائع وأقرب إلى الندرة.

بأُمّه ضَحّى جزاءً، وما
أوصى بذا (سَلْعاً) ولا (سُرْدُدا)

هل قُلتَ عنهُ: كُلُّ قلبٍ لَهُ
كالبحرِ قَعرٌ قَلَّما أزبدا؟

وقالَ (ميدي): جئتَ مُستخبراً
أو مُخبراً، أو طُفتَ مُسترفِدا

إليَّ مِنّي جئتُ لا سائحاً
لا زائراً، لا أُشبِهُ العُوَّدا

يا شيخَ (ميدي) إنَّني راجعٌ
أُزجي سِراجاً قبلَ أنْ ينفدا

مَنْ عارَكَ الأمس اعتراكي بهِ
أتى مِن الآتي وحثَّ المَدى

قُلْ ما اقتداري تحتَ دُرَّاعتي
درايةٌ تستكثِرُ الحُسَّدا

أَسَمْدُ البرقَ لتُصغي إلى
أعلى جدالٍ حولَ مَنْ سمَّدا

* *

لو كنتَ (عامَ الانسحابِ) ألذي
تقودُنا. حتَّمتُ سحب العِدا[1]

---

(١) عام الانسحاب: صار الانسحاب علامة تاريخية على الانسحاب الذي حدث عام =

مدرّعاتُ القومِ أحشو لها
حفائراً يَبْلَغْنَهم سُجَّدا

ما كلُّ أقوى كان أذكى، ولا
يخشى سليلُ الحربِ مَنْ أرْعَدا

لو كنتَ في (عامِ الطَّوى) حاضراً،
- صابرتُ مُعتادي كما عوّدا[1]

في كُلِّ عامٍ كانَ يعتادُنا
شهرينِ، نَذْوي قبلَ أنْ نحصِدا

كُنَّا إذا ما حلَّنا موجِعٌ
نحِلُّ ذوب الأغيُنِ (المَهْيدا)[2]

لكي نصونَ الوجهَ نُثْني البُكا
إلى الحشا، يدمى بما عَقَّدا

❊

قالَ (المُعلاَّ): لُمْتُ مَنْ جَمْهَروا
سِيَّان مَنْ عادى ومَنْ أيَّدا

لو جِئتُ (صنعا) مُشْبِطاً، قلتُها:
أخبارُ مولاتي بلا مُبتدا

= 1934م، لأن الجيش اليمني انسحَبَ من تهامة إلى الجبال في حربه مع الجيش السعودي الذي كان أحدث تسليحاً، وبالأخص امتلاكه المدرعات.

(1) عام الطوى: هو عام 1922م الذي اشتدت فيه المجاعة على عموم اليمن، وقيل إن الأطفال أُكلتْ فيه. وقد سمّاه المؤرخ الواسعي عام الشدّة.

(2) المَهيد: هو صوت غنائي شجي مديد يشبه الموّال العتّابي في الشام.

يـا (قـصـر غـمـدانَ) أيـدري الـذي
أشـهـرتَـهُ مـاذا، ومَـنْ أغـمـدا؟

قـلْ لـلـشُّـبـاطـيِّـيـن: مـنْ ضـرَّجـوا
كـان (إمـامـاً). كـادَ أن يُـعْـبـدا

أقـالـتُـمُ مـاتَ، وأوصـاكُـمُ
وقـالَ يـومَ الـصَّـيْـحـة: اسـتـشـهـدا!

مـاذا جـرى تُـحـيُـونَ أعـراسَـكُـمْ
عـلـى دمٍ. مـا حـانَ أنْ يـبْـرُدا؟

*

أقَـلُّ مـا أبـقـاهُ (يـحـيـى) يـقـي
(صـنـعـا). أمـنـكُـمْ ضـاعَ فـيـكُـمْ سُـدى؟

جـرايـةُ الـشَّـهـرِ اسـتـحـالـتْ بِـكُـمْ
عـشـرِيَّـةً. أشـقـى الـذي أسـعـدا

أغـريـتـمـونـا بـالـنُّـقـودِ الـتـي
أغـرَتْ بـنـا الـجـيـرانَ والـوُفَّـدا

وقـلـتَ: أيـنَ (الـوَرْتَـلانـي) يـرى
مَـنْ ذا اسـتـبـاح الـسُّـوقَ والـمَـعْـبـدا؟

حـصـارُ (صـنـعـا) يـا (زُبـيـري) رمـى
إلـى الـبـيـوتِ الأقـبُـر الـزُّرَّدا

تـريـدُ خـبـزاً وشـرابـاً، فـهَـلْ
تـحـسـو (عُـكـاظـاً)، تـخـبـزُ (الـمَـرْبَـدا)؟

تـــخـــتـــارُ أســـواقـــاً وأمْـــنـــاً، ولا
تُـــفـــضِّـــلُ الـــدُّســـتـــورَ أو (أخْـــمـــدا)

بـــالـــمـــذوَدِ اهـــتـــمُّـــوا لـــكـــي يَـــغْـــلـــفِـــوا
(بُـــقـــيْـــرةً) مـــا غـــادرت (عِـــرَّدا)[1]

❊ ❊ ❊

(شـــوكـــانُ) أفـــضـــى: أيَّ بـــابٍ هُـــنـــا
خـــلَّـــعـــتَ كـــان الأغـــمـــض الـــمـــوصـــدا؟

أمِـــنْ (بـــنـــي صـــنـــعـــا) غـــدَوْا نُـــهَّـــبـــاً؟
كـــانـــوا بـــأخـــفـــى كـــنـــزِهـــا أرْصـــدا

لـــو كُـــنـــتُ (يـــوم الـــمـــصـــقـــري) فـــي (بـــنـــي
ضـــبـــيـــانَ) يـــبـــغـــي أن يُـــروْا عُـــبـــدا

أســـرعـــتُ أُعـــطـــي (ســـوْرةَ الـــثَّـــورِ)، بـــلْ
و(آلَ ضـــبـــيـــانَ) فـــقـــيـــهَ (الـــسّـــحَـــدا)

لـــو كـــنـــتَ والـــي أمـــرِ (ذي نـــاعـــم)
جـــانـــبـــتُ مَـــنْ أذْكـــى ومـــنْ أخْـــمـــدا

فـــمـــا ابـــتـــغـــى (الـــرَّصـــاصُ) مـــحـــمـــيَّـــةً
لا (الـــكـــوكـــبـــانـــي) راوَدَ الـــســـؤْدُدا

لـــو كُـــنـــتَ (يـــومَ الـــخَـــوْبَـــةِ) اســـتَـــنْـــمـــرتْ
فـــيـــهـــا دعـــوتُ اســـتـــنـــصِـــحـــوا (مـــرثَـــدا)

---

(1) عِرْد: من الأمثال الشائعة: (جهِّز المذود والبقرة في عِرْد) كناية إلى تجهيز اللوازم قبل حصول أصلها ولعل عرّد كان شهيراً بكثرة الأبقار وجودتها

وقــلــتَ: ســلْ يــا (قَــرْدعــي) (شــبــوةً)
هــل تَــغــذُبــيــنَ الــيــومَ لــي مــوْرِدا؟

عــاكــســتَ (يــحــيــى) أمــسِ فــي شــأنِــهــا
والــيــومَ تــســتــدعــيــهِ مُــســتــنــجِــدا

مَــنْ أحــقــدَ الأقــوى عــلــيــهِ، درى
كــيــفَ يُــقــاوي ذلــك الأحْــقَــدا

هَــلْ ســوَّدَ (الــبــيــحــانــي) (الــقَــرْدَعــي)
مَــكْــراً؟ مــتــى ســادَ الــذي ســوَّدا؟!

لــو كُــنْــتَ فــي (الــحــوبــانِ) ذا رتــبــةٍ
عــاقــبــتَ قــبــل الــجُــنــدِ مَــنْ جَــنَّــدا

وقــلــتَ. يــا جــيــشَ الــحِــمــى مَــنْ لَــهُ
إذا ابــنُــهُ قــبــلَ الــعــدوُّ اعــتــدى؟

رآى لــ (عــبــد الــلّــه) أعــمــى الــحِــجــا
أو مــا انــتــقــى الأخــبــارَ مَــنْ زوَّدا

*

قــالــتْ (تَــعِــزٌّ): ذاكَ مــا كــان، لا
أســالَــهُ مــجــرى ولا جَــمَّــدا

لــو كــنــتُ فــي (أيــلــولَ) دبَّــابــةً
أطــلــقــتُ مِــنْ فــكــرِ الــسَّــنــا مَــسْــرَدا

كــي أمْــلــكَ الــبــغــدَ، أعــي قَــبْــلَــهُ
بــطــنــاً وظَــهــراً. مَــشْــهــداً مَــشْــهَــدا

ولا أُوَلِّي قائِداً، ما أنا
رقيبهُ الأعتى إذا عربَدا
لو يصبحُ الأعلى صغيرَ الظُّبا
على نمورِ الغابةِ استأسدا
لا تسألي (النمرودَ) مَنْ غَرَّهُ
سلي غرورَ الأمرِ كم نَمْرَدا

* * *

لو كُنتُ في (ردفانَ) أعلنتُها
أزرى برامِيهِ كما سَدَّدا
وشبَّها خمساً، ويومَ اكتَسَتْ
جِدادَها (إنكلترا) عَيَّدا
وقلتُ: يا ثُوّارُ أخشى لَكُمْ
مِنكُمْ، وأرجو الآتيَ الأرْغَدا
بعِيْدِ الاستقلالِ مِنْ قبلهِ
تدرونَ كَمْ أردى وكَمْ شَرَّدا
كم وغَدَ الحكمُ الفتى المُنتَقى
فكيفَ يُطفي سُكرَهُ الأوغَدا
مُذْ قالَ: تحتي مصرُ (فرعونُها)
طاشَ انفرادُ الأمرِ واستَعْبدا

* *

لو كنتُ في (السبعين) ساءلتُ عَنْ
ماهِيَّةِ الجدوى ومرمى الجَدا

وقـلـتُ (إدريـسـيَّـةٌ) لـو بَـدَتْ
أُخـرى، لأبـدى فـرعُـهـا الـمَـخْـتِـدا

تـقـاتُـلُ الـشَّـطـريْـنِ هـلْ خـفـتَـهُ؟
قـلـتُ الـذي أذكـاهُـمـا رمَّـدا

هـل قُـلـتَ: لـمَّـا الـجَّـنـوا أحـسـنـوا؟
قـلـتُ غُـرابٌ يـلـتـقـي بـالـحِـدا

لأنَّ مَـنْ سـمَّـوْا لـجـانـاً، كَـمَـنْ
يـخـتـارُ مِـنْ بـيـنِ الـحَـصـى الأجـودا

* * *

قـالـتْ (ذمـارٌ): كـيـفَ صُـغـتَ الـبِـلـى
جِـسـراً، وذُقـتَ الإنْـس والـمُـرَّدا؟

هَـلْ عُـدتَ؟ قُـلْ مـا غِـبـتُ، راقـبـتُ مـا
جـرى ويـجـري مُـنـهِـضـاً مُـقْـعِـدا

مُـكـاشِـفـاً مـا جِـدَّ. هـل سـوؤُهُ
فـي أصـلِـهِ أم فـي الـذي جـدَّدا؟

عـن وحـدةِ الـشَّـطـريْـنِ مـاذا؟ وهَـلْ
أفـقـتُ مِـنْ سُـكْـريْـنِ كـي أشـهَـدا؟

أيـنَ أنـا؟ نـصـفـي انـطـوى فـي الـذي
هَـنَّـا، ونـصـفـي فـي الـذي زَغْـرَدا

ورُبَّـمـا أصـحـو عـلـى غـيـرِ مَـنْ
أمـاتـنـي سُـكْـراً ومـا عَـنْـقَـدا

لأنـــنـــي كـــنـــتُ أُغـــنـــي، فـــمـــا
دَرَيْـــتُ مَـــنْ ذا نـــاحَ؟ مَـــنْ غَـــرَّدا؟

ولا مَـــنِ اهـــتـــاجَ وقـــال: الـــتَـــقَـــوْا
لـــكـــي يُـــقَـــوِّي الـــفـــاسـدُ الأفـــسـدا

أوْ مَـــنْ أجـــاب: اثـــنـــان مِـــنْ واحـــدٍ
أقـــوى، ومَـــنْ ثَـــنَّـــى الـــصَّـــدى والـــنَّـــدى

مَـنْ صـاح: عُـرْسـي وحـدتـي؟ مَـن نَـعَـى؟
مَـــنْ قـــالَ: كُـــنَّـــا قـــبـــلَـــهـــا أوْحَـــدا؟

* * *

الـــنَّـــاسُ: مـــنـــقـــودٌ ونـــقَّـــادةٌ
وقـــد يـــكـــونُ الـــصَّـــامـــتُ الأنْـــقَـــدا

●●●

وردةُ المُسْتَهَلّ

1993م

أتى. قالوا: أتى مِنْ أيْنْ؟ أكانَ مُسافراً يا (زَيْنْ)؟
وعاد أباً بلا ولدِ حُسينيّاً بدونِ (حُسينْ)
ومَنْ يُدعى؟ خُزاميّاً وأحياناً أبا النَّجمينْ
لهُ شعبيَّةٌ أخرى كأنَّ الصْدقَ فيها المَينْ[1]

***

سمعتُ الصُّبحَ جارتَنا تَغَنَّتْ باسمِهِ صوتَيْنْ
وقالَتْ لابنِ ضُرَّتِها: ألسْنا اليومَ في عيدينْ؟
فلبَّى مُنيةً ظلَّتْ تُناغي قلبَهُ عامينْ
وقالَ فتىً: أتى أقوى وحانَ على عِداهُ الحَينْ[2]
أأنتَ رأيتَ طَلْعتَهُ؟ ونَزْلَتَهُ إلى (النَّهرينْ)
وبَسمتَهُ التَّي انصَبَّتْ على جيدِ الضُّحى عِقدينْ؟
وكيفَ رأيتَهُ؟ - قمراً وكدتُ أشمُّهُ فجرَينْ

***

أمِنْ صنعا مَضى؟ ومتى؟ - ثواني قَتْلِ (يحيى الزَّينْ)
صَبيحةَ أرْخَتِ الليلَ ذوائبها على (النَّهدينْ)[3]

---

(1) المَين: الكذب الناجح. (2) الحَيْن: الموت المُفاجئ.

(3) النهدين: جبل مطل على صنعاء ذو هضبتين، انتزع اسمه من شكل هضبتيه الذي يشبه النهدين.

وألـــقَــتْ أُمُّ سُــنـبـلـةٍ عـبـاءَتَـهـا عـلـى الـرِّيـحَـيـنْ
وقــالــتْ لــي (أزالُ): قُــلْ كـعـادتـهـا شَـدَتْ لـحـنَـيْـنْ
ولـلـرّامـي ولـلـمَـرْمـى أضـاءَت سـاحـةَ الـبـابَـيـنْ
تــمــدُّ ولا تَــردُّ يــداً أليسَتْ بنتَ (ذي القرنَينْ)؟

* *

وعــنّــي خــطُّ (وضّــاحٌ) عـنـاويـنـاً ويـاءَ غَـيـنْ
هـدى الـمعنى إلى الـمعنى فـصـولاً، فـاصـلاً، فـصـلـيـنْ
ومِـصـبـاحـاً فـإصـبـاحـاً وعـنـقـودَيـنِ عـنـقـوديـنْ
ووشّــى شـبـهَ خـاتـمـةٍ تَـشـي عـن رمـزِ عـنـوانَـيـنْ
وقــالَ الــخـا: أَلِــي تــاءٌ تُـبـرعِـمُ وردةَ الـبَـدءيـنْ

⊛⊛⊛

مَنْ ذا بقي؟

1993م

لأنَّ الـــذيـــنَ طَـــفَـــوْا كـــالـــزَّبَـــدْ
أحـــلُّـــوا الـــشَّـــظَـــايـــا مـــحـــلَّ الـــبـــلَـــدْ

سَـــرَوْا يـــســـتـــبِـــثُّ الـــقِـــنَـــاعُ الـــقِـــنَـــاعَ
نَـــقـــي أوجـــهـــاً أمْ فُـــروجَ الـــنَّـــكَـــدْ!

أعِـــنِّـــي عـــلـــى ذلـــكَ الـــمُـــنـــحـــنـــي
- إلـيـهِ الـتَّـصِـقْ، بَـلْ عـلـى (ابـنِ الـقـمَـدْ)[1]

لـــمـــاذا أهـــي؟ هـــلْ تَـــهـــي أنـــتَ يـــا. . ؟
- تـــقـــاويـــتُ أجـــهـــدْتُ حـــتـــى الـــجَـــهَـــدْ

ومَـــنْ نَـــسْـــتَـــمِـــدُّ، وأقـــدامُ مَـــنْ
شـــوَوْنـــا عـــلـــى أعـــيُـــنِ الـــمُـــسْـــتَـــمِـــدّ؟

لـــمـــاذا تَـــغَـــطُّـــوْا ولا نـــاظِـــرٌ؟
- أدِرْ أيُّـــهـــا الـــطَّـــيـــفُ جـــمْـــرَ الـــسَّـــهَـــدْ

* * *

ألا هَـــلْ أُشـــاكـــيـــكَ يـــا (مُـــشْـــتـــري)؟
لـــيـــالـــيـــكَ بِـــغْـــنَ الـــنُّـــجـــومَ الـــرَّصَـــدْ!

---

(1) القَمَد: عصابة اغتيال كانت تختطف ضحيتها من الخلف بواسطة حبل أو حديدة معقوفة.

وكـــنـــتُ أديـــرُ الـــكَـــرَى عَـــنْ أبـــي
ويـــســـرِقْـــنَ مِـــنْ حُـــلْـــمِـــهِ مـــنْ هـــجَـــدْ

بـــــدأنَ يـــــورِّدْنَ إيـــــمـــــاءَهُـــــنَّ
يُـــغـــازِلْـــنَ فـــي الـــجـــذعِ شـــوقَ الـــمَـــلَـــدْ

زَقَـــتْ ـ نِـــصـــف خـــمـــســـيـــنَ ـ أُمـــســـيَّـــةٌ
ـ لِـــدي يـــا قـــبـــورُ، انـــكـــســـرْ يـــا زَرَدْ[1]

وعـــن (مـــعـــبـــدِ الـــقـــمـــرِ) اســـتـــخـــبـــرتْ
فـــقـــيـــلَ: أضـــاعَ الـــسَّـــنـــا مـــنْ عَـــبـــدْ

دَعَـــتْ لـــيـــلـــةٌ عـــامَ ســـبـــعـــيـــنَ: يـــا
(ســـهـــيـــلُ) أزوِ عَـــنِّـــي إلـــى أمْ غَـــدْ

وكـــيـــفَ؟ كـــمـــا أومـــأتْ جـــدَّتـــي
إلـــى (لـــيـــلـــةِ الـــفـــيـــلِ) قُـــولـــي: نـــفَـــدْ

وعـــن (لـــيـــلـــةِ الـــغـــارِ) أزْجَـــتْ أسَـــىً
إلـــى (لـــيـــلـــةِ الـــدَّارِ) قـــبـــلَ الأمَـــدْ

وقـــالَـــتْ: حَـــنَـــتْ قـــامـــتـــي (كـــربـــلاءُ)
فـــمـــي فـــي يـــدِ (الـــشَّـــمْـــرِ). نـــهـــجـــي شَـــرَدْ

يُـــدامـــي حـــســـامَ أبـــيـــهِ (الـــحـــســـيـــنُ)
ولا ذاكَ أغـــضـــى ولا ذا ارتـــعـــدْ!

عـــلـــيـــكَ تـــمـــرَّدْتُ يـــا (ذا الـــفـــقـــارِ)
وشَـــذَّ (ابـــنُ ســـعـــدٍ) عـــلـــى مـــا مـــرَدْ

---

(1) الزَّرَد: حلقات الحديد.

فـقـالَ (سُـهـيـلُ): أنـيـبـي (الـسُّـهـا)
ألـسـتَ الـيـمـانـي؟ عـلـيـهـا احـتـقَـدْ!

غـدٌ قـالَ: يـا أُمَّ أودى (سـهـيـلُ)
بـحُـبِّ (الـثُّـريَّـا) لـيـبـقـى الـكَـمَـدْ

سـأُخـبـرُهـا فـي رؤى الـنَّـومِ كـي
تـدوس الـفـحـيـحَ الـذي مـا رَقَـدْ

أخـافُ عـلـيـهـا مِـنَ الـلا تـخـافُ
فـتـغـفـو دمـاً فـوقَ دامٍ جَـمَـدْ

اتُـصـغـيـنَ إصـغـاءَ صـدري إلـيـهِ؟
ـ حـنـيـنُ الـقـلـوبِ إلـيـهـا أمَـدّ

لأنَّ مـسـافـةَ نـقـرِ الـجـوى
مِـنَ (الـصِّـيـنِ) تـنـقـرُ قـلـبَ (الـجَـنَـدْ)

* * *

عـشـايـاكِ فـوْجٌ كـصُـفـرِ الـرُّبـا
فـريـقٌ يُـعِـدُّ وثـانٍ يُـعَـدّ

تـلـي كـلُّ قـافـلـةٍ أربـعـاً
مـن الـرازقـيَّـاتِ ذاتِ الـغـيَـدْ

فـكُـونـي مـن الـبـدءِ مـعـدودةً
ـ وكـيـفَ، ومـا قـالَ غُـصْـنـي. نـهَـدْ؟

بِـدُرّاعـتـي طـفـلـةٌ حـامـلٌ
ـ فَـهُـزّي صَـبِـيّـاً بـقـلـبـي الْـتَـحَـدْ

ألَستِ يمانيَّةً أغشقَتْ
(ثقيفاً) غريباتِ (وادي ثَمَدْ)؟

خُذي يا ابنتي الآنَ ذاكَ الكتاب
ـ وماذا يُسمَّى؟ مطايا معدّ
وأينَ أراهُ؟ ـ يسارَ الدُّخولِ
عجوزاً على دفترَينِ استنَدْ
لِجيهِ مِنَ البدءِ حتى الختامِ
وسوفَ تَلمَّسينَ شتّى الأبَدْ
وتُعطينَ (لقمانَ) عكّازَهُ
ولا تفزعي إن دعا: قُمْ (لُبَدْ)
ستلقَيْنَ أخبارَهُ صفحةً
وفصلاً يقولُ: عليها انعقَدْ
خُذيهِ إليكِ بقلبِ الحنينِ
تَرَيْ كيفَ يصبو وقارُ الجلَدْ
سيشدو قميصُكِ: ماذا امتلأتُ
ويستسئلُ البيتُ: ماذا وجَدْ
كُلي كلَّ حرفٍ لكي تَقْرَئي
بـ(شملانَ) وجهَ الصَّديقِ الألَدّ
وتستقرئي عنهُ، من شَدَّهُ
وكيفَ يلصُّ الرؤوس المشَدّ

ومَــــنْ ذا دعـــا مـــدَداً بــــاســـمِــــهِ
وأمـــســـى وصـــيَّ امـــتـــدادِ الـــمـــدَدْ

وكـيـفَ وشَـى بـالـغـمـوضِ الـغـمـوضُ
بـــســـرِّيَّـــةِ الـــنَّـــارِ يُـــلْـــقـــى بـــدَدْ

وفـــي عُـــمـــرِ حَـــمْـــلٍ يـــلـــي ذاكَ، ذا
أمـا الـقـبـرُ كـالـبـيـتِ يـهـوى الـرَّغَـدْ؟

أفـاقَ الـضُّـحـى قـبـلَ سُـكـرِ الـدُّجـى
أقَـــبْـــلَ الأُبـــوَّةِ يـــأتـــي الـــولَـــدْ؟

لأنَّ الـــــذي يـــــقـــــعُ الآن مـــــا
لَـــهُ واقـــعٌ، وادَّعـــى وانـــتـــقَـــدْ

زمـانُ الـبـلـسْـتـيـكِ لا يَـقـتـدي
ولا يـهـتـدي. يـشـتـهـي لا يـودّ

ومـــاذا؟ أعـــيـــدي عـــلـــيـــكِ الـــسـؤالَ
وقـــولـــي مِـــنَ الـــيـــومِ عـــنـــكِ الأجَـدّ

*

ســمــعــتَ وصــيَّــتَــهــا يــا صــلاحُ؟
ـ لـبـعـضِ الـلَّـيـالـي نـبـوغُ الـرَّأدْ[1]

أجـــاب (رَجـــا): ألَـــفـــتْ أُمُّـــهـــا
كـتـابـاً بـفـتـحِ الـغـيـوبِ انـفـرَدْ

وقـالَـتْ: قُـبـيْـلَ ضـيـاءِ الـنُّـبـوِنِ
أضـأنـا مِـنَ الـقـلـبِ والـمُـعـتَـقَـدْ

(1) الرَّأد: ارتفاع الشمس ضحىً.

تَــلَــهَّــى (مُـجـلِّــي)، كـبـا كـاشـفٌ
بـــلا أَيِّ صـــوتٍ؟ لَـــغـــا وازدرَدْ
ـ أذي رَجَّـــةٌ؟ مـــدفـــعٌ مِـــنْ هُـــنـــاكَ
ـ هُـــنـــا مـــســـجــدٌ جــرَّبــوهُ سَــجَــدْ
بـــنـــاهُ مُـــرابٍ غـــدا صـــالــحـــاً
عـلـى موجـةِ (الـشَّـيـخِ عـبـد الـصَّـمَـدْ)!
نـوى (مـصـطـفـى) أن يَـرى. أوشَـكـوا
وقـيــلَ: اتَّـئِـدْ يـا عـقـيـدُ. اتَّـأدْ
لأنَّ هُـــنـــالِـــكَ سِـــرِّيَّـــةَ
سـكـوتُ الـطَّـواري غـمـوضُ الـحَـرَدْ
سَـلِ الـبـابَ مَـنْ؟ عـادَ (نـاجـي)، أجِـبْ
نـجـا (حـامـدٌ) واسـتـقـادوا (حَـمَـدْ)
مـــديـــرُ الإذاعـــةِ أُنـــبُـــوبَـــةٌ
بـسـيَّـارةِ الـضَّـابـطِ الـمُـعـتَـمَـدْ
و(طـٰه) أتـمَّ الـكـتـابَ الـجـديـدَ
ـ ومـا عـنـدَهُ؟ قـالَ لـمَّـا يَـكَـدْ
(أزالُ) صـــفـــيـــحـــيَّـــةٌ. لا لَـــقَـــدْ
بـهـا (لَـبَـدٌ).. لا لِـسـوفَ (سَـبـدْ)[1]

---

(1) لَبَدٌ: اسم المواشي الراتعة. السَّبد: النبت العميم من المراعي والزروع، ويقال إذا طالت مدة الجدب: لم يترك لبداً ولا سبداً.

أكــرَّ الألُــى أزبــدوا كــالــدُّخــانِ؟
ولا مــنْ يــرى زبــدا أو زُبَــذ!

تــشــظَّــوْا رصــاصــاً أمــاتَ الأزيــزَ
تــهــجِّــى عــنــاويــنَ مَــنْ وارتَــمــذ؟

ومَــرَّتْ ثــوانٍ كــإعــصــارِ (عــادٍ)
ثــوانٍ كــحــيَّــاتِ صــحــرا (أَسَــذ)

أقُــلــتَ الــذي مــا اســتــهــلَّ انــتــهــى
ـ إذا أخــبــروا قــامَ، قــيــل اتَّــســذ

ومــا أثــبــتَ (الآنــســي)؟ ـ لا نــفــى
لأنَّ الــنَّــشــيــدَ اســتــحــرَّ، ابــتــرَذ

وقــالَ الــنُّــواحُ: رمَــوْا، لَــفَّــنــي
رمــادُ الــصَّــدى ســائــلاً مــا انــخــمــذ

قُــبــيــلَ الــضُّــحــى أقــبــلــوا، اســتــقــبــلــوا
مَــن اســتــوفَــدوا؟ أيــنَ؟ مَــنْ ذا وَفَــذْ؟

تَــبــيَّــنْــتُــهُــمْ. كــمــنــوا لــلــحِــمــى
بــآبــاطِــهِ لــضَــقَ نــبــضِ الــجَــســذ

وســلُّــوهُ مِــنْ جِــلْــدِهِ. مــا دروْا
مَــنِ اســتــلــبــوا، مــا درى مــا افــتــقَــذ

لأنَّ الــفــراغَ انــتــقــى واحــداً
لــهُ نــصــفُ رأسٍ وعــشــرونَ يَــذ

أرْوَهُ الـرِّيـاحَ انـحـنَـتْ فـامـتـطـى
وأعـلـى حـشـاهُ، قـفـاهُ احـتَـشَـدْ

كـمـوْؤودةٍ زَفَّـتِ الـدُّودَ مِـنْ
قَـفـاهـا إلـى أنـفِـهـا مَـنْ وأَدْ

لأنَّ الـرُّؤوس تـهـاوَتْ رقـى
ومـا اجـتـازَ وَهْـدَتَـهُ إذْ صـعَـدْ

* * *

أتـعـرِفُ مَـنْ ذاكَ يـا (بـيـتَ بَـوْس)؟
كـمـا يَـعْـرِفُ الـذِّئـبُ راعـي (الـنَّـقَـدْ)

أَعَـنِّـي سـتـكـتـبُ أمـثـالَـهُ؟
فـلانٌ، فـلانٌ . . ويـنـسـى الـعَـدَدْ

تـقـيـسُ عـلـى (الـحَـمِـدي) مَـنْ يـرى
بـكـلِّ بـيـاضٍ نـقـاءَ الـبـرَدْ

فـكـم نَـشَـدَ الـنَّـهـجَ حـتـى ارتـمـى
إلـى قـدمـيْـهِ الـذي مـا نَـشَـدْ

وكـان (حَـضُـورٌ) إلـى (الـحـيـمـتـيـنِ)
يَـبِـثُّ حـكـايـاتِ (وادي ضَـمَـدْ)

و(عـلـوانُ مـهـدي) يُـصـفِّـي، يُـضـيـفُ
إلـى مـا سـيـسـردُ فـصـلاً سَـرَدْ

ونـهـراً يُـسـمَّـى (خـلـيـلَ الـوزيـرِ)
تَـلَـوَّى، ومـن ربـوتَـيْـنِ اطَّـرَدْ

وأمســى (شــبــامٌ) يُــريــبُ الــدُّجــى:
أ(طــابــا) دَنــتْ و(الــخــلــيــلُ) ابــتــعَــدْ؟

أمــا نَــفَــثَــتْ (صــفــدٌ) أهــلَــهــا
وفــي (الأحــمــدي) نَــبــحَــثُــهُــمْ (صــفَــدْ)؟

لــمــاذا تــشــمُّ الــرِّيــاحُ الــرِّيــاحَ
كــمــا قــيــلَ عــن زوجِ ذاتِ الــمَــســدْ؟

أمِــنْ بــعــدِ ســبــعِ نــوى (ســالِــمــيــنُ)
يُــنــافــي، ضُــحــى الــيــومِ نــهــجَ الــرَّشَــدْ؟

وعــمَّــا قــريــبٍ يــلــيــهِ (الأمــيــنُ)
لــهــا نــاظــمُ الــعِــقْــدِ عــمَّــا عــقَــدْ

هُــنــا شــمَّ (ســعــدٌ) (مُــرَيْــســاً) يُــصــيــخُ
إلــى هــاتــفٍ. أيُّ غــيــبٍ ورَدْ!

فــأصــغــى (مُــجَــلّــي) حــكــى (الــيــافــعــي):
هُــنــاكَ الــذي لا نَــراهُ اســتــعَــدّ

أغَــيْــرُ الــذي كــانَ أمــسِ انــثــنــى
عــلــيــنــا، انــتــضــانــا؛ وفــيــنــا انــغــمــدْ؟

فــنــادى (مُــرَيْــسٌ): ألا تــســمــعــون؟
أطَــلْــتُــمْ عــلــى الــسَّــفْــســفــاتِ الــلَّــدَدْ

(حُــمَــيْــدُ بــنُ مــنــصــورِ) يــتــلــو الــرُّبــا
أَقُــلْــتُــنَّ كــلُّ هــلالٍ هَــمَــدْ؟

فـــمـــا أنْـــضَـــجَـــتْ دورةٌ دورهـــا
كـــأهـــالـــي، أغـــصَّ الـــمـــدارَ الـــكـــبـــدْ

إلـــيـــهِ ســـتـــلـــقَـــوْنَ أفـــتـــى فـــتَـــىً
وأهـــدى إلـــى حـــرقِ أدْجَـــى الـــعُـــقَـــدْ

ضـــمـــيـــرُ الـــحِـــمـــى مُـــنـــتـــمـــى غـــرسِـــهِ
وفـــيـــهِ صـــبـــا والـــتـــحـــى واتَّـــقَـــدْ

لِـــمـــنْ فـــيـــهِ مـــا فـــيـــهِ، لا فـــرقَ. لا
تَـــقُـــلْ يـــا (حُـــمَـــيْـــدُ). ارتـــأى واجـــتـــهَـــدْ

وقُـــلْ قـــالَ: أيـــامَ حـــصـــدِ الـــجـــرادِ
لـــحـــومـــاً بـــدون عـــظـــامِ حـــصـــدْ

أتـــاكُـــمْ (حُـــمـــيْـــدُ): عِـــمـــوا ضَـــحـــوةً
تُـــعـــايُـــونَ أمـــراً، فـــمـــاذا اســـتَـــجَـــدّ؟

تـــلـــظّـــى (الـــمُـــعـــلاً) و(نـــجـــدٌ)، و(قُـــمْ)
ومَـــنْ قـــالَ ســـوقُ الـــتَّـــعـــادي كَـــســـدْ!

مـــتـــى ضـــرَّجَـــتْ لـــيـــلـــةٌ أُخـــتُـــهـــا؟
إذا وســـوس الـــوُدُّ ضَـــجَّ الـــحـــســـدْ

* *

أعـــامُ ثـــمـــانـــيـــنَ أطْـــغـــى الـــســـنـــيـــنَ؟
يُـــغـــطّـــي الـــجـــديـــدُ الـــقـــديـــمَ الأشَـــدّ

غَـــشَـــى قـــبـــلَ عـــامـــيْـــنِ (شـــمـــلانُ) مِـــنْ
(قُـــحـــازةَ) حـــتـــى جـــبـــيـــنِ (الـــعَـــنَـــدْ)؟

تـبـصُـرْ ثـمـانـيـنَ مـاذا يـلـفُّ
وعـيـداً وفـى، أمْ بـشـيـراً وعَـدْ؟

لـمـاذا تـعـاوى وأعـوى؟ مـتـى
وكـيـف ارتـمـى؟ لا يُـلاقـي مَـرَدّ؟

أيُـدعـى غـداً ثـورةً؟ رُبَّـمـا
أعـادَ (الـجـنـابـي) كـمـا قِـيـلَ: قَـدْ

* * *

تـهـاجـى بـمـكَّـةَ شِـعـرُ الـحـريـقِ
ومَـنْ ذا أجـاب؟ نـرى بـعـدَ غـدْ

وهـلْ لـيـلـةُ (الـحَـمِـدي) أنـشـدَتْ؟
جـلَـتْ قـصـدَهـا، أنـطَـقَـتْ مـا قـصَـدْ

إذا الـمـسـتَـبَـدُّ عـلـى الـمـسـتَـبِـدِّ
تَـرَقَّـى، بـعـدوى الـمـكـانِ اسـتَـبـدّ

فَـخَـطَّ (حُـمَـيْـدُ) عـلـى قـلـبـهِ
مـقـولَـتَـهـا وَحَـبـا وارتـفَـدْ

وقـالَ: بـرامـكـةُ الـيـومِ مـا
بـهـمْ (جَـعْـفَـرٌ)؟ لا أبٌ ذُو أيَـدْ

عِـيـالـي، هُـنـا يـمـنٌ واحـدٌ
وكـي لا يَـرى، مَـنْ يُـسـمَّـى اتَّـحَـدْ!

أقَـتْـلُ الـثَّـلاثِ الـقـيـاداتِ مِـنْ
غُـبـارِ الـسِّـنـيـنَ الـثـلاثِ انـجـرَدْ؟

لـذي الـبَـعـدِ قـبـلُ. . سَـلـوا مـا انـتـوى
ومَــنْ جَــمَّــرَ الــغـيــمَ؟ مَــنْ ذا رَعَــدْ؟

أتـالـي الـهُـدى صـاحَ: أيـن الـقَـصـاصُ؟
هـلِ (الأحـنـفُ) اقـتـادَ رَكْـبَ (الـقـوَدْ)[1]

ألــيــسَ الــذي بــالـجـبــاهِ الــثُّـلاثِ
سَــخــا بــيــدٍ، بــيــديْــنِ اسـتَــردّ؟

وقــالــوا: انــتـخــابٌ، فـمـنْ ذا عــلـى
مــواقِــفِــهِ أو هُــداهُ اعــتَــمــدْ؟

شـرَوْا خُـيَّـبـاً، أعـلـنـوا فـوزَهُـمْ
ومَــنْ فــازَ لــم يــنــتـخِـبْـهُ أحَــدْ

فــمــا غــابَ مَــنْ عــادَ حـتـى يـعـودَ
إلــيــهِ، وقــام الــذي مــا قَــعَــدْ

أقــبــرُ (حُـمَـيْـدٍ) كـتـابٌ يـجـودُ
عـلـى الـحـيِّ مـا لَـمْ يَـدُرْ فـي خَـلَـدْ؟

ومَــنْ ذا بــقــي غــيــرُ أذكــى الـقـبـورِ
يُــرى راكــداً. قــلــبــهُ مــا ركَــدْ

❁ ❁ ❁

(1) القَود: إيصال القاتل إلى أهل القتيل وهو بمثابة القصاص إلاّ إذا عفا عنه أصحاب الدم، وهو عرف تقبّله الشرع.

ليلة نَعِيٍّ
(محمد الحيمي)(*)

1992م

مَــنْ نَــعَــوْا؟ مَــنْ ذا أُبــاكــي أو أُدامــي؟
بِــتُّ وَحْــدي اثْــنَــيْــنِ: مَــرمِــيّــاً ورامــي

وقــتــيــلــيْــنِ كــلانــا. لا هُــنــا
خــفــقــةٌ تَــهــمِــسُ: يــا أشــبــاحُ نــامــي

أيُّــنــا الأقــتــلُ؟ هــل تَــشْــتَــفُّ مَــنْ
عــوَّدَ الأطــيــافَ تــدخــيــنَ حُــطــامــي؟

أيُّــنــا أعــرى؟ ولــو قــالَ الــكِــسـا:
خُــذْ؛ لــقــالَ: انــسـخ بــديــلاً عــنْ قَــوامــي

هــل تــرى لــيــلــتَــنــا عــيــديَّــةً؟
مــا لــهــا تــســمــيــةٌ؟ قــالــت حَــذامِ:

يــا ســلامَ الــيــومِ، مَــنْ حَــنَّــى الــثَّــرى؟
كِــســرةٌ أغْــرَتْ جِــمــامــي بِــحَــمــامــي

أصــبَــحَــتْ كــلُّ بــلادٍ مــســلــخــاً.
هــكــذا بــوَّابــةُ الــعــصــرِ الــسَّــلامــي

(*) رئيس مؤسسة الطيران اليمني

كالذي يطفو على (كرْواتيا)
أو على (الصُّومالِ) قد يُذْعى (شِبامي)

لا ترى هذا.. أرى الحربَ ابتدَتْ
وابتدا يطبُخُني سيفُ انقسامي

أيُّنا استغمضَ صوتَ النَّغي، قُلْ:
كان رُعبُ اللَّيلِ في السَّمْعيْنِ طامي

لا تعي أنتَ ولا أُصغي أنا
والثَّواني استنقعَتْ، أمْسَتْ هوامي

الإذاعاتُ تُنادي: سادتي
سيِّداتي.. قُلْ أضيفي يا غُلامي

أمُّ كلثومِ تُشاجينا.. أصِخْ
مذهبُ (الإخوان) فيهنَّ قَطامي[1]

أنتَ مِنْ أيٍّ؟ أنا أرجو غداً
أنتمي فيهِ إلى أيِّ الأنامِ

أيُّنا أأسى وأغْيا رنَّةً؟
يا شجا هذي المزاميرُ عِظامي

* * *

أيَّ (حيِّ) نَعَوْا؟ - هُمْ كَثْرةٌ
مَنْ يُقوِّينا على عَدِّ الأسامي؟

---

(1) قطامي: نسبة إلى الشاعر (القطامي) في العصر الأموي الذي نسب إليه هذا النص:
ما للنساء وللقراءةِ والكتابةِ والخَطابةْ
هذا لنا، ولهُنَّ مِنّا أن يَبِتنَ على جَنابَةْ

إنَّــهُ مَــنْ كـنـتُ أخـشـى فَـقْـدَهُ
والـتَّـعِـلاَّتُ تُـمـنِّـي وتُـظـامـي

هـل حـكـى الـمـذيـاعُ مِـنْ أخـبـارهِ
مـا يـفـي؟ هـل قـالَ مِـنْ أيِّ الـحِـيـامِ[1]؟

حـيـنـمـا قـال اسْـمَـهُ أومـا إلـى
فـيـلـقٍ. هـذا عـمّـيَ، يـبـدو تَـعـامـي

كـاد يـدعـوهُ: رئـيـسَ الـ. فـانـطـوى
صـوتُـهُ، أو غـابَ سـمـعـي فـي احـتـدامـي

آخـرُ الـعـهـدِ بـهِ أمـسِ الـضُّـحـى
كـان أعـدى أمـسِ مِـنْ ظَـبْـيِ الـمَـوامـي

أيـن تـقـريـرُ الأفـنـدي؟ قـلـتُ: خُـذْ
حـقِّـقـوا بـيـن الـمـضـيـفـاتِ و(سـامـي)

وإلـى (الـمـسـتـقـبـلِ) اسـتـفـتـحـتُـهـا
بـالـوفـيَّـاتِ، فـأحـسـسْـتُ انـهـدامـي

كـان يُـفـضـي، خِـلـتُـهُ قـالَ لَـهُـمْ:
احـجـزوا لـي. عـنـدكُـمْ يـحـلـو مُـقـامـي

* * *

كِـذْتُ أسـتـفـتـيـهِ، لـبَّـى هـاتـفـاً:
مـرحـبـاً، أهـلاً، نَـعَـمْ. كُـلَّ اهـتـمـامـي

(1) الحيام: مفردها الحيمة، والحيمة اسم شائع لمنطقتين إلى جانب دسكرة وقرية تحملان الاسم نفسه.

رُبَّما قالَ إلينا فمضى،
تاركاً للحيرةِ الشَّعثا زِمامي

* * *

إنَّهُ مَنْ قُلْتُ. هل جرَّبْتَ؟ ما
أصدقَ القلبَ، ومِنْ قلبي كلامي

كُلَّما قالَ (هُنا صنعا)، جرى
أو سيجري. يضحكُ العكسُ أمامي

اتَّصلْ، غيرُ عليم بيتُ مَنْ؟
تلكَ أخلاقُ (العراجيفِ) (الغطامي)

هل أتى مِنْ حيِّه جارٌ؟ وفي
أيِّ حيٍّ بيتُهُ؟ في كُلِّ نامي

قُلْ: لماذا اليومَ أودى، ونجا
بين موتيْن مُرابٍ وانهزامي

ما اسمُ رمزِ السِّرِّ؟ - (حرفُ الحا) أَفِقْ
كنتُ قبلَ الآنَ ألتاث حِزامي[1]

* * *

قُرْبَنا تلٌّ يُوَشِّي خَبَراً:
مرَّ سارٍ، قالَ شيئاً عن سَنامي

أيَّ شيءٍ قال؟ أصبى قامتي
فاستحالَتْ أعيُناً خُضراً مَسامي

(1) ألتاث حزامي: أشدّه بسرعة بلا تأنق، ويقال كالحزام للعمامة: التاث عِمّته مسرعاً.

لاح طِــفــلــي يــومَ كــنــتُ امــرأةً
وربــيــعــي إذ أنــا إحــدى الأكــامِ

يــســبــقُ الــدَّرب، وكــي أتْــبــعَــهُ
كــالــنَّــشــايــا؛ أســبــقُ الآنَ اقــتــحــامــي

هــل أُحــيِّــي عــنــكَ ذاكَ الــمُــنــحــنــى؟
ـ عِــمْ صــبــاحــاً. مَــنْ ســقــى عــشــبَ هــيــامــي

مَــنْ يُــغــطِّــي شَــفَــقَ الإصــبــاحِ عــن
أعــيــنِ الــغــربــانِ، كــي يــخــفــى الــتــزامــي؟

* * *

كــان تــفــســيــرُ هــوى الــشَّــعــبِ، يُــرى
حــيــثُ يُــومــي عِــنَــبــيّــاً أو غَــمــامــي

صــادراً عــنــهُ، ومــنــهُ رامــيــاً
بــيــديْــهِ رأسَــهُ أقــصــى الــمَــرامــي

صــاعِــداً عــنْ أمــرِهِ هــامَ الــذُّرا
مُــتْــهِــمــاً عــنــهُ، كــمــوَّالِ (تــهــامــي)

حــامــلاً مِــنْ قــلــبِــهِ مــحــبــرةً
مــا جــرى فــي بــالِــهــا مــيــمــي ولامــي

مِــنْ هُــنــا يــســري ويــغــدو هــاهُــنــا
والــمــنــايــا حُــوَّمٌ، جــوعــى، دوامــي

والــعــصــا والــذَّبــحُ لــيــلاً وضُــحَــىً
ســيِّــدُ الأحــكــامِ والــشَّــرطُ الــزُّعــامــي

يُصبِحُ القبرُ ملاذاً عندما
ترتدي فوضى الفلا شكلاً (نظامي)

* * *

مَنْ دعا (الحيمي) إلى أن ينطفي
والدُّجى كالقحطِ، محميٌّ وحامي؟
يا صديقَ النَّاسِ قلباً ويداً
مأتمُ الأنقى هوَىً عرسٌ حرامي
فلماذا مُتَّ؟ كم أخرقني
بارقٌ أرْضَعهُ الشَّوقَ غرامي؟
أيُّنا أرثى؟ ومَنْ يسألُنا
عن جمالِ الحربِ في السِّلْم الدّرامي؟
(عن مُديرِ الجامِ، هل جامَ لنا؟
فتؤاوي أنْجُمَ السِّتِّينَ جامي[1])
عن (أبي ذرٍّ) أتُفشي؟ ندَّعي
قُلْ: (سنوسيٌّ). أنا أدعوهُ (يامي)

* * *

هل سها (العيُّوقُ)، أو غامَ السُّرى؟
قال (سعدُ الذّابحِ): الثورُ أمامي

---

(1) مدير الجام: سمّى التجانس البديعي في هذه الكلمة: (ما ضرّ مدير الجام): أي الكأس المليئة، (لو جام لنا)، أي أدار الكأس المليئة، (أو جاملنا) من المجاملة لأن التعبير يحتمل المعنيين المجاملة وإدارة الكأس.

ما ترى يا (ديكَ) بيتِ (المُهتدي)؟
هل غفا الحُرَّاسُ يا كلبَ (المَشامي)؟

* * *

ساعةً أُخرى، ونغدو مِنْ دُجَىً
ما لَهُ بَعْدٌ إلى صُبحِ ظَلامي

نسبِقُ النَّعشَ إلى غرفتهِ
نَسألُ الأخبارَ تمزيقَ اللِّثامِ

غائصاً أنتَ بفحوى لمحِها
وأنا شاكٍ إليها حَمْلَ هامي

أينَ بيتُ (العُزِّي الحيمي)؟ رنا
ذلكَ المُصْغي كعرَّافِ (يمامي)

ماتَ هذا الأمس، أورى للحَشا
مَخْرَمَ ابنِ السبعِ والكهلِ العصامي

بيتُهُ ليس شهيراً كاسمِهِ
قلبُهُ قصرانِ ورديٌّ خُزامي

* * *

رُبْعُ قرنٍ صحبةٌ، ما زُرْتما
دارَهُ، لا زارَ.. هذا بحثُ عامِ

هل أقولُ ارتابَ؟ لا أعرِفُهُ
فعلى أيِّكُما أُذْكي ملامي

ذلكَ استوفى مداهُ (نَصَفاً)
وأنا الشَّيخُ هنا، بعدَ تمامي[1]

بيتُهُ خلفَ سَبا، قُدَّامَهُ
شبهُ نادٍ، خلفَهُ بيتُ (النّعامي)

كاد يلقانا اسْمُهُ المُوشى على
مدخلِ المَبنى، كتوقيعِ (هشامي)

تلكَ سيّارتُهُ، قالَتْ: لمن
آلَ مُلكي.. ليسَ لي غيرُ انحطامي

هل تُرى ذا بيتُهُ؟ خَمَّنتُهُ
بَدَويّاً، يكتسي جلداً رُخامي

حجمُهُ ما امتدَّ شِبراً.. هل أبى
أن يُجاري أيَّ جارٍ أو يُسامي؟

* * *

ما الذي يا بيتُ تَزوي بعدَهُ؟
ـ بعدَهُ جفَّتْ دموعي وابتسامي

خِلتُهُ قالَ: دخلتُ المُبتدا
باكياً، والآنَ مَبْكيّاً خِتامي

⊗⊗⊗

(1) نصفاً: النصف الذي بلغ منتصف العمر، وعلى هذا قول الشاعر الأول:
وإن أتوكَ وقالوا إنها نَصَفٌ
فإنَّ أحسنَ نصفيها الذي ذهبا

قافلة النقاء

1993م

أُمُّ المُرجَّى وهذي الصُّحبةُ الفُطَنا
غمامةٌ زوَّجتْ فيها الدَّم اللَّبنا

ناريَّةٌ أينعتْ، ثُمَّ انثنتْ زهَراً
مائيَّةٌ لا تُحابي جَوفَ أيٍّ إنا

تُلقي الشَّوادي على الوادي ملاحِنَها
كما تُناغي صبايا الضَّحْوةِ الغُصُنا

يُحِسُّ أخبارَها ذوقُ الرِّياح، كَما
يذوقُ شيخُ الطَّريقِ الوَجْدَ والحَزَنا

* *

تألَّفتْ مِنْ رؤى قَبْلَ الدِّيارِ، ومِنْ
شوقِ الدِّيارِ إلى مَنْ فاتَ أو ظَعَنا

(كانونُ) (أيلولُ) فيها شوقُ أجنحةٍ
فيها أساميهِمو تعلو ضميرَ أنا

لأنَّ يخضورَها من نجمتيْنِ، رأى
عرَّافةَ قَرَأْتهُ وانحنتْ فحنى

دلَّتْهُ رَعديَّةُ النَّهدينِ أوديةً
تزكو وتربو، ويستغشي الذي كَمنا

منهم بِهم صعدَتْ، قالوا كما ارتحلَتْ
(مُنى) إلى (شيْمرَا) مِن تَحتِ جلدِ (مُنى)

قال القياسُ: عيونُ اليومِ بعضُ حصىً
فَمنَ أجالَ حصاةً قيلَ عنهُ: رَنا

يقيسُ بالصُّحبةِ الأنقى نقيض نقاً
أما اجتلى سرَّهُمْ؟ هلْ ميَّزَ العَلَنا؟

مَنْ ذا لَهُ أعينٌ أُخرى ترى شَفَقاً
مِنْ فجرِ ظاهرِهِمْ يوحي بما اختزنا

أعطَوْا جنينَ الخُضيْرى قبلَ مولدِهِ
وَصْف المُرجّى. فَمنْ يُدعى إذا خُتِنا؟

تَوامضوا فوقَ أحزابِ الإمامِ، رَقَوْا
من تحتِ عشرينَ سِجناً تطبخُ السُّجَنا

الكلُّ للكُلِّ فيهمْ قبلَ كَمْ؟ ومتى؟
وإن بدَوْا نصف أهلِ الكهفِ أو قُرَنا

أفضى (هُنا) لـ(سنا) مِنْ أمرِ والدِها
ـ كانَ (الأنوقُ) يخافُ (الرُّخَّ) إن سكَنا

وقالَ: بيضَتُهُ ذاتُ اللمى انكسرَتْ
فأشرقَتْ مَنْ ستُدعى بعدُ (أُمَّ سنا)

لو خالَ هذا أبو زوجي لَصاحَ بهِ
أضهَرْتَ مِن بيضةٍ. أوضحتَ ما بَطَنا

أصـبـحـتَ أوَّل (ديـكٍ) يـكـتـسـي وَلَـدي
(أنـا جـنـيـتُ عـلـيـهِ أمْ عـلـيَّ جـنـى)؟

يـا (سـنـدبـادُ) مـتـى كـان (الأنُـوقُ) أبـاً؟
ـ وكـان أمّـاً وغـلاَّبـاً سـبـى وزَنَـى

قـالَ الـثُّـنـى: سـكَـنَ (الـيـونـانُ) واحـدةً
مِـنْ بـيـضـهِ فـدَنَـتْ مِـنْـهُ الـسَّـمـا ودَنـا

أُمُّ الـجـنـيـنِ استـشـارتْ: مَـنْ رآهُ؟ ومَـنْ
سمَّـاهُ قـبـلَ الأسـامـي وانـتـقـى الـخـشِـنـا؟!

* *

(هـنـا) ادَّعـى: جـدّتـي قـبـل (الأنُـوقِ) جـرتْ
بـل كـانـتِ الـبـحـرَ والـمـلاَّحَ والـسُّـفُـنـا

قـالـتْ لـ(لُـقـمـانَ): خُـذْ مِنْ جانِـحـي (لُـبَـداً)
ويـا (كُـلَـيـبُ) إلـى كَـمْ تـرتـعُ الـدِّمـنـا؟

أُمُّ الـجَـنـيـنِ استـعـادت صـوتَ (عَـبْـهـلـةٍ)
كـمـا رواهُ (سُـهـيـلٌ) عـن رُعـاةِ (بـنـا)

وكـان عـمُّ (سُـهـيـلٍ) بـالـفـؤادِ يـرى
ريـحَ الـعـشـيَّـةِ روحـاً تـجـتـدي بَـدَنـا

عـزا إلـى أُمِّ جَـدِّي: أنَّـهـا عَـشِـقَـتْ
(رَيَّـا) وقـالـتْ: أنـا ويْـحـي عَـشِـقْـتُ أنـا

وأنَّـهـا صـافَـحَـتْ فـي بـابِ (أنـقـرةٍ)
(سـيـفَ بـن ذي يَـزنٍ) مُـسـتـرجـعـاً (يـزنـا)

يا (سيفُ) مَنْ تبتغي؟ ـ نصراً خُلِقتُ لهُ
وقبلَ أن أشتريهِ، أشتري الثَّمَنا

لي في (سَمَرْقَنْدَ) ركنٌ لو ألوذُ بهِ
أحالَ كُلَّ شُجاعٍ أجبنَ الجُبَنا

وكادَ يَنْشقُّ مِنْ إغضائِها، فرأى
في خدِّها دمعةً حيرى عَنَتْ وعَنا

وأغسقَتْ تقتلُ المجهولَ مَعْرِفةً
قُبيلَ حَمْلِ الثَّرى المحرابَ والوثَنا

كانتْ تقولُ لأُمّي: حَقِّقي وصِفي
مَنْ يجهلُ القُبحَ لا يَسْتحسنُ الحَسَنا

لذاكَ مدَّتْ مِنَ المجهولَ نصفَ يدِ
إلى ضفيرةِ (صنعا) علَّقَتْ (عَدَنا)

قانتْ ثُنَىً وفُرادى طوَّلَتْ شبحاً
مِنَ الحصى ذا أسامٍ جَمَّةٍ وكُنى

عهدُ الموازينِ ما استدعى لهُ خَلَفاً
أوْ لَمْ تَقُمْ قامةٌ، تدري مَنِ اتَّزنا

* * *

هلْ ذلكَ الجذعُ (بِشْرٌ)؟ ـ كانَ والدُهُ
يحسو ويحسو، إلى أنْ يلبسَ الوَسَنا

يرتادُ ديوانَ (يَشْعَى) لا يفارِقُهُ
إلاَّ وقد أغلقَ الخمَّارُ ما ارتهنا

هـنـاكَ يُـحـصـي حـصـى هـذا الـمـمـرّ، وذا
مُـــردُداً: أُمُّ دفـــرٍ بـــنـــتُ أُمِّ خـــنـــا

ويـا (أمـانـةَ صـنـعـا) مَـن يُـؤمِّـنُـنـي؟
قـالَـتْ: مـتـى عـهـدُ هـذي الـدُّورِ بـالأُمَـنـا؟

هـلْ هـذه دارُ (بِـشـرٍ) يـا هُـنـا؟ سـنـةٌ
وحـالُ عـصـفـورةٍ كَـسْـلـى كـبـنـتِ غِـنـا

هـاتـيـكَ أو هـذهِ؟ تـلـك الـتـي لـبِـسَـتْ
رُمَّـانـةً، شـمَّ قـلـبـي ذلـكَ الـفَـنـنـا

* * *

قـالَ (الـثُّـنـى): آيـةٌ أمُّ الـجـنـيـنِ تُـرى
فـريـدةً، وَهْـيَ إذ تـمـشـي تـلُـوحُ ثُـنـى

هـلْ آنَ أنْ تَـضَـعـيـهِ؟ مَـنْ أضـافَ ثـرَىً
يـلـقـى الـولـيـدُ بِـه مَـهـداً ومُـحـتَـضَـنـا؟

يـا بـنـتَ مَـنْ ضَـيَّـعـتْ فـي الـقـفـرِ واحـدَهـا
وأرضَـعَـتْ طـفـلَ أُخـرى فـامـتـطـى الـزَّمَـنـا

هـذا الـجـنـيـنُ الـذي تـطـويـنَ شـابَ ومـا
نـاغـى صِـبـاهُ، وشِـبْـنـا فـي انـتـظـارِ هَـنـا

أُريـدَ إنـضـاجُـهُ عـامـيْـنِ، أربـعـةً
ألا تـرونَ الـشَّـظـايـا تَـعْـصِـرُ الـلَّـدِنـا؟

لـكُـلِّ نُـضْـجٍ أوانٌ، إنْ تـجـاوزَهُ
فـيـهِ انـطـوى مـيِّـتـاً واسـتـخـلـفَ الـعَـفَـنـا

قال الجنينُ: اقبريني فيكِ وٱنتطقي
كي لا يُفيقَ الذي في نصْفِهِ اندفنا

* * *

السَّاعةُ الآنَ كَمْ؟ مليونُ جُمجمةٍ
كالأنجُمِ اقْتَضَموها هاهُنا وهُنا

مَنْ ذا دنا؟ وَرْدةٌ في كَفِّ أُمنيةٍ
تضنى إليها، إلينا تستزيدُ ضَنى

يبدو وصلْنا، أصيخوا. مَنْ يُهامِسُنا
لا تنطقوا قبل أن تستنطقوا الشَّجنا

قُلتم كثيراً، وما قُلتُمْ. أُكاشِفكُمْ:
لا يعرفُ اللّٰهَ مَنْ لم يعشقِ الوطَنا

❁❁❁

محشرُ المُقَتضين

صيف 1992م

مـاتـوا كـمـا قـيـلَ أزمـانـاً فـأزمـانـا
مَـنْ ذا حـدا يـا لـيـالـي ركـبَ (غَـمْـدانـا)؟

وقـالَ: شـعَّ (مَـعـيـنٌ) وانـجـلـى (سـبـأٌ)
(ريـدانُ) ألـقـى عـلـيـهِ الـفـجـرُ أردانـا

أطـلَّ يـعـتَـمُ قـرنـاً، نـصـفُـهُ جَـمـلٌ
ونـصـفُـهُ مـرتـعٌ مـا راعَ غِـزْلانـا

يـصـبـو ويُـصـبـي إلـيـهِ كُـلَّ خُـرْعُـبـةٍ
يُـقـيـمُ بـيـن الـهـوى والـحُـسـنِ مـيـزانـا[1]

ويـمـنـحُ الـعـشـقَ قـلـبـاً ثـالـثـاً لـيَـفـي
إنْ ذا عـلـى ذاكَ وارى الـسِّـرَّ أو هـانـا

* * *

قـال: امـتـطـى (ذو رُعَـيْـنٍ) عـاصـفـاً لـبِـقـاً
وطـارَ يُـدنـي مـن (الـسَّـعْـدَيـن) (كـيـوانـا)[2]

وعـادَ يَـغـزلُ وعـدَ الـرَّغْـدِ أوديـةً
كـمـا يُـدلّـي رمـادُ الـبـرقِ مَـزْجـانـا

---

(1) الخرعبة: البيضاء الممتلئة الكفَل.

(2) السَّعْدين: سعد الذّابح وسعد السعود، وهُما نجمان أعلى منهما (كيوان) وباقتران الثلاثة تغزر الأمطار.

وعنهُ يُحكى بأنَّ (الدَّلْوَ) طالِعُهُ
فيُلْبِسُ الدَّارَ يومَ السَّبتِ قُمْصانا

وقال (غمدانُ): مِنْ أقصى القرونِ أتى
تَهدي مسارجُهُ (بُزما) و(وَهْرانا)

يَذوي إذا جفَّ بستانٌ ومحبرةٌ
يبكي على غُصنِ بانٍ، فارقَ البانا

وإنْ رأى كَرْمةً شاكَتْهُ ظامئةً
أُحِسُّهُ، لو يعبُّ النيلَ ظمآنا

يخافُ، تَربو على المَرْعى زرائبُهُ
وما رَبَتْ أُمَّهاتُ السُّحْبِ أمْزانا

إيهِ، وماذا؟ سجا الرَّاوي وهاج، كما
تناوحَتْ طلقةٌ في سمعِ سكْرانا

أبلى الجدودُ البِلى يا أنتَ؟ ـ بل رَجعوا
فوضى، كما تلمحُ الأغنامُ ذُؤْبانا

من غَيَّر العالَمَ الثاني؟ ـ أتاحَ لَهُمْ
إجازةً يلتقون الصُّبحَ صبيانا

وقيلَ كانوا هنا يرمونَ ملبسهُمْ
طيفاً، ويغشَوْنَ غاباً كان شيطانا

وقيلَ كانوا بني بيتٍ، تجاذَبَهُ
أهلانِ؛ فانشَقَّ أعداءً وإخوانا

قالَ ابْنُ جعدانَ. حامَتْ فوق أَقْبُرِهِمْ
غمائمٌ كالقَطا أمطرْنَ ألبانا

فأسرعوا ينظرون الأرض، كيف زَهَتْ؟
كيف ارتقى حنظلُ الأغوالِ رُمَّانا؟

وقيلَ: يبدونَ أطفالاً بدونِ أبٍ
وقيلَ: يُدعَوْنَ مِنْ أحفادِ (غَسَّانا)

❊

مَرّوا فما قالَ (سُوق الملحِ) مَنْ عبروا
لا (الشَّيخُ عثمانُ) يومَ المحشرِ ازدانا

فغرَّدوا هُمْ لَهُمْ، أمسوْا فماً وصدَىً
ورنَّةً هيَّجتْ تسعينَ رنَّانا

فكُلُّ ثانيةٍ زغرودتانِ، يلي
شدوٌ، كما هازَجَ الفنَّانُ فنَّانا

فصاحَ كلُّ طريقٍ: مَنْ يُخَبِّئُني
من الرُّفاتِ اللَّواتي عُذْنَ أبدانا

«لو كنتُ من مازنٍ» لم ينتعِلْ وجَعي
بنو المقابرِ من أجدادِ (عَطَّانا)

❊

اسكُتْ، لكُلِّ فتىً مِنْ خطوهِ طُرُقٌ
ألا تراهُمْ يروْنَ البحرَ فِنْجانا؟

كانوا جدودَ جدودٍ، أصبحوا وطناً
كانوا لَهُ منذُ كان الحُبُّ أوطانا

جاؤوا البيوتَ التي منها أتَوْا ومضَوْا
شوقاً إليها، وعادوا اليومَ تَخنانا

يستنسبونَ بلاداً لا يَبشُّ بِها
وجهٌ، ولا أيُّ جذرٍ قامَ جَذلانا

لأنَّ بيتَهُمُ المعهودَ؛ مُذْ لَبِسوا
عنهُ البِلى؛ باتَ أبياتاً وجيرانا

يا (حِمْيَريُّونَ) يَسْتغشونَ (كاظمةً)
يا (مَكرَمِيَّاتُ) يَسْتغشينَ (ضَورانا)

لأيِّ موتينِ جِئنا. ذاك أطلقَنا
مِنَّا، وهذا إلينا انشدَّ سجَّانا

مِنْ بيتِ موْتى أتينا فارهينَ هنا
نأتي من السِّجْنِ مشلولينَ عُميانا

* *

قال ابنُ جعدانَ: صارت جرنَ (مقوَلةٍ)
(صنعا)، فأينَ يرى (شمسانُ) شمسانا؟

فما يُلاقي (مَعيناً) مِنْ بنيهِ فتَىً
ولا يُلَبِّي بنو (كهلانَ) كهلانا

يُنابذُ الأهلُ أهليهِمْ بموطِنِهمْ
هل أصبحَ (اليَمَنُ) الميمونُ أيمانا؟

تأبى (السَّعيدةُ) يا صنعاءُ أن ترِثي
(بَكراً)، فتُدعى (تعزُّ) العِزِّ (ذُبيانا)

* * *

يـا ذلـكَ الـرَّبـعُ كـنـتَ الأمـس مَـنـبـتَـنـا
نـهـوى، وأنـتَ بـمـا نـخـتـارُ أعـنـانـا

أخـشـابُ سـقـفِـكَ مِـنْ أغـراسِـنـا، أوَمـا
يـذْكُـرنَ إذْ كُـنَّ أعـشـاشـاً وأفـنـانـا؟

أيـامَ كُـنَّ يـلاقـيـنَ الأحـنَّ هـوَىً
دُعْـجـاً يُـرقِّـصْـنَ أردافـاً وأحـضـانـا

أمـا تـنـثُّ الـزَّوايـا عَـنْ مَـسـامِـرِنـا
رؤىً يـحُـلْـنَ قـنـاديـلاً ودِيـوانـا؟

مـؤقَّـتـاً عـنـكَ غِـبـنـا ذارئـيـن صِـبـاً
هـل خِـلْـتَـهُ جـاوزَ الإيـنـاعَ أو دانـى؟

* *

هـذي الـسُّـهـولُ، أمـا نَـمَّـتْ سـنـابِـلُـهـا
عَـنَّـا، وقَـصَّـتْ أسـاطـيـراً وألـحـانـا؟

هـنـا رعَـتْ (زَبْـنَـةٌ) مـلـيـونَ ثـاغـيـةٍ
ومـا نـرى إبِـلاً تَـرْعـى ولا ضـانـا

هـذا الـحِـمـى تـؤنـسُ الأحـزانَ وحـشَـتُـهُ
وكـالـوَرى تُـنْـجِـبُ الأحـزانُ أحـزانـا

يـا أهْـلَـنـا نَـجْـتـديـكـمْ نـصـفَ ثـروتِـنـا
نُـدْنـي بـهـا (مـالـكـاً) مِـنَّـا و(رِضـوانـا)

هـاتـوا أسـانـيـدَكـم، أنـسـاب أوَّلِـكُـمْ
إلـيـكـمـو نـحـنُ أنـسـابـاً وبُـرهـانـا

تـدرونَ مَـنْ ورثـوا (سَـغْـداً) و(حِـلْـزَةَ)
و(يَـتْـعُـمُـرْ) و(شُـرخـبِـيْـلَ بـنَ عـفّـانـا)

هـذي أسـامـي عـلاجـاتٍ مُـعـلَّـبـةٍ
متـى وصـلـتـمْ هُـنـا مِـنْ سـوقِ (تَـيْـوانـا)؟

هـاتـوا الـجـوازاتِ، جُـزْنَ الـواديـيْـنِ إلـى
(هـمـدانَ زيـدٍ)، إلـى (هـمـدانَ هـمـدانـا)

فـقـالَ (عَـمْـرو بـنُ مَـعْـدٍ): هـلْ لـنـا لـغـةٌ
أُخـرى تُـزلـزِلُ فـي (عَـيْـبـانَ) عـيـبـانـا؟

مَـنْ ذا بـأشـبـاحِـنـا الـعَـزْلـى رمـى وطـنـاً
يـحـتَـثُّ كـلُّ ذراعٍ فـيـهِ بُـركـانـا؟

اسْـتَـنَّ مـحـشَـرَنـا، يـا غِـرُّ (صـعـصـةٌ)
كـي نـقـتـضـي الـدَّيْـنَ أو نُـولـيـهِ ديَّـانـا

مـا قـالَ (ذو الـراسِ) نـغـزو مَـنْ نَـمـرُّ بـهِ
لـكِـنْ نُـغـازي ألِـدّاءَ وأقـرانـا

لـو شـمَّ عـشـرونَ قـرنـاً بـدءَ نُـضـجِـكُـمُ
لَـمـا ثـنـاكُـم إلـى الأرحـامِ فِـتْـيـانـا

لـو أمُّـكـم أكَـلَـتْـكُـمْ يـومَ مـولـدِكُـمْ
وأبـقـتِ (الـدِّيـكَ) كـان الـيـومَ سُـلـطـانـا

قـالَ ابـن جـعـدانَ لـوأرْجَـعْـتُ عَـهْـدَ أبـي
لـضـاعَ (جـعـدانُ) فـيـهِ وابـنُ جـعـدانـا

يـا مَـنْ تُـنـادون، مـا يُـبـكـى عـلـيـهِ مـضَـى
مـا سـوفَ نَـبـكـي عـلـيـهِ قـبـلُ يـلـقـانـا

مـنْ يـا رواعـي رأتْ مِـنـكُـنَّ (عـبـهـلـةً)؟
أمِـنْ هُـنـا مـرَّ (صـوحـانُ بـن كَـيـسـانـا)؟

أمـا هـنـاكَ مـمـرٌّ؟ هـل أجـاب؟ هُـنـا
لاقـى الـسـؤالُ مـكـانـاً، قُـلْ وإمـكـانـا

لـعـلَّـكُـمْ بـعـضُ أهـلِ الـكـهـفِ. قـيـلَ كـذا
وقـيـلَ إنَّـا بـنـو أُخـدودِ (نَـجـرانـا)

وكـيـف مـا اسـتـرخـتِ الألـواحُ خـلـفـكـمُ
ولا ضـربْـتُـمْ عـلـى الأقـدامِ أذقـانـا؟

لأنـنـا مـا جَـبـلْـنـا حـجـم قـامـتِـنـا
ولا اقـتـرخـنـا عـلـى الـلَّـوَّانِ ألـوانـا

لِـذا أشـبـتُـمْ قـذالَ الـمـوتِ كـي تَـثِـبـوا:
كُـنّـا رمـادَ ربـيـعٍ عـادَ نـيـرانـا

*

راعـتْـكَ، يـا (عـمـرو) مِـنْ (قـسِّ بـن سـاعـدةٍ)
أهـدى وأخـطـبُ مِـنْ عـشـريـنَ (سـحـبـانـا)

فـقـالَ (هـمـدانُ): مـهـلاً، لا الـرِّجـالُ كـمـا
كـانـوا رجـالاً ولا الـنِّـسـوانُ نِـسـوانـا!

أعـادنـي لاعِـبـاً صـبّـاً صِـبـا امـرأةٍ
تـبـكـي. أمـا خُـلِـقَ الإنـسـانُ حـنّـانـا؟

ما اسمُ (الصَّمَخْمَحِ) هذي؟ هلْ أقولُ (شذا)؟
و يا (خُدَلَّجُ) مَنْ تُدعَيْنَ؟ (أشجانا)[1]؟
(شذا) و(أشجانُ) معنَىً صارَ تسميةً
في سِنِّ (أشجانَ) ماتَتْ بنتُ (زبَّانا)
وغُصَّ، فابْتَدرَ الحادي ليقلَعَهُ
مِنْ دمعِهِ؛ فبكى صمتاً وكِتْمانا
وغمغمتْ مُقلتاها: آهِ يا أَبَتي
مَنْ ذا يُلاقي على الأشواقِ أعوانا؟
أينَ الثلاثُ اللَّواتي كُنَّ سِرْبَكُما؟
- هَربْنَ خَيَّلْنَكُمْ (سعداً) و(سلمانا)
يبدو تزوَّجْنَ، طَلَّقْنَ الثلاثَ معاً
خليفةً وامْبراطوراً وخاقانا
سبحانَ مَنْ أفقر الأغنى، وعلَّقنا
بينَ ابْنِ (حادي الفيافي)، وابن (كنعانا)

*

مَنْ ذا تُريدونَ؟ نرتادُ المُعادَ على
(بناتِ نعشٍ) إلى (حيِّ بن يقظانا)
يُجيبُ عمَّا سألناهُ، ونسألُهُ
أكُلُّ منفَى يحيلُ الشكَّ إيمانا؟

---

(١) الصمحمح: المرأة القوية الفائقة الحسن، والخدلّج: الممتلئة الساقين

هل يذكر الظَّبياتِ المُرضعاتِ؟ وهَلْ
مِنْ مُرضعاتِ صِباهُ أمُّ ظبيانا؟

هل أصلُ تسميةِ الماضينَ معرفةٌ؟
أقالَ (ساسانُ) مَن سمَّاهُ ساسانا؟

وأينَ شاهدُ (دِزمانَ)؟ ارتبى وزكا
لكي ترى مَنْ أبوها (أُمُّ دِزمانا)

قالتْ (شذا): لو (أبو درمان) كنيتُها
قالوا: لَسنَّ (عُمانٌ) صرفَ (عمَّانا)[1]

فذاكَ أخوطُ للإعرابِ قاعدةً
وقيلَ أنجى لأقصانا وأدنانا

قالتْ: وهل عصمَ الحاءانِ أيَّ دمٍ
مِنْ حُبِّ (عشتارَ) حتى حربِ (لُبنانا)

* * *

(أشجانُ) قالتْ: هُنا حُطُّوا حمائِلَكُمْ
يُنسي الأصيلَ دُجاهُ صُبحُ لُقيانا

إليكُمْ ما احتلبْنا اليومَ وانتخِبوا
عشاءَكم سبعةً. سخْلاً وخرفانا

(شذا) متى روَّحَ الرُّعيانُ؟ - لا أحدٌ
نادى الرَّواحَ، لأنَّ الرَّكْب ألهانا

---

(1) صرف عمَّانا: المنصرف من الأسماء نحوياً الذي يضم ويفتح ويكسر حسب العوامل، والذي لا ينصرف يجر كما ينصب بالفتحة مثل: من مكّةَ.

هذي صديقاتُنا الأغنامُ جِئنَ على
شميمِنا دونَ راعٍ.. هُنَّ أرعانا

يُردْنَ يَخْلُطْنَ كِلتيْنا كوالدةٍ
وكلُّ واحدةٍ أحنى كإحدانا

نادي الرَّواحَ وسُوقيهنَّ راوحةً
وأنبري أجمعُ الأشتاتَ قُطعانا

قال (ابنُ بَدًّا) لماذا جادتا؟ ـ عجباً
لو زادتانا إلى الخِرْفانِ أسنانا

كم ترعيان؟ أُلوفاً تسعةً عدداً
هذا المزيدُ الذي يحتاجُ نُقصانا

فقالَ (غمدانُ): مَن يَغْنَى يكِدُّ إلى
أغنى وأكثرَ أغناماً ورُعيانا

* * *

(شذا): اقترِبنَ.. لماذا أنتِ خائفةٌ
أُحِسُّهُمْ أخبروا أُمِّي و(حسَّانا)

عَمَّاتُنا يتَّخِذنَ الزَّوجَ من (كَسَلا)
ويتَّخِذْنَ مِن (الأهوازِ) خِلاَّنا

هل خِلتِ أضيافَنا الأشياخَ ذا خطرٍ
مِنَّا ومَنْ ذكَّرَ الأطيافَ أنسانا؟

مَنْ ذا دنا؟ لحظةً. هل شِمْتُما نفراً
يمشونَ شِيباً وأنصافاً وشُبَّانا؟

نَعَمْ، رأينا دماً غطَّتهُ شاحنةٌ
وما رأينا لشيءٍ غيرها شانا

قالوا: هُمُ الأرضُ والأهلُ الأُصولُ أتَوْا
كما أتى (سبأً) داعي (سُليمانا)

واليومَ يُدعَوْنَ عرَّافينَ، ما عَرَفوا
أمثالُهُمْ يقرأونَ الغيبَ تِبيانا

يُرتِّبون تواريخَ الطُّيورِ كما
يُصنِّفون الرُّبا جِنّاً وكُهَّانا

يقالُ: كانوا مِنَ الأمواتِ فانبعثوا
سِرّاً وحالوا أعاصيراً وكُثبانا

* *

(أشجانُ): بعد هجوعِ الأهلِ نَقْصُدُهُمْ
ـ سيسقطُ السِّرُّ لو يَنْبَثُّ إعلانا

أواخرُ الَّليلِ أذجى، يا (شذا) اتَّئدي
أموتُ ألفاً لكي أزدادَ عِرفانا

ماذا إذا أرجفوا؟ بِتْنا بمضرِبِهِمْ
إلى ابنةِ (الدَّوْدَحي) ينضافُ صيتانا

لو يسألونَ الذي تطهوكِ جَمرتُهُ
أندى وأغزو (أثينا) مِنْ (خُراسانا)

كيف اصطفَوْنا وأفضَوْا؟ قال مُطَّلعٌ
فرُّوا وكان أبو الأجداثِ وَسْنانا

وأزهقَ البحثُ عنهُمْ كلَّ مُشتَبهٍ
وقيل: شقُّوا عصافيراً وجُرْذانا

فأعلنَ الحَظْرَ والي كُلِّ مقبرةٍ
واستوفدوا قبرَ (نابليونَ) دفَّانا

وأرسلَ الـ(توتُ عَنْخامونَ) مفرزةً
مِنَ الأفاعي ومِنْ أشباحِ (هامانا)

* * *

هل تلكَ آثارُ خطوٍ؟ كانَ يتبعُها
أبي مِنَ (الوهْطِ) حتى بابِ (عَمْرانا)

أقدامُهُمْ فوقَ شِبرٍ، بل تزيدُ على
شِبرينِ؛ فَهيَ إذنْ أقدامُ (باذانا)

طريقُنا الصاعدُ المَلْوي سيخبُرُنا
جئناهُ. لا هَسَّ، لا كالأمسِ حيَّانا

يا تلُّ، يا تلُّ قولي: مات مُنتَحِراً
بلْ باتَ مُرْتَشياً، بالأمرِ جافانا

أفديكما مَنْ رأتْ مليونَهُ بيدي
وقالَ: مِمّا حباهُ اللهُ أعطانا

وزادَ: شرِّحْ لنا مَنْ مرَّ، مَنْ خَطَرَتْ
وأيْنَا أكَّدَ الرُّعيانُ أحلانا

قالتْ ثُريّا: علينا انقَضَّ حارسُهُ
فاحتازَنا، وإلى مولاهُ أهدانا

هل صرتَ يا قَمَريَّ الهامِ؟ صِرتُ.. لِمَنْ؟
لآكلِ الناسِ طحّاناً وعجّانا

* * *

الآنَ أينَ الذينَ هاهُنا سمَروا؟
أطارَهُمْ هاتفٌ سمَّوْهُ (نبهانا)

قاموا عليهِ جُذوعاً أورَقَتْ قصَبا
مرُّوا كما اعتمَّتِ الأشجارُ غُدرانا

وكان يتلو النَّدى مَرْعى السُّفوحِ كما
تتلو السَّما في فمِ الصُّوفيِّ قُرآنا[1]

متى سرَوْا؟ هل حَكوْا يا شُهبُ؟ ـ حنَّ فتىً
وباثنتيْنِ كحقلِ (الخَوْخِ) أوصانا

باتوا يَقُدُّون للأحجارِ ذاكرةً
وللرُّبا أعيُناً، للسَّهلِ أذهانا

الآنَ، أخبارُهُمْ مِن كُلِّ ثانيةٍ
تَهمي كما تنفُشُ الأنسامُ ريحانا

جاؤوا يموتون أو يَحيَوْنَ ثانيةً
لِميتةٍ تَدفَعُ العُمْرَيْنَ أثمانا

ما اسمُ الكتابِ الذي مِنهُمْ بكُلِّ يدٍ؟
قالوا: وصايا (حمورابي) و(لُقمانا)

(1) في فم الصوفي: عرّف (الحلاّج) حقيقة الصوفي بأنه الذي إذا تلا القرآن فإن الله يتلوه بلسانه.

وخِلْتُهُ (الجَفْرَ) من مغزى دوائرِهِ
من نقشِ (حاميمَ)، من إعجامِ (حَرَّانا)
(شذا)، أتدرين فحواهُ؟ لمحتُ بِهِ:
سيفٌ بدونِ كتابٍ سوطُ (غَيْلانا)

***

يقالُ لَمَّا اغْتَنَتْ بالموتِ خِبْرَتُهمْ
أتَوْا يُحامونَ أو يَشْرونَ أكفانا
وقيلَ: يستأصلونَ القتلَ أجمَعَهُ
فتمتطي أيُّ شاةٍ ظهرَ (سِرحانا)
أو يسألونَ عن الإبحارِ أوَّلَهُمْ
من ذا اعتلى الفُلْكَ؟ من ذا اجتازَ طوفانا؟
فيفقهونَ شروطَ البحرِ مِنْ فمِهِ
يدرونَ مَنْ تنتقي الأمواجُ رُبَّانا
قد يعقدون إلى (الإسكندرِ) ابنَ جلا
أو يحملون إلى (بيبرس) تيجانا
كانوا يصوغونَ مِنْ جمرِ العيونِ غداً
ينأى ويبعثُ عنهُ البرقُ هتَّانا
ولَّى الزَّمانانِ، قالوا: حانَ بعدهما
ما اسْمُ الذي حانَ؟ ـ أعلنَّا اسمَهُ (حانا)
وقيل: مُذْ دخلوهُ مُثقلينَ بِهِ
أمسَوْا بلا اسْمِ وأخباراً بلا كانا

ونَـتَّ هـذا لِـذا: كُـنَّـا نـرى (عَـدَنـاً)
أُخـرى، بـمـا ذا تـفـوقُ الـيـومَ؟ (سَـيَّـانـا)؟

داراً بـدارٍ، وبـسـتـانـاً بـمـزرعـةٍ
حـتـى الـتـي والـتـي. كـيـلاً وأوزانـا

* * *

قـالَ ابـنُ جـعـدانَ: مِـنْ (زنُّـوبـيـا) اقـتـربـوا
وزوَّجـوا بـنـتَ (إخـنـاتـونَ) (قـحـطـانـا)

عـنـهـم كـتـابٌ دعـاهُ الـبـحـرُ مـنـهـجَـهُـمْ
ونـاولَ الـغـابَ، كـي يـشـتـقَّ عـنـوانـا

ويَـطْـبَـعَ الـخـاتـمَ الـسِّـرِّي عـلـى فـمِـهِ
كـي لا يُـفَـدِّي بـه (يـحـيـى بـن حـيَّـانـا)[1]

والـيـومَ مَـثـنـى، ثُـلاثـاً يـنـزِفـونَ عـلـى
(أيَّـارَ) كـي يـبـحـثـوا عـن أصـلِ (نـيـسـانـا)

عـن احـمـرارِ (سُـهـيـلٍ)، هـلْ لـهُ عِـدَةٌ
عـن (الـحُـقـيـنـي) يـرى كـم سِـنُّ (ردفـانـا)[2]

وعـن (سُـمـارةَ) هـل قـالـتْ: أرى شـجـراً
يـعـدو عـلـيـكـم يـلُـفُّ الـعُـودُ عـيـدانـا؟

---

(1) يحيى بن حيّان: إشارة إلى قول الشاعر الأول:
ألا جـعـل الـلَّـهُ الـيـمـانـيـن كـلَّـهـم
فـدَىً لـفـتـى الـفـتـيـان (يـحـيـى بـن حـيَّـانـا)

(2) الحُقيني: من الفقهاء المحققين، وكان يعرف سِنَّ الحيوان من لون أسنانه وأضراسه وكان يرتزق من هذا في سوق بيع البهائم.

هــل تــنــفــرونَ إلــيــهِ قــبــلَ سَــطْــوتِــهِ
أو تــركــبــونَ إلــى الــغِــربــانِ غِــرْبــانــا؟

* *

قــال ابــنُ جــعــدانَ: مــاذا خــلــتَ يــا وطــنــي؟
ـ خَــلْــطــاً كــمــا تــكْــحــلُ الأحــلامُ أجْــفــانــا

خُــذْ مــوعِــدَ الــزَّمــنِ الــكــذَّابِ تــســلــيــةً
واشــحــذْ لــمــا ســوفَ يــأتــي بــعــدُ حــســبــانــا

تَــمَّ اخــتــيــارُ الــذي أبــدى الــوضــوحَ ومِــنْ
وضــوحِــهِ صــارَ أخــفــى، قُــلْ: مــتــى بــانــا

الــتَــمَّــتِ الأروُسُ الأشْــتــاتُ جُــمــجــمَــةً
كــطــوبــةٍ فــرَّعــتْ قــصــراً ودُكَّــانــا

قــالــوا: أعــادوا لــكُــمْ هــذا وذاكَ لــنــا
تَــشَــكَّــلــوا، هــمْ لــهُــمْ ســقــفــاً وأركــانــا

وتَــيْــرَخــوا، تَــيْــجَــروا. هــذي وتــلــكَ غَــدَتْ
دارَ الــتــواريــخ لــلــتــقــتــيــلِ غــيْــرانــا

وتِــلــكَ زادت إلــى الــقُــرْبــى تــحــمُّــلَــهــا
ورَمْــيَــهــا بــبــنــيــهــا الــنــارَ قُــرْبــانــا

روَتْ أشــذَّ اغــتــيــالٍ، وَهْــيَ دافــقــةٌ
حــتــى ارتــخــى أشــهــراً. شــبــعــانَ ريَّــانــا

هــل تــلــكَ حــكــمــتُــهــا أو عــجــزُهــا؟ ســألــوا:
هــل دلَّــلَــتْ قــبــلَ هــذا الــغــدرِ عــدوانــا؟

وكيفَ ما انتقمتْ وَهْي الأمدُّ يداً؟
سبحانَ مَنْ يَعْلمُ النِّيَّاتِ. سُبْحانا

لو السياسةُ قتلٌ يا (أبا رجَبٍ)
أضحى (ابنُ لؤلؤةٍ) سلطانَ (أفغانا)

القتلُ جبنٌ، وقتلُ القتلِ مُطَّلَبٌ
أردى زعانفةً أو غالَ فُرسانا

قالتْ (مُنى): يُمعِنُ التقتيلُ مُحتمياً
ولا يزيدُ قتالُ القتلِ إمعانا

يُمزِّقونَ ببعضِ الشَّعبِ أكثرَهُ
فأيُّنا يا طبيبَ القلبِ أغبانا؟

قال الطَّبيبُ: مَن اغتالوا؟ هدى، مطراً،
يحيى الرَّجا، مَذرَماً، دبوانَ، سُفيانا

في مَنْ ترى مغمزاً لو كنت مُدَّعياً
في مَنْ ترى مطعناً لو كُنتَ طعَّانا

* * *

ماذا ترى يا (حسامُ) انطقْ؟ نطقتُ دماً
وما محا قتلَ (سامي) خطفُ (نشوانا)

مِنْ عامِ سبعينَ لا تسعينَ ما نعَسَتْ
أمُّ الشَّظايا ولا مَنْ باتَ نعسانا

مَنْ ذا يُصَفُّونَ؟ مَنْ تدري الأهمَّ؟ ومَنْ
يُضفي على كُلِّ ما يُجريهِ إتقانا؟

وأيُّ شهمٍ نقيٍّ مِنْ كفاءتِهِ
رقى، لكي يرفعوا أفعى وديدانا؟

ومَنْ يقولُ بلادي فوقَ حاكمِها
برغمِهِ؟ مَنْ يَرى الطُّغيانَ طُغيانا؟

مِنْ عامِ تسعينَ خصُّوا مَنْ يلي (عَدَناً)
بماهرينَ، يرونَ الوحلَ شُطآنا

يُردُونَ في السُّوقِ (طربوشاً) بمنزلِهِ
سيفاً، لكي يَزَعُوا (مُلهي) بـ(دحَّانا)

كم من أبِ كرَّ، مِنْ أشواقِ صِبيتِهِ
لشُغلِهِ؛ عادَ شيئاً كان إنسانا!

كم عاشقينَ صبايا الذَّالياتِ إلى
جُذورِهِنَّ ارتَمَوْا كالوَرْدِ عرسانا

يَهدي الذين انطَفَوْا بالأمسِ فوجَ غدٍ
كما يَحثُّ المُنادونَ (ابنَ علوانا)

لأنَّ مَنْ قال: هيَّا صار بابَ (إلى)
ومَنْ على مَنْ يُحيلُ الحبلَ ثُعبانا

لذاكَ يغدون مِنْ جِنَّا الزفافِ إلى
حيثُ الرُّبا تُنبتُ الأعشابَ شُجعانا

لأنَّ هذا الثَّرى الميمونَ لقَّنَهُمْ:
مَنْ لَمْ يمُت، عنهُ قَتلاً مات مَجَّانا

* * *

قال ابنُ جعدانَ: هذي الخمسُ عشرةَ مِنْ
عُمْري أشَبْنَ غرابيباً وأغكانا

أخشى على الشَّعبِ مِنْهُمْ، إذْ أخافُ على
(سنحانَ) مِنْ نفسهِ مِنْ بعضِ (سنحانا)

يُريدُ ما قامَ، يستفتي مُشَكِّلَهُ
مَنْ ذا يقيمُ على البركانِ بُنيانا؟

مقاتلون أجابوا قاتلينَ إلى
ضيافةٍ صار فيها القتلُ إدمانا

يُقالُ: ما تَركوا للموتِ ثانيةً
ولا لأمِّ الطيورِ الزُّغبِ أغصانا

قالوا لحادي (بني جُعْفٍ): وقعتَ هُنا
فاتبعْ إذا شئتَ أو مُتْ. لستُ خوَّانا

وهل قَلعتُ جداراً كان يحجزُني
عن الرَّوابي لكي أختارَ جدرانا

فقال أزْعَمُهُمْ: هل كُنتَ عاشِرَنا
يومَ استبقْتَ وحيداً صُلْحَ (دعَّانا)[1]

وأين كُنتَ غداةَ اسْتَحْسنَ (ابنُ سبا)
رَحْلاً لـ(حيدرةٍ) أعطاهُ (مروانا)

---

(1) دعّان: المكان الذي جرى فيه التفاوض بين قيادة اليمن والوالي التركي سنة 1911م.. وفي هذا المقطع خلط في التاريخ لغاية فنية نفسية.

يـومَ اشـتـرتْ (مـا تِـلـيـدا) مـن حُـلـى (كـنـدا)
عِـقْـداً لـ(بـيـجـنْ) وقـالـت هَـبـهُ (جـيـهـانـا)

عـلـيـكَ تـقـتـادُ (إبّـاً) مـغـلِـقـاً فَـمـهُ
مُـحـمَّـلاً (بـاب مـوسـى) مـتـنَ (بـيـحـانـا)

إن كُـنـتَ اخـتـرتَ لـي عـنّـي (مُـسـيـلـمَـةً)
فـابـعـثْ (سِـجـاحـاً) لـيـلـقـى الـذَّنـبُ غُـفـرانـا

*

قـال (ابـنُ جـعـدانَ): أوهـى الـسَّـوطُ حـامـلَـهُ
ومـــاتَ مَـــنْ قَـــبـــلَ الإذعـــانَ إذعـــانـــا

مـــن ذا يـــبـــيـــعُ ذكـــاءَ لابـــنِ ذي يَـــمـــنٍ
يـعـطـيـه بـالـوَمْـضِ (قـحـطـانـاً) و(عـدنـانـا)

شـكَـــتْ إلـــى أُمِّــهـــا أمٌّ: أرى (حَـــســـنـــاً)
يـعـودُ حـيـنـاً ويـنـسـى الـبـيـتَ أحـيـانـا

أخـــافُ تـــزويـــجَـــهُ يـــا أمُّ ثـــانـــيـــةً
ـ خـافـي إذا زوَّجـوهُ الـجُـبَّ عـريـانـا

أخـوكِ (مُـرَّانُ) كـم قُـلـنـا يـعـودُ غـداً
وبـعـد عـشـريـنَ شَـهـراً عـاد جُـثـمـانـا

لأنَّ مَـــنْ أمَّ (صـــنـــعـــا) حـــامِـــلاً قَـــبـــســـاً
حـسـتْـهُ واسـتـمـطَـرَتْ لـلأهـلِ سـلـوانـا

بـالأمـسِ أردى أبـو (هِـيـلـكْـس) أربـعـةً
ألـقـوْا عـلـيـهـمْ وفـرَّ الـمـجـرمُ الآنـا

رأوهُ يـبـتـاعُ قـاتـاً حَـسْـبَ عـادتِـهِ
ويـشـتـري خـنـجـراً مِـنْ إرثِ (عُـثـمـانـا)

*

هـذي الـبـلادُ الـتـي تَـضـفَـرُ مُـتـخـمـةً
بـالـرَّمـلِ والـقَـشِّ. هـل تـبـتـاعُ سُـكَّـانـا؟

يـقـالُ: تـرجـو الـذيـنَ مِـنْ مـغـايـبِـهِـمْ
جـاؤوا كـمـا يـدفَـعُ الـبُـسـتـانُ بُـسـتـانـا

مـنْ ذا ستُـعـطـي غـداً مـنـهُـمْ سـفـيـنـتَـهـا؟
مَـنْ كـانَ قـبـلَ احـتـلامِ الـبـحـرِ سـفَّـانـا؟

وأيـنَ ذاكَ الـذي؟ يـا أنـتَ أيـنَ أنـا؟
والآن يـا أيـنُ، مـا بـعـدَ الـذي آنـا؟

❁ ❁ ❁

مقتل فُصَّة

مايو 1992م

أَأَنْفُثُ مِنْ عَتْمَةِ الغَورِ قِصَّةْ
وكيفَ وفي الحَلْقِ عشرونَ غَصَّةْ؟

وبي (عَدَنٌ) تَجْلِسُ القُرفصا
و(صنعا) على ساقِها مُقْرَفِصَّةْ

أُريدُ أُنادي ويعلو الصَّدى
يُعيدُ مِنَ المبتدا قتلَ (فُصَّةْ)

وكانت لموطِنِها موطناً
تُفَدّي الذي حولَهُ شَدَّ حِرصهْ

على ذِكْرِها خِلْتُ أختاً لها
بـ(شيرازَ) لاقيتُ أُخرى بـ(قَفْصَةْ)

ويوماً تسمَّعْتُها إذْ دَعَتْ
مُصَيِّفَةٌ طفلَها وسْطَ (بَخصةْ)

ويوماً قرأتُ بـ(مُسْكُو) يداً
كإحدى يديها حنوناً ورَخْصَةْ

أَأُخبرُها: أنكروا قتلَها
أعانَ (السرابيعُ) أولادَ (قَنْصَةْ)

وقــالــوا: وشَــتْ بــافــتــراسِ الــوُحــوشِ
ضــفــيــرتُــهــا ونــثــيــرُ الــمــخَــصَّــةْ[1]

وقـــالــــوا: لأخــــبـــارِهـــا بـــاطِـــنٌ
و إلاَّ فــأيــنَ اخــتــفــى شــيــخُ (وَرْصَــةْ)؟

* * *

أأبـــكـــي؟ أقـــومُ خـــطـــيـــبـــاً، وأيـــنَ
بــقــلــبــي، عــلــيــهِ ومِــنِّــي الــمــنَــصَّــةْ

بـــكـــاءُ الـــفـــتـــى عـــورةٌ، هَـــلْ هُـــنـــا
مَــكَــنٌّ يــواري؟ ولا مِــثْــلَ (فَــحْــصَــةْ)[2]

لأنَّ الـــــزِّحـــــامَ يـــــكـــــظُّ جَـــــمـــــالاً
بــســلــمــى، يــلــفُّ (ســعــيــداً) بـ (حَــفْــصَــةْ)

جــمــوعٌ كــفــردٍ يــغــمُّ الــضُّــحــى
يُــلــوِّنُ فــوقَ الــجــراحــاتِ قُــمْــصَــةْ

يـــــمـــــرُّونَ، لا أيُّ فـــــردٍ يُـــــحِـــــسُّ
بــشــانٍ، ولا يــعــرفُ الــشَّــخْــصُ شــخْــصَــةْ

عــيــونٌ مــبــعــثــرةٌ فــي الــظــهــورِ
كــذِكْــرى بــصــيــصٍ، كــتــرمــيــدِ بَــصَّــةْ

كــزُغْــبِ الــحَــمــامِ الــظــوامــي عــلــى
ســواقٍ مِــنَ الــزُّغْــبِ أظــمــى لِــمَــصَّــةْ

* * *

(1) المخصَّة: أسفل الظهر. (2) فحصة: موطئ رِجل الحمامة.

أَتُصْبي يداً قرصةٌ ذاتُ شوقٍ؟
وفي أيِّ ثوبٍ مكانٌ لقَرْصةْ؟

يضاهون مقتلةً لا ترى
عدوّاً وتنساقُ كالمستقِصَّةْ

أهذا الوجودُ، على رَحْبِهِ
لكُلٍّ؛ وما لي أنا فيهِ حِصَّةْ

تَئِنُّ الحصى والشظايا، وما
لشعبٍ بقلبي إلى النُّطقِ فُرصةْ

وحولي الرَّمادُ يُغنِّي الدُّخانَ
ويدعو صهيلَ السروايلِ رَقْصةْ

و(بِجْ بِنْ) تُموسِقُ أنيابَها:
هنا دارُ كُلِّ خَتولٍ ولِصَّةْ

لتمزيقِ أنقى صِلاتِ الشعوبِ
تُزَوِّجُ كُلَّ مِقَصٍّ مقَصَّةْ

على نُونِها ترتخي أنَّةٌ
وتُضفي على آخرِ الصَّادِ وصَّةْ

* *

تُشَظّي حنايا ديارِ (الحُسينِ)
خلايا (الملاوي) كأخبارِ (بُرْصةْ)

كـ(باريس) تُخفي خراب النُّفوسِ
وتُبدي شوارعَها ذات رَصَّةْ

يُحِسُّ ادِّعاءَ الكمالِ الكمالُ
أكيداً ولا يُدركُ النَّقصُ نقصَهْ

لذا يبتغي (بوشُ) أن لا تدورَ
على العالمِ الشَّمسُ إلاّ برُخْصَهْ

أكلُّ المباني لهُ والعِراصُ؟
أما للتصدِّي حصاةٌ بِعَرْصَهْ؟

أماتَ غريباً حنينُ الترابِ؟
أتحتَ ضلوعِ الرُّبا أيُّ مَغْصَهْ؟

* * *

لهذي المآسي خصوصيَّةٌ
وما للأسى أعينٌ مُستَخِصَّهْ

فأيُّ مكانٍ هنا أو هناكَ
وليسَ عليهِ ألوفٌ كـ(فُصَّهْ)

❂❂❂

عشرون مهديّاً

1992م

بــاطــلاً خِــلْــتُ وَجْـدَكُـمْ بـعـضَ وجـدي
واعــتــيــاداً دَعــوتُــكُــمْ أهــلَ وُدّي

ألأنّــي بــلا أنــا فــي انــفــرادي
كــانَ أنــتــمْ وهُــنَّ إجــمــاعُ فــردي

اهــربــوا، اهــربــوا؛ أخــافُ عــلــيــكُــمْ
ولــمــاذا لا تــحــتــمــي؟ ذاكَ وكْــدي

* * *

هــل أُغــنّــي لَــكُــمْ وأبــكــي عــلــيــكُــمْ
أم أُوَدِّي مــا يــنــبــغــي أن لُوَدِّي؟

فــي انــتــظــاري غــرابــةٌ. هــل أريــكُــمْ
عــن خــلافِ الــذي أواريــهِ أُبْــدي:

يــا رفــاقــي بــرغــم عــلــمــي بــأنّــي
أَغــتــلــي عــنــكُــمُ وأرْمَــدُّ وحــدي

مِــنْ حُــطــامــي أرقــى عــلــى الــرُّعْــبِ، يــعــيــا
هــل أُشَــوِّي جــبــيــنَــهُ أم أُنَــدّي؟

غــيــرُ خــاشٍ بــأيِّ نــارٍ ســأُرمــى
وعــلــى أيِّ تــربــةٍ ســوف أَوْدي!

كــلُّ نــارٍ أحــرُّ، بــالــنُّــضــجِ أســخــى
كــلُّ صَــقْــعٍ فــي الأرضِ أهــلــي ومــهــدي

كــلُّ قــبــرٍ نــزلــتُ أصــبــى احــتــضــانــي
يــا قــبــوري مــتــى ســأبــلــغُ رُشــدي؟

* * *

هــاكَ يــا حــامــلَ الــصَّــواريــخِ صــدري
عــاريــاً كــالــرَّصــيــفِ طَــلْــقَ الــتــحــدِّي

أيَّ شــيءٍ تــهــذي. . أصــالــحــتَ مــثــلــي؟
مــا أنــا مــثــلَــهُ ولا أنــتَ نِــدِّي

فــي يَــديَّ غُــصــنٌ وديــوانُ شــعــرٍ
فــي يــديْــكَ الــرَّدى وعــنــوانُ لــحــدي

أنــتَ مِــنْ دولــةٍ، عــلــى كُــلِّ نــدبٍ
تــلــتــظــي؛ كــاحــتــراقِ تــابــوتِ (هِــنْــدي)

كــلُّ حُــكْــمٍ لــهُ أصــولٌ وحَــدٌّ
وهْــيَ قــالــتْ: تــجــاوُزُ الــحــدِّ حَــدِّي

أيَّ عــهــدٍ تَــرْعَــيــنَ؟ قــالــتْ ومــرَّتْ:
قــتــلُ مَــنْ شــذَّ عــن يــدي عــهــدُ عــهــدي

أنــتَ مــنــهــا تــرمــي بــ (شــيــرازَ) (دلــهــي)
كــلَّ (ســنــديَّــةٍ) بــأيِّ ابْــنِ (سِــنْــدي)

تــرتــعــي (كِــنْــدةٌ) تُــمــوراً، ويــرعــى
فــي مــوانــيــكِ شِــلْــوَهُ كُــلُّ (كِــنْــدي)

ولهذا تَقُدُّ أكتافَ أهلي
فتُعشِّي مشايخي أو تُغَدِّي

وتَبثُّ المُدى، يلوِّحنَ حولي
والزَّوايا الأخفى يحاوِلنَ شَدِّي

فلْتُعَسْكِرْ عليَّ أحجارَ بيتي
ولتُبوْلِسْ نَومي. سأشدو لِسُهْدي

فانحنى سائلاً: أهذا وحيدٌ
أم أُلوفٌ؟ إنَّ الغراباتِ تُغدي

غرَّهُ مَنْ رأى لهُ نِصفَ قلبي
(مرقسيَّ) الهوى ونِصفاً (مَعدِّي)

فدعا التُّرجمانَ: قُلْ لي فصيحاً
ألشيءِ يدعونَ هذا التَّصَدِّي؟

مُحرِقٌ، مورِقٌ؛ يقولُ سكوتاً
قفْ إلى أينَ تجتدي؟ غيرُ مُجْدي؟

* * *

مَنْ رآني أرديتُ يوماً قطاةً
فلماذا يخافُني كُلُّ مُرْدي؟

ألأني غُجِنْتُ، في جوفِ أُمِّي
بالجراحاتِ؛ أعشقُ الموتَ وَرْدي

أو لأنَّ الرَّصاص، حينَ يُحَنَّى
بدمي؛ أهتدي إليَّ وأهدي

أو لأنــــــي أذبُّ عـــــنــــــد عـــــدوِّي
مـصـرعــاً كـالــذي أعـاصـيـهِ عِـنـدي

أو لأنـــي لا أكـــرهُ الــخَـضْـمَ شـخـصـاً
بـــل أعـــادي فـيـهِ صـفـاتِ الـتَّـعـدِّي

أو لأنـــي أصـيـحُ: يـــا شـيـخُ (هِـنـري)
أكـرَثُ الـكـارثـاتِ مـا سـوفَ تُـسـدي

أنـتَ أدهـى، تـشـقُّ بـعـضـي بـبـعـضـي
وعـلـى مَـخْـنَـقـي تـشـدُّ بـزَنْـدي

فـي مَـدَبِّ الـنُّـعـاسِ تـسـري لـتـطـوي
بـيـن نـهـدَيْ مـخـدَّتـي عَـضَّ خَـدِّي

حـيـن تـدنـو تُـخـيـفُ صـمـتـي بـصـوتـي
حـيـن تـنـأى إلـيـكَ تـقـتـادُ بُـعـدي

واجـــداً فـــي ديـــارِكَ الأمـــنَ مِـــنِّـــي
فـي ديـاري تَـغْـشـى أفـاعـيـكَ جِـلْـدي

فـلـمـاذا عَـنِّـي إلـيـكَ ارتـحـالـي؟
ولـمـاذا إلـيـكَ مِـنِّـي مَـرَدِّي؟

كـيـف تَـخْـفـى هـنـاكَ عـنِّـي وتـبـدو
لـي هـنـا، حـيـثُ أنـتـخـي وأُفـدِّي؟

وبـرغـمـي تـبـيـتُ جـاري وتـرمـي
بـجـرادِ الـفَـلا بـسـاتـيـنَ جَـدِّي

ألأنَّ الأُلـــى أحـــبـــوا قـــصـــيـــدي
(قَـعَـدِيُّـونَ) لا يُـحـبـون قَـصْـدي

أم لأنَّ الـــذي يُـســمَّـى نـظـامـي
سـيـفُـكَ الـمُـنْـتـضـى عـلـيَّ وغِـمْـدي؟

حـالـةٌ تـلـكَ، لا تُـطـيـقُ بـقـاءً
لا ذهـابـاً. لـكـنْ تُـجـيـدُ الـتَّـرَدِّي

فـإذا مـا سـألـتَـهـا: وإلـى كـمْ
سـاءلَـتْ؟ مَـنْ تـرى تـسـدُّ مَـسـدِّي؟

هـل تـسـدِّيـنَ يـا ٱبـنـةَ الـقـحـطِ شـيـئـاً
والـمُـنـى فـي انـتـظـارِ عـشـريـنَ مَـهـدي

كـنـتَ قـبـلـي تـحـيـا انـتـظـاري وأخـشـى
شـهـوةَ الانـتـظـارِ تـجـفـوكَ بـعـدي

❂ ❂ ❂

انتحاريُّون

1993م

لم يبقَ في الكأسِ إلاَّ الكأسُ يا (عُمرُ)
عزِّزْ بأُخرى لأنَّ الصحب ما سكِروا

كالأنجُمِ انتَظَموا عِقْدَيْنَ مِنْ فَرَحٍ
يُعمِّرونَ المُنى، يُغلونَ ما عَمروا

لأنَّهُمْ فوقَ ما شادوا وما بَلغوا
وخلف ما أومأ (السَّعدانِ) وانتصروا

على شفاهِ الندى كالنَّرجسِ انفَتَحوا
وكالرَّوابي على ريحِ الشِّتا كبروا

مِنْ أخمصِ الوطنِ الأغلى إلى فمهِ
ينحونَ، لا غادروا. ألْوَوْا بمنْ غَدَروا

* * *

اللحظةَ انضافَ عِقْدٌ مِنْ حَنينِ غدٍ
ومِنْ طُيوفِ المُحِبِّينَ الأُلى غَبروا

كأنَّهُمْ مِنْ قناديلِ المُحالِ، ومِنْ
حُلْمِ البدايةِ قبْلَ الأعْصرِ انهمروا

على شذاكَ يُحَيُّونَ الكؤوس بِلا
لمسٍ، إلى أن تقولَ الحكمةُ: ابتدروا

علـى سنـا وَجْـهِـهـا تـطْـفـو عـيـونُـهـمُـو
يُـخـبِـرْنَ: كـم دوحـةٍ فـي قـلـبِـهـا انـعـصـروا

وكـم ريـاضِ كُـروم طُـلْـنَ فـي سـعَـةٍ
أوْمَـوْا إلـيْـهِـنَّ بـالـجَـرَّاتِ فـاخـتـصـروا

فـأصـبـحَـتْ كـلُّ حَـذبـا، مِـنْ تَـهَـدُّلِـهـا
خـوابـيـاً؛ تَـهْـصُـرُ الـحـاسـيـنَ، تـنـهـصِـرُ

لأنَّ أجـنـى الـدَّوالـي أمَّـهـاتُـهـمُـو
سـادوا، فـمـا أُمِـروا يـومـاً ولا أَمَـروا

مـلـوكُ أحـنـى قـلـوبٍ مـا حَـكَـوْا، لـبِـسـتْ
مُـصْـفَـرَّهـا (يـمـنٌ) أو حُـمْـرهـا (مُـضَـرُ)[1]

* *

عـنـد اخـتـتـامِ الـهـزيـعِ الأوَّلِ ابـتـدأوا
يـخـسـونَ، يَـسْـتَـخْـبِـرُ الـوُرَّادُ مَـنْ صَـدَروا

وكُـنـتَ إذْ ذاكَ، فـي ثـانـي الـهـزيـعِ؛ عـلـى
حـالَـيْـن. ذا يـنـطـوي، ثـانـيـهِ يـنـتـشـرُ

هـذا يـقـولُ: اعـتـذرْ واخْـرُجْ، وذاكَ يـرى:
صـمْـمْ سِـوى (عُـمَـرٍ) يـعـيـا فـيـعـتـذرُ

ذا سـائـلٌ: كـيـف أنـتَ الآنَ؟ كـيـف تَـرى؟
ـ أُحِـسُّ بـعـضـي بـبـعـضـي بـاتَ يـأتـمـرُ

* *

(1) كانت الثياب الصُفْر ثياب (حِمْيَرَ)، والحُمْر ثياب (مُضَر)؛ لكي يظهر الفريقان عند الحرب.

هُنا دَنا مِنكَ (نجمٌ) مُبدياً جَلَداً
كي لا يرى الشُّهْبَ فوقَ الصَّخبِ تنكدرُ

إليْكَها، يا يدي تدرينَ أينَ فمي
إليكَ، عنكَ تقومُ الكأسُ والوتَرُ

كي يَسْكروا ويغيبوا عنكَ غنِّهمو
لكي تَمُرَّ، ولا يدرونَ ما نظروا

وقُلتَ عنّي: أدِرْ للصَّحبِ أشْرِبَةً
غيرَ التي اخْتَبرتْهُمْ قبلُ واختبروا

لا تُبْقِ بِيضاً ولا حُمْراً مُنَقَّشَةً
ولا الجِرارَ اللّواتي كُنتُ أدَّخِرُ

وقُلْ: وداعاً فما لي عِندَهُنَّ هوَىً
ولا لَهُنَّ بهذا المُنطَفي وطَرُ

***

مَنْ زفَّ يا (نجمُ) هذي الكاعباتِ لنا
نَخسو فنَصْحو، ونَظْما حيث ننغمِرُ

مَنْ ذا رأى (عُمَراً)؟ ـ أغفى بمقعدهِ
يا (زيدُ) شاهدتَ؟ ـ حَدِّقْ أنتَ يا (زُفَرُ)

سرى إلى الحُجرةِ الأُخرى، أجابَ هوَىً
ما اعتادَ هذا.. ضميرُ الفعلِ مُسْتَتِرُ

قُلْ لي متى انفَكَّ عنّا أيَّ أُمسيةٍ؟
الآنَ أصبحتُ. ماذا أخبرَ السَّحَرُ؟

***

تعالَ يا (نجمُ)، لا تُطْفِوا سجائرَكُم
في البهوِ تسألُ كأسي: مَنْ هو القَدرُ؟

ما لونُهُ؟ أهُو زوجٌ؟ هل لَهُ لغةٌ؟
وكَمْ تَشَظَّى ذقوناً باسْمِهِ اتَّزَروا؟

عنها وعنكَ أجابَتْ: عِندنا قَدَرٌ
نسْقيهِ، يغلي، يُسقِّينا فنَنْسَتِعرُ

* *

هلْ ذا أجدُّ كتابٍ صاغَهُ (عُمرٌ)؟
نعمْ. أيُوصي؟ تعلَّمْ كيف تنتحرُ؟

هلْ طبَّقَ الليلةَ العنوانَ؟ تسألُني
بدونِ أيِّ كتابٍ طبَّقَ البشَرُ

عليكَ يا (نجمُ) عِبءٌ، كنتَ أقربنا
منهُ، وأذكى الذينَ إن نَوَوْا قَدِروا

ماذا أَسرَّ بُعَيْدَ الكأسِ؟ قالَ لَهُ:
مَنْ أطولُ. اللَّيلُ يا قلبي أو السَّهَرُ؟

مَنْ يقرعُ الباب؟ قُلْ مَنْ ذا هناكَ؟ أجِبْ
(لَمْيا) إلى البيتِ، قالتْ: هاتفٌ خطِرُ

قال (الرِّضا): مِنْ شروخِ النومِ خِلتُكُما
عليكَ يرمي قَواماً كادَ ينبتِرُ

أعَرْتُهُ نصفَ زندي، خطوتيْنِ، وفي
مُدرَّجِ البابِ لاقاهُ فتىً نَضِرُ

*

واراهُ بابٌ شأى عِلْمَ النَّباتِ، وما
أومـا إلى غرسِهِ: لا باحَ مَنْ نَجَروا

هذي طقوسُ اختطافٍ، مُذْ أجاب إلى
هذي الدَّقيقةِ؛ لا عينٌ ولا أثَرُ

كمْ مرَّ وقتٌ؟ ـ تولَّتْ ساعةٌ وتَلَتْ
أُخرى، وماذا يلي؟ ـ قد تنقضي أُخَرُ؟

يا (نجمُ) في الغُرفةِ اليُمْنى مُهامسةٌ
تدنو وتنأى، وما عن همسةٍ خَبَرُ

يُخالُ نَبْساً أُنوثيّاً تُداخِلُهُ
هشاشةٌ مثلما يستأنثُ الذَّكَرُ

أُحِسها. صوتَهُ يمتدُّ مُنحنياً
كآخِرِ اليومِ، يَعلو وَهْو يَنحدِرُ

هلْ نقرعُ الباب؟ نستفتي مخارِمَهُ
نريدُ ندري، ونخشى هَتْكَ ما ستروا

هذا الغموضُ الذي يومي بغيرِ يدٍ
يكادُ مِنْ وَجَعِ الكتمانِ ينفجرُ

إلى القناني لكي يُرْوى انتظارُ غدٍ
أو ينجلي عالمٌ بالرُّعبِ مُختمرُ

هل تسمعونَ أنيناً؟ قالَ (مُنتصرٌ):
يفاوضُ الرِّيحَ هذي اللَّيلةَ المطرُ

أظُنُّهُ (عُمَراً) يطوي مواجعَهُ
السَّمْعُ يكذبُ، يا (هزَّاعُ) والبصَرُ

والخمرُ أكذبُ، لو عشرونَ خابيةً
يَمْلِكْنَ سُكْراً، لأنسانا اسْمَنا العُشَرُ

لو جاءها صاحياً (شعبانُ) أو (رجبٌ)
لقال: خالي (جُمادى)، عَمَّتي (صَفَرُ)[1]

* * *

قالَ السُّقَطْري: جدارٌ بيننا، ولَهُ
نُصْغي كما يَشْرئِبُّ الطَّائرُ الحَذِرُ

العَزلُ أدناهُ مِنَّا، لا تُغَيِّبُهُ
عنَّا الكؤوسُ؛ كأنَّا فيهِ نُختَصَرُ

وكان (سيلانُ) طولَ الوقتِ مُنطوياً
وفجأةً قالَ: ماذا نحنُ ننتظرُ

غداً سنطويهِ، ننساهُ ونذكُرُهُ
ومِنْ مَدى صورتيهِ تَكْثُرُ الصُّوَرُ

اليومُ يُصبحُ أمساً بعدَ أُمسِيَةٍ
ما أسأمَ العُمْرَ لو لمْ تحدُثِ الغِيَرُ

ماذا إذا ماتَ مَنْ ثانيهِ يا (حسنٌ)؟
أحْصَيتُهُمْ لا بدا فردٌ ولا نَفَرُ[2]

---

(1) جُمادى الأولى والآخرة مؤنثتان على خلاف كل الشهور الهجرية.

(2) الفرد هو الواحد من الناس، والنفر قبيلته أو قومه أو معسكره.

قبلَ العصافيرِ يَخْضَلُّ الربيعُ لِمَنْ
أتى، لِمَنْ سوفَ يأتي، يطلعُ الثَّمَرُ
وقال (ذو الرَّاسِ): كُنَّا زُمرةً زمناً
بأمرِ أيِّ الرِّياحِ التَمَّتِ الزُّمَرُ؟
هلِ التقيْنا لكي تمتدَّ كَثْرتُنا؟
أمثالُنا قِلَّةٌ شَلَّى وإنْ كثروا

يا (نجمُ) ماذا تَبدَّى؟ ـ خِلتُ زائرةً
وزائراً، نَمَّ عنها السُّلَّمُ العطِرُ
وأعلنَ المَدخلُ الغربي أُهْبتَهُ
والمُدلجونَ على أعتابِهِ انكسروا
ماذا زَقا؟ صوتُ منْ؟ قالتْ شقيقتُهُ:
أهلوهُ قبلَ تَنَحِّي صخبِهِ حضروا
وهاكمو خَبراً في غيرِ قالبِهِ:
ما ألْيَنَ الموتَ «لو أنَّ الفتى حَجَرُ»
لا حِسَّ، لا أنَّ عند النَّزعِ. قُلْ عَدَمٌ
يرجُّ منبتَهُ مِنْ قلعِهِ الشجَرُ

*

سمعتُها تسألُ الدكتور، قالَ لها:
ماتَ انطفاءً كما يتثاءبُ القمرُ

مَنْ ماتَ يا. ، لا تَقُلْ أُخرى؛ سنمنَعُهُ
لا ترتحلْ. قُمْ، أَذِبْنا فيهِ يا سفَرُ؟

سلُّوا السَّكاكينَ غابَتْ في مقاتلِهِمْ
ماتوا وما شَعُروا، مِنْ عُنفِ ما شَعُروا

❁ ❁ ❁

ثلاثة رؤوس
على رأسِ رُمْح

1993م

إلـيـكَ، بـلا أيِّ وعـدٍ أهِـلَ
مـفـاجـأةٌ فـوقَ مـا أحـتـمِـلْ

عـلـى أيِّ أرمِـدَتـي أنـثـنـي؟
وأيَّ صِـبـاً بـاكـرٍ أقـتـبِـلْ؟

ومـا اعـتـذتُ طـارقـةً كـالـتـي
تُـقَـوِّلُـنـي غـيـر مـا لـم أقُـلْ

تُـهـامِـسُـنـي بـالـذي يـغـتـلـي
بـقـلـبـي، وفـي قـلـبِـهـا يَـغْـتَـمِـلْ

* *

قـمـيـصـي مِـنَ الـطَّـلِّ والـزَّعـفـرانِ
ومِـنْ ركـضِ مُـسـتَـقـبـلٍ يـكْـتَـمِـلْ

ومِـنْ شـوقِ صُـبـحٍ وعـصـفـورةٍ
ومِـنْ هَـجْـسِ دالـيـةٍ تَـنْـهَـدِلْ

ألا تـقـرأُ الـلَّـمْـس؟ طـوِّفْ يـديْـكَ
كـفـيـفَ الـيـديْـنِ عـلـيـكَ انـسـدِلْ

فـأبـدي مـذاقَـكَ إنْ كُـنْـتَ شـايـاً
وإنْ كُـنْـتَ مِـنْ ذَهَـبٍ تـنـصـقِـلْ

بِـوُدِّي أمـوتُ قـلـيـلاً عـلـى
أراجـيـحِ هـذا الـصَّـبـاحِ الـغَـزِلْ

أمـا قـالَ بُـسـتـانُ هـذا الـشُّـروقِ
إلـيـكَ أنـا.. شُـمَّ وارْشُـفْ وكُـلْ!

لـمـاذا انـكـسـرتَ، كـمـرعـى الـخـريـفِ
كـطـفـلٍ قُـبَـيْـلَ الـصِّـبـا يَـكْـتَـهِـلْ؟

زَعَـمـتَ اقـتـرابـي حَـنـانـاً عـلـيـكَ
حـنـيـنـاً إلـيـكَ، هـوَىً يَـشْـتَـعِـلْ

فـمـا لـي وراءٌ إلـيـهِ أعـودُ
ولـي فـيـكَ بـيـتٌ إلـيـهِ أصِـلْ

سَـكَـتَّ. لـمـاذا؟ حـروفُ الـسُّـكـوتِ
عـلـى بـابِ مُـعـجـزةٍ تَـقْـتَـتِـلْ

هُـنـا انـدفـنَـتْ ربْـوةٌ، قُـلْ نـأَتْ
أحَـتَّـى الـرُّبـا مِـثـلَـنـا تـرتـحِـلْ؟

***

رحـلـتُ عـروسـاً إلـى (ذي الـسُّـفـالِ)
وكـنـتُ لِـمَـن أزدري أشـتـغِـلْ

يُـصـافـي، كـمـا قـيـلَ مَـنْ يـصـطـفـي
ولـكـنْ يُـعـادي كَـكَـلْـبٍ خـتِـلْ

تُقاضيهِ مَذحي أذىً يا هِجا
أتثقُلُهُ؟ ما لساني بَلِلْ

تغرَّبْتُ عشرينَ، فَلَّتْ يدي
وما في يدي أيُّ شيءٍ يَفِلّ

تَرَمَّلْتُ شهرَ احتفالي أنا
رجعْتُ بمَضيعتي أحتفِلْ

على رأسِ رُمحٍ مُحَيَّا التي
وأجفانُ ثُكْلى ووجهٌ ثُكِلْ

بقلبي سؤالٌ أبى، ينطوي
إذا طالَ؟ أرجوكَ لا تَستَطِلْ

أقيلَ: لماذا ارتأتْ عَمَّتي
إلى القبرِ عن زوجِها تنفصِلْ؟

أما ذا طلاقٌ بلا رَجْعةٍ
لَوَ انَّ الزَّواجَ ارعوى ما حَبِلْ

وقيلَ: ثَوَتْ جذعَ رُمَّانةٍ
أمالتْ صباهُ، وقالتْ: أمِلْ

أعَنْها تقولُ بلا حُرقَةٍ
وكُنْتَ إذا ذُكِرَتْ تختَبِلْ؟

أأنتَ مُذيعٌ تحبُّ الذي
يبونَون، ترقى إلى المنسَفِلْ؟

* * *

تــذكَّــرتَ مــا اسْــمــي كــمــا يــســتــفــيــقُ
قــتــيــلٌ عــلــى خــصــمِــهِ يَــنْــدَمِــلْ

ســلِ الــسَّــفْــحَ ذا كــيــف أرْكَــبْــتَــنــي
إلــى (ذاتِ لَــوْحَــيْــنِ) ظَــهْــر (الــوَعِــلْ)

وقُــلْــتَ: دمــوعُ الــفــتــى عــاهــةٌ
ودَمْــعُ الــفــتــاةِ ضُــحَــىً يــنْــهَــمِــلْ

تُــرى تــلــكَ بــلــدتُــنــا؟ رُبَّــمــا
أتــلــحَــظُــهــا كــالــعــجــوزِ الــثَّــمِــلْ؟

فــلا مَــنْ يُــحَــيِّــي ولا مَــنْ يَــرُدُّ
ولا مُــســتَــغَــلٌّ يــرى الــمُــشْــتَــغِــلْ

جُــمــوعــاً يــروحــونَ أو يــغــتَــدونَ
وكــلٌّ بــأوجــاعِــهِ مُــشْــتَــغِــلْ

يــخــافــونَ ســلــخَــيْــنِ فــوقَ الــذي.
ومــنْ يــتَّــقــي بــعــدَ أن يــنْــقَــتِــلْ

أقــطْــعُ الــرؤوسِ انــتــهــى؟ مــا لَــهُــمْ
رؤوسٌ عــلــيــهــا ســيــوفٌ تَــصِــلّ[1]

نَــمُــرُّ، ولا مــن يُــحَــيِّــي ولا
يُــريــنــا يــشــاشــاً؛ ولــو يَــفْــتَــعِــلْ

* * *

(١) تَصِلّ: تَصِلُّ السيوف صليلاً إذا وقعت على مضربٍ قاسٍ.

نُنادي. وما اسْمُ المُنادى؟ أما
هُنا مَنْ نُحِبهُمُ، مَنْ نُجِلّ؟

نُغنِّي. أقُلْتَ اعتزلتَ الغناءَ؟
ـ سلي غيرهُ. أيُّنا المُغتَزِلْ؟

أذِبْ جمرةَ الدَّمعِ، أذمَتْ حَشاكَ؟
ـ دعيهِ بنيرانهِ يغتسِلْ

أبيْتي هُناكَ؟ هُنا بيتُ مَنْ؟
أبَيتُ الصِّبا والمُنى يضمحِلّ؟

أما كُنتَ حولَ كُواهُ رؤَى
وبينَ يديهِ (هزارٌ) زجِلْ؟

تُنَقِّرُ عَنْ عمَّتي كُلَّ صخرِ
وتسألُ مِنْ أيِّ ثُقبِ تُطِلّ؟

وكانَ يَهِرُّ عليكَ الكِلاب
غُلامانِ مِنْ سطحِ (بيتِ العَجِلْ)

فتغدو إلى بئرِنا تَستقي
تشمُّ التُّراب الذي تنتعِلْ

فتُخبِرُ أغنامَكَ السَّارحاتِ:
هُناكَ تُغَنِّي وتَقفو الإبِلْ

بماذا استدلَّتْ عليها خُطاكَ؟
ـ حنيني إليها، بها يستدِلّ

أَتَلْمَخْنَ لَفْتَتَهَا مِنْ بعيدِ
كسانحةٍ لاقتِ المُهتَبِلْ
تكادُ لرِقَّتِها تُختَسى
ومِنْ مُنتقى نُضجِها (تأتَكِلْ)
وكيف عرفْتُنَّ فنَّ الجَمالِ؟
- إليها، فتفصيلُ هذا مُمِلّ

تلوحين أُخرى، برؤيا الكَرى
- لأنَّ الرُّؤى تَدَّعي، تنتحِلْ
أجئتُ كغيري؟ أغيري أتَتْ؟
أراني الكَرى طيفَ ما يشتمِلْ
أتتلو قميصي؟ أَلُمُّ الذي
تماهى اسْمُهُ في حروفِ السِّجِلّ
أقشَّرْتَني؟ خِلتُ هذا، تمس
بِكلْتَيْ يديْها النِّطاقَ الخَجِلْ
وماذا بدا؟ قلتِ ما ينبغي
لماذا علينا بنا نَنْقَفِلْ؟
تَقَشَّرْ معي في الضُّحى، كي نَرى
حقيقتَنا كُلَّها، نبتذِلْ
لوَ أنَّا انقشَرْنا فماذا نكونُ
سوى قشرةٍ ما لها مُنْتَشِلْ

* * *

أتــذكــرُ لــمَّــا اســتــغــرْنــا أبــاكَ
وبــيــتُ أبــيــنــا بــنــا يــنــتــضِــلْ

يُــكِــرُّ عــلــى قــتــلِ أُمِّــي، تَــفِــرُّ
فــيــعــدو كــسِــرحــانِ (وادي حَــمِــلْ)

ويــرمــي بــهِ صَــوبــهــا، تــلــتــوي
وتــنــســلُّ مِــنْ قــبــلِ أنْ يــنــفَــتِــلْ[1]

ومــن مــدخــلِ الــسَّــطــحِ أبْــرقْــتُــمــا
وصــاحَ أبــوكَ: أفِــقْ يــا نَــغِــلْ

وأتــبــغــتَ صــيــحــتَــهُ طَــلْــقَــةً
فــأقــعــى يــرى كــلَّ شــيءٍ وجِــلْ

وقــالَ أبــوكَ: عــلــى مَــنْ وَهَــى
بــمَــغْــقَــلِــهِ طَــرْحُ مــا يــعــتــقِــلْ

ســلامٌ عــلــى (بــنــتِ قَــحْــمِ الــخَــلا)[2]
أكَــلْــتُــكَ عــنــهــا، ولــمَّــا تَــكِــلَ

ولــو أذعــنَــتْ رَتَــعــوا عِــرْضَــنــا
وغــنَّــى بــنــا كــلُّ راعٍ قَــمِــلْ

فــمَــنْ ذا اســتــحــلَّ بــهــذا الــحِــمــى
دمــاءَ الــجــنــيــبــاتِ[3] كــي تــســتــحِــلّ

(1) ينفتل: انفتل على القوم باغتهم من خلفهم.
(2) قحم الخَلا أو قحوم الخلا: وصف بالشجاعة النادرة.
(3) الجنيبات: مفرده جنيبة، وجمعه جنيبات وجنائب، وهي المرأة المزوّجة =

إلـــيـــهـــا بـــكِـــســـوتِـــهـــا يـــا غـــزالُ
ولـــيـــتَ الـــلُّـــحـــى كُـــلُّـــهـــا تَـــنْـــغَـــزِلْ

ســأحــدو إلــى أهــلِــهــا رَخــلَــهــا
أجــئــتَ تُــعَــقِّــدُهــا أم تَــحِــلّ؟

أمَــنْ خــلــفَــهــا خــمــســةٌ واثــنــتــانِ؟
تــلــوذُ ومــا فــي بــنــيــهــا وكِــلْ[1]

فــأوْمــأتَ: قُــمْ يــا أبــي: مــا الــذي
أُقِــلُّ عــلــيــهِ الــلَّــواحــي أقِــلّ

بــكــى عَــرَقــاً حــارقــاً مَــنْ رجــا
مِــنَ الــدَّمــعِ نُــضْــرَتَــهُ يــنْــخــذِلْ

*

وكــنــتَ تــطــولُ أخــي قــامــةً
وتــدعــو أبــي (مَــهْــدَوِيّــاً) جَــدِلْ

تَــرى (مُــزهــبــاً) كــاذبــاً خــائــبــاً
يــعــدُّ انــتــصــاراتِــهِ، إنْ فَــشِــلْ

وتــنــدسُّ مِــنْ تــحــتِ إبــطِ الــغــمــوضِ
إلــى أيِّ طَــيْــفٍ بــهــا يــكْــتَــحِــلْ

إلــى أيِّ نــجــمِ طــهــا وجــهَــهُ
عــلــى وجــهِــهــا وانــثــنــى مُــنْــذَهِــلْ

= برجل من منطقة غير منطقتها، أو غير قريتها، لها حرمة أكثر لأنها أشبه بالضيف، وإن إلحاق الإهانة بها قد يتسبب في حرب بين القريتين أو القبيلتين.

(1) وَكِلْ: الوَكْلِ الذي يكل أموره على غيره، أو الذي بلا تجربة.

وكُنتُ بهذا وهذي أشي
أُطيلُ التَّفاصيلَ أوْ أخْتزِلْ

فتسألُ: مَنْ زارنا قاصِداً
إليها، على غفلةٍ ينتقِلْ؟

فأُبدي على بيتِنا غَيرةً
وتأسى كمُعتَرِفٍ يبتهِلْ

وتهمسُ لمَّا طغى حُسْنُها
نما زائرو (بيتِ عيسى) الخَطِلْ

وتسألُني: أهي تبكي إذا
تغنَّتْ، وإن أخبرتْ تنفَعِلْ؟

تُغنّي فتَىً وتُعيدُ اسْمَهُ
فأعيا، وكي تشتَفي أرتجِلْ

*

أكاشَفْتَ عندي جُموحَ الطُّفورِ
ومَيْلاً إلى تُهمةِ المُعتدِلْ؟

فأهْوَيْتَني[1] وقميصي ذراعٌ
وقلتَ: بأيِّ صحيحِ نُخِلْ؟!

وأخبرتني: أنَّ بِنتَ الضُّحى
تَقُدُّ قميص الدُّجى من قُبُلْ

وقلتَ: اطعَمي سحرَ قدِّ القميصِ
أُحِبُّ الصَّبايا التي تمتثِلْ

---

(1) أهواها وأهوته: جرَّها أو جرَّتهُ إلى الهوى قبل سن العشق.

فقيلَ: (جُعيدُ) بأصْبى البناتِ
يُسلِّي تصابيهِ. نخشى يسِلّ

فقالَ (ابنُ يحيى): دعوا لغوَكُمْ
(جُعيدُ) كقلبِ الغمامِ الهَطِلْ

وقالتْ (لَمَى): مَن رآهُ صبا
إذا زلَّ يوماً فما يستَزِلّ

لِعَمَّتِها البنتُ قالوا، فهَلْ
يداويهِ مجلى (هَنا) أو يُعِلّ

أتُنسيهِ عمَّتُها منْ رَنا
إلى الغُصنِ شمَّ الرَّبيعَ الخَضِلْ

وهاتيكَ أرضٌ ربيعيَّةٌ
هنا يجتني، هاهُنا يَستظِلّ

* * *

وذاتَ مساءٍ رآها تُزَفُّ
إلى بيتِ مَنْ لقَّبوهُ (الوَدِلْ)

أهذي (نقا) يا مصابيحُ، يا
صراصيرُ، يا مُنْحنى، يا سُبُلْ؟

ويبكي ويسري الدُّجى لا يُصيخُ
ولا صِختَ: يا ديكَ (بيتِ العَذِلْ)

أبوكَ صديقُ أبي قبلَنا
أسِلْ دمعةً يا صديقي أسِلْ

وقال (صلاحٌ)، ويُدعى الحكيمُ:
لَهُ حالةٌ تحتها يشمعِلّ

أيذوي كما خِلْتَهُ يا (سلى)
وأغنامُهُ كلَّ يومٍ تَقِلّ

يُخالُ على سفَرٍ حيثُ لا
يُرى مُسْتَعِزّاً ولا مُسْتَذِلّ

ولمَّا خلا الحيُّ مِنكَ انطفا
وشاخَ وليداً صِباءَ الجَذِلْ

وقالتْ (ندى) بنتُ (يَسْعَى)، وما
طوَتْ سبعَها إنْ هوتْ تنتخِلْ

وغنَّوا (جُعيدُ) فتَىً يرتوي
وأين يرى منهلاً ينتهِلْ

❁❁❁

مُناظرة في حوَّامَة العِيد

1992م

إن كُـنْـتَ الـعِـيـدَ، فـأيـنَ الـعِـيـدْ
الـيـومُ الـمـبـتـكـرُ الـغِـرِّيـدْ؟

وصـبـايـا الـلَّـحْـظـاتِ الـمَـلأى
كـربـيـعٍ كـحَّـلَـهُ الـتَّـسـهـيـدْ

الـشَّـمـسُ الـثَّـانـيـةُ الأصـبـى
الـلَّـيـلُ الـجَـعْـدُ بـلا تـجـعـيـدْ

الأفـراحُ الـعُـلـيـا الـلَّاتـي
أعـطـتْ ثـديَـيْـهـا كـأس (هَـبِـيـذْ)

*

يـا عـيـدُ الآنَ مَـضَـتْ عـشْـرٌ
شَـهِـدَتْـكَ مُـعـاداً غـيـرَ مُـعـيـدْ

مُـنْـشَـقّـاً عـمَّـا كُـنـتَ، كـمـا
يـنـشـقُّ مِـنَ الأنـسِ الـتَّـهـديـدْ

مـنـفـيّـاً مِـنْ فَـلَـكِ الـذِّكـرى
مِـنْ أوديـةِ الأحـلامِ شَـريـدْ

مَـنْ يُـفـضـي عـنـكَ؟ أجـئـتَ عـلـى
كـتـفَـيْ وعـدٍ أو ظـهـرِ وَعِـيـدْ؟

أصعَذتَ على قَرْنَيْ فلَقٍ
وعلى قدميْكَ سقطتَ جَهيدْ؟

ككتابٍ وافى مطبعةً
يلِجُ الميلادَ فعادَ شهيدْ

وكحُبلى تخرجُ مِنْ فَمِها
ويحلُّ عباءَتها عِربيدْ

كـ (حُسينٍ) ثانٍ يحملُهُ
رمحٌ أخفى مِنْ رُمحِ (يزيدْ)

* * *

مَنْ يُنبي عنكَ؟ أُحِسُّ يدي
تجتاحُ إلى الوَرْدِ التَّوريدْ

أشلاءُ العامِ عليكَ كما
يقعُ الرِّعديدُ على الرِّعديدْ

الرَّأسُ على اللَّوحيْنِ، على
قِطَعِ السَّاقَيْنِ شَظايا الجيدْ

وبرغمِ مآتِمِكَ الشَّتَّى
ستُرى عِيداً حَسْبَ التَّقليدْ

فستُخيِيكَ الطَّلقاتُ كما
عَهِدَتْ، ويقالُ رجعتَ حَميدْ

وتُحِسُّ بيوتَ الشَّعبِ كما
كانت خَرْبى والقَصْرُ مَشيدْ

والنَّفطُ لقبرٍ مملكةٌ
وعلى أهليهِ دَمٌ وحَديذ

*

وتهانينا لجلالَتِكُمْ
لفخامتِكُمْ والعمرُ مديذ
ولأُمَّتِكُمْ بقيادتِكُمْ
آتٍ إن شاء اللهُ رَغيذ
وسيبتاعُ السُّوقَ الأثرى
ويُرَدُّ خَفيفُ الجيبِ طَريذ
وتُعينُ المُطْفِلَةَ الأُخرى
وتُعَزِّي الثُّكْلى أُمَّ قَعيذ
كانَ المرحومُ يَحِلُّ إذا
عَظُمَتْ أو يستَبِقُ التَّعقيذ
كالبرقِ يُمنِّي ثُمَّ يَفي
ويُريدُ ويدري كيفَ يُريذ
وتجرُّ المُبْكِيةُ الأبكى
والسُّوقُ أصمُّ عنِ التَّنهيذ
ويقولُ الإلْفُ لصاحبِهِ
أضْبحنا لا نسوى التَّبديذ
انظُرْ سقَطَتْ مِنها مِئةٌ
مَرَّتْ ما افتَقَدَتْ أيَّ فقيذ

* * *

يا سوقَ (علي عبد المغني)
تبدو مثلي، بل عبدَ عَبِيدْ
هذا البنكُ الأُمِّي سلْهُ
هلْ يدري القَصْدَ مِنَ التَّقصيدْ؟
حسْبَ التَّوجيهاتِ الأعلى
لا فيكَ ولا فيهنَّ رَشيدْ
وعلى الأغنى مِنهُ يسخو
لا تعليماتُ ولا تَشْديدْ
غذَّوْا بـ(خُزيمةَ) نشأتَهُ
فامتدَّ بليداً فوقَ بليدْ
ومرورُ النِّفطِ بهِ أوحى
أنْ يعتبرَ الإفلاس رَصِيدْ
هذا والقصرُ هُناكَ هُنا
أسواقٌ تبتاعُ التَّأييدْ
ينوي تحديدَ السِّعرِ غداً
ولهُ أن يخترقَ التَّحديدْ
فيعِزُّ (القاتُ) على الأشعى
والقُوتُ عنِ العانينَ يَحيدْ
ويُسمِّي اللاَّغونَ الأَطْغى
والأغنى الميمونَ الصِّنديدْ

ويُسمّي القَوّادُ الجَرَبا
المسلولاتِ أبَضَّ الغيدْ

لا أنتَ العيدُ ولا بيدي
إلاّ خبزٌ وفُتاتُ نشيدْ

في قلبي أغنيةٌ أخرى
- قُلْها صَمتاً إن كُنتَ مُجيدْ

أُخْصِرتُ أعِزني قافيةً
فوقي أقفيةٌ مِنْ قِرميدْ

مَنْ أفرَدَني عن قافِلَتي؟
عن سربِ ذويكَ رَماكَ وَحيدْ

مَنْ ذا تستهدي؟ ما أشقى
مردوداً يستهديهِ رَديدْ

مَنْ ذا يُعطيكَ فتُعطيني؟
مَنْ أستعطيهِ يُريدُ مَزيدْ

أرجو قِرشاً يُعطي كرشاً
ما دمتَ تُرجّي أنتَ سعيدْ

أسعيدٌ يستسقي حجراً
ويبوحُ إلى أشباحِ البيدْ

* * *

عفواً. هلْ أنتَ العيدُ، كما
وصفوا أو أنتَ لذاكَ حَفيدْ؟!

أعَـــلـــى زَنْـــدَيْ قـــمـــرٍ تـــأتـــي
وتـــعـــودُ عـــلـــى صـــنـــدوقِ بـــريـــدْ؟
أرأيـــتَ عـــلـــى الـــتُّـــغْـــمـــى (ســبـــأ)
وعـــرفـــتَ لـــمـــاذا بـــاتَ بَـــديـــدْ؟
مـــا كـــان أكـــيـــداً ذاكَ ولا
تـــبـــدو لـــي أنـــتَ الآنَ أكـــيـــدْ
أحَـــمَـــلْـــت عـــن (الـــحـــمـــدي) خَـــبـــراً
وكـــتـــابـــاً عـــن تـــاريـــخِ (أشـــيـــدْ)
أوَمـــا شـــمَّـــيـــتَ (عُـــصَـــيْـــفـــرةَ)
وعـــبـــرتَ إلـــى (شـــمـــســـانَ) (زبـــيـــدْ)
حـــربُ (الـــصُّـــومـــالِ) أُطْـــفـــتَ بـــهـــا
عـــن (مـــهـــدي) قـــالـــوا عـــن (عـــيـــديـــدْ)؟
خـــبـــرُ (الأفـــغـــانِ) لَـــهُ خـــبـــرٌ
أخـــبـــارُ (الـــصِّـــرْبِ) لـــهـــا تـــأكـــيـــدْ

*

هـــل بـــثَّـــتْ عـــن (بـــكـــرٍ) (صـــنـــعـــا)
أو أفـــضَـــتْ عـــن (لـــوركـــا) (مـــدريـــدْ)؟[1]

---

(1) بكر: هو الشاعر بكر بن مرداس الصنعاني من شعراء القرن الثامن عَشَر الميلادي، كان خامل الذكر في اليمن في حين كان سائر الشعر في عواصم الثقافة. روي أن جماعة من اليمنيين الحُجّاج رأت الناس يتحلقون على رجلٍ، فسأل أحدهم عن ذلك الرجل، فقيل له: إنه الشاعر الحسن بن هاني (أبو نواس) فتقدّم إليه اليمنيون مستنشدين فقال: مِمّن القوم؟ قالوا من اليمن، فقال أتستنشدونني وفيكم بكر بن مرداس الذي يقول:

يـــا إخـــوتـــي إن الـــطـــبـــيـــب الـــذي
تـــرجـــون أنْ يـــشـــفـــيَـــنـــي مُـــسْـــقِـــمـــي =

أَأَنــــا صِـــحَـــفـــيٌّ دهـــريٌّ؟
أبـــكُـــلِّ خـــريـــفٍ أنـــتَ وَلـــيـــدْ؟

لا مِـــنْ خـــلـــفـــي أقـــبـــلْـــتُ إلـــى
قُـــدَّامـــي، لا حـــوَّمـــتُ بـــعـــيـــدْ

الـــيـــومُ اســـتـــثـــنـــى رحـــلَـــتَـــهُ
ورحـــلـــتُ فـــريـــداً غـــيـــر فَـــريـــدْ

فـــلـــمـــاذا جِـــئـــتَ الأمـــس فـــتَـــىً
والـــيـــومَ عـــلـــى عُـــكَّـــازِ (لَـــبـــيـــدْ)

أيـــشـــيـــخُ الـــعـــيـــدُ؟ وكـــيـــفَ صـــبـــا؟
إنْ كـــانَ يـــشـــيـــخُ فـــكـــيـــف يَـــبـــيـــدْ؟

كـــلُّ الأعـــيـــادِ أتَـــتْ يـــومـــاً
ومـــضَـــتْ وأتـــى عـــنـــهـــا الـــتَّـــعـــيـــيـــدْ

والـــعـــيـــدُ الـــوطـــنـــي هـــل يـــمـــضـــي؟
يـــغـــدو وطـــنـــاً ويـــبـــيـــتُ (عـــقـــيـــدْ)

مـــا كـــانَ يـــظَـــلُّ يـــكـــونُ مـــتـــى
لاقـــيـــتُ أنـــا أو أنـــتَ جَـــديـــدْ

❂ ❂ ❂

= فعجب اليمنيون من عرفان الناس بشاعرهم وجهلهم إيّاه.

لوركا: من شعراء أسبانيا المتفانين في حب الفلاح الأسباني والسعي في رقي مستواه، وقد قتل في الحرب الأسبانية الهوجاء التي جلبت دكتاتورية فرانكو.

الحكيمُ البَلَدي

1993م

لا مَــنْ يُــداويــهِ، ولا مَــنْ قَــتَــلْ
لا ذا ولا هــــذا دنــــا أو رَحَــــلْ

لا لــلــثَّــوانــي الــصُّــفْــرِ، فــصــلٌ يَــلِــي
ولا طــيــوفٌ مِــنْ رمــادِ الــجَــذَلْ

ولا لــوقــعِ الــقَــتْــلِ طــعــمٌ، ومَــنْ
نــجــا قــلــيــلاً يــحــتــسي مــا تــفَــلْ

عــن ثــالــثٍ مــا يــأتــلــي بــاحــثــاً
عــن مُــســتــحــيــلٍ ســوفَ يُــحْــكــى أطَــلّ

وعــن غــمــامٍ لــلــثَّــرى كــلُّــهِ
مــا مــرَّ بــالــظــمــآنِ إلاَّ هَــطَــلْ

وعــن أخٍ أقْــدرَهُ، هــل لَــهُ
أخٌ يُــقَــوِّيــهِ عــلــى مــا حَــمَــلْ؟

* * *

يــا سُــؤْلُ حــتــى الــمــوتُ لَــمَّــا غــدا
سُــؤْلاً أبــى، وافــى الــذي مــا ســأَلْ

إلــى كِــتــابــي عــنــده وصــفــةٌ
أشــفــى، عــلــيــهِ واصــفٌ مُــنــتَــحَــلْ

مَـــنْ ذا دَعـــانـــي؟ قُـــلْ أجـــابَ الـــدُّعـــا
يـــا سُـــؤْلُ لـــبَّـــاكَ الـــحـــكـــيـــمُ الأجَـــلّ

هَـــلْ ذا اسْـــمُـــهُ؟ سـلْ عـنـكَ فـي بـيـتِـهِ
كـيـفَ احـتـفـى إذْ جـئـتَـهُ واحـتـفَـلْ؟

كـــعـــهـــدِهِ مـــا تـــنـــثـــنـــي ثُـــلَّـــةٌ
عـــن ســـاحِـــهِ إلاّ تـــوالـــتْ ثُـــلَـــلْ

هـــاتـــيـــكَ مـــا تـــبـــغـــي؟ ولـــيـــداً بِـــلا
مـــوتٍ، تُـــولِّـــي وَهْـــوَ لَـــمَّـــا يـــزَلْ

قـــالـــتْ: وَلـــيـــدي مـــاتَ فـــي شـــهـــرِهِ
وجَـــدُّ زوجـــي صـــخـــرةٌ فـــوق تَـــلّ

وهـــل لـــه خُـــبْـــرٌ بِـــدَرْءِ الـــرَّدى؟
قـــالـــتْ: تَـــلا يـــومـــاً فـــأحـــيـــا الـــجَـــمَـــلْ

سَـــلْ هـــذه الألـــواحَ عـــمَّـــا اخـــتـــفـــى:
كـــم دبَّ فـــي الـــتـــاريـــخ حـــتـــى وَصَـــلْ؟

الـــشُّـــهْـــبُ فـــي يُـــسْـــراهُ كُـــرَّاســـةٌ
والـــبـــحـــرُ فـــي يُـــمْـــنـــاهُ إحـــدى الـــقُـــلَـــلْ

إنْ قـــاس ضـــغـــطَ الـــلَّـــيـــلِ نَـــحَّـــاهُ عَـــنْ
لـــيـــلـــيْـــنِ. ذا يَـــهْـــذي وهـــذا سَـــعَـــلْ

أضْـــبـــى إلـــى الأخـــفـــى، وأسْـــرَى إلـــى
أقْـــصـــى الـــتَّـــنـــاهـــي، بَـــلْ إلـــى لا مَـــحَـــلّ

يُصغي بلا سمّاعةٍ كي يعي
معنى التّشاكي، سِرَّ خطفِ القُبَلْ

شوقَ الرَّوابي لو سرَتْ أنجماً
توقَ الحصى لو طار مثلَ (الحجَلْ)

يجسُّ نبضَ البرقِ، حَدْس الذي
يأتي وفَحْوى ما أجاد الأُوَلْ

* * *

إليكَ مِنْ أُمّ النّدى (صعتراً)
ومثلَهُ (يَزنى) وكأساً عَسلْ

ومَدَّ (إسْطِزلابَهُ) كالّذي
يتلو كتاباً علَّهُ ما نَزَلْ

هاكَ (الذُّفَيْرا) ينبغي طَبْخُها
بالـ (هَيْلِ) واشْرَبْ كلَّ يومٍ أقَلّ

أكلْتُها نيّاً وطبخاً، وكَمْ
قبلي حَسا هذا ومِثلي أكَلْ

في غورِ عينيْكَ اعتراضٌ على
عجزِ المُداوي واقتدارِ العِلَلْ

أكُلُّ موتيٌّ سريعٌ إلى
مَرْماهُ، والمنشودُ يحبو المَهَلْ

* * *

«إنْ كُنتَ داويتَ الهوى بالهوى»
سَقِّ الخليلي بعضَ خَلِّ الزَّجَلْ

فِقْهُ التَّرَجِّي مِنْ حروفِ فَخُذْ
عسى بكوراً وعشيّاً لعَلّ

عاقِرْ عَصِير النَّوم بعد العَشا
واستشرحِ النَّومَ غموض المُقَلْ

لأنَّ رُؤيا النَّومِ غيبٌ يلي
غيباً، سواقيهِ حريقُ الغُلَلْ

وإنْ أرِقْتَ اللَّيلَ فارجعْ إلى
أنتَ صبيّاً لا تراهُ اكتهَلْ

ينشقُّ نصفينِ وثلثينِ، لا
يدري لماذا انشقَّ؟ أينَ اتَّصلْ؟

كيف استحالَ المُنحنى زورقاً
يجتازُ بحراً. كانَ مَثْوى طلَلْ؟

ماذا يُدَوِّي؟ طَلْقَةٌ، عاصِفٌ
تَنَهَّدَتْ مقبرةٌ مِنْ وَجَلْ؟

مَنْ ذا يُشَظِّي دورةً إذْ أبَتْ
ساعاتِها. فالكُلُّ شاةٌ، حَمَلْ

وكي تَرُدَّ العينَ عنكَ اجتنبْ
إهراقَ بعضِ الكُحْلِ فوقَ الكَحَلْ

واختزْ جِزاماً مِنْ جُلودِ الظُّبا
لَوِّنْ حواشيهِ بلونِ البَصَلْ

وذُرَّ فوقَ الجمرِ هذا إذا
ولَّى (سهيلٌ) أو تَبدَّى (زُحَلْ)

كيفَ تَراكَ اليومَ يا (مُرتَضَى)
أقوى فماً مِنْ ظامئاتِ الأَسَلْ

أُريدُ آتي الدَّهرِ مِنْ خلفِهِ
أُعيدُ ذاكَ المُنتهى مُسْتَهَلّ

أغزو كـ(ذي القرنَيْنِ) أرضاً بِلا
أهلٍ، وأحدو أنجُماً مِنْ حَوَلْ

قُلْ: أيُّ مُستشفى شفى واحداً؟
وأيُّنا أدرى بماذا اشتغلْ؟!

يا سادةَ الدَّالاتِ هَلْ خِلْتُمو
عرفانَ سِرِّ السِّرِّ فَنَّ الدَّجَلْ؟

لو أنَّكُم أجدى وأشفى يداً
لما امتطى الوجعى إلينا العَجَلْ

تلكَ التي تَدْعُونَها حُقْنَةً
مكوَىً صغيرٌ جَمْرُهُ ما اشتَعَلْ

لا نحنُ، لا أنتُمْ كما ينبغي
فأيُّنا أغبى وأذكى حِيَلْ؟

أمَّا المهاراتُ التي ما أتَتْ
فنَدَّعي حتى يَمَلَّ المَلَلْ

فــي كــلِّ شــيءٍ خـلــلٌ صـايـخٌ:
مَــنْ ذا هُـنـا يـجْـتَـثُّ أصـلَ الـخَـلَـلْ؟

نـفـخـتَ يـا دكـتـورُ (صُـوْرَ) الـمُـنـى
أجَّـجْـتَ خَـفْـقـاً لا انـجـلـى، لا أفَـلْ

* * *

أمـسـى وأضـحـى بـيـتُـهُـمْ، بـيـتُـنـا
أمـسـى وأمـسـى. ذاكَ جِـدُّ الـهَـزلْ

مَـنْ ذا رأى مِـنْ أيـنَ وافـى؟ مـتـى
وافـى؟ عـلـى مَـنْ حـيـن طـالَ اتَّـكَـلْ؟

قـيـلَ: طَـوى الـمـعـتـقـلَ الـمُـزدَري
ثُـمَّ انـطـوى فـي قـلـبِـهِ الـمُـعـتَـقَـلْ

هـلْ يـشـتـري (مـيـمـونُ) عـن شـعـبِـهِ
أذكـى؟ أيـطـهـو ثـانـيـاً مُـرتَـجَـلْ؟

(مـيـمـونُ) مـاذا تَـنْـتـوي قـبـلَ أنْ
تـخـتـارَ ذا أو ذاكَ، قُـلْ مـا الـعَـمَـلْ؟

أوغَـلْـتَ بُـعـداً يـا (حـكـيـمُ) الـتـفِـتْ
ألَـسْـتَ مِـنْ هـذا الـقـطـيـعِ الأشَـلّ؟

مـا فـيـكَ شـيـطـانٌ. يـقـولـونَ بـي
قُـبـيْـلَ أسـبـوعـيْـنِ عـنـكَ انـتـقَـلْ

لـسـتَ الـذي أخـرجـتَ شـيـطـانَـهُ
لأنَّ شـيـطـانـي عـوى إذ دَخَـلْ

أقولُ ما بي، يا حكيمُ اقتربْ
وقُلْ، فما عند المُداوي خَجَلْ

دَخلْتُ مُستَشْفَى (سبا) مُدَّةً
فمتُّ عِشقاً بينَ (هَيْلا) و(هَلْ)

هذي شَوَتْني في قميصي، وذي
بين مُحيَّاها وقلبي جَدَلْ

وقيلَ لي: هذي (خُمينِيَّةٌ)
وتلكَ فُضحى مِنْ عروضِ (الرَّمَلْ)

هذي كما قالوا (شُيوعيَّةٌ)
وتلك حزبٌ، وحدها مِنْ أمَلْ

في قلبِ تلكَ (اليَمُنُ) المُدَّعي
هذي مرايا (اليمنِ) المُحتَمَلْ

* *

افتَحْ كتاب الحُبِّ، قُلْ لي متى
أراهما في قبضتي؟ لا تسلْ

إنَّ كِتاب الحُبِّ لا يَصْطَفي
للعشقِ إلاَّشاعراً أو بَطَلْ

وأنتَ مَنْ تُدعى؟ نبيّاً بِلا
قومٍ، وإعجازي سقوطُ الدُّوَلْ

فإنْ نَفَى دعواكَ فاهمِسْ لَهُ
يبدو نبيّاً، وَجْهُهُ ما اكْتَملْ

وَدُسَّ هـذا الـرَّقْـمَ فـي جـيـبِـهِ
وعُـذْ بـضـعـفـيْـهِ. أشْـمُ الـفَـشَـلْ

تـعـالَ يـومَ الـسَّـبـتِ أو بَـعْـدَهُ
غـداً.. ومَـنْ يـرشـو أمـيـرَ الـكَـسَـلْ؟

صَـدَقْـتَ (فـرضَ الـفـتـحِ) أخَّـرْتَـهُ
إلـيـكَ هـذا الـمـبـلـغَ الـمُـخـتَـزلْ

صـارَ الـغـدُ الـيـومَ، ويـبـقـى غـدٌ
يُـرجـى ويُـخـشـى مـنـذُ فـجـرِ الأزَلْ

* * *

إلـيـكَ هـذا، مـا تـبـقَّـى يـلـي
فـفـيـكَ شـاهـدتُ الـضـيـاءَ الأذَلّ

لـو قـالَ مِـمَّـنْ أنـتَ؟ قُـلْ والـدي
ذو الـحـصـنِ، أخـوالـي وعـولُ الـجَـبَـلْ

لـو قـالَ مـا اسْـمُ الأُمّ؟ سَـلْ أُمَّـهـا
بَـحَّـارةٌ مـا نـالَ مِـنـهـا الـبـلَـلْ

اطـرَحْ هُـنـا خـمـسـيـنَ ألـفـاً وغِـبْ
يـومـيْـنِ واحْـضَـرْ كـي نـرى مـا فَـعَـلْ

مـاذا تـراهُ صـانِـعـاً؟ رُبَّـمـا
ألْـهَـى (الـثُّـريَّـا) بـالـثَّـرى واعـتـدَلْ

أتـيـتُ فـي الـمـيـعـادِ.. مـاذا ارتـأى؟
رأى مـكـانَ الـرَّأسِ عَـرْشَ (الـكَـفَـلْ)

العالمُ المقلوبُ ما خالَهُ
ـ كما تَبدَّى اليومَ وَحْلَ الوَحَلْ

أبديتُ فيما أنت. قال انتقى
هذا النبيُّ الخامَ. أينَ اغتسلْ؟

ماذا؟ أيَلْهو باثنتيْن، ارتجى
هُما مَعاً. هلْ مِثْلُ هذا حَصلْ؟

* *

قُلْ كلُّ بابِ ضاعَ مِفتاحُهُ
أتاحَ للنَّجَّارِ صُنعَ البدَلْ

ماذا تُبوِّبي؟ هاتِ ألفيْنِ، خُذْ
نُولي عن الرقميْنِ رقماً (دبلْ)

غداً أوِ اليومَ ابتهِجْ واحتفِلْ
بالنَّصرِ، والبسْ جُبَّةً مِنْ غَزَلْ

واخرُجْ مِنَ البابِ المُوارى وخُذْ
عِقْداً وفُصّاً مِنْ جحيمِ القُبلْ

❁❁❁

عرّافُ المغارَتَين

1993م

انــتـخِــبْ مَــنْ شِــئْــتَ أو لا تــنــتــخِــبْ
مــا الــذي تُــعــطــي؟ ومــاذا تَــكْــتَــسِــبْ؟

مَــنْ جَــلا مَــنْ يُــرتَــجــى حــتــى اخــتــفــى؟
والــذي لــم يَــنــسَــحِــبْ كــالــمُــنْــسَــحِــبْ

صَــوتُــكَ الأرخَــصُ مِــنْ بَــيْــضِ الــذُّبــا
يــنــتــقــي أوهــى مِــن (الــبَــكْــرِ) الــجــرِبْ[1]

جِــزَمُ الــعُــمْــلاتِ مــا أقــتــلَــهــا
قَــبْــلَ أن يــدعُــوَنــي قــالَــتْ: أجِــبْ

عَــرفَــتْ قــبــلــي سُــقــوطــي وأنــا
أَدْنــي مِــنْ مَــيــتــةٍ كــي أحــتــلِــبْ

يــا الــتــي. بُــولــي عــلــى رأسِ الــذي
مِــنــكِ أدنــانــي ولــي بــيــتٌ سغِــبْ[2]

* * *

عــبــثــاً تُــعــطــي وتَــســتَــغْــطــي أخــاً
وعــلــى رأسَــيْــكُــمــا مَــنْ يــنــتــهِــبْ

---

(1) البكر: ذكر الإبل الفتيّ القويّ.

(2) البيت السغب: كثير الأفواه قليل الرزق، والسغب طول المجاعة.

مــنْ يُـسـمّـي (مـارِبـاً) بـسـتـانَـهُ
ويــرى زوجَـتَـهُ أُمّ (كَـرِبْ)؟

فـي الـزّمـانِ الـخـلـوِ مِـنْ مـعـنـاهُ، لا
يـبـغُـضُ الـبُـغـضُ ولا الـحُـبُّ يُـحِـبّ

لا تُـسـلّـي عـادةُ الـتّـلـفـازِ، لا
يُـسْـكِـرُ الـسُّـكْـرُ ولا الـطـبُّ يُـطِـبّ

يـلـبـسُ الـخِـرّيـجُ أُمّـيّـتَـهُ
كـالـعـجـوزِ الـهِـمِّ، فـي الـطـفـلِ يـشِـبّ[1]

* * *

الـحـصـى والـشُّـهْـبُ سِـيّـانِ، فـلا
هـذه تَـسـري ولا تـلـكَ تَـدِبّ

الـبـسـاتـيـنُ ـ الـفـيـافـي واحـدٌ
عَـنْـهُ يَـسْـتَـفْـتـي وفـيـهِ يَـغْـتَـرِبْ

الـدّوالـي والـسّـواقـي والـرُّبـا
مِـثْـلَـمـا يَـنْـهَـزِمُ الـجـيـشُ الـلَّـجِـبْ[2]

كـيـفَ يـا عـرّافُ أجـتـازُ إلـى
حُـلْـمِ قَـصْـدي صـخـرةَ الـوضـعِ الـكَـلِـبْ؟

---

(1) العجوز الهِمُّ: كثير الأنين والهمهمة لشدة وهنه، ولا يسمى هِمّاً إلا كثير الهمهمة والأنين.

(2) اللجب: العدد الأكثر والصفوف الطويلة المتلاحقة، وهزيمة هذا العدد أشنع الهزائم.

هذه الصَّخرةُ أقوى، تَدَّعي
هاكَ مِنْ أنيابِها النَّاب الذَّرِبْ

جثتُها مِنْ صَوْتِها ما شَعُرتْ
هل يُغَنِّي فَمُها أو يَختَطِبْ!

كيفَ طالتْ رُكبتاها رأسَها
صار ذا قرنينِ. مَنْ ذا يقترِبْ؟

ونَفَذْتُ الآنَ مِنْ أحنائِها
حاملاً سِرّاً عليهِ تَنتَقِبْ

أقْدَرَتْها فلتةٌ أن تشتري
بالحِمى أمراً عليهِ مُستَتِبْ

ربما اختلَّتْ قليلاً، إنها
مِنْ جدارٍ خربٍ فوقَ خربْ

هل تُسمِّي رَعْشَها رقصاً؟ أما
ذاكَ أحلى في فمي مِنْ تَضطَرِبْ؟

أيُّ تَلٍّ ما نفى نِسْبتَها
هلْ تراها ربعَ سفحٍ منتسبْ؟

إنَّها كانتْ حَصَاةً مِنْ دَم
فَنَمَتْ ثمَّ نَمَتْ، كي تَنشَعِبْ

لا أرى فيها انشِعاباً، بَلْ ولا
أيَّ شرخٍ. قُلْ لماذا تَضطَخِبْ؟

لـيـسَ بـالـتَّـصـويـتِ يَـنْـعـاهـا اسْـمُـهـا
بَـلْ عـلـى مـا فـاتَ مِـنْـهـا تَـنْـتَـحِـبْ

لا يَـعـي الـوضـعُ تـداعـيـهِ، كـمـا
لا تـقـولُ الـرِّيـحُ مِـنْ أيـنَ تَـهُـبْ

* * *

كـلُّ مـا يُـدْعـى انـتـخـابـاً خـدعـةٌ
تَـضَـعُ الـمَـسْـلـوب مـرقـى الـمُـسـتـلِـبْ

والـتـي تُـدْعـى دِمُـقـراطِـيَّـةً
بـاسْـمِـهـا يَـخْـمَـرُ، يَـضْـفَـرُ الـكَـذِبْ

خـانـتِ الألـوانُ، يـا (مـيـمـونُ) مـا
كـنـتَ لـونـيّـاً.. تـجـاوزْتَ الـلَّـعِـبْ

قـال (بَـدًّا) انـظُـرِ الـمـبـنـى وسِـرْ
وأَذِبْ عـيـنـيْـكَ فـي الـمـعـنـى. أذِبْ

هـل تُـشـاكـي عـائـداً أو آتـيـاً؟
سـوفَ يـجـري مـا جـرى أو يـنـسـكِـبْ

مـا الـذي يـنـصَـبُّ؟ هـل فـيـهِ دمٌ
فـرَّ مِـنْ أعـوادِهِ الـمـاءُ الـشَّـرِبْ

قُـلْ يُـشَـظِّـي قـدمـيْـهِ، وإلـى
أنـفِـهِ مِـنْ أخـمـصَـيْـهِ يَـلْـتَـهِـبْ

يـحـتـذي أسـفـلُـهُ ذُروَتَـهُ
وعـلـيـهِ مِـنْـهُ يَـذمـى ويـثِـبْ

لَوْ لَهُ رأيٌ لَبشَّرْتُ، ارتأى
قبلَ أن يفنى عليهِ ينقلِبْ

هل سيفنى ويليهِ عَكْسُهُ؟
رُبَّما يمتدُّ أطغى في العَقِبْ

وبذا يزدادُ طولاً فوقَ ما
زادَ. يا تطويلُ مَنْ ذا يقتضِبْ

فعلى ماذا افترقنا؟ وعلى
ما التقينا؟ أكِلانا لَمْ يُصِبْ؟

قُلْ لكي تقوى على حربِ العِدا
تنبري مِنَّا، علينا نحترِبْ

كيفَ تحيا جُرأةُ الحَيِّ إذا
لم يُغالِبْ ضارباً أو مُنضَرِبْ

* *

ما اسْمُ مَنْ اخترتَ؟ مرَّ الشهرُ ما
لاحَ مختارٌ. ومَنْ ذا ترتَقِبْ؟

مَنْ يُنحّي خَلْفَهُ ما يشتهي
غائباً عن كُلِّهِ، فيما يجِبْ

فإذا استعصى فيكفي (يَخصُباً)
أنْ يرى في حبلِهِ مَنْ يَحتَطِبْ

مَنْ يُنادي يا ابْنَ (ميسونَ) انْتَسِبْ؟
ـ عمُّ أُمِّي خالُ (عبدِ المُطَّلِبْ)

مَنْ يَعي؟ عَنْ رعدِ (همدانَ) إلى
حلقِ (إرياطَ) انتحى سيلُ (العَلِبْ)![1]

عُذ على لوحَيْكَ مسحوباً كما
جِئتَ محمولاً على مَنْ تَضطَجِبْ

هذه دائرةٌ مثلُ التي.
هذه الأُخرى تُرجِّي، تَكْتَئِبْ

تلكَ أخْوَى ويُدلِّي حُزنُها
مُقلتَيْهِ في مُحيَّاها التَّرِبْ

قالَ جوَّالٌ: رأتْ ديَّارَها
يشتري فوجاً، وفوجاً يَغتَصِبْ

ردَّ صوتٌ: لا تَزُرْ دائرةً
ما الذي يُجدي؟ إلى الدَّارِ انجذِبْ

عُدْتُ مِنها وجيوبي مصرِفٌ
والتي أوهَتْ يدي كم تَختَقِبْ

مَنَحَتْني دارَهُ مثلَ الذي
عندهُ دارٌ لها بابٌ طَنِبْ[2]

---

(1) إرياط: أحد الغُزاة الرومانيين الذي اكتسح اليمن من شمالها وارتد كسيراً.
سيل العَلِب: أو سيول الخريف، وهو أقوى السيول اندفاعاً، وعلى هذا القول الشعبي: سيل العلب تُربة بتُربة تقتلبْ.

(2) طنِب: الدار التي أبوابها ونوافذها من خشب الطنب وهو أغلى الأخشاب، والتبويب به دليل الجاه والثروة.

اغـطِـهـا صَـوتـاً فـتُـعـطـى مَـبْـلـغـاً
بـحـوالـى نـصـفِـهِ تـبـتـاعُ (إبْ)

* * *

كـلُّ مـا تـقـوى بـه لا يُـشـتـرى
مَـنْ يـحـوكُ الـفـهـمَ؟ مَـنْ ذا يـجـتـلِـبْ؟

أيـنَ سـوقُ الـحَـذْسِ؟ تـشـري سَـلَّـةً
ذاتَ لـمـحٍ يـجـتـلـي مـا يـحـتـجِـبْ

مُـنـتـهـى مـا يـنـبـغـي تـفـعَـلُـهُ
مـحـتـوى مـا يـنـبـغـي أن تَـجْـتَـنِـبْ

هـل لـهـا رأيٌ يُـريـهـا الـمـبـتـدا؟
وإلـى أيِّ الـمـنـاحـي تـشـرَئِـبّ؟

مَـنْ يَـقـي (مـيـمـونَ) مِـنْ (مـيـمـونَ)، يـا
(ذي جَـدَنْ)، يـا حـصـنَ (صـرواحَ) الأشِـبْ[1]

هـانَ ذبُّ الـمُـعـتَـدي والـمُـنـتَـوي
مَـنْ يَـذُبُّ الـشَّـعـبَ مِـنـهُ؟ مَـنْ يَـذُبّ

❁ ❁ ❁

(1) الأشِب: الحِصن العالي المُسوَّر.

مرقسيَّاتُ النِّفطِ اليماني

فبراير 1992م

تنويه:

الأولى

تردَّدَتْ من منتصف الثلاثينيات إلى آخر الأربعينيات إشاعتان: طفو الكاز على سطح الأرض في بعض مناطق اليمن، وأن الناس يغترفونه سرّاً لإضاءة مصابيحهم، وعندما كان التُجار يسألون أهل منطقة طارت منها الإشاعة أفادوا بأنهم سمعوا وما رأوا، ومثلها المناطق الأخرى، إلا أن الإشاعة ظلت تتردد رغم انعدام أصلها.

والأخرى عن ليالي القرود، أي (صيد الجراد)، بأن كل ليلة من تلك الليالي إباحية بين الجنسين.

وقد وردت في القصيدة مفردات من شعر امرئ القيس يدل عليها التقويس، كما يدل على الأعلام الإنسانية والمكانية.

يـــقـــالُ: قُـــبـــيْـــلَ خِـــتـــانِ (الإمـــامْ)
رَأَوْكَ عـــيـــانـــاً ورؤيـــا مَـــنـــامْ

وقـــال الأُلـــى ســـمـــعـــوا: شـــاهـــدوكَ
بـ(نـيـعـانَ) لـيـلاً، ضُـحَـىً فـي (شِـبـامْ)

وقـــال الأُلـــى شـــاهـــدوا: مـــا رَأَوْا
مُـــحَـــيَّـــاكَ، لـــكِـــنْ رووْا عـــن (حَـــذامْ)[1]

---

(1) حذام: اسم امرأة صار اسمها مثلاً على صدق الخبر فقيل: القول ما قالت حذام. وهي من الأسماء المبنية على الكسر.

وقيلَ: أضاءتَ الدُّجى فاهتدى
إلى حصنِ (كحلانَ) مَنْ في (عَرامْ)

وكنتَ تفسِّرُ غيبَ المنى
وتغدو الهُوينا وتسري اقتحامْ

وكانَ عليكَ اصفرارُ النُّضارِ
بياضُ الصَّلاةِ، اسودادُ الغَمامْ

ووَرْدِيَّةُ التُّينِ تحتَ النَّدى
ووَرسِيَّةُ الطِّفلِ بعدَ الفِطامْ

وقيلَ: بلا أيِّ لونٍ، وقيلَ.
لَهُ حُمْرَةٌ كاحتراقِ الظَّلامْ

وذو لَثغَةٍ ما لغاها صبيٌّ
وشيخوخةٌ غيرُ شيبِ الأنامْ

يكِرُّ ويعيا، فيبدو كَمَنْ
أتى وحدَهُ الآنَ من عهدِ (سامْ)

لَهُ مِنْ قروحِ (امرئ القَيسِ) ثوبٌ
وكوفيَّةٌ مِنْ غيومِ (الشَّآمْ)

بأردانِهِ طيفُ (سِقْطِ اللِّوى)
ومِنْ شِعبِ (دَمُّونَ) عَرْفُ (البشامْ)[1]

لِأهدابِهِ خفقُ عصفورةٍ
رأتْ رازِقيّاً بوادي (رِجامْ)

* * *

---

(١) البَشام: شجر الأراك الذي تتخذ منه المساويك.

وأوّلُ مَنْ كاشَفَتْهُ عجوزٌ:
بماذا تُبشِّرُنا يا (عصامْ)؟[1]

تُوالي الزِّياراتِ ليلاً وما
تُلِمُّ بِنا الصُّبحَ إلا لِمامْ

ـ تَمزقَتْ ضوءاً، ودِفئاً لَكُمْ
فهَلْ ذاب تِبْراً قُبيلي هُمامْ؟

وقيلَ: خيالاتُ بؤسٍ هَوتْ
ورؤيا جراحٍ تُريدُ التئامْ

وقيلَ: يشُقُّ التَّضاريس مِنْ
حَشاها، ويعُلنُ بدءَ القيامْ

مِنَ القَعْرِ يرقى، عليهِ لِثامٌ
فينْشَقُّ نجمينِ ذاكَ اللِّثامْ

ويَمْتَدُّ كالجدولِ المُلتوي
إلى الخلفِ، وَهْو يؤمُّ الأَمامْ

على نبضِ عينيْهِ يحبو المساءُ
كحِسِّ العَذارى ببدءِ الغرامْ

ويطفو على منكِبيهِ كما
على مرشفِ الكأسِ تطفو المُدامْ

*

(1) عصام: صار مثلاً للتبشير بالخير أو الشر وذلك لقول النابغة في عصام حاجب النعمان بن المنذر:

لعمرك ما أسِفت على دخولٍ
ولكن ما وراءك يا عصامُ؟

أمِـــنْ (قـــاعِ شِـــرعـــةَ) أومـــأْتَ أمْ
تـصـاعـدْتَ مِـنْ شـرقِ (غَـيْـلِ الـسَّـنـامْ)

أفـاجـأتَ (صَـعْـفـانَ) بـعـدَ الـعَـشـاءِ
وأخـبَـرتَ (ضـورانَ) قـبـلَ (الـحِـيـامْ)

أأبـــرقْـــتَ مِـــنْ (قـــاعِ ذي مـــاجـــدٍ)
فـــدَلَّ الـــبـــريـــقُ عـــلـــيـــكَ الأُوامْ

وعـنـكَ حـكـى سِـفْـرُ (خَـوْلانَ) جِـيـمـاً
فـزادَتْ (ذمـارٌ) عـلـى الـجـيـمِ لامْ

فـأوصـى الـفـقـيـهُ الـلَّـواتـي إلـى
سـواقـيـكَ يَـسْـرِيـنَ بـالاحـتـشـامْ

وألاَّ يُـقَـطْـقِـطْـنَ مـثـلَ الـقَـطـا
وأن يَـجْـتَـنِـبْـنَ احـتـكـاكَ الـزِّحـامْ

فـبـاحَ بـمَـنْ ضـاعَ فـانـوسُـهُ
بـمَـنْ خَـلَّـفَـتْ فـي الـمـغـارِ الـحِـزامْ

بـمُـثْـرٍ سـرى راكـبـاً وانـثـنـى
كـلـيـلاً بـكـفَّـيْـهِ ربـعُ الـخِـطـامْ

بـمَـنْ عـرَّجَـتْ والـتـوى فـارتَـدَتْ
جُـذَيْـعـاً رأوْهُ انـحـنـى واسـتـقـامْ

* * *

(قـفـا نَـبْـكِ أو نَـخْـكِ، لا مـنـزلٌ)
تـخـيَّـمَ، كُـلُّ قَـطـامِ قـطـامْ

الــي خــبــرٌ كَــعــشــايــا (الــقَــرودِ)
أوِزدي كــيــومِ انــقــضــاءِ الــصِّــيــامْ؟

بــذا بــشْــرِ الــرَّايــحَ الــمُــغــتــدي
ومَــنْ عــادَ أفــضــى إلــى مَــنْ أقــامْ

وأخــبــرَ عــنــكَ الــرَّداعــي (تَــعِــزّاً)
فــقــالــتْ: بــ(صــنــعــا) يُــبــاعُ الــكَــلامْ

فــقــالَ: رأتْــهُ (يــريــمــيَّــةٌ)
يُــزاقــي مــســافــرةَ مِــنْ (مَــرامْ)

وقــالــت: إذا ارتــاعَ فــيــه اخــتــفــى..
ثــوانٍ، ولاحَ كــإحــدى الأكــامْ

وبــالأمــسِ جــامَ الأواعــي هُــنــا
هُــنــاكَ ســقــى الــرِّيــحَ مــلــيــونَ جــامْ

وقــالَ لِــســرْبِ الــرواعــي: ســلامٌ
وعَــنْــهُــنَّ ردَّ الــغــمــوضُ الــسَّــلامْ

ولَــمَّــا أتَــتْــهُ ابــنــةُ (الــذَّوْدَحــي)
حــكــى مــا حــكــى، فــاســتــهــامَــتْ وهــامْ

وبــاتَ يُــبــاكــي الــرُّبــا كــالــتــي
تُــفَــتِّــشُ عــن نــاهِــدَيْــهــا الــرُّكــامْ

* * *

ومَــنْ ذا رأى حــامــلاتِ الــجِــرارِ
عــلــيــكَ يَــفِــدْنَ كــأظــمــى الــحَــمــامْ

يـجـئـنَ خـلـيـطـاً، فـلا ذي وذا
ولا مِـنْ حَـلالٍ ولا مِـنْ حَـرامْ

ويَـرجِـعْـنَ يـهـمِـسْـنَ سـرّاً كَـمَـا
تُـوَشْـوِشُ بـنـتُ الـثَّـمـانِ الـغُـلامْ

يَـقُـلْـنَ ويـسـكُـتْـنَ، يـنـدى الـسُّـكُـوتُ
كـلـمـعِ الـبُـكـا مِـنْ خِـلالِ ابـتـسـامْ

* * *

أمَـنْ شـهـدوا (حَـرَضـاً) شـاهـدوكَ؟
فـكـيـف انـطـفـا فـي الـعـروقِ الـضِّـرامْ؟

أأسْـكـرْتَ عَـشْـراً، ولـمَّـا أفَـقْـنَ
قـلـيـلاً شَـأى الـمـسـتـهـلَّ الـخِـتـامْ

فِـمِـنْ عـامِ خَـمْـسـيـنَ لا حِـسَّ عـنـكَ
حـوى حِـسَّ عـامـيْـنِ قَـتْـلُ (الإمـامْ)

بـتـلـكَ الـدَّيـاجـي دجـا شـاربـي
فَـقُـلْـنَ: مـتـى بـلـغَ الاحـتـلامْ؟

وقـيـلَ: مـتـى جِـئـتَ عـفـواً؟ وأيـنَ؟
وقـيـلَ: أذاعَـتْـكَ (بِـرَمِـنْـغِـهـامْ)

وقـيـلَ: رآكَ الأُلـى نَـقَّـبـوا
رمـادَ نـجـومٍ عـلاهُ (الـجُـثـامْ)

* * *

(تـمـارا) نَـفَـتْ أيَّ نـفـطٍ، وهـلْ
تـجـلَّـتْ مـنَ الـبـدءِ وجـهَ الـتَّـمـامْ؟

سَمِعْتُ (المَدامَ) التي تَرجَمتْ
وكنتُ أوَدُّ احتضانَ (المَدامْ)

تَوَسَّمْتُها ثَقَبتْ خامتي
فقال سكوتي: وهَلْ أَنتِ خامْ؟

لَوَ انّي عَقَرتُ لها ناقتي
حباني (امرؤ القيسِ) أعلى وِسامْ

وقال (المَراقِسُ) في كُلِّ عَصرٍ
ولَجْتَ الحمى و(امرؤ القيسِ) حامْ

قُلِ: اليومَ خمرٌ وخمرٌ غداً
ودَعْ للرِّياحِ (الغَضَى) و(الثُّمامْ)

أكنتَ كما قيلَ: منّي امتطيتُ
إلى عامِ تسعينَ سبعينَ عامْ؟

وكيف سبقتَ (أرَمْكو) إليكَ؟
متى رفَّ قبلَ البروقِ (الخُزامْ)؟

إذا كنتُ أمسِ اخترقتُ النظامَ
فهل أُحرِقُ اليومَ هذا النِّظامْ؟

إذا نام أسمو سُموَّ الحَبابِ
إليهِ أُريهِ وصالَ الحَمامْ

وأنّي وإنْ كُنتُ أهمي سَناً
ودِفئاً، على الحَرْقِ أقوى التهامْ

رماني إلى حيثُ أأبَى المتاهَ
وبيني وبيني أهاجَ الخِصامْ

لـمـاذا لـغـيـرِ بـيـوتـي أضـأتُ
وأطـفـأتُ أشـواقَ أهـلـي الـكـرامْ؟

أتـدري عـلـيـهِـمْ عـقـدْتُ الـفـؤادَ
بـيـوتـاً، قـبـوراً، شِـراعـاً، خِـيـامْ

أجُـسُّ ضـلـوعـي فـذا (خـارِفٌ)
وذا (الـوَهْـطُ)، هـذا (زَبِـيـدٌ) و(يـامْ)

أأوْهَـمْـتُـهُـمْ بـي، ومـا زُرْتُـهـم
غـداةَ وصـولـي، ولا الـوهـمُ دامْ

أهـذا هـو الـخـبـرُ؟ قـالـوا وقُـلـتُ
كـمـا يَـنـفُـثُ الـغِـمْـدُ عـنـهُ الـحُـسـامْ

* * *

أيَـمَّـمْـتُ داراً بـرغـمِ الـدِّيـارِ؟
أمـا قُـلْـتُ: لا وفـمـي فـي الـرُّغـامْ؟

وكـانـت سـكـاكـيـنُـهُـمْ لا تـجـفُّ
وكـانـت بـنـادقُـهُـمْ لا تـنـامْ

ولا مَـنْ يـقـولُ: مـسـاءُ الـرَّدى
ولا مـن يُـعـزِّي (هُـدى) أو (سِـهـامْ)

كـأهـلـي سـتـدْمَـغُـنـي بـالـسُّـقـوطِ؟
ولـيـتَ الـذي يـدَّعـونَ اتِّـهـامْ

رَأَوْنـي وخَـلَّـوْا زمـانـي فـضِـعْـتُ
بـآبـارِ مَـنْ فـي يـديْـهِ الـزِّمـامْ

أليسَ الذي استاقَهُم مَرَّ بي
ومِنّي احتواني، إليهِ اغتنامْ؟

فماذا تُسمّي كهذا النِّظام؟
ـ لكُلِّ أوانٍ وجوهٌ وهامْ

أهذا الأوانُ لَهُ أوجُهٌ
وهامٌ؟ ثوانيهِ صخرٌ عُقامْ

ذَوو الأمرِ مِنْ ثُلَّةِ القادرينَ
أَما القادرون خلافُ العِظامْ؟

فأمُّ العناقيدِ مَخنيَّةٌ
وغيرُ الجواني طِوالُ القوامْ

* * *

بني وطني، مَنْ درى أيُّنا
أحرُّ انتماءً وأرقى التزامْ؟

تنامونَ، أمسي لمَنْ أمَّروا
أُغنّي وأَطهو أميرَ الطَّعامْ

أزُفُّ إليهِ ومِنهُ أرى
دمي ذهباً في أكُفِّ اللِّئامْ

أُنَحّي كؤوساً وأُدني كؤوساً
فأظما وأحسو شَظايا الحُطامْ

لكلِّ بَتهِ كُلَّ يوم قطيعٌ
وتقتاتُ ذِقْنَ أبيها (اليَمامْ)

أنا نِفطُ أهلي. لماذا لَهُمْ
دُخاني وضَوئي لذاكَ المَقامْ؟

حلقاتٌ إلى فصولِ الحاء

1994م

أغطُّوا عَوْرَةَ البَنْكَيْنْ
ومَنْ سَلَبُوهُما الجِلْدَيْنْ
مَنِ اغْتَصَروا عِظامَهُما
ولاكوا قِشْرَةَ القَدَمَيْنْ
أتعرفُهُمْ؟ نعم وأنا
وسلْ خمساً إلى خمسيْنْ

* * *

حَسَوْا أخفى فروجِهِما
نُضاراً مِنْ صُحونِ لُجَيْنْ
ومِنْ غورَيْهِما طلَعوا
حبالى وارتَمَوْا كالحَيْنْ[1]
إلى حَلْقِ الحِمى أغزى
وأزْأى مِنْ غُرابِ البَيْنْ
أحَطُّ مِنَ الذُّبابِ، وإنْ
رقَوْا سَقَطوا على الفِلْسَيْنْ
على لمعانِ جَنْبَيْهِ
لها نَسَبٌ إلى (ابْنِ هُرَيْنْ)

---

(1) الحَين: الموت السريع.

على كنزِ العجوزِ، على
حُلاها المُقتنى والهَيِّنْ

لأنَّ القُبحَ داخَلَهُمْ
فأحلى ما يَرونَ الشَّيْنْ

أغطَّوْا عورةً فيهم؟
أليسوا عورةَ الوَضعَيْنْ؟

ومسؤولينَ موطنُهمْ
من الشِّدْقَيْنِ للفَزجَيْنْ

أتَزجوهُم وهُمْ ألْهى
بِهِمْ مِنْ رَبَّةِ النَّخيْنْ

زمانُ القَحطِ زَعَمهُمْ
لِكي يُدْعى أبا القَحطَيْنْ

وكي تَغتَمَّ صلْعَتُهُ
بقرنَيْ ثورِ (ذي القَرنَيْنْ)

فشادوا دولةَ الأفعى
ومأموريَّةَ السَّطوَيْنْ

ورسمِيّاً بدَوْا غَزْواً
ومِنْ (يأجوجَ) يأجوجَيْنْ

وبالوهْمِيَّةِ انتَفَخوا
فغاص الطُّولُ في العَرْضَيْنْ

تــــراءوْا غـــيــــر مـــــنْ كــــانـــوا
وجـــاؤوا. مـــا دَروْا مِــــنْ أيْــــنْ

أجــــاؤوا أمْ تـــحـــمَّــلَـــهُـــمْ
عـــلـــى ســـهـــوٍ بــســـاطٌ لَـــيْـــنْ؟

غَـــدَوْا أثــرى مِـــنَ الـــمَـــبْـــغـــى
وهُـــمْ أولادُ (خُـــفُ حُـــنَـــيْـــنْ)

وحُـــكّـــامــاً لَـــهُـــمْ، وعـــلـــى
أبٍ يُـــدْعـــى حـــفـــيـــدَ (رُعَـــيْـــنْ)

لأعـــلــــى روسِـــهِـــمْ رأسٌ
لـــهُ تـــاجٌ عـــلـــى الـــفـــخـــذيْـــنْ

وذيـــــلٌ فــــوقَ هـــــامـــتِـــــهِ
كـــلـــوحِ الـــغُـــولِ، ذو فـــرعَـــيْـــنْ

يــــولِّـــــي دارَ ثَـــــروَتِـــــهِ
هـــوَىً يـــبـــتـــاعُـــهُ نِـــصـــفَـــيْـــنْ

ومِـــنْ كـــعـــبِ الـــغِـــنـــى يـــصـــبـــو
إلـــى الأغـــنـــى، عـــلـــى الـــحـــالَـــيْـــنْ

ومِـــنْ حُـــبِّ الـــغِـــنـــى غَـــنَّـــى
وقـــبْـــلَ الـــبـــا تـــهـــجَّـــى الـــغَـــيْـــنْ

يـــمُـــدُّ إلـــى مَـــنِ اســـتـــعـــدى
عـــلـــى دَمِـــهِ فَـــمـــاً ويـــديْـــنْ

مَنِ استعطى ومنْ أعطى
مَنِ استغشى بهِ حَزبَينْ
مَنِ استعدى كما تحكي
منِ استجداهُ مُذ يومينْ
نفى ذا ما ادَّعى هذا
وبات يُجَيِّشُ الرَّدَّينْ
لأنَّ النَّفي تغطيةٌ
تَلُفُّ الوجهَ بالرِّجلينْ

*

(مُجَلِّي) عنده خبرٌ
كخفق القلبِ، نجوى العينْ
أصيخوا اللحظةَ، نَغرُو
كتيسٍ يقتضي تيسينْ
وكي يُضغوا شدا أعلى:
«مراكشْ فَينْ وتونسْ فَينْ»
إليكُمْ خير تهنئةٍ
نجا (المهدي) مِنَ الموتَينْ
أشاعوا ماتَ في (الخَفْجي)
بـ(صبيا) وهْوَ في البحرينْ
وكُنَّا هاهُنا سُمراً
فأمسى حولُنا شِبرينْ

أمـــاتَ؟ وأيـــنَ؟ كـــيـــفَ ومـــا؟

أتـــمَّ صـــيـــاغَـــةَ الـــشَّـــرْقَـــيْـــنْ

ولا أرســـى الـــذي يـــرجـــو

وجـــوداً مِـــنْ سَـــنـــا الـــفَـــجْـــرَيْـــنْ

لأنَّ هـــواهُ ضـــوئـــيٌّ

لأنَّ بـــقـــلـــبِـــهِ قَـــلْـــبَـــيْـــنْ

وكُـــنَّـــا فـــي الـــذي يـــحـــكـــي

ويُـــوصـــي أوَّلَ الـــحـــرفَـــيْـــنْ

يـــقـــوِّيـــنـــا عـــلـــى الأقـــوى

ويـــكـــفـــيـــهـــنَّ مـــا يـــلـــقَـــيْـــنْ

رثـــاهـــا (الـــمُـــرتـــضـــى) أرَقـــاً

و(طـــٰهَ) جـــادَ بـــالـــبـــيـــتَـــيْـــنْ

وأضـــنَـــتْ كُـــلَّ مـــنـــحـــدَرٍ

رُبـــاً يـــضـــفَـــغْـــنَ بـــالـــسَّـــفْـــحَـــيْـــنْ

وصـــاغَ الـــدَّمـــعَ (ذو يَـــزَنٍ)

قَـــصـــيـــداً، عَـــبْـــقَـــرَ الـــعـــصـــرَيْـــنْ

ونـــادَتْ أمُّ ذي الـــوادي

تَـــلُـــوحُ يـــداهُ كـــالـــبَـــرْقَـــيْـــنْ

أشُـــمُّ خُـــطـــاهُ مِـــنْ فَـــجٍّ

وفـــوحُ ضُـــحـــاهُ مِـــنْ فَـــجَّـــيْـــنْ

(عُـدَيْـنَـةُ) بـاسْـمِـهِ (اتَّـعَـزَتْ)
ومِـنْ عِـرْقِـيْـهِ رفَّ (عُـدَيْـنْ)

فـأومـا فـجـأةً نـبـأٌ
كـأوَّلِ حُـمـرةِ الـشَّـفَـقَـيْـنْ

رأى (الـمـهـدي) بـ(أُشـتـورا)
عـلـيـهِ وَمْـضُ مَـهـدِيَّـيْـنْ

أذاعَ الأمـس فـي (دِلْـهـي)
بـيـانـاً، فـي (الـرُّبـاطِ) اثـنـيْـنْ

فـزَفَّـتْ وضْـعَـهـا الـخـضـرا
مِـنَ الـمَـبْـكـى إلـى الـعُـرْسَـيْـنْ

ومـاذا؟ والـتـوى الـرَّاوي
كـطـيـفِ هـاربِ الـجَـفْـنَـيْـنْ

* *

لـمـاذا (الـمـرتـضـى) اسـتـخـفـى
قُـبـيْـلَ تَـكَـشُّـفِ الـخَـيْـطَـيْـنْ؟

بـأقـصـى قـلـبِـهِ لَـهَـبٌ
يـقـاتِـلُ دونَـهُ الـشَّـفَـتَـيْـنْ

أمـا (يـحـيـى) بـهِ أدرى
وأخـشـى مِـنْ بـنـاتِ (الـقَـيْـنْ)؟[1]

(1) القَين: الحَدَّاد.

يُخِفْنَ البيتَ مِنْ فمِهِ
يُرِغْنَ الجارَ بالجارَيْنْ

لهُنَّ مُرَتَّبٌ أعلى
وأخفى مِنْ دُجَى القَصرَيْنْ

سألتُ الصُّبحَ، عَمَّتُهُ
بكَتْ واستبكَتِ الأُخْتَيْنْ

وكادَ البيتُ يطفرُ مِنْ
كُواهُ يُشَعِّلُ الحَيَّيْنْ

ويُذْكي (كَرْبَلا) أُخرى
على مَنْ عَسْكَرَ الشَّمْرَيْنْ

ويرمي بـ(الحفا) (البطحا)
بِشُمّ (الحيمةِ) (النَّهْدَيْنْ)

*

أضافَ (العَونُ) يبدو لي
أبوهُ أتْعب الخطَرَيْنْ

صباح الأمسِ كاشَفَني:
أتدري كيف ماتَ (حُسَيْنْ)؟

دعاهُ الأَمْنُ مُشتبِهاً
وأسْلَمَهُ إلى الكَلْبَيْنْ

نَعَمْ، جُبْنا الضُّحى عَنْهُ
وبحرِ اللَّيلِ والشَّطَّيْنْ

فأوحى الليلُ ما أوحى
وأَزْجى الصُّبحُ بُرْهانَيْنْ

وقالَ الرَّاصدُ: اسْتَوفُوا
بهذا ثلثَ مَليونَيْنْ

لهذا زارني جاري
وأرْكَبَني إلى بابَيْنْ

يُرائي ذاك، يُدخلني
وذا يُفضي إلى قَبْوَيْنْ

هُنا بابُ الأفَنْدِمْ (خا)
هُنالِكَ نائِبُ الرُّكْنَيْنْ

أهذا جارُنا الأَجْفَى
هُنا يختَلُّ كُرْسِيَيْنْ

أصحَّتْ تُهمةُ الأُلْسنا
بهِ وشهادةُ الأُمَّيْنْ

لَهَجْنَ: رمى بزوجتِهِ
ليُعطي بنتَهُ زوجَيْنْ

لهذا رأسُوهُ على
رئيسيْهِ، بِلا رأسَيْنْ

بدونِ كفاءةٍ، لكِنْ
بشرطٍ يحتوي شَرطَيْنْ

رَمَى عينيه بين فَمي
وبينَ سُكُوتِهِ شَطْرينْ

ـ تَكلَّمْ، مَنْ (حُسينٌ)؟ مَنْ
دعَاهُ؟ مَنْ أشاعَ المَيْنْ؟

* * *

سَلِ الكَلْبينِ عن وَلَدي
وعنكَ (جُهينةٌ) و(جُهَينْ):

أتقتلُهُ وتمنَحُني
بهضمِ جحيمِكُمْ قَتْلَينْ؟

متى (فَتَدَمْتُمو) كَلْباً
يقودُ الَّليلَ شُرطيَّينْ؟

تُعشّي الكلبَ إنساناً
أتَشْتَكفي بإنسانَيْنْ؟

فقال: اكتُبْ لنا قَسَماً
بدفنِ السِّرِّ في لَحْدَيْنْ

وكانتْ زوجةُ الوالي
ترى السَّجَّانَ مِنْ ثُقْبَيْنْ

فنادَتْ: يا فلانُ أضِفْ
ولِلنِّسْوانِ أنْ (يَبكَيْنْ)

كثيرٌ منكَ هذا يا.
وما أغلى حَنانُ الزَّيْنْ

أنا فيهِمْ بأمرِ أبي
ومِنهُمْ يومَ نقضي الدَّيْنْ

شكا في غورِ لهجتِها
فطيمٌ فاقدُ الأبوَيْنْ

ضحايا كُلُّكُمْ يا.. يا...
وقالَ سكوتُها أمْرَيْنْ

ضحايا كُلُّكُمْ، أمَّا
أنا فضحيَّةُ الثَّديَيْنْ

وسلَّتْ مُديَةً حَزَّتْ
وألْقَتْ خلفَها النَّهدَيْنْ

* * *

فنادى المُدْلجُ الحادي
إلى يائيَّةِ الحاءَيْنْ

يُحيِّي عندمَ المَنْهى
على خشْديَّةِ البَدْءَيْنْ

يُحنِّي الحربَ كي تُفضي
إلى حُرِّيَّةِ الحُبَّيْنْ

●●●

تلكَ الَّتي

1992م

كــلَّ يــومٍ تــأتــيــنَ، مــا جِــئــتِ يَــوْمــا
كــيــفَ تُــدنــيــنــنــي وتَــنْــأيــنَ دَوْمــا؟

وتَــقــولــيــنَ لــي: ضَــعُــفــتَ. لِــمــاذا؟
لا الــحِــمــى اعــتــزَّ فــيــكَ، لا عــزَّ قَــوْمــا

مــنْ رآهُــمْ هــانــوا، وهــانــوا عــلــى مَــنْ
حــيــنَ قــالــوا عَــلَــوْا، أقــالــوا عَــلَــوْمــا

* * *

لا تــخــافــي، بــنــارِ عــيــنــيْــكِ أقــوى
يــوم ضــمَّــيْــتِ (زَيْــنَ) مَــنْ ضــمَّ (تَــومــا)؟

مَــنْ أدارتْ عــلــى الــكَــبــابِ نــبــيــذاً
غــيــرُ مَــنْ أغــرقَــتْ رغــيــفَــكَ (زَومــا)[1]

أبــداً يَــقْــتُــلُ الــرَّغــيــفُ ويُــحــيــي
مَــنْ أطــارَ (الــبُــوَنْــقَ) أو قــادَ (كَــوْمــا)

* * *

مَــنْ تُــرانــي، فــي غــوْرِ عــيــنــيْــكِ؟ هــزٌّ
ثــمَّ أُولــى هُــرَيْــرةٍ فــتــمَــوْمــا

(1) زوما: الزوم نوع من الشوربة المكوّنة من طحين الشعير واللبن الممخوض، وهي فصحى محكية.

أهْـيَ أنـتِ الـتـي. . ؟ أنـا قـبـلَ عـام
رَجَـمَـتْ بـي (طُـلْـحـامَـةٌ) (نَـجْـدَ ذَوْمـا)؟[1]

هـل تـطـلَّـقـتِ مَـرَّةً، ثُـمَّ أُخـرى
وثـلاثـاً إنْ فـاضَ كـيـسُ (ابـنِ جَـوْمـا)؟

مَـنْ تَـزَوَّجْـتَ أنـتَ؟ عَـمَّـاتِ (إنَّـا)
أخـتَ (كـانـا) وقُـنـزُعـاً وشَـلَـوْمـا[2]

لـسـتِ أنـتِ الـتـي. أنـا مَـنْ؟ كِـلانـا
خـلَّـفَـتْـهُ أقـوامُـهُ فَـتَـقَـوْمـا[3]

قُـلـتِ لـي: نـلـتـقـي عَـشِـيَّـةَ أمـسِ
مُـتُّ شَـوقـاً وبِـتُّ ألـقـاكِ نَـوْمـا

أيُّ سـارٍ كـالـسُّـخـرِ هـوَّمَ رأسـي
قـيـلَ: شـابَ الـسُّـهـادُ وانـحـلَّ (هَـوْمـا)

قـلـتُ: أيـنَ الـتـي زَفَـتْ بـابَ قـلـبـي؟
قـيـلَ: تَـلْـهـو، تُـومـي إلـى غـيـرِ مَـوْمـا

---

(1) طلحامةٌ: قرية زوجت إحدى بناتها إلى قرية اسمها(نجد ذوما) ولهذا يقول اليمنيون (النساء مراجيم الأرض) إذ تتزوج بنت أقصى الشمال ابن أقصى الجنوب أو العكس. وفي الأعياد تلاحظ كل قرية وجوه الوافدين عليها، فيعرفون أنهم جاؤوا لزيارة بناتهم وهذا سبب المقولة (النساء مراجيم الأرض).

(2) عمات إنَّا، أخت كانا: مفردات نحوية صرفية تبعاً لوزن (فعلل) وأشباهها.
قنزع: لقب الظِّباء الشوارد.
شلوما: اسم الناقة المُسِنة التي تقابل شذقم أي البعير المسن. وهذه التسميات من شواهد اللغة.

(3) تقوما: ادعى الانتساب إلى كل قومٍ يلاقيهم.

وَهَتَفْتِ الصباحَ: أيُّ خريفٍ
أمْطَرَ الأمس كِدتُ أغليهِ لَوْما

أيَّ حِينٍ تُفَضِّلُ اليومَ؟ يبدو
ماطِراً مثلَ أمسِ آتيكَ عَوْما

ومعاً سوفَ نَدرجُ (المَتْنَ) هيَّا
ما تَرومِينَهُ أُفَدِّيهِ رَوْما

* *

ولماذا ما جئتِ والصَّحْوُ أضْحَى؟
مَنْ تسومينَ بِعتِ وابتعتِ سَوْما

بعد يومَيْنِ رنَّ صوتُكِ: عفواً
جئتُ وَثْباً تَخَيُّليّاً وحَوْما

هلْ حَكَتْ أيُّ كرمةٍ عن هَزارٍ
ماتَ في جَلْوةِ العناقيدِ صَوما؟

أيَّ شكلٍ تُحِبُّ مِنِّي.. زَواقِي
أم أنا إذْ أبيعُ (وَرْساً) و(دَوْما)؟

❂❂❂

اليوم قبل الأخير

كما تَبْغَتُ البُشرى سرى أخضر الخُطى
على منكِبيْ شوقٍ لَهُ أعينُ القَطا

تَليهِ رواب من نبوءاتِ بارقٍ
كما ماجَ صيْفٌ بالخُزامى تحوَّطا

مِنَ العَكْسِ حتى العَكْسِ يجتازُ ذاتَهُ
إلى ذاتِهِ الأعلى، يُدينُ التَّوسُّطا

يُصافي كما يُفضي الرَّبيعُ بسرِّهِ
يُعادي كما تُغْيي الحماماتُ أزْقَطا

يُغَنِّي نشيشاً واحتمالاً مُشَرَّداً
مِنَ القلبِ ينسى أيَّ دقّاتِهِ امتطى

على شوقِهِ يُشوى ليرقى غمائماً
وَيَنْصبُ للأطيارِ والنحلِ مهبطا

وحيناً يُرى عكس الأماني، وتارةً
كما تعشقُ الشَّمطا الغلامَ المقرَّطا[1]

* * *

(1) المقرّط: ضرب من غلمان الملوك كانوا يدلُّون القروط من جوانب شعر الرأس والأذنين إما للتدليل، وإما دعاية لتسويقهم وكانت الأقراط خاصة بالنساء.

وشَتْ ليلةٌ حيْرى بدقّاتِ قلبِهِ
إلى البدءِ واستأنى يروضُ المخطَّطا

وقالَ: انتظِرْ يا قلبُ، أختارُ مطلَعاً
ألُمُّ كتاباً شاخَ حتى تفرَّطا

وأوغلَ في مرمى الشتاتِ مُلملماً
مُعيداً إلى أرقامِهِ ما تلقَّطا

وخطَّ عليهِ، سوف أكسرُ بيضتي
كما أنضَجتْني، سوف أطهو التَّورُّطا

على أفصحِ الضَّحواتِ أغدو وأنثني
وفي الظلمةِ الأغشى أُضيءُ التَّخبُّطا

فترنو الثَّواني من شروخِ انتظارِها
ترى القرب ما أبداهُ، لا البعدُ أقنطا

* * *

هلِ انْهارَ ذاكَ البابُ يا ريحُ؟ ربما
نأى أو نأيتم. لا أرى الآنَ أشْحَطا[1]

وكان (السُّرى) يتلو مَظنَّ انبثاقِهِ
كتاباً سيُحكى عَنْهُ أرْضى وأسْخطا

فقال (السُّها): يا(مُشتري) هل عرفْتَهُ؟
دعَوْهُ (خُزاعيّاً) أبوهُ تَنبَّطا

(1) أشحط: الأشحط هو الأبعد مكاناً.

وقال الفتى النَّجَّامُ: أسماؤهُ كما
تراها، ودعْ للسَّرْكِ أعلى وأضبطا

فتفضيلُهُ أدْعَى إلى قتلِهِ بهِ
فتنشَقُّ عَنْهُ، ثُمَّ تدعُوهُ أخبطا

وقص كتاباً غامِضاً عن خِتانِهِ
وأخبارَ يومَ اعتَمَّ حتى تَسمَّطا

* * *

ومِنْ أينَ تستدنيهِ؟ مِنْ بدءِ بَدْئِهِ
إليهِ، وماذا عَنْهُ مِنْ يومِ أنفطا؟

عليكَ تقحَمْ ذلكَ الشَّوطَ مَكْرَهاً
لكي تَمْتَطيهِ بعدَ عامينِ مَنْشطا[1]

تَسقَّطْ معي أخبارَهُ يا أَخا السُّها
إليهِ ترفَّعْ، فَهو ما اعتادَ مَسْقَطا

ولا خاطَهُ كالطِّينِ شيءٌ إلى الثَّرى
ومِنْ قلبِهِ أعيا الثَّرى والمُخَيِّطا

وما شأنُهُ إنْ مرَّ يستنبحُ الحَصَى
عليهِ، ويَسْتَعوي الغُبارَ المُغَلِّطا

ومَنْ ذلِك السَّاري؟ يلوحُ ثلاثةً
يُغَنِّي، يُجيبُ الصَّمتَ، يهجو المُثبِّطا

---

(1) المكره: تنفيذ المرء العمل مكرهاً، وعكسها منشط أي وقت النشاط أو مكانه.

ومِنْ غيرِ بابِ القصدِ يأتيهِ مُضْحِكاً
أعِرْني كتاباً، لا جَليداً مُنَقَّطا

وهذا الذي أَلَّفْتَهُ نِصْفُ مُغْرَبٍ
يريدُ لِسَاناً، كي يُنادي ويلغَطا

وأنتَ لِـ(كانَ) واسْمِها تَشْحَذُ المُدى
وعندَ جوابِ الشَّرطِ تَسْتَلُّ مِشْرَطا

إذا كُنتَ تُغنى بالأُلى أنتَ بعضُهُمْ
فألْفُ عُروبيّاً فصيحاً مُبَسَّطا

كهذا. وما هذا؟ متى كانَ كاتِباً؟
عرفْناهُ أُمِّيّاً إلى أنْ تَسَلَّطا

صَدَقْتَ، فما لاحظْتُهُ مرَّةً على
مُحَيَّا كتابٍ مَسْرَحِيّاً مُنَمَّطا

وأمَّا الذي يُذكي دمَ الحرفِ نَبْضُهُ
عليهِ يُلاقي رهطَ (يأجوجَ) أرْهَطا[1]

ويرتابُ ما لِلذِّئبِ لا يرتعُ الكَلا
ويلقى الظَّلامَ الرّابطُ الجأشِ أرْبَطا!

يُريهِ جهازُ الجَلْدِ عشرينَ ناقراً
أتدعوهُ يا تفصيلُ أقرى وأسْوَطا!

---

(1) أرهَط: الأرهط الأقوى رَهطاً من قومِهِ أو جيشه.

أما قالَ هذا عنكَ يا (مُشتري)؟ متى
رأى لي صواباً مِنْ تُراثيَّةِ الخَطى!

*

أمِنْ فجرِ عَهْدِ النِّفطِ تغدو مؤرِّخاً؟
أراني بذاكَ العهدِ أحوى وأخوطا
سأشتَقُّ منذُ الآنَ حِبْراً وكاغداً[1]
مِن النِّفطِ يبدو واقعيّاً مُمَغْنَطا
بمَنْ سوفَ تَسْتَهدي؟ بمنطوقِ حِكمةٍ
تَوازَنْ، وزِنْ لا مُفْرِطاً لا مُفَرِّطا
أأَنتَ على عرّافِ (ذُبْيانَ) مُنْطَوٍ؟
لَبِسْتُ وإيّاهُ مِنَ المَهْدِ مَقْمَطا
أعَنْوَنْتَ فَضلاً؟ بِتُّ أسْتَلُّ عِزْقَهُ
مِن القَحْطِ، كي لا يُسجِب الآنَ أقْحَطا
سأجلوهُ مِنْ ظِلَّيْ أبيهِ وأُمِّهِ
كصبحٍ شتائيٍّ رأى الجوَّ أشْبطا
وأشْتَفُّ مِنْ يومِ الخِتانِ زواجَهُ
وكَمْ زار مُغْتَمّاً ولاقى مُمَشَّطا
هل استوقفَ التاريخَ مَشْطٌ وعِمَّةٌ؟
إلى الأغمضِ الأقصى تَخَطَّ المُحَنَّطا

(1) الكاغد: الورق السميك.

إلى الجوهرِ الأخفى توغَّلْ مُكاشِفاً
أعَضرُ الشَّظايا فوقَها استَنْعَم الوِطا؟

أفي ساحةِ (القَضريْنِ) صلَّى (ابنُ حَوْشَبٍ)
لأنَّ (الجَنابي) باسْمِ (مِرْزا) تَقَرْمَطا

أقالَ عَنِ (ابنِ الفَضْلِ) بتَّ العُرى بهِ؟
وأيُّ جوادٍ ليس يحتاجُ مَرْبطا

وهل بايعوا ذاكَ اختياراً كما ادَّعى
وهذا اشترى العَكْسيْنِ؟ قُلْ كيف خلَّطا؟

وما سِر (فيدلْ) مثلما كان ينتمي
إلى الشَّعبِ يأبى أن يُذَلَّ ويُغْمَطا؟

وهل قادَ تَيَّارَ الجماهيرِ ثائرٌ
لَهُمْ، لا لهُ يجتازُ سهلاً ومِنْقطا[1]

وهل (هِنتُ) بيزنطا التي لا يرَوْنَها؟
وكَمْ (ذي القروحِ) اليومَ؟ دَعْ أسفلَ الغِطا

*

أذاكَ رسولُ الفَجرِ؟ ما قالَ يا سُها؟
لِميمونَ وعدٌ أن يُهَنَّا ويُغْبَطا

أتُصْغي؟ دَعا (المرّيخُ) هَلْ ذرَّ نجمُهُ
كما اسْتَخْبر الأنسامَ ماذا تأبَّطا

---

(1) المِنقَط: المكان الضَّيِّق على المُحتربين حتى لا يجد الفارُّ مخرجاً، فيُقال: وقعَ فلانٌ في منقط.

أجـابَـتْ: أرى (الـمـهـدي) وإيَّـاهُ واحـداً
و(زرقـاءَ) فـي عـيـنـيْـهِ تَـهـواهُ أشْـمـطـا

أكـانَ الـعَـطـا يـغـدو ثـلاثـةَ أحْـرُفِ
ولاحَ، فـأوحـى وجـهُـهُ سـورةَ الـعَـطـا

❁❁❁

يــومَ
انفجارِها الغَضْبان

أغسطس 1992م

لُوس أنجلوسْ، لُوس أنجلوسْ مـــوتٌ يَـــزُفُّـــهُ عُـــرُس
حـــرائـــقٌ وأعـــيُـــنٌ يَـقْـبُـرنَ وضـعـاً مُـنـدَرِسْ
يـجِـذْنَ لـحـمَـهُـنَّ فـي جـلـودِ كُـلِّ مُـخـتَـلِـسْ
لـوسْ أنـجـلـوسْ كـلُّ الـمـدَى بـكُـلِّ ومـضٍ تَـنْـجَـنِـسْ
وادٍ عـلـى غـمـامـةٍ بـحـرٌ عـلـى تـلٍّ مَـلِـس
صـبـيـحَـةٌ كـي تَـنْـتَـقـي شَـمْـسَـيْـنِ عـادَتْ تَـغْـتَـلِـسْ
فُـجـاءَةٌ نَـصَّـتْ عـلـى بـابِ الـقـيـاسِ: لا تَـقِـسْ

❊ ❊

زمـــانُ وصـــلٍ عَـــنْـــدهُ كـلُّ الـبـقـاعِ الأنـدلُـسْ[1]
يـنـصـبُّ أحـضـانـاً إلـى قـعـرِ الـطُّـيُـوبِ تَـنْـغَـمِـسْ
وقـبـلـةً فـأربـعـاً تـرنُّ حـتـى تـنـهَـمِـسْ

❊ ❊ ❊

مِـنْ ذا ابـتـدتْ؟ تـكـادُ مِـنْ عُـنْـفِ الـوضـوحِ تَـلْـتَـبِـسْ

---

(1) الأندلس: إشارة عكسية إلى البيت في الموشحة الأندلسية:
جـادكَ الـغـيـثُ إذا الـغـيـثُ هـمـى
يـا زمـانَ الـوصـلِ بـالأنـدلُـسِ

لـوس أنـجـلـوس تَـشِـعُّ مِـنْ ... خـلـفِ مَـرايـا (الـكُـنـغِـرِسْ)

كـأنَّـهـا نـبـوءَةٌ ... تـتـلـو كـتـابـاً مُـنـطَـمِـسْ

تُـحـصـي ضـلـوعَـهـا: مـتـى ... وأيـنَ ضـيَّـعـتُ الـخُـمُـسْ؟

تَـعُـدُّكُـمْ (دُدْشـي) هـنـا ... وكَـمْ هـنـاكَ (تَـوفَـلِـسْ)؟[1]

مـا لـي كـ(روبـسـبـيـر) لا ... جـمـهـورَ بـاريـس الـحَـمِـسْ

مـاذا أرى؟ نـظـافـةً ... هُـنـا الـذي لا يَـنْـكَـنِـسْ

مَـنْ أبْـأَسـوا مَـواطـنـاً ... يَـزهُـونَ، لا مَـنْ يـبـتـئِـسْ

لـهُـمْ مَـحَـفَّـةٌ تـقـي ... و أكْـلُـبٌ عـطـشـى تَـعِـسْ

تَـهِـرُّ حـولَـهُـمْ وفـي ... أبـراجِـهِـنَّ تَـلْـتَـجِـسْ

* *

مَـن يـا(سُـبُـرْتُ) قـالَ لا ... إلاَّكَ والـكُـلُّ خَـرِسْ

قـالـوا: عَـصَـى عـبـدُ الـعَـصـا ... مَـنْ ثَـوَّرَ الـطِّـيـنَ الـنَّـجِـسْ

يُـسـاطُ شـهـراً بـعـدَهُ ... يـشْـريـهِ أقـوى مُـبـتَـخِـس

لـكِـنْ لـمـاذا مـا ذوى ... ولا انـحـنـى ولا يـئِـسْ؟

كـيـف اسـتـطـالَ؟ هَـلْ درى ... نـخَّـاسُـهُ مـنْ يَـنْـتَـخِـسْ؟

مـا أهْـوَنَ الـفُـلـوس فـي ... شـرائـهِ يـا (مَـيْـكَـلِـسْ)

أمَـنْ أتـاكَ ثـائِـراً ... كَـمَـنْ أتـاكَ يـفْـتَـلِـسْ[2]

* *

(1) توفَلِس: أشرس قادة عسكرية روما الشرقية. وقد أشار إليه أبو تمام منهزماً في قوله:

لـمـا رأى الـحـرب رأي الـعـيـن (تـوفَـلِـسٌ)

والـحـرب مـشـتـقـة الـمـعـنـى مـن الـحَـرَبِ

(2) يفتلس: يستجدي فلوساً.

كُـــلُّ الـــولاةِ واحـــدٌ (فـيكـتـوريـا) أو (تَـخـتَـمِـس)
تَـسـقـيـهِ سـكْـرةُ الـعُـلا غـرورَ شـيـطـانٍ خَـنِـسْ
مَـنْ قـالَ لا، قـيـلَ إلـى. كـي لا يَـشُـمَّ يَـنْـتَـهِـسْ[1]
ويـخـنـقُ (الـدِّيـكَ) الـذي يَـسْـتَـوفِـزُ الـفَـجْـرَ الـنَّعِسْ
ويـبـتـغـي حَـجْـب الـضُّحى عَـنْ رؤيـة الـشَّـعـبِ الـتَّعِسْ
مـنْ قـالَ غـيـرُ (أحـمـدٍ)[2]: أحُـصَّـةُ الأمِّ الـسُّـدُس؟
ومـا اتَّـقـى رئـاسـةً لأنَّـهُ لا يَـرْتَـئِـس

وحـدي أشُـب غَـضْـبَـتـي غـيـري لَـهُ أنْ يـخـتَـرِسْ
مـنْ لا يـرى لـونِـيَّـةً ورأس مـالٍ مُـفْـتَـرِس
بَـوْلُ الـحـمـيـرِ أبـيـضٌ وَهْـوَ الـخـبـيـثُ ابـنُ الـدَّنِسْ
لا الأبـيـضُ اسْـمُ بـيـتِـهـا قـالَـتْ: بـعـيـداً يـنْـفَـقِسْ
لأنَّـهُ يـرعـى دمـاً ويـبـتـنـي دمـاً يَـبِـسْ
بـلا نُـهـىً مُـدَجَّـجٌ يـنـوبُ عـن أعـلـى الـقُـسُـسْ
لـكُـلِّ ذا خَـلَـغْـتُـهُ مِـنْ قَـرْنِـهِ حـتـى الأُسُـسْ
لَـهُ قُـوَىً بَـعْـكْـسِـهـا تـلـهـو إلـى أنْ تَـنْـعَـكِـسْ

* *

---

(1) ينتهس يفترس اللحم من العظم، فهو أشد من الانتهاش الذي يقتلع ظاهر اللحم

(2) أحمد: هو أحمد بن عبدالله بن سليمان اسم (المعرّي) في قوله من اللزوميات:

والأم بـالـسـدس عـادت وهـي أرأمُ مِـنْ
أخـتٍ لـهـا الـنـصـف أو زوج لـهـا الـرُّبُـعُ

خَلَعتُ عَسْكَرِيَّتي خَلْعَ الصَّباحِ ما لَبِسْ
قالوا: أتَتْ كما أتَى مِنْ غَيْبِهِ الرُّوحُ القُدُسْ
مَنْ كانَ أمسِ خَصْمُها غَدَتْ تُحِسُّ ما يُحِس
لأنَّ قلبَها لَها بكُلِّ قلبٍ يأتَنِسْ
لا فَرقَ إنْ قادتْ وإنْ أعطَتْ قيادَها السَّلِسْ
تَحِنُّ كالمَغنى إلى شعريَّةٍ كي تَنْبَجِسْ
كسحرةٍ تُدني ضُحَىً بالياسمينِ مُتَّرِس

ماذا يَبِثُّ جيمُها وأيُّ لامَيْها يَهِس
وأيُّ سينَيْها الذي يُرَوِّضُ المَغنى الشَّرِسْ
ذا يومُها صِفْ أمسَها هَلْ فيهِ غيبٌ ينْحَدِسْ؟[1]
كانَ يُرَمِّدُ النَّدى يُحاصِرُ القلبَ الهَجِسْ
وكُلَّ برقٍ ينتوي وكُلُّ عصفورٍ يَنِس
ألْهَتْهُ شهوةُ القُوى عَنْ أنْ يَراهُ ينتكِسْ

* *

لوسْ أنجلوسْ متى مَحَتْ هذا، صَحَتْ كي يَرْتَكِسْ
قالتْ لِرَمْسِها: انفلِقْ لابنِ الأساطيلِ ارْتَمِسْ
قُلْ أيَّ كِبْتٍ فجَّرتْ؟ قُلْ أينَ كانَ مُنحَبِس؟

(1) ينحدس: يدركه الحدس فيطاوعه بالانحداس، وتلك ما تسمى أفعال المطاوعة مثل حدسه فانحدس، وغمسه فانغمس، كما حددت المقولات العشر

جاءَتْ لهيباً يمتَطي نـاراً وأُخرى تَقْتبس
كـلُّجَّةٍ تَدُسُّ في صبرِ الشُّطوطِ ما تَدُس
طفولةٌ مِنْ حُبِّها تُحِبُّ كَسْرَ ما تَجِس
مِنْ جَمْرِها تبرْعَمتْ أجْنَتْ ولمَّا تَنْغَرِسْ
تُعطي وتدْني لِكَي يرقى إليها المُلتَمِسْ

❁❁❁

أميرة
تحت سيفِ العَشيرة

1994م

الزَّفَّةُ صامِتةُ الرَّوْعَةْ
والأغْيُنُ صايِحَةُ الجَوْعَةْ

والزَّغردةُ الوَلْهى تَنوي
أنْ تعصي مرسومَ الهَجْعَةْ

وتحنُّ، تَحِنُّ كما اعْتَزَمَتْ
أنْ تَستَبِقَ الرِّيحَ القلعَةْ

وكما تهوى حِجْرٌ صلعا
أن تصبحَ داراً في ضَيعَةْ

الشَّوقُ يُنادي مُعْجِزَةً
كارثةً تَستَغْشي وَضْعَهْ

مِنْ أَعلى طيفِ تُوقِعُهُ
ويصيحُ إلى وَقْعِ الوَقْعَةْ

والعاشقةُ (الرَّوْعى) طَلَعَتْ
فَلَقاً نيساني الطَّلعَةْ

كـأصـيـلِ الـصَّـيـفِ ذراعـاهـا
عـيـنـاهـا، قـامـتُـهـا الـرَّبْـعَـةْ

لـومـيـضِ تـلـفُّـتِـهـا نَـغَـمٌ
فـجـريُّ الـلَّـثـغـةِ والـضَّـوعَـةْ

والأنـجـمُ تـسـألُ: هـل نـبـتَـتْ
شُـهُـبـاً أسـنـى هـذي الـرُّقـعَـةْ

والـضَّـحْـوةُ تَـسْـتَـفـتـي (الـرَّوعَـى)
مـن أزكَـبـنـا ريـشَ الـسُّـرعَـةْ

هـل أسْـرَعـنـا؟ قـولـي: كـانَـتْ
لـيـلـتُـنـا أقـصـر مِـنْ شَـمْـعَـةْ

بِـتْـنـا والـحُـلْـمُ فَـمـاً بـفـمٍ
يُـعـطـي نُـعـطـي أسـخـى مُـتـعَـةْ

وعـلامَ أفَـقْـنـا؟ لا أدري
مـاذا تُـدعـى هـذي الـفَـجْـعَـةْ

الـحُـكْـمُ الـدَّامـي مُـحْـتَـشِـدٌ
والـسَّـيـفُ جـحـيـمـيُّ الـنَّـزعَـةْ

و(الـرَّوعـى) تـنـظـرُ هـازِئَـةً
بـالـعُـنـفِ الـرَّجـعـي، بـالـرَّجْـعَـةْ

بـالـكـاسـي جـورَ عـشـيـرتِـهِ
وحـمـاقَـتَـهُ ثـوب الـشُّـرعَـةْ

ببريقِ التَّاجِ المُشْتَعلي
بالواشي أوصافَ الرِّفعَةْ

وإلى السَّيفِ العاري ترنو
فيَهِمُّ وتغشاهُ الصَّرعَةْ

لا تُحجِمْ يا زوجي الثَّاني
فلْتلْعَبْ خاتمةَ الخُدعَةْ

يُثنيهِ القلبُ ويدفَعُهُ
صوتٌ: عانِقْ ذاتَ السُّمعَةْ

فيجيبُ كما يتلو أعشى
أشعاراً غامضةَ الطَّبعَةْ

يا مَنْ لِلقطعةِ تَدْفَعُني
أرجوكَ، امنَحْ قلبي دَفْعَةْ

أو فكِّرْ يوماً، قَدْ تأبى
أنْ تسلُبها تلكَ الخُلْعَةْ

أو يذوي روضُ حمائِمِها
وحنانُ الضَّمَّةِ والرَّضعَةْ

*

أُمَّاهُ، السَّيفُ يضنُّ، أنا
أستسقيهِ أحلى جُرعَةْ

في (سَقْطِ الزَّندِ) قرأتَ مَعي
ما أروحَها تلكَ الضَّجعَةْ[1]

---

(1) الضجعة: إشارة الى قصيدة المعرّي (غيرُ مُجدٍ) في ديوانه (سقط الزند) =

فاستقصاني شرقاً غرباً
كُلِّيّاً ما استثنى قطعة

من مهوى العِقْدِ يدب إلى.
وإلى. وإلى أخفى بُقعَة

الآنَ يُوضِّئُني بدمي
وأبي يتوضَّأُ للجُمعَة

ويُصلِّي كالشَّيخَينِ، وما
كتب الملكانِ لَهُ ركعَةْ

بالقيلِ وقالَتْ باعوها!
مَنْ عرَّضَ بنتي للبيعَةْ؟

بنتي. أبَدا الشَّهْمُ الثَّاوي
فيهِ أمْ أبداهُ صُنعةْ؟

لا تَهْذِرْ بعدَ الفوتِ، أَما
كانَتْ في كَفَّيْكَ الشُّفعَةْ!

يا أَفتى أهلِ الصُّقْعِ بِها
يا مَنْ تُدعى الشَّيخَ الطُّلَعَةْ

هل تدري أُمِّي أينَ أنا
ومَنِ اتَّخَذَ الأُنثى سِلعَةْ؟

= والتي يقول فيها

ضجعةُ الموتِ رقدة يستريح الـ
ـجسْمُ فيها، والعيشُ مثل السُّهادِ

هَـلْ قُـلْـتُ لـهـا: تـلـك اخـتـرقَـتْ
ركـلَـتْ أذقـانَ (بـنـي زَمْـعَـةْ)

أوَلَـسْـتُ أنـا وثـمـانِـيـةٌ
بِـضـعـاً مِـنْـهـا؟ ـ ألَـهـا بِـضْـعَـةْ؟

دَغْـهُـمْ وأنـا لأُمُـومَـتِـهـا
مـا خَـبـزَتْ فـي الـفُـرنِ الـتِّـسـعَـةْ

* * *

يـا أُمِّـي إنْ سَـنَـحَ الـمَـبْـكـى
فـأعـيـريـنـي نـصـفَ الـدَّمـعَـةْ

فـأنـا مَـنْ أعـطَـتْ عـيـنَـيْـهـا
وحـشـاهـا أنـضـاءَ الـلَّـوعَـةْ

كـسـتِ الـحُـبَّ الـمـهـتـوكَ شـذاً
فـلْـتَـشْـمَـخْ يـا جِـنَّـا (مَـنْـعَـةْ)

قُـولـي: مـا مـاتَـتْ رابـضَـةً
كـالـنَّـعـجـةِ قـامـتْ كـالـ(نُـبْـعَـةْ)[1]

وصِـفـي لـلـخَـمْـسِ زمـيـلاتـي
لاقَـتْـهُـمْ أقـوى مِـنْ سَـبـعَـةْ

وإلـيـهـا زُفَّـتْ تـهـنـئـةٌ
مِـنْ بـرقِ تَـوَهُّـجِـهـا لَـمـعَـةْ

* * *

(1) نبعة: واحدة شجر النبع، كـ(تينة) واحدة التين. والنبعة أصلب الأشجار وتتخذ منها الأقواس.

مَـــنْ هـــذا الـــثَّـــالـــثُ؟ قـــافـــيـــةٌ
كـــالـــقُـــبـــلَـــةِ بـــعـــد لَـــمـــى الـــصَّـــفْـــعَـــةْ

أضـــنـــت شـــوكَ الأدغـــالِ إلـــى
وادي (ذي الـــرَّاسِ) إلـــى (بَـــلْـــعَـــةْ)[1]
وســـرَتْ إشـــعـــاعـــاً مُـــلْـــتَـــمَـــســـاً.
مِـــنْ أيـــنَ ســـرَتْ تِـــلْـــكَ الـــشَّـــعَّـــةْ؟

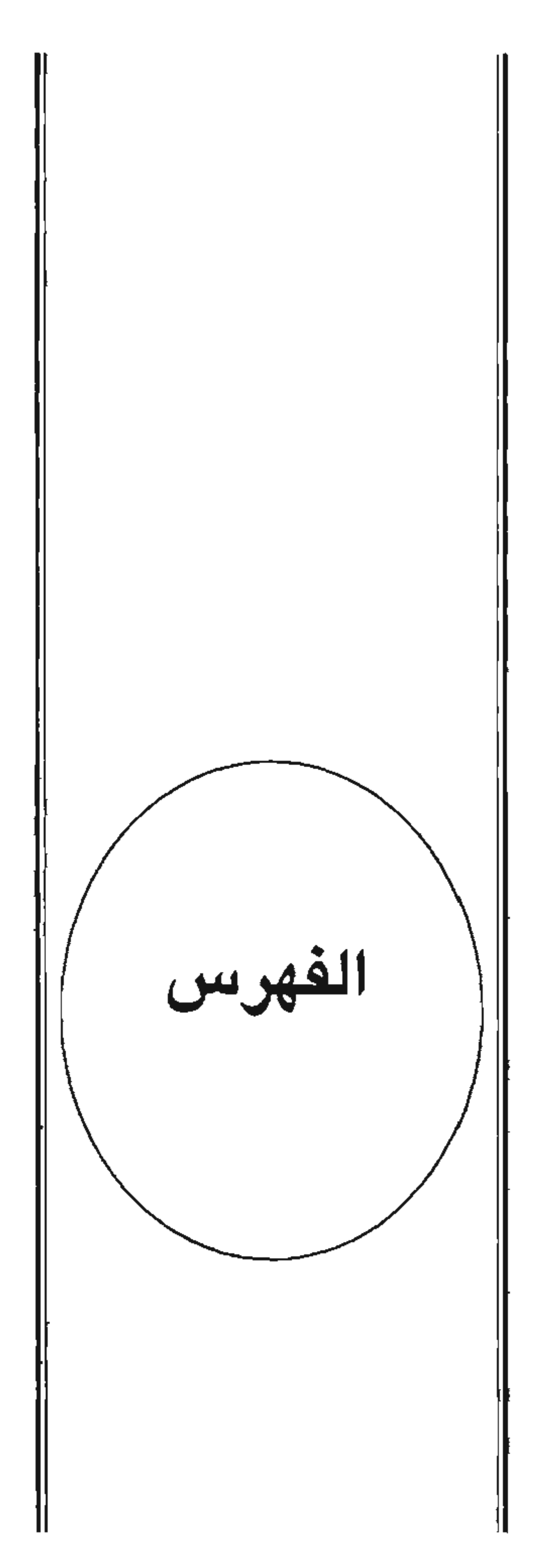
❂ ❂ ❂

(1) ذي الرّاس وبَلْعَة قريتان متجاورتان في (منار آنس) ومن أشهر الأغاني في القريتين وما حولهما هذا الموّال الزفافي:

يـــا غُـــصْـــن طـــالـــع ومَـــيَّـــاسْ
يـــكـــســـكـــس الـــزُّرب كـــســـكـــاسْ
مـــا بـــيـــن بَـــلْـــعَـــة وذي الـــراس

يكسكس الزُّرب: أي يُكَسِّر الأشواكَ القوية.


الناشيء


الفهرس


الناشيء

فهرس المحتويات

زمان بلا نوعيَّة

ترجمة رملية لأعراس الغبار

كائنات

الشوق الآخر

رواغ المصابيح

جوابُ العصور

رجعة الحكيم ابن زائد


الناشيء

